



المشروع القومي للترجمة

أثينة السوداء

الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية

الجزء الثانى - المجلد الأول

تأليف: مارتن برنال

675

ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين

تحرير ومراجعة: محمود إبراهيم السعدنى

المشروع القومى للترجمة

أثينا السـوداء

الجذور الأفرو - آسيوية للحضارة الكلاسيكية

[الجزء الثانى - المجلد الأول]

تـأليـف : مارتن برنال
ترجمـة : نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين
تحرير ومراجعة : محمود إبراهيم السعدنى



٢٠٠٤



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٦٧٥
- أثينا السوداء [الجزء الثانى - المجلد الأول]
- مارتن برنال
- نخبة من أساتذة الجامعات المصرية المتخصصين
- محمود إبراهيم السعدنى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة كتاب

BLACK ATHENA

Volume II

By:

M. BERNAL

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الإتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى إجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات



تصدير المحرر

بقلم : محمود إبراهيم السعدنى

بداية ، لنا هنا ، وعلينا كلمة شكر واجبة لوزارة الثقافة ، ممثلة فى المجلس الأعلى للثقافة الحالى ، بنشاطه المكثف ، والمختار بعناية ، وإنجازاته فى مجال الترجمة "المشروع القومى للترجمة " بصفة خاصة ، وإكماله الفائدة العلمية بعمل ندوات وحوارات ، بين الحين والحين ، لتتحرك العقول وتتسع الأذهان للرأى والرأى الآخر ، وتتخلص من وساوس النظرية الأحادية الجانب ، ومن ثم تزداد حركة التنوير انتشاراً وتعم المنفعة الثقافية ، وتتجدد الروح العلمية المصرية ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى مجاراة مستجدات الحياة العصرية التى تقفز قفزاً كل يوم إلى آفاق بعيدة ، حيث لن يلحق بها إلا أصحاب الهمم العالية والرؤى المستقبلية ، الحريصة على المشاركة الإيجابية بالقول وبالفعل ، وليس بالصمت العاجز وبالفرجة الكسيحة !!!

وواجب الشكر أيضاً " لأخبار الأدب " لتبنيها أقلام المتخصصين فى الرد على أخطر كتاب ثقافى موسوعى ، يزلزل النظريات القديمة ، من منطلق إبراز الإيجابيات والسلبيات بموضوعية علمية ، وسماحة مصرية (كما عهدناها دائماً طيلة تاريخنا وعبر حضارتنا وأدياننا) كَدرس منا نعلمه ، الآن ، لجهابذة الغرب العنصريين الحاقدين على حضارتنا الرائدة وتراثنا الأسبق ، وفضلنا على العالمين .

ولما كنت واحداً من المتخصصين الذين تابعوا على صفحات هذه الجرائد الحرة آراء الزملاء الأساتذة الدكاترة/عبد المنعم عبد الحليم ، من جامعة الإسكندرية ،

ومصطفى النشار ، من جامعة القاهرة فى عدة مقالات متتالية ، وردودهم العلمية وتوضيحاتهم المنهجية على تلك الهجمة " اليهودية الأهداف والمقاصد "على الحضارة المصرية خدمة لمصالح مشبوهة ، وتزييفًا للتاريخ والحقائق الدامغة رأيت ضرورة المشاركة بالرأى وتوضيح بعض جوانب الموضوعات المثارة فى ميدان التاريخ والحضارة بوجه عام. يجب أن نعترف صراحة أنه لا حضارة تنشأ من العدم ، ذلك لأن مفهوم الحضارة ، سواء قديمًا أو حديثًا ، يعنى كل إنجازات الإنسان فى كل المجالات الحياتية العلمية ، أو الثقافية الذهنية النظرية ، أى فى كل مناحى الحياة ، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا.

ومن ثم تتشعب المصادر والينابيع المغذية لكل الروافد الحضارية ، دونما حكر على شكل أو احتكار لتطور ما ، فى مكان ما ، طالما أن الخطوط متصلة ومظاهر الأخذ والعطاء قائمة .

ولقد كانت منطقة الشرق القديم ذات طبيعة خاصة فى مسيرة حضارتها عبر العصور، صعودًا وهبوطًا ، وقوة وضعفًا ، وذلك خلافًا لما عرفته أوروبا القديمة ، ممثلة فى حضارتى اليونان والرومان ؛ إذ يلاحظ على منطقتنا القديمة ما يلى (ونقصد بها حضارات مصر القديمة والعراق القديم وسوريا القديمة ، فضلاً عن العمق الاستراتيجى السكانى للهجرات القديمة من الجزيرة العربية القديمة صوب الشمال الشرقى ، تارة (حيث العراق) ، أو الشمال الغربى ، تارة أخرى (حيث سوريا القديمة) فى الألف الثالثة والثانية والأولى قبل الميلاد، وهى الفترة الزمنية قيد الدراسة والبحث):

أولاً : الامتداد الجغرافى الطبيعى دون وجود فواصل أو موانع قاهرة لحركة السكان أو القوافل أو الجيوش فى كل المنطقة .

ثانيًا : التأثير الحضارى المتبادل بين حضارات المنطقة كلها ، فى كل مجالات الحياة : دينيا واقتصاديا وفنيا .

ثالثًا : الأطماع السياسية المباشرة ، لكل القوى الناهضة فى المنطقة على حساب الممالك الضعيفة المتهالكة فيها .

ومن ثم ، كان تبادل الأدوار الحضارية ، في المنطقة ، مواكبًا لتبادل الزعامات السياسية فيها ، ولهذا ندرك :-

(أ) سبق الحضارة المصرية وتأثيرها الكاسح طيلة النصف الأول من الألف الثالثة ق.م تقريبًا (طيلة الدولة القديمة) على كل المنطقة شرقًا أو غربًا .

(ب) صعود نجم بعض ممالك العراق (كالدولة الأكادية) وكذلك بعض الممالك السورية (كمملكة إبلا) في نهايات النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م ، حينما كانت مصر تمر بمرحلة الانتقال الأولى في تاريخها وضعفت إدارتها المركزية عدة قرون.

(جـ) استعادة مصر لدورها الطليعي الرائد في المنطقة مع الدولة الوسطى (مطلع الألف الثانية ق.م) وفرض وجودها السياسي والعسكرى على كل امتدادها الطبيعي ، في الشمال حتى سوريا ، والجنوب حتى النوبة ، والغرب حتى الحدود الليبية.

(د) ولكنه ، في غياب الدور المصرى الفعال ، في القرنين ١٨ ، ١٧ ق.م ، بسبب احتلالها من قوة " الملوك الرعاة " (الهكسوس) ،الآسيويين ، ظهرت القوة العراقية البابلية لتقود المنطقة حضاريا ، وكان حمورابى وإنجازاته من أبرز ما سجل التاريخ القديم في صفحاته الحضارية الشاملة : أدبًا ، وعلمًا ، وفنًا .

ولنا هنا وقفة قصيرة ، حيث لا نسمع بالمرة ، حتى ذاك التاريخ عن وجود عبرانى (يهودى) من أى نوع ، سواء سياسى أو اجتماعى ، في أى من المجتمعات القديمة في المنطقة ذاتها!!

(هـ) تتبدل الأدوار ، تارة أخرى ، ولكنها أكثر حسمًا لصالح الحضارة المصرية والزعامة الفرعونية على أرض النيل ؛ حيث يتم تحرير البلاد من الهكسوس ، وتتكون الإمبراطورية المصرية ، كأعظم ما تكون

خارجيًا ، منذ مطلع القرن ١٦ ق . م ، على أيدى ملوك أشداء نذروا أنفسهم للكفاح فى سبيل الوطن وتحرير ترابه الغالى من دنس الغزاة ، أمثال / أحمس الأول وسكننرع وتحوتموس الأول وأحفادهم وخاصة ملك الملوك و " أب الناس أجمعين " ، "نابليون الشرق " كما سماه علامة المصريات جيمس هنرى برستيد (J.H.Breasted) الفرعون الشاب / تحوتموس الثالث ، فى مطلع القرن الخامس عشر ق.م وحتى منتصفه.

وللمرة الثانية نكرر – وحتى ذلك التاريخ ، أى حوالى عام ١٤٥٠ ق. م – لا نسمع يقينا عن أى كيان عبرى (يهودى) فى المنطقة بأسرها ؛ حيث لا إشارة وثائقية من قريب أو بعيد لوجود مثل هذا العنصر السكاني للمنطقة ، تمييزًا لهم عن بقية العناصر البدوية الآسيوية التى كانت تدخل مصر . وعرفتها النصوص المصرية باسم " عابيرو " منذ مطلع الألف الثانية ق.م.

وإذا كان كتاب برنال ، الذى بين أيدينا ، هو فى رأى البعض ، مثل الأسطورة ، حيث يقول : ("when is a myth not a myth ? Bernal's Edith Hall Ancient Model Arethousa, 25 (1992) وهو الكتاب الذى يمثل تحديًا للمثقفين لأنه ملىء بالأفكار الأيديولوجية والجدل السياسى ، والفنون الكثيرة ، فإن العبرة هنا فى تأييده أو نقده – تكون كما تعتقد هى نفسها : " بالقدرة التنافسية على الإقناع وليس الدليل بالإدانة أو التبرئة " (عن ترجمة للدكتور / أحمد عتمان ، فى تقديمه لترجمة الجزء الأول لهذا الكتاب ، ص ١٧ ، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧) ، فإن لعلمائنا الأجلاء ملاحظات عليه نوجزها كالتالى (قبل أن نضيف نحن كذلك وجهة نظرنا فى هذا الكتاب " الماكر " ، الذى يدس السم فى العسل ، ويعلن فى الواجهة شىء ، ويخفى وراءها أشياء أخرى مناقضة تمامًا أو على الأقل ، تخدم أغراضًا أخرى) فى نقاط محددة :

١ – يرى الأستاذ الدكتور / حسن حنفى أن هذا الكتاب به تفصيلات متناهية فى الصغر وجزئيات تطغى على المادة العلمية ، وتصل درجة الإسهاب فيه إلى حد أن يتوه

القارئ أو أن يتهم مؤلفه بالتعالم أو الرغبة فى إخفاء شيء وراء هذا الكم الضخم من المعلومات التاريخية عن الحضارات القديمة .

٢ - ويرى الأستاذ الدكتور/ أحمد عتمان ، مقدم الترجمة العربية للجزء الأول ، بأن هذا الكتاب (بالرغم من إيجابياته "كمانيفستو" ضد المركزية الأوروبية - على حد قوله (ص٢١)- فإنه:

(أ) " قد صيغ بأسلوب فيه الكثير من الدهاء والمراوغة ... "

(ب)" ..... وتجد عباراته عائمة غائمة لا يمكن الإمساك بها أو الاستناد إليها فى توجيه الانتقاد إلى صاحبها. "

(جـ) " .... وفى الظاهر يدافع المؤلف عن "المصرية" فى مواجهة ما يسميه " النموذج الآرى المتطرف " ، ولكنه فى الظاهر والباطن معًا يُعلى من شأن " السامية " فى مواجهة الطرفين السابقين، وبذلك وضع المؤلف نفسه بين طرفين ، فى الواقع ، لا ثلاثة ، وهو يسمو بالسامية على "النموذج الآرى المتطرف" و " المصرية " ، وهو بذلك يضع نفسه ، إلى حد ما ، فى صف أولئك الذين يرون فى " السامية " أساس الحضارة الإنسانية .... " (ص٢٢).

١ - ويعتقد الأستاذ الكبير / شوقى جلال (كما جاء فى دراسته " المختصر المفيد " بعنوان (الحضارة المصرية : صراع الأسطورة والتاريخ ، سلسلة اقرأ ٦١٤ (١٩٩٦) وهو الذى أفرد فيه فصلاً خارجيًا لتوضيح " مؤامرة اليهود ضد مصر " (ص ص ١٠٤ - ١١١) استقراء لموقف اليهود واستماتتهم لتحقيق أغراضهم اليهودية فى المستقبل متخذين العلم والمعرفة سلاح المعركة القادمة فى صراع المنطقة) فيقول (ص٨٠) .

" إن المعلومة سلاح ماض فى يد من يتناولها صدقًا ومهارة ، لا تزييفًا وتلاعبًا. أما الخوف فإنه يورث العزلة والجمود ، وهو بداية الطريق إلى العجز والتهلكة ".

وهكذا عرف اليهود طريقهم ، كما فهمه أستاذنا الجليل ، بعد أن أدركوا عيبهم في الزمن الماضي بسبب عزلتهم وتقوقعهم وعدم تجاوبهم مع المجتمعات التي عاشوا فيها ، ولهذا بدأوا يبادرون في وضع الخطط للوصول إلى أهدافهم في الهيمنة والسيطرة على جيرانهم . ومن هنا ندرك حجم وأهمية بل وخطورة تصريح شيمون بيريز ، رئيس وزراء إسرائيل السابق بقوله :

" المعركة القادمة لن تكون على الحدود أو الأرض ، بل ستكون معركة الهوية اليهودية ، والانتماء الثقافي " .

هكذا تتضح النوايا ، وإن كنا غافلين ، بعد ، عن الوسائل والأدوات والسياسات اليهودية التي اتخذوها سراً لتحقيق تلك الغايات المستقبلية لوجودهم في منطقتنا ذات الرصيد الحضاري المتراكم عبر آلاف السنين .. فكيف السبيل ، إذن لاختراق هذا الحاجز الرهيب لسكان المنطقة ؟ كان هذا هو لسان حال الإسرائيليين اليوم للإجابة عن أيديولوجية علمائه ومفكريه ولبناء وخلق، حتى ولو بالتزييف ، أرضية لأجيالهم الجديدة ، إن لم تساير تراث حضارات المنطقة الأقدم والأعظم ؛ فعلى الأقل تشارك فيه وتسهم في وجوده وحركته الحديثة .

ومن هنا ، كما أتخيل ، كان قرارهم السري بالهجوم المنظم والمكثف على رموز حضارة سكان المنطقة وعلى رأسها إثارة الشكوك وخلق الأزمات الفكرية ، على هيئة إمكانية إعادة النظر ، بدعوى القراءات الجديدة في الوثائق القديمة لتراث المنطقة ؟!!! وهكذا فكر اليهود لنا .. فهل مازلنا في غفلة عما يدبرون لنا ؟!! أعتقد لا .. وما نكتب الآن ليس إلا بشائر يقظة علمية لعلمائنا الأجلاء .

ولسوف نُخيب ظنهم وينقلب المكر السيئ على أهله مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى: " ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين " .

إن حركة الالتفاف وقلب الحقائق وتأويل العلم ، وخلط لأوراق الماضي البعيد ، لهي من أبرز سمات علماء اليهود ، قديمًا وحديثًا .

لقد ظهر جليا لكل من اطلع على الكتاب المترجم أو قرأ موجزه الوافى عند الأستاذ/شوقى جلال ، أننا أمام عدة قضايا تاريخية وأثرية قديمة كانت هى للمؤلف ، مداخل اختراق لفبركة مقصودة وخلق أرضية واقعية لكيان عبرى قديم قِدم الإنجاز الحضارى لأهل المنطقة الأصليين . وهذه القضايا القديمة ، المفاتيح ، نراها نحن كالتالى :

أولاً : قضية أصل العنصر السكانى الأول فى المنطقة ، وبخاصة فى سوريا القديمة ، وهى المعروفة باسم قضية السامية.

ثانيًا : هجرة السكان الأوائل المؤسسين للحضارة الكريتية ، اليونانية ، فى الألف الثالثة ، ونزوح العنصر الهيللادى داخل اليونان نفسها وحجم التأثيرات المصرية عليهما .

ثالثًا : قضية الغزو الدورى لليونان ، وأصل هؤلاء السكان ، فى أواخر القرن ١٢ ق.م ومقدمات الحضارة الكلاسيكية وحجم تأثير الشرق بعامة ، والحضارة المصرية بخاصة على ذلك .

واسوف نناقش ، سويًا ، كل قضية على حدة ، موضحين حقيقة مضمونها ، وجوانب الشطط فى تأويلها وتوظيفها خدمة للغرض اليهودى الماكر ، مستعينين بآخر الدراسات وأحدث الاكتشافات الأثرية الخاصة بكل جزئية .

أولاً : قضية السامية:

وهنا تكمن قمة التحايل اليهودى الصهيونى ، ومحاولة الالتفاف على تاريخ وحضارة المنطقة بحثًا عن موضع قدم لعنصرهم ، منذ المراحل المبكرة لنشأة الكيانات المتحضرة الأولى على أرض الشرق القديم ، علّهم يقدرون أن يثبتوا وجودهم منذ تلك القرون البعيدة من تاريخ أمتنا ، وأملاً فى تحقيق أى قدر من المشاركة فى صنع تلك الأمجاد العابرة .

وهكذا فقد بدأ يهود العالم الحديث ، مع نهايات القرن ١٩ الميلادى ، يدركون خطورة عدم تحديد هويتهم وإبراز دورهم القديم وضرورة تحسين صورتهم للأجيال القادمة لكسب التأييد أمام القرارات المصيرية المستقبلية ؛ فها هو شلوستر اليهودى النمساوى يخترع نظرية "السامية" ، ويروج لها .

ولكن كلمة الحق تأتى أيضًا ، من أوروبا ، من عالم أكثر موضوعية وامانة ، هو روبرتسن سميث (W.R. Smith) فى كتابه " ديانة الساميين " فى عام ١٩٨٤م ؛ حيث أكد الدور العربى (السامى) ، وليس فقط اليهودى كما يحلو لاصحاب النظرية العبرية (فى مواجهة النظريات الأخرى ، مثل النظرية البابلية أو الكنعانية، أو حتى الآرية (اليونانية القديمة) ، وهو كتاب مهم ، تمت ترجمته مؤخرًا إلى العربية ، ضمن المشروع القومى للترجمة، عام ١٩٩٧ ، من الدكتور/ عبد الوهاب علوب ، وراجعه وقدم له الأستاذ الدكتور/محمد خليفة حسن .

وهنا يقرر المؤلف حقيقة تغيب عن أذهان الكثيرين ، ويلفت نظرهم إلى أن معظم المفسرين لهذا الاشتقاق التوارتى لأصل السامية - كما ورد فى الاجتماع العاشر - يميلون إلى الاعتقاد بأن هذا التصنيف يقوم على أسس جغرافية وسياسية ، وليس على أُسس عرقية (راجع الكتاب السابق ، ص ٥) ويضيف قائلاً : " وهو تصنيف أقرب إلى الحقيقة التاريخية" المرجع نفسه .

ومع ذلك الفهم السليم ، أو الأكثر موضوعية وعلمًا بتطورات الأحداث السياسية فى الشرق القديم ، والأكثر معرفة بجغرافيته ؛ فإن هناك من يقصر لقب " الساميين " على اليهود، فقط دون غيرهم ، وهو ما فعله برنال فى كتابه ، حتى أصبح المصطلح عنده وكأنه خاص بهؤلاء وحدهم ، فى وقت لم يكونوا هم شيئًا يُذكر ، ولم تشر النصوص المصرية والحيثية (المسمارية) إليهم إلا كخدم داخل بيوت كبار أمراء المنطقة أو كعمال فى المناجم المصرية فى سيناء .

ثانياً :

إننا ، وفى سبيل توضيح تطور الروح العدائية ضد اليهود من المجتمع الدولى القديم ، والاتهامات التى كانت موجهة ضدهم آنذاك ، وبخاصة مع العصر البطلمى ، فى مصر ، وتحديداً مع الملك بطلميوس الثانى (فيلادلفوس : ٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م) سنرجع بالضرورة إلى أحد أشهر علماء العصر الهيللينستى ، وهو تارن (Tarn) - أوروبى مثلهم ، وهو منهم وعليهم - فماذا جاء فى شهادته ، حيث أفرد لعلاقة اليهود بالعصر وثقافته وعلمائه اليونان فصلاً كاملاً فى كتابه الأشهر "الحضارة الهيللينستية" (أى ما بعد فتح الاسكندر للشرق وحتى انتحار كليوباترا : ٣٢٣ - ٣٠ ق.م) ، وهو الفصل السادس (VI) ، ص ص ٢١٠ - ٢٣٨ . وهو يهدف من تلك الدراسة المستفيضة كما يقول بالحرف الواحد (كان أول نشر للكتاب عام ١٩٢٧ ، وتم تنقيحه وأُعيد نشره عام ١٩٥٢ ثم ١٩٦١ وأخيراً عام ١٩٧٤) إلى ما يلى :

" إن الهدف من هذا الفصل هو أن نُكوِّن صورة عن تأثير الهيللينية على اليهود ، وعن بداية ومصير تلك الحركة الفكرية (ويقصد الروح اليونانية الجديدة مع الاسكندر) التى أوصلت العالم اليونانى بجنس (عنصر) كان من القوة بمكان حتى أنه قاوم وقع تلك الثقافة المنتصرة "

هكذا نشعر بروح ذكية عالمة ، متمرسة على قلب الحقائق والأدوار ؛ حيث يجعلون من عزلة اليهود وعدم استجابتهم لروح العصر الجديد ، قوة وبأسًا ، وموقفًا تجب الإشادة به وتوضيحه ... إنه الدور الأوروبى الذى تعهد باليهود وأوجد لهم طريقًا ومكانًا فى حضارات العالم القديم ، على أرض شرقنا القديم.

ومع ذلك ، لم يجد تارن بُدًا من أن يعرض للحقائق التاريخية الثابتة ، فى العصر الهيللينستى ، وقال قوله الحق العلمى بموضوعية وجرأة يُحسد عليهما - كما فعل روجيه جارودى مؤخراً - حينما وصف حكاية الترجمة اليونانية المعروفة باسم "السبعينية : Septuagint" للعهد القديم اليهودى لأول مرة إلى لغة ذاك العصر ، وهى اليونانية ؛ فقال :

"The Jewish tradition .... is Legend;... "

بمعنى " إن التراث اليهودى – حول تفاصيل تلك الحدوتة – هو أسطورة " .

وإن كان يعكس الاعتقاد اليهودى بأن الجيل الثانى منهم ، أى إبان العصر البطلمي ، في عهد بطلميوس الثانى السابق الذكر ، وخاصة يهود الإسكندرية ، كان قد نسي تراثه وماضى أجداده ولغتهم ، وتبنى اللغة اليونانية لسانًا لهم . كما أرادوا ، بتلك الحدوتة ، أن يؤكدوا على صداقة الملك البطلمي لهم (تارن ، ص٢٢٣).

وهكذا ، أيضًا ، ونحن أمام أقدم تسجيل للتوراة ، منذ عام ٢٨٠ ق.م ، فقط ، لا نملك إلا أن نردد شهادة تارن حولها ، وحول ظروف ترجمتها ، بأنها " مجرد اسطورة " ... فما بالنا ببقية التراث اليهودى اللاحق على ذلك وكله بمثابة ردود أفعال ودعاية يهودية ، من الكتاب اليهود فيما بعد ذلك ، على أحداث ومواقف تاريخية ، وبخاصة بعد دخول الرومان المنطقة ، وتحديداً بعد تحديهم هم ، أى اليهود ، لأهم عنصر فى سياساتهم وسيادتهم على المنطقة وهو تأليه الأباطرة الرومان ، فى القرن الأول الميلادى ، ووجوب تقديم القرابين ليهم.

وإنك عزيزى القارئ ، لتعجب عندما تعرف أن بداية مشوار العداء القديم والكراهية قد ألصقها الكاهن اليهودى يوسيفوس (Josephus) – من القرن الأول الميلادى – للكاهن المصرى المؤرخ ، أيضًا ، وهو مانيتون (Manetho) ، من القرن الثالث ق.م فكيف تستقيم عناصر القضية هذه ، وهو اتهام خطير كهذا ، حيث يُنصِّب يوسيفوس (وهو المدافع الشرس، المتذاكى عن اليهود وتراثهم حتى ضد الرومان) ، من نفسه شاكيًا وقاضيًا ضد الكاهن المصرى الذى يسبق زمان ووجود يوسيفوس نفسه بما لا يقل عن قرنين ونصف من الزمان!!.

وذلك فى الوقت الذى لم نجد شيئًا فى نصوص مانيتون ، التى تم العثور عليها من تواريخه لفراعنة مصر القدامى ، يدينه من قريب أو بعيد بمثل هذا الاتهام الخطير ... وكأنه قدر مصر العظيمة أن تتلقى الجحود والنكران ، دائمًا ، من أقرب المقربين وأكثر المستفيدين من خيرها وتسامحها مع مرضى النفوس والحاقدين !!!

ولكن أكثر الكتاب عداوة لليهود ، فى تلك الفترة ، وقبل عام ١٠٠ ق. م ، كان أحد خُطباء اليونان ، من جزيرة رودوس ، وهو ابوللونيوس (Apollonius) ، وكذلك بوسيدونيوس (Poseidonius) ، حول فضيحة عثور انطيوخوس الرابع ، ملك سوريا المقدونى ، عند زيارته لقدس الأقداس فى أورشليم على تمثال لرجل (موسى؟) راكبًا حمارًا! إذن ، الحق ، أن المادة التاريخية الثابتة تؤكد تهكم اليونان من اليهود ورموزهم الدينية، وكان عليهم هم الآن أن يردوا ويدافعوا عن أنفسهم ، وبدأت حرب الكلمات واستعرت على يد يوسيفوس ، فى القرن الأول الميلادى ، الذى كتب تواريخه على مرحلتين وتحقيقا لهدفين اثنين هما:

أولاً : الدفاع عن التراث اليهودى الأقدم منه ، وإعادة عرضه ، وتنقيته ، مما قد يعيبه (من وجهة نظره هو ككاهن يهودى فى القرن الأول الميلادى يكتب تاريخًا لقرون عدة تسبقه ؟!!!)، وبالتالى ضرورة تجميله.

ثانيًا: البحث عن أرضية تاريخية ، أقدم كلما أمكن ، لوجود اليهود فى المنطقة ومشاركتهم فى صنع أحداثها .. حتى إنه ، مثلاً ، يرد قرار الملك الفارسى دارا بعودة السبى البابلى إلى أورشليم إلى إرادة إلهية ، بوحى من إله اليهود نفسه (يهوا) !!! وهو ما تنبأ به أشعيا قبل حدوثه بحوالى ٢٠٠ عام !!! وكأنه لا فضل إطلاقًا لأى أجنبى عليهم!!! ، حتى ولو كان سيدهم ومليكهم ، آنذاك ، والمتحكم فى رقابهم جميعًا !!![١]

هكذا بدأ دفاع اليهود عن أنفسهم ، وكله زيف ، بالقاء التهم على الآخرين ، بأساليب ماكرة خبيثة واتخذت منهجًا محدداً لإعادة كتابة التاريخ القديم ، وللأجيال ، حتى لا تنسى ، واستندت على :-

(أ) فقدان الأصول الأقدم لمصادر التاريخ الماضى ، ومن ثم إمكانية الادعاء بأى شىء وبأى شكل.

(١) (راجع بحثنا ، عن " يوسيفوس والقدس : دراسة تحليلية لكتابه الحادى عشر من الآثار اليهودية " فى ندوة (مصادر تاريخ القدس) ، المنعقدة فى كلية آداب القاهرة ، فى الفترة من ٢١ - ٢٣ مارس ١٩٩٨).

(ب) اختلاق كلام مباشر وخطب ورسائل ، باسم الملوك والحكام القدماء ، لمزيد من الايحاء بأعلى درجة من المصداقية .

(جـ) التأكيد على المبادئ الدينية اليهودية فى التوحيد وتمسكهم بتقاليدهم وطقوسهم وأعرافهم .. خلافًا لما تأكد من دراسات تفصيلية عميقة على أهم عنصر فى تراثهم وهو تغير كل شيء فى دينهم ، وفق مصالحهم السياسية ... أى ضرورة تسييس الدين !!.

وهنا أجد نفسى أمام أفضل دراسة ، بقلم عربى ، هى بالحق كاشفة وفاضحة لكل الفكر التوراتى وقصصه وأهدافه ، لصاحبها الباحث فراس السواح الذى يقول :-

" آرام دمشق واسرائيل : فى التاريخ والتاريخ التوراتى" ، الصادرة عن منشورات دار علاء الدين ، دمشق (د.ت) ، الذى يقول :-

" وتكبر الخرافة وتتسع ، وتستكمل حلقاتها خلال قرنين أو ثلاثة من عودة عزرا بسفر الشريعة من البلاط الفارسى ، ويتم ربط تاريخ اليهود بتاريخ ما قبل اليهودية ، أى تاريخ اسرائيل ويهوذا . وتتابع قصة الأصول توغلها فى الماضى المجهول مما سبقهما . ثم كان لابد من ايقاف هذه العملية عند حد معين ، فعمد كهنة اورشليم أخيرًا إلى جمع هذه الأدبيات وإعادة صياغتها بشكل أخيرًا ، وفق إطار ايديولوجى وكرونولوجى يضم التقاليد المتفرقة فى كل موحد. وبذلك انجز كتاب التوارة ، وظهرت اسرائيل التوارتية ككيان ذهنى وأدبى على انقاض تاريخ السامرة ويهوذا المطمور تحت ركام الدمار الآشورى والبابلى"[1] ثم يضيف قائلاً ، أيضًا ، وموضحًا طريقة الالتفاف اليهودية والتزييف المستمر حتى لتاريخهم الدينى،" أما عن ذلك المنظور الايديولوجى الذى حاول كهنوت اورشليم فرضه على روايتهم ، فقد بقى غريبًا عن جو القصص التوراتى ، التى استقل كل منها برؤيته الدينية الخاصة ، فإله الآباء لا يشبه إله الخروج وإله اشعيا ، وهذا لا يشبه إله القضاة ، وإله اشعيا غريب كل الغرابة عن كل ما سبقه

(١) فراس السواح ، آرام ، دمشق واسرائيل : فى التاريخ والتاريخ التوراتى ، دمشق (دون تاريخ) ، ص ٢٨٥ .

من تصورات وسفر ايوب والجامعة لا يمكن قراءتهما بعيني إرميا ، ونشيد الانشاد لا يمكن وضعه في أي سياق ديني توراتي . وهذا يعني أننا لسنا أمام ايديولوجية دينية متسقة ، تعلن عن نفسها بالطريقة نفسها عبر اسفار الكتاب بل أمام ايديولوجية توفيقية لا تملك الحد الأدنى من الوحدة والانتظام " [١] .

وهكذا كانت البداية خرافة ، في دينهم وتاريخهم ، ولا تزال الخرافة تعمل عملها حتى اليوم ، على أيدي الأجيال الحديثة والمعاصرة ليهود اليوم ، بإصرار غريب ، واستماتة مفضوحة أمام مثقفي العالم .. فهل من متابع الآن يمكن أن يصبر كثيراً على خرافاتهم الأحدث؟

ثالثًا : ومن القضايا الجوهرية التي وجد فيها برنال ضالته لكي يزج بالعنصر السامي ، الذي جعله عامدًا متعمدًا مرادفًا لكلمة عبراني / يهودي فقط ؟!!! ، قضية تأثير الحضارة المصرية على الحضارة اليونانية في الألف الثانية ق.م ، وذلك بالاعتماد على موضوعين رئيسيين اثارهما بمكر شديد وخبث السياسي المحنك ، وهما: -

الموضوع الأول : ويتمثل في هجرة عناصر مصرية (أفريقية سوداء !!) من مصر إلى كريت ، مكونة الحضارة المينوية على أرض تلك الجزيرة ، بوابة اليونان الجنوبية ، في وسط حوض البحر المتوسط الشرقي بأواخر الألف الرابعة ق.م (!!!)

والموضوع الثاني: ويعتمد على المادة الاسطورية القائلة بهجرة العناصر الفينيقية ، أولاد دناؤوس ، إلى أرض كادموس ، في مدينة طيبة (Thebai) اليونانية شمال غرب أثينا، في مطلع الألف الثانية ق.م.

إن ما توصل إليه برنال من نتائج ، جعلته في النهاية يعتقد في سواد اثينا ، كنتاج افريقي بسبب هجرة بعض أهلها أو تأثيرهم الحضاري عليها ، لهو ظلم كبير للحضارة اليونانية الكلاسيكية ، حتي ولو كان ذلك عن طريق إعلاء درجة التأثير المصري على تلك الحضارة المتميزة شكلاً وموضوعًا ، وذلك لان المقدمات التي ساقها ،

(١) المرجع نفسه.

ظنا منه بسلامتها وتأكيد تأثيرها ، لا يمكن أن تقود وتسفر عن مثل تلك النتائج الخطيرة ، وفي ذلك خرق فظيع لأبسط قواعد المنهج البحثي في التاريخ والآثار ، حيث تتواجد محاذير تاريخية وفجوات شاسعة ، فضلاً عن اختلافات حيوية في المسألة الديموجرافية وأصل السكان لكل مرحلة حضارية !!!

ولكي نكون أكثر اقناعاً ومنهجية ونوضح ما نقول ، وما نراه نحن كمتخصصين ، بأن برنال ، الرجل السياسي الداهية ، الباحث في التاريخ والآثار ، قد تجاوزه وتجاهله أو ربما ، وهو الأوقع لغزارة مادته البحثية ، قد أغمض الطرف عنه ، وتعمد نسيانه ، يجب أن نضع في اعتبارنا عاملين أو ثلاثة :-

(أ) الفارق الزمني الرهيب ، الذي يصل إلى حوالي ١٥٠٠ عام ، بين ما يجعل منه مقدمات لقضاياه ، وبين ما يريد أن يثبت التأثير الشرقي عليه ، وهو العصر الكلاسيكي (القرنين الخامس والرابع ق.م) ، مما يجعل النتائج مشكوك فيها لبعد الشقة الزمنية بين المؤثر وموضع التأثير ، الذي لا يشمل المكان فحسب ، بل تضمن أيضًا السكان ، وهو عامل متغير ديناميكي التكوين في كل حين، ولا يثبت على حال ، حتى ولو ثبت على الأرض ذاتها والموضع نفسه.

(ب) اليقين الأثرى التام حول تغير طبيعة السكان وأولوياتهم الجديدة [1] وبخاصة على أرض بلاد اليونان الأم (Mainland of Greece) عقب الغزو الدورى لها ، في مطلع القرن الثاني عشر ق.م تقريبًا (أو حتى منتصفه ، حوالي ١١٥٠ ق.م) ومن ثم زوال أى تأثير شرقي ، لو كان صحيحاً أنه قد حدث ، على يوناني الألف الثانية ق.م ، في كادموس وطيبه أو غيرها (!!)

(١) محمود السعدني ، تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ، الباب الثالث ، الفصل الأول : "نهاية وبداية : الغزو الدورى" ، ص ١٢٧ – ١٣٨ .

وإذا اضفنا العامل الثالث ، وهو في تقديرنا (بمنتهى الأمانة العلمية والموضوعية البحثية ، وبفضل سماحة الشرقيين بعامة ، وصدق المسلمين بخاصة) العامل الفيصل ، وكلمة الحق في تلك القضية الحضارية ، في أدواتها والسياسية في غاياتها وأهدافها ، والمتمثل في الدليل الاثرى الشرقي المكتشف على الأرض اليونانية ، في الألف الأولى ق.م ، وتحديداً في النصف الأول لهذه الألفية ، أي الذي يؤرخ بحوالى من ١٠٠٠ - ٥٠٠ ق م ، كمقدمات محتملة من الشرق للتأثير على اليونان ، لوجدنا أن برنال قد بالغ في ظلم الحضارة اليونانية الكلاسيكية .

وخلاصة القول ، بعد استعراضنا لبعض افكارنا حول المحاذير المنهجية ، والمبالغات في التقدير ولوى الحقائق التاريخية والاثرية ، وتحميلها أكثر مما تحتمل من تأويل وتخريجات، فإننا نرى ضرورة أن نفصل الحديث حول كل جزئية مما اشرنا إليه آنفًا ، حتى تتبين ، عزيزي القارئ ، مقدار مصداقية ما طرحناه ، ومنطقية ردنا على برنال ، **الذي يجب أن نصرخ في وجهه ، بأعلى صوتنا وقوة إيماننا بأنفسنا وتراثنا العريق ، قائلين له :**

● لقد أخطأت الطريق لهدفك المشبوه : فإن تأثير الحضارة المصرية على اليونان ، في كل مراحل تاريخها ، معروف لدى المتخصصين ، ومن ثم لم تأت إلينا بجديد .

● وظلمت العصر الكلاسيكي اليوناني بمبالغات للتأثير الشرقي عليه ، الذي احتكرت ماهيته في العنصر السامي (اليهودي) !!!! وكذلك يجب أن نهمس في آذان الاوروبيين ، بإخلاص : -

إحذروا اليهود ، إنهم قادمون إليكم ، ومن بين ايديكم ، ليفسدوا عليكم وحدتكم ، وليشككوا في تراثكم وليشعروكم بدين آخر ، أقدم ، هو الدين الحضارى ، غير الدين النازى.. انهم يمهدوا لابتزازكم من جديد !!!

والآن نستسمح قارئنا العزيز في أن نعرض عليه بعض التفاصيل الخاصة بالموضوعين السابقين ، المؤرخين بالألف الثانية ق.م ، حتى يتبين لنا زيف ومبالغة النتائج التي أقحمها برنال ، دون مقدمات كافية وحقائق ثابتة أثريًا وتاريخيًا .

أولاً : نظرية هجرة عناصر مصرية (أفريقية) ، في أواخر الألف الرابعة ق.م، إلى كريت[1]:

لقد كان السيد آثر ايفانز (S.A.Evans) في عام ١٩٠٠م ، هو أول من نادى بهذه النظرية وقال بقرابة وصلة دم بين السكان الأوائل في كريت وبين هجرة ممكنة من الساحل الليبي (الافريقي) ، وتحديداً من مصر عند توحيد شطريها ، الشمالي والجنوبي ، في نهايات الألف الرابعة ق.م ، ويهمنا أن نؤكد على بعض النتائج الهامة ، الأخرى ، قبل الخوض في تفاصيل ردنا على تلك النظرية ، المقولة عقلاً ، ولكنها مرفوضة جملة وتفصيلاً في ضوء أدلة مادية ملموسة وكذلك ما يمكن أن يُسميه علماء اليوم ، معايير جيوبوليتيكية خاصة بالحضارة المصرية الثابتة الملامح فمن أهم نتائج حفائر ايفانز في كريت ، ما يلي :

(أ) أثبتت الآثار عدم مصداقية الأساطير التراثية في كل تفاصيلها :

١ – صحيح ، كان هناك ثور ، ولكن ليس كوحش آدمي ، مينوتاوروس (Minotauros) ، بل فقط كحيوان مقدس ، وكرمز ملكي من رموز القوة الجسدية، كما كان في الشرق القديم.

٢ – وصحيح أنه كان هناك قرابين بشرية (أضاحي) تُقدم لبعض الآلهة ، في حوالي مطلع القرن ١٧ ق.م ، أوقات الشدة والزلازل وانتشار الأوبئة ، ولكن ليس لتقديمها لثورمينوس!.

٣ – وصحيح أن ملوك كريت القدامى كانوا أقوياء وأشداء ، بدليل روعة وضخامة البنيان على هيئة القصور الفخمة ورفاهة العيش ، ولكن ذلك لم يكن في كل الأحيان ، بل في الفترة الأخيرة ، فقط ، من عمرها الحضاري ١٧٠٠ – ١٤٥٠ق.م ، كمملكة مستقلة ، قبل الغزو الميكيني لها .

(١) المرجع نفسه ، ص ص ٨١ – ٨٧ .

(ب) هناك تأثيرات مصرية عديدة ، فى الديانة ورموزها ، والإدارة الملكية ورموزها ، وكذلك فى كثير من المجالات الفنية : العمارة والنحت والرسم . هذا فضلاً عن البدايات الأولى للغة كريت الأقدم (Pictographic) .

(جـ) روح كريت الرقيقة ودقة رسوماتها ولوحاتها ، وذوقها الراقى فى رسم مناظر الطبيعة وتفاصيل الإنسان بحيوية شديدة ، ليس لها مثيل فى نتائج الشرق الحضارى .

* الرد على نظرية ايفانس حول أصل الكريتيين القدماء :

عندما كان ايفانس قد استند فى نظريته القائلة بأصل ليبى لسكان كريت القديمة وأن هناك صلة دم وقربى بين المصريين القدماء وبين الكريتين القدماء على أساس وجود عدة متشابهات ومظاهر حضارية تم الكشف عنها ومعرفتها فى ضوء الدليل الاثرى من حفائرة فى كنوسوس ومنها :

١ – الكتابة التصويرية .

٢ – بناء المقابر القبابية الدائرية .

٣ – وجود تأثيرات فنية عديدة مثل :

(أ) الآنية الحجرية.

(ب) البناء بالحجر.

(جـ) الرسوم الجدارية.

(د) بعض الموضوعات الدينية الجنائزية.

وعندئذ وجد ايفانز نفسه مُضطراً لأن يبرر وجود تلك المظاهر الحضارية المتشابهة فى كريت القديمة مع مثيلاتها فى مصر القديمة وقال بنظريته التى تُرجِّح

هجرة جماعات من المصريين القدماء من الدلتا صوب الشمال ، وذلك عند توحيد القطرين أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد (حوالى ٣٢٠٠ قبل الميلاد) خوفًا من بطش الملك مينا فنزحوا مضطرين إلى جزيرة كريت ومن ثم كانوا هم أصل البدايات الأولى للحضارة الكريتية القديمة .

ولكننا مع ذلك وبالرغم من منطقية النظرية واحتمالاتها الواردة إلا أن الموضوعية التاريخية والأمانة البحثية والأدلة العديدة تُعطينا الحق فى رفض النظرية جملة وتفصيلاً ، **وذلك عن طريق منهجنا وتحليلنا وردنا على كل جزئية من جزئيات النظرية ومحاولة ايجاز المبررات لكل عنصر من عناصر المظاهر الحضارية المتشابهة حتى نتيقن فى النهاية من أننا أمام تشابه ظاهرى سطحى هو بفعل تأثير الحضارة المصرية المزدهرة أنذاك على جزيرة كريت وأهلها وليس بالضرورة نتيجة لانتقال مهاجرين مصريين إليها ، وتتمثل عناصر الرفض والرد على هذه النظرية فيما يلى:**

أولاً: حول القول بهجرة سكان مصريين :

لهذه الجزئية جانبان:

أ - الجانب السياسى :

وهو القائل بوصول الملك مينا من الجنوب إلى الشمال وخوف بعض أهالى الشمال من بطشه وهجرتهم إلى كريت فإنه ينتفى هذا الجانب إذا عرفنا أن بعض النظريات الحديثة حول العمليات المؤثرة لتوحيد شطرى مصر الشمالى والجنوبى لم تكن واحدة بل مرت بمراحل عديدة[1] . كما أن الملك مينا هذا بدأ حملته الوحدوية

(١) عبد العزيز صالح ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (الأنجلو المصرية) ، القاهرة ، المقدمة ، حيث يقارن بين حضارة مصر والعراق ، ثم (الجزء الأول ، مصر) يتحدث عن محاولات التوحيد بين شطرى القطرين ، والتى وصلت إلى أكثر من (٦) محاولات . رحم الله أستاذ أساتذة علم المصريات وعميد كلية الآثار المصرية فى جامعة القاهرة .

المقصودة من الشمال إلى الجنوب وليس العكس مما ينتفى معه السبب المباشر لهجرة أهل الشمال .

ب - الجانب الحضارى ويتمثل فى عدة نقاط :

١ - ليس فى طبع المصرى القديم ترك الوطن بفضل قناعته الدائمة بخيرات بلده وبساطة أسلوب معيشته اليومية فضلا عن ارتباطه الوثيق بالأرض وأسرته وأهل قريته. ولم يسجل التاريخ القديم كله فى نصوصه المكتشفة إلا حالة واحدة لأحد موظفى الدولة المصرية الوسطى حوالى (٢٠٠٠) قبل الميلاد وهو سنوهى وكان فى " عُرْف اليوم " كلاجئ سياسى اضطرته الظروف للذهاب إلى سوريا . وبعد أن عرف الفرعون بقصته أرسل فى طلبه يرجوه العودة لوطنه وأنه سيلقى الترحيب والتقدير حيث الأهل والوطن والعادات والتقاليد التى تربى عليها .

٢ - الشىء لزوم الشىء :

إذا صدقت نظرية إيفانز فى هجرة جماعات مصرية إلى كريت فإنه كان من الأوْلى أن نجد آثاراً مصرية أصلية خلفتها تلك الجماعات المهاجرة إبان تواجدها هناك . ولكن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث. وإن ما تم العثور عليه ليس مصرياً خالصًا ، إنما هى أشياء تُقلد النماذج والأنماط المصرية ، مما يعنى أن أهل كريت القدماء قد عرفوا طريقة صناعة هذه النماذج وأحضروا معهم عينات لها وقلدوها بأسلوبهم الخاص وذوقهم المعروف.

المادة الأثرية :

١ - حول عمارة المقابر القبابية الدائرية :

ثبت بالدليل الأثرى اليقينى أن أصول عمارة هذه المقابر وجذورها القديمة الأولى نشأت ، ليس فى شمال افريقيا ، بل فى حضارة العراق القديمة وتحديداً فى آثار السومريين القدماء .

٢ – حول الآنية الحجرية :

وهذه الآنية الحجرية المكتشفة في كريت والتي تُؤرخ بالنصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد (٣٠٠٠ – ٢٥٠٠) قبل الميلاد فإننا نجد معظمها هو تقليد كريتي أصيل بأيدي كريتيين لبعض الأشكال والأنماط المصرية القديمة لهذه الآنية بإبداع ، والحق يُقال ، بإبداع سبق كثيراً وفاق في أشكاله وجودته الآنية الحجرية المصرية التي كانت هي الأصل في هذا التقليد وليس غريباً أن يتفوق التلميذ على أستاذه ، فهذه بعض سُنن الحياة ومعطياتها !!

وكلها جاءت بعد فترة زمنية لا تقل عن (٥٠٠عام) من تاريخ مثل هذه الهجرات المزعومة من ايفانز وكان الأَوْلى :

(أ) أن تُؤرخ هذه الآنية المستوردة من مصر بتاريخ الهجرة إلى كريت . ثم كان أوقع ، نظرياً ، أن توجد منها كميات كبيرة بنفس الأشكال والأنماط المصرية القديمة . هذا فضلاً عن أدوات مصرية قديمة أخرى كان لابد أن تتواجد إلى جوار تلك الجماعة المهاجرة إلى كريت إن صحت نظرية ايفانز وهذا لم يحدث.

(ب) البناء بالحجر. وهنا ندرك حقيقة أثرية لا لبس فيها ؛ إذ إن المادة المُكتشفة في عمارة القصور الملكية تؤكد أن معرفة أهل كريت بهذا الأسلوب من البناء جاءت متأخرة كثيرا بما لا يقل عن ألف عام تقريباً من معرفة المصريين القدماء لهذا النوع من البناء وهو تقطيع الأحجار وتسوية سطوحها وترتيبها في صفوف متناسقة دون الحاجة في أغلب الأحوال إلى مونة فيما بينها ، وكذلك استخدام فروع الأشجار لتقوية الأسقف سواء على هيئة قطع مستطيلة قائمة الزوايا أو على هيئة كُتل متعددة الزوايا أو كانت غالباً من الحجر الجيري أو أنواع أخرى أكثر صلابة في الحالات النادرة ، ولكنه يُلاحظ الفرق الشاسع بين أحجار البناء في مصر واحجار البناء في كريت من حيث الحجم والضخامة وتسوية الأسطح بوجه عام.

فبينما مثلا نجد أحجار الهرم الأكبر تتراوح أوزانها ما بين ثلاثة أطنان إلى سبعة فى المتوسط ويصل وزن حوائط حجرة الملك الجرانيتية إلى حوالى سبعين طنًا نجد أن الأحجار الكريتية المكونة لبعض حوائط القصور الملكية سواءً فى كنوسوس أو غيرها لا يزيد وزنه عن عدة مئات من الكيلوغرامات، أى انها أصغر كثيرًا جدًا ، ومن ثم فإننا أمام سببين اثنين ينفيان وصول مهاجرين مصريين إلى كريت كانوا هم الذين "حسبما يدعى ايفانز " قد بنوا تلك القصور والمعابد وهذان السببان هما :

الأول : الفارق الزمنى الكبير بين معرفة المصريين القدماء فى مصر بهذا الأسلوب من البناء وتاريخ أقدم بناء صخرى على أرض كريت مما يعنى أنه لو صحت نظرية ايفانز لكان أولئك المصريون المهاجرون بخبراتهم القديمة ومعارفهم المعمارية قد بنوا ، فى كريت ، شيئًا شبيهًا بآثارهم فى بلدهم فى التوقيت نفسه أو بعده بقليل.

الثانى: اختلاف أحجام ونوعيات الحجر المبنى به تلك الآثار هذا فضلاً عن اختلاف المجموعات المعمارية من قصور ومعابد[1] وكذلك المقابر اختلافًا بينًا عن مثيلاتها فى مصر مما يعنى أن أناسًا آخرين هم الذين بنوا هذه الآثار وهم الكريتيون القدماء وليس المصريون المهاجرون كما يقول إيفانز.

وتعليلنا البسيط هنا هو :

أن مهندسين كريتيين كانوا قد رأوا مصر يومًا ما ، فى أواسط الألف الثالثة ق.م، بطريقة ما وتعلموا طريقة البناء بالحجر من المهندسين المصريين ثم عادوا لبلادهم ليبنوا مبانى وفق مزاجهم الخاص وطبقًا لمعطيات بيئتهم المحلية واتساقًا مع تراثهم على أرض هذه الجزيرة .

(١) ويصل الاختلاف إلى مداه ، إذا قارنا ذلك بالقصور الميكينية ، التى ورثت التراث الكريتى ، ومع ذلك اختلفت عنها باختلاف الناس والمكان ، راجع كتابنا السابق ، ص ١٠٤ – ١٢٠ .

أما القضية الثانية ، والأخيرة ، والتي يعتمد عليها برنال اعتماداً كبيراً في تسويقه لفكرته بتأثير الشرق على الغرب ، فهي أسطورة داناؤوس وأبنائه وهجرتهم إلى طيبة (Thebes) ، اليونانية ، في وسط إقليم بيوتيا (Boeotia) - شمال إقليم اتيكي - حيث العاصمة المركزية القديمة اثينا أي أننا أمام دليل أسطوري ، لا أكثر ولا أقل ، مهما كانت طبيعة الحُجج المصاحبة ، من لغوية وفلكلورية ، فهل يمكن أن يصمد هذا الدليل الضعيف للغاية وهو عبارة عن مادة أسطورية ، خيالية (Mythological) أمام الآثار المكتشفة في الموقع ذاته ؟!!! وهل بعد العثور على الدليل الاثري - الذي لا يكذب ولا يتجمل ، كما أسميه أنا دائماً - من مجال لكلام آخر غير الدليل الوثائقي اليقيني الذي خرج إلى النور من الموقع نفسه ، المشار إليه آنفاً ، والذي بسببه أوقف الأثري اليوناني ، باباثناسيو ، حفائره في المنطقة لأن فرضيته لم تؤكدها الاكتشافات ، بالضبط كما لا يزال يظن - غير المتخصصين - وهو مؤلفنا برنال ؟!!

إن وجود أسطورة ما ، في مكان ما ، بتفاصيل معينة ، لا يعني بالضرورة صدق كل تلك التفاصيل ، ولكن - على الأرجح - أن تكون بعضها وليس كل هذا ، وفي الغالب يكون الأمر لا يتعدى خبراً أو جزئية صغيرة جداً في الحدوتة الكبيرة المسلية المروية على ألسنة العامة عبر الأجيال ، مما قد يفسر حدثا ما ، أو علاقة ما ، في ذاك التاريخ البعيد ، حفظتها الذاكرة الشعبية لأخلاقياتها الحميدة ، العاكسة لسنين الأسلاف السابقين وصلاح أحوالهم ، أو على العكس لتبيان خيرة البعض وفساد طباع واخلاق البعض الآخر ، مما يُجسد صراع الخير أو الشر الابدى في الكون المحيط بنا منذ الازل[1].

ولعل ما نعرفه عن أسطورة ايزيس المصرية ، وجلجامش البابلي (العراقي)، وأخيليوس اليوناني ، ما يجعلنا على يقين من أن هذه القصص ، وأشباهها في العالم القديم، التي نسجت حولها الأساطير ، ما هي إلا وحيٌ خيال الأجيال المتعاقبة ، وذلك بهدف :

(١) في دراسة ممتازة ، لحالة أسطورية محددة ، في تراثنا الشرقي القديم ، ألا وهي أسطورة جلجامش ، أنظر محمد خليفة حسن : بين التاريخ والأسطورة ، القاهرة .

(أ) إما لتبرير وجود ظاهرة طبيعية متكررة وثابتة.

(ب) أو لتفسير بعض مظاهر التأثير الأجنبى الغريب على المجتمع.

(جـ) أو محاولة لتعليل وقوع بعض الأحداث والوقائع التى عرفوها وسمعوا بها ، ولكنهم لم يكونوا شهوداً عليها ولم يرونها !!!

ومن ثم تكون الأسطورة القديمة – فى معظم تفاصيلها – تعالج خللاً فى معلومات وذاكرة الأجيال اللاحقة عن أسلافهم فيما ينتسب إلى :

١ – خصائص المكان ،

٢ – وعلاقات الإنسان ،

٣ – وتطور الزمان.

وأسطورة دناؤوس ، فى ضوء الكشف الاثرى فى الموقع فى بحيرة كوبائيس (Kopais) واقليم ثبائيس (Thebais) فى بيوتيا ، لا تخرج عن هذه الحقائق :

(أ) وصول جماعة من الشرق القديم ، ليسوا بمصرين – وعلى الأرجح من سوريا القديمة وكانوا على علم تام وتحت تأثير الحضارة المصرية القديمة – جاءوا إلى هذا الموقع واقاموا فيه رَدْحًا من الزمان – وهم فى الغالب كانوا تجاراً (مع مطلع الألف الثانية ق.م).

(ب) المادة الأثرية المكتشفة لم تسجل كتابات كثيرة ، وهى بالخط المسمارى ، والموقع ذاته ليس فيه سوى بئر تراثية (مصرية الأصل) لدفن الموتى فى مقبرة أرضية

وهكذا ينقشع الغمام والضباب من حول اضافات الأجيال وانبهار البعض ومبالغاتهم حول بعض الأشخاص أو بعض الأحداث القديمة.

وكان أولى بمؤلفنا - كما فعلنا نحن بالضبط[*] وهو أن نسجل مظاهر التأثير الاثرية، أولاً ، من واقع عمل الحفائر وحصار البعثات الأثرية والاكتشافات السنوية على الأرض اليونانية ، ثم نحاول ثانيًا : أن نفسر وأن نبرر وجود تلك الأشياء ، على الأرض داخل المنازل والمقابر والمعابد اليونانية ، وليس كما فعل هو ، خلافًا للمنهج العلمي ، وإصراراً على تفاصيل - غير يقينية - لا تعدو كونها مادة أسطورية .....!!!

لقد جاءت - في ضوء الاكتشافات الأثرية - مظاهر التأثير المصرية على الحضارة اليونانية ، (وهي إبان مراحل الأعداد والبحث عن الذات ، فيما قبل العصر الكلاسيكي أي فيما قبل عام ٤٨٠ ق.م) على مراحل متعددة منها[1] :

١ - وصول آلهة مصرية إلى الجزر اليونانية ، مثل الإله آمون إلى كريت (منذ القرن ٨ ق.م) ، والإلهة نوت إلى ساموس (منذ مطلع القرن ٧ ق.م) وكذلك ايزيس إلى أثينا . وقد أكد هيرودوت نقل اليونانيين لآلهتهم عن الآلهة المصرية ، وذلك في شهادة مؤكدة من بعد ذلك ، بأكثر من قرنين ونصف من الزمان.

٢ - معرفة اليونانيين تكنيك النحت - من خلال البدايات الأولى لذلك في تشكيل التماثيل الخشبية لتماثيل الآلهة ، كما ثبت من الإشارة الأدبية لنحاتين يونانيين ، في ساموس، - داخل معبد الريه هيرا (Heraion) ، تقليداً لطريقة النحت المصري الاقدم . ثم تلا ذلك تقليد صناعة التماثيل البرونزية ، نقلاً عن عشرات الأصول المصرية الموجودة : فعلاً داخل المعبد ذاته ، منذ النصف الأول للقرن (٧) ق.م.

(*) وهي رسالتنا للدكتوراه من جامعة أثينا الوطنية عام ١٩٨٠ ، بعنوان : العلاقات المصرية - اليونانية : قطع النحت المصرية والمتمصرة المكتشفة في اليونان فيما بين ٩٤٥ و ٥٢٥ ق.م ، وأثينا ١٩٨٢م (باللغة اليونانية الحديثة) .

(١) وهي بعض نتائج رسالة الدكتوراه (ph.D.) الخاصة بنا ، من أثينا عام ١٩٨٢م، - كما ذكرنا من قبل - ويمكن الإطلاع عليها باختصار شديد في الملخص الإنجليزي للرسالة (Abstract) ، في أخرها ، عقب النتائج نفسها باليونانية الحديثة ، أثينا عام ١٩٨٠م .

٣ – تقليد اليونانيين لشكل التمثال المصرى الواقف ، بالمواجهة (en face) المعروف باسم الـ (Kouros) ، فى أحجامه المختلفة ، نقلاً عن المحاولات القبرصية الأقدم (منذ القرن (٧) ق.م) ولكن للحق وإعمالا بمبدأ الموضوعية العلمية والحيدة والأمانة الواجبة كان ذلك لوقت قليل لم يزد عن نصف قرن من الزمان ، حتى أبدع اليونان طرائق أخرى وانطلقوا فى تحريك تماثيلهم وتفوقوا على أساتذتهم المصريين ... وهذا هو جوهر العبقرية اليونانية .

ولنا – بعد كل هذه السياحة فى فكر المؤلف وآخرين مثله – أن نوجز رداً بليغًا ، فى نقاط معلومة ، تكون بمثابة خاتمة وفصل خطاب لهذا الكتاب ، الذى آثرنا أن ننشره على عددين :

الأول : هذا الذى بين أيدينا ، ويضم (٦) ستة فصول فقط ، **والثانى** ويضم الفصول الستة الأخرى الباقية ، وذلك بسبب حجمه الكبير واستطراداته الكثيرة . هذا لاسيما أننا فضلنا أن نعلّق ونشرح ونضيف وحتى ننفذ ، فى حينه ، بعض آراء المؤلف برنال .

وهاكم ردنا النهائى حول الكتاب ومؤلفه :

وهكذا تكون تلك الدراسة ، التى بين أيدينا ، لصاحبها برنال ، قد خرجت عن هدفها تمامًا ، ولم تُثبت أن أثينا الكلاسيكية كانت سوداء (أفريقية ؟ !!!) عبر التأثيرات المصرية المتواصلة على مراحل تطور الحضارة اليونانية القديمة ، بل روّجت – فى المقام الأول – وهو الهدف الأول لمؤلف الكتاب – لدور يهودى / عبرى شارك فى هذا التأثير ، مما يعنى أن أصحاب الفعل والحق الحضارى فى تأثير الشرق على الغرب ، هم أولئك ، تلك الحفنة من البشر ، الذين لم يكن لهم وجود – من أى نوع ، قبل القرن (١٠) ق.م ، وليست لهم آثار تُذكر –من أى نوع ، وفى أى مكان بالمنطقة ، قبل هذا التاريخ .

إن ما قام به برنال – على ضخامته ووجاهته – هو فى نظرنا ، آخر محاولة يهودية مأجورة ، لتزييف تاريخ المنطقة ، كما فعل اسلافه من قبل ، فيلون ويوسيفوس !!!!

ولكن لماذا الإصرار على حشر اليهود في حضارات المنطقة ؟ !!

إنه التزييف المتعمد للتاريخ لخلق دور حضاري لهم :

(أ) في غير زمانهم .　　(ب) وفي غير مكانهم.　　(جـ) وعلى أكتاف غيرهم .

وذلك حرصًا على تحقيق الهدف الأسمى ، الإستراتيجي في الفكر اليهودي المعاصر، بأن المعارك القادمة ، مع الجيران – كما قال شيمون بيريز نفسه – ليست على الحدود أو الأرض ، بل هي حول قضايا الهوية والثقافة .

ومن ثم يجب أن نقول لبرنال:

" لقد خالفت كل قواعد المنهج البحثي العلمي:

١ – جعلت من السامية (؟!) حقائق تاريخية ، وهي مجرد فرضية لغوية (!).

٢ – اتخذت من الأساطير مادة تاريخية ! وهي ليست كذلك.

٣ – ضخَّمت من وجود بعض الآثار، في حوض المتوسط ، وهي ليست سوى تذكارات لبعض الرحلات المتباعدة!

ومع كل ذلك نشكرك على :

(أ) مجهودك الضخم ومعلوماتك الغزيرة.

(ب) شجاعتك في إبداء الرأي في عالم القطب الواحد.

(جـ) تحديك للغطرسة الثقافية الأوروبية.

حتى ولو اختلفت أهدافك ، عن أهدافنا ، وهو أمر سيظل قائمًا قرونًا طويلة ، مهما ضاقت حلقات العولمة وأحكمت الحصار المادي حول عالم اليوم ، شرقه وغربه ، ذلك لأن الهوية والثقافة مظهران عميقان في الفكر والوجدان ، لا ينطمسان بسهولة ، ويجريان في الإنسان – مهما كان – مجرى الدم في العروق ... فإلى أن يتم تغيير دم العالم كله (!)، وفق أولويات الفكر العولمي (التجاري / المادي / الصهيوني) المعاصر ، فإننا منتظرون، وسيعلم الذين ظلموا – عندئذ فقط – أي منقلب سينقلبون ؟!!!

المقـــدمة

الأدلة الأثرية والوثائقية

ترجمة / محمد حمدى إبراهيم

كان الجزء الأول من هذه السلسلة معنيًا بوجهتى نظر عن الأصول الأولى لبلاد الإغريق قديمًا ، وكانت وجهة النظر الأولى، التى أطلقت عليها اسم " النموذج القديم " ، تذهب إلى أن منْ سكنوا بلاد الإغريق فى الأصل كانوا من البلاسجيين ومن قبائل أخرى بدائية ، وإلى أن هذه القبائل قد ارتقت وتحضرت على يد المستوطنين من المصريين والفينيقيين الذين حكموا أجزاء من بلاد الإغريق خلال الفترة المعروفة باسم العصر البطولى. ووفقًا لوجهة النظر الثانية ، التى أسميها " بالنموذج الآرى "، فإن الحضارة الإغريقية كانت نتيجة لامتزاج ثقافى أعقب غزوًا تم من الشمال على يد إغريق يتحدثون بلغة هندو-أوربية وينتمون إلى أرومة أقوام سابقين على فترات العصر الهيلينى. ولقد حاولت فى الجزء الأول أن أتتبع التفاعلات التى قدر بفضلها لمسيرة النموذج القديم فى بلاد الإغريق إبّان القرن الخامس ق.م. أن تظل باقية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، إلى أن تم نبذها فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى ليحل محلها النموذج الآرى خلال عقد الأربعينيات من هذا القرن نفسه.

وكانت مقدمة الجزء الأول تحتوى على الخطوط العامة لمشروع هذا الكتاب كله. وفى هذه المقدمة أعربت عن اعتقادى بأن ما أطلقت عليه اسم " النموذج القديم المعدل أو المنقح " ينبغى أن يحل محل " النموذج الآرى ". إذ أن " النموذج القديم المنقح " يتقبل من ناحية فكرة أن المصريين والفينيقيين قد استوطنوا بلاد الإغريق قديمًا ، وأن تأثيرهم فيها كان بعيد المدى ، كما أنه من ناحية أخرى يأخذ فى الاعتبار حقيقة

لا مراء فيها ، وهي أن اللغة اليونانية هي في الأساس لغة هندو-أوربية ؛ وفضلاً عن هذا ، فهو نموذج يُجرى تعديلات زمنية مختلفة بناء على ما اقترحه علم الآثار في أيامنا هذه. ولقد دونت في خاتمة الجزء الأول ما هو نصه:

" إن المفهوم الذي يعبر عن " النموذج الآرى " - سواء أكان ناجمًا عن خطيئة أم عن خطأ - لا يقلل بالضرورة من قيمته. فنظرية دارون (أو الداروينية) التي ظهرت على الأرجح في نفس التاريخ ، والتي حددت بدورها عن نفس الدوافع ذات السمعة السيئة ، قد ظلت على الدوام مشروعًا معرفيًا ذا فائدة جمة - وقد يكون بوسع المرء أن يبرهن على نحو بالغ الإحكام والدقة أن نيبور (Niebuhr) وميللر (Muller) وكورتيوس (Curtius) وآخرين غيرهم كانوا مُصابين " بداء المشي أثناء النوم " ، بالمعنى الذى اعتاد آرثر كيسلر (Arthur Koestler) أن يستخدمه اصطلاحًا كي يصف به الاكتشافات "العلمية" النافعة التي تم التوصل إليها بوسائل عرضية أو أغراض غير جوهرية يرفض الناس قبولها في العصور التالية. غاية ما أنشده إذًا من وراء هذا الجزء هو أن يزودنا بمسألة علينا أن نجيب عليها ، وهي: بالرغم من أن الأصل المشكوك في صحته ، والمقدم لنا من قبل " النموذج الآرى " ، لا يميل منه نموذجًا خاطئًا ، إلا أنه يدفعنا إلى الشك بالفعل في قدرته على التفوق فطريًا على " النموذج القديم".

ولقد بات واضحًا من ذلك القدر الوافر من العروض النقدية التي ظهرت عن الجزء الأول أن هناك نزعة تشكيكية تتعلق بجدوى " النموذج القديم المنقح " الذى قمت بتقديمه أو تتعلق بمصداقيته. ومن ناحية أخرى ، فقد كان هناك قبول عام لخطتي في التأريخ ، وكذلك لوجهة نظرى المثيرة للجدل ، ومؤداها أن معظم الأشخاص الذين أرسوا دعائم " النموذج الآرى " كانوا - وأقولها بلا مواربة - من أنصار التمييز العنصري ومن المعادين للسامية ، وكان هناك أيضًا إقرار عام بأن مثل هذا المسلك من جانب هؤلاء الأشخاص قد أثر في كتابتهم للتاريخ. وبناء على ذلك فقد استندت إلى هذا القبول واتخذت منه إجازة تسمح لي بالاستمرار في مشروعي البحثي.

غير إن الإطار العام لاستمرارى في مشروعي البحثي قد تغير بصورة جوهرية ، ذلك أن هناك كثيرًا من نقاد الجزء الأول قد كتبوا أو ألمحوا إلى أنني سوف أُجابه

صعوبة كبيرة فى إنتاج عمل مقنع بناء على الطريقة الى عرضتها فى المقدمة ؛ وكانوا على حق فى رأيهم. وبالتالى ، فقد كان على أن أغير مشروعى البحثى فيما يتعلق بثلاث نقاط مهمة. فلقد أدركت - فى المقام الأول - أن من الضرورى أن أخصص الآن جزءًا كاملاً لمصدرين من مصادر المعلومات ، كنت قد خططت فى الأساس من أجل أن ينهضا بتغطية الدليل المستقى من علم الآثار ومن وثائق العصر البرونزى على امتداد فصلين لا سواهما.

وفى المقام الثانى ، وجدت أن الهدف الذى كنت قد وضعته نصب عينى - بالفصل الدقيق الواضح بين الأنواع المختلفة لهذا الدليل والحرص على إبقاء كل منها على حدة - قد تحطم بأسره ، حيث إننى أدركت أنه من المستحيل علىَّ أن أوضح أهمية مثال واحد من الأمثلة بمعزل عن الأمثلة الأخرى. إذ كنت قد ذهبت فى قولى - على سبيل المتابعة إلى أن تشييد القصور فى جزيرة كريت إبان القرن الحادى والعشرين ق.م. كان متأثرًا أبلغ التأثير بحدث معاصر له ، وهو استرداد السلطة المركزية بمصر فى بداية الدولة الوسطى. وأعتقد أن هذه الحُجة يمكن أن تُصاغ بصورة مُقنعة ، لو أن المرء ربطها فحسب بإدخال عبادة الثور إلى كريت فى فترة معاصرة ، وكذا بالأحداث المصرية الأخرى السابقة عليها والمواكبة لها؛ والأمر نفسه يصدق عند فحص أهمية نقش ميت رهينة. فلقد أحسست بأن لزامًا على أن أتفحص المصادر الكلاسيكية والهلينستية ، وكذا الدليل المستمد من علم الآثار ، بصورة جد شاملة. وعلى هذا ، فقد ضربت صَفحًا عن محاولة تطبيق المنهج الصارم على المادة العلمية لصالح (ما أسميته) " بالوصف المكثف " الذى يتضمن أنماطًا من المعلومات كثيرة ومختلفة فى وقت واحد[1].

ويقودنا هذا إلى النقطة الثالثة التى استتبعها إجراء أهم تغيير فى خطتى الأصلية ؛ إذ إننى تخليت عن التمسك بقناع الحياد عند تناولى لكل من النموذجين ، وأسفرت عن التزامى بالنموذج القديم المنقح. ولقد كنت أعرف دومًا أن هذا أمر صعب ، ولكننى بمرور الوقت اكتشفت أنه مستحيل. فبدلاً من إصدار حُكْم على الجدوى المعرفية التنافسية عن كل من النموذجين بطريقة محايدة ، سوف أحاول الآن أن أبين أن النموذج القديم المنقح قادر على وصف تطور الحضارة الإغريقية وطبيعتها ، وقادر أيضًا على تفسير ذلك بطريقة أكثر شمولاً وأكثر إقناعًا من " النموذج الآرى ".

الأسباب الجوهرية لتفضيل النموذج القديم المنقح على النموذج الآرى :

فى مقال آسر جذاب – رغم كونه حسب فكرى مُضللاً بصورة أساسية – تم نشره عام ١٩٧٢ ، حاول ناشره أستاذ الكلاسيات د.أ. ماك نيل (R.A.Mc Neal) أن يبرهن على أن هناك أربعة مداخل يمكن عن طريقها فهم فترة ما قبل التاريخ لحضارة منطقة البحر الإيجي، وهى: (١) المصنوعات الأثرية. (٢) اللغة. (٣) المادة المتعلقة بالهياكل العظمية لو رغب الباحث فى استخدامها.(٤) الأساطير والحكايات الخرافية الإغريقية(*)(٢). ويغض النظر عن بعض الاعتراضات الصغرى ، مثل الحقيقة القائلة بأن علماء الآثار اليوم مهتمون للغاية بالمبانى وطُرُز الاستيطان والدلائل المتعلقة بالنشاط الزراعى والصناعى، وكلها أمور لا تقتصر على المصنوعات والأدوات ، وحقيقة أن الأدلة المُستقاة من الهياكل العظمية يمكن إدراجها بسهولة تحت علم الآثار ، رغم كونها غامضة لأقصى حد ؛ فالمشكلة – رغم هذه الاعتراضات – تكمن فى إغفال خطة الأستاذ ماك نيل للوثائق المعاصرة لهذه الفترة التاريخية. إذ أن العصر البرونزى لحضارة منطقة البحر الإيجي لم يكن عصراً من عصور ما قبل التاريخ كما يفترض الأستاذ ماك نيل ، فهناك إشارات كثيرة فى النصوص المصرية والمشرقية ونصوص ميسو بوتاميا (= بلاد ما بين النهرين) ، بل وأكثر من ذلك ، فهناك الألواح الإيجية المدونة بالكتابة الخطية الأولى (Linear A) والكتابة الخطية الثانية (Linear B) ؛ وبناء على ذلك فإننى أتصور أن المعلومات المستمدة من الوثائق ذات أهمية بالغة. ومن أجل هذا السبب ، فقد كان مرامى فى الأصل هو أن أبدأ هذا الجزء بفصل عن "الوثائق المعاصرة"، نظراً لأن علم الآثار – على أية حال – قادر على تزويدنا بالأدلة القديمة التى ترجع إلى العصر الحجرى الحديث وبواكير العصر البرونزى. ولذا فقد غيرت

(*) والحق أننى معجب بهذا المقال لهجومه الجسور على الدعائم اللغوية الذاتية للنموذج الآرى، وعلى استخدام هذا النموذج لمقولة " جيته " الشهيرة، وهى: " إن أكثر الأشياء أهمية للفهم هو أن يكون كل شيء واقعى بذاته نظرية بالفعل ". وتنصب اعتراضاتى على هذا النموذج لإيمانه بالحرفية أو التخصص فى المهنة ، وعلى رفضه لتقبل أى أمر أو فكرة ما لم يكن حقيقة مؤكدة (المحرر).

خُطتي بحيث يتم بمقتضاها إيراد الدليل الوثائقي الخاص بالصلات بين الشرق الأدنى ومنطقة البحر الإيجي في الفصل العاشر من هذا الجزء.

ويناضل الأستاذ ماك نيل بقوة ضد أية محاولة ترمي لتوليف دليل مستمد من تصنيفاته الأربعة ، وهي علم الآثار ، واللغة ، والأنثروبولوجيا الطبيعية ، والأساطير ، زاعمًا عن اقتناع أنه ليس بوسع المرء أن يوقن بوجود ارتباط متبادل بينها. كما أنه يدعي كذلك - ولكن على نحو أكثر إقناعًا - أنه لا ينبغي على الباحثين الخوض في تخصصات جيرانهم ، حيث إنهم سيعجزون بلا ريب عن أن يحظوا بمجرد أمل في فهم أسرار الآخرين المهنية. وكلي أمل في أن تكون اعتراضاتي على هذه الحُجة الأخيرة من جانبه قد باتت واضحة لقراء الجزء الأول من كتابي.

وعلاوة على ذلك ، فليس بمقدوري أن أقبل شرطه بتوافر اليقين ؛ لأنني أسست حُجتي في مشروعي البحثي كله على مبدأ القابلية للتصديق على نحو تنافسي أكثر من اعتمادي على اليقين أو التأكد الذي لا ريب فيه ، وذلك لأنه يستحيل تحقيق الاتجاه الأخير ببساطة في مثل هذه الحالات. وبالتالي ، فإن أعظم ما يمكن للمرء أن يفعله هو تحقيق ما هو قريب من الصدق ، وأفضل طريقة للوصول إلى ذلك هي الربط بين الأدلة المستقاة من كافة المصادر ، حتى مع علمنا بالمخاطر التي قد ينطوي عليها هذا الربط. وبناء على ذلك ، فعلى الرغم من أنني أحاول في هذا الجزء التمييز بين المداخل المختلفة لدراسة الموضوع ، فإنني لا أُصاب بالانزعاج حينما أعجز عن الإبقاء عليهم منفصلين.

وقبل أن أنبرى لمعاينة قيمة " النموذج القديم المُنقَّح "[٣] في ضوء المصادر المتنوعة للدلائل التي نحظى بها ، يجدر بي أن آخذ في الاعتبار أن قابلية هذا النموذج الفطرية للتصديق إنما هي قابلية نسبية مقارنة مع " النموذج الآري ". " فالنموذج القديم " يتمتع بميزة أنه وُجِدَ في عصر أكثر قُربًا من الحِقبة الزمنية موضع الاهتمام. ومن الممكن أن يثور الجدل حول فجوة زمنية مقدارها ألف ومائتي عام ، بين القرن الخامس ق.م. - حينما ظهر الدليل لأول مرة على " النموذج القديم " - وبين القرن الثامن عشر ق.م. ، وهو القرن الذي أعتقد أنه قد وجدت خلاله مستوطنات من الشرق الأدنى في

بلاد الإغريق ، وهى فجوة زمنية أكثر اتساعًا من الحقبة التى تفصل بيننا الآن وبين عصر شارلمان (Charlemagne) . ومن الممكن كذلك أن يحتدم النقاش حول أن هذا الخط الفاصل بين بلاد الإغريق خلال العصر الميكينى وبينها إبان العصر الكلاسى(*) لا يقل فى امتداده من الناحية النوعية عن الثلاثة آلاف وخمسمائة عام التى تفصل بيننا وبين ما نفترض وجوده من مستوطنات أقامها المصريون والفينيقيون.

غير أن هناك أسبابًا عديدة لها وجاهتها تحدونا إلى رفض مثل هذا الجدل ، أولها أن روث إدواردز (Ruth Edwards) قد أثبتت فى كتابها : " كادموس الفينيقى: دراسة فى الأساطير المصرية والعصر الميكينى "، أن هناك كمًا كبيرًا من الأدلة الأدبية والفنية التى تم اكتشافها بطريقة عَرَضية ، وهى توحى بأن النموذج القديم قد كان له وجود خلال العصر الآرخى (=القديم ، من ٧٧٦-٥٠٠ق.م.) ، بل وحتى خلال العصر الجيومترى (٩٥٠-٧٧٦ق.م.)، وهو أمر من شأنه أن يقلل من الفجوة الزمنية لعدة قرون(٣). وفضلاً عن ذلك، فإن الدليل المُستقى من الألواح المدونة بالخط الثانى (Linear B) ، والذى تدعمه كمية متزايدة من المعلومات التى أتاحها لنا علم الآثار ، قد أثبت – فيما يتعلق بالديانة على الأقل – أن هناك استمرارية جديرة بالاعتبار منذ العصر الميكينى حتى فترة العصر الكلاسى فى بلاد الإغريق[٤].

ولقد حاولت فى مكان آخر أن أبرهن على أن الأبجدية السامية الغربية قد أدخلت إلى منطقة البحر الإيجى قبل عام ١٤٠٠ق.م. وأيًا كان الأمر ، فإن الاكتشافات الحديثة فى مجال علم النقوش ، وكذا التفسيرات المتعلقة بها ، قد جعلت اقتباس الأبجدية الإغريقية أو تطويعها وتعديلها بعد القرن الحادى عشر ق.م. أمرًا يصعب احتماله إلى أبعد مدى[٥]. وحتى لو افترضنا أن هذه الأبجدية قد أدخلت خلال فترة أحدث من ذلك تتزامن مع القرن التاسع ق.م.، فإن بقاء الخط القبرصى المقطعى – حتى فترة حديثة نسبيًا – بغير برهان لأكثر من خمسة قرون ، وبقاء الكتابة الأولى (Linear A) بجلاء فى شرق جزيرة كريت لمدة تربو على ألف عام، يجعل من غير المحتمل إلى أقصى حد أن

(*) ينحت أستاذنا الدكتور/ حمدى إبراهيم مصطلحًا جديدًا – على أساس إتيمولوجى – بدلاً من اللفظة المألوفة – حتى الآن – وهى كلاسيكى . (المحرر)

تكون المعرفة بالخط الثاني قد اختفت توًا عن بكرة أبيها مع انهيار حضارة المجتمع الميكيني القائمة عل القصور والبلاط خلال القرن الثاني عشر ق.م.(٦) وهكذا ، فإن كافة الأسباب تحدو بنا إلى افتراض بقاء بعض الوثائق من "العصر البرونزي المتأخر" ووصولها إلى " العصر الحديدي المبكر ". ومن ناحية أخرى ، فعلى الرغم من أنه لا يوجد أدنى شك في وجود انحسار ثقافي ملحوظ بين القرن الثاني عشر والقرن الثامن عشر ق.م.، وضياع معلومات حقيقية خلال تلك الحقبة ، ونمو كثير من الحكايات الأسطورية والخرافية والفولكلورية التي تتلاحم فيما بينها ، إلا أن من الثابت وجود تداخل بين الكتابات الخطية والكتابات الأبجدية ، وأن هذا التداخل قد حدث مع مرور الزمن ومن المحتمل أنه استمر لقرونٍ كثيرة. ويكاد يستحيل على المرء الآن أن يُقيم الحجة على أن العصر البرونزي لدى الإغريق كان مفصولاً عن العصر الحديدي بقرون من الأمية لا يمكن اختراقها أو النفاذ منها.

وعلى سبيل المثال ، فإن النشيد الثاني من الإلياذة يحتوي على قائمة وصفية مُسهبة ومفصلة للمدن الميكينية ، التي يبدو أن كثيرًا منها قد اختفى عند حلول العصر الذي دون(*) فيه هوميروس ملاحمه خلال القرن التاسع ق.م. وبالتالي، فمن المحتمل جدًا أن يكون ما ورد في ملاحمه مؤسسًا على مادة كانت مدونة خلال العصر البرونزي. وفضلاً عن ذلك ، فلقد كان في مقدور كتاب العصرين الكلاسي والهيلنستي ، الذين كان لديهم تراث شفاهي ومدون بنفس القدرة أن يقوموا بزيارة بعض الأطلال الميكينية التي كانت أجزاء منها لا تزال قائمة بغير أن يبليها الزمن ، خاصة وأننا نعرف أن هؤلاء الكتاب كانوا يمارسون آنذاك نوعًا من الاشتغال بعلم الآثار(٧).

وعلى الجانب الآخر من البحر المتوسط كانت هناك سجلات على قدر كبير من الأهمية ترجع إلى العصر البرونزي ، وكانت متاحة خلال فترة العصر الكلاسي للكهنة المصريين، وبنفس القدر للفينيقيين وسكان بلاد ما بين النهرين. ولقد تمت خلال العصر

(*) من المعروف لدى دارسي الأدب اليوناني القديم ، أن هوميروس كان شاعرًا منشدًا ، وليس هناك أدنى دليل على تسجيل وكتابة وتدوين الإلياذة آنذاك ، في عصره ، فلم تكن الأبجدية اليونانية قد ظهرت بعد ، ويؤرخ لأقدم نقش بحروفها ، من جزيرة ناكسوس بحوالي ٧١٥ ق.م (المحرر).

الهيلنستي ترجمة بعض نصوص هذه السجلات القديمة إلى اللغة اليونانية ، أو تم تلخيصها على يد كهنة وعلماء ، من أمثال المصرى مانيتون والفينيقى فيلون من بيبلوس وبيروسوس من بلاد ما بين النهرين[٨]. وكانت هذه المؤلفات وغيرها من المصادر متاحة أمام الكتاب الإغريق، مثل هيكاتيوس من أبديرا ، ومناندروس من إفيسوس، وغيرهما. وقبل هؤلاء ، أى خلال القرن السادس ق.م.، ساد الاعتقاد بأن فريكيديس من سيروس قد أسس كتابه على مصادر مصرية وكلدانية[٩].

وعلى العكس من ذلك ، نجد أن هيرودوتوس، وديودوروس الصقلى، وغيرهما من الكتاب القدامي قد حشدوا في مؤلفاتهم آراء كثيرة عن التاريخ المصرى، ثبت في أحيان كثيرة أنها أدنى في قيمتها من الآراء التي توصل إليها علماء المصريات المحدثون الذين أُتيح لهم الرجوع إلى المصادر الأصلية واستخدامها بسهولة ويُسر[١٠]. وعلى أية حال ، فإن اكتشاف نقش ميت رهينة الذى يصف محلات ورحلات – لم نكن نعرف عنها شيئًا قبل ذلك – قام بها المصريون إلى سوريا وما ورائها خلال الأسرة الثانية عشرة ، يبرهن على أنه لم يكن يجدر بنا أن ندع مواكب النصر المظفر لعلم المصريات – وهى حقيقة لا ريب فيها – تحدو بنا إلى التقليل من قدر تكامل المعرفة الحديثة. ومن المثير للدهشة – في هذا الصدد – أن نلاحظ أن هيرودوتوس ومعه سائر الكتاب الإغريق الآخرين قد ذكروا فيما يبدو هذه الفعاليات المتعقلة بالحملات والرحلات ، في إطار وصفهم لانتصارات الملك المصرى سيسوستريس Sesostris (انظر الفصلين الخامس والسادس أدناه). وبالتالى ، فإن من الممكن بالفعل أن يكون الإغريق قد عرفوا معلومات عن علاقات مصر بمنطقة البحر الإيجى رغم كونها معلومات لا تزال مجهولة بالنسبة للباحثين المحدثين.

وحرى بنا أن نلاحظ – على مستوى أعم من ذلك – أن علماء المصريات (المحدثين) مازالوا يعتمدون على التراث المصرى الذى نقله إليهم المؤرخ القديم مانيثون في مواطن كثيرة، وأنهم لا يزالون يستخدمون الإطار التقليدى الخاص بتقسيم تاريخ مصر إلى أسرات على النـو الذى نقله إليهم . فضلاً عن كونهم لا يكفون عن الاستشهاد بنصوص هيرودوتوس، وبلوتارخوس ، وديودوروس الصقلى والإشارة

إليها ، حيث منحهم الاتصال المباشر مع هؤلاء الكتاب إحساساً بتاريخ مصر القديمة لا يمكن معادلته أبداً بنفس درجة الإحساس التى يمنحها لهم الاتصال مع الباحثين المحدثين.

كذلك ، فإن التفوق النسبي لعلماء المصريات المحدثين على الكتاب الإغريق من العصرين الكلاسي والهيلنستي لا سبيل إلى مضاهاته أو مناظرته بالمعلومات المتوافرة لنا عن منطقة المشرق (Levant) ؛ إذ إن اللوحات التى تم العثور عليها فى أوجاريت قد رسمت لنا صورة جذابة آسرة ومفصلة عن البوابة السورية الكبرى لما يقرب من قرن من الزمان خلال العصر البرونزى المتأخر. كما قدمت لنا دليلاً مهماً – وإن كان مؤلفاً من شظايا غير مترابطة–يتعلق بالديانة السامية الغربية وأساطيرها. كذلك ، فإن الحروف المسمارية التى تم العثور عليها فى " العمارنة " تزودنا بفكرة عن الموقف السياسي في السواحل السورية وفلسطين لعدد من العقود الواقعة على امتداد القرن الرابع عشر ق.م. وعلى أية حال ، فإن الأوراق البردية كانت هى مادة الكتابة السائدة فى منطقة المشرق الجنوبى ، ومن الواضح أن المدن الفينيقية كانت تسرف فى استخدامها بوجه خاص ، وفقاً لما أخبرنا به المؤرخ اليهودى ورجل السياسة يوسيفوس (= يوسف) الذى عاش خلل القرن الأول الميلادى بقوله[11]:

" أما عن العناية التى أولاها المصريون والبابليون لسجلاتهم التاريخية منذ عصور سحيقة فى القدم ......فمن بين الأمم التى كانت على اتصال بالإغريق نجد أن الفينيقيين هم الذين حققوا الفائدة القصوى من الكتابة والتدوين ، سواء فيما يتعلق بأمور الحياة العادية أو فيما يتصل بتسجيل الأحداث العامة (=الرسمية) وحفظها ، وأعتقد أننى لست فى حاجة – فى هذا الصدد– إلى إضافة قول آخر ، نظراً لأن هذه حقيقة تقر بها كل شعوب العالم ".

وفضلاً عن ذلك ، فعلى الرغم من الدمار الذى حاق بالمدن الفينيقية مرات كثيرة خلال الألفية الأولى ق.م.، إلا أن بعض الوثائق – فيما يبدو – قد ظلت باقية بصورة سليمة حتى العصر الهيلنستى ، بل وحتى العصر الرومانى ، كما ذكر لنا المؤرخ يوسف[12]:

" ولقد اضطلع أهل "صور " - منذ سنوات كثيرة خلت - بتدوين سجلات رسمية بأحداث تاريخهم التى تستحق الحفاظ عليها ، وكذا بالأحداث التى ترتبط بصلاتهم مع الأمم الأجنبية. وكانت الدولة تقوم بجمع هذه السجلات وتحافظ عليها بكل عناية ...... وكان كثير من الرسائل التى تم تبادلها بين حيروم (=حيرام، الملك الفينيقى) وبين (النبى) سليمان (عليه السلام) (خلال القرن العاشر ق.م.) محفوظة فى هذه السجلات حتى يومنا هذا ".

(ومن أسف) أن أيًا من هذه الوثائق لم يصل إلينا فى العصور الحديثة ، كما أن النص الوحيد ذا الأهمية الذى لدينا الآن من الأدب الكنعانى هو العهد القديم (=التوراه). وهذا النص له قيمة تاريخية فائقة الأهمية(*) ، وإن كان معنيًا على نطاقٍ واسعٍ بإسرائيل(**)، وهى دولة داخلية فى اليابسة وليس لها صلات بالبحر المتوسط إلا فيما ندر، ناهيك عن منطقة البحر الإيجى. وبالتالى ، ففى ضوء نصوص قليلة العدد إلى أدنى حد ، وسجلات أثرية غاية فى الغموض والإبهام وبصورة متناثرة غير مرتبطة ، فإن معرفة الباحثين المحدثين بالساحل المشرقى خلال العصر البرونزى المتأخر تعد معرفة دقيقة بالقياس إلى نظيرتها خلال العصرين الكلاسى والهيلنستى.

ولقد أمدتنا اللوحات المدونة بالكتابة الخطية الثانية فى منطقة الإيجى بدليل لغوى فائق القيمة، فضلاً عن أنها زودتنا بمعلومات لها اعتبارها عن الاقتصاد الميكينى المتأخر وحضارته القائمة على البلاط والقصور. غير أن هذه اللوحات - من ناحية أخرى - قد أغفلت ذكر معلومات كنا بأمس الحاجة إليها عن الديانة فى بلاد الإغريق خلال العصر البرونزى المتأخر، كما أنها - على أية حال - قد خلت معه أية نصوص أسطورية أو تاريخية.

(*) هذا بالرغم من الشكوك الكثيرة حول حقيقة أصل ومكونات الكتابة السبعينية (Septuagenta) منذ العصر البطلمى وأساطير وهذا تسجيلها عندئذ ، وعدم دقة تواريخها فى ضوء أحدث الدراسات التوراتية التى يروجون لها ويصرون على تاريخيتها ، كما يفعل هنا مؤلفنا مارتن برنال . (المحرر)

(**) يقصد المؤلف بها دولة يهودية (يودايا) التى أقامها اليهود فى منطقة فلسطين - سوريا قديمًا. (المترجم)

ولقد أجريت خلال القرن الماضى فى بلاد الإغريق حفائر أكثر منهجية وتنظيماً عن ذى قبل ، وتمخضت عن إظهار دليل فائق الأهمية ، وبالتالى مكنت الباحثين من إنشاء دراسات متتابعة لطبقات الخزف خلال العصرين ، البرونزى الأوسط والبرونزى المتأخر. ومع ذلك ، فلقد تعذر على الباحثين التوصل إلى تحديد تاريخ لا ريب فى دقته لهذين العصرين ، كما أن الحدود الفاصلة بين العصر البرونزى الأوسط والعصر البرونزى المتأخر ظلت غامضة حتى عهد قريب بالنسبة لفترة زمنية تحظى بفائق اهتمامنا ، بالإضافة إلى أن الجداول التاريخية التزامنية أو التواريخ المتناظرة لمنطقة الشرق الأوسط قد غدت مثاراً لجدل عنيف بين الباحثين[١٣]. كما كان هناك بالمثل ميل لعدم الركون إلى الثقة فى طريقة الكشف بالكربون [١٤] والطرق العلمية الأخرى المستقلة المتبعة فى تأريخ المكتشفات الأثرية ، حيثما تتعارض مع تحديد الترتيب الزمنى الذى كان تصوره قد تم سلفًا. وتأمل معى - على سبيل المثال - الفقرة التالية التى قام بصياغتها عالم الآثار الشهير بول أستروم (Paul Astrom) :

" وأود أن أؤكد على أنه لا فائدة تُرجى من اللجوء إلى طريقة الكشف بالكربون [١٤] كوسيلة للتأريخ ، عند قيامنا بتحديد تاريخ دقيق للعصر البرونزى فى منطقة البحر الإيجى؛ ويمكن التدليل على هذا بالمثال التالى: اتضح لنا أن متوسط الطريقة المصوبة للكشف بالكربون [١٤] على مجموعة قصيرة الأجل قوامها سبع عينات ترجع جميعًا إلى عصر تدمير جزيرة ثيرا ، أو على فترة زمنية سابقة على ذلك التدمير بقليل ، وبالتحديد خلال عام ١٦٨٨ق.م.، يشير إلى أن البركان ثار عام ٥٧ ق.م. وبالتالى فإن هذه النتيجة تبدو مضحكة للغاية ، لأن هناك اتفاقًا عامًا - بناء على أسس ومعايير أخرى - على أن ثورة البركان فى جزيرة ثيرا قد حدثت خلال فترة زمنية تقع خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م. ".

وفى الحق إن هناك مقاييس مستقلة أخرى ذات عدد كبير قد أسفرت عن إعطاء تواريخ زمنية مماثلة فى بعدها عن الحقيقة لتلك التى اعتبرها " أستروم " مضحكة. وكما سوف أبين فى الفصل السابع ، فلقد بدأ باحثون كثيرون يتراجعون الآن ، وينكصون على أعقابهم (ويتخلون عن موقفهم المؤيد لهذه الطريقة)[١٥]. أما النقطة التى أحاول أن أُلقى الضوء عليها هنا ، فهى أن الاعتقاد التقليدى " للنموذج الآرى " كان قد

ترسخ منذ أمد طويل قبل تطبيق هذه التقنيات الجديدة على ما اكتشف من آثار فى منطقة البحر الإيجى ، وأن رد فعل أنصار هذا النموذج إزاء نتائج هذه التقنيات بوجه عام كان العمل على حشرها داخل نموذجهم أكثر من تطويعها لصالحه أو استبعادها تمامًا. وبالتالى، فيجب علينا أن نحكم على هذه الصورة من التنافس القائم بين النموذجين ، لا بناءً على كافة المعلومات المتاحة لأشياعهما الذين بادروا إلى مناصرتها بعد أن تأسسا واستقرا ، بل بناءً على حالة المعرفة السائدة فى الفترة التى شهدت تكون كل نموذج منهما. ذلك أن النموذج الآرى – على سبيل المثال – قد تشكل فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى فترة لم توجد فيها معرفة أثرية متعلقة بالتأريخ الزمنى من أى نوع ، حيث إن هذا النوع من المعرفة لم يتأسس قبل عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، حينما تمكن الأستاذ فلندرز بترى(Flinders Petrie) من تأريخ المكتشفات الأثرية الفخارية التى تم العثور عليها فى مصر ويقودنا تأريخها إلى العصرين المينوى والميكينى[١٦].

وحتى لو استطعنا اليوم أن نتوصل إلى تحديد تاريخ دقيق للآنية الفخارية (أو الخزفية) ، وتمكنا من الكشف عن المكان الذى تم صنعها فيه ، فلن يتسنى لنا أبدًا أن نعرف من هذه الأوانى الفخارية اللغات التى كان يتحدث بها من صنعوها ومن استخدموها. كما أنه ليس بوسعنا البرهنة من خلالها على وجود غُزاة أو تحرك سكانى، أو على العكس من ذلك، ليس بوسعنا استبعاد مثل هذا البرهان من مجال البحث ، ما لم يتضمن هذا انقطاعًا ثقافيًا كاملاً ، وهى حالات بالغة القدرة لحُسن الحظ. وبالتالى، فإن علم الآثار بمفرده لا يمكنه أن يجيب على الأسئلة التى نحن مهتمون بها ، وأعنى بها نوعية التأثيرات المصرية والفينيقية فى منطقة البحر الإيجى خلال العصر البرونزى ، وكذا مداها ومدتها[١٧].

ويُعتبر الشطر الأكبر من تقييمنا للمعرفة التى كان يحظى بها إغريق العصرين الكلاسى والهيلنستى عن العصر البرونزى ، على المدى الكمى للانقطاع الثقافى بعد انقضاء القرن الثالث عشر ق.م. ومثل هذا الانقطاع الثقافى الشامل لم يحدث فى مصر ، لو صدقنا ما قاله الكهنة المصريون للمشرع الآثينى سولون (Solon) خلال النصف الأول من القرن السادس ق.م. فمن الواضح أنه لم يوجد عمليًا بمصر أى

تمزق فى الاتصال الثقافى أو المعرفى بالماضى، رغم وجود نوع من انعدام الاستقرار السياسى ومن التدهور الاقتصادى بها خلال القرون التالية. ذلك أن غزوات شعوب البحر للشرق الأدنى خلال القرنين الثالث عشر والثانى عشر ق.م. - والتى يجد القارئ وصفًا لها فى ملحق الجزء الأول - قد أوجدت بالفعل انقطاعًا على ساحل منطقة المشرق (Levant) ، يبدو أنه أدى إلى إحلال مدن ذات طراز جديد محل مدن العصر البرونزى التى كانت تخضع غالبًا لحكم " موروناخى " (= فردى) رغم كونها مدنًا تجارية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ؛ وكان المعبد وليس القصر هو الذى يهيمن على مقدرات الأمور ومجرياتها فى هذه المدن ذات الطراز الجديد ، التى شهدت بزوغ مجتمع يمكن أن نطلق عليه دون غضاضة اسم " مجتمع العبيد "[١٨]. وبرغم هذه التغيرات الاجتماعية الجوهرية ، إلا أن المدن - على أية حال - قد ظلت مزدهرة لعشرات السنين، ولا أقول لقرون ، بعد الدمار الذى حاق بها ؛ كما ظلت محافظة على درجة عالية من الاستمرارية فى ثقافتها المادية. فنحن نعرف - حتى من الرحالة المصرى " ون آمون " (Wen Amon) - الذى عاش خلال القرن الحادى عشر ق.م. - أنه قد تم الحفاظ على السجلات الرسمية فى مدينة بيبلوس (Byblos) المهمة ، على الأقل ، لمدة تربو على قرن من الزمان[١٩].

ولقد دمرت الاضطرابات - فى شبه جزيرة الأناضول - الامبراطورية الحيثية إلى الأبد - وإن لنا أن نتأمل فى هذا الصدد ما كتبه الأستاذ جيمس ماكوين (James Macqueen)، المتخصص فى الدراسات الحيثية[٢٠]: " ليس بوسعنا الآن أن نُسلم جدلاً بحلول أربعمائة عام من الفوضى والاضطراب ومن الرجوع شبه التام لحياة التنقل والبداوة ". ذلك أن قسطًا كبيرًا من تراث هذه الإمبراطورية الحيثية قد ظل قائمًا بصورة طيبة خلال عصر الحديد. وكما أوضحت أعلاه ، فإن بلاد الإغريق لم تكن بمثابة استثناء هذه الحقيقة ، كما أن الانقطاع فيها لم يكن شديد الوطأة كما تم تصويره بوجه عام. وعلى وجه الإجمال ، فبينما كان الانقطاع مأساويًا على الصعيد المحلى ، فإن ما يُطلق عليه إجمالاً اسم " العصور المظلمة " فى منطقة شرق البحر المتوسط لم يُسفر عن انقطاع واضح المعالم عن الماضى.

وفى الحق إن " العصور المظلمة " قد اكتسبت هذه التسمية السيئة التى اقترنت بها بفعل التدهور غير المسبوق الذى حدث فى الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين فى بيزنطة. فرغم أن بيزنطة اجتازت هذه الأزمة وعبرتها ، إلا أنه كان لِزامًا عليها أن تجرى حركة إصلاح جذرية لكي يتسنى لها اجتيازها. فأما الإسلام، فقد خلق بداية جديدة تمامًا على الرغم من حفاظه على بعض المؤسسات والعلوم والفلسفات المصرية والإغريقية والبابلية. وأما فى أوروبا الغربية ، فإن إمبراطورية الفرنجة (Frankish Empire) لم تكن تشبه فى شيء الإمبراطورية الرومانية التي زعمت أنها كانت خليفةً لها. وعلى وجه الإجمال، فإن حضارات العصر البرونزى فى منطقة الشرق الأوسط قد أُتيح لها أن تتيقظ وتنشط بفعل الغزو الهيلنستي والغزو الروماني من بعده ، ولكنها ظلت باقية وفعالة حتى الغزو القوطى والفتح العربى ، والانتصارات التي حققتها كل من المسيحية والإسلام[٢١].

ولقد أدى تدمير الحضارة المواكب لظهور عقيدة التوحيد[*] إلى انقراض اللغات المكتوبة للحضارات المبكرة رغم كونها لغات ذات قيمة كبيرة ، وأعنى بها اللغات السومرية والأكادية والمصرية القديمة. ومن هنا ، فإن الانقطاع الثقافى الحاد والملحوظ الذى حدث فى الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين يجعل الاضطرابات التي وقعت خلال القرن الثانى عشر ق.م. تبدو فى نظرنا تافهة قليلة الشأن. وبالتالى ، فرغم أن أنصار "النموذج القديم " عاشوا إبَّان الفترة التى غابت فيها شمس تراث العصر البرونزى ، إلا أنهم كانوا لا يزالون يحيون فى العالم القديم. أما أبطال " النموذج الآرى " – على العكس من ذلك – فقد عاشوا بعد انصرام قرون كثيرة على هذا الانقطاع (Coupure) الحقيقى .

وإذًا ، فمن الواضح بوجه عام أن الكُتَّاب الذين تمكنوا من صياغة " النموذج القديم " كانت لديهم معلومات عن العصر البرونزى بقدرٍ أوفر مما لدى أنصار

(*) عجبى لهذا التفكير الرافض لعقائد التوحيد ، فى المنطقة ، حيث يحملها المؤلف مسئولية التدمير الحضارى للثقافات الأقدم ، لمجرد ضياع لغات تلك الحضارات الأقدم .. فهل هذا منطقى ، برغم استمرار حضارة كل منطقة وتراثها ولكن بلسان جديد فقط ؟!!! (المحرر)

"النموذج الآرى"، فضلاً عن كونهم يمتلكون الإحساس بموضوعهم انطلاقًا من ثقافتهم المشتركة مع أسلافهم. وعلى أية حال، فإن أنصار "النموذج الآرى" لم يؤسسوا تفوقهم المزعوم على الكم المتوافر لديهم من معلومات بقدر ما أسسوه على وجهة نظر افتراضية مفادها أنهم يخطون - على عكس السُذَّج من الكتاب الكلاسيكيين والهيلنستيين - " بمدخل نقدى " ورؤية علمية كفيلة بأن تُعوضهم عن أى نقصٍ فى معلوماتهم.

كذلك فإن الاصطلاح "Altertumswissenschaft" ، المستخدم فى اللغة الألمانية للدلالة على (طبيعة) هذه الدراسة الجديدة، يفيد معنى أدنى فى درجة التحديد مما يفيده المقابل الإنجليزى له، وهو "علم دراسة العصور القديمة (Science of Antiquity). وأيًا كان الأمر فإن إطلاق صفة " العلمية " - حتى بالمعنى الواسع للكلمة - إنما يظهر بجلاء إحساس العلماء والدارسين بالإثارة والثقة فى البداية (القوية) للقرن التاسع عشر ، وهو إحساس دفع هؤلاء الباحثين إلى تجاهل أسلافهم من أتباع " الباروك "(Baroque) . وباختصار، فإن هذا الزعم بالاتصاف "بالعلمية " قد ظهر لأول مرة خلال عقد التسعينيات من القرن الثامن عشر الميلادى ، تحت تأثير من مصطلحات الفيلسوف كانط (Kant) وقبل الطفرة التكنولوجية المواكبة لاكتشاف البخار والكهرباء ، خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر وعقد العشرينيات من ذات القرن. وأيًا كان الأمر ، فبمثل ما تفوقت السكك الحديدية والسفن التجارية والبرق على كافة وسائل الانتقال والاتصال السابقة عليها ، وأزاحتها عن المنافسة، فإن علماء فقه اللغة والمؤرخين القدامى خلال القرن التاسع عشر قد آمنوا بأن مدخلهم "النقدى" - أو "منهجهم" العلمى التاريخى - قد وضعهم وفقًا لمعايير التصنيف فى مستوى أسمى من كل أسلافهم السابقة.

فلقد كان " النموذج القديم " - بالنسبة لهؤلاء الباحثين - عبارةً عن وَهْمٍ وضلال. وكما قام الباحثون " العلميون " باختزال كل الشواهد والمراجع الإغريقية إلى قناطير وسيرنييات ومخلوقات خرافية أخرى اعتبروا أنها انتهكت قوانين التاريخ الطبيعى وأثمت فى حقه ، كان لزامًا عليهم بدورهم أن ينبروا لطمس وجهة نظر القدماء بأن بلاد الإغريق قد تحضرت على أيدى المصريين والفينيقيين ، على اعتبار أنها وجهة نظر آثمة

فى حق قوانين " علم الأجناس " (القائم على التمييز العنصرى). ولذا ، فقد كان حريًا بنا أن نؤكد على أن وجهة النظر هذه - بالنسبة لكثير من الباحثين - كانت تمثل "العلم الأسمى" الذى تندرج تحته كافة العلوم الأخرى ، وأن ما يُطلق عليه اسم " المبدأ العِرقى للتاريخ " كان يُعتبر على نطاقٍ واسعٍ الإنجاز الأول لعلم التأريخ الذى تم على أيدى هؤلاء المؤرخين الجدد[٢٢].

إن دعاوى أنصار الآرية بامتلاك الموضوعية لا تبدو مقنعةً فى ضوء العلاقات القائمة بين الدراسات الكلاسية وبين الأيديولوجية السياسية التى ناقشنا تفاصيلها بنوع من الإسهاب فى الجزء الأول[٢٣]. وأصوغ القول ببساطة ، فعلى الرغم من أن باحثى القرن التاسع عشر أكثر استحقاقًا للثقة من كتاب العصور الكلاسية فى علمى الحيوان والطبيعة، إلا أن معظم مؤسسى النموذج الآرى كانوا أقل " موضوعية " بكثير من قدامى الإغريق فيما يتعلق بدراسة تأثيرات منطقة الشرق الأدنى فى بلاد الإغريق. ذلك أن قدامى الإغريق كانوا نهبًا بين رغبتهم فى الارتباط بالحضارات القديمة وبين أمنيتهم فى ألا يصبحوا فى ميدان الثقافة أدنى مرتبة من المصريين والفينيقيين ، الذين كانوا لا يزالون منتشرين حولهم فى كل مكان ولا يحظون منهم بالحب والمودة. وعلى العكس تمامًا من ذلك ، فقد انساق علماء الكلاسيات فى القرن التاسع عشر - رغم وجود استثناءات قليلة - إلى توجه أحادى ، كان الهدف منه التأكيد على سيادة الخصائص " العرقية " المميزة وعلى التفوق الأساسى للأوروبيين.

وكما ذكرنا من قبل ، فإن كون النموذج الآرى قد تعززت دعائمه - على الأقل جزئيًا- على أسس من فكرتى المركزية الأوربية والتمييز العرقى ، إنما هو أمر ليس من شأنه أن يجعله عاريًا من الصحة أو عديم الفائدة فى المجال المعرفى. فالناس الذين يمقتون نظرية مالثوس (Malthus) (١٧٦٦ - ١٨٣٤) مازالوا يعتبرون أن نظرية داروين - التى أسست بكل وضوح على آراء مالثوس - مفيدة للغاية. وهناك أمرٌ آخرٌ يتعلق بموضوعنا هذا كذلك - ربما بطريقة مباشرة أكثر - ألا وهو افتراض حدوث غزو آرى لشمال الهند، فالحقيقة التى لا جدال فيها والتى مفادها أن علماء الدراسات الهندية من أنصار التمييز العرقى خلال القرن التاسع عشر قد انتشوا طربًا بهذا

الافتراض ، إنما هو تصرف لا يجعله منافيًا للحقيقة؛ إذ عجز النقد الحديث الذى اضطلع به باحثون ذوى نزعات متطرفة عن تحويله إلى افتراض لا ضرورة له[٢٤].

وحريٌ بنا أن نُلاحظ أيضًا أنه وُجدت بالهند - على خلاف بلاد الإغريق - رواية تراثية قوية مفادها أن هناك غزوًا قد يتم للمنطقة الشمالية ، وأن هناك لغات سابقة على الآرية قد ظلت باقية فيها بشكلٍ أو بآخر ، حيثما يتوقع المرء العثور عليها. ولسوف أحاول فى الفصل الثامن من هذا الجزء أن أبرهن على أن مؤرخى العصر الفيكتورى ومؤرخى بواكير القرن العشرين ، ربما كانوا على حق ، عندما رأوا أن حشود الهسكوس عند غزوهم لمصر كانت تضم بعض الأقوام القادمين من شمال سوريا ، وأن هؤلاء الأقوام كانوا يتحدثون على الأرجح بلغة هندو-إيرانية أو حتى هندو-آرية ، وبالتالى فإن هناك حالات قد يبدو فيها "النموذج الآرى " ملائمًا وصالحًا. والسؤال المطروح الآن هو: لماذا إذًا لا يبدو هذا الأمر صحيحًا فى حالة بلاد الإغريق ؟ ربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن العُنصريين من مبتدعى "النموذج الآرى " كانوا مصابين بداء " المشى أثناء النوم " - وفقًا للمصطلح الذى أطلقه كيلسر - بمعنى أنهم انبروا لتأسيس نموذج ناجح ومثمر بناء على أسباب عَرَضية أتتهم كيفما اُتُفق ، وكأنهم احتذوا نفس الطريقة التى سار على منوالها معاصرهم داروين تمامًا بتمام .

وعلى أية حال ، فإن النموذج الآرى للحق لم يقدر له النجاح فى الجانب المعرفى ولم يسهم بمزيد من الكشف ، على الأقل منذ عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر ، عندما أُتيح للظواهر الهندو-أوروبية فى اللغة اليونانية والثقافة المرتبطة بها أن تتحقق على نطاق كبير. وبالتالى، فإن فوز النموذج الآرى على النموذج القديم لا يمكن اتخاذه مؤشرًا أو دليلاً على تفوقه ؛ إذ إن هناك - فى الحقيقة - تناقضًا مذهلاً بين النجاح المثمر الذى تحقق للداروينية على المدى الطويل فى مجال التاريخ الطبيعى ، وبين افتقار المذهب الآرى إلى الملاءمة بصورة صارخة فيما يتعلق بتفسير أصل الحضارة الإغريقية أو طبيعتها. وبغض النظر عن موافقة القراء على تحليلاتى وصحة اشتقاقاتى، فليس بوسع أحد أن ينكر أن شطرًا هائلاً من الثقافة الإغريقية القديمة لا يزال غامضًا مُبهَمًا. وبالتالى، ففضلاً عن الأسباب الجوهرية التى حَدَت بى إلى تفضيل وجهات نظر قدامى الإغريق حول تاريخهم ، فإن هناك افتقارًا كبيرًا إلى الملاءمة من

جانب النموذج الآرى ، الأمر الذى يجعلنى آمل في أن أوضح فى هذا الجزء وفي الأجزاء التالية له القدرة التفسيرية الفائقة التي يتمتع بها النموذج القديم المُنقَّح.

ولنعد الآن أدراجنا لكي نستعرض موضوع التحول عن النموذج القديم والاتجاه إلى النموذج الآرى واضعينه في اعتبارنا بطريقة أكثر تجريداً ، فرغم أن مخططات الأستاذ كوهن (Kuhn) قد صممت لكي يتم تطبيقها على تاريخ العلوم الفيزيائية ، فإننى مقتنعٌ بأنها ذات فائدة معرفية أيضًا فى دراسة التغير الثورى الذى حدث فى الدراسات الإنسانية. كذلك فإننى الآن أقل ترددًا مما كنت عليه فى الجزء الأول فيما يتعلق بالنموذجين، القديم والآرى، على اعتبار أنهما مثالين أو " قالبين أم " تصاغ الدراسة على منوالهما. فأما النموذج الآرى فيتناسب مع متطلبات الأستاذ كوهن بأن "القالب الأم" (Matrix) لابد وأن يكون دراسيًا (Disciplinary) ؛ لأنه ملكية عامة لممارسة الدراسة التخصصية ، وهو " قالب أم " لأنه مركب من عناصر تم تأليفها من ضروب شتى ، يتطلب كل ضرب منها مواصفات إضافية خاصة[٢٥] – وفى أحيان أخرى يحاول الأستاذ كوهين أن يبرهن – على غرار الصياغة التى يقترحها عالم الاجتماع بارى بارنز (Barry Barnes) - على أننا مع وجود " المثال " أو "القالب الأم الدراسى "[٢٦]:

" ليس بوسعنا أبدًا ...... أن نُوجِدَ مُبررًا عقليًا ذا سياق مستقل ، يسوغ لنا تفضيل الجديد على القديم ، أو أن نُوجد برهانًا يستعصى على الإلغاء " للتقدم "؛ فالمفاهيم والإجراءات تتغير، والمشكلات ومعايير الحكم تتغير كذلك .....وليس هناك شىء من شأنه أن يزودنا بمرفأ آمن أساسى للتقييم النسبى، كما أن الثورات تفصل بين أشكال الحياة العلمية غير القابلة للقياس ".

هذه مقولة تمت صياغتها فى اصطلاحات نظرية عن الأسباب الكامنة التى دفعتنى إلى تغيير مشروعى البحث ، من تقييم مستقل وغير منحاز للجدوى المعرفية لكل من النموذجين إلى إيضاح لما يمكن التوصل إليه عن طريق التكيف مع النموذج أو المقال الجديد، ثم إن الأستاذ كوهن يحاول أن يبرهن – من خلال مصطلحات تذكرنا

بصورة ملحوظة بالدياليكتيك الماركسي - على صحة التحول من صيغة النتاج العقلي إلى الصيغة التالية لها، بقوله[٢٧]:

" ولسوف يعزف العلماء عن اعتناق (المثال الجديد) ولن ينثنوا عن ذلك إلا إذا اقتنعوا بتوافر شرطين في غاية الأهمية: الأول وجوب نجاح المثال المرشح في حل مشكلة بارزة أقر الباحثون بوجودها على نطاق عام ، وألا توجد طريقة أخرى غير طريقته لحل هذه المشكلة. والثاني وجوب محافظة المثال الجديد على قسط كبير نسبياً من القدرة على استنباط حل واقعي للمشكلة ، وهي قدرة تتمثل في الإضافة الملموسة للعلم من خلال الباحثين السابقين ".

ويبدو هذا المعنى مماثلاً من نواح كثيرة لمفهوم " فائض القيمة التفسيرية (Surplus explanatory Value) الذي أصر عليه الأستاذ لاكاتوس (Lacatos) في معرض نقده لما بدا له على أنه نزعة متصلبة أو استبدادية التغيرات الانتقالية للمثال عند الأستاذ كوهن[٢٨].

وإن الشذوذ الجسيم الذي قلل من شأن النموذج القديم كان يكمن في التناقض الواقع بين اعتقاده بأن بلاد الإغريق قد تحضرت بفضل المصريين والفينيقيين وبين مفهوم " النظرة الشاملة إلى العالم " (Weltanschauung) الذي ساد خلال القرن التاسع عشر ؛ وهو مفهوم كان ينظر إلى الأجناس على اعتبار أنها محددات حاسمة للتاريخ وعلى اعتبار أن تسلسل السلالات تنازلياً من أبيض إلى أسمر إلى أسود إنما هو أمر بديهي. ولقد استطاع "نموذج الأصل القح" (Model of Auto Chthonores Origin) أن يتجاوز هذه المشكلة ويعلو عليها ، وهو نموذج لم يتم إيضاحه إلا خلال عقد السبعينات من القرن العشرين على يد كوهن رنفرو (Colin Renfrew) ، رغم أنه كان متضمناً بصورة غير صريحة عند كل من ك.و.ميللر (K.O. Muller) وجورج جروته (George Grote) خلال الفترة الواقعة ما بين ١٨٢٠-١٨٤٠م[٢٩]. ومع ذلك ، فإن هذا النموذج لم يتح للباحثين الفرصة لدراسة الديناميات الداخلية للفترة المبكرة من تاريخ بلاد الإغريق التي أغفل الأستاذ جروته دراستها تماماً[٣٠].

أما النموذج الآرى ، فكان قادراً على أن يحقق ما هو أكثر من ذلك ؛ إذ إنه زودنا بما أُطلق عليه الأستاذ كوهن اسم " النموذج " (المثالى) لعلاقة اللغة اليونانية بسائر اللغات المنتمية إلى عائلة اللغات الهندو-أوربية. وأيًا كان الأمر ، فإن هذا النموذج الجديد لم يحقق مطلب الأستاذ كوهن الثانى ، وهو المطلب الذى ينص على: " وجوب أن يعد المثال الجديد بالحفاظ على قسط كبير نسبيًا من القدرة على استنباط حل واقعى للمشكلة ، وهى قدرة تتمثل فى الإضافة الملموسة للعلم من خلال الباحثين السابقين". أما أولئك الذين دمروا النموذج القديم وهؤلاء الذين أسسوا النموذج الآرى فقد أقدموا - على العكس من ذلك تماماً - على محو الكتابة من فوق صفحة السبورة وشرعوا فى الكتابة من جديد. والسؤال المطروح هو: لماذا إذًا يتوافق علماء التاريخ المنتمين للقرن التاسع عشر مع النموذج الذى طرحه الأستاذ كوهن؟ ويبدو أن الإجابة على هذا السؤال تكمن فيما وقفوا عليه أو أدركوه من جسامة الشذوذ الموجود فى النموذج القديم ، وهو شذوذ دفعهم إلى أن يفضلوا عليه أى نموذج آخر ، أو يحبذون عدم وجود نموذج آخر على الإطلاق. وكان السبب الداخلى الوحيد لنجاح النموذج الآرى هو قدرته على تفسير الأساس الهندو - أوروبى الذى قامت فوقه اللغة اليونانية.

وبالتالى، فقد جرى تبادل للمواقع بين هذه الميزة التى لا جدال فيها وبين الحاجة إلى إنكار التراث الإغريقى من ناحية ، ووجود آثار كثيرة لثقافة الشرق الأولى فى بلاد الإغريق من ناحية أخرى ، وهى آثار وقف عليها الباحثون القدامى ولمسوها بأنفسهم. وباختصار ، فإن حقيقة حلول النموذج الآرى محل النموذج القديم هى حقيقة لا تمنح النموذج الآرى اليد العليا ولا تجعله يحظى بالتفوق .

خلاصة البراهين والأدلة:

وعند هذه النقطة أود أن أتحدث إجمالاً عن محتويات هذا الجزء ، كى أحيط القُراء علماً بعددٍ من الخيوط التى يمكن أن ترشدهم فى خضم تلك المتاهة التى هم على وشك أن يلجونها بما فيها من حقائق ووجهات نظر لا حصر لها. وكما ذكرت آنفًا ، فإن الجزء الذى بين أيدينا يركز على مصدرين من مصادر المعلومات هما علم الآثار

والوثائق المعاصرة المتعلقة ببلاد الإغريق خلال العصر البرونزي ، وبصلات بلاد الإغريق خلال العصر نفسه بسائر منطقة شرق البحر المتوسط. وهناك مصادر أخرى للمعلومات تشمل اللغة وتسميات المواقع الجغرافية ، وعلم الأساطير ، والديانة ، سوف تتم مناقشتها أيضًا في هذا الجزء (بدون تفصيل) ، ولكنها سوف تغدو موضع تركيز عليها الضوء في الجزئين الثالث والرابع.

والفصل الأول من هذا الجزء مخصص لجزيرة كريت قبل عام ٢١٠٠ ق.م. ، نظراً لأن هذه الجزيرة تتمتع بموقع فريد بين ثلاث قارات ، هي أفريقيا وأوروبا وآسيا ، وكانت في كثير من الأحيان واحداً من أهم الجسور الرابطة بين هذه القارات. وهناك مسح مختصر لفترة العصر الحجري الحديث في جزيرة كريت منذ إدخال الزراعة والأواني الفخارية إليها من شبه جزيرة الأناضول قبل عام ٦٠٠٠ ق.م.، وكذا للتأثيرات الوافدة إليها من مصر وليبيا ومن منطقة المشرق ومن جزر الكيكلاديس والجزء القاري من بلاد الإغريق من جنوبه حتى شماله ، وهي تأثيرات تتضح وتستبين من خلال الأطلال الأثرية المتبقية من هذه الفترة الزمنية الطويلة.

ولم تكن جزيرة كريت خلال فترة العصر الحجري الحديث تحظى بذات القدر من الأهمية النسبية التي حظيت بها المناطق المزدهرة حول منقطة البحر الإيجي ، على اعتبار أن أكثر المناطق أهمية آنذاك كانت السهول الشاسعة المنتجة للقمح شمالي بلاد الإغريق. ولكن هذه المناطق المزدهرة بدأت في التقهقر والتأخر مع بداية العصر البرونزي قبل عام ٣٠٠٠ق.م.، في نفس الوقت الذي غدت فيه جزر منطقة البحر الإيجي الجنوبية وسواحلها أكثر ثراءً وتطوراً. وهناك قدر من النقاش الذي يثار حول أسباب هذا التحول الجغرافي ، ويحاول نفر من الباحثين أن يبرهنوا على أن السبب في هذا التحول هو إدخال محاصيل جديدة من محاصيل البحر المتوسط إلى المنطقة من الشرق، ونخص منها بالذكر العنب والزيتون. غير أن هناك باحثين آخرين يتساءلون عن التاريخ الذي أدخلت فيه هذه المحاصيل ، ويفضلوا أن يؤكدوا على أن السبب هو التحسينات التي طرأت على الملاحة والسفن وزيادة التبادل التجاري تبعًا لذلك. وسواء أخذنا بالرأي الأول أو انحزنا للرأي الثاني ، فإن انتقال الازدهار من الشمال إلى الجنوب يبرهن على وجود مزيد من الاتصال مع منطقة الشرق الأدنى.

ولقد أكدت التقنيات العلمية الجديدة ، التي يمكن عن طريقها التوصل إلى تحديد دقيق للمكان الأصلي الذي جاءت منه الأواني الفخارية والأدوات المعدنية المحتوية على مقدار من معدن الرصاص ، أكدت صحة وجهات النظر التي ذهب إليها " أنصار نظرية الانتشار المعدل" التي سادت خلال بدايات القرن العشرين. غير أن هذه النظرية كانت تسير في الاتجاه المضاد لنظريات الغُلاة المتطرفين من " دُعاة الانفصال ذوي النزعة التنقيحية " بقيادة الأستاذ كولن رنفرو (Kolin Renfrew) ، أستاذ الآثار بجامعة كمبردج. فلقد بات واضحًا الآن أن الفترة الزمنية الممتدة من نهاية الألفية الرابعة إلى بداية الألفية الثالثة ق.م. كانت فترة تبادل تجاري واسع النطاق ، وهو تبادل تجاري يمتد من الشرق الأوسط حتى إسبانيا والمجر في أقصى الغرب وحتى أفغانستان في أقصى الشرق. وفي مثل هذا الامتداد الجغرافي الرحب يصبح التصور القائل بأن الاتصالات التي تمت حول منطقة شرق البحر المتوسط كانت محدودة أو مقيدة تصوراً لا معنى له(*).

وفي الفصل الأول ، الذي يتم فيه تسليط الضوء على جزيرة كريت ، نجد قدراً من النقاش حول إدخال طرق جديدة للتعدين وطرز جديدة لتصنيع الأواني الفخارية إلى الجزيرة خلال تلك الحقبة الزمنية، بالإضافة إلى خصائص ثقافية أخرى يبدو أن منطقة المشرق كانت منشأها الأول . وإن لنا أن نعتبر بداية العصر البرونزي هي أكثر الفترات احتمالاً – فيما يبدو– لدخول إحدى اللغات السامية الغربية إلى جزيرة كريت ، لتصبح واحدة من اللغات المهمة – إن لم تكن هي اللغة السائدة – التي قدر لها أن تستمر في الجزيرة حتى ظهور اللغة اليونانية خلال النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م. ، ووجود آثار تشهد على وجودها فيها . ومن الواضح – في ذات الوقت – أن الديانة الكريتية التي كانت سائدة خلال العصر المينوي المبكر كانت متأثرة بمصر أبلغ

(*) ما ظهر في كريت ، في النصف الثاني من الألفية الثانية ، لم يكن لغة يونانية ، بل هو فقط كتابة خطية، المعروفة باسم (Linear B) ، ولا علاقة لها بالأبجدية اليونانية فيما بعد ١١٠٠ق.م. راجع كتابنا/ تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م حول علاقة مصر بكريت ومظاهر هذا التأثير المصري الفني والديني. (المحرر)

التأثر ' إذ تم العثور على أدوات وموتيفات فنية مصرية ومشرقية فى الجزيرة منذ الألفية الثالثة ق.م.

ونجد كذلك قَدْراً من النقاش حول الكتاب المتعلق بهذه الحقبة الزمنية ، والذى دونته عالمة الآثار لوسي جوديسون (Lucy Goodison) التي تنتمي إلى مذهب الأنثوية (Feminism) في البحث العلمي. ذلك أن جوديسون هاجمت المفهوم السائد بأن الكريتيين كانوا يعبدون ربة أم من ربات الأرض ، وأقامت الدليل على أن الرسوم التصويرية والنحتية فى الجزيرة توضح أن الكريتيين كانوا ينظرون إلى الشمس باعتبار أنها أنثى. والحق أن هناك مبررات إيديولوجية ذات أهمية توضح السبب الذى حدا بباحثي القرنين التاسع عشر والعشرين إلى تفضيل صورة الأرض الأم باعتبارها موضوعًا ملائمًا للعبادة السائدة بين الشعوب غير الآرية. كما أن علماء اللغة – منذ بداية القرن التاسع عشر– ارتأوا أن الآريين شعب ذكورى روحى يعبد السماء ، وأن الشعوب التى انتصر عليها الآريون كانت شعوبًا أنثوية فى المقام الأول ومعنية أساساً بالأرض وبالمادة. ورغم أن الشمس في مصر القديمة كانت مذكرة ، فإن السماء كانت مؤنثة ، أما الأرض فكانت غالبًا مذكرة. ولقد كانت لوسى جوديسون على حق فى نظرتها إلى الديانة التي اعتبرتها كريتية بعد أن شكلت قوامها من جديد على نحو محدد. وعلى أية حال ، فقد ضربت جوديسون أمثلة مشابهة من الديانة المصرية القديمة لافتة للنظر، مثل تصور المصريين القدماء للشمس وكأنها تجر داخل زورق فى عرض السماء ، ومثل وجود سيدتين بصحبتها فى الصباح ، يبدو أنهما تماثلان الربتين المصريتين إيزيس ونفتيس (Nephthys) ، اللتين ذرفتا الدمع الهتون حزنًا على موت أوزيريس.

وعلى وجه الإجمال ، فيبدو واضحًا أنه كانت هناك صورا إقليمية مختلفة للثقافة داخل جزيرة كريت ، وأن هذه الصور المختلفة قد احتوت جميعها على عناصر محلية قدر لها الاستمرار منذ العصر الحجرى القديم ، غير أنها تكشف أيضًا عن وجود تأثيرات بالغة من قبل الثقافات المجاورة ، أى من جزر الكيكلاديس من ناحية الشمال ، ومن شبه جزيرة الأناضول من ناحية الشمال الشرقى ، بل وحتى من مصر بقدر أوفر من ناحية الجنوب، ومن منطقة المشرق من ناحية الجنوب الشرقى. ولقد قُدِرَ لوجهة

النظر الحريصة هذه ، المتفقة مع الفطرة السليمة ، أن تظل مقبولة تمامًا حتى عقد الستينيات من القرن العشرين ، أى بعد انقضاء فترة طويلة من الزمن من بزوغ النموذج الآرى المتطرف. فحتى عقد الستينيات من القرن العشرين ، لم يكن القبول العام بوجود تأثيرات شرقية فى الثقافة السابقة على الهيلينية يشكل سوى تهديد ضئيل للنموذج الآرى. ذلك أن الأقوام الناطقين بلغات ليست هندو-أوربية رغم كون أصولهم قوقازية ، ومعهم إلى حد ما الشعور الأوروبية السابقين على وجود الهيلينيين ، كانوا يقومون بدور المصفاة التى تنقى الثقافة الإغريقية من التأثيرات الأفريقية والسامية الوافدة إليها. ولقد حاول عالم الآثار المتميز النظرة ذو الآراء التقدمية ، جوردون شيلد (Gordaon Childe) ، على سبيل المثال ، أن يثبت صحة نظرية "الانتشار المعدل" والتأثيرات الحاسمة الوافدة من منطقة الشرق الأدنى فى أوربا إبان العصور السحيقة، رغم أن شيلد نفسه كان - فى فترة شبابه - البطل المغوار المتحدث بلسان حال التفوق الآرى.

ومنذ عام ١٩٧٢ أصبح عالم الآثار كولن رنفرو ، الأستاذ بجامعة كامبردج ، هو الشخصية المهيمنة فى مجال تفسير الموضوعات المتعلقة بمنطقة البحر الإيجى إبان الألفية الثالثة ق.م. ذلك أن رنفرو اقتفى خطى اتجاه كان سائدًا فى الدراسات الأثرية والدينية الخاصة بالحضارة الإغريقية ، وهى دراسات تتصور أن أصول الثقافة الإغريقية ليست وقفًا على الآريين الذين ساد اعتقاد بأنهم نزحوا إلى بلاد الإغريق من ناحية الشمال ، بل تتمثل فى الشعوب الأصيلة التى كانت تقطن منطقة البحر الإيجى. وكان رنفرو يحاول فى الحقيقة أن يثبت صحة " نموذج الأصل القُح "، كما أنه ذهب إلى القول بأن أنماط اللغات الهندو-أوربية قد وفدت من خلال الزراعة، ليس فقط إلى بلاد الإغريق وحدها بل أيضًا إلى قارة أوروبا بأسرها. ويرى رنفرو - وفقًا لخطته البحثية - أن الأثر الحاسم فى الحضارة الإغريقية إنما يتمثل على الأرجح فى التأثير الكبير الوافد من قبل منطقة المشرق ومصر ، وهو تأثير كان بوسع الباحثين المبكرين أن يقفوا على آثاره فى حضارة كريت إبان الألفية الثالثة ق.م. وبناء على ذلك ، فقد كان من الضرورى بالنسبة له أن تكون بلاد الإغريق قد حَظِيَتْ بطفولة نقية لا تَشوبُها تأثيرات شرقية. وفى هذا يقول[٣١] :

" ولقد كانت هناك تغيرات لافتة للنظر ، حدثت بكل ميدان على امتداد ألف عام في كل أرجاء منطقة جنوب البحر الإيجي .... ولم تكن هذه التطورات تدين للتأثير الشرقي إلا بالنذر اليسير ، وإن كانت الملامح الأساسية المميزة للحضارة المينوية - الميكينية التي أعقبتها قد تحددت خلال تلك الفترة ".

وطالما أن الأستاذ رنفرو قد استخدم مصطلح " الغُلاة من المتخصصين في الدراسات الآرية " كوصفٍ للباحثين الذين أنكروا كافة التأثيرات المصرية والفينيقية في بلاد الإغريق ، فمن الصعب على المرء أن يعثر على مصطلح آخر مناسب ينطبق على هؤلاء الذين يذهبون أبعد من ذلك ، فينكرون كافة المؤثرات الشرق-أوسطية في الشعوب السابقة على وجود الهيلينيين ؛ على حين يرتأون في ذات الوقت أن الأوربيين الأوائل مجرد مزارعين منتمين للعصر الحجري الحديث أكثر من كونهم آريين مستخدمين لمعدن البرونز وللمركبات ذات العجلات. وفي تصوري أن مصطلح " الغُلاة من المتخصصين في الدراسات الأوروبية " مصطلح لا يبعث في النفس إلا أدنى درجة من الرضى.

أما الفصلان الثاني والثالث فيمنحان اهتمامًا أكبر لمنطقة بويوتيا التي هي عبارة عن سهل يقع في المنطقة الوسطى من بلاد الإغريق وتحيط به الجبال من كل جانب. وخلال هذا السهل كان يجري عدد من الأنهار التي كانت تتكون عادة في بعض أجزائها مستنقعات ضحلة على شكل بحيرات ، كان أكبرها كوبائيس (Kopais) ؛ وكانت هذه البحيرات في الغالب مغلقة بغير منفذ يوصلها إلى البحر. ولكن حدث في فترة ما من فترات العصر البرونزي أن جرى حفر قنوات وتشييد أنفاق - تم الكشف عنها حديثًا - للربط ما بين الكهوف ، وكان الغرض من هذه القنوات والأنفاق هو تجفيف البحيرات سالفة الذكر عن طريق إيجاد مخارج تتسرب إليها المياه إلى أن تصب في البحر. ولقد اتضح لنا أن عمليات تجفيف هذه البحيرات وأن تقنيات الري المستخدمة في هذا السهل كانت بالغة التعقيد والتطور ، وأنه عندما قدر لها الانهيار في نهاية العصر البرونزي لم يحل محلها نظام بديل حتى القرن التاسع عشر الميلادي، برغم بذل محاولات وجهود عقد العزم عليها.

ولم يكن هذا الطراز من التعقيد ذى المستوى الرفيع فى إنشاء مثل هذه الحواجز والأنفاق موجوداً ومنفذاً فى حوض البحر المتوسط آنذاك على هذا المستوى إلا فى مصر. وبالتالى ، فإن هذا النظام المتطور للرى فى بويوتيا ، بالإضافة إلى وجود رابية صناعية مدرجة بالغة القدم اعتقد العالم الذى كشف عنها حديثًا أنها تقليد لهرم مصرى ، إنما هما أمران قمينان (بإقناعنا) بإمكانية وجود تأثير مصرى - إن لم يكن استعماراً مصريًا - فى منطقة بويوتيا خلال العصر البرونزى المبكر.

ويبدأ الفصل الثانى بمسح شامل للروابط الموجودة بين بويوتيا ومصر والتى أمكن للكتاب الكلاسيين والهيلنستيين الوقوف عليها وتبنيها. وتمثل هذه الروابط جزئيًا فيما يمكن استنباطه من تسمية عاصمة كل بلد من البلدين باسم طيبة(*)، بل إنها تمثل أكثر من ذلك فى التشابه القائم بين ضفاف النيل والدلتا من ناحية ، وبين الشواطئ ذات المستنقعات لبحيرة كوبابيس فى بويوتيا من ناحية أخرى. ومع ذلك ، فإن القسم الأكبر من الفصل الثانى يوجه عناية خاصة بالنظائر الأسطورية وتلك المتعلقة بالعبادات بين كل من بويوتيا ومصر. وهناك أهمية خاصة حول نشأة عبادة للربة أثينا على الشاطئ الجنوبى لبحيرة كوبابيس ، إذ اعتقد أنه يمكن إرجاعها إلى عبادة نظيرة الربة أثينا المصرية ، وأعنى بها الربة نيت (Neit) بوصفها ربة مختصة بتنظيم توزيع الماء. وهناك أسطورة مصرية تصور الربة نيت على صورة بقرة تواصل السباحة فى (قنوات) الدلتا إلى أن تستقر فى نهاية الأمر عند بقعة أصبحت فيما بعد سابيس (Sais) ، المدينة المقدسة لهذه الربة. وتشبه هذه الأسطورة المصرية بصورة لافتة للنظر أسطورة إغريقية عن كادموس ، مؤسس مدينة طيبة الإغريقية ، حيث مثلته وهو يقتفى خُطَى بقرة إلى أن حطت رحالها عند موقع المدينة التى قدر لها مستقبلاً أن تصبح مدينته.

(*) كلمة "طيبة" مصرية قديمة مكونة من لفظين هما : " تى " ، وهى أداة التعريف فى اللغة المصرية القديمة، "إبة" بمعنى المكان أو الموقع الممتاز. ومنها أخذت الكلمة اليونانية "ثيباى"(Thebai) التى أطلقت على مدينة طيبة الإغريقية. (المترجم)

ولقد قام كادموس بعد ذلك بالتضحية بهذه البقرة هناك ، ثم أسس فى مدينته عبادة الربة أثينا الملقبة بلقب غامض هو أونجا (Onga) أو أونكا (Onka) . ولم يكن الكاتب القديم والرحالة المشهور بأوسانياس يملك تفسيراً لأصل هذا اللقب ، ولكنه أعرب عن اعتقاده بأنه فينيقى فى الوقت الذى آمن فيه كتاب آخرون بأنه مصرى. ويكاد أن يكون من المؤكد أن التسمية " أونكا " ترجع إلى اسم الربة المصرية "عنقت" (cn kt) التى عرفت لدى إغريق العصر الهيلنستى باسم أنوكيس (Anukis) ؛ وأنوكيس هى ربة جنادل النيل وربة الجزر الواقعة فى مجراه المتشعب عند هذه الجنادل. ومن الأمور التى تخلب اللب فى هذا الصدد أن نجد أن مدينة طيبة الإغريقية قد شيدت على حافظة جرف تتدفق فوق ثلاثة جداول يتشابك مجرى كل منها مع الاثنين الآخرين. أما الاسم الأسطورى الآخر المناظر للقب " أونكا " - وهو أونكايوس (Onkaios) فى منطقة أركاديا بشبه جزيرة البيلوبونيس - فكان مرتبطًا باللسان المنبسط لمجرى نهر الأردن سريع الجريان ، حيث تتفرق مياهه لتكون مجموعة من الجزر. ومن الواضح أن هناك تورية متضمنة فى الجذع السامى " عنق " (c nq) الذى يعنى العقد (Necklace) . ذلك أن الأساطير المتعلقة بتأسيس مدينة طيبة - وبوجه خاص تلك الأساطير التى تدور حول هارمونيا (Harmonia) زوجة كادموس - ترتبط أشد الارتباط بالحديث عن العقود وغيرها من الحبال أو الأربطة.

وهناك أيضًا قدر من الأهمية يتعلق بسيدة أسطورية أخرى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمدينة طيبة الإغريقية ، وهى ألكمينى التى غرر بها الإله زيوس وعاشرها ، وكان من نتيجة ذلك أنها أنجبت ابنه هيراكليس (=هرقل). ولذا فقد تم تخصيص قسط وافر من الفصل الثانى للتأمل فى الخيوط المتشابكة التى تجمع بين العناصر الوافدة من بلاد ما بين النهرين ومن المنطقة السامية الغربية ومن مصر، وهى عناصر تفاعلت فيما بينها وتضافرت كى تسهم فى خلق صورة أعظم بطل إغريقى ، وعلى وجه التحديد طيبى. هذه الأحداث السالفة عبارة عن معبودات زلقة ومراوغة للغاية من كافة الثقافات الثلاث المذكورة ، غير أنها تتضمن كذلك فراعنة من الملوك المصريين وبوجه خاص من ملوك الدولة الوسطى ، الذين سوف تتم مناقشة فتوحاتهم وانتصاراتهم وما هو مرجح من تأثير لهم فى بلاد الإغريق فى الفصول الأخيرة من هذا الكتاب.

ويثير هذا قضيتين أكثر عمومية ، تتلخص الأولى منهما في أن ما كان يُنظر إليه بوجه عام على أنه مفهوم إغريقي مميز عن البطل نصف المؤله المنجدر دومًا من سلالة ملكية ، يمكن رد أصله إلى الرجل - الإله أو الفرعون المؤله في مصر. أما الثانية فمفادها أنه قد يوجد قدر من الحقيقة المادية في أفكار الكاتب الإغريقي يوهيميروس (Euhemeros) ، الذي كان معاصراً لفتوحات الإسكندر الأكبر المذهلة ولتأسيس الممالك الهيلنستية التي يتمتع حكامها بالقدسية؛ ذلك أن يوهيميروس قد حاول أن يثبت أن الاعتقاد بوجود الأرباب قد صدر عن أشخاص متميزين لا مثيل لهم. ولقد استخدم مصطلح " اليوهيميرية " (Euhemerism) في العصور الحديثة بمعنى مغاير لهذا المعنى تمامًا - وأنا واحد من الذين يمكن توجيه اللوم لهم على ذلك الاستخدام - ألا وهو وصف تحول الشخصيات الأسطورية الخالدة إلى شخصيات تاريخية من بني البشر. وليس هناك شك - في حقيقة الأمر - في أن كلتا العمليتين تتكرران بصورة نسبية ، وبالتالي فإنه من المحتمل في هذه الحال أن فراعنة الدولة الوسطى كانوا بمثابة عناصر أساسية مهمة في تشكيل صورة البطل هيراكليس.

وعلى وجه الإجمال ، فإن الفصل الثاني يقدم توضيحًا للنظائر الأسطورة التي تتسم بالتفصيل والتعقيد والتي توجد بين إقليم بويوتيا وبين الشرق الأدنى ويعود القسط الأكبر منها إلى فترة العصر البرونزي ، على حين يعود بعضها إلى الألفية الثالثة ق.م. وهو أمر لابد منه لكي يزودنا بخلفية تتيح لنا تقييم الدعاوى المتصارعة التي ذهب إليها علماء الآثار المحدثين عن إقليم بويوتيا ، وهو ما سوف تتم مناقشته في الفصل الثالث. وكما سبق أن ذكرنا ، فهناك مؤشران ماديان أساسيان يبرهنان على احتمال وجود تأثير مصري في العنصر البرونزي. وأولهما هو "المدفن" أو "الهرم" المنسوب لكل من أمفيون (Amphion) وزيثوس (Zethos) ، ومن المؤكد أنه بناء ضخم شيد على أيدي بنائين ، وأنه قد حَظِيَ بقدسية غير عادية خلال العصرين الكلاسي والهيلنستي ، وأن أميفون وزيثوس قد اعتبرا مؤسسين لمدينة طيبة الإغريقية. فلقد ثار الجدل منذ العصر الكلاسي حول كونهما المؤسسين الأولين لمدينة طيبة أم لا ، بمعنى هل قَدِما إلى مدينة طيبة الإغريقية قبل كادموس ، كما أن المؤرخ فريكيديس (Pherekydes) - الذي ساد اعتقاد كبير بأنه استخدم مصادر فينيقية - يضيف إلى

هذه المعلومة أن المدينة التى أسسها كلاهما قد دمرت ، وأن كادموس عندما وفد إلى المنطقة أعاد بناء مدينة طيبة الإغريقية على أنقاض المدينة (الأقدم) فى نفس الموقع.

وهناك قدر من الشك فى هذه الرابية (=المدفن) ترجع فى زمنها إلى عصر الخزف المعروف لدينا باسم العصر الهيللادى المبكر الثانى EH II (=Early Helladie II) ، والذى تمتد فترته ما بين عام ٣٠٠٠ وعام ٢٤٠٠ ق.م. ، بمعنى أنه يتزامن مع عصر الدولة القديمة فى مصر. ويعتقد الأستاذ ثيودوروس سبيروبولوس (Theodoros Spyropoulos)، الذى أشرف على الحفائر المتعلقة بهذه الرابية ، أن بناء المدرجات فيها متطور ورفيع المستوى ويشبه إلى حد بعيد الأهرامات المصرية المبكرة(*) ، وقد تم نهب المدفن المقام على قمة هذه الرابية. ورغم أن سبيروبولوس يعتقد أن المكتشفات القليلة التى تم العثور عليها فى الموقع الأثرى قد وفدت من مصر، إلا أنه من الصعب علينا أن نحدد أصلها على وجه اليقين. ولو أننا أخذنا فى الاعتبار الخلفية الأسطورية التى سلفت الإشارة إليها وحقيقة كوننا نعرف أن المصريين كانوا حتى هذه الفترة الزمنية مستمرين فى تشييد أهراماتهم ، فقد يبدو من المنطقى أن نفترض وجود تأثير مصرى على أقل تقدير – إن لم يكن وجوداً مصرياً – وأن هذا التأثير يتمثل فى الأعمال الإنشائية الضخمة المطلوبة لإقامة مثل هذا الأثر.

ولقد أظهرت الحفائر التى جرت حديثًا وجود مستوى عالٍ من الرخاء والتمدن فى منطقة بويوتيا خلال العصر الهيللادى المبكر الثانى (EH II) . ومن اللافت للنظر حتى الآن وجود تلك " المبانى الدائرية " – التى يطلق عليها الألمان اصطلاحًا اسم (Rundbauten) ، وهى مبانى تنتمى لهذا العصر تم العثور عليها بالقرب من مدينة أورخومنوس (Orchomenos) ، على الشاطئ الشمالى بحيرة كوبايس. وأكثر التفسيرات مدعاة للقبول هو أن هذه المبادئ كانت صوامع للغلال. ولقد أوضح الأستاذ سبريدون مارينوتوس (Sprydon Marinutos) ، الذى ظل عميداً لعلماء الآثار فى بلاد اليونان حتى رحيله عن الحياة فى أواخر السبعينيات من القرن العشرين ، أن هذه

(*) والإشارة هنا إلى هرم زوسر المدرج بسقارة الذى كان مكونًا من عدة مصاطب يعلو بعضها بعضاً. (المترجم) .

الصوامع تشبه إلى حد بعيد صوامع مماثلة تم العثور عليها فى مصر ، ووجدت لها صور واضحة فى رسوم المقابر المصرية. وبناء على ذلك، فقد حاول مارينانوس أن يُثبت أنها تبرهن على وجود تأثير مصرى فى المنطقة خلال هذه الفترة المبكرة من الزمن. ومن ناحية أخرى، فإن وجود هذه الصوامع كانت منتشرة على نطاق واسع فى السهل، سواء على شواطئ بحيرة كوبابيس أو على ضفاف نهر كيفسوس (Kephissos) الذى كان يجرى فى هذا السهل ، وقد يبدو رغم ذلك ، أن من الأكثر مدعاة للتصديق أن نفترض أن هذه الوفرة الملحوظة فى الحبوب كانت نتيجة لعمليات التجفيف الاصطناعية ولنظام الرى الذى كان سائداً .

أما الفكرة القائلة بأن تاريخ أقدم الحواجز المقامة فوق الأراضى المنخفضة المستصلحة فى حوض بحيرة كوبابيس يرجع إلى العصر الهيللادى المبكر الثانى ، فهى ليست بفكرة جديدة. ذلك أن المهندس لوفر (Lauffer) ، عالم الآثار الألمانى الذى كرس حياته العلمية بأسرها لدراسة الإنشاءات الهيدروليكية ، قد اعتقد أن تاريخ هذه الحواجز يعود بالفعل إلى هذا العصر المذكور. غير أن من خلفوه من الباحثين المحدثين كانوا أكثر منه احترازاً وحذراً، إذ إنهم اكتفوا بأن أكدوا أن أقدم هذه الإنشاءات يعود إلى فترة ما قبل العصر الميكينى. ولكن سبيروبولوس يؤكد أنه عثر على فخار يعود تاريخه إلى العصر الهيللادى المبكر الثانى فوق أحد هذه الحواجز ، وبالتالى فإنه يعزز موقف الأستاذ لوفر. وهكذا ، فإن نقطة التقاء تتجمع فيها الأدلة المتمثلة فى : الهرم ، حواجز الماء ، المبانى الدائرية ، والرخاء البادى بوجه عام خلال هذه الفترة ، وهى أدلة تبرهن على وجود أعمال إنشائية بالغة الفخامة فى منطقة بويوتيا خلال منتصف الألفة الثالثة ق.م. وعلاوة على ذلك ، فليس " الهرم " وحدة ولا " المبانى الدائرية " فقط هى التى تدل دون سواها على أن هذه الأعمال الإنشائية كانت وثيقة الصلة بمصر؛ ففى تلك الفترة تقريباً وجدت طرق متطورة رفيعة المستوى لتجفيف المستنقعات وللرى فى بلاد ما بين النهرين قدر لها أن تستمر لعدة آلاف من السنين. ومع ذلك، فمصر كانت أقرب موقعاً وكانت منهمكة فى إنشاء الأعمال الهيدروليكية الضخمة خلال عصر الدولة القديمة. وبالتالى، فقد يبدو من الأرجح أن تكون مصر هى مصدر الخبرة اللازمة للتعامل مع المشكلات المعقدة التى كانت لازمة للتحكم فى بحيرة كوبابيس.

ولم تكن بويوتيا هي المنطقة الوحيدة في بلاد الإغريق التي تم تجفيف أرضها وريها خلال العصر البرونزي ، فلقد وجدت حواجز عديدة وسدود مشابهة في منطقة أركاديا الجبلية وسط شبه جزيرة البيلوبونيس. ولم يتم تحديد تاريخ لإنشاء هذه السدود ، ولكن المتخصصين في علم الآثار والمهندسون الذين قاموا بمسحها يعتقدون أن مواطن الشبه الكائنة فيها تدلل على أن إنشاءها تم في نفس العصر الذي تم خلاله إنشاء نظائرها في بويوتيا. بل إن هناك ما هو أشد من هذا روعة ، وأعني به السد الضخم المقام قرب مدينة تيرنس (Tiryns) في سهل منطقة أرجوس، إذ تم إنشاء هذا السد على مقياس أضخم من السدين القائمين في بويوتيا وأركاديا، فضلاً عن عدم وجود أوجه للتماثل بينه وبينهما.

ولقد ازدادت إمكانية الاعتقاد بأن سد مدينة تيرنس قد بدأ إنشاؤه أيضاً خلال العصر البرونزي المبكر(*)، عندما تم العثور على مبنى دائري (Rundbau) (أو صومعة) ذي أبعاد بالغة الضخامة لدرجة توحي بأنه كان قميناً بتخرين كافة المحاصيل التي كانت تزرع بسهل أرجوس. ولا يبرهن هذا فحسب على توافر رخاء ملحوظ ، بل يدلل كذلك على إدارة سياسية مركزية وقوية – أو على الأقل إدارة اقتصادية مؤثرة – من طراز يعجز الأستاذ رنفرو عن تخيله ، استناداً إلى نموذجه الذي يذهب فيه إلى القول بأن الزراعة كانت على نطاق ضيق خلال ذلك العصر. ولقد أوحى إلينا المبنى المهم – الذي تم اكتشافه في ليرنا (Lerna) خلال تلك الحقبة الزمنية والذي يعرب اسم "منزل القرميد " – أوحى إلينا كذلك بمثل هذا الطراز الفائق من قوة الإدارة والتنظيم. وسواءً كان هذا المبنى قصراً صغيراً أو مقراً لمجلس من المجالس ، فهو يؤكد الصورة التي أوحى بها " المبنى الدائري " من وجود إدارة مركزية متطورة على مستوى رفيع.

ويولي الفصل الثالث أيضاً عناية خاصة بأسماء الأماكن الجغرافية ومواقع الفيضانات والري. فالاسم فينيوس (Pheneos) أو بينيوس (Peneios) - على سبيل

(*) هذا وإن كان العالم الألماني كيليان (Kilian) - مدير حفائر المعهد الألماني للآثار في أثينا – في صيف عام ١٩٨٠ حينما كنت ضمن البعثة الأثرية الألمانية في حفائر تيرنس – قد أكد أن هذا السد يؤرخ بالعصر الميكيني ١٦٠٠–١٢٠٠ ق.م. (المحرر).

المثال – كان أحد الأسماء الشائعة التى تُطلق على الأنهار والبحيرات ، وكان يتم تداوله وإطلاقه فى كافة أرجاء بلاد الإغريق ، وبوجه خاص فى إقليم تساليا الذى يقع شمال بويوتيا وفى أركاديا. وليس لهذا الاسم أصل هندو-أوربى ، ويبدو أنه مأخوذ على الأرجح عن الكلمة المصرية القديمة "بوونوى " [P ; Nw (y)] (=الفيضان). ولقد وُجِدَت أدلة قوية فى كل من تلك المنطقتين تُثبت أو الزلازل كان بوسعها أن تُسفر عن وجود كُتَل من الأرض على شكل سدود تؤدى إلى حدوث فيضانات ، كما كانت تنتج عنها روايات أسطورية قديمة تربط بينها وبين الفيضانات ونظم الرى التى لا يتصدى لها سوى الأبطال .

ومن أهم الأسماء شيوعًا فى بلاد الإغريق اسم كيفيسوس [Kephis(s)os] ، وأعتقد أن هذا الاسم مأخوذ عن تسمية مصرية قديمة لموقع جغرافى ، هى: " كفو " [Kbh (w)] ، وهى كلمة تطلق فى مصر بصورة عامة على الجداول والأنهار ومجارى المياه الأخرى. ومن الواضح أنها مرتبطة بكلمتين من اللغة المصرية القديمة ، هما: "كب" (Kbb) (= بارد) و "كف" (Kbh) (= نقى) . وكانت كلمة " كب " تسمية تُطلق على الكهفين الكبيرين الموجودين فى النيل قرب جزيرة إلفانتين عند الشلال الأول ، واللذين كان يُفترض أن نهر النيل ينبع أو يستمد مياهه منهما ، ويبدو أنه كان هناك ارتباطٌ بصفة عامة بين التسمية " كفو " وبين المياه الباردة النقية التى كانت تنبجس من باطن الأرض. وكان هناك اعتقاد بأن كثيراً من الأنهار – إن لم يكن جميعها – التى تسمى باسم كيفيسوس كانت تنبع من تحت الأرض أو تصب مياهها داخل الأرض ، وأن مياهها كانت تستخدم فى طقوس التطهير. وكانت كلمة "كفو" تستخدم أيضًا كتسمية خاصة للمكان الذى تكثر فيه البرك والمستنقعات أو البحيرات التى ترتادها الطيور المائية. وقد يبدو مثل هذا الاشتقاق ملائمًا للاسم الذى أطلق عليه بحيرة كيفاياى (Kêphayai) فى أركاديا ، وعلى اسم بحيرة كوبايس ذاتها التى كان يصب فيها نهر يسمى كيفيسوس.

وكانت هناك مدن عدة تحمل اسم " أورخومنوس " فى كل من بويوتيا وأركاديًا ، وكانت هذه المدن تتميز بوقوعها بالقرب من حواجز وقنوات تنتمى للعصر البرونزى. ومن الواضح أن هذا الاسم الجغرافى ، وأعنى به " أورخومنوس " ، يرجع فى تاريخه

إلى العصر البرونزى ، حيث إنه دُوِنَ فوق ألواح كتابية مكتوبة بالخط الثانى. ولقد اقترح البعض أن هذا الاسم مشتق من جذع هندو-أوربى بمعنى " قريب " أو " دانى " ، وأنه تَشَكَّل من هذا الجذع -فى اللغة اللقوانية (Likuanian) -وهى لغة هندو-أوربية - الفعل (Veróiu) (= يطوق، يحصر ، يحبس). ومع ذلك ، فقد يبدو أن هناك اشتقاقًا - أكثر مدعاة للقبول - يتمثل فى الجذع الكنعانى " عرك "[*] (Irk) ، الذى يعنى أساسًا " ينظم فى صفوف " ، " يصف " ، وفى السياق العسكرى يمكن ترجمته " يعد الجيش للقتال ". وقد يبدو أن هذا الجذع " عرك " كان هو الأصل لطائفة متشعبة من الكلمات الإغريقية التى تبدأ بالسابقة (-arch) ، وهى كلمات ليس لها أصول هندو-أوربية ، وتعنى " يسير أولاً " ، أو " يكون على رأس " ، " يتزعم " فى السياق العسكرى. إذًا ، فمن المحتمل أن الكلمات الإغريقية المبدوءة بالسوابق (-orch) ، أو (-erch) ، قد تم اشتقاقها جميعًا من الجذع السامى "عرك". وهذا أمر من شأنه أن يعزز الافتراض بأن كلمتى "أورخومنوس" و "إرخومنوس" (Erchomenos) تعنيان "مكانًا منظمًا" أو "موقعًا يمكن التحكم فيه"، وأنهما تشيران إلى الحواجز أو السدود والقنوات القريبة منه. وعلى الرغم من ثبوت الأصل السامى لهاتين الكلمتين بصورة نهائية ، إلا أن اللاحقة - (menos) الموجودة فى كل منهما توحى بأنها نهاية اسم مفعول فى حالة البناء للمجهول وفقًا لخصائص النمو فى اللغة اليونانية القديمة، الأمر الذى يجعل اسم الموقع الجغرافى نفسه يبدو فى الصورة الإغريقية. وأيًا كان الأمر ، فقد يبدو أنه وجدت ظاهرة يطلق عليها علماء اللغة بطريقتهم المشوقة اسم " التشويه الاشتقاقى " (Contamination) ، وبناء على هذه الظاهرة فإن كلمة " أورخومنوس " قد تكون محورة عن الكلمة السامية (mayîm) (= المياه)[**]، وبالتالى فقد يكون من الأصلوب أن نترجمها " بالمياه التى جرى التحكم فيها " ، وهو ما يتناسب تمامًا مع السياق.

(*) وأعتقد أن من هذا الجذر " عرك " جاءته الكلمة العربية " عرك ، يعرك " وكذلك الاسم المشتق منها "معركة ". (المترجم)

(**) النهاية (im) فى السامية نهاية نحوية تفيد الرفع ، وبالتالى فإن الجذع المشترك بين السامية والعربية هو "ماى ". (المترجم)

ويجب أن يتم النظر إلى هذه الاشتقاقات الممكنة في سياق الأعمال الإنشائية التي كانت متبعة بالفعل قديمًا في الري ، والاحتمال الأرجح هو أن المهارات اللازمة لهذه الأعمال لابد وأن تكون قد وفدت أولاً من مصر وثانيًا من منطقة المشرق ، كما أن الروايات المتواترة القديمة كانت تربط بين الذين هاجروا من مصر وبين نظم الري المبكرة. ولكن الصعوبة الكبرى تكمن في الوقوف على الخصائص المميزة لهذه الفترة الواقعة في نطاق العصر البرونزي ، والتي وفدت إبانها التسميات التي تمت الإشارة إليها في دور التطور خلال الألف الثانية ق.م.، ومن الملاحظ أن الألفاظ الخاصة بها قد وفدت خلال الفترة الأخيرة فقط من تطورها. وقد يبدو هذا من حكم المؤكد عمليًا ، لو أن المرء قام – في حقيقة الأمر – بجعل تاريخ وصول اللغة الهندو – أوروبية إلى بلاد الإغريق يتزامن مع نهاية العصر الهيللادي المبكر الثاني أو مع بداية العصر البرونزي الوسيط. ولكن من المحتمل أن بعض العبادات والتقاليد – وعلى الأخص ما يتعلق منها بالربة الراعية للري " نيت / أثينًا " وبمعاركها مع الإله " ست / بوسيدون " الممثل للقوة البرية – ترجع في تاريخها إلى فترة زمنية أسبق.

وهناك إشارات متكررة – وهو أمر مثير للاهتمام – في التراث الإغريقي إلى ما يمكن تسميته باسم " الأسس المزدوجة " ، ويكفي أن نذكر هنا مثالاً واحدًا عليها ، وهو يتمثل في بساطة في الممارسة اللاهوتية والأسطورية لتطبيق الازدواجية بصفة عامة بغية إضفاء مزيد من الغموض ، بمثل ما نرى في حالات الأرباب ذوي المولد المزدوج والأرباب الذين لديهم والدان أو والدتان في نفس الوقت[*]، وما إلى ذلك. ويمكن أن يتطابق هذا المفهوم مع المتطلب البنائي الأسطوري الذي نادى به الأستاذ ليفي شتراوس (Lévi-Strauss). وفي هذه الحال قد يبدو أن الازدواجية قد بنيت على أساس تاريخي، ومن الممكن أن الإغريق الذين كانوا يعيشون خلال فترة عصر الحديد يدركون بطريقة غامضة على نحو ما أنه لا يوجد عصر مظلم واحد فحسب سابق عليهم ،

(*) مثل الإله ديونيسوس الذي وُلِدَ من رحم أمه " سيميلي " ومن رحم صناعي هو فخذ والده " زيوس ". ويُرجَح أن اللقب " ديثيرامبوس " الذي لقب به الإله – وهو كلمة مجهولة وصعبة حتى الآن – يمكن أن يعني " ذو المولد المزدوج ". (المترجم)

وأعني به عصر سقوط موكيناى ، وعودة آل هيراكليس خلال العقود الزمنية التى تلت حرب طروادة ، بل يعرفون أيضًا أن هناك عصورًا أخرى أكثر منها قدمًا مثل العصر الذى حدث إبَّانه الطوفان على أيام ديوكاليون(*)(Deukaliôn) ، والذى يمكن تحديده تاريخيًا بحوالى عام ١٦٠٠ ق.م. ، أو مثل عصر آخر أقدم من سواه جميعًا ثم فيه - إلى جانب أعمال أخرى - تدمير مدينة طيبة الإغريقية التى أسسها أميفون وزيثوس.

وليس هناك شك فى أن مجتمع بلاد الإغريق خلال فترة العصر الهيللادى المبكر الثانى (=عصر الخزف) كان يحظى برخاء اقتصادى وافر للغاية وبازدهار وتطور رفيع المستوى ، ولا جدال أيضًا فى أن كثيرًا من الخصائص المميزة لما بقى لنا من آثاره تشى بأنها جَدُّ مصرية. وعلاوة على ذلك ، فقد لا يصيبنا بالدهشة وجود تأثير مصرى فى بلاد الإغريق إبَّان هذا العصر ، حيث إن مصر كانت تحيا آنذاك فى ذروة عصر الدولة القديمة. ورغم أنه لم يتم العثور على مقتنيات أثرية مصرية بالغة الوضوح خلال تلك الفترة فى بويوتيا أو أركاديا ، إلا أنه تم العثور على عدد قليل من المكتشفات الأثرية المصرية ذات الأهمية التى تنتمى لعصر الدولة القديمة فى أماكن أخرى فى منطقة البحر الإيجى ، وليس فقط فى جزيرة كريت. وعلى وجه الإجمال ، فإننى أحاول فى الفصل الثالث أن أثبت أن هناك برهانًا ماديًا مقنعًا يمكن صياغته عن وجود تأثير مصرى مهم - إضافة إلى وجود تأثير مشرقى ولكن بدرجة أقل - فى الجزء القارى من بلاد الإغريق وكذلك فى منطقة البحر الإيجى خلال الألفية الثالثة ق.م.

وقرب نهاية الألفية الثالثة ق.م. اتخذت التطورات الحادثة فى جزيرة كريت صورة مختلفة للغاية عن نظائرها التى وقعت فى الجزء القارى من بلاد الإغريق. وقبل هذا الوقت، يبدو أن الازدهار ، والمعيار الذى سارت وفقًا له التفاعلات الاقتصادية فى الشمال قد أصبحا بغير جدال أعظم من نظيريهما فى جزيرة كريت. وعلاوة على ذلك ، فبرغم عثورنا فى جزيرة كريت على مقتنيات أثرية أوفر تنتمى لعصر الدولة القديمة فى مصر ، وعلى مقتنيات أخرى مشرقية تنتمى إلى بواكير الألفية الثالثة ق.م. ووسطها

(*) ديوكاليون ، هو ابن ديوكاليون من هذا العقاب ، فقام الأخير ببناء فلك أو سفينة له ولزوجته " بيرها " وتمكن عن طريقها من النجاة من الفيضان والرسو على جبل برناسوس. (المترجم)

– وهو الأمر الذى حاولنا فيما سبق إثبات صحته – إلا أنه فيما يبدو كان هناك اتصال واسع النطاق بين وسط منطقة البحر الإيجى وشمالها وبين منطقة الشرق الأوسط. إذ إن الاختلاف بين بلاد الإغريق وكريت لم يحدث إلا بعد نهاية كل من العصر الهيلادى المبكر الثانى (=عصر الخزف) والعصر الميكينى المبكر الثانى فى جزيرة كريت خلال القرن الرابع والعشرين ق.م. فلقد حاقت صورة من الدمار ببلاد الإغريق أعقبها انهيار مظاهر التمدن وانخفاض كثافة الاستيطان. أما فى كريت – فعلى العكس من ذلك – فقد كان هناك تطور أُطلق عليه اسم " العصر الأول لحضارة القصور " ، وهو تطور أسفر عن تشييد القصور الكريتية ذات الحجم الكبير ، والتى يبدو أنها بُنِيتْ فى القرن الأخير من الألفية الثالثة ق.م.

ولقد ثار جدل مُحتَدِم حول أسباب تطور الحياة الكريتية ، من مجتمع مثقف رغم كونه غير متمدن خلال العصر المينوى المبكر إلى مجتمع قائمٌ على تشييد القصور وحياة البلاط، يتكون من دويلات ذات حجم كبير بصورة منطقية ويدار بطريقة بيروقراطية. ورغم أن الأستاذ رنفرو – ومعه نفر من الغلاة من أنصار المركزية الأوربية – يقرون بأن الانتقال كان ذا أهمية حاسمة ، إلا أنهم لم يحاولوا أن يبرهنوا – وهو أمر مثير للدهشة – على أن هذا الانتقال قد تم بالضرورة على يد سكان أصليين غير نازحين أو وافدين. ولكن أنصار اتجاه "الانتشار المعدل " من ناحية أخرى – ومن بينهم مؤسس علم الآثار الكريتية السير آرثر إيفانز (Arthur Evans) وتلميذه اللامع ج.د.س. بندلبيرى (J.D.S. Pendlebury) - قد لاحظوا كثرة عدد المقتنيات الأثرية بصورة ملحوظة ، سواء من منطقة المشرق أو من مصر ، خلال طبقات العصر الميكينى المبكر الثالث ، كما لاحظوا أيضًا أن التغيرات التى طرأت على تقنيات تشغيل المعادن وعلى تصميم الأحجار وصناعة الأوانى الفخارية تعكس وجود تأثيرات مشرقية ومصرية على التوالى. ولقد استلفت نظرهم كذلك التشابه الجوهرى بين عمارة القصور الكريتية والنُظُم الإدارية المُتبَعة فى إدارتهم للقصور الملكية ، وبين نظائرها التى سبقتها زمنيًا بقرون عديدة فى الشرق الأوسط. وبالتالى ، فقد أصبحوا أكثر ميلاً – نتيجة لهذا الذى لاحظوه – إلى ربط هذا التحول بالتأثيرات الشرقية.

ومن الجدير بالذكر أن يتوصل عدد من الباحثين الأثريين الأصغر سناً في جامعة كامبردج إلى استنتاج مشابه ، ولكن عن طريق مغاير تماماً لهذا الطريق. وحيث إن هؤلاء الباحثين الأثريين الشبان قد تلقوا العلم على أيدي الغُلاة من أنصار المركزية الأوروبية ، فقد روعتهم الصعوبات التي حالت بينهم وبين توليف الدليل الأثري داخل النموذج الارتقائي السلس ، الذي اقترحه الأستاذ إيفانز وسار على نهجه الأستاذ رنفرو إلى حد معين. وبالتالي، فهم يستخدمون الآن اللغة التي كان يستخدمها قبلاً نقاد نظرية " دارون " من " النشوء والارتقاء "، كما يتحدثون عن " التوازنات المتقطعة (Punctuated equilibiria) . ولقد استلفت نظر هؤلاء الباحثين كذلك أن الفترة الأولى من عصر حضارة القصور كانت تتميز بوجود زيادة حادة في وسائل الاتصال مع منطقة الشرق الأدنى. وحتى لو سلمنا بهذا ، فإن هؤلاء الباحثين الأصغر سناً يتصفون بغموض تفسيراتهم – شأنهم في ذلك شأن الجيل الأكبر من أنصار اتجاه "الانتشار المعدل" – فيما يتصل بكيفية حدوث هذه التطورات وبالأسباب الكامنة وراء حدوثها.

ويبدو أن التفسير (المقبول) سوف يتحقق من خلال الترجيح القوي بأن بناء القصور الكريتية قد تم خلال فترة حكم الأسرة الحادية عشرة لمصر. ولقد تأسست هذه الأسرة على يد الفراعنة سود البشرة القادمون من مصر العليا ومن إقليم طيبة بالذات ، كما قُدِرَ لهؤلاء الفراعنة أن يُعيدوا لمصر وحدتها ، وأن يؤسسوا ما عُرِفَ فيما بعد باسم الدولة الوسطى. وليس هناك شك في أن قوة مصر العسكرية قد نمت تحت حُكْم هذه الأسرة التي قام فراعنتها بإرسال حملات عسكرية إلى منطقة المشرق. ولقد علمنا أيضاً – من خلال إجراء تحليل لنظائر معدن الرصاص – أن الأسرة الحادية عشرة الحاكمة في مصر كانت تستورد الفضة الخام المُستَخرَجة من مناجم لاوريون الموجودة في إقليم أتيكا جنوب مدينة أثينا. ويومئ هذا – مع قَدرٍ من المُكتَشفات والمُقتنيات الأثرية المصرية التي عُثِرَ عليها في كريت وتنتمي لعصر هذه الأسرة – بوجود إمكانية لتشييد القصور الكريتية بطريقة أو بأخرى نتيجة لبناء القوة المصرية المعاصرة لها زمنياً. وعلى أية حال ، فإن الارتباط القائم بينهما لا يزال يبدو واهياً لو أننا اقتصرنا في تأسيسه على الأدلة الأثرية وحدها.

وبالتالى ، فهناك مصدر آخر من المصادر التى نستمد منها الأدلة اللازمة ، وهذا المصدر يتمثل فى عبادة الثور التى تعد من أكثر الخصائص المميزة اللافتة للنظر فى المجتمع الكريتى الذى قامت حضارته على القصور وحياة البلاط. ويظهر البرهان على صحة هذا بجلاء فيما بقى شاخصًا حتى الآن من أطلال القصور الكريتية ، وفيما ظل متواترًا لدى الإغريق من روايات تراثية تدور حول قصر الملك مينوس المعروف باسم قصر اللابيرنث (=التيه) (*)، وحول الوحش الخرافى المعروف باسم المينوتاوروس (Minotauros) (**). ورغم وجود بعض السهول الصالحة لرعى الماشية فى جزيرة كريت ، فإن أبرز خاصية (جغرافية) مميزة فيها هى الجبال ، الأمر الذى يجعلها مكانًا صالحًا بصورة أساسية لرعى العناز أو الماعز الوحشية (agrimia) . وبالتالى ، فإن الدهشة لا تعترينا - بناء على هذا الطابع الجغرافى - لعدم وجود دليل على عبادة الثور فى جزيرة كريت حتى نهاية العصر الميكينى المبكر. غير أن غياب مثل هذا الدليل يضاعف من صعوبة تقبلنا لفكرة أشد رواجًا، مفادها أن أصل عبادة الثور فى جزيرة كريت خلال الألفية الثانية ق.م. مأخوذ عن عبادة الثور القوية السائدة فى ثقافة كاتال حيوق (Catal Hüyük) خلال فترة العصر الحجرى الحديث التى تتزامن مع الألفية الثانية السابقة ق.م. وبالتالى، فهناك احتمال لصحة (الفرضية القائلة) بأن كلاً من جزيرة كريت وبلاد الإغريق القارية قد تلقيا كثيرًا من - أو معظم - التقنيات الزراعية من حضارة منطقة الأناضول ؛ وحرىٌ بى أن أذكر هنا أننى ناقشت مرارًا موضوع "الدليل" المستمد من الصمت "(argumentum ex silentio) واتخذت موقفًا مناهضًا له. وأيًا كان الأمر ، فهناك فجوة زمنية كبيرة تقدر بأربعة آلاف سنة فيما يتعلق بالشواهد الدالة على وجود عبادة الثور سواء فى منطقة الأناضول أو فى منطقة البحر الإيجى، وهى فجوة زمنية تثير قدرًا من الصعوبات أمام تقبل هذه الفرضية. ولكن الصعوبات

(*) كلمة " لابيرنثوس " تعنى البلطة المزدوجة أصلاً ، وكانت هذه البلطة ذات الحدين رمزًا من رموز عبادة الثور فى جزيرة كريت. (المترجم)

(**) المينوتاوروس مخلوق خرافى نصفه الأعلى إنسان والأسفل ثور. وكانت هذه المخلوقات المزدوجة التركيب فى الأساطير القديمة تعكس رغبة عارمة لدى البشر فى إيجاد "المخلوق الأعلى " أو " السوبر مان " بلغتنا الآن ، حيث تجتمع فى تركيبها القوة مع العقل. (المترجم)

المثارة أمام مصداقية الفرض تتقلص أو تنعدم ، لو أننا أقررنا بوجود مكان آخر يمكن أن يكون أصلاً لهذه العبادة ، ناهيك عن وقوعه جغرافيًا بالقرب من جزيرة كريت وتزامنه بدقة مع نفس الفترة وهى القرن الحادى والعشرين ق.م. ، وأعنى به مصر تحت حُكْم الأسرة الحادية عشرة .

وكانت الثيران – بوصفها حيوانات ذوات قوة وجمال – موضع تقديس دينى فى ثقافات مختلفة. وفي مصر ، كانت الثيران وقرونها ذوات أهمية كبرى فى أمور العبادة خلال عصر ما قبل الأسرات. ومنذ بداية عصر الملوك الفراعنة كان هناك عدد من العبادات المخصصة للثور ، كان أشهرها قاطبة عبادة العجل أبيس (Apis) التى أسسها أول ملك شرع وواهب للقوانين من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وهو الملك الذى عرفه الإغريق فيما بعد باسم مينيس (Menes) ، أو مين (Min) [*]، بالقرب من مدينة ممفيس (=منف)، أو " من نفر" (Mn nfr) . ومن اللافت للنظر أن يكون مينوس (Minos) ، أول ملك على جزيرة كريت وأول من وهبها القوانين ، مرتبطًا أيضًا ارتباطًا وثيقًا بعبادة الثور وبالوحش الأسطورى مينوتاوروس. فكثيرًا ما كان المينوتاوروس يمثل فى التراث المصرى المتعلق بتصوير الآلهة على صورة مخلوق له رأس ثور وجسم إنسان.

كذلك كانت هناك فى مصر عبادات أخرى ذوات أهمية وتتعلق بالثور ، ففى مدينة هليوبوليس (=أون=مدينة الشمس=عين شمس)، الواقعة جهة الشمال الشرقى من مدينة القاهرة الحديثة ، كانت هناك عبادة لمعبود يسمى منيفيس (Mnevis) وكان اسمه المصرى يكتب بالرموز الهيروغليفية بعلامة (معناها الجدار الملتف). ووَفْقًا للأسطورة الإغريقية، فإن دايدالوس (Daidalos) هو المهندس الذى صمم وبنى قصر اللابيرانث الكريتى على غرار الطراز المصرى ، وأن أول ذكر إغريقى لكلمة " لابيرنث " لم يكن يشير إلى القصر الملكى المشيد فى مدينة كنوسوس الكريتية ، بل إلى المعبد الجنائزى ذى الحجم الهائل الذى بناه الفرعون المصرى الذى ينتمى إلى الأسرة الثانية عشرة ،

(*) ربما يكون هو الملك الذى نعرفه باسم " مينا " أو " نعرمر " أو " نارمر " ، وهو مؤسس الأسرات وموحد شطرى الوادى. (المترجم)

وأعنى به الملك " أمنمحات الثالث" (Amenemhe III) عند مدخل بحيرة (قارون) بالفيوم. وأعتقد أن كلمة " لابيرنثوس" (Labyrinthos) قد اشتقت من أحد أسماء هذا الفرعون ،" نم وورت رع" (N m ; r.t Rc) ؛ وكان هذا الاسم يُتَرجَم على يد إغريق العصر الهيلنستى بصور متعددة ، من بينها الصورتان (Labares), (Labairs))[٣٢] .

ومعنى ذلك ، أن لدينا مثيل ملحوظ يتألف من ثلاثة عناصر ، ومفاده أنه كانت توجد بمصر عبادات للثور ترتبط باسم " مين " ، وهو العنصر الأول. وأن كلمة " مين " كانت أيضًا من ألقاب الفرعون واهب القوانين ومؤسس العبادة ، وهذا هو العنصر الثانى. وأن الثور كان مرتبطًا بما يعرف باسم " الجدار الملتف "، وهذا هو العنصر الثالث والأخير. ويرتبط هذا الدليل بعناصره الثلاثة بمصر إبَّان الدولة القديمة ، أى قبل عصر إنشاء القصور الكريتية. أما فى جزيرة كريت ، فكانت هناك عبادة للثور مرتبطة بملك يُدعى مينوس وبقصر يعرف باسم اللابيرنث. ومع ذلك فالنظائر المتعلقة بهذا الدليل تغدو أكثر تعقيداً ، حيث إن هناك روايات تراثية تقُص علينا أن الملك مينوس لم يكون دائمًا مُشرِعًا مُبَجلاً رفع المقام ، بل كان أحيانًا واحداً من الساتيروى(*) الشهوانيين الفاسقين. وبالتالى ، فهو يتماثل (فى طبيعته المزدوجة هذه) بشخصية مصرية أخرى ، وهى الإله " مين "(Min) الذى كان يُمَثلُ فى الأعمال الفنية بعضو ذكورة ضخم والذى كانت العصور المتأخرة ترى فيه الأصل الذى استمد منه الإغريق إلههم الشهوانى "بان"(Pan) ، راعى الساتيروى ومرشدهم. وقد يبدو لنا أن هناك خلطاً أو اندماجًا قد وُجِدَ فى بعض الأحيان بين الإله " مين " هذا وبين " مينيس " أو "مين" ، الفرعون الذى أسس الديانة .

وهناك عبادة مصرية أخرى ارتبطت بعبادة الثور ، هى عبادة الإله " منتو " (Mn tw) ، وهو إله مهم للحروب والفتوحات ، وبوجه خاص للحروب التى يخوضها المصريون مع المناطق الشمالية. كما أنه إله ذاع صيته وامتدت شهرته على المستوى القومى ، على اعتبار أنه قام برعاية فراعنة الأسرة الحادية عشرة الذين حملوا اللقب

(*) الساتيروى هم أتباع الإله ديونيسوس ، وكانوا يمثلون على هيئة مخلوقات مزدوجة التركيب ، نصفها الأعلى إنسان ولأسفل تيس (أوجوى) ، وهى مخلوقات ترمز للشهرة. (المترجم)

" منتوحتب" (Mentohotepe) ، ومعناه " أن الإله منتو راضٍ عن الفرعون ومغتبط به ". وبالتالى ، فيبدو أن عبادة الثور الكريتية قد ظهرت خلال القرن الحادى والعشرين ق.م. ، وهو تاريخ يتزامن على وجه الدقة مع عصر الأسرة الحادية عشرة التى أعادت توحيد مصر وبسطت نفوذها على بلاد أخرى خارج الوطن ، ونشرت أو روجت لعبادة الثور. ويبدو كذلك أن الاسم " منتو - فى صورته "رضى منتو " (Rdi Mn tw) التى تعنى أن " الإله منتو يعطى " أو " الشخص الذى أعطاه الإله منتو " - قد بقى لنا بمواصفاته داخل صورة الملك الأسطورى رادامانثيس (Rhadamanthis) ، شقيق الملك مينوس ، والذى كان ملكًا وقائدًا منتصرًا وقاضيًا يحكم وفق مقاييس العدالة التى يضعها. أما فى مصر ، فكان الملك "مين" ، مؤسسة الأسرة الحادية عشرة ، والملك " أمنتحب" ، مؤسس الدولة الوسطى ، يُعْبَدان أحيانًا معًا خلال عصر الدولة الحديثة ، وهو أمر يعادل تقريبًا الصلة القائمة بين مينوس وشقيقه " رادامانثيس " فى التراث الإغريقى. وحيث إنه وجد قديمًا نوع من الامتزاج أو الاندماج بين الإله والفرعون - أى بين الإله " مين " والفرعون " مينيس " ، وكذلك بين الإله "مين" من ناحية وبين الفرعون "أمنحتب" من ناحية أخرى - فقد يكون من المقبول أن نقترح أن كلاً من " مينوس " وشقيقه " رادامانثيس " قد استقيا صورتيهما فى جزيرة كريت من المنابع المقدسة ومن المنابع الملكية على حدٍ سواء.

وهناك أساليب متعددة يمكن عن طريقها تفسير مثل هذا النمط من التناظر ، وأولها هو أن نرد السبب فى وجود التشابه إلى الصدفة ؛ ولكن هذا التفسير يبدو بعيداً عن الاحتمال نظرًا لتعقد النظير وكثافته. أما الثانى فمفاده أن ننسب التشابه إلى الصياغة التوفيقية التى جرت خلال العصرين الكلاسى والهيلنستى بين الكهنة المصريين ونظرائهم من الإغريق. وهذا أمر مستحيل من الناحية العملية ، نظراً لأن اسمى مينوس ورادامانثيس يظهران فى أعمال كل من هوميروس وهيسيودوس، ونظراً لأن مؤلفات هذين الشاعرين توضح بجلاء أن معظم الأساطير المتعلقة بهاتين الشخصيتين قد وجدت بالفعل خلال القرنين العاشر والتاسع ق.م.، وبالتالى فإن أية صياغة ترمى إلى التوفيق بين النظائر لابد وأن تكون قد حدثت قبل هذين القرنين ، وربما تمت خلال ما يعرف باسم " العصور المظلمة ". غير أن هذا الافتراض يبدو

بدوره بعيداً جداً عن الاحتمال ، نظراً لطبيعة الاتصالات التى وجدت بين مصر وبلاد الإغريق ، ونظراً للاختلال الذى طرأ على أحوال الديانة الإغريقية إبَّان هذا العصر. وهب أننا افترضنا أن الصياغة التوفيقية قد حدثت في تاريخ أسبق من التاريخ المذكور أعلاه ، فإن أرجح الفترات لحدوث مثل هذه الصياغة هي فترة القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م.، حينما كان هناك اتصال بين المناطق الواقعة شرق حوض البحر المتوسط ، وحينما كانت الديانة مزدهرة فى المنطقتين (الشرقية والإغريقية). وفي الحق أن الصواب لن يجانبنا كثيراً لو أننا اعتقدنا أن الأساطير الإغريقية قد تشكلت خلال تلك الحقبة الزمنية. ذلك أن علم الآثار يوضح لنا أن عبادة الثور فى جزيرة كريت قد بدأت بالتحديد في الوقت الذى كانت فيه عبادة الإله المصرى " منتو " فى أوج ازدهارها ، وبالتالي فإن كافة ما لدينا من أسباب يحدو بنا إلى أن نفترض أن النظائر الأساسية لهذا التشابه البادى بينهما إنما تعود فى تاريخها إلى هذه الفترة.

وهناك سبب آخر يحملنا على تحديد أواخر الألفية الثالثة ق.م. كتاريخ لوجود هذا التناظر، وهو أن العبادة القومية فى مصر قد تحولت إبان الفترة التى تقع حوالى عام ٢٠٠٠ق.م. من عبادة الثور " منتو " إلى عبادة الكبش " آمون ". وبالتالى ففى الوقت الذى ظل "منتو" فيه عضواً مهماً فى مجمع الآلهة المصرى - وهى حقيقة لا مِراء فيها - وارتبط على وجه الخصوص بالفتوحات التي تمت شمال مصر ، وفى الوقت الذى أصبح فيه الكبش "زان" (Zan) أو " زيوس " (Zeus) رباً فائق الأهمية فى العبادة الكريتية ، نجد أن جزيرة كريت قد حافظت على أن تظل عبادة الثور عبادة مركزية لها بعد أن تخلت مصر عنها وتبنت عبادة مغايرة. وقد يتناسب مثل هذا التوصيف مع النمط الثقافى العام لانتقال الديانات وانتشارها ، وهو النمط الذى تحافظ بمقتضاه المناطق البعيدة عن المركز على السمات الثقافية التى تم هجرها أو التحول عنها فى المركز. فالديانة البوذية - على سبيل المثال - انتشرت وقُدِرَ لها البقاء فى "سرى لانكا"، وجنوب شرق آسيا ، ونيبال ، والتبت ، ولكنها لم تظل باقية فى البلد الذى شهد أصل وجودها وهو الهند. ويَصْدُق القول نفسه على الديانة المسيحية التى انتشرت وقُيِضَ لها البقاء فى أوروبا ، وأفريقيا الشرقية ، ولكنها لم تظل ديانة للأكثرية فى

منطقة سوريا - فلسطين ولا فى مصر ، وهى المناطق التى نشأت فيها أصلاً أو ازدهرت.

وهناك أدلة تكاد ترتفع إلى مرتبة اليقين على أن عبادة الثور فى جزيرة كريت قد أدخلت هناك من مصر - بالإضافة إلى التشابه المعمارى والاجتماعى بين القصور الكريتية ونظائرها فى الشرق الأدنى ، وفضلاً عن وجود عدد كبير من النظائر الأخرى، ثقافية كانت أم تصويرية - وهى أدلة توضح بجلاء أن " الطفرة الثقافية " التى تمت من عصر ما قبل تشييد القصور إلى العصر الأول من بناء القصور فى الحضارة الكريتية، قد حدثت على الأقل نتيجة لسبب غير مباشر أو لدافع معاصر وافد من الشرق الأوسط؛ كما أنها تُبين بجلاء أيضًا أن هذا الدافع كان مرتبطًا بتأكيد أهمية الوجود المصرى فى المنطقة. وأعتقد أيضًا أن الروايات التى تدور حول رادامانثيس - جنبًا إلى جنب مع الدليل المستقى من علم الآثار - توحى بإمكانية وجود نوع من السيادة المصرية على منطقة جنوب البحر الإيجى خلال القرن الحادى والعشرين ق.م.

وأتناول بالدراسة فى الفصلين الخامس والسادس(*) الفتوحات التى تمت على يد أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة فى مصر، وأعنى به الملك سنوسرت الأول (Senwosre I)، أو سيزوستريس (Sesôstris) كما يسميه الإغريق. ولقد تحدث المؤرخ هيرودوتوس ، وكذلك الكتاب الإغريق المتأخرون ، بإسهاب وبتفصيل لا بأس به عن فتوحات هذا الفرعون التى تم إنجازها عن طريق إرسال حملات عسكرية مجهزة ، تمكن جيشه بواسطتها من التوغل فى قارة آسيا ، ووصل عن طريق اسكيثيا (Scythia) - الواقعة جنوب مراعى الاستبس الروسية- إلى بلاد القوقاز. ولقد حاول المؤرخون - الذين ألَّفوا أعمالاً تاريخية بعد فتوحات الاسكندر الأكبر التى تمكن عن طريقها من الوصول إلى الهند - أن يبرهنوا على أن الملك سنوسرت الأول قد وصل فى فتوحاته إلى نفس الأماكن التى وصل إليها الاسكندر الأكبر. غير أن الباحثين المُحدَثين - ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادى - قللوا من شأن كافة هذه الروايات التاريخية

(*) لم يذكر المؤلف الفصل الرابع صراحة ، وربما تحدث عن محتوياته مع الفصل الثالث. (المترجم)

ولم يوفوها حقها ، نظراً لأن معظم هؤلاء الباحثين المحدثين ظلوا لفترة زمنية طويلة عازفين عن الإقرار بأن سنوسرت الأول هو نفسه سيزوستريس. كذلك فقد كان هؤلاء الباحثون يميلون إلى التنازع فيما يخص هذا الموضوع ، ويذهبون إلى القول بأن هذه الروايات التاريخية ما هي إلا محاولات مصرية تهدف إلى إيجاد بطل مصرى قومي ، يمكن لفتوحاته أن تتفوق على فتوحات الحكام الفرس بعد قورش الأكبر وعلى فتوحات الحكام المقدونيين بعد الإسكندر الأكبر ؛ ومن هذا المنطلق ، يمكننا أن نفهم سر جنوح ديودوروس الصقلي - الذى دَوَّن مؤلفاته إبَّان العصر الهيلنستي - إلى المبالغة والتهويل. وفيما يتعلق عموماً بميل الباحثين المحدثين إلى الإنكار أو عدم التصديق ، فإننى أتصور أن موقفهم هذا قد نشأ بسبب وجود صعاب حالت بينهم وبين القبول بوجود جيش أفريقي متمدن وقادر على إنجاز مثل هذه الفتوحات الباهرة ، لا في جنوب غربى آسيا فحسب بل فى أوروبا كذلك. والحق أن هذا الاعتقاد سرى سريان النار في الهشيم ، وتردد على ألسنة دعاة منظومة المذهب العرقى خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين.

وحتى منتصف القرن العشرين ، كان هناك اتفاق عام على الدور الأساسي للدليل المستمد من علم النقوش ولنظيره المستمد من علم الآثار ، وكان هناك اتفاق عام كذلك على أنه كانت هناك إمبراطورية مصرية ، أو على الأقل منطقة نفوذ لمصر في إقليم سوريا-فلسطين ، خلال عهد الأسرة الثانية عشرة. ولكن بعد تلك الفترة ، وأعنى بها فترة منتصف القرن العشرين ، سادت موجة من التشكك حيال هذه الحقيقة ، ووصلت في ذروتها إلى الحد الذى حدا ببعض الباحثين إلى التشكيك في وجود هذه الإمبراطورية من الأساس. ذلك أنهم اعتبروا أنه لا معنى للحديث عن فتوحات لسنوسرت / سيزوستريس ما لم تكن له قاعدة بمثابة نقطة ارتكاز فى منطقة المشرق.

ولكن اكتشاف عدد كبير من النقوش في مدينة ممفيس (=منف=قرية ميت رهينة الحالية) وقراءتها قراءة مبدئية قد عزز من موقف المناصرين لفكرة وجود إمبراطورية مصرية أنشأتها الأسرة الثانية عشرة في منطقة سوريا - فلسطين. وتصف هذه النقوش الحملات العسكرية الكبرى التي جهزها ثم قام بها كل من الملك سنوسرت الأول وخليفته الملك أمنمحات الثاني في البر والبحر. ولقد وصلت بعض هذه الحملات

إلى بلاد النوبة وبلاد كوش (Kush) التى تقع على مسافة بعيدة من جنوبى أفريقيا ، ولكن عدداً أكبر من هذه الحملات اتجه شمالاً صوب آسيا ، أى إلى جزيرة سيناء وإلى لبنان وإلى "ست" (S tt) ، وهى بلاد تقع على مسافة أبعد تجاه الشمال وكانت تعادل آسيا التى يعنيها الإغريق لدى كتاب العصور المتأخرة. وكنتيجة لهذه الحملات تم تدمير عدد من المدن ذات أسماء غير معروفة لدى المصادر المصرية الأخرى ، وبالتالى فقد وفرت هذه الحملات بعد عودتها إلى مصر قدراً عظيماً من الأسلاب والغنائم القيمة ، منها أسرى الحرب ، ومنها المعادن مثل الفضة والرصاص على وجه الخصوص.

ولقد أنفق الأستاذ جورج بوزنر (George Posener) ، وهو باحث رفيع المنزلة جُلَّ عمره في دراسة تاريخ الدولة الوسطى في مصر ، وكَرَّس جهده بوجه خاص للوقوف على الصلات التى نشأت بينها وبين منطقة جنوب غرب آسيا. ولقد ارتأى هذا الأستاذ أن النقشِ دليل قوى يعضد اعتقاده في سيادة الدولة الوسطى المصرية على منطقة سوريا–فلسطين؛ ولقد عَضَدَ وجهة نظره في هذا الصدد الباحث الأثرى الإسرائيلى رافائيل جينفيون (Raphael Giveon) .

غير أن وليام ورد (William Ward) ، عالم المصريات الأمريكي وفارس الحَلَبَةَ فى الدراسات اللبنانية بلا منازع والذى كان قد ناهض الأفكار المنادية بوجود إمبراطورية مصرية على عهد الأسرة الثانية عشرة ، قد زعم انطلاقًا من موقفه المناهض هذا أن النقض المذكور ينتمي إلى فترة زمنية متأخرة جداً ، وأن تاريخه يعود إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة. وبالتالى، فقد ذهب وليام ورد إلى أنه ليس بوسعنا استخدام هذا النقش كدليل ، نظراً لأنه دون بعد مرور سبعمائة عام على وقوع الأحداث. غير أن الأستاذ فولنجانج هيلك (Wolfgang Helck) ، الذى يمكن اعتباره أعظم علماء المصريات الأحياء شهرة وتميزاً فى ألمانيا والذى كان قد عارض من قبل فكرة الأنشطة التوسعية للدولة المصرية الوسطى فى جنوب غرب آسيا ، قد اقتنع بوجهة نظر الأستاذ جورج بوزنر الرامية للوثوق بصحة الدليل المستمد من النقش ، وشاطره الرأى فى أن تاريخ هذا النقش يرجع إلى عهد الأسرة الثانية عشرة ، كما حاول أن يبرهن على أن الحملات العسكرية المصرية آنذاك قد وصلت فى تقدمها إلى جزيرة قبرص وإلى المنطقة الجنوبية من شبه جزيرة الأناضول.

وفيما يتعلق بى – بوصفى فيلسوفًا – أسمح لنفسى بأن أذهب إلى أبعد من ذلك منالاً ، فأحاول البرهنة على أن النقش يفتح الباب على مصراعيه للسؤال عن المصداقية التاريخية للحملات العسكرية بعيدة المدى التى جهزها الملك المصرى سيزوستريس وتمت روايتها على يد الكُتَّاب الإغريق. وفى الحقيقة أنه حتى مع عدم وجود هذا النقش ، فقد كان لزامًا علينا أن نُجرى مثل هذه المراجعة بدايةً ، نظرًا لأننى أعتقد – كما أسلفت أعلاه – أنه عند إلتقاء المصادر القديمة واجتماعها وعدم وجود تناقض بينها إبَّان العصور القديمة ، فإن على الباحثين أن يتخذوا خطوطها العريضة بمثابة افتراضات فاعلة.

وقبل أن ننبرى لتقييم مدى مصداقية الكُتَّاب الإغريق ، فمن الضرورى أن نشرع فى تمحيص أقوالهم وتوضيحها إلى أبعد حدٍ ممكن. فمن الواضح ، على سبيل المثال ، أن هيرودوتوس عندما روى لنا أن سيزوستريس قد اتخذ طريقه عَبْر " قارة " أسيا ، لم يكن يعنى أنه بلغ فى تقدمه بلاد شوخوتكا (Chukhotka) ومضايق بيرنج (Bering) - وفى الحقيقة أن الكُتَّاب القدامى قد اعترضوا على ما ذهب إليه ديودوروس (الصقلى) من أن هذا الفرعون قد وصل إلى الهند. ومن الواضح فى هذا السياق أن هيرودوتوس كان يقصد بآسيا التى تحدث عنها المنطقة التى نطلق عليها الآن اسم " آسيا الصغرى " أو تركيا. وفى هذه الحال ، فإنه ينبغى علينا أن نعتبر أن حملات سيزوستريس العسكرية قد سارت عبر شبه جزيرة الأناضول والمنطقة الواقعة شمال البحر الأسود حتى وصلت إلى القوقاز ، وهو طريق يبلغ طوله حوالى ثلاثة آلاف ميل ويعد بالقطع مسافة شاسعة ، لو أخذنا فى الاعتبار أنها قطعت منذ ألفى عام ق.م. ولكن هذه المساحة وبكل المقاييس أقصر من المسافة التى قطعها الإسكندر الأكبر بجيشه، كما أنها بمقاييس العصور الحديثة يمكن أن تُقارن بالمسيرة الطويلة التى قطعها الصينيون الشيوعيون سيراً على أقدامهم ، وإن كانت الأخيرة تختلف عن مسيرتى سيزوستريس والإسكندر الأكبر فى أنها لم تكن ترتكز على ظهير يتمثل فى دولة مستقرة وإمدادات من الزاد قادمة عن طريق البحر.

ويتضمن الفصل الخامس قسمين عن التاريخ ، لا يتعلق أولهما مباشرة بتاريخ فترة حكْم سيزوستريس ، ولكن أهميته ترجع إلى أنه يمدنا بصورة ممتازة عن عددٍ من

الصعوبات التى سببتها رغبة علماء الآثار في إرساء أساس " علمى " لتخصصهم. كما يهتم هذا الفصل أيضًا بتأريخ عصور مصر الزمنية ، وهو التاريخ الذى ظل حتى عشرين عامًا خلت يزودنا بالأساس الذى يقوم عليه تأريخ عصور باقى مناطق الشرق الأوسط والبحر الإيجى. ويرجع السبب فى هذا أن مصر وحدها التى كانت تحظى بقوائم عن تعاقب الملوك وفترات حكمهم منذ بداية الألف الثالثة ق.م. أو قبلها. غير أن هذه القوائم كانت بعيدة عن الاكتمال وكانت تتسم أحيانًا بوجود تناقض بين بعضها والبعض الآخر ، فضلاً عن أنها كانت تحتوى على ما يمكن أن نطلق عليه اسم "الفترات الوسيطة" أو "الفترات الانتقالية"، التى تقع بين حكم أسرة قوية وبين الأسرة التى تليها ؛ وكانت هذه الفترات توجد عند حدوث اضطرابات سياسية فى مصر ينجم عنها خلل فى تسلسل السجلات التاريخية والتقاويم الزمنية. ولكن معظم الباحثين اتفقوا - عن طريق الاستعانة بالحساب الفلكى التاريخى الذى يبدأ بالأسرة الثانية عشرة - على أن حكم الأسرة الأولى فى مصر قد بدأ حوالى عام ٣٤٠٠ق.م.

وخلال منتصف القرن العشرين الميلادى ساد دافع قوى بين علماء المصريات وأساتذة التاريخ القديم هدفه تأسيس مكانة " علمية لتخصصاتهم وبالتالى لأنفسهم ، واتضح لهم أن أيسر طريقة لتحقيق ذلك الهدف هى التمسك بأهداب التشكك والجنوح إلى الاحتراز. وأصبح بالتالى محظورًا عليهم أن يستخدموا البراهين الاحتمالية ، كما أصبح لزامًا عليهم بصورة مطلقة ألا يجنحوا إلى التأمل أو التكهن. ولقد تم تطبيق هذا التشكك وهذا الاحتراز بصفة خاصة على كل من المكان والزمان ، وغدا هناك ميل قوى لتقييد الامتداد الجغرافى للأنشطة البشرية القديمة ، واتجاه أقوى منه إلى تقليص امتداد التواريخ الضاربة فى القدم وجعلها تنحصر فى فترات زمنية أحدث نسبيًا. وبالتالى، فعن طريق الأخذ بأقصر مدة حكم لكل ملك من ملوك الفراعنة، وعن طريق الإصرار (على تقليص) الفترات التى كان الحكم فيها شركة بين الفرعون وخلفه، وعن طريق التشبث بتقليص فترات التداخل بين عهود الأسرة الحاكمة ، تمكن الباحثون "ذوى المنهج العلمى الجديد " من إرجاع تاريخ بداية تأسيس مصر الفرعونية إلى القرن التاسع عشر ق.م. ورغم نكوص هؤلاء الباحثين فيما بعد عن التمسك بهذا الرأى الجذرى ، فإن المحاولات التوفيقية الجديدة التى جرت قد جعلت التاريخ المقترح

ينحصر في القرن الحادى والثلاثين ق.م.، أى فى فترة زمنية قوامها مائتى أو ثلاثمائة عام بعد التاريخ الذى استقر عليه الرأى من قديم.

وعلى مدى العقدين الأخيرين من القرن العشرين ظهر على المسرح " علماء طبيعيون" بمعنى الكلمة ، وأرادوا بعقول متفتحة تتسم بالسذاجة أن يحلوا المشكلات - التى غدت الآن قابلة للحل - بواسطة منهجهم العلمى. غير أنهم أصيبوا بالدهشة - مثلهم فى ذلك مثل أى شخص آخر - عندما وجدوا أن التواريخ الزمنية التى أسفر عنها الفحص الراديو-كربونى والتقنيات الأخرى (التى نبغوا فيها) قد جاءت على نحو ما ، وهو أمر مغزاه، أحدث بسنوات كثيرة عن التاريخ الذى تم افتراضه بناء على المعرفة الأثرية التقليدية. وعلى أية حال ، فإن الأقسام الخاصة بالتأريخ فى الفصل الخامس تولى عناية خاصة للمعارك النقدية التى مازالت تشتعل بعنف حتى الآن بين وجهات النظر المتضاربة فى هذا الصدد.

ففى عام ١٩٧٩ قام عالم الآثار اللامع جيمس ميلارت (James Mellaart) - الذى اعتبره زملاؤه شخصاً معتل الفكر بوجه عام بسبب شطحاته الفكرية الغريبة - بنشر مقال عن التأريخ ، نادى فيه بألفاظ استفزازية بإعادة النظر فى التواريخ المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط وما حولها ومراجعتها مراجعة شاملة ، كى تتطابق مع التواريخ التى نتجت عن طريق الفحص الراديو-كربونى. وسرعان ما شن المتخصصون فى علم الآثار هجومًا ضاريًا على مقاله ؛ لأنه لجأ فى نظرهم إلى أسلوب الانتقاء الجزئى لبعض التواريخ وإلى لى عنق الحقائق وتحريفها. ورغم أن هذا الهجوم الضارى عليه قد كُلِلَ بالنجاح ، فإن دفاعهم عن الوضع الراهن لم يستمر سوى فترة قصيرة. ففى بعض الأحيان كانت المُختبرات التى يجرى فيها الفحص الراديو-كربونى - تتردى فى " أخطاء جسيمة " متكررة فيما يخص التأريخ ، وكان على المتخصصين أن يعيدوا الفحص مرارًا حتى يصلوا إلى النتيجة الصحيحة ، أى إلى أن يتوصلوا إلى تواريخ تتناسب مع التواريخ المتعارف عليها بصورة عامة. وكان الأمر المثير حقًا فى هذا هو أن الأغلبية الساحقة من التواريخ المتعلقة بالألفيتين الثالثة والرابعة ق.م. - رغم أن بعض هذه " الأخطاء " كان ينطوى على تشتيت لكل من الاتجاهين - كانت تبدو بكل بساطة " أعلى جدًا " فى قدمها بفترة تتراوح بين مائتى عام وخمسمائة عام. ومن

الطريف أن هذا الخطأ ظل يتكرر باستمرار - فى أحد هذه المختبرات ذات الشهرة - لسنوات طويلة حتى تمكنوا من " تصويبه " فى نهاية الأمر ، وساعتها أوعزوا لعلماء الآثار بتكتم شديد أن يقوموا بإنقاص التواريخ التى حددوها سلفًا للمواقع الأثرية المعنية لمدد تصل إلى عدة قرون. ولكن ما من أحد قدم لنا تفسيرًا عن سبب وقوع "الخطأ" ولا عن الأساس الذى تم تصويب الخطأ بناء عليه.

وفى أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين استطاع فريق من العلماء - من ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية ومن سويسرا - أن يجمع ثمانين عينة كربونية جديدة من عدد من الأهرامات ، وقاموا بفحصها عن طريق الاختبار الكربونى. ولقد نتج عن تحليلهم لهذه العينات وحصولهم على سلسلة من التواريخ - المتعلقة بالملوك الفراعنة ابتداء من عصر الدولة القديمة - أن هناك فارقًا زمنيًا يقدر بحوالى ٣٧٤ عامًا فى المتوسط أقدم من التاريخ الذى توصلت إليه المعرفة التقليدية المتواترة. وفى الحق أن هذا الفارق الزمنى أقدم تاريخيًا من التاريخ الذى اقترحه الأستاذ ميلارت ، كما أنه يعزز وجهة نظره تعزيزًا قويًا.

ولهذه الأسباب ، فإننى أوافق الآن على رأى ميلارت بالارتداد إلى المعرفة التقليدية المتواترة التى توصل إليها الباحثون فى بداية القرن العشرين الميلادى ، والتى تفيد بأن الأسرة الأولى فى مصر قد بدأت حكمها حوالى عام ٣٤٠٠ ق.م. - وليس عام ٣١٠٠ق.م. كما زعم غُلاة العلميين - وبأن الأسرة الثالثة - وهى الأسرة الأولى من أسر الدولة القديمة - قد تأسست حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م. ، وليس عام ٢٦٨٦ ق.م. تبعًا لوجهة نظرهم ، وهو التاريخ الذى نجده مذكورًا فى موسوعة كامبريدج للتاريخ القديم. وحيث إن تاريخ عصر الخزف فى منطقة البحر الإيجى كان يتحدد بناءً على التقويم المصرى القديم ؛ فمعنى هذا أن نرفع بداية العصر المينوى المبكر المعادل للهيلادى الأول من عام ٣٠٠٠ ق.م. إلى عام ٣٣٠٠ق.م.، وأن نرفع كذلك بداية العصر المينوى المبكر المعادل للهيلادى الثانى من عام ٢٥٠٠ق.م. إلى عام ٣٠٠٠ق.م.

ولقد أكد ميلارت أن تصعيدنا لتواريخ بداية الدولة القديمة لتصبح أقدم زمنيًا يتضمن بالضرورة أن نقوم بتصعيد مماثل لتواريخ بداية الدولة الوسطى ، الأمر الذى

أجبر الباحثين على التخلي عن تطبيق منهج التأريخ الفلكي عند بداية الأسرة الثانية عشرة الذى اعتمد عليه التأريخ المصرى المبكر بأسره. ومن ناحية أخرى ، فإن الأستاذ ميلارت وافق على إقرار التواريخ التقليدية التى كانت تحدد بداية الدولة الحديثة فى مصر ، وارتأى أنها تعود إلى عام ١٥٦٧ق.م. متفقًا فى ذلك متعارفًا عليه من وجهات نظر. ولقد لجأ الأستاذ ميلارت – فيما يخص التحول الذى ذهب إليه من تصعيد زمنى نحو القدم بالنسبة للدولة القديمة إلى تصعيد زمنى قليل أو متوسط بالنسبة للدولة الحديثة – إلى طريقة مفادها التوسع فى حساب الفترة الوسطى الانتقالية الثانية.

ولسوف نقوم في الفصل الثامن بمناقشة طريقة تأريخ هذه الحقبة الزمنية وحساب مدة استمرارها على نحو أكثر تفصيلاً ، مع الأخذ في الاعتبار أنه ليس هناك أدنى شك في وجود بعض المشاكل المتعلقة بوجهات النظر التقليدية حول تأريخها ومدتها. غير أننى – على أية حال – أجد نفسى عازفًا تمامًا عن إغفال التأريخ الفلكى لبداية الأسرة الثانية عشرة ، حيث إنه يبدو لى بالفعل تأريخًا مبنيًا على أسس راسخة. وبالتالى ، فحيث ينبرى ميلارت لتوسيع نطاق الفترة الوسطى الانتقالية الواقعة ما بين الدولتين الوسطى والحديثة ، أفضل أنا إعادة توسيع نطاق الفترة الوسطى الانتقالية الأولى الواقعة بين الدولتين القديمة والوسطى. والسبب فى ذلك هو أنه قد جرى خلال السبعين عامًا الأخيرة تقليص جوهرى بصفة خاصة لنطاق هذه الفترة – بوصفها أكثر الفترات الزمنية ليونة أو مرونة – وذلك لأن إنقاصها أو حذفها يزود الباحثين بأيسر طريقة للتوصل إلى أدنى تاريخ مرغوب فيه لبداية الأسرة الأولى من الدولة القديمة. وعلى هذا الأساس ، فأثناء مراجعتى للتواريخ المصرية التى تحدد بداية الدولة القديمة، وجدت أن من الأوفق أن أحصر نفسى فى نطاق الحدود التقليدية التى تحدد تاريخًا لبداية كل من الدولة الوسطى والدولة الحديثة.

وفى الواقع ، فإن الأستاذ ميلارت لم يقتصر على مصر وحدها فيما يتعلق بتصعيد تواريخه الزمنية تجاه القدم ، بل أصــر على أن نتائج اختبار الفحص الراديو–كربونى قد أوضحت بجلاء ضرورة إجراء تصعيد مماثل أيضًا للتواريخ الزمنية المتعلقة ببلاد ما بين النهرين خلال الألفيتين الرابعة والثالثة ق.م. ولقد أدى هذا إلى وجود كثير من حالات التزامن أو التطابق فى التواريخ المتعلقة بالبلدين (مصــر وبلاد

ما بين النهرين) لابد من البرهنة عليها بالأدلة. وهنا، حظيت وجهات لابد من البرهنة عليها بالأدلة. وهنا، حظيت وجهات نظر الأستاذ ميلارت بتعزيز جزئى من خلال عمل علمي من نوع آخر ألفه عالم الإحصاء بيتر هوبر (Peter Huber) . ذلك أن الأستاذ هوبر قام بدراسة طائفة من التقارير العلمية عن بلاد ما بين النهرين تتعلق بمواقع أثرية للربة فينوس ولخسوف القمر ، تنتهى إلى بداية الألفية الثانية ق.م. وأوضح الأستاذ هوبر – على أساس هذه التقارير– أن ما يُطلق عليه اسم التقارير الزمنية الوسطى والأدنى لا يتوافق بداهة مع هذه المعلومات المتوافرة لديه ، على حين أن ما يُسمى "بالتقويم الزمنى الأطول" يتوافق معها بصورة أفضل من كافة الوجوه . وأود أن أنوه هنا إلى أنه لا ينبغى علينا أن نخلط فى هذا الصدد بين هذا " التقويم الزمنى الأطول " وبين " التقويم الزمنى الأعلى " الذى استخدمه الباحثون فى بداية القرن العشرين الميلادى ، واستند إليه الأستاذ ميلارت فى براهينه.

وجدير بالذكر أن الأستاذ هوبر – مثله فى ذلك مثل العلماء والفنيين الآخرين العاملين فى حقل اختبارات الفحص الراديو – كربونى – لم يكن لديه هدف شخصى محدد يسعى إلى تحقيقه ، ولم يكن يعنيه أن تغدو نتائجه أقدم زمنيًا أو أحدث من النتائج المعروفة لدى العلماء المتخصصين ، ولكن جل اهتمامه كان منصبًا ببساطة على رؤية المشكلة وكأنها لغز جذاب قابل للحل. ولا يمكننا أن نفترض توافر نفس الدرجة من الحياد لدى علماء الآثار الذين دأبوا على تحريك التواريخ الزمنية نزولاً عن تجاه فترة أحدث وبمدى يقدر بعشرات السنين ، فى الوقت الذى كانوا ينبذون فيه ما توصل إليه الأستاذ هوبر من نتائج محايدة. ومع ذلك ، فيبدو أن موقفهم الآن (رغم عدم حيادهم) قد تدعم من خلال تواريخ لم يتم بعد نشرها ولا التحقق من صدقها ، وهى تواريخ تتعلق بقصر عثر على بقاياه فى شبه جزيرة الأناضول يمكن عن طريقها تعزيز التقاويم الزمنية الوسطى وربما الأدنى. وبالتالى ، فإن على الباحث أن يتخذ موقفًا مرنًا فى هذا الصدد ، يسمح بإمكانية الإقرار بصحة أى من التقويمين الزمنيين المذكورين.

ولو أن المرء قبل " بالتقويم الزمنى الأطول "، فقد يبدو أنه وجد – خلال النصف الثانى من القرن العشرين والنصف الأول من القرن التاسع عشر ق.م. – تناقض لافت

للنظر بين السلم والرخاء اللذين سادا مصر ومنطقة المشرق ومنطقة جنوب بحر إيجة من ناحية ، وبين التدميرات المتكررة التي حدثت في شبه جزيرة الأناضول والبلقان والقوقاز من ناحية أخرى. ففي اعتقاد المحُدَثين من المتخصصين في علم الآثار أن هذه التدميرات المتكررة كانت علامة على انتهاء العصر البرونزي المبكر في هذه المناطق ، وأن السبب في وقوع هذه التدميرات يعزى إلى الغزوات القادمة من جهة الشمال. ومع ذلك ، فلم يتسن لنا العثور بالتحديد على مكتشفات " شمالية " داخل الطبقات التي حدثت فيها التدميرات ، سواء بشبه جزيرة الأناضول أو بشبه جزيرة البلقان. غير أنه تم العثور – من ناحية أخرى – على عدد قليل من المكتشفات التي تنتمي إلى عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية في كل من شبه جزيرة الأناضول وشبه جزيرة البلقان. وبالتالي ، فقد يصبح من الصعب إيجاد توافق بين مثل هذا السيناريو وبين " التقويم الزمني الأوسط ، فضلاً عن أن " التقويم الزمني الأقصر " يقع خارج نطاق الموضوع.

ولقد تعززت إمكانية الإقرار بصحة " التقويم الزمني الأطول " ، وبأن هذه التدميرات قد حدثت نتيجة للغزوات المصرية ، بعد اكتشاف خبيئة ترجع إلى عهد الفرعون أمنمحات الثاني وتم العثور عليها في معبد الإله " منتو " بمنطقة " الطود " التي تقع جنوب مدينة طيبة مباشرة. وتحتوي هذه الخبيئة (أو الكنز) على أواني فضية من منطقة الأناضول ، وعلى مقتنيات أخرى تتضمن أختامًا اسطوانية الشكل من اللازورد ، الذي يعتقد أنه مُستَخرج من مناجم بأفغانستان وأن النقوش المدونة على الأختام المصنوعة منه قد كُتِبَت في بلاد ما بين النهرين ، فيما عدا خاتم واحد منها على الأقل يُحتمل أنه من منطقة الأناضول. وأغلب الظن أن هذه المقتنيات قد وردت في الأصل من منطقة وسط الأناضول ، حيث إنه من المحتمل أن تكون أختام بلاد ما بين النهرين قد وصلت إلى منطقة الأناضول كنتيجة للنشاط التجاري الذي كانت تضطلع به المستعمرات الآشورية ، التي نعلم أنها وجدت هناك خلال الفترة الواقعة بين القرنين العشرين والتاسع عشر ق.م.

ومن المحتمل أن هذه الخبيئة التي عثر عليها في منطقة " الطود " قد وُجِدَت نتيجة لحركة التجارة بين الأناضول ومصر ، ولكن وضعها في معبد الإله " منتو " ، إله الانتصار في الحرب والمرتبط بالإله " ست " المصري بوجه خاص ، يجعل من المرجح

أن تكون هذه الخبيئة قرباناً من الغنائم التى تم الحصول عليها عن طريق الحرب. ولقد تدعم هذا الافتراض بورود إشارة فى نقش " ميت رهينة " إلى هدية من الغنائم من لَدُن الإله " ست " إلى معبد الإله " منتو " فى منطقة " الطود ". وبالتالى ، فيبدو أن علم الآثار يدعم الدعاوى القديمة القائلة بأن الفرعون المصرى سيزوستريس قد قام بفتوحات فى آسيا ، التى يقصد بها " آسيا الصغرى".

أما الدليل المستمد من طراقيا (= ثراقيا Thrakia) القديمة – وهى بلغاريا حاليًا – فهو أقل وضوحًا فى المعالم ، فهناك بالتأكيد تدميرات كبرى قد وقعت خلال نهاية القرن العشرين وبداية القرن التاسع عشر ق.م. ، كما أن هناك كمية من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة – لم يكن ممكنًا أن تؤول إلى حوزة المصريين إلا من خلال منطقة البلقان وحدها – قد ظهرت لأول مرة فى مصر فى عهد الأسرة الثانية عشرة ؛ ولكن هناك احتمالاً مماثلاً بأن الحصول عليها أو اقتناؤها قد تم على امتداد فترة زمنية طويلة الأمد من التبادل التجارى. وبالتالى ، فإن هذا القسم الخاص بفتوحات الملوك الفراعنة يقوم على أدلة ترجيحية ، ولكن البرهان عليها ليس بنفس القوة ولا وثيق الصلة مثل نظيره الخاص بمنطقة الأناضول. كذلك فإن الأدلة المستقاة من سكيثيا (Scythia) ومناطق الاستبس بجنوب روسيا أكثر ندرة من سواها ، فضلاً عن أنها تبدو أصعب فى تكوينها ، نظرًا لأن البدو الرُحّل هم الذين كانوا يسكنون هذه المناطق فى الغالب الأعم خلال تلك الفترة الزمنية.

ولكى يتسنى لنا أن نفحص الآراء القائلة بوجود فتوحات (مصرية) فى منطقة القوقاز، فإن علينا أن نتأمل طائفة أخرى من الأدلة التى تتم معالجتها فى الفصل السادس من هذا الجزء ، ومعظمها روايات متأخرة. فالمؤرخ هيرودوتوس يعتقد أن سكان منطقة كولخيس (Kolchis) – الواقعة على الساحل الشرقى للبحر الأسود – كانوا ينحدرون من نسل الجنود الذين حاربوا فى صفوف جيش الفرعون المصرى سيزوستريس واستوطنوا هذه المنطقة. ولقد بنى هيرودوتوس وجهة نظره هذه على عدد من العوامل ، منها أن أهل كولخيس أنفسهم هم الذين صرحوا بأن نسبهم يرجع إلى هذا الأصل ، ومنها أنهم كانوا سود البشرة وذوى شعر كثيف مجعد على ذات الهيئة التى وصف بها هيرودوتوس المصريين. وسواء أكان الحال على هذا النحو أم لا ، فنحن

نعرف من النماذج الفنية التي تم بها تصوير جنود الدولة الوسطى في مصر من أن صفوفهم كانت تضم نوبيين متماثلي السحن ، جنباً إلى جنب مع الجنود المصريين.

ولقد تبنى عدد من الكتاب المتأخرين وجهة نظر هيرودوتوس عن أصول الكولخيين وتوسعوا فيها وأسهبوا ، وكان أكثر هؤلاء شهرة وذيوع صيت أبوللونيوس الرودى (Apollônios of Rhodes) ، وهو شاعر وفقيه لا يُشَق له غُبار في مكتبة الإسكندرية الشهيرة خلال القرن الثالث ق.م. (٢٩٥-٢١٥ ق.م.). ولقد نظم الشاعر أبوللونيوس الرودى ملحمة شعرية بعنوان " الأرجوناوتيكا " (Argonautika) (= رحلة السفينة أرجو) ، تدور أحداثها حول الرحلة البحرية التي قام بها البطل الإغريقي " ياسون " (Iasôn) إلى بلاد كولخيس على متن سفينة " أرجو " (= السريعة) وبصحبة طاقها من البحارة الذين كانوا جميعًا من الأبطال المغاوير في الأساطير ، بحثًا عن الجزة الذهبية. ولقد تأكدت العصور السابقة على عصر الشاعر أبوللونيوس من صحة كثير من المعلومات الواردة بهذه الملحمة - عن الشعوب القاطنة على امتداد السواحل الجنوبية والشرقية للبحر الأسود - قبل أن تثبت صحتها لعصر أبوللونيوس ذاته ، وهى معلومات توضح بجلاء أن هذا الشاعر كان بوسعه الحصول على مادة تاريخية تتسم بالدقة. وفضلاً عن ذلك ، فإن هذه المعلومات توحي بأن هيرودوتوس لم يكن مُحقًا في احترازه عندما ذكر أن المصريين - على خلاف الكولخيين - كانوا يجهلون الروابط (العرقية والتاريخية) التى تجمع بين بلديهما (مصر وكولخيس). فهناك فقرة مسهبة في ملحمة " الأرجوناوتيكا " تنسب فضل تأسيس كولخيس إلى فرعون مصرى كان ملكًا ، اعتلى العرش قبل أن يوجد ما يسمى ببلاد الإغريق بزمان. هذه الإشارة الواردة في الملحمة - بالإضافة إلى طائفة من مظاهر الثقافة الكولخية التى ورد ذكرها في الروايات المتوافرة - إنما يؤكدون جميعًا الصورة التي رسمها هيرودوتوس ، على الأقل للدرجة التي دفعت الكولخيين - خلال القرن الخامس ق.م. - إلى الاعتقاد بأنهم انحدروا في الأصل من أرومة الجنود الذين كانوا يحاربون جيش الفرعون المصرى سيزوستريس ، ما لم تكن روايتهم المتواترة دقيقة في المقام الأول.

ولا تزال هناك حقيقة لافتة للنظر ، مؤداها أن هناك حتى اليوم سكان محليون في تلك الأنحاء من الأفارقة السود ، الذين نزحوا إليها من منطقة ساحلية شبه استوائية

تقع بالقرب من منتجع سوخومى (Sukhumi) . كذلك فإن الأدلة التى قُدِرَ لها أن تظل باقية – بعد المحاولات التى بذلها " ستالين " لتشتيت شمل أفرادها وإجبارهم بالقوة على الزواج من ذوى قُرباهم الحميين – إنما هى أمة تتحدث بلغة قوقازية محلية خاصة بالأبخاز (Abkhaz) وأفرادها مسلمون شديدو الحفاظ على دينهم. وليس هناك أدنى شك فى أن نفراً من أسلافهم قد هاجر إلى هناك خلال عصور زمنية أحدث ، عندما خضعت المنطقة للحكم التركى. وأيًا كان الأمر، فإن من الممكن أن تعود أصول سكان منطقة البحر الأسود المُحدَثين من ذوى البشرة السوداء إلى فترة القرن السابع عشر الميلادى ، وأن يعود أقدم أسلافه لهم فى النسب إلى فترة القرن الرابع الميلادى. وبالتالى ، فإن الفجوة الزمنية فى حالتهم ليست بأطول مدى من تلك الفجوة التى كانت تفصل بين هيرودوتوس وبين الفرعون سيزوستريس ، فضلاً عن أن إمكانية الاستمرار الاستيطانى بالنسبة لهم – كما يقر بذلك الباحثون فى حضارتى الأبخاز وجورجيا–أمر غير وارد ولا مجال للبحث فيه.

ويبدو أن هناك مناطق أخرى قد حظيت أيضًا بتوافر أدلة تراثية عن مسيرة الفاتح المصرى العظيم. فلا ريب أن التصوير الذى جرى خلال فترة الألف الثانية ق.م. للتعبير عن أرباب الرعد فى مناطق المشرق وحران والأناضول – والذى يشمل بعل (Baāl) ، وتيسوب (Tessub) ، وطارخون (Tarkhwun) - كان واقعًا تحت تأثير بالغ من صور الفرعون المصرى للأزمنة للنظر كما تبدت فى عصر الدولة الوسطى. ولقد كانت أكثر مواطن الشبه إدهاشًا فيها تتبدى فى لباس الرأس العالى المستقر فوق تاج مصر العليا الأبيض ، والذى كان يزداد تعقيداً فى بعض الأحيان بعد أن تُضاف إليه صور للأفعى الحارسة " أورايوس " (Ouraios) (= الكوبرا المصرية) التى كانت تُوضع فى مقدمة تاج الفرعون. ولكن هناك أيضًا أوجه أخرى من الشبه جديرة بالملاحظة – فيما يتعلق باتخاذ أوضاع الوقوف والجلوس – بين هذه الصور الدينية وبين الصور الفرعونية. ولقد سبق أن أثرنا فى الفصل الثانى من هذا الجزء قضية إمكان خضوع المظاهر التى صور البطل هيراكليس وفقًا لتأثير مُستمد من صور فراعنة الدولة الوسطى ، كذلك قمنا فى نفس الفصل بمنح الاهتمام الكافى للارتباط القائم بين هيراكليس وبين هؤلاء الأرباب الذين يسببون الذعر والأذى.

وأبعد من ذلك ، فيبدو من المحتمل أن تُعَدْ الأساطير المتعلقة بالفتح الحضارى للشرق على يد الإله أوزيريس / ديونوس ، والتى أثرت تأثيراً بالغًا فى الإسكندر الأكبر ، أن تُعَدْ جزئيًا على الأقل نوعًا من تطبيق نظرية يوهيميروس - بالمعنى الأصلى الذى سلفت الإشارة إليه ، وهو تحول الرجل العظيم إلى إله - على انتصارات الفرعون المصرى سيزوستريس. وهناك فضلاً عن ذلك ارتباط مباشرين هاتين الشخصيتين : فمن الواضح أن المصريين الذين كانوا يعيشون فى هذه الحقبة قد رأوا فى الإسكندر الأكبر صورة جديدة للفرعون المصرى سيزوستريس من ناحية ، ومن ناحية أخرى فيبدو أن الأساطير المتعلقة بالإسكندر الأكبر - والتى بدأت تنتشر وتروج بعد رحيله عن الحياة - قد صيغت استناداً إلى الملاحم الشعبية التى كانت متداولة عن الفرعون المصرى سيزوستريس خلال العصر الهيلنستى. وفى الحق أن الروايات المصرية المتعلقة بالفرعون سيزوستريس ، والتى قام هيرودوتوس والكتاب الإغريق الآخرون بقصها علينا ، كانت روايات قديمة بصورة واضحة ، وأن فتوحات الإله أوزيريس قد قام الدليل على وجودها بدءاً بالأسرة الثامنة عشرة المصرية.

وبغض النظر عن بقاء أدلة ممكنة وغير مباشرة عن الانتصارات والفتوح فى الأساطير الخاصة بكل من هيراكليس وديونيوس ، فإن لدينا حكايتين إغريقيتين محليتين يمكن بكل يسر وثقة أن يكونا نتاجًا لهذه الأساطير. وأول هاتين الحكايتين هى تلك التى تروى أن الملك المصرى كيكروبس (Kekrops) هو مؤسس مدينة أثينا. وهناك احتمال أن يكون اسم كيكروبس مشتقًا من الاسم الأول للفرعون المصرى سيزوستريس ، وهو " خبر كارع " (Hpr K; r c) ، أو من الاسم الأول لحفيده سيزوستريس الثالث ، وهو " خع كاوورع " (H k;w Rc) . وكانت مدينة أثينا قريبة من مناجم لاوريون التى نعلم أنها كانت تمد مصر بالفضة خلال عهد الأسرة الحادية عشر. وبالتالى ، فإن الاعتقاد بوجود استيطان مصرى قديم فى إقليم أتيكا قد يتلاءم بالتأكيد مع النموذج العام لحملات الفرعون سيزوستريس ، التى كان دافعها الأكبر هو الحصول على هذا المعدن. ولسوف تتم مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى فى الجزء الثالث من هذا الكتاب.

أما الحكاية الثانية التي يُحتمل أن تكون تصويراً شعبيًا لذكرى انتصارات الأسرة الثانية عشرة ، فهي تتمثل في الروايات التراثية الخاصة بفعاليات البطل الأسود ممنون[*] (Memnon) . وكان ممنون هذا – تبعًا للتراث الملحمي السائد – قد تم استدعاؤه خلال حرب طروادة بهدف مد يد العون للملك بريامـوس ، الذى وصفه هوميروس بأنه " أكثر الرجال وسامة في طروادة ". ولقد كانت الروايات التراثية المتعلقة بالبطل ممنون في حقيقة الأمر أكثر شيوعًا في منطقة شمال غرب الأناضول ، حيث كان يُنظر إليه هناك بوصفه ربًا للخصوبة ، يماثل الإله المصرى أوزيريس وتنتحب من أجله السيدات وفصائل الطيور ، وبوصفه أيضًا بطلاً فاتحًا منتصراً اعتبره الشاعر هوميروس مساويًا للفرعون المصرى سيزوستريس.

وليس هناك شك في أن الإغريق نظروا إلى ممنون بوصفه إثيوبيًا[**]، أى على أنه أسود اللون. ولكن هناك بعض التعقيدات التي تكتنف هذه التسمية ، نظراً لأن الإغريق نظروا إلى شعبين بوصفهما إثيوبيين : الإثيوبيون القاطنون جنوبي مصر (وهم النوبيون) ، والإثيوبيون أو " السود " الذين شكلوا قوام سكان مملكة عيلام القديمة الواقعة شرق بلاد ما بين النهرين وشرق الخليج الفارسي. وحضارة بلاد عيلام حضارة قديمة قدم مثيلتها التي ازدهرت على يد الشعوب السامية والسومرية في بلاد ما بين النهرين، كما أن لغتها تنتمي إلى عائلة اللغات الدرافيدية التي لازال لها وجود قوى حتى الآن في جنوب الهند. ورغم وجود أنماط من السلالات الزنجية بين سكان مملكة عيلام ، إلا أنه يبدو أن الغالبية العظمى منهم كانوا سوداً ينتمون إلى سلالة من سلالات جنوب الهند. وما من شك في أنه بحلول العصر الكلاسي وجد العيلاميون – الخاضعون آنذاك للحكم الفارسي – في شخص ممنون بطلاً قوميًا يمثلهم، وليس هناك

(*) كلمة " ممنون " في اللغة اليونانية تُطلق على ابن ربة الفجر (Eos) ، ولقد ورد في الإلياذة أنه ذُبِحَ على يد أخيليوس. (المترجم)

(**) كلمة " إثيوبى " في اللغة اليونانية تعنى " ذو الوجه المحترق " كناية عن سواده ، وهى مكونة من كلمتين: (aitho) بمعنى " يحرق " ، (ops) بمعنى " وجه. (المترجم)

شك أيضًا في وجود اعتقاد إغريقي جازم مُستمد من التراث القديم بأن ممنون قد وَفِدَ من جهة الشرق ، أي من حيث يبزغ نور الفجر.

ومن ناحية أخرى، فقد كانت هناك رواية لا تقل عن هاتين الروايتين قوة ورُجحانًا، ومفادها أن ممنون كان إثيوبيًا من أفريقيا وأنه ارتبط بوادي نهر النيل. فلقد كان اسم ممنون يُطلق من قِبَل الإغريق على التمثال الضخم الشهير الذي يقع على ضفة النهر بالقرب من مدينة طيبة، وأعني به (تمثال) الفرعون المصرى أمنحتب الثالث (Amenhotpe III)[*]. وعلى أية حال ، فلقد كانت هناك كذلك مخربشات حُفِرَت على جسم هذا التماثل أسمته بإسمين، هما : أمينوث (Amenoth) وفامينوث (Phamenoth)، الأمر الذي يوضح لنا أنه كانت هناك معرفة بوجود صورتين من اسم الفرعون المصرى الذي أُقيِمَ له التمثال ، وهما: إمنحتب (Imnhtp) (= آمون حوتب) وأمنحتب (Amenhotpe) الثالث.

وهناك دلائل واضحة في الحقيقة على أن اسم ممنون لم يُشتَق من التسمية الأولى إمنحتب ولكن من تسمية أخرى هي: إمنمحات (imn m h ; t) ، أي أمينيميس (Ammenemês) (باللغة اليونانية) ، وهو الاسم الذي أُطلِقَ على كل من والد سيزوستريس وعلى ابنه كما أنه الاسم الذي ارتبط بانتصارات هذا العاهل وفتوحاته في نقش ميت رهينة وفي وثائق أخرى غيره. كما أننا نعرف كذلك أن العائلة الملكية التي شَكَّلَت قِوام الأسرة الثانية عشرة قد وَفِدَت من جنوب مصر العليا ، وأنها كانت تنحدر من أسلاف نوبيين. وبالتالي ، فإن الرواية التراثية التي تتحدث عن بطل أسود منتصر يدعى ممنون وعن وصوله إلى منطقة شمال غرب الأناضول من جهة الشرق ، قد تتناسب بكل دقة مع تاريخ الحملة التاريخية المصرية التي قادها ابن الفرعون المصرى سيزوستريس ووريثه عبر شبه جزيرة الأناضول ، وأعني به الملك إمنمحات

(*) كان الإغريق خاصة والأوروبيون عامة يُطلقون على تمثالي الفرعون المصري أمنحتب الثالث اسم "تمثالي ممنون"، نظرًا لأنهم كانوا يسمعون صفيرًا كصفير الناي ينبعث من الثقوب التي تكسو التمثالين الموجودين الآن قرب مدينة الأقصر. والأرجح أن هذا الصوت الحزين كان يحدث نتيجة لتبخر الندى من فوق هذه الثقوب. (المترجم)

الثانى (imn m h ; t) . وليس هناك من سبب يدفعنا إلى الظن بأنه كان على الشاعر هوميروس – أو على الروايات التراثية التى استقى منها مادته الشعرية – أن يشعر بلوم النفس أو وخز الضمير ، لأنه أخبرنا بأن بطلاً ينتمى إلى القرن التاسع عشر ق.م. لازال يعيش إبَّان فترة حرب طروادة التى دارت رحاها خلال القرن الثالث عشر ق.م.! ولا تثريب كذلك على الشاعر الرومانى فرجيليوس لأنه جعل الملكة (الفينيقية) ديدو (Dido) ، مؤسسة قرطاجة المنتمية للقرن التاسع ق.م. ، معاصرة لزمن سقوط طروادة التى يسبقها بحوالى أربع قرون. ومن الواضح أيضًا أن ممنون – سواء بصورته الواقعية أو الخيالية – قد أصبح أساسًا للبطل الأنموذج (أو البطل الأصل) ، لدرجة أنه بعد انقضاء فترة زمنية تقدر بسبعمائة عام على حكم الملك إمنمحت الثانى نجد ملكًا على موكيناى لا يزال يحمل اسم أجامنون ، أى "ممنون العظيم".

وبالتالى ، فإن هناك عددًا كبيرًا من الظواهر الأثرية والتصويرية والأسطورية المنتمية إلى منطقة شاسعة والمتعذر حاليًا إيجاد تفسير لها ، قد ارتبطت مع بعضها بإحكام وغدت تشكل معنى ومغزى ، هذا لو أننا قبلنا الروايات الإغريقية ونقش ميت رهينة كحقيقة أساسية. ولن يكون هناك شىء مستحيل بحكم فطرته أو حتى غير قابل للتصديق بالنسبة لحملات الفرعون سيزوستريس ، لو أن المرء قام بتحديدها على النحو الذى تم افتراضه أعلاه. فقد يكون رفضنا لتقبل مصداقيتها التاريخية الجوهرية – فى واقع الأمر – أمرًا مثبطًا ثقيل الوطأة على النفس.

ورغم أن الروايات التاريخية وكذا الأساطير التى نسجها الإغريق كانت مركزية فيما يتعلق بإعادة بناء فتوحات سيزوستريس ، إلا أنه لا توجد لدينا فى هذه الأساطير إشارة (صريحة) – علمًا بأن هذه الأساطير متميزة بوضوح عن الروايات المتواترة عن كيكرويس المصرى – إلى الفرعون المصرى الذى وَفِدَ آنذاك إلى بلاد الإغريق. ومن اللافت للنظر على سبيل المثال أن الأساطير التى تدور حول ممنون كانت متركزة فى منطقة شمال غرب الأناضول ، وليس فى بلاد الإغريق ذاتها.

وينصب الاهتمام الأساسى فى الفصل السابع على إعادة تأريخ الحقبة التى حدثت إبَّانها ثورة البركان العارمة فى جزيرة ثيرا (سانتورينى حاليًا) ، التى تبعد

سبعين ميلاً عن شمال جزيرة كريت. وتُعَدّ ثورة هذا البركان ذات أهمية لعدد من الأسباب ، ولكن أهم سبب منها على وجه الخصوص هو أنها تدفعنا إلى رفع تصاعدى لتأريخنا نحو القدم عند تحديد بداية عصور الخزف في منطقة البحر الإيجي ، وهو الأمر الذى يجعل مؤشرات التأثير القادم من منطقة الشرق الأدنى منتمية إلى فترة زمنية أسبق ، فضلاً عن أنه يوجد تزامنًا بين الفترات الزمنية التى يوحى علم الآثار بوجود اتصال وثيق فيما بينها ، وبين تلك الفترات التى استقينا الدليل على تحديدها من المصادر الوثائقية. وبالإضافة إلى ذلك ، فإن مثل هذا الإجراء يمكن أن يزودنا بدراسة حالة أخرى توضح لنا الطرائق التى يحبذ الباحثون فى نطاقها التمسك بأهداف نظريات مستقرة ثابتة ، بأكثر مما يفضلون مواجهة التورط أو الخوض فى مجاهل أدلة جديدة. (وليس أدل على ذلك) من أننى سمحت - فى الجزء الأول - لعنقى أن يشرئب ، وقبلت التاريخ الواقع بين عامى ١٦٢٨-١٦٢٦ ق.م. كبديل للتاريخين التقليديين، وأعنى بهما عام ١٥٠٠ق.م. أو عام ١٤٥٠ق.م. وكانت الأسباب التى حدت بى إلى فعل ذلك تتلخص فى أن التاريخ الأقدم كان هو التاريخ الذى تم الاستدلال عليه عن طريق الخدوش أو العلامات الموجودة فى طبقات لحاء سيقان الأشجار فى كل من الولايات المتحدة الغربية وأيرلندا ، وفى أن هذه الأدلة التى تم الحصول عليها بهذه الطريقة قد توافقت بطريقة أفضل مع الدليل المستمد من اختبار الفحص الكربونى١٤ . وفضلاً عن ذلك ، فإن التاريخ الأقدم قد فسر لنا أيضًا سبب غياب الروايات القادمة من مصر والتى كان شطراً منها معروفًا بين عام ١٥٠٠ق.م. وعام ١٤٥٠ق.م.، فى الوقت الذى كانت فيه الحقبة الأخيرة من القرن السابع عشر ق.م. تخلو من الأدلة المتعلقة بهذه النقطة. وعلاوة على هذا كله ، فقد تحققت من أن التواريخ الأحدث كانت تعتمد فحسب على حدس مُؤداه أن ثورة البركان كانت سببًا فى دمار الحكم المينوى وانهياره فى جزيرة كريت ، كما أنها كانت فى ذات الوقت سببًا فى انتصار الميكينيين الإغريق على الجزيرة ، وهو الانتصار الذى عرفنا من السجلات المصرية أنه تحقق حوالى عام ١٤٥٠ ق.م.

ومنذ أن قمت بنشر الجزء الأول من كتابى هذا ، ظهر دليل أوفر يعزز صحة التاريخ الأقدم أو الأسبق زمنيًا. ولقد تم التوصل لهذا الدليل عن طريق الطبقات التى

تُكَون لحاء سيقان الشجر في كل من ألمانيا وإنجلترا ، وعلاوة على ذلك من خلال دراسة الطبقات التي خلفها سقوط الجليد في فصل الشتاء وذوبان نهر الجليد الذي يحدث خلال فصل الصيف في جرينلاند. ولقد بينت لنا هذه الظواهر أن هناك زيادة كبيرة في درجة الحموضة التي يمكن للمرء أن يتوقع وجودها بعد حدوث ثورات البراكين ، التي على غرار ثورة بركان جزيرة ثيرا حوالى عام ١٦٤٠ق.م. وكانت هي قشة الجليد التي قصمت ظهر البعير ، إذ غدا بعدها علماء الآثار المتخصصون في فترة العصر البرونزي لمنطقة البحر الإيجي – يسلمون عن بكرة أبيهم تقريبًا بأن أدق تاريخ لوقوع هذا الحدث هو القرن السابع عشر ق.م.

وهناك قسم من الفصل السابع عبارة عن استقصاء يتخذ صورة التحقيق للمناقشات التي دارت في هذا الصدد ، وهدفي من هذا الاستقصاء هو اكتشاف السبب الذي حدا بعلماء الآثار إلى ضرورة التمسك لفترة طويلة يمثل هذا الافتراض المهلهل في مواجهة الدليل المضاد الذي ثبتت موضوعيته. ولقد اعتبرت هذه التحقيقات وأمثالها مجافية للذوق بوجه عام، حيث إن الاتجاه السائد في مثل هذه الأحوال هو : "أن أي إنسان معرض لارتكاب هفوة أو زلة". وكانت أهدافي من اللجوء إلى مثل هذا الاستقصاء هي: أولاً محاولة توجيه تحذير من صياغة الفروض في المستقبل بهذه الطريقة ، وثانيًا ، جعل من يتمسكون بأهداب الفكر الاتباعي يدفعون ثمن مسلكهم. ذلك أننا نُهَاجَم الآن بضراوة وتعسف الهفوات الأكاديمية الناجمة عن الالتزام والاجتهاد ، على حق يقابل من ينتقلون إلى الحذف أو الإغفال بتسامح مفرط ، وهو تصرف ينطوي على قبول للوضع الراهن بغير إعمال لقواعد النقد الموضوعي. لذا فإن مرامي هنا هو أن أبذل ما في وسعي لكي أخفف من حدة التباين عند التعامل مع هذين النمطين من الأخطاء.

ويُوجه الاهتمام في الجزء الثاني من ذات الفصل إلى ثلاث روايات تراثية تبدو أنها حفظت لنا ذكريات فولكلورية عن ثورة بركان ثيرا السالف الذكر. وأولى هذه الروايات وردت في العهد القديم ، ففي سِفر الخروج نجد ذِكرًا لعدد من الظواهر الطبيعية المرتبطة برحيل بني إسرائيل عن مصر ؛ ولقد تم النظر إلى هذه الظواهر – لحقبة زمنية طويلة – على أساس أنها توحي بوجود نشاط بركاني. فهناك ذكر " للظلام

الذى يمكن الإحسـاس به "، و"لعمود السحاب " الذى يظهر نهاراً ، و" لعمود اللهب " الذى يشاهد ليلاً. فضلاً عن ذلك، فهناك الانغلاق الذى حدث فى البحر الأحمر إلى فرقين هائلين ثم انطباق البحر مرة أخرى ليغرق الفرعون المصرى وجيشه ، وهى ظاهرة تشبه بصورة لافتة للنظر الأثر الناجم عن حدوث موجة مد هائلة عقب الزلازل أو الثورات البركانية ؛ وهى موجة تُعرف باسم (tsumai) وتشبه فى صورتها النمط الذى يبدو أنه حدث في سواحل كل من مصر وفلسطين المطلة على البحر المتوسط نتيجة لثورة بركان جزيرة ثيرا.

ولو أننا أرجعنا تاريخ نشأة هذه الروايات الأسطورية إلى عام ١٦٢٨ق.م. بدلاً من عام ١٤٥٠ أو عام ١٥٠٠ ق.م.، فسوف يدعم هذا الافتراض القديم – وهو افتراض قوى بالفعل – الذى يعتقد أن رواية التوراة عن احتجاز بنى إسرائيل فى مصر كأسرى أو عن إقامتهم فيها رواية مؤسسة على ذكرى فولكلورية عن حكم الهكسوس لمصر ، وهى الذكرى التى لعب بنو إسرائيل فيها دوراً بارزاً فى عصور متأخرة. وفى الحقيقة أنه لا يوجد هناك اتساق دقيق (بين أحداث الرواية وثورة البركان)، حيث إن طرد الهكسوس قد تم حوالى عام ١٥٧٠ق.م. ، أى بعد ثورة بركان جزيرة ثيرا بأكثر من خمسين عاماً. وبالتالى فيبدو أنه قد تم إدماج الحادثتين الدراميتين داخل الأسطورة. وأياً كان الأمر ، فإن عام ١٦٢٨ق.م. هو أقرب تاريخ زمنى ممكن لانسحاب الهكسوس من مصر ، كما أنه أقرب لهذه الحادثة من التواريخ الأحدث زمنياً التى تم تحديدها لثورة البركان. كذلك فإن النظرية القائلة بأن هذه الكوارث الطبيعية الناجمة عن وقوع الزلازل كانت ذات فائدة لبنى إسرائيل ، إنما هى نظرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحقيقة أن إلههم " يهوا " (Yahweh) كان إلهاً للزلازل وكل أنواع الاضطرابات فى الطبيعة. فضلاً عن أن إخلاص الهكسوس وتفانيهم فى عبادة الإله " ست "، النظير المصرى لإلههم " يهوا " ، أمر يبرهن على أن هذه العبارة كانت سابقة فى تاريخها على ثورة البركان ؛ وإن كانت كافة الأسباب – مع ذلك – تحدو بنا إلى افتراض أن ثورة البركان قد منحت تدعيماً قوياً لهذه الحقيقة.

أما الرواية الثانية التى تستحق الاعتبار والتنويه ، فهى رواية مصرية – إغريقية قصها علينا أفلاطون فى محاورتَيْه، " تيمايوس " و " كريتياس " ، وهى عبارة عن قصة

درامية تتضمن وصفًا (لقارة) أطلانطيس (Atlantis) (المفقودة) ؛ وهناك رغم بأن هذه القصة قد رويت على السياسي الأثيني " صولون " عند زيارته للعاصمة المصرية "سابيس" (= صاالحجر) حوالى عام ٦٠٠ق.م. ووفقًا لهذه القصة فإن أطلانطيس كان جزيرة غنية رائعة تقع فى المحيط الأطلنطى ، وعقد فيها ائتلاف بين الملوك الذين حشدوا جيشًا بالغ الضخامة ليقهروا به أفريقيا بأسرها فيما عدا مصر ، وأوروبا بأسرها فيما عدا أثينا ، التى تزعمت حركة مقاومة بطولية ضد هذا الجيش الضخم الغازى. أما جزيرة أطلانطيس فقد تعرضت لدمار درامي تسببت فيه الزلازل والفيضانات.

ويبدو أن هناك ضَربين من الخلط قد حدثا في هذه الرواية ، أحدهما جغرافي والآخر تاريخي. ذلك أن الباحثين ارتأوا لبعض الوقت أن هناك ارتباطًا بين الدمار الذى تسببه النيران والدمار الذى يسببه الطوفان من ناحية ، وبين ثورة بركان جزيرة ثيرا من جهة أخرى. غير أن أفلاطون كان واضحًا تمامًا حينما ذكر أن أطلانطيس كانت تقع وراء أعمدة هيراكليس، أى وراء مضيق جبل طارق ، وبالتالى فهى تقع فى المحيط الأطلنطى. وأنا أقر هنا بأن هناك إشارة إلى جزيرة ثيرا وأن الخلط الذى حدث كان بسبب الاسم " أطلانطيس". كما أننى أحاول أن أبرهن على أن الجذع (-Atal) - الموجود فى كلمة أطلانطيس ، وفى كلمة الأطلنطى ، وفى التسميتين اللتين أطلقتا على جبال " أطلس " وعلى العملاق الأسطورى " أطلس " (-Atlas) مشتق من الكلمة المصرية القديمة " إترو " (itrw) (= نهر) التى كانت تستخدم كاسم لنهر النيل بمثل ما كانت تطلق كتسمية على المساحات الشاسعة من المياه ، وكانت تُطلَق بوجهٍ خاص على النهر الذى ساد الاعتقاد قديمًا بأنه يُحيط بالعالم ويكتنفه. إذ كانت هذه الكلمة المصرية فى الحقيقة بمثابة مرادف دلالى لكلمة المحيط (Okeanos) (=Ocean) الإغريقية، وهى تسمية يبدو أنها مشتقة من أصل " ميسوبوتامى". وبالتالى ، فإن أطلانطيس بوصفها بحرًا يمكن أن يقصد بها موقع جزيرة ثيرا فى البحر المتوسط ، رغم أنه من المحتمل أن تكون مرتبطة ارتباطًا غامضًا فى معناه بقارة أمريكا الواقعة فيما وراء المحيط الأطلنطى.

ولقد امتد الخلط الزمني ليرتبط أيضاً بالخلط الجغرافي ، حيث إن كلمة " إترو " في اللغة المصرية القديمة مرادفة لكلمة مصرية من عصر متأخر هي " يم " (ym) (= بحر) ، المأخوذة عن الكلمة السامية " يم " (= البحر)(*) (yam) ؛ وكانت الكلمة الأخيرة (يم) مستخدمة لوصف " شعوب البحر " التي هاجمت مصر خلال القرن الثاني عشر ق.م. ولا جدال في أن الفقرة التي يصور فيها أفلاطون المؤامرة التي دُبِرَت ضد العالم المتحضر عن طريق غزو ينطلق من جزيرة أطلانطيس تتشابه بدرجة مذهلة مع النقش الذي دُوِنَ في عهد الملك رمسيس الثالث ، وهو النقش الذي يصف أيضاً المؤامرة التي تم نسجها على يد "شعوب البحر " في جزرهم. ولو أن المرء قام بالربط بين عودة الهيراكليداي (=آل هيراكليس) - أو ما يُعرَف باسم " الغزو الدوري " - وبين التحركات العسكرية التي قامت بها القبائل في منطقة البحر الإيجي في أعقاب الغزو الذي قامت به " شعوب البحر "، لاكتشف أن مدينة أثينا قد ناهضت الغُزاة الشماليين بالفعل ، رغم أنه سيكون من قَبيل المبالغة والشطط أن نزعم أنها قادت بتصرفها هذا العالم أو أنها أنقذته. ويبدو أن هناك ازدواجية في قصة صولون بين ما يطلق عليه علماء المصريات المحدثون اسم " الفترة الوسطى الانتقالية الثانية " و " الفترة الوسطى الانتقالية الثالثة "، وكذلك الدمار الذي حاق بجزيرة " ثيرا " بسبب ثورة بركانها ، وبين الثورة البركانية التي تعرض لها الهكسوس خلال الفترة الوسطى الانتقالية الثانية والاضطراب السياسي الذي ساد خلال الفترة الوسطى الانتقالية الثالثة.

غير أن ما يُلفْت النظر هنا هو أن الفترة الوسطى الانتقالية الثالثة قد شهدت بدورها ثورة بركانية عارمة ، تمثلت في ثورة بركان هيكلا (Hekla) الثالثة عام ١١٥٩ق.م.، وهو أكبر بركان في أيسلاندا. ولقد أوضح مؤخراً علماء الآثار من الأيرلنديين والاسكتلنديين، وكذا المتخصصون في علم المناخ المتعلق بالعصور القديمة ، أن منطقة شمال غرب بريطانيا قد أقفرت عملياً من سكانها في أعقاب ثورة بركان هيكلا الثالثة ، رغم أنه اتضح لنا أن الظروف المعيشية هناك كانت قد بدأت في التدهور قبل ذلك بعشرات السنين. وعلى الرغم من أن الموقف كان أقل وضوحاً في معالمه ،

(*) وهو الجذر الذي جاءت منه كلمة " اليم " في لغتنا العربية. (المترجم)

وعلى الرغم من عدم وجود كارثة كاسحة مماثلة فى حوض البحر المتوسط الذى يتمتع بنوع من الحماية النسبية ، إلا أننا نرجح أن النموذج المناخى فيه كان مماثلاً لنظيره البريطانى ، أى أن هناك تدهوراً حدث أدى إلى وجود هجرات ووقوع اضطرابات منذ نهاية القرن الثالث عشر ق.م. ، وكذلك إلى حدوث انهيار تام قرب منتصف القرن الثانى عشر ق.م.

ويبدو أن هاتين الثورتين البركانيتين اللتين وقعتا عام ١٦٢٨ وعام ١١٥٩ ق.م. كان لهما أثر درامى بالغ وطويل المدى على الصين. ولذا فإن الفصل السابع لعدد من الرحلات القصيرة التى تم القيام بها فى الصين ، وتم التركيز من خلالها على العمل الرائع الذى اضطلع بإنجازه العالم الصينى – الأمريكى كيفن بانج (Kevin Pang) فى مجال علم المناخ. وكان الأستاذ بانج وزملاؤه فى التخصص قد داوموا على استخدام السجلات الصينية على أمل معاونتهم فى إعداد سجلات حديثة لعلم الأرصاد الجوية على امتداد فترة الأربعة آلاف عام الماضية – ولقد تسنى لهؤلاء الباحثين التوصل إلى تواريخ على قدر من الدقة للظواهر الطبيعية غير العادية التى تتعلق بالمناخ خلال الحقبة الزمنية التى تبدأ بالقرن التاسع ق.م.، بما فى ذلك الظواهر الطبيعية الكثيرة التى يحتمل أنها وجدت نتيجة لوقوع الثورات البركانية. أما فيما يتعلق بالفترة الزمنية السابقة على القرن التاسع ق.م.، فإن عملهم كان حافلاً بالصعوبات الجمة ، وكان سبب ذلك هو الخلاف الشديد بينهم حول دقة التأريخ. وأيا كان الأمر ، فإننى أتفق مع الأستاذ بانج فى أنه من الأفضل أن نؤرخ لسقوط أسرة اكسيا (Xia) الحاكمة بنهاية القرن السابع عشر ق.م.، ولانهيار أسرة شانج (Shang) الحاكمة بنهاية القرن الثانى عشر ق.م.

وكانت الفرضية الرئيسية التى افترضها الأستاذ بانج – استناداً إلى هذا المنهج من مناهج التأريخ – هى أن انهيار أول أسرتين حاكمتين فى الصين ، وهما اكسيا وشانج ، يتزامن فى وقوعه مع اندلاع ثورة البركانين ، وأعنى بهما ثورة بركان جزيرة ثيرا وثورة بركان هيكلا الثالثة. ومن هذا المنطلق ، فحرى بنا أن نأخذ على محمل الجد كثيراً من الظواهر الطبيعية غير العادية التى ورد ذكرها فى المصادر التراثية على أنها مرتبطة بانهيار الأسر الحاكمة – مثل قرص الشمس المزدوج ، وكسوف الشمس

أو خُفُوت نورها، والضباب الجاف ، وسقوط الجليد خلال فصل الصيف ، وغير ذلك. وحتى وقف قريب في عصرنا الحاضر ، كان معظم الباحثين يتصور أن هذه الروايات التي تروى حدوث أحداث خارقة للطبيعة مجرد روايات مختلقة أو خرافية أو مبالغ فيها لأجل هدف سياسى ، غايته إظهار الأسرة الحاكمة القديمة وكأنها فقدت " التفويض السماوى " واستحقت بالتالى أن يُطاح بها على يد الأسرة الحاكمة الجديدة ، التى كانت هذه الروايات تُدَون فى ظل اضطلاعها بالحكم.

ولكن يبدو لنا الآن أن مثل هذه الروايات كانت تحتوى على قدر من الحقيقة ، وأن الثورات البركانية والأعاجيب الفلكية التي ترتبت على وقوعها – وما تلا ذلك من عواقب اقتصادية وخيمة تتمثل في الجَدْب أو القَحْط وفُقْدان المحاصيل – كانت بالفعل أسباباً جوهرية رغم عدم كونها كافية لسقوط الأسرتين الحاكمتين اكسيا وشانج في الصين ، بالإضافة إلى وجود عوامل أخرى اجتماعية وسياسية بالطبع.

وإن احتمال كون هذه الروايات صحيحة ودقيقة يُفضي بنا إلى الاعتقاد بأن الأساس الذى بُنيت عليه النصوص التي تصف سقوط أسرة اكسيا وارتفاع نجم أسرة شانج، لا يعود تقريباً إلى عهد كونفوشيوس إبَّان القرن السادس ق.م. – كما هو مفترض بوجه عام – بل إلى حقبة زمنية أقدم من ذلك بكثير ، وبالتحديد إلى القرن الثاني عشر ق.م. بعد سقوط أسرة شانج الحاكمة ، أو حتى إلى التاريخ الأسبق الذى زعموه ، هو القرن السابع عشر ق.م. وفي كلتا الحالتين ، فمن شأن مثل هذا الأمر أن يوضح أن السادة الصينيين كانوا يفكرون بواسطة المصطلحات الكونفوشيوسية قبل مولد هذا الفيلسوف الشهير بخمسمائة عام أو يزيد. وبناء على ذلك ، فإن ما قاله كونفوشيوس ينبغي أن يؤخذ على محمل الجد ، وذلك حينما ذهب في قوله إلى أنه كان ناقلاً عن سواه أكثر منه أصيلاً منشئاً.

ولاشك أن إعادة تحديد التاريخ على هذا النحو لها نتائج واسعة النطاق ، حيث إنها تطيح بإحدى الساقين اللذين ترتكز عليهما نظرية " العصر المحورى " . وتبعاً لهذه النظرية ، فإن هناك حدثاً استثنائياً وقع بالصدفة أو رعته العناية الربانية فى العالم إبَّان القرنين السادس والخامس ق.م. وبناء على ذلك ، فإن علينا أن نفترض أنه قُدِرَ

للدين الحق وللفلسفة وللعلم أن يظهروا خلال هذين القرنين. ذلك أن كونفوشيوس (Vonfucius) ولاؤوزى (Laozi) (أو لاؤوتزو Laotzu) قد ظهرا خلالهما فى الصين ، وأن بوذا (Buddha) قد ظهر في الهند، وأن زرادشت (Zoroaster) قد ظهر في بلاد فارس ، وأن الديانة اليهودية قد نشأت في بابل، وأن " المعجزة الإغريقية " - وهو أكثر هذه الأحداث أهمية - قد بزغت في بلاد الإغريق-غير أننا نعرف الآن أن كونفوشيوس قد بنى أفكاره بصورة أساسية على ثقافة زو (Zhou) المبكرة التى سادت (الصين) خلال القرنين الثانى والحادى عشر ق.م.، وأنه اعتمد على تراث أقدم سابق عليه زمنيًا. أما بوذا ، فقد كان يمثل رد فعل ضد الهندوسية التي وجدت قبل عصره بأكثر من ألف سنة. وأما زرادشت نفسه ، فقد تحدد تاريخ ظهوره بفترة زمنية تقع خلال الألفية الثانية ق.م.، كما أن شطرًا كبيرًا من العهد القديم - إن يكن معظمه - قد دُوِنَ قبل القرن السادس ق.م. بزمان طويل. وفى الحق أن " الثورة " الوحيدة التى حدثت خلال هذين القرنين كانت هى المعجزة الإغريقية. وإننى لمقتنع أشد الاقتناع بأنها كانت تدين فى ظهورها للديانات المبكرة التى ظهرت فى مصر ومنطقة المشرق ، وأنها كانت تدين كذلك للتراث الفلسفي والعلمى الذى كانت منتشراً في هذه المنطقة.

إن القوة النسبية للمثال الإغريقى هى التى أفشت قواعد اللعبة ، كما أن التصور المتعلق " بالعصر المحورى" يسمح لبلاد الإغريق وبالتالى للأوروبيين باحتلال موقع (متميز) فى مطلع الحضارة العالمية. وبالتالى ، فقد تم التنكر لثقافات العصر البرونزى العظيمة السائدة في كل من آسيا وأفريقيا ، وبات حتمًا مقضيًا على (طائفة من الباحثين) أن يتبرأوا منها ، رغم أن الحضارة الكلاسية (الأوروبية) قد اعتمدت عليها ، ليس فقط فى التقنيات المادية ولكن أيضًا فى الروح والفكر.

ويبدو أن الثورتين البركانيتين اللتين وقعتا فى كل من جزيرة ثيرا وهيكلا الثالثة ، واللتين أديتا إلى سقوط الأسرتين الحاكمتين اكسيا وشانج ، كان لهما دور حاسم وتأثير طويل الأمد فى تاريخ الصين. وقد أسمح لنفسى هنا بأن أذهب إلى مدى أبعد مما ذهب إليه الأستاذ كيفن بانج ، وانبرى للبرهنة على هاتين الثورتين البركانيتين - لو أننا نحينا فترة زمنية قوامها خمسمائة عام جانبًا - قد لعبتا دورًا مهمًا فى إقامة نموذج تاريخى خاص بتعاقب الأسر الحاكمة ، وهو تقليد لا وجود له فى اليابان - على

سبيل المثال – رغم كونها إمبراطورية آسيوية عظمى بدورها. كما أننى أعتقد أيضاً أن الآيات المادية الواضحة التى أظهرت الثورتان البركانيتين عن طريقها زوال " التفويض السماوى "، كانت لها أهميتها فى إرساء تقليد يُخول للناس الحق فى الثورة ضد "السلطة غير الشرعية" فى كل من الصين وفيتنام. فى هذين البلدين نجد أن العرف القاضى " بالتفويض السماوى " – مع ما أُدمج داخله من إمكانية زواله وانقضاء أثره أو فاعليته – قد غدا أمراً مقبولاً ، بل وتم اتحاده مع عُرف قوى يُخْول للناس حق الثورة. وبالتالى ، فرغم وجود الحركات (الاجتماعية) القروية التى تحدث كل ألف عام فى معظم المجتمعات ، إلا أنها قد ارتبطت فى كل من الصين وفيتنام بإمكانية حدوث تغيير سياسى فى عالمنا هذا لا فى عالم تالٍ له.

وخلال القرن التاسع عشر الميلادى ، حينما أراد الباحثون اليابانيون إيجاد مقابل يابانى للمصطلح الأوربى " الثورة " (revolution) ، اختاروا كلمة (kakumei) التى تعنى "زوال التفويض ". أما المقابل الصينى لهذه الكلمة وهو (geming) ، فيؤكد على الارتباط بين المفاهيم التراثية ونظائرها (الأوربية) الغربية. وليس هناك شك فى أنه بحلول الفترة الأخيرة من عقد الأربعينات من القرن العشرين – وهى فترة كانت تُنذر بحلول فاجعة – تم النظر على نطاقٍ واسعٍ إلى " الكومنتانج " (Kuomintang) على أنه فقد " التفويض السماوى ". وبالتالى، فإن الشيوعيين الذين خطوا على " التفويض السماوى " والذين ركبوا موجة الحماس الثورى على المستوى الاجتماعى والقومى ، كانوا يتمتعون آنذاك برخصة مستمدة من التراث، أو يحملون على كاهلهم واجباً يقتضى منهم إعادة تشكيل المجتمع. وكانت هذه السلطة المزدوجة هى التى أتاحت لماوتسى تونج ومناصريه إنجاز تنظيم الاقتصاد وفقًا لمبادئ الملكية الجماعية للأرض بسرعة فائقة لا نظير لها ، كما سمحت لهم بانطلاقة الطفرة الكبرى للأمام وللقيام بثورتهم الثقافية القائمة على مبادئ راديكالية غير مسبوقة. وبالتالى ، فإن الصين اليوم لازالت تحمل سمات ثورة بركان جزيرة ثيرا ، بعد مضى ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام على حدوث هذه الثورة البركانية.

والفصل الثامن مَعْنىٌ أشد العناية فى المقام الأول بالهكسوس (Hyksos) الذين قَدِموا من الشمال الشرقى ، وغزوا مصر أو تسربوا داخل أرضها قُربْ نهاية الدولة

الوسطى ، وبسطوا سلطانهم - على أقل تقدير - على مصر الدنيا (=الدنيا) لفترة تربو على القرن ونصف القرن ، إلى أن تم طردهم منها على يد الأسرة الثامنة عشرة - وهي أسرة مصرية-نوبية قريبة من عام ١٥٧٠ ق.م. وأول مشكلة تقف حجر عثرة في طريقنا هنا هي مشكلة التأريخ ، حيث إن التواريخ المدونة في السجلات المصرية غير مؤكدة. ومرامي هو أن أسعى لإثبات أن الهسكوس - ارتكازًا على أساس (من تواريخ) عصور الخزف الفلسطينية- قد وَفِدُوا على الأقل إلى منطقة شرق الدلتا حوالى عام ١٧٤٠ق.م. أما المشكلة الثانية فتتعلق بأرومة الهكسوس وأصله العِرقى. ومدخلى إلى هذه النقطة مَبنىٌ على التمعن في نصوص الكُتَّاب الذين تناولوا تاريخ الهكسوس. إن نجد أن النص الكلاسى القياسى الذى دونه المؤرخ المصرى - الكاهن مانيثون - عن هذا الموضوع ، يصف الهكسوس بأنهم : " أقوام وافدة من جهة الشرق ، وغزاة من أصل غامض غير معروف." ، وبأنهم غزوا مصر ودحروا (قواتها) بشراسة بالغة. وكما ذكرنا آنفًا فإن الكُتَّاب - على الأقل منذ العصر الهيلنستى - قد ربطوا بين حُكْم الهكسوس لمصر وبين أسر بنى إسرائيل أو إقامتهم فى مصر، لدرجة أن الاعتقاد الذى ظل سائداً حتى أواخر القرن التاسع الميلادى ، كان مبنيًا على فرضية مفادها أن هؤلاء الغزاة (الهكسوس) كانوا من بنى إسرائيل ، أو كانوا عبرانيين من عصر أقدم ويتحدثون بلغة سامية على أية حال.

ولكن ، بناء على الترتيب المنهجى لنزعة العداء للسامية ، يبدو أن هذه الصورة التى تمثل أقوامًا وافدة من جهة الشمال تتقدم وتكتسح وادى نهر خصيب يتميز بالازدهار والرخاء، هى صورة آرية عظيمة وليست سامية على الإطلاق. هذا إذا ما أسقط المرء العرب من حسابه فيما يختص بهدف هذا البرهان، مثلما فعل الباحثون خلال الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادى. وفى الحق أن وجهة النظر هذه بشأن الهكسوس تستمد الدعم والمساندة من مقولة المؤرخ مانيثون " عن أصل الهكسوس الغامض ". فضلاً عن أنها تلقى دعمًا (أشد) من نقش تم اكتشافه ويرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية عشر التى كانت تحكم مصر. ولقد تبين من قراءة هذا النقش أنه يشير إلى عاصمة الهكسوس بكلمة مركبة تجمع بداخلها لفظين ، أولهما لفظ " عامو " (c ; NO) ، وهو المصطلح المصرى الذى كان يُطلق على المتحدثين

بالسامية من منطقة سوريا – فلسطين ، وثانيهما لفظ " سماوو " (Šm ; O) الذى كان يُستَخدم للدلالة على " البدو " الرحل الذين يضمون " الأجانب بين صفوفهم ". ولقد تم تفسير (الكلمة المركبة من هذين اللفظين) على أساس أنها تبين أن الهكسوس كانوا يضمون بين جحافلهم قومًا غير ساميين فى أرومتهم.

ولقد اقترح العلماء الألمان – الذين اعترتهم الدهشة من جراء التشابه الواضح بين الفتوحات المفاجئة للمغول وللأتراك وبين (غزو الهكسوس لمصر) – أن الهكسوس كانوا أمة من " آسيا الداخلية ". وسرعان ما قاموا بمطابقتهم مع الحوارنيين (Hurrians) الذين تم الكشف حديثًا عن أنهم قوم يتحدثون بلغة غير سامية ، وليست هندو–أوربية فى ذات الوقت؛ وكان هناك افتراض سائد بأن هؤلاء الحورانيين قد هاجروا من منطقة ما وراء القوقاز إلى الجزء الشمالى من بلاد ما بين النهرين ، وفى وقت مماثل لقدوم الهكسوس إلى مصر. أما الآن ، فنحن نعرف أن الحورانيين كانوا موجودين فى بلاد ما بين النهريين منذ الألفية الثالثة ق.م. ، وربما منذ حقبة زمنية أكثر قِدَمًا. ولقد ازداد حماس العلماء الذين كانوا يعتقدون أن مملكة حوران من الميتانيين (Mitanni) كانت معاصرة لعهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما اشتد هذا الحماس عندما تم الكشف عن أصل بعض الأسماء الملكية وبعض الأسماء المقدسة لدى الميتانيين ، بالإضافة إلى المصطلحات الخاصة بقيادة المركبات الحربية ، واتضح أنها هندو–إيرانية ، إن لم تكن هندو–آرية. ولقد أوحى ذلك لهم بشدة بأن مملكة حوران هذه قد تكونت فى الأصل بفضل " عرق آرى مسيطر "، ارتبطت سطوته وهيلمانه بالعجلات الحربية. ولقد شد من أزر مقترحاتهم فى هذا الصدد حقيقة مفادها أنه برغم وجود نذر يسير من المعلومات أو برغم غياب المعلومات تمامًا عن منطقة سوريا – فلسطين اعتبارًا من القرن السابع عشر ق.م. – وهو القرن الذى ظهرت عنه من جديد معلومات تتعلق بهذه المنطقة فى الوثائق المدونة خلال القرن الخامس عشر ق.م. – إلا أن من المرجح أنه كان هناك وجود لحورانيين كثيرين ولعدد معين من المحاربين ، من ذوى الأسماء الهندو–إيرانية ، فى هذه المنطقة.

ولقد وقف نفر من علماء المصريات موقفًا مناهضًا من هذه المقترحات (الألمانية) ، واعترضوا على مثل هذا الانتهاك لحرمة تخصصهم (من جانب غير المتخصصين) ،

وتشبثوا بالتيار الذى كان سائداً بينهم آنذاك ، وهو تيار يتمثل فى إبداء الكراهية من جانب المتخصصين للأحداث الدرامية أو للأحداث المبنية على شطحات فكر يصعب تحقيقه. كما أن بعض هؤلاء العلماء قد أحس بالنفور تجاه المضامين المعادية للسامية والمتمثلة فى (الإصرار) على إدخال الحورانيين والآريين فى زُمرة الهكسوس. وكان بوسع هذه الطائفة من علماء المصريات أن تعزز اعتراضاتها عن طريق إيضاح أن معظم أسماء الهكسوس مشتقة من أصل سامى ، وأنه لا وجود هناك لأسماء هندو-أوربية ، أو حتى حورانية بينها.

ولقد ظل هذا الخلاف محتدمًا - خلال عقدى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين - حول الأطر والخطوط العريضة ، وكان فحواه أن علماء دول أوروبا الوسطى، ومعهم المؤرخون القدامى ، قد اعتقدوا بوجود عناصر حورانية وآرامية فى التكوين العرقى للهكسوس ، فى الوقت الذى ركز فيه علماء المصريات من جنسيات أخرى على سيادة العنصر السامى فى أرومة الهكسوس بصورة كاسحة ؛ وإن كانت الغالبية العظمى من الطائفة الأخيرة قد سلمت فى العادة بوجود بعض عناصر حورانية وغير هندو-إيرانية فى أصول الهكسوس العرقية. ولكن يبدو أن التحول الذى حدث بعد الحرب العالمية الثانية ضد ظاهرة العداء للسامية ، وضد النظريات المنادية بوجود "عرق آرى مسيطر" فى أرومة الهكسوس، كان له تأثير بالغ فى نظرة الباحثين المُحدَثين إلى قضية الأصل العرقى للهكسوس.

فالباحثون الآن يميلون إى استبعاد إمكانية وجود عناصر حورانية - ناهيك عن العناصر الهندو-أوربية - فى الأصل العرقى للهكسوس. ثم إنهم يعترضون على الاعتقاد بوجود غزو لمصر قام به الهكسوس ، ويفضلون على ذلك وجود هجرة سامية بطيئة وغير درامية ، أو تسرب لأراضى مصر على شكل مجموعات صغيرة من (الأقوام السامية). ولقد عززت التقاويم الزمنية الحالية - سواء الأدنى منها أو الأوسط - وجهة نظرهم هذه ، نظراً لأن التوسع الحورانى فى سوريا وفى بلاد ما بين النهرين - وهو توسع يلقى الإقرار والقبول- قد حدث تحديداً خلال القرن السابع عشر ، مما يجعل أية علاقة له بتحركات الهكسوس الأصلية منتمية إلى عصر لاحق متأخر جداً. ويعنى هذا أنه صار لزامًا على القلة القليلة من الباحثين ، التى أصرت دومًا على وجود عنصر

حوراني في تكوين (أرومة الهكسوس)، أن تميز بين طائفتين من الهكسوس : طائفة الهكسوس الساميين الذين تسربوا داخل مصر فى عصر مبكر ، وطائفة الهكسوس المتأخرين الذين غزوا مصر تحت قيادة الحورانيين.

ولو قَبِلَ المرء " بالتقويم الزمنى الأطول " فيما يتعلق ببلاد ما بين النهرين ، فإن بوسعه أن يحدد الآن تاريخ التوسع الحوراني الذى تمت البرهنة على وجوده بفترة النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م. ، أى قبل وصول الهكسوس إلى مصر. أما إذا لم يقبل المرء بهذا التقويم ، فسوف يجد أمامه نظائر مماثلة مستمدة من ظهور الإسلام وظهور المنغوليين أو التايبنج (Taiping) فى الصين ، وهى نظائر توحى بأنه من الممكن تمامًا أن تبزغ قوة ذات صولة بغتة فى ظرف عام أو عامين. وفى كلتا الحالتين ، فرغم أننى أستحسن كثيرًا الميول السياسية لهؤلاء الذين حاولوا إنكار التأثير الحوراني أو الهندو-إيراني فى أرومة الهكسوس ، إلا أننى أعتقد أن الصواب جانبهم ، حيث إن هناك أدلة ترجح وجود عنصر حوراني - وربما أيضًا وجود عنصر هندو-إيرانى - فى الأصل العرقى للهكسوس ؛ بل إنها برهنت أكثر من ذلك على أن هذا العنصر كان مرتبطًا على الأرجح بفن امتطاء العربات الحربية ذات العجلات.

وربما آن لنا أن نحظى فى هذا الصدد بحالة واضحة من حالات " النموذج الآرى" . وفى الحق أننى لم أنكر بتاتًا وجود فتوحات أو غزوات تمت من وقت لآخر على أيدى البرابرة القادمين من الشمال ، بل إننى أعتقد فى واقع الأمر أن هذه كانت هى الحال بالنسبة لشمال الهند ، حيث كان هناك تراث قومى يبرر وجودها ، فضلاً عن كونها ملائمة للانتشار اللغوى الذى جرى هناك فى عصر متأخر. وفى واقع الأمر ، فإن القضية المطروحة لإجراء النقاش حولها وللبرهنة عليها فى كتاب " أثينا السوداء " تتلخص ببساطة فى أن هذا النموذج (الآرى) يستعصى على التطبيق فى حالة بلاد الإغريق ، التى لم تكن تحظى بتراث مماثل ولا انتشار لغوى مشابه.

فإذا سلمنا بوجود الحورانيين وبوجود أقوام يتحدثون بإحدى اللغات الهندو-أوربية فى زمرة الهكسوس ، فلن يكون هناك شك فى أن الغالبية العظمى من هؤلاء الأقوام الذين غزوا مصر كانت تتحدث بلغة سامية. والدليل على ذلك أن معظم أسماء

الهكسوس سامية ، كما أن الحفائر التى أُجريت فى (أواريس) - عاصمة الهكسوس بمصر فى منطقة " تل الضبعة " حاليًا بشرق الدلتا - قد أوضحت أن ثقافتهم المادية كانت سورية - فلسطينية ، وبالأحرى كانت مزيجًا من الثقافة المصرية وثقافة منطقة المشرق. وبالتالى ، فبمثل ما كانت قبائل البدو الرحل التى انضوت تحت لواء أتيلا (Atilla) (= قائد الهون) تتألف بصورة كاسحة من الجرمان - جيران الرومان القدامى - وبمثل ما كانت الثقافة التى قُدِرَ لها أن تُهيمن على الشطر الأكبر من غرب أوروبا ثقافة جرمانية وليست ثقافة خاصة بقبائل الهون ، فإن التأثير النهائى لغزو الهكسوس لمصر قد تمثل فى إدخال أسلحة جديدة من أسلحة الهكسوس ، ولكنه أسفر أيضًا عن إدخال ثقافة ولغة من المنطقة السورية - الفلسطينية إليها.

أما الفصل التاسع ، فهو مخصص لما نظرت إليه على أنه استمرار لعملية طرد الهكسوس من مصر وتعقب لفلولهم التى توجهت هذه المرة إلى منطقة البحر الإيجى. وفى حقيقة الأمر فإننى لست أول كاتب ينادى بذلك، إذ سبق للأستاذ إدوارد ماير (Edward Meyer) - العالم الألمانى والمتخصص راسخ القدم فى التاريخ القديم - كما سبق لباحثين آخرين غيره أن قدموا وجهة النظر هذه بذاتها فى بدايات القرن العشرين. كما حاول الأستاذ فرانك ستابنجز (Frank Stubbings) ، عالم الآثار بجامعة كامبردج ، أن يبرهن فى وقت أحدث على أن القبور القبابية(*) فى موكيناى(**) كانت مدافن مخصصة لأمراء الهكسوس-ولكن رأيه هذا ظل بوجه عام غير رائج ولم يحظ بالقبول طوال فترة الخمسين عامًا الأخيرة.

مرامى فى هذا الفصل هو أن أسعى جاهدًا مرة أخرى لإنعاش الجدل الدائر بين العلماء حول الاكتشافات التى حدثت خلال فترة منصرمة مقدارها عشرون عامًا أو يزيد. وكانت أهم التطورات التى أسفرت عنها هذه الاكتشافات هى إرجاع كثير من

(*) حول المقابر القبابية (Vaulted Tombs) - كأخص خصائص العمارة الميكينية - راجع كتابنا: تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠م. (المحرر)

(**) تسمى الآن فى اليونانية الحديثة تبعًا لاسم قرية قريبة من الموقع الأثرى - باسم ميكينز (Mykénes) . (المحرر)

عصور الخزف إلى تواريخ زمنية أقدم ، بناء على التاريخ الذى تم تحديده لثورة بركان جزيرة ثيرا. ولقد أوضحت هذه التواريخ الجديدة التى تم تحديدها بطريقة التصاعد نحو القدم أن التحولات التى حدثت فى الثقافة المادية لمنطقة البحر الإيجى كانت مرتبطة بفن متفرد جداً من فنون الشرق الأدنى وبالتقنيات المتعلقة بها خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر ق.م. ، ويعنى هذا أنه يجب ربط هذه التحولات - أو لنقل هذه التجديدات - بالهكسوس. وبناء على ذلك، فليس بمقدورى - فيما يخص هذه الجزئية - أن أسير على منوال " النموذج الآرى القديم "، الذى جرى الاعتقاد وفقًا له بأن الهكسوس المطعمين بعناصر فينيقية / مصرية قد وصلوا إلى بلاد الإغريق بعد أن تم طردهم من مصر حوالى عام ١٥٧٠ق.م. وفى واقع الأمر فإننى أسعى لإثبات أن مستوطنات الشرق الأدنى فى منطقة البحر الإيجى قديمًا قد وجدت فى فترة قريبة من بداية حُكْم الهكسوس لمصر ، أى حوالى عام ١٧٣٠ق.م.، وليس فى فترة قريبة من نهاية حكمهم لها. وهذا التعديل المتعلق بالتأريخ هو فى الواقع بمثابة تنقيح أو "مراجعة" " ثانية "للنموذج القديم المنقح" ، أما " المرحلة الأولى " فتتمثل فى التسليم بأن الأساس الهندو - أوروبى للغة اليونانية لابد أن يكون قادمًا من الشمال - بطريقة أو بأخرى - خلال فترة زمنية معينة.

ويتناول القسم الأول من الفصل التاسع التغيرات التى حدثت فى جزيرة كريت حوالى عام ١٧٣٠ق.م. ، ففى تلك الحقبة حل الدمار بالقصور الكريتية ثم أعيد تشييدها على جناح السرعة. ورغم أنه كان هناك بالضرورة استمرار ثقافى ، إلا أنه وجدت اختلافات كافية حدت بمعظم المؤرخين إلى التمييز بين حقبة زمنية تُعرف باسم " عصر القصور الأقدم " وحبة تعرف باسم " عصور القصور الأحدث "، وهما حقبتان موجودتان قبل حدوث هذه التغيرات وبعدها. وهناك أيضًا اتفاق عام على أن القصور الأحدث قد تأثرت بدورها على نحو أكبر بالتأثيرات الوافدة من منطقة الشرق الأدنى ، رغم أن القصور الأقدم قد تأثرت أبلغ التأثر بذات التأثيرات الوافدة.

ورغم أن معظم الباحثين يشهدون بوجود هذا الاستمرار الثقافى بناء على خبرتهم بالمعادن الكريتية ، إلا أن معظمهم يقر أيضًا بأن أسلحة الحقبة الحديثة قد تأثرت بصورة بالغة بالشرق الأدنى وبالتقنيات السورية على نحو خاص. فلقد أدخل السيف

كسلاح إلى جزيرة كريت إبَّان عصر الخزف المواكب للفترة الثالثة من العصر المينوى الأوسط (١٧٣٠-١٦٧٥ق.م.). ولقد جرى نقاش حول إمكان وجود أصل اشتقاقى مصرى وسامى يحظى بالقبول للكلمتين الرئيسيتين المستخدمتين فى اللغة اليونانية للدلالة على السيف، وهما: (Xiphos) ، (Phasganon) ، وهما كلمتان ليس لهما مقابل أو مثيل مشابه فى اللغات الهندو-أوروبية. ويبدو أن العربة الحربية - التى تعتبر هى والسيف سلاحًا أعجوبة - قد دخلت إلى جزيرة كريت فى نفس الوقت الذى دخل فيه السيف إليها ، أى إبان العصر البرونزى المتأخر.

وفى مجال الفن ، يجد المرء طرازًا لم يكن معروفًا عمليًا من قبل ، سواء فى منطقة البحر الإيجى أو فى منطقة الشرق الأوسط. هذا الطراز الجديد يتمثل فى صورة مستحدثة من صور التعبير الفنى تُعرف باسم " الوثبة الطائرة (Flying lerp) ، حيث تمنح الحيوانات وفقًا لهذا الانطباع بأنها تتحرك بسرعة فائقة عن طريق مد قدميها الأماميتين والخلفيتين معًا فى الهواء فى آن واحد. وبوجه عام ، فهناك تركيز واضح - فى هذه الصورة - على الحيوية الدافقة المتمثلة فى التحليق والسرعة. ويظهر هذا الطراز أيضًا فى بعض المقتنيات المصورة القليلة التى خلفها لنا الهكسوس ، سواء فى مصر أو فى منطقة سوريا - فلسطين .

وهناك فكرتان رئيسيتان (= موتيفتان) وفدتا خلال هذه الفترة ، وهما أبو الهول المجنح (Winged Sphinx) والغريفن (Griffin) . ورغم أن أبا الهول قد ظهر أصلاً بمصر فى زمن بالغ القدم ، إلا أن صُوَره المُجَنَّحة التى ظهرت فى جزيرة كريت قرب نهاية القرن الثامن عشر ق.م. كانت مستلهمة من وحى طراز سورى ، فضلاً عن أنها كانت ترتبط تحديداً بالهكسوس.

أما الغريفن - وهو عبارة عن مخلوق له جسم أسد ورأس صقر أو نسر - فقد أدخل أيضًا بصورته السورية تحديداً إلى جزيرة كريت إبَّان عصر الخزف المواكب للفترة الثالثة من العصر المينوى الأوسط. كما أن الغريفن قد مثل بصورة متكررة على امتداد فترة تالية قوامها خمسمائة عام فى منطقة البحر الإيجى ، وهو يقاتل أو يقتنص

فرائسه من " الوضع الطائر ". ولم يكن هذا التمثيل مجرد تصوير ينتمى إلى تاريخ الفن بقدر ما كان تصويراً يوحى بأهمية سياسية قوية ، نظراً لأن مخلوقات الغريفن كانت موضوعة على جانبى كرسى العرش فى أكبر القصور الكريتية وهو القائم فى مدينة كنوسوس ، وكذلك فى القصر الميكينى المشيد فى بيلوس (Pylos) (وهو المعروف باسم قصر نستور Nestor) . وبالتالى ، فيبدو أن الغريفن - مثله فى ذلك مثل أبى الهول المُجَنَّح - كان شعاراً ملكيًا للهكسوس ، وأنه اقتبس منهم على أيدى الملوك الكريتيين. وقد يُفسر مثل هذا الاقتباس الزيادة الملحوظة كمًا وكيفًا فى الأسلحة المنتمية لطرز كانت سائدة فى منطقة الشرق الأدنى ؛ كما يبدو أن (مَنْ كانوا خلفها وعززوها) هم بالأحرى الهكسوس أنفسهم. ولم يكن السبب فى هذا فحسب هو الدمار الذى حق بالقصور الكريتية خلال هذا العصر ، ولا الزيادة المحسوسة للتأثير المشرقى وللرموز التى خلفها الهكسوس. ولكن السبب يرجع إلى عثورنا - فى الطبقة التى حاق فيها الدمار بالقصر القديم المشيد فى كنوسوس - على عدد من الأختام التى ثبت أنها تظهر بجلاء الطراز الفنى الحيوى الجديد ، وعلى صورتين يُرَجح أنهما ملكيتين ، تمثل الأولى منهما أميراً شابًا وتمثل الثانية رجلاً ملتحيًا. ولا يوجد مثيل معاصر لفترة الصورة الثانية سوى فازة مثيرة للدهشة ، على هيئة رأس ، تم العثور عليها فى مقبرة من مقابر الهكسوس فى جيريكو (Jericho) ، وسوى الأقنعة التى تم العثور عليها فى المقابر المحفورة (Shaft Graves) الموجودة فى موكيناى.

وعلى وجه الإجمال ، فرغم عدم وجود برهان على أن الهكسوس قد قاموا بغزو جزيرة كريت أو فتحوها خلال تلك الفترة ، إلا أن عدد النهايات المبعثرة التى يمكن لمثل هذا الافتراض أن يربط بنها يجعل من الأجدى لنا اقتصاديًا أن نقتفى خطى الأستاذ إدوارد ماير وخطى المؤرخين الآخرين الذين افترضوا هذا الافتراض. وإن كان هناك برهان تفصيلى على هذا وارد من بقعة أخرى من منطقة البحر الإيجى.

ويدور القسم الثانى من الفصل التاسع حول المدينة التى تُسَمى حاليًا أكروتيرى (Akrotiri) والواقعة فى جزيرة ثيرا ، وهى مدينة غطتها الحِمَمْ التى أهالتها ثورة البركان. ورغم أنه لم تجر حفائر سوى فى جزء صغير من هذه المدينة ، إلا أن ما تم الكشف عنه حتى الآن يعتبر بالغ الإثارة. فلقد كانت مدينة أكروتيرى إحدى مدن

حوض البحر المتوسط المزدهرة ، وكانت ذات طراز أساسي مازال موجوداً حتى الآن ؛ ولقد تم الكشف فيها عن منازل مبنية من طابقين كانت تزخر بمقتنيات استهلاكية معتادة. وبالتالي ، فيمكن اعتبارها مدينة من العصر البرونزي مماثلة في ظروفها وقدرتها لمدينة بومبي الإيطالية ، وإن كانت أفضل منها فيما يتعلق بالحالة التي حُفِظَت بها اللوحات الجدارية الجصية ، التي تقدم لنا معلومات ضافية عن التقنيات الفنية ، وكذا معلومات خلابة أوفر عن صورة المجتمع في هذه المدينة إبان العقود التي سبقت ثورة البركان. ذلك أن هذه اللوحات لا تصور فقط مجتمعاً طبقيًا غنيًا ومتطوراً ، بل تصور كذلك مجتمعاً عالميًا إلى أقصى حد بما يضمه من أجناس شتى ، لا تقتصر المعرفة فيه على جزيرة كريت وحدها بل تمتد لتشمل أفريقيا ومنطقة المشرق. ولقد أبدى الخبراء دهشتهم إزاء ما عثروا عليه من مكتشفات ، نظراً لأنها أوحت لهم بعمق التأثير المصري الواضح ، وبوجه خاص في الزوارق المخصصة للاحتفالات. كذلك فإنه هؤلاء الخبراء قد عجبوا أشد العجب من الثياب البيضاء ذات الحواف (المطرزة)، التي كان يرتديها أفراد الطبقات العليا (في هذه المدينة). وإني أعتقد أن هناك نظائر جيدة لهذه الثياب يمكن العثور عليها في سوريا.

أما مؤرخو الفن ، فقد لاحظوا بدورهم أن هناك لمحة من التأثير الميكيني في اللوحات الجدارية التصويرية ، رغم أن الرسومات المصورة عليها بما تتضمنه من ثقافة كانت تدين بالكثير لحضارة كريت. فلقد كانت هذه اللوحات تصور رجالاً مسلحين يرتدون خوذات من ذات الطراز الذي كان سائداً في الجزء القاري من بلاد الإغريق ، بالإضافة إلى العثور على مناظر مشابهة للمناظر المصورة بطريقة التطعيم (niello) التي كانت مستخدمة في المقابر الأسطوانية الموجودي في موكيناي ؛ وطريقة النَّل هي طريقة فنية لزخرفة المعادن وطلائها بطبقة من الميناء عن طريق ملء خطوط الرسوم المنقوشة على الصفائح المعدنية بمزيج معدني أسود فاحم. غير أنني أعتقد أنه يمكن النظر إلى كل من هاتين التقنيتين - إلى جانب الصور الجدارية - على اعتبار أنهم ينتمون إلى ثقافة " الهكسوس العالمية ".

إن الطبيعة العالمية (Cosmopolitan) لهذا المجتمع (الممثل في مدينة أكروتيري) تبعث فينا مزيداً من الدهشة ، هذا لو أننا آمنا بأن ثورة البركان وبأن تاريخ تأسيس

هذه المدينة قد حدثا خلال الفترة الواقعة بين أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن الخامس عشر ق.م. فلو أننا حددنا تاريخًا جديداً لثورة البركان (بناء على الاعتبارات التي سلف ذكرها) ، فلا ريب أنه بوسعنا الآن أن نعرف أن هذه اللوحات الجدارية الجصية قد سجلت مظاهر الحياة في مجتمع معاصر للقرن السابع عشر ق.م.، أي بعد مرور قرن كامل على الغزو الذي يُفتَرض أن الهكسوس قد قاموا به لجزيرة كريت. وقد يتناسب مثل هذا الافتراض بصورة جيدة - في واقع الأمر - مع كثير من المظاهر الموجودة على اللوحات الجدارية والتي كانت قبلاً تثير حيرتنا. وتتمثل هذه المظاهر الباعثة على الحيرة في وجود كل من التأثير العالمي والتأثير المصرى ، وفي وجود تأثير لكل من الطابع الحربي والمؤثر الميكيني، وكذلك في وجود مخلوق الغريفن - وهو رمز ملكي - مرسوماً على إحدى اللوحات الجدارية.

وخلال العصور الكلاسيية ، راجت روايات تراثية عديدة مفادها أن جزر الكيكلاديس - التي كانت جزيرة ثيرا واحدة منها - قد خضعت للسيادة الكريتية ؛ وليس لدينا سبب واحد يحملنا على الظن بأنه كانت هناك فترة واحدة لا سواها لخضوع هذه الجزر للسيادة الكريتية. وعلى أية حال، فهناك عددٌ من الباحثين يعتقدون بالفعل أن نهاية العصر البرونزى الأوسط وبداية العصر البرونزى المتأخر كانتا تمثلان كلتاهما حقبة واحدة من حقب السيطرة الكريتية؛ ويعد هذا في ذاته أمرًا مقبولاً. ولكن، لو أن جزيرة كريت نفسها كانت خاضعة لحكم أمراء الهكسوس في تلك الحقبة ، فقد يوحى هذا بوجود سيادة للهكسوس أيضًا على جزر الكيكلاديس خلال الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر وإبان القرن السابع عشر ق.م. فهل مارس الهكسوس يا ترى نوعًا آخر من النشاط الحربي في منطقة تقع أبعد من ذلك شمالاً ؟

وهناك قليل من الشك يراودنا حول ما إذا كانت أعظم مكتشفات العصر البرونزى إثارة في مجال الثقافة هي المكتشفات التي تم العثور عيها في الجزء القرى من بلاد الإغريق - وبالتحديد في موكيناى - على يد العالم الأثرى والمفسر العبقرى الألماني هينريش شليمان (Heinrich Schliemann) . ذلك أن حفائر شليمان هذه ، التي كشفت لنا عن المقابر الأسطوانية في ميكنياى ، قد أوجدت لنا ما يمكن اعتباره الكشف الأول الذي سيظل على الدوام أعظم كشف مذهل عن الثقافة التي أصبحت تُعَرَّف منذ ذلك

الوقت " بالثقافة الميكينية". فالمقتنيات التى تم دفنها مع القادة الأوائل من حُكام موكيناى مقتنيات بالغة الروعة ، كما أن الأثر المباشر الذى خلفته فى نفوسنا عنها يشى بالعنف والبداوة ، نظراً لأنها تضم كميات كبيرة من الأسلحة التى زُيِنَ بعضها بحلية جميلة بطريقة " التطعيم "، وأقنعة مصنوعة من رقائق الذهب لمحاربين ملتحين بصورة لافتة للنظر.

ويكشف الفحص المتأنى الدقيق لهذه المقتنيات عن نزعة انتقائية غير عادية : فالخزف الذى تم العثور عليه ينتمى إلى التراث المحلى للعصر الهيللادى الأوسط ، أما ما عدا ذلك تقريبًا فهو دخيل أو مجلوب من الخارج وينم عن أنه جديد على بلاد الإغريق. فأما التأثير الأشد قوة فى هذه المقتنيات فهو وافد من جزيرة كريت ، ولكن هناك طائفة أخرى من التأثيرات الوافدة من مناطق خارجية أبعد من كريت : فالعنبر مجلوب من منطقة البلطيق، والكوارتز الشفاف مجلوب من جبال الألب ، وبيض النعام مجلوب من أفريقيا ، فضلاً عن وجود بعض المقتنيات التى تظهر بجلاء التأثيرات السورية – الفلسطينية والمصرية. وأيًا كان الأمر ، فإن معظم مظاهر التأثيرات الأخيرة كانت من نوعية غير عادية للدرجة التى أعتقد بأن أفضل وصف لها هو أنها تنتمى لطراز " الهكسوس العالمى " وبعيدة عن مواصفات التأثير المصرى ". وأرى لزامًا على أن أصرح بأن أصول هذه الثقافة المادية ذات الخصائص المتغايرة كانت غاية فى التعقيد بصورة واضحة ، وبالتالى فإن أى مخطط تاريخى يتصدى لتفسيرها لابد وأن يكون بدوره على نفس الدرجة من التعقيد والصعوبة.

والنموذج المقترح هنا مشابه على الأرجح لنظيره المتعلق بغزو النورمان لإنجلترا: فالفايكنج (Vikings) الوافدون من بلاد اسكاندبنانيا استولوا على نورمانديا ، ولكن بعد انصرام قرن أو يزيد قام النورمان بغزو إنجلترا وألحقوا بها الهزيمة. غير أن الأثر الناجم عن الغزو لم يتمثل فى جلب ثقافة اسكاندبنانيا ولغتها إلى إنجلترا ، بل انحصر فى إدخال لغات النورمان، وثقفات أتباعهم من رجال الإدارة الفرنسيين والإيطاليين إليها. وفى الحق أن قوام الاختلاف بين النموذجين يتبدى فى أن النورمان قد أصبحوا ذوى ثقافة فرنسية بحلول عام ١٠٦٦ ميلادية ، على حين أن زعماء الهكسوس وأمراءهم كانوا لا يزالون يحتفظون بسمات كثيرة من ثقافتهم المادية ، وعلى الأرجح

أيضًا من لغتهم ، نظرًا لأن توسع الهكسوس كان أكثر سرعة. وأيًا كان الأمر ، فإن سيادة الخصائص السامية في صفوف الهكسوس بصورة لافتة للنظر أثناء إقامتهم بمصر ، قد توحي بشدة بأن ثقافات البرابرة الأصلية لم تؤثر فيهم إلا بدرجة ضئيلة - وذلك على غرار ما حدث من توسعات بالنسبة لتكوين الإمبراطوريات المتبربرة ، مثل إمبراطوريات الهون والمنغوليين والمغول - وذلك حين نجح هؤلاء البرابرة في إدخال ثقافات الآخرين ، إلى البلاد التي قاموا بفتحها. وبالتالي ، فقد ساعد الهون على جلب الثقافة الألمانية إلى أوروبا الغربية ، وحمل المنغوليون ثقافة شرق أسيا إلى إيران وأوروبا ، وجلب الأتراك المغول الثقافة الفارسية إلى الهند ؛ وفي كل حالة من هذه الحالات قامت الأقوام الغازية بتغيير الثقافات التي حملتها قبل أن تقدمها إلى البلاد التي استقبلتها.

والافتراض الذي نقترحه هنا هو أن الأسر الملكية الحاكمة المدفونة في المقابر الأسطوانية وفي باقي المقابر الميكينية الأخرى ، إنما هي لغزاة من الهكسوس القادمين من سوريا ، وكان هؤلاء الغزاة يتحدثون على الأرجح بالحورانية أو بلغة هندو - إيرانية. وأيًا كان الأمر ، فلقد كانت غالبية الطبقة الحاكمة (في موكيناي) طبقة مشرقية من المتحدثين بلغة سامية ، وكان يوجد بين صفوفهم عدد لا بأس به من المصريين والكريتيين الذين كان معظمهم يتحدثون أيضًا بلغة سامية على الأرجح ؛ وكانت الثقافة المصرية - وبوجه خاص في ميدان الديانة - متغلغلة تمامًا في كل هذه المجموعات العرقية الثلاث. وبالتالي، فمن ناحية نجد أن الاستمرارية التي تتبدى في طرز الأواني الفخارية جنبًا إلى جنب مع الحقيقة الدالة على أن اللغة اليونانية هي لغة هندو - أوربية ، يوضحان دوام واستمرارية السكان الأصليين وثقافتهم. ومن ناحية أخرى ، نجد أن التغير الملحوظ الذي طرأ على الثقافة المادية وأن التأثيرات الجديدة الدخيلة كذلك التي ارتبطت بالروايات التراثية الإغريقية عن الاستيطان المصري والفينيقي في تلك المنطقة ، إنما تبرهن جميعًا على وجود غزاة أجانب بين مصر ومنطقة المشرق قدر لهم أن يحكموا أجزاء من بلاد الإغريق أو يهيمنون عليها بأسرها ، حتى العصر الذي وصل إليها فيه آل بيلوبس قادمين من شبه جزيرة الأناضول خلال القرنين الخامس

عشر والرابع عشر ق.م. أما بالنسبة لمدينة طيبة ، فلقد استمرت الأسرة الفينيقية الحاكمة حتى سقوط المدينة إبان القرن الثالث عشر ق.م.

ووفقًا للمخطط التاريخي المقترح هنا ، فنجد أن ما نعتبره طرازًا فنيًا " ميكينيًا " يتبدى على أفضل صورة في المقتنيات التي قدر لها البقاء من طراز الهكسوس الذى نشأ أصلاً في سوريا خلال القرن الثامن عشر ، على الرغم من وجود تأثيرات محلية وأخرى وافدة من شبه جزيرة الأناضول بعد عام ١٤٠٠ ق.م. ولقد اختفى هذا الطراز على نطاق واسع – وإن لم يختف بالكامل – في كل من مصر وكريت ، نظرًا لوجود تراث محلي ثري يتسم بالتركيب والتطور في كل من البلدين. وعلى العكس من ذلك ، فإن الجزء القارى من بلاد الإغريق – الذى كان أقل تطورًا خلال العصر الهيلادى الأوسط – لم يبد من المقاومة تجاه ذلك الطراز الفني سوى النزر اليسير ، وبالتالى فقد انفتح الباب على مصراعيه أمام الطراز الفني للهكسوس لكي يصبح الطراز المميز لمنطقة البحر الإيجي خلال العصر البرونزى المتأخر.

وعلى قدر ما نعلقه من أهمية على اللغات ، فهناك في ذهني قدر ضئيل من الشك في أن الكلمات والأسماء – مصرية كانت أو سامية – كانت متداولة في منطقة البحر الإيجي خلال الألفية الثالثة ق.م. فمن الثابت أن الإغريق قد استعادوا بصورة كبيرة من هذه اللغات خلال فترة السيطرة المصرية على منطقة شرق البحر المتوسط إبان العصر البرونزى المتأخر بعد عام ١٤٧٠ق.م. ، وكذلك إبان العصور الجيومترية والأرخية والكلاسية ، التي يبدأ أولها بعام ٩٥٠ ق.م. وينتهي آخرها بعام ٣٠٠ ق.م. ومع ذلك ، فإن القرنين الواقعين ضمن الحقبة الزمنية الممتدة من عام ١٧٣٠ق.م. حتى عام ١٥٣٠ق.م – وهما القرنان اللذان تم اعتبارهما في الغالب الأعم أقوى الفترات التي يُرجح أن اليونانية قد تكونت خلالها كلغة– يبدوان وكأنهما القرنان اللذان تم خلالهما خُضُوع بلاد الإغريق لحكم أقوام من المتحدثين بلغة سامية غربية وكذلك لحكم أقوام من المتحدثين باللغة المصرية القديمة. وبوجه عملي ، فما من شك في أن كلاً من هاتين اللغتين كانت لها منزلتها الرفيعة في المنطقة إبّان ذلك العصر.

ويتعلق الفصل العاشر بالأدلة الوثائقية المعاصرة ، وأعنى بها الروايات المتواترة في مصر ومنطقة المشرق عن الصلات التى نشأت بينهما وبين منطقة البحر الإيجي خلال العصر البرونزى ، وكذا الإشارات الوافدة من منطقة البحر الإيجي والتى تتعلق بصلاتها بمصر وبالمنطقة السورية - الفلسطينية.

ولقد تم تخصيص القسم الأول من الفصل العاشر للسجلات المصرية. وهنا - كما فى سائر أجزاء هذا الكتاب - نجد لزاماً علينا أن نقرر المغزى الذى كان يعنيه الكُتَّاب القدامى عند ذكرهم لأسماء الأماكن المختلفة التى كانوا يستخدمونها - وعلى سبيل المثال ، فهناك الاسم " منوس " (Mnws) الذى كان مُستَخدمًا منذ عهد الأسرة الثانية عشرة للإشارة إلى بلد أجنبى يقع فى الشمال الغربى ، وكان هذا البلد مرتبطًا بقوم يعرفون باسم " فنهو " (Fnhw) الذين كانوا على الأرجح هم الفينيقيون. (ومن ناحية أخرى) فقط ربط بعض الباحثين المحدثين بين " كلمة منوس " وبين الملك مينوس (Minos) وجزيرة كريت ؛ وبالتالى فإن الموقف ليس واضح المعالم بحال من الأحوال. وأود أن أنوه هنا بأننى ناقشت فى الفصل الرابع من هذا الجزء موضوع اشتقاق اسم الملك مينوس من اسم الإله المصرى " مين "، وكذلك موضوع ارتباط (هذا الملك الكريتى) بأول فرعون مصرى ، وهو الملك " مين " /مينيس (=مينا). غير أن هناك احتمالاً آخر أبعد منالاً ، مفاده أن كثيراً من أسماء الأماكن المعروفة تحت اسم (Minoa) جنوبى منطقة البحر الإيجى وقد اشتقت من الكلمة السامية الغربية " منوهاه (Menuhah) ، التى تعنى " مكاناً للراحة أو استراحة ". وبغض النظر عن ذلك ، فهناك احتمال قوى فى أن تشير كلمة " منوس " بالفعل إلى مناطق من جزيرة كريت ، وبالتالى فإن الدليل الوثائقى يوحى بأن أمراء جزيرة كريت قد رضوا بسيادة الفرعون المصرى " سيزوستريس" عليهم ، وهذا الدليل مجرد دليل آخر من الأدلة التى سبقت مناقشتها فى الفصول الأولى من هذا الجزء ، ووجدت أنه يجدر بى أن أقوم بتوضيحه.

أقام الاسم " كفتيو " (Kftiw) (وهو يشير فى اللغة المصرية القديمة إلى جزيرة كريت وجزيرة قبرص وجزء من سواحل سوريا) فهو أقل إثارة للنقاش والجدل ، فعلى الرغم من المحاولات المتكررة التى كانت تهدف إلى تحدى الموقع (الجغرافى) - حيث إن أمراء "الكفتيو" الذين كانوا يصورون فى رسوم المقابر كانوا ذوى ملامح آسيوية فى

الغالب الأعم- إلا أنه ليس ثمة سبب يحدو بنا إلى استبعاد المعرفة التقليدية التي ارتأت أن لفظ " ال " كان يشير إلى جزيرة كريت. ولقد تأكدت هذه الحقيقة لنا الآن بعد عثورنا على قاعدة تمثال للملك أمينوفيس الثالث (Amenôphis III) ، فرعون الأسرة الثامنة عشرة - عن " ال" التي كانت كتسمية مستخدمة على رأس قائمة لعدد من أسماء الأماكن في منطقة البحر الإيجي. وكانت أقدم إشارة " ال " - بصفتها شريكًا تجاريًا من البعد - يرجع عهدها إلى الفترة الوسطى الانتقالية (٢٤٥٠-٢١٠٠ق.م.). أما الاستخدام المتكرر لكلمة " "، فيرجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وبوجه خاص بعد انصرام عقد السبعينيات من القرن الخامس عشر ق.م. ، عندما بسط الفرعون المصرى تحتمس الثالث (Tuthmôsis III) سلطانه على الشطر الأكبر من منطقة سوريا - فلسطين ، وعندما ظهرت صورة ال وهم يقدمون الجزية إلى الملوك الفراعنة.

ولقد سببت هذه الصورة شيئًا من الانزعاج للباحثين المحدثين ، الذين كانوا قد عثروا على عدد من البراهين التى حدت بهم إلى إنكار حقيقة مثل هذه الدعاوى من جانب المصريين. غير أننى لست أرى من جانبى أى مبرر للشك فى هذه الدعاوى ، وكأن مسألة السيادة المصرية على منطقة المشرق كانت متوقفة على وجود حاكم طموح أو محنك من منطقة البحر الإيجي يمكنه التوصل إلى تفاهم مع الفرعون المصرى.

ولكن قد يكون هناك ما هو أكثر من ذلك ، حيث إن الملك المصرى تحتمس قد زعم أنه " أحكم وثاق الأقواس التسعة ، وهى الجزر الواقعة فى منتصف المسافة بين " واج ور" (W' ; d wr) (= بحر) ، و " حاوو نبو(ت) " (H ; w nbwt) (= سكان بحر إيجة وجزيرة كريت)، وكذا البلاد الأجنبية التى شقت عليه عصا الطاعة ". ومن هذه الفقرة قد يبدو لنا أن الحملات العسكرية المصرية - ونحن نعلم حق العلم أن مصر كان لها أسطول بحرى إبان تلك الفترة-قد أبحرت إلى منطقة البحر الإيجي. فالاسم " وا ج ور" (=الخضرة الشاسعة) كان يعنى "البحر" (أو بالتحديد البحر الأحمر) منذ عصور سحيقة ، لكن استخدامه اقتصر فى عهد الدولة الحديثة على البحر المتوسط فى الغالب وعلى منطقة البحر الإيجي بالتحديد. أما كلمة "حاوونبو(ت) " فتعنى " خلف أو ما وراء الجزر "، وهى كلمة وردت فى " فنون الأهرام " إبان الألف الثالثة ق.م. ، وارتأى عالم المصريات الكبير آلان جاردنر (Alan Gardiner) أنها بمثابة وصف دقيق بما فيه الكفاية

لمنطقة البحر الإيجي. ولكن عالمًا آخر للمصريات متخصصًا في العلاقات المصرية – الإيجية ، هو الأستاذ الفرنسي جان فيركوتيه Jean (Vercoutter) ، عارض هذا الرأى معارضة سافرة وجاهد لكى يثبت أن هذا التماثل مستحيل، حيث إن الأمر يتطلب معرفة متطورة جداً بالجغرافيا خلال الحقبة التي دون فيها الشطر الأكبر من " فنون الأهرام " ، ونعنى بها الألفية الرابعة ق.م. وبالنسبة لى فليست هناك صعوبة تحول بيني وبين التواءم مع الفكرة القائلة بأن المصريين الذين عاشوا قبل عصر الأسرات كان لديهم هذا الإدراك العام للجغرافيا. ولكن من الممكن أن يتم انتحال المصطلح خلال فترة زمنية أكثر قربًا من وقت تدوين " فنون الأهرام " نقشًا ، أى عند نهاية عصر الدولة القديمة تقريبًا ، حيث بات من الواضح – من خلال أدلة أخرى جرت مناقشتها في الفصل الثالث – أن الحكام المصريين المسئولين كانوا يعرفون منطقة البحر الإيجي.

وعلى أية حال ، فنحن نعرف أن مصطلح " هوونبوت " كان يستخدم لوصف منطقة البحر الإيجي وبلاد الإغريق منذ عصر الدولة الحديثة. وفي حقيقة الأمر ، فإن كلمة "هووبنوت " بدأت تحل محل كلمة " كفتيو " بعد نهاية حكم الفرعون المصرى تحتمس الثالث، وبالتحديد عام ١٤٥٠ ق.م. هذه الحقيقة – بالإضافة إلى حقيقة أخرى قوامها أن كلمة " كفتيو" كانت مستخدمة خلال العصر البطلمي للدلالة على الفينيقيين – توحى بأن كلمة " كفتيو " كانت مستخدمة لوصف جزيرة كريت إبان العصر الذى كانت فيه نسبة كبيرة من سكانها – إن لم يكن القسم الأعظم منها – تتحدث بلغة سامية.

وهناك طائفة من الأسماء التى استخدمت للإشارة إلى بلاد الإغريق خلال عصر الدولة الحديثة في مصر ، وهى أسماء تتمثل في مجموعة من الكلمات المرتبطة ارتباطًا عنقوديًا باللفظين " تيناوى (Tin;y) أو " تانايا " (Tanaya) من ناحية ، وبالألفاظ "داوين" (D;-in) و "دينى" (Dene) أو " دينيين " (Denyen) من ناحية أخرى. وليس هناك شك في أن هذه الألفاظ هي نفسها الكلمات اليونانية التي كانت مستخدمة للإشارة إلى " الدانائيين " (Danaoi) ، وهو الاسم الذى تكرر وروده عند الشاعر هوميروس للإشارة إلى الإغريق. وفيما يتعلق بالمصريين ، فإن هناك رابطة تجمع بين الرمز المصرى

المستخدم فى كلمة " تينوى " وبين معنى " الرجل المسن المقعد ". أما فيما يتعلق بالإغريق ، فإن هذا المعنى الأخير يتلاءم تمامًا مع الأوصاف التى أطلقت على داناؤوس (Danaos) حيث تروى لنا إحدى الأساطير أنه استوطن مدينة أرجوس فى بلاد الإغريق بعد أن وفد إليها من مصر. وكان داناؤوس يصور على هيئة رجل مسن عاجز أو مقعد ، أما ألقابه الإيجابية – بوصفه مستوطنًا وقائمًا على شئون الرى – فتتناسب أيضًا مع التورية التى ترمز إليها الكلمة المصرية القديمة " دنى " (Dni) ، التى تعنى "يقسم حصص المياه" أو " يروى "؛ وكانت هذه اللفظة المصرية القديمة بدورها تنتمى إلى الكلمة السامية " ديين " [d (y) n (n)]، التى تعنى " القاضى". ورغم أن الكُتّاب القدامى كانوا يُدركون بوضوح هذه الارتباطات القائمة بين التسميات ، إلا أن الاسم الأصلى لا يمكن ببساطة أن يكون مشتقًا مثل هذه الكلمات المذكورة بمثل ما اشتقن منها الاسم "دانيقى " (Da-ne ki) الذى ظهر ضمن إشارة واضحة الدلالة لأقصى الغرب فى أحد نصوص بلاد ما بين النهرين ، وهو نص يراجع تاريخه إلى حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م.

ويبدو أن مصر كانت لها معاملات مباشرة مع " التينوى " (=الدانائيين)، وأخرى غير مباشرة مع أمراء منطقة المشرق ، خلال الفترة الزمنية الواقعة بين عام ١٤٧٠ وعام ١٢٥٠ق.م. إذ تم تصوير زعماء " التينوى " فى رسوم أحد المقابر المصرية وهم يقدمون الجزية لفرعون مصر تحتمس الثالث. كما نجد قائمة تضم أسماء مدن منطقة البحر الإيجى مدونة فوق قاعدة لتمثال الفرعون المصرى أمينوفيس الثالث سابقة الذكر ، وكان كل من "الكفتيو " و " التينوى " يتصدران هذه القائمة.

وخلال القرن الثانى عشر ق.م. كانت كلمتين " دنى " و "ديين " تستخدمان كتسميتين لأحد شعوب البحر التى نَهَبْت أرض مصر وخربت منطقة المشرق ؛ ولقد تم الربط أيضًا بين هذه الشعوب وبين الدانائيين الذين ورد ذكرهم فى ملاحم هوميروس. كذلك تم الربط بينهم وبين قبيلة " دان " (Dan) التى ورد ذكرها فى العهد القديم ، ومن الممكن أن نرتأى أن قبيلة "دان " هذه قد نشأت فى الأصل من اندماج العبرانيين من بنى إسرائيل مع أحد شعوب البحر.

وهناك أيضًا إشارات أخرى وردت فى نصوص من بلاد ما بين النهرين- وكذا فى النصوص السورية - إلى منطقة البحر الإيجى ، ولقد ذكرنا آنفًا أن التسمية "دانيقي" قد أُستخدمت فى نصوص ما بين النهرين لهذا الغرض ذاته. وفى نفس الموضع وفى قائمة مماثلة وجدت فى مدينة " إبلا " (Ebla) السورية ، فصادف الاسم "أمنيقى" (Am - ni ki) الذى يمكن ربطه بكلمة أمنيوس (Amnissos) ، وهو الاسم الذى كان يطلق على المرفأ البحرى لمدينة كنوسوس الكريتية ، وهى مدينة تُعْرف أنها سحيقة فى القدم. كما أن هناك قائمة يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر ق.م. ، وتم العثور عليها فى مدينة " مارى " Mari الواقعة فى أعالى نهر الفرات ، وهى تشير إلى " كابتارا " (Kaptara) (أى كريت) بوصفها شريكًا تجاريًا ومركزًا من مراكز تصنيع السلع الفاخرة.

وهناك أمر يبعث على الدهشة مفاده عدم وجود أى ذكر للإغريق أو الإشارة إليهم فى السجلات ذات القيمة المتعلقة بميناء أوجاريت (Ugarit) السورى (=رأس شمر حاليًا) ، والتى يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الثالث عشر ق.م. وفى تصورى أنه يمكن تفسير هذا الموضوع جزئيًا على اعتبار أنه كان بسبب الحصار الذى فرضه ملوك الحيثيين على الممالك الميكينية إبان الفترة التى بسط فيها الحيثيون سيادتهم على مدينة أوجاريت. وعلى أية حال ، فإن هذا الحصار لم يشمل كل أنواع التجارة ، وذلك أن لدينا معلومات عن وجود سوق حرة للتبادل التجارى تسمى (tamkarum) فى ميناء أوجاريت ، وأن هذه السوق كانت تقوم بتبادل تجارى منتظم مع جزيرة كريت.

وأيًا كان الأمر ، فإن نصوص أوجاريت تشير إلى أسلوب آخر للاتصال بين منطقة المشرق وبين بلاد الإغريق ، فكثير من الأساطير والأناشيد الأوجاريتية تشبه نظائرها الإغريقية بصورة لافتة للنظر ، فضلاً عن أنها تزودنا " بجسور " مهمة للربط بين الموضوعات الإغريقية ومثيلاتها فى نصوص العهد القديم. وبالتالى ، فحتى على هذا المستوى قد يبدو أنه كانت هناك ثقافة عامة لمنطقة شرق البحر المتوسط ، على الأقل منذ العصر البرونزى المتأخر.

وهناك وثائق من العصر البرونزى تتعلق بمنطقة البحر الإيجى ، وهى الوثائق المدونة بالكتابة الخطية الأولى (Linear A) ، وبالكتابة الخطية الثانية (Linear B) ، وكلاهما غدت قراءته الآن ممكنة. والوثائق المدونة بهذه الخطين عبارة عن مدونات بكتابات خطية تنتمى للحضارتين المينوية والميكينية ، وكانت هذه المدونات الخطية مستخدمة فى أماكن كثيرة من منطقة البحر الإيجى ، وفى جزيرة كريت على وجه الخصوص. ورغم أنه لا يزال هناك جدل شديد حول العائلة اللغوية التى تنتمى إليها اللغة المدونة بالكتابة الخطية الأولى، فليس هناك شك فى أنها تحتوى على قدر وافر من الكلمات السامية. وهذه الكلمات لا تغطى السلع الفاخرة فحسب ولكن تغطى كذلك الخامات ، مثل حبوب القمح والعنب ، وكلمات أساسية أخرى مثل "كل" أو "جميع " أو "شامل" أو "إجمالي". وقد يرجع وجود هذه الكلمات السامية إلى أن اللغة المدونة لغة سامية - وهو ما أميل إلى الاعتقاد به - أو إلى كثرة الاستعارة من المصدر السامى عن طريق اللغة الكريتية التى لا يعرف مصدرها حتى الآن. ولكن فى كلتا الحالتين ، فإن هذه الكلمات تبرهن على وجود علاقات قائمة بين جزيرة كريت وبين منطقة المشرق.

أم الخط الثانى فهو صورة مماثلة للكتابة التى كانت مستخدمة فى تدوين اللغة اليونانية (إبان ذلك العصر). وقبل أن ينجح العلماء فى فك طلاسم الخط الثانى ، كان هناك اعتقاد سائد بأن الكلمات السامية القليلة التى استعارتها اللغة اليونانية ، مثل كلمة " خيتون " (Chitôn) (=قميص ، ثوب) وكلمة " خريسوس " (Chrysos) (= الذهب)، قد أُدخلت إلى اللغة اليونانية خلال القرن السابع ق.م. غير أننا الآن أصبحنا نعرف أن هذه الكلمات وأمثالها كانت موجودة بالفعل فى اللغة اليونانية خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م. وبالتالى ، فحتى ولو لم يقبل المرء بوجود الكلمات الأخرى المستعارة من السامية ومن اللغة المصرية القديمة - وهو ما أعتقد بأنه موجود فى النصوص المدونة بالكتابة الخطية الثانية - فلا ريب أن هذه النصوص تزودنا ببرهان ساطع على الاستعارة المعجمية وعلى الصلات الثقافية التى كانت قائمة خلال العصر البرونزى.

كذلك فإن مجتمع القصور الملكية الميكينية واقتصاده اللذين أوضحتهما هذه النصوص يظهران لنا قدرًا كبيرًا ومفصلاً من أوجه التشابه بين هذه القصور وبين القصور المماثلة لها في منطقة الشرق الأدنى. بل إن المقاييس والصيغ البيروقراطية المستخدمة في تدوين هذه النصوص توضح بجلاء وجود استعارات محددة من مصر ومن منطقة جنوب غرب آسيا. وعلاوة على ذلك ، فهناك عشرات من أسماء الأعلام المدونة بالخط الثاني لها مقابل اشتقاقي يمكن الوثوق بصحته في اللغات السامية والحورانية والمصرية القديمة. ومن هذه الأسماء نذكر "أيكوبيتيو " (Aikupitio) (=أيجبيبتوس) ، " ممفيتي " (Memphite) (= من ممفيس = منف ؛ أو مصرى) ، " قيصيرايو " (=مصرى Msry بالسامية ، ومصرى بالعربية) ، "أورادايو (Aradajo) (= رجل أو شخص من مدينة أرواد Arwadالفينيقية) ، " توريبايو " (Turijajo) وأيضًا "توريبو" (Turijo) (= من تيروس ، أي من مدينة صور الفينيقية). هذه الأسماء وأمثالها تؤكد الصورة التي أمدتنا بها إحدى البرديات المصرية التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر ق.م.، وهي بردية يدور موضوعها حول " كيفية كتابة أسماء الكفتيو " كما أنها تبرهن بوضوح على التباين التام لسكان جزيرة كريت من حيث العرق. وعلى نحو مماثل نجد أناسم العلم " باكفتي " (P;Kfty) (=الكريتي) يظهر في مصر خلال القرن السادس عشر ق.م. وفي الحق أن جميع هذه الجذاذات من المعلومات الوثائقية التي وصلتنا من مصر ومن منطقة المشرق ومن منطقة البحر الإيجي إلى نفس الاتجاه ، كما أنها توضح بجلاء وجود مظاهر كثيرة للاتصال والامتزاج العرقي فيما حول منطقة شرق البحر المتوسط خلال العصر البرونزي ؛ وهي مظاهر يرجع تاريخها على الأقل إلى فترة مبكرة من القرن السابع عشر ق.م. ، وربما إلى فترة زمنية أسبق من هذا التاريخ بكثير.

وفي الفصل الحادي عشر ينصب الاهتمام على حقبة العصر الميكيني المتأخر في بلاد الإغريق. ووفقًا للتقويم الزمني المتبع في هذا الكتاب ، فإن الحضارة (الميكينية) قد استمرت لحقبة زمنية طويلة تمتد من القرن الثامن عشر حتى القرن الثاني عشر ق.م. ، ومن الواضح أيضًا أنه كان هناك قدر وافر من الاستمرارية الثقافية طوال هذه الحقبة. إذ استمر استخدام طرز فنية "وموتيفات " مماثلة على امتداد هذه الحقبة ، أخص منها

بالذكر " أبا الهول (Sphinx)(*)و" الفريفن (girffin) . وحيث إن الأدلة الأثرية مقتطعة ومتفاوتة ، فإن من المستحيل علينا بالتالى أن نتوصل لمعلومات مؤكدة عن البنى الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد الإغريق خلال القرون المبكرة. ونحن نعرف من خلال "المقابر القبابية" ومن خلال الطرز الأخرى للمقابر أن الميكينيين كانوا معنيين أشد العناية بالحرب ، وأن موضوع الحرب قد استحوذ عليهم وتحول لما يشبه الهاجس الذى استولى على أفكارهم. ورغم ذلك ، فإن الرسوم الجصية الجدارية - التى تم العثور عليها فى جزيرة ثيرا والتى يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر ق.م. - تبين لنا تقدمًا تقنيًا ملحوظًا ونزعة سلمية واضحة تسود هذا المجتمع ، على الأقل فى جزر الكيكلاديس ، حيث وجدت أدلة أثرية على وجود مجتمع متحضر وغنى نسبيًا.

وقد يُعزى السبب فى عدم العثور على مكتشفات من القصور الملكية الخاصة بالميكينيين الأوائل - على عكس ما حظينا به من وفرة فيما يخص مكتشفات مقابرهم - إلى تأثير الاستمرارية الثقافية وإلى إعادة التشييد والبناء التى لم تترك خلفها سوى آثار عن هيئة المبنى السابق ، أقل فى الكم من الصورة التى غدا عليها المبنى بعد تدميره. ورغم ذلك ، فقد تم العثور على عدد لا بأس به من القصور (الملكية) التى يرجع تاريخها إلى الفترة الأخيرة من العصر الميكينى. كذلك فقد أُتيح لنا أن نعثر على ألواح كتابة مدونة بالخط الثانى ، يرجع تاريخها إلى أواخر العصر الميكينى ، وهى ألواح - كما أسلفنا - تمدنا بدليل وثائقى له اعتباره عن البنيتين الاقتصادية والاجتماعية لهذه القصور الملكية.

وإن الصورة التى تجلت أمامنا من هذا النمط من الأدلة قد توحى بوجود مجتمع بطولى يتميز بالقوة والعنف أثناء إسلامه الزمام للاستقرار ولترسيخ نظم البيروقراطية

(*) لمزيد من تفاصيل الاتفاق والاختلاف فى الشكل الفنى بين أبى الهول المصرى واليونانى، وعلاقتهما بالأشكال الأسطورية العراقية والسورية، راجع رسالة الماجستير (غير المنشورة) لصاحبتها/ إلهام نجم الدين: أبو الهول فى الفن المصرى واليونانى والآشورى، كلية الفنون الجميلة، الزمالك (القاهرة)، ٢٠٠٢م. (المحرر)

المدنيـة داخله. والحق أن الموقف الواقـعى لهـذا المجـتمع لم يكن على هذه الدرجـة من البساطة الواضحة للعيان ، وإن كان الدليل المستقى من جزيرة ثيرا لا يُبرهن فقط على التقدم السلمى الذى حدث خلال القرن السابع عشر ق.م. ، بل إنه ليوضح أيضاً حقيقة مؤداها أن آخر طراز للقصور الميكينية المتأخرة كان يحتوى على تحصينات دفاعية. وبالتـالى ، فإن من المحتمل – على ما يبدو – أن بلاد الإغريق كانت خاضعة خلال الشطر الأكبر من العصر الميكيني لسلطة عدد من الممالك ، التى كانت تتعايش فيها نظم البيروقراطية المدنية لإدارة القصور الملكية مع كم وافر من حياة الحرب ، داخل مناخ تسود فيه أخلاقيات المحاربين وطباعهم حياة المجتمع فى هذه الممالك. وأقرب مثال يحضرنى هنا على هذا هو اليابان بعد انصرام القرن الثامن الميلادى ، حيث كانت ثقافة البلاط الرفيعة المتأنقة تقف على طرفى نقيض من القسوة الوحشية للبوشيدو (bushido) وخصالهم الإقطاعية التى تشبه تصرفات قطاع الطرق ، وأعنى بها عبادة الفصيلة العسكرية وتوقيرها.

ومن المثير للاهتمام ، أن التراث الإغريقى – على الرغم من تركيزه على عظمة العصر المبكر التليدة – قد حافظ على أنشطة " العصر البطولى "، ومنحها من الاهتمام أوفر مما منحه للفعاليات المزدهرة التى تتعلق بالمجالين الاقتصادى والثقافى خلال العصر البرونزى المتأخر. ويرجع ذلك دون شك فى جزء منه إلى أن الأعمال الدامية العنيفة الناتجة عن الجرأة البطولية تصنع دائماً قصصاً أكثر جاذبية ، وإن كانت تبدو بالمثل وكأنها حدثت بسبب نقص الحضارة وضعف الاستمرار فى التقدم ، ونمو الروح العسكرية ومفاهيم الإخلاص والخيانة ، عقب انهيار عصر حضارة القصور خلال القرن الثانى عشر ق.م.، وإبان العصور المظلمة التى تم أثناءها صياغة معظم الأساطير.

وما من شك فى أن القرون الثلاثة التى يركز عليها الفصل الحادى عشر ، وأعنى الفترة الزمنية الواقعة بين عامى ١٥٥٠ وعام ١٢٥٠ق.م. ، تمثل حقبة العصر البرونزى التى وجدت فيها معظم المؤشرات الدالة على قيام اتصالات مصرية وشرقية مع منطقة البحر الإيجى ، وهى مؤشرات وأدلة مستمدة من الوثائق ومن علم الآثار معاً. ومع

ذلك ، فقد كان من الصعب علينا حتى وقت قريب أن نوجد علاقة ربط متبادلة بين هذين النوعين من الأدلة ، نظراً لأن الفترات الزمنية التى تبرهن الوثائق المصرية على وجود علاقات وثيقة خلالها بين مصر ومنطقة البحر الإيجى - وهى فترات تتزامن مع الفترة الأخيرة من عهد الملك تحتمس الثالث (١٤٧٠-١٤٥٠ق.م.)، ومع فترة حكم الفرعون أمينوفيس الثالث وابنه إخناتون (Akhenaton) (١٤١٩ - ١٣٦٤ ق.م.) - ليست هى الفترات الزمنية التى تحدو بنا المعرفة التقليدية إلى مقابلتها بعصر الخزف الذى يبرهن الدليل الأثرى على أن معظم الاتصالات والعلاقات قد حدثت خلالها. وتتمثل هذه الفترات الزمنية فى الحقبة الأولى من العصر الهيللادى المتأخر الثالث ، التى جرى العرف على اعتبارها معادلة للحقبة الممتدة من عام ١٤٠٠ إلى عام ١٢٧٥ق.م. ، وكذلك فى الحقبة الثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث المعادلة للحقبة من ١٢٧٥-١١٨٠ق.م. وأيًا كان الأمر فقد بات لزامًا علينا الآن - بناء على التقويم الزمنى القائم على أساس الترتيب الجديد للأحداث المتزامنة مع التقويم المصرى، وبناء بالتالى على تحديث كافة الفترات الزمنية الخزفية للعصر البرونزى المتأخر فى منطقة البحر الإيجى التى يتطلب الأمر تحديثها بسبب إعادة النظر فى تاريخ حدوث ثورة بركان جزيرة ثيرا - أن نصعد نحو القدم بداية الفترة الأولى من العصر الهيللادى المتأخر الثالث لكى تصبح معادلة للفترة من ١٤٩٠-١٤٧٠ق.م. ، وأن نصعد كذلك بداية الفترة الثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث لكى تصبح معادلة للفترة من ١٣٧٠-١٢٢٠ق.م. وحيث إنه ينبغى أن يظل تاريخ الدولة الحديثة فى مصر ثابتًا ، فإن هذا يعنى أن الأدلة التاريخية والأثرية المتعلقة بالاتصال الوثيق بين مصر ومنطقة المشرق من ناحية ، وبين منطقة البحر الإيجى من ناحية أخرى ، قد أصبحت الآن متوافقة زمنيًا وقادرة على أن تقدم لنا صورة مترابطة منطقيًا.

والحق أن إعادة التأريخ تتطلب أيضًا إجراء تغيير فيما يتعلق بتقسيم الحقب التاريخية لجزيرة كريت ، إذ ظلت الدهشة تغمر المؤرخين القدامى لزمن طويل إزاء توافر خاصية متميزة للوحة مصورة فى قبر ، يرجع تاريخها إلى عهد الملك تحتمس الثالث (١٤٦٠-١٤٥٠ق.م.). وتمثل هذه اللوحة شخصًا من أهل كريت وهو يقدم

الجـزية إلى الفـرعـون المصـرى ، وكـان هذا الكريتى يرتدى تنورة من طراز مـينوى ، مـزركشـة بطريقة تتسم بالمبالغة وفقًا للأسلوب الميكينى(*). وحيث إن الألواح المدونة بالخط الثانى تقدم لنا دليلاً ساطعًا على أن اللغة اليونانية كانت هى اللغة السائدة فى جزيرة كريت خلال القرن الرابع عشر ق.م. - أو على أكثر تقدير خلال القرن الثالث عشر ق.م. - فإن معاودة تصـوير الرسـوم كان القصـد منها هـو تبيان حدوث غـزو - أو وجود بطريقة ما - لجزيرة كريت من قبل الإغريق الميكينيين. ووفقًا للمعرفة التقليدية، فإن عام ١٤٥٠ ق.م. يعتبر علامة فاصلة على بدء الفترة الخزفية الثانية من العصر المينوى الثانى. ولقد بدا هذا متطابقًا بصورة مرضية مع حقيقة مفادها أنه خلال هذه الفترة بأسرها قد حل الدمار بالقصور الكريتية التى كانت مشيدة فى أقاليم الجزيرة ، وتركزت إدارة الجزيرة بأسرها فى مدينة كنوسـوس. ومنذ ذلك الحين تم التخلى عن الأدلة الأخرى المؤيدة التى كانت مستخدمة، مثل إدخال طراز " المقابر الأسطوانية " إلى جزيرة كريت فى هذه الفترة الزمنية. كمـا كـان وصـول الميكينيين حوالى عام ١٤٥٠ق.م. أمـرًا ضـروريًا ، ونظرًا لأن السـير آرثر إيفـانز كـان قد أعلن أن قصـر كنوسـوس ذاته قـد دمـر فى مطلع الفـترة الأولى للعصـر المينوى المتأخـر الثـالث ، وبالتحديد حوالى عام ١٣٨٠ق.م. وبالتالى ، فإن إرساء اللغة اليونانية بوصفها لغة رسمية لعاصمة جزيرة كريت كان أمرًا مطلوبًا بإلحاح خلال هذه الفترة الزمنية.

وأيًا كان الأمر ، فلقد عكف فريق من الباحثين طوال عقود كثيـرة من السنـوات - بزعامة العالم اللغوى ليونارد بالمر - (Leonard Palmer) على محاولة إثبات أن قصر كنوسوس قد ظل باقيًا دون أن ينهار حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م.، وأن اللوحات الكتابية المدونة بالخط الثانى والتى تم العثور عليها فى هذا القصر ينبغى أن تؤرخ

(*) حول أصل تلك التنورة المينوية الكريتية واستمرارها خلال العصر الميكينى ووصولاً حتى العصر الكلاسيكى - كما تصورها بعض مناظر الآنية الكلاسيكية ، راجع مقالنا: ElSaadami, M.,

"Origin, Use and Rendering of the Animal Hide on Some Classical Vases ", Prak tika of the XIIth International Congress of Classical Archaeology, Athens 4-10 Sept. (Vol. II, Athens 1988, pp. 57-67. (المحرر)

بنهاية القرن الثالث عشر ق.م.، وليس أقدم من هذا التاريخ بمائتى عام (كما هو مُعتَقَد). ويبدو أن التفسيرات الحديثة للدليل الأثرى تعضد الآن من وجهة نظر الأستاذ بالمر فى هذا الصدد، وبالتالى فإن حاجتنا الماسة إلى التدليل على وصول الإغريق إلى جزيرة كريت لم تعد قائمة أو مُلحة مجال من الأحوال ، طالما أنه اتضح لنا أنه كان بوسعهم أن يَفِدوا إلى الجزيرة فى أى وقت قبل عام ١٢٠٠ق.م.

ومع ذلك ، فإن الدليل المصرى المتعلق بتغير حُكام الجزيرة ، وهو الدليل الذى تم الاستدلال عليه أيضاً من التخلى عن التسمية "كفتيو" وازدياد التسمية "تنى" (Tni) ، من شأنه أن يزودنا بحجة بالغة الإقناع على انتقال السلطة (أو القوة) فى جزيرة كريت خلال منتصف القرن الخامس عشر ق.م. غير أن السؤال نفسه يظل قائماً ، وهو : "فى أى وقت من عصر الخزف بالتحديد حدث هذا الانتقال فى السلطة ؟ ". إذ أن العصر المينوى المتأخر الثانى للفخار قد تطور عن العصر السابق له ، وهو الفترة الثانية من العصر المينوى المتأخر الأول ، كما أنه أدى بدوره إلى العصر التالى له وهو الفترة الأولى من العصر المينوى المتأخر الثالث ؛ وعلى هذا النحو فلا يمكننا استخدام الفخار كدليل على انتقال السلطة. وأيًا كان الأمر ، فإن كافة أشكال الدليل الأخرى توحى بوجود استمرارية ثقافية جوهرية فى الجزيرة خلال هذه المرحلة ، بغض النظر عن تغير اللغة. ويبدو أن أبسط إجراء يمكن اتخاذه هو الإبقاء على التاريخ الثابت الذى لا ريب فيه ، أو تحريكه تحريكًا طفيفًا إلى عام ١٤٧٠ق.م. على وجه التقريب ، شريطة أن يتم النظر إليه فى ضوء مصطلحات عقد الخزف بوصفه بداية للعصر المينوى المتأخر ، وبداية كذلك للفترة الأولى من العصر الهيلادى المتأخر الثالث. ذلك لأن الفخار المتعلق بهذا الأسلوب الإيجى الشامل (أو الموحد) هو الذى أمكننا العثور عليه على امتداد البحر المتوسط وما وراءها ، وبوجه خاص فى المناطق التى كان معروفًا أنها واقعة تحت الهيمنة المصرية بعد انتصارات تحتمس الثالث المظفرة ، وهى: قبرص، منطقة المشرق ، مصر ، والنوبة.

ومن الممتع أن نلاحظ أن المنطقة الوحيدة التى لم يتم العثور فيها على فُخَار ميكينى هى هضبة الأناضول الوسطى التى كان يسيطر عليها الحيثيون. وبناءً على

ذلك ، فقد تم تخصيص عدة أقسام من الفصل الحادى عشر لتفصيل العلاقات بين منطقة البحر الإيجى وبين شبه جزيرة الأناضول. ولقد أفردت قسمًا من هذه الأقسام للحديث عن الوثائق الحيثية التى تتعلق بجيران الحيثيين من جهة الغرب ، وهما أرزاوا (Arzawa) وآسووا (Assuwa) (ومن التسمية الأخيرة أُشتق اسم قارة آسيا). ولقد ظهرت قُرب نهاية القرن الخامس عشر ق.م. قوة غربية جديدة تم ذكرها فى الوثائق الحيثية ، ألا وهى (قوة) أخيياوا (أو أهيياوا) (Ah hiyawa) التى اعتبرها فريق من الباحثين – منذ عقد العشرينيات من القرن العشرين – مناظرة للآخيين، وهى التسمية التى وردت عن الشاعر هوميروس للدلالة على غالبية الإغريق. وبالتالى فقد غدا الموقف مشوشًا ومضطربًا للغاية (أمام الباحثين) ، ولكن الصورة الأدنى التى يمكن القبول بصحتها واستنتاجها ، سواء من الوثائق الحيثية ومن الروايات الإغريقية المتأخرة، هى أن الأحيياوا (أو الآخيين) كانوا عبارة عن خليط مكون من أهل غرب شبه جزيرة الأناضول المتأغرقين ، ومن الإغريق الذين كانوا يعيشون على حواف الإمبراطورية الحيثية وداخل منطقة البحر الإيجى والذين اعتادوا أن يشنوا غاراتهم على المناطق المجاورة لهم. ويحق لنا أن نربط بين هؤلاء وبين البطل الأسطورى الإغريقى بيلوبس (Pelops) ، الذى سُمِيْت على اسمه شبه جزيرة البيلوبونيس (Peloponnesos) (=جزيرة بيلوبس)، والذى تباهى الملوك العظام عند هوميروس – من أمثال أجاممنون ومنيلاؤوس – بأنهم ينحدرون من صلبه. وأنا أعتقد أن اسم " بيلوبس " مشتق من الاسم المصرى " باوربعت P ; Rpc t الذى يعنى " الأمير المتوج " ، وبالتالى فهو لقب للملوك المصريين (مثل لقب الفرعون) وليس اسمًا شخصيًا لملك بعينه. ومن الصعب علينا أن نتوصل إلى تحديد تاريخى دقيق للنقطة التى تمكن بواسطتها هذا النموذج الأصلى المتميز (للعواهل) أن يبسط سلطانه على منطقة إليس (Elis) الواقعة شمال غرب شبه جزيرة البيلوبونيس، والتى يبدو أنها كانت القاعدة الأولى لقوة الآخيين أو لسلطة " آل بيلوبس " ، ويمكن أن يقع تاريخها على الأرجح بين عام ١٤٢٥ وعام ١٣٠٠ق.م. ولكن العقبة الكؤود فى هذا الصدد هى استحالة الاهتداء إلى أية اختلافات فى الثقافة المادية بين الدانائيين وبين الآخيين ، فضلاً عن أن كلاً من الدليل الوثائقى والدليل الأسطورى يتسم كلاهما بالغموض ، حيث إن الشاعر هوميروس لم يكن

واضحاً على الإطلاق في وضع حدود مميزة تحدو بنا إلى التفريق وفقًا لها بين هذين الشعبين. ومن المحتمل أن المصريين قد أشاروا إلى كل من الـ "تيينو " (Tiniw) (=الدانائيين والـ "إيكوس" (Ikw?) (=الآخيين) الذين كانوا يمثلون طائفتين من شعوب البحر التي أغارت على مصر إبان تلك الحقبة الزمنية.

وأبسط التفسيرات هو أن ننظر إلى " الدانائيين " بوصفهم سكانًا للممالك أو الأقوام التي حافظت على الممالك التي نشأت خلال نهاية القرن الثامن عشر ق.م. على يد أبطال الهكسوس الأصليين ، وأن ينظر إلى " الآخيين " باعتبارهم الأقوام التي لقيت الهزيمة على يد الأسر الحاكمة الجديدة الوافدة من شبه جزيرة الأناضول. وكما أنه من الصعب تحديد تاريخ دقيق لتأسيس مملكة بيلوبس في إليس ، فإن من الصعب كذلك أن نتوصل إلى تاريخ محدد لخضوع الممالك الأخرى - مثل موكيناى / أرجوس واسبرطة - لسيطرة الآخيين ؛ فكل ما هو واضح أمامنا هو أن آخر أسر الهكسوس الحاكمة - وهي أسرة آل كادموس في مدينة طيبة- قد ظلت باقية حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م.

أما الحقيقة القائلة بأن الآخيين كانت لهم صلات تربطهم بأهل جزيرة الأناضول فلا تعني أنهم كانوا حلفاء للحيثيين ، فالأمر على العكس من ذلك تمامًا ، نظراً لأن الآخيين كانوا فيما يبدو - مثلهم في هذا مثل الدانائيين - أعداء لأهل منطقة الأناضول الوسطى لردح طويل من الزمن. ذلك الوثائق الحيثية تبرهن على وجود عداوة دائمة مع " الأهيياوا " ، فضلاً عن أننا أشرنا فيما سبق إلى عدم وجود فخار ميكيني وارد من الأراضي الحيثية. وهناك نموذج مماثل يمكن الاطلاع عليه عند تأمل المقتنيات الأجنبية التي تنتمي إلى هذه الحقبة الزمنية والتي تم العثور عليها في موكيناى. ولقد أوضح عالم الآثار الأمريكي إريك كلاين (Eric Cline) أنه لا توجد سوى قطعة آثار حيثية واحدة ، وأن هذه القطعة الأثرية قادمة من جزء من شبه جزيرة الأناضول بعيدة عن سيطرة الحيثيين ، في الوقت الذي تتضمن فيه المكتشفات التي تم العثور عليها عدداً جديراً بالاعتبار من المقتنيات المصرية والمشرقية.

ونحن نعرف أن السلع الميكينية كانت رائجة بصورة واسعة على امتداد المنطقة ، وأن الحيثيين كانوا بدورهم تجاراً نشطاء في بلاد ما بين النهرين ومنطقة شمال سوريا. فلماذا والحال كذلك كان يتعين على كل منطقة من المنطقتين أن تُغلق أبوابها أمام التبادل التجارى مع نظيرتها ؟ وحتى لو استبعد المرء وجود تطابق بين "الأهيياوا" وبين " آخايا " (Akhaia) ، فإنه من غير المقصود ألا تعلم كل منطقة من هاتين المنطقتين شيئًا عن المنطقة الأخرى. وهناك تفسير آخر أقل بُعداً عن الاحتمال بدرجة طفيفة ، ومؤداه أن كل منطقة من المنطقتين لم تكن بحاجة إلى منتجات المنطقة الأخرى أو سلعها ، نظراً لأنها كانت تحتل مواقع جغرافية مماثلة فى تميزها وملاءمتها لنظيرتها. وحى لو كان هذا الرأى يحمل فى طياته قدراً من الحقيقة ، فإن كل الأسباب تحدو بنا إلى افتراض مفاده أن مثل هذا الاعتماد على النفس (=الاكتفاء الذاتى) من الناحية الاقتصادية كانت تدعمه إرادة سياسية قوية ؛ وهناك أدلة وثائقية وأثرية تعزز هذا الافتراض. والوثيقة التى نستمد منها برهاننا عبارة عن معاهدة بين الحيثيين وبين أحد الملوك التابعين (لإمبراطوريتهم) فى منطقة شمال سوريا ، ويتضمن نص هذه المعاهدة التى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق.م. تنبيهًا على هذا الملك بصفة خاصة بمنع سفن " الأهيياوا " من ممارسة التجارة عبر أراضى بلاده. أما الدليل الأثرى فهو مستمد من وجود كمية وفيرة من الفخار الميكينى الذى ينتمى إلى الفترة الأولى من العصر الهيللادى المتأخر الثالث فى أراضى الجزء الشمالى من سوريا ، فى الوقت الذى لا يوجد من هذا الفخار شيء خلال الفترة الثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث. وأكثر التفسيرات مدعاة للتصديق إزاء مثل هذا التناقض هى أن هذا الأمر حدث كنتيجة حتمية لحقيقة معروفة ، مفادها أن المنطقة المذكورة قد خضعت لسطوة الحيثيين حوالى عام ١٣٧٠ق.م. ، وهو العام الذى يواكب بداية الفترة الثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث.

وهكذا ، فإن الصورة الأكثر احتمالاً هى أنه كانت هناك عداوة بين الإغريق وبين الحيثيين خلال الفترة الواقعة بين عام ١٤٣٠ وعام ١٢٣٠ق.م. تقريباً ؛ وكان المصريون بطبيعة الحال هم أكبر منافس للحيثيين فى هذه المنطقة. ففى الوقت الذى يرجح فيه أن الفرعون المصرى تحتمس الثالث كان قد أرسل حملة تأديبية إلى منطقة البحر الإيجى

حوالى منتصف القرن الخامس عشر ق.م. ، كانت الأدلة الوثائقية والأثرية توضح لنا بجلاء أن الممالك الإغريقية ذات الدور القيادى البارز على امتداد القرن التالى كانت قانعة بأن تظل واقعة فى نطاق الوجود المصرى ، وبأن تتقبل " نسمة الحياة " من الفرعون المصرى.

وليس هناك شك فى وجود اتصالات حميمة وعلاقات تجارية وثقافية واسعة النطاق خلال تلك الفترة. وبغض النظر عن توافر الشواهد الوثائقية التى تمت مناقشتها فى الفصل الحادى عشر من هذا الجزء فيما يتعلق بوجود مثل هذه الاتصالات ، فإن بحوزتنا أدلة أثرية لها اعتبارها تعزز هذه الحقيقة وتدعمها. وكما ذكرنا سابقًا ، فقد تم العثور على كميات وفيرة من الفخار الميكينى الذى ينتمى إلى الفترتين الأولى والثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث (١٤٧٠-١٢٢٠ق.م.) فى كافة المناطق الخاضعة للسيادة المصرية أو التأثير المصرى. وبالمثل فقد تم العثور فى منطقة البحر الإيجى على كثير من الأوانى الفخارية الكنعانية ذات الحجم الكبير التى تُستَخدم كأوعية لحفظ كل أنواع السلع.

ولقد تم العثور على الشطر الأعظم من هذه الأوعية المشرقية - فيما يبدو أنه كنز مُدَّخر أو خبيئة أثرية إلى حد بعيد - فى حطام سفينة غارقة تم الكشف عن موقعها خارج موقع يعرف باسم "قاص" (Kas) ويقع على الساحل الجنوبى الغربى من تركيا ؛ وكانت هذه السفينة الغارقة تحتوى على ما يربو على ١٢٠ إناءٍ فخارى من هذا النوع. ويمكننا أن نحدد تاريخ غرق هذه السفينة بحوالى عام ١٣٠٠ ق.م. ، أى قُرْب نهاية عصر القوة المصرية المتعاظمة. وأيًا كان الأمر ، فإن ثراء حمولة هذه السفينة الغارقة إنما يكشف عن صورة مذهلة لحجم التبادل التجارى الذى كان قائمًا فى منطقة شرق البحر المتوسط خلال العصر البرونزى المتأخر. فبالإضافة إلى العاج وخشب الأبنوس ، تم العثور على عدد كبير من قوالب صب معدن النحاس ، وهذه الكمية من القوالب تزودنا بمعلومات مؤكدة عن وجود تجارة واسعة النطاق للنحاس ، الذى كان يجرى استخراجه بصورة أساسية فى هذا العصر من مناجم فى جزيرة

قبرص وجزيرة سردينيا. وهناك أيضاً مؤشرات توحي بوجود تجارة رائجة- وإن كانت أقل حجماً من سابقتها - في معدن القصدير ، الذي ورد إلى منطقة البحر المتوسط من أفغانستان القاصية ومن بوهيما وكورنوول (Cornwall) .

ويتعلق أحد الاكتشافات ذات الأهمية الفائقة خلال السنوات الأخيرة بتجارة الرصاص والفضة المخلوطة بالرصاص ، وهو ما يمكن أن نستدل عليه عن طريق إجراء عملية تحليل لنظائر الرصاص. ونحن نعرف الآن أن مناجم لاوريون في إقليم أتيكا والواقعة جنوب مدينة أثينا كانت من أكبر المصدرين لهذين المعدنين ، على الأقل منذ بداية الدولة الوسطى في مصر. إذ تم العثور على الرصاص المستخرج من هذه المناجم والذى كان مستخدماً فى كل من بلاد ما بين النهرين ومصر خلال العصر البرونزى المتأخر.

وهناك كشف رائع آخر تم حديثًا وتوصلنا إليه عن طريق تحليل عدد من اللوحات المنقوشة من الخزف المزخرف والتى كان مخططًا لها أن توضع ضمن أساسات معبد مصرى قديم وذكر فيها اسم الفرعون المصرى أمينوفيس الثالث ، وتم العثور عليها فى موكيناى. وهذا الكشف بما يحويه كشف فائق الأهمية ، لأنه لو تم العثور على هذه اللوحات الخاصة بالأساسات فى مصر لكان لزامًا على علماء الآثار أن يشرعوا فى البحث عن علامات أخرى تميز صورة المعبد الذى بنى فوقها. وعلى أية حال ، فإن معظم هذه المكتشفات التى عثر عليها فى موكيناى قد وجدت ضمن خبيئة من المقتنيات الثمينة ، ولم توجد في مواضع كان القصد منها تمييز الأركان الأربعة للمعبد. ومن ناحية أخرى ، فإن هذه المكتشفات ليست لها قيمة جوهرية - رغم كونها ذات أهمية كبرى فيما يتعلق بالشعائر والطقوس الدينية - وبالتالى فليس من المحتمل أن تكون قد أستوردت أو جُلِبَت من الخارج بوصفها تذكارات. ولو أننا أضفنا الأدلة الأخرى التى تبرهن على وجود اتصال على المستوى الملكى بين مصر وموكيناى إبَّان هذه الفترة ، فقد يتضح لنا أن هناك فرصة معقولة لأن يكون القصد من وجود هذه المقتنيات هو التدليل على تأسيس مبنى مصرى هناك ، حتى ولو لم يستمر هذا المبنى سوى لفترة زمنية قصيرة ، وحتى ولو لم يُقدَّر له أن يُشَيد بعد ذلك على الإطلاق.

وعلى أية حال ، فليس الرمز المستمد من هذه اللوحات المنقوشة هو الذى يبرهن على حميمية الاتصالات بين مصر وبلاد الإغريق خلال هذا العصر ، فلقد أظهر تحليل الرصاص المستخدم فى الطبقة التى تم بها طلاء الخزف أن هذا الرصاص مجلوب من مناجم لاوريون. ويمكن تفسير هذه الحقيقة بأمرين لا ثالث لهما : الأول هو أنه كان هناك آنذاك مصنع مصرى ملكى ورسمى فى بلاد الإغريق ، قادر على تصنيع هذه اللوحات المنقوشة أو على صنع طبقة الطلاء التى كانت تعلو الخزف ، والتى يرجح أنها صنعت فى مصر برصاص مجلوب من بلاد الإغريق. أما الثانى فيبدو أنه أكثر احتمالاً وترجيحًا ، فضلاً عن كونه بمثابة حل يؤكد على وجود علاقات متشابكة بين مصر وبين منطقة البحر الإيجى إبان هذه الفترة الزمنية ، أى حوالى عام ١٤٠٠ ق.م.

فنحن نعلم – فى إطار التفسير الثانى – أن مصر وسائر البلاد الأفريقية كانت تقوم بتصدير العاج ، وخشب الأبنوس ، والسلع الاستوائية الأخرى مثل المر (myrrh) والتوابل على اختلاف صنوفها ، وبيض النعام ، وربما الريش وأوراق البردى. وهناك احتمال بأن هذه البلاد كانت تُصَدر أيضًا كميات من الذهب ، رغم أن بلاد الإغريق كانت لديها مواردها الخاصة بها من هذا المعدن ؛ ويبدو من المحتمل أيضًا أن تدفق العبيد كان يتم بصورة سائدة من الشمال إلى الجنوب. وكانت منطقة المشرق التى يمر عَبْرها الشطر الأعظم من هذه التجارة تحظى بمنتجات خاصة بها دون سواها ، مثل خشب الأرز والسلع التى تتطلب دقة وبراعة فى صناعتها. ومن ناحية أخرى ، فنحن نعرف أن منطقة البحر الإيجى كانت تقوم بتصدير الخزف الرائع الصنع ، بالإضافة إلى كافة ما كانت الأوانى الميكينية تحويه ، ومن بينها على وجه التأكيد زيت الزيتون إضافة إلى معدن الرصاص والفضة.

ولم يكن مثل هذا التبادل التجارى متوازنًا بين الطرفين ، فما دمنا نعرف أن بلاد الإغريق كانت من أكبر المصدرين للمعادل فقد يبدو من الضرورى أن نفسر انعدام التوازن هذا عن طريق عامل آخر ، سواء أكان هذا العامل سياسيًا أم اقتصاديًا ؛ وقد يكون أحد التفسيرات الممكنة فى هذا الصدد هو افتراض أن قوة مصر السياسية وقوتها البحرية قد مكناها من استغلال منطقة البحر الإيجى. ولكن ، قد يكون من الأرجح أن يقتصر التفسير بصورة أساسية على الناحية الاقتصادية دون سواها ،

حيث إن مصر كانت تقوم بالفعل بتصدير القمح لمنطقة شرق البحر المتوسط بأسرها ، على غِرار النهج الذى نعلم أنها قد سلكته خلال العصرين الآرخى (=القديم) والكلاسى ، أى إبَّان الفترة الواقعة بين عامى ٧٧٠-٣٢٥ق.م. وتوضح كل من المصادر الوثائقية والأثرية أنه كانت هناك بالفعل سفن ذات حمولات من الضخامة بمكان ، بحيث تجعل وجود تجارة للقمح على نطاق واسع أمرًا معقولاً ومقبولاً. ومن المعروف كذلك أن مصر قد أسهمت في تخفيف المجاعة التى حدثت في منطقة شبه جزيرة الأناضول ومنطقة المشرق عن طريق سفنها عبر البحر خلال القرن الثالث عشر ق.م. ومن المؤكد تقريبًا أن بعض مدن منطقة المشرق - التى شكلت فيما بعد فينيقيًا - قد عانت بصورة منتظمة من نقص إنتاج القمح لديها إبان هذه الحقبة. كذلك ، فإن الأدلة الأثرية والوثائقية المتعلقة بجنوبى بلاد الإغريق خلال هذا القرن نفسه توحى بوجود زيادة مرتفعة في عدد السكان وبنقص مثير للدهشة في إنتاج الغلال. وقد نستشف من هذا حدوث مجاعات متكررة جرى على أثرها استيراد للغلال بصورة متكررة - ومن المحتمل أن يكون قدر من هذه الغلال المستوردة قد تم جلبه بالفعل من منطقة البحر الأسود التى كان تمد بلاد الإغريق أيضًا بالقمح خلال العصر الكلاسى ، ولكن قد يكون من الأرجح أن يكون الشطر الأعظم من هذه الغلال كان يستورد من مصر. ومن المثير للدهشة أن هناك رواية إغريقية تشير إلى قيام مصر بتخفيف حدة مجاعة حدثت فى إقليم أتيكا قبل نشوب الحرب الطروادية بفترة من الزمن. وكل هذه المؤشرات - جنبًا إلى جنب مع أصول الكلمات المصرية التى يمكن الاقتناع بقبولها، والتى اشتقت منها كلمات يونانية تتعلق بالقمح وبتحويله إلى خبز - توحى بأن النمط المتعلق بقيام مصر بتصدير القمح إلى بلاد الإغريق وسائر بلاد حوض البحر المتوسط التى كنت قائمة خلال العصور الكلاسية والهيلنستية والرومانية ، كان نمطًا قد تأسس وأرسيت دعائمه إبان فترة العصر البرونزى المتأخر.

ولقد ظلت المسألة المتصلة بمن كانت له السيطرة على التجارة فى منطقة شرق البحر المتوسط إبان العصر البرونزى تمثل واحدة من أشد المساجلات العلمية إثارة للمرارة خلال العقدين الأخيرين (السابقين على تأليف هذا الكتاب). ومنذ القدح المعلى الذى ظفر به الميكينيون الذين يتسمون بالدينامية ويتصفون بالنشاط ، ولقد حَظِىَ هذا

الرأى بمسوغ قوى من حقيقة مفادها وجود قدر أوفر من الفخار (أو الخزف) فى منطقة المشرق وفى مصر وبكم أكثر من وجوده - على العكس من ذلك - فى منطقة البحر الإيجى - غير أن وجود الفخار فى حد ذاته يعد دائمًا مؤشرًا جيدًا على (مهارة) القوم الذين يتاجرون فى الأوانى الفخارية. فعلى سبيل المثال ، قد يكون من الخطأ أن نفترض وجود تجارة الأوانى الصينية فى أوروبا الغربية بعد انصرام القرن السابع عشر الميلادى، لا لشىء إلا لأن معظم الخزف الموجود فى هذه المنطقة من صنع الصين أو نتاج صناعة محلية تقوم بتقليد الخزف الصينى على نحو أدنى فى الجودة. وبالإضافة إلى ذلك ، فإن فريقًا من الباحثين قد نوهوا إلى عدم وجود ذكر للإغريق فى السجلات الوفيرة المتعلقة بالتجارة فى مدينة أوجاريت. وأتصور أن هذا الأمر يمكن تفسيره باعتبار أنه يمثل ظاهرة محلية ناشئة عن الحظر الذى فرضه الحيثيون على تجارة (أوجاريت) المنفردة مع " الأهيياوا ". وأيًا كان الأمر ، فهناك قدر ضئيل من الشك فى أن مدينة أوجاريت ومدن منطقة المشرق الأخرى كانت أكثر تمرسًا بالتجارة إلى حد بعيد من منطقة البحر الإيجى ذات الاقتصاد القائم على حضارة القصور ، وهو أمر يمكن استنباطه من الألواح الكتابية المدونة بالخط الثانى. وفضلاً عن هذا ، فلدينا أيضًا الصورة الرائعة التى قدمتها لنا الملاحم الهومرية ، ومفادها أن التجارة كانت بأسرها فى أيدى الفينيقيين.

ولقد اعتقد الأستاذ جورج باس (George Bass) الذى اكتشف أول سفينة غارقة إبان نهاية الحقبة الزمنية ، وهى السفينة التى تم العثور على حطامها على مبعدة من الساحل الجنوبى لتركيا عند " رأس جيليدونيا " (Cape Gelidonia) ، أعتقد أن أفراد طاقم هذه السفينة كانوا من أهل منطقة المشرق. أما الاكتشاف الأكبر الذى توصل إليه الأستاذ جورج باس ، فهو الاكتشاف الأكبر الذى توصل إليه الأستاذ جورج باس، فهو الاكتشاف الذى أسفر عن عثوره على حطام السفينة الغارقة خارج الموقع المعروف باسم " قاص " - كما ذكر آنفًا- ولقد أتاح لنا هذا الاكتشاف أن نحظى بدليل قد يكون أشد غموضًا عن جنسية بحارة هذه السفينة. ورغم أن هؤلاء البحارة كانوا من جنسيات مختلفة ، إلا أنه من المؤكد أنه كان من بينهم عدد من البحارة الإغريق. كذلك ، فرغم أن النزاع المحتدم بين النموذج الآرى المتطرف الذى يُنكر أى دور خلافه

للسابين الغربيين ، وبين النموذج الآرى المعتدل (ذى الأفق الأرحب) الذى يسمح بدور واحد لهم لا سواه ، كان نزاعًا له أهميته ودلالته إلا أنه كان كذلك نزاعًا عقيمًا لا جدوى منه ولا طائل من ورائه بصورة نهائية. ويعود السبب فى هذا إلى أنه اتضح لنا الآن أن منطقة شرق البحر المتوسط كانت " كوزموبوليتانية " (=عالمية) فى طابع (حضارتها) إبان الفترة الممتدة ما بين عامي ١٤٧٠-١٢٢٠ق.م.، وبالتالى ، فقد كان هناك بحارة من جنسيات مختلفة تنتمى إلى منطقة البحر الإيجى ومنطقة المشرق وإلى مصر، وكان هؤلاء البحارة يبحرون بسفن ذات حمولات مختلطة بصورة عامة. وقد اقترح نفر من الباحثين أن يكون السِلْم والرخاء اللذين حَظِيَت بهما هذه المنطقة نتيجة لما يمكن تسميته "بالسلم الميكينى " (Pax Mykenaeca) ، غير أن مثل هذه التسمية توحى بأنها آرية التوجه لأنها تضع العربة أمام الحصان. فمما لا شك فيه أن مصر كانت هى القوة المسيطرة على المنطقة خلال الفترة الواقعة بين عامى ١٤٧٠-١٣٧٠ق.م.، وأنها ظلت تحظى بأهمية عسكرية وسياسية وثقافية حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م.، وبالتالى فمن الأوفق أن نُسلم بأن الرخاء التجارى قد تحقق تحت مظلة السلم المصرى (Pax Aegyptiaca) .

وإن وجود مثل هذا المجتمع " الكوزموبوليتانى " - خلال الشطر الأكبر من النصف الثانى للألفية الثانية ق.م.، وعلى امتداد منطقة شرق البحر المتوسط بما فى ذلك منطقة البحر الإيجى - أمر من شأنه أن يجعل الفكرة القائلة بالعزلة الثقافية فكرة مجافية للمنطق ولا معنى لها. فمن الواضح أن هناك أسبابًا متعددة تحدو بنا إلى توقع وجود اتصال ثقافى ووجود استعارات لغوية من جانب اللغة اليونانية وبوجه خاص من اللغة المصرية القديمة ومن السامية الغربية. ومن الواضح أيضًا وبكل تأكيد أنه لا توجد هناك دوافع لإنكار الدليل على وجود تلك الاستعارات ، لأنه دليل جدير فطريًا بالتصديق. وأيًا كان الأمر ، فرغم أن الدليل الأثر المستقى من هذا الحقبة الزمنية يجعل من المتعذر علينا أن ندافع عن " النموذج الآرى " أو عن النموذج الذى ينادى بالأصل القُح سواء بسواء ، إلا أنه يمكن النظر إلى هذا الدليل الأثرى ذاته على اعتبار أنه يُضْعف من قوة " النموذج القديم " من منظور المفهوم الضيق، نظرًا لأن بوسع هذه الحقبة الزمنية التى تتميز بالاتصال الوثيق طويل الأمد أن تفسر لنا عددًا من

الاستعارات الجوهرية المتنوعة ، سواء أكانت دينية أو لغوية أو ثقافية ، بغير الاستناد إلى فكرة الفتح أو الاستيطان كمبرر وحيد لا سواه. ولكن ما يقف حجر عثرة أمام هذه الفكرة هى الحقيقة القائلة بأن بلاد الإغريق كانت بالفعل ناطقة باليونانية خلال العصر الميكينى المتاخر، وأنها كانت تعبد أربابًا بأسمائهم الإغريقية التى سادت فى عصر متأخر نسبيًا. إذ يبدو أن الأسماء والكلمات ، التى ساد الاعتقاد بأنها ذات أصول مصرية قديمة أو سامية غربية ، كانت قد استقرت وتأسست بصورة طيبة فى بلاد الإغريق خلال تلك الحقبة من الزمن.

وبالإضافة إلى ذلك ، فنحن نعرف من اللوحات الجدارية المصورة التى تم العثور عليها فى جزيرة ثيرا أن ثقافة جزر الكيكلاديس - على أقل تقدير - كانت بالفعل ثقافة كوزموبوليتانية نجد أميزها إبان القرن السابع عشر ق.م. وبالتالى ، فعلى الرغم من توافر الاتصال الوثيق خلال الفترة الواقعية بين عامى ١٤٧٠-١٢٢٠ق.م. ، فإنه يبدو أن هناك شكلاً ضئيلاً فى أن تكون الثقافة الإغريقية - كما عرفها من العصور الآرخية (=القديمة) والكلاسية - قد قد تشكلت بالفعل آنذاك بصورة أساسية. وإذا كان الحال كذلك ، فإن علينا أن نبحث - من خلال أدلة تنتمى لفترة زمنية أسبق من هذه الفترة - عن بعض ما ساد الاعتقاد بأنه بمثابة مؤثرات جوهرية مصرية وسامية فى بنية الثقافة الإغريقية. ولا ريب أن شطرًا من هذه المؤثرات - كما تمت المناقشة أعلاه - يمكن أن يرجع فى تاريخه إلى حقبة الألف الثالثة ق.م. أو حتى قبلها.

وأيًا كان الأمر ، فيبدو أن الدليل الأثرى يوضح بجلاء أن الفترة الزمنية الحاسمة كانت متزامنة مع الربع الثانى من الألفية الثانية ق.م. ، وأن هذه التأثيرات كانت مرتبطة بفتوحات الهكسوس وبحركة استيطانهم أو استعمارهم.

ويدور الفصل الثانى عشر - وهو الفصل الأخير من هذا الجزء من كتابنا - حول نهاية العصر الميكينى خلال القرن الممتد من عام ١٢٥٠ حتى عام ١١٥٠ ق.م، ويتم التركيز فيه على حصار مدينتين (شهيرتين) وتدميرهما ، وأعنى بهما مدينة طيبة الإغريقية ومدينة طروادة. وفى هذا المقام أيضًا نجد أن التقويم الزمنى أو التأريخ قد شابهه الاضطراب وعمه التخبط ، بسبب إرجاع تاريخ عصور الخزف إلى حقبة زمنية

متأخرة عما يجب. فوفقًا للمعرفة التقليدية ، نجد أن الفترتين الزمنيتين المتعلقتين بعصور الخزف ، وهما : الفترة الثانية من العصر الهيلادى المتأخر الثالث ، والفترة الثالثة من العصر الهيلادى المتأخر الثالث ، تبدأن على التعاقب بعام ١٢٧٥ق.م. وعام ١١٨٠ق.م. ويوحى الدليل الأثرى بأن مدينة طيبة الإغريقيــة قد دُمِرَت فى أواخر الفترة الثانية من العصـر الهيـلادى المتـأخر الثالـث (LH iii B2) ، وهو ما يوافق تقريبًا عام ١٢٠٠ ق.م. بناء على المعرفة التقليدية. وهناك مدينتان تم تدميرهما وهما مرشحتان كى تناظر إحداهما مدينة طروادة الأثرية التى أشار إليها الشاعر الملحمى هوميروس ، أولاهما مدينة طروادة السادسة التى يحتمل أنها دمرت فى تاريخ يقارب الفترة الثانية من العصر الهيلادى المتأخر الثالث (LH iii B) ، وهو تاريخ يوافق على وجه التقريب عام ١٢٧٥ ق.م. بناء على التقويم الزمنى المتعارف عليه. وبالتالى، فإن هذا التاريخ قد يكون أسبق زمنيًا من التاريخ التقليدى المتواتر لسقوط طراودة ، وهو التاريخ الذى يقع فى الفترة ما بين عامى ١٢٥٠-١١٧٠ق.م. على التعاقب. غير أننا لو فحصنا بصورة أكثر جدية التاريخ المحدد الممتد من حوالى عام ١٢٧٥ق.م. حتى عام ١٢٥٠ق.م.، لوجدنا أنه يسبق زمنيًا التاريخ الذى تحدد لسقوط مدينة طيبة الإغريقية بناء على التأريخ التقليدى لعصر الخزف ، حيث إن الافتراض العام لسقوط مدينة طيبة الإغريقيـة - وفقًا للتراث الأسطورى - هو أنها سقطت فى تاريخ سابق على تاريخ نشوب حرب طروادة. أما المدينة الثانية ، فهى مدينة طراودة السابعة (أ) التى دمرت حرقًا بالنيران - وفقًا للوصف الوارد برواية هوميروس التى حظيت بالقبول - إبَّان تاريخ يقارب بداية الفترة الثالثة من العصر الهيلادى المتأخر (LH iii C) ، وهو العصر الذى يتحدد تاريخه بناء على المعرفة التقليدية بعد عام ١١٧٥ق.م. وحيث إن التاريخ الأخير يتناسب بالتوافق مع الحد الأدنى للتقاويم الزمنية الإغريقية ، فمن الصعب علينا أن نجعله متوافقًا مع الصورة التقليدية للحملة العسكرية الإغريقية التى وصفت بأنها بالغة الضخامة والتنظيم ، فى ضوء ما نعرفه من أن الحضارة الميكينية كانت تسير إلى انحدار وتدهور بالفعل خلال ذلك الوقت.

هذه الحال من التشوش وانعدام التأكد حول تحديد أية مدينة من المدينتين المسميتين باسم " طروادة " هى التى دمرت ، هى الحال التى حدت بطائفة من

النازعين للشك من أمثال موسيس فينلي (Moses Finley) - الذى يعتبر الشخصية المهيمنة على حقل الدراسات الكلاسية بجامعة كامبردج خلال حقبتى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين - إلى الارتياب من صحة التحديد التاريخى للحروب الطروادية على نحو لم يقم به باحث آخر سواه منذ اكتشافات شليمان المثيرة. وعلى أية حال ، فإن إعادة النظر فى التحديد التاريخى وفق منهج جديد لتأريخ عصور الخزف قد أوضحت لنا الموقف بطريقتين: الأولى منهما هى أن انهيار مدينة طروادة السادسة ينبغى أن يتحدد تقريبًا بعام ١٣٥٠ق.م. ، وهو تحديد يتيح لنا أن نُقِرْ بوجود هذه المدينة قائمة (ومزدهرة) قبل تدميرها بأكثر من قرن من الزمان ، أى حوالى عام ١٢١٠ ق.م. وهذا التحديد التاريخى الأسبق فى القدم يقع بصورة دقيقة فى منتصف امدى الزمنى للتأريخ التقليدى ، كما أنه يجعل طبيعة انهيار المدينة متوافقًا مع ما ورد بالملاحم. (والطريقة الثانية)(*) مفادها أن هذا التحديد التاريخى - بغض النظر عن العثور على مكتشفات ذات أهمية على ساحل المدينة ، حيث كان يفترض وجود معسكر الإغريق الذين حاصروا المدينة - قد أكد لنا من جديد صحة التاريخ الذى حدده لنا هوميروس وجعل له القدح المعلى.

وتتناول أقسام من هذا الفصل تاريخ مدينة طروادة الذى يتسم بالغموض والتعقيد ، وتدرس إمكانية تحديده عن طريق علم الآثار والسجلات الحيثية. فمن الواضح أن مدينة طروادة - بوصفها مدينة مزدهرة ذات رخاء غدا مضرب المثل - كانت تحظى بموقع استراتيجى فريد ، يقع عند النقطة التى كان على السفن أن تنتظر فيها هبوب ريح رخاء مواتية لتتمكن من الإبحار عبر مضيق الدردنيل وتصل إلى البحر الأسود ، كما أن مدينة طروادة خلال العصر البرونزى كانت أيضًا نهبًا للسيطرة والتسلط عليها، من قبل قوة الحيثيين تارة ومن قبل قوة الإغريق تارة أخرى.

أما فيما يتعلق بانتفاء كل ذكر أو إشارة إلى الحيثيين فى ملاحم هوميروس وكذلك فى التراث الإغريقى بأسره ، فهو أمر يمكن تفسيره عن طريق ذكر حقيقة مفادها أن

(*) لم يذكر المؤلف سوى الطريقة الأولى فقط. وأنا هنا أرجح أن هذه الفقرة تخص الطريقة الثانية التى أغفل المؤلف ذكرها. (المترجم).

الإمبراطورية الحيثية – رغم عدم انهيارها تماماً حتى بداية القرن الثانى عشر ق.م. – قد فقدت ما كان لها من قوة وتأثير فى منطقة غرب الأناضول بحلول عقد الثلاثينيات من القرن الثالث عشر ق.م. وبالتالى فقد يبدو لنا أن حرب طروادة كانت – بطريقة أو بأخرى – عبارة عن محاولة إغريقية لملأ الفراغ الناشئ آنذاك فى المنطقة. ولكن هذه المحاولة جابهت مقاومة ضارية من جانب الحلف الذى تألف ضدها حينئذ من الدول المجاورة الموجودة بمنطقتي الأناضول الغربية والأناضول الجنوبية ، وكذلك من الثراقيين.

ويتضمن الفصل الثانى عشر من هذا الجزء كذلك قسماً عن مدينة طيبة الإغريقية، وبداخل هذا القسم توجد معالجة مختصرة لما يمكن استخلاصه أو التوليف بين شتات معلوماته عن تاريخ هذه المدينة منذ إعادة تشييدها للمرة الثانية على يد أمراء الهكسوس – وَفَقًا لما أعتقد – الذين يتمثلون وفقًا للأسطورة فى شخص البطل الفينيقى كادموس. وهناك قدر من الجدل المحتدم حول البراهين المتعلقة بتاريخ هذا البطل الفينيقى ، وحول تفضيل كثير من الباحثين للتقاويم الزمنية المتأخرة التى تم افتراضها خلال العصر القديم. ومن جانبى ، فإننى أعتقد أن ما يجعل هذه التقاويم الزمنية مُرَجَّحة على ما سواها بشدة ، هو الرغبة فى التوفيق بين الرواية القائلة بأن كادموس هو الذى أدخل الحروف الأبجدية إلى بلاد الإغريق ، وبين الاعتقاد السائد بأن أقدم تاريخ لدخول هذه الحروف الأبجدية هو عام ١٣٠٠ق.م. على وجه التقريب. لذلك ، فلقد حاولت أن أبرهن – مرتكزاً فى هذا الصدد على أسس متصلة بالكتابات المدونة نقشًا – على أن الأبجدية السامية (= الفينيقية) قد أدخلت إلى بلاد الإغريق إبَّان فترة زمنية لا يمكن أن تكون متأخرة عن عام ١٤٠٠ق.م. ، وربما خلال فترة أقرب صعوداً فى القدم إلى عام ١٨٠٠ق.م. وبالتالى ، فليس هناك من سبب يدفعنى إلى الشك فى الرواية القديمة البارزة القائلة بأن كادموس – أو الغزو الذى تم على يديه أو نسب إليه – قد وصل إلى مدينة طيبة الإغريقية، تقريبًا فى ذات الوقت الذى وصل فيه داناؤوس إليها وأقام فيها مستوطناته، وأعنى به عام ١٧٣٠ق.م. على وجه التقريب.

وهناك وفرة من الشواهد الكلاسيكية التى تتطابق بصورة جيدة مع الدليل التصويرى (=الأيقونى) (iconograhpic) ، وهى شواهد تجعل من المؤكد تقريبًا أن

الطيبيين كانوا يعتقدون أن حكامهم منحدرون من سلالة ملوك ينتمي نسبهم إلى كادموس ، وأن هؤلاء الملوك قد قدموا إلى مدينتهم أصلاً من فينيقيا. وليس ثمة سبب يحملني على الشك في أن هذه الرواية تستند إلى أساس من التاريخ الحقيقي ، أو في أن مملكة طيبة هي المملكة التي ظلت باقية وحدها خلال تلك الفترة منذ عصر تأسيس إمارات الهكسوس.

ومن الواضح أيضًا أن مدينة طيبة الإغريقية قد احتفظت بعلاقات وصلات مع منطقة الشرق الأدنى ، أو أنها أعادت إحياء علاقات كانت موجودة معها من قديم. إذ تم العثور على عدد من المقتنيات الثمينة التي تنتمي إلى منطقة الشرق الأدنى في "الكادميون" (Kadmeion) (=مصر القديمة) ، وكان بعض هذه المقتنيات الثمينة مُصَنعًا أو أعيد تصنيعه إبان الحقبة التي شهدت سقوط هذه المدينة. ولقد أوحي هذا إلى أحد الباحثين بأنه كان هناك جالية من الصناع الشرقيين المهرة تقوم بصنع هذه المقتنيات الثمينة داخل القصر. ولكن أكبر كشف مذهل على الإطلاق كان عبارة عن مجموعة من الأختام الأسطوانية المصنوعة من اللازورد ، وكان الشطر الأكبر من هذه الأختام عبارة عن مجموعة من الأختام الرسمية أو الدينية التي تم صنعها في عصر حكم الأسرة الكاسية في بابل. ولقد تمكنت الباحثة إديث بورادا (Edith Porada) ، كبيرة الاختصاصيين في أختام منطقة غرب أسيا ، في عمل رائع يتميز بقدرته على الاستشراف والكشف من أن تثبت صِلة هذه الأختام بالمعابد التي تم نهبها على يد الفاتح الأشوري الذي أنزل الهزيمة بمملكة بابل على عهد الاسرة الكاسية ، وهو الملك "توكولتي نينورتا الأول" (Tukulti Ninurta I) . ولقد حاولت الباحثة بورادا أن تبرهن على أن هذا الملك قد أرسل هذه الأختام إلى بلاد الإغريق ، إما بوصفها سلعًا تجارية ، وإما لأغراض دبلوماسية. ولقد كانت الباحثة بورادا على بينة من المعاهد الحيثية المذكورة آنفًا ، والتي كانت تهدف إلى حظر التبادل التجاري بين بلاد الإغريق وبين مملكة آشور ؛ ولكنها لم تكن تعلم شيئًا عن الدليل المؤكد المستمد من قالب ضخم من معدن الرصاص ، كان يُستَخدم في صب المعادن وكان مختومًا باسم الملك " توكولتي نينورتا " ، ولكنه كان مصنوعًا من رصاص تم استخراجه من مناجم لاوريون التي تقع بمنطقة أتيكا في بلاد الإغريق.

وهكذا ، فعلى الرغم من عدم وجود أدنى شك فى أن مدينة طيبة الإغريقية كانت تحظى بصلات وثيقة مع منطقة الشرق الأدنى خلال الحقبة التى تم فيها انهيارها ، فمن الواضح أيضًا وبنفس القدر أن مدينة طيبة لم تكن نسيجًا وحدها بين الدويلات الإغريقية فيما يختص بوجود هذه الصلات. وبالمثل ، فعلى الرغم من عدم وجود سبب للشك فى أن أسلاف ملوك طيبة منحدرون من نسل كادموس وبالتالى من أرومة فينيقية ، إلا أن هذه المكتشفات سالفة الذكر فى حد ذاتها لا تبرهن على أن مدينة طيبة الإغريقية كانت مدينة قام بتأسيسها أقوام من منطقة الشرق الأدنى.

ولقد غدا التاريخ المحدد لانتصار الآشوريين على مملكة بابل - وهو عام ١٢٣٥ق.م. على وجه التقريب - تاريخًا مقبولاً يمكن الوثوق به ، وبالتالى فهو يقدم لنا حداً فاصلاً يمكن لنا أن نضع بعده تاريخًا لتدمير مدينة طيبة الإغريقية بصفة نهائية ، وحرى بنا أن نحدد الآن هذا التاريخ بعقد العشرينيات من القرن الثالث عشر ق.م. ووفقًا للروايات التراثية المتداولة بين الإغريق ، فإن سقوط مدينة طيبة الإغريقية قد حدث قبل نشوب حرب طروادة بفترة زمنية وجيزة ، وهى الحرب التى يمكن القول بأن رحاها دارت خلال السنوات العشر الأولى من القرن الثالث عشر ق.م.، وبالتالى فإن ذروتها المتمثلة فى سقوط مدينة طروادة ودمارها تكون قد حدثت عام ١٢١٠ق.م. تقريبًا.

ولقد سمحت لنفسى بأن أتأمل بإمعان - فى الفصل الثانى عشر من هذا الجزء - قضية تحديد تاريخ (دقيق) لنهاية العصر الميكيني ولانهيار حضارة العصر البرونزى بوجه عام ، وهما واقعتان حدثتا على الأرجح خلال القرن الثانى عشر ق.م.، وأتصور فى هذا الصدد أنه يمكن اعتبار سقوط كل من مدينة طيبة الإغريقية ومدينة طروادة بمثابة نذير بانهيار الحضارة الميكينية. فلقد شهدت بداية القرن الثانى عشر ق.م. الغزوات التى قامت بها شعوب البحر والتى ورد ذكرها فى الوثائق المصرية القديمة. وكانت هذه الغزوات تشتمل على الغارات التى تم شنها من شمالى منطقة الأناضول ومن غربها ، ومن منطقة المشرق ، ومن مصر. ولقد أسفرت هذه الغزوات عن وضع نهاية لسيطرة القوة الحيثية وحدوث دمار مؤقت فى الدول الساحلية فى منطقة

المشرق ؛ أما مصر فقد قدر لها أن تظل وحدها قائمة بغير تدمير أو انهيار ، وإن كانت قوتها قد ضعفت عن ذى قبل بصورة واضحة.

وما من شك في أن الشعوب التى بات علينا أن نطلق عليها آنذاك اسم "الإغريق" كانت ضالعة في شق مثل هذ الغارات ، وأنها شاركت في التسويات التى تم عقدها عقب حدوث عدد من هذه الغارات. ومن ناحية أخرى ، فمن الصعب علينا أن نتحدث على وجه الدقة عن كيفية ارتباط هذه الهجرات بالاضطراب البالغ الذى وقع في بلاد الإغريق ذاتها إبان نفس الفترة. وكانت المظهر الكبرى لهذا الاضطراب تتمثل في الغارات التى تم شنها ، أو الفتوحات التى تم إنجازها لأجزاء من جنوب بلاد الإغريق على يد الدوريين القادمين من شمال غرب بلاد الإغريق. ولقد زعم الملوك الدوريون - سواء أكان زعمهم هذا صادقًا أم لا - أنهم منحدرون من آل البطل هيراكليس، أو من سلالة الأرباب ، أو من أصلاب الأسرة القديمة الحاكمة ذات الأرومة المصرية - الفينيقية. وبهذه الطريقة، فقد غدوا قادرين على إكساب أنفسهم شرعية أسمى مقامًا من شرعية آل بيلوبس الذين حلوا محلهم في مدينتى أرجوس وإسبرطة ، وغيرها من المدن الأخرى. ولقد حدا الانحدار كذلك من صلب أسلاف ذوى أرومة مصرية - فينيقية بالملوك الاسبرطيين المتأخرين إلى الاعتقاد بأنهم يمتون بصلة نسب إلى اليهود ، الذين يفترض أن قادتهم - بمثل ما كان أسلافهم الحقيقيين أو المتخيلين-كانوا هم الأمراء الهكسوس الذين قام المصريون بطردهم من مصر(*).

(*) المؤلف متحمس للغاية لفكرة أن الهكسوس قد غزوا الأناضول وبلاد اليونان والجزر بعد طردهم من مصر وهزيمتهم من جيشها. ولا اعتراض لى على هذه النظرية إلا في أننى أتشكك أن يكون الهكسوس المدحورون قادرين على التحول من الضعف إلى القوة الغازية بغير أسباب معلومة. فضلاً عن أن المؤرخ اليهودى يوسف يذهب إلى القول بأن الهكسوس رحلوا بعد طردهم من مصر إلى منطقة فلسطين حيث أسسوا مدينة "أورشليم". كما أنه في نفس الوقت ينفى أن يكون اليهود وأسلافهم من الهكسوس شعبًا بحريًا، وبالتالى فإنه يدافع عن عراقة الحضارة العبرية اليهودية ضد من اتهموها بالحداثة من الإغريق ، مرتكزًا على عدم معرفة الإغريق باليهود على اعتبار أنهم شعب قارى ليس له اهتمامات بحرية. وفي ضوء آراء المؤرخ اليهودى لا يمكننا القول بأن الهكسوس تحولوا من شعب من الرعاة إلى شعب بحرى بغير أسباب مقنعة. (المترجم)

ويبدو أن الاضطراب البالغ الذى عم واستشرى فى بلاد الإغريق قد بلغ ذروته خلال عقد الخمسينيات من القرن الثانى عشر ق.م.، وأن مدينة موكيناى ذاتها قد قُدِرَ لها أن تنهار خلال هذا العقد دون سواه ، وبالتالى فإن الواضح أن هناك أسباباً عديدة تفسر الانهيار الذى حدث إبان ذلك الوقت لحضارة العصر البرونزى. ويبين أحد الافتراضات التى اقترحت فى هذا الصدد أن السبب الأساسى فى وقوع هذا الانهيار كان هو التدهور الذى طرأ على المناخ فأثر بالتبعية على نصف الكرة الشمالى بأسره ابتداء من الربع الأخير من القرن الثالث عشر ق.م. ؛ ولقد سبق لنا أن ناقشنا هذه النقطة بكثير من التفصيل عند التعرض لملخص الفصل السابع من هذا الجزء. غير أن الباحثين المتخصصين فى هذا الموضوع لم يصادفوا أى تدهور مناخى طويل الأمد آنذاك ، وعلاوة على ذلك ، فرغم أن هؤلاء الباحثين يقرون بحدوث فترات جفاف وقحط استمرت أحياناً على الأرجح لسنوات طويلة ، إلا أنهم يؤكدون ببراهين قابلة للتصديق على حدوث فترات جفاف وقحط مماثلة خلال القرن الرابع عشر ق.م.، وذلك حينما استطاعت منطقة جنوب بلاد الإغريق من إعالة كمية شديدة الكثافة من السكان. ويوسعى أن أدلل على أن هذا اللغز يمكن حله لو أننا أقررنا بأنه خلال الفترة الزمنية الممتدة من ١٤٧٠-١٢٢٠ق.م. كان القمح المصرى متاحاً ومتوافراً لبلاد الإغريق ، كى يساعد سكانها المتزايدين فى التغلب على فترات المجاعة والقحط. وبالتالى ، فإن الغزوات التى قامت بها شعوب البحر - والتى نجم عنها إضعاف مصر والقضاء على أية إمكانية لنقل إمدادات القمح عن طريق البحر - هى التى أرغمت اقتصاد جنوب بلاد الإغريق على التحول من اقتصاد قائم على التصنيع والزراعة المتخصصة خلال عصور الخزف، وأعنى بها الفترتين الأولى والثانية من العصر الهيللادى المتأخر الثالث، إلى اقتصاد قائم على الاكتفاء الذاتى خلال الفترة الثالثة من العصر الهيللادى المتأخر الثالث ، وهو اقتصاد تنهض به طائفة من السكان قليلة العدد نسبياً وقادرة على الصمود أمام فترات الجفاف والقحط المتكررة ولديها القوة على تخطيها.

ورغم أنه ليس بوسعنا أن نعزو السبب لانهيار طويل الأمد - وهو الانهيار الذى وقع فى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثانى عشر ق.م. - إلى عوامل مناخية وأخرى سياسية ، إلا أنه يبدو أن السبب الأول والأهم كان هو التدهور السياسى الذى

طرأ على مظلة " السلم المصرى " (Pax Aegyptiaca) . وأيًا كان الأمر ، فيبدو أن الضربة القاصمة - التى وجهت لعدد من المناطق وأسفرت عن سحق حضارة العصر البرونزى بأسرها - كانت تتمثل فى التدهور الذى طرأ على المناخ ، وهو التدهور الذى حدث نتيجة لثورة بركان هيكلا الثالثة عام ١١٥٩ ق.م. ومن المثير للدهشة أن نلاحظ أنه خلال العقد التالى لهذا التاريخ شرع الأمير " زهو " (Zhou) فى إسقاط أسرة شانج (Shang) الحاكمة (فى الصين) ، وأقفرت منطقة شمال غرب بريطانيا من سكانها ، وانهارت دعائم دولة عيلام الوسطى فى إيران ، وحل الدمار بالحضارة المؤسسة على البلاط والقصور الملكية ومجتمعها فى بلاد الإغريق.

ورغم أن مصر لم تخضع أبداً ولم تستسلم ، ورغم أن منطقة المشرق قد استعادت سريعًا ثروتها وقوتها ، إلا أن المناطق الهامشية الواقعة على حدود الشرق الأدنى قد استغرقت وقتًا أطول لكى نستعيد ما كان لها من صولة ومنعة. وحتى عندما تمكنت هذه المناطق من استرداد ما كانت ترجوه من قوة ، فإن ذلك قد تحقق بصيغ اجتماعية متنوعة وبأنماط جد مختلفة. أما فى بلاد الإغريق ، فبعد انحسار المجتمع الذى قامت حضارته على حياة القصور والبلاط ذات الطابع البيروقراطى حل محله مجتمع عتيق أكثر تمسكًا منه بالقبيلة. على حين ظل الانتعاش الذى تحقق خلال القرن التاسع والثامن ق.م. يسير بصورة شاملة على الخطوط العريضة التى تم تأسيسها فى فينيقيا خلال القرن الحادى عشر ق.م. ، وبناء على المواصفات التى كان يتم وفقًا لها إنشاء الدويلات المستقلة التى يقوم اقتصادها على التجارة والتصنيع ، والتى تعتمد اعتماداً واضحًا على عمل العبيد البدنى بوصفهم أملاكًا منقولة ، شريطة أن يتحقق هذا كله فى ضوء وجود مفهوم وثيق لحقوق المواطنين. ولكى يتسنى لنا توضيح هذا الاختلاف بين المجتمعين بصورة رمزية ، فبوسعنا القول بأنه حيثما وجدت حياة البلاط والقصور الملكية فإنه سوف يحل محلها آنذاك مدن تهيمن عليها معابد للآلهة يتم النظر إليها على أنها بمثابة هوية مشتركة بين كافة المواطنين.

أما العلاقات (الوثيقة) القائمة بين موجة التأثير هذه الوافدة من منطقة الشرق الأدنى وبين التراث الإغريقى القح ، فهى علاقات تشكل قوام قصة أخرى ليست جزءً من مشروع هذا الكتاب الذى بين أيدينا على أية حال.

وختامًا ، فلقد تجاسرت وأعلنت في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب عن المحتويات التي كنت قد خططت سلفًا لورودها في الجزئين الثالث والرابع من الكتاب. غير أنه وقد اتضح لي أنني كنت على الخطأ في وضع هذا التصور المسبق ، فإنني بناء على ذلك لا أنوي هذه المرة أن أستبق الأمور أو أمضي قدمًا في عرض التفاصيل المخطط لورودها في الجزئين الثالث والرابع من الكتاب. ولا بأس من القول بأن هذين الجزئين سوف يغطيان بوجه عام الميادين التي سبق اقتراحها من قبل في مقدمة الجزء الأول ، وهي ميادين تتعلق بما تصورت أنه سيعالج في الجزئين الثاني والثالث. وبغض النظر عن التغييرات التي طرأت على تفاصيل مخطط هذا المشروع البحثي ، فإن الاختلاف الجوهري – فيما يتعلق بالجزئين – يكمن في أن هذه التغييرات سوف تكون مؤسسة على نفس الخطوط العريضة التي سار على منوالها هذا الجزء الذي بين أيدينا، فيما يتعلق بكونها مؤلفة من وصف "مكثف" أتعشم أن أحاول من خلاله توضيح مدى خصوبة النموذج القديم المنقح ، وتبيان مدى فاعليته. ويقف هذا الوصف "المكثف" على طرفي نقيض من المنافسة الحيادية التي قمت بشرحها سلفًا في بداية هذه المقدمة، والتي اعتقدت خطأ أن القيام بها أمر ممكن ، حينما انبريت لأول مرة لتصميم الخطوط العريضة لخطة هذا المشروع البحثي.

هوامش المقدمة

(١) انظر الجزء الأول ، ص ص ٤٤٢-٤٤٣

(٢) انظر: ماك نيل (١٩٧٢) ، ص٢٠ .

والحق أنني معجب بهذا المقال لهجومه الجسور على الدعائم اللغوية الذاتية للنموذج الآرى، وعلى استخدام هذا النموذج لمقولة " جيته " الشهيرة، وهي: " إن أكثر الأشياء أهمية للفهم هو أن يكون كل شيء واقعي بذاته نظرية بالفعل ". وتنصب اعتراضاتي على هذا النموذج لإيمانه بالحرفية أو التخصص في المهنة ، وعلى رفضه لتقبل أي أمر أو فكرة ما لم يكن حقيقة مؤكدة.

(٣) انظر : إدواردز (١٩٧٩) ، ص ص ٦٥-٨٩ .

(٤) انظر: نلسون (١٩٣٢).

على حين يعد الأستاذ بيركرت Burkert (1985)، ص ص ٤٧-٥٢، أكثر احترازاً رغم أنه لا ينكر المثال الأساسي الذي قدمه الأستاذ نلسون.

(٥) انظر: Naveh (1932), pp. 1-8; Bernal (1987), pp. 1-19; Bernal (1990).

(٦) عن قبرص، انظر: Jensen (1969), pp. 138-141; Friedrich (1957), pp. 124-131

وعن كريت ، انظر: Davis (1967), p. 26; Gorden (1966), p. 13; Steiglitz (1976), p. 85; Marinatos (1985), P. 228; Raison and Brixhe (1961), p. 130; Bronn (1978), p. 44; Pace Brice (1959), p. 380.

(٧) انظر: Thucydides, I, i ; Pausanias, III, 3, 3; Plutarch, De Gen. Soc., 5-6.

(٨) انظر: Josephus, Contra Apionem, I, 12-21 (1981).

وعن فيلون انظر : Baumgarten (1981); Attridge & Oden;

وعن مانيتون انظر: Waddel (1940), pp. Vii-xxx

(٩) انظر: Josephus, Contra Apionem, I, 14

وقارن : Walcot (1966), pp. 18-19; Kirk, Raven & Schofield (1983), pp. 48-72.

(١٠) أشار معظم الباحثين المعلقين إلى أن تأريخ هيرودوتوس الزمني للتاريخ المصري يمكن تقويمه أو تعديله عن طريق إجراء تصويب معنى. انظر de Selincourt (1954), p. 166.

(١١) المؤرخ يوسف: ، ضد أبيون ، جزء ١ ، فقرة ٢٨ . وانظر ترجمة الفقرة صـ١٧٥ .

(١٢) المؤرخ يوسف ، ضد أبيون ، جزء ١ ، فقرات ١٠٧-, ١١١ وانظر الترجمة ص ص ٢٠٥-٢٠٧ من الكتاب .

(١٣) انظر أدناه ، الفصل السابع ، الحواشى من رقم (٢) إلى رقم (٦٢) .

(١٤) انظر: Astrom (1978), pp. 87-90.

(١٥) انظر أدناه ، الفصل السابع.

(١٦) انظر: Petrie (1890, 1891, 1894); Su also Cadogan (1978), p. 209.

(١٧) انظر: Plato, Timaios, 22 D.

(١٨) انظر: Bernal (1989 a), pp. 22-25.

(١٩) انظر: Gardiner (1961), p. 309; Wilson (1969), p. 27.

وعن الاستمرارية فى الثقافة المادية ، انظر: Prausnitz (1985), P. 191.

(٢٠) انظر: Macqueen (1975), p. 52.

(٢١) انظر: Herrin (1978), pp. 19-33.

(٢٢) انظر: الجزء الأول ، ص ص ٣٠٣-٣٠٥

(٢٣) انظر بصفة خاصة: ص ص ٢٨١-٢٣٣؛ برنال (١٩٨٨).

(٢٤) تابع وقارن : Leak (1986); Thapor (1975, 1977).

وكلاهما دون نقداً رائعاً ومفحماً ومبنياً على اسس إيديولوجية للدراسات الهندية التي تمت خلال القرن التاسع عشر وكذا للدراسات الهندو-أوربية.

(٢٥) انظر: Kuhn (1977), p. 463.

وعن التقسيم الذى قام به الأستاذ كوهن للنماذج المبكرة وتصنيفها إلى " نماذج قياسية " وقوالب دراسية " انظر: Suppe (1977). Pp. 135-151.

(٢٦) انظر: Barnes (1982), p. 11.

(٢٧) انظر: Kuhn (1970), p. 169.

(٢٨) انظر: Lacatos (1970), pp. 106-111.

(٢٩) انظر الجزء الأول ، ص ص ٤٠٧-٤٠٧

(٣٠) انظر الجزء الأول ، ص ٣٢٦-, ٣٣٠ وانظر أيضاً : برنال (١٩٨٨) .

(٣١) انظر: Renfrew (1972), p. xxv.

(٣٢) انظر: انظر الجزء الأول من ص٦٤ .

الفصل الأول

كريت قبل فترة القصور منذ عام ٧٠٠٠ حتى ٢١٠٠ ق.م

ترجمة : أبو اليسر فرح

تُعَدُّ جزيرة كريت المكان الملائم لإجراء مسح للعلاقات بين الشرق الأدنى وعالم بحر إيجه، وهناك عدة أسباب تكمن وراء هذا الاختيار. وأول هذه الأسباب هو وجود الأدلة على قيام إتصالات بين هذه الجزيرة وجنوب غرب آسيا الصغرى وشمال أفريقيا منذ العصر الحجرى الحديث. وقد إستمرت هذه الاتصالات خلال عصر البرونز المبكر. أما ثانى هذه الأسباب فإنه فى خلال فترة القصور التى إزدهرت فى أواخر الألف الثالثة والثانية لعبت هذه الجزيرة دور الجسر فى نقل وبلورة المؤثرات المصرية والشرقية إلى بلاد الإغريق القارية[*] . ولهذا يمكننا القول بأن التأثير الكريتى كان أساسيًا فى تكوين الحضارة الموكينية وتطورها فى الألف الثانية.

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نلقى الضوء على المرحلة الأخيرة من تاريخ هذه الجزيرة، وهى مرحلة العصر الحجرى الحديث وأوائل عصر البرونز، أى الفترة الواقعة ما بين عامى ٧٠٠٠ و ٢١٠٠ ق.م.

وفى هذا الصدد فإننى أركز على علم الآثار بصفة أساسية. ولا يرجع هذا إلى إعتقادى بأن علم الآثار له الأفضلية كمؤشر، أو لكونه السبيل الوحيد لمعرفة عالم بحر إيجه خلال الألف الثانية ق.م (ما بين عامى ٢٠٠٠ و ١٠٠٠ ق.م).

(*) نستخدم كلمة بلاد الإغريق القارية لترجمة عبارة Greek mainland أنظر ترجمة الجزء الأول ص٩٧ . (المترجم)

وهى الفترة التى يركز عليها هذا الكتاب. بل إننى أعطى إهتمامًا لعلم الآثار لسببين:

أولهما أن هذا العلم دائمًا هو الوسيلة الهامة للحصول على المعلومات. ويصدق هذا في خلال العصور التاريخية وما قبل التاريخية. والسبب الثاني أنه على الرغم من أن المعلومات التى يمكن إستيفاؤها من الأساطير أو المصادر اللغوية مفيدة إلى أبعد الحدود. فإنه توجد صعوبة فى مطابقة هذه المعلومات مع الشواهد الأثرية.

ومن ناحية أخرى فإننا إذا أردنا أن ننظر إلى الألف الثالثة على سبيل المثال، فإننا نلاحظ قلة نسبيته في الوثائق المعاصرة. وبهذا تكون المعلومات التى يزودنا بها علم الآثار هى السبيل الوحيد أمامنا لكى نتعرف على هذه الحقبة. إلا أننى أعتقد ان التعامل مع الدلائل الأثرية بشكل منعزل هو أمر غير مقبول حتى عندما يتعلق الأمر بالفترة المبكرة. لذا فإننى سوف أحاول فى الفصل الأول أن أتبينها من خلال القرائن التى يمكن معرفتها من الوثائق التى تنتمى إلى حضارات معاصرة. بالإضافة إلى تلك القرائن التى تزودنا بها الأساطير والعبادات. وفى بعض الأحيان ما يمكن معرفته من اللغة وأسماء الأعلام.

وبالإضافة إلى هذه المشاكل التى تتعلق بالقرائن، توجد الصعوبات التى تتصل باتخاذ علم الآثار كقاعدة. ولست أنوى الخوض فى المسألة الفلسفية المعقدة التى تدور حول مناقشة ما إذا كان علم الآثار قائمًا بذاته (بشكل يتعارض مع ذلك الذى يستخدم الأساليب العلمية للآخرين)(١).

إننى هنا ببساطة أفضل أن آخذ فى الاعتبار التطبيق العملى، أو على الأقل الحد الأدنى من النظرية لأنها تؤثر في المشكلات المحددة التى نهتم بها. وفى الغالب فإنه لا يوجد شك في مدى صدق الدليل – في الحفائر الجيدة – فيما يتعلق بمكان العثور عليه وفى أى قطاع. وفى الوقت الراهن فإنه من خلال الوسائل العلمية يمكن معرفة مادة الدليل ومصدره. ويمكن معرفة ذلك فى بعض الأحيان عن طريق الراديو كربون. وذلك من خلال قياس نسبة الكربون النشط. وهى النسبة التى تأخذ فى التناقص عندما يموت الجزء العضوى. وكذلك عن طريق دراسة عمر الأشجار (dendrochronology)

من خلال حساب حلقات الشجرة، الذى يتيح للمرء معرفة تاريخ هذه الشجرة بدقة. ومن ناحية أخرى محاولة معرفة الكيفية التى انتقل بها هذا الأثر إلى مكان آخر. وإلى أى مدى يمكن أن يقدم ذلك فائدة للتفسير الموضوعى للمؤرخ أو عالم الآثار.

والواقع أننا عندما ننظر إلى المبانى أو طُرُق الزراعة والصناعة. وهى التى تُمثل مجال الاهتمام الرئيسى لعالم الآثار أو المؤرخ فى وقتنا الراهن، فإننا نلاحظ وجود تفاوت فى التفسير وبخاصة عندما يتعلق الأمر بعلاقة هذه الأنماط بمثيلتها فى أماكن أخرى. وخلاصة القول أن الأدلة فى حد ذاتها وبشكل مجرد تقدم إجابات محددة. وأقصى ما تستطيعه تلك الأدلة هو أنها تصنع حدوداً واضحة يستطيع عالم الآثار من خلالها أن يتأمل.

آراء دُعَاة الانتشار

وأفكار دُعَاة العُزلة

من الطبيعى أن يلعب الشكل دوراً مهمًا فى عالم التأمل. وقد ناقشت فى الجزء الأول بشكل مختصر العلاقة بين الإستعمار (colonialism) وتفضيل فكرة الانتشار (diffusionism) والاعتقاد بأن الحضارات الأعلى مرتبة إنما تنتشر من خلال الغزو أو الهجرة[٢]. ولا ينبغى أن يغيب عن بالنا أن الآريين القدماء وكذلك النماذج المتطورة فى بلاد اليونان تُعَد جميعها ناتجة عن الانتشار. إن نظرية الانعزالية (Isolationism) - أو التطور الذاتى كما يحلو لأصحابها أن يطلقوا عليها بشكل مضلل. والتى تقوم على روح المبادرة والنشوء الذاتى، أو بمعنى آخر التطور المحلى، إنما جاءت كرد فعل طبيعى للفكرة السابقة وسيطرت على علم الآثار منذ حقبة الأربعينيات.

والحقيقة أن أشد الهجوم ضراوة على نموذج الاستيطان الانتشارى جاء فى المقالة التى كتبها وليام آدامز (William Adams) وهو عالم بارز فى مجال آثار النوبة. وقد شكلت هذه المقالة الفكرة الرئيسية فى أعمال كولين رينفرو (Colin Renfrew)،

وعلماء آخرين من دُعَاة الانعزالية[٣]. فراحوا يثيرون جدلاً كثيراً حول تفسير دُعَاة الانتشار للأدلة الأثرية. وقد لخص آدامز هذه الأفكار وبلور رأيه فى نهاية مقال له بعنوان " الغزو والانتشار والتطور " نشرها فى إحدى الدوريات الأساسية فى هذا الحقل وهى دورية (Antiquity) .

وطالما أنه ليس لدينا دليل قاطع من علم الآثار، فإن أى تفسير موجود الآن يجب أن يكون قابلاً لإعادة النظر فى ضوء الاكتشافات المتوالية. ومما يثير الأسى أنه لا توجد نقطة يمكن لنا عندها أن نهمل الأدلة ونأخذ بالتفسيرات. لأن كل نظرية لا تعدو أن تكون مجرد إحتمال. وأى بناء لنظرية على أساس نظرية أخرى يؤدى بشكل واضح إلى تقليل الاحتمالية. لذا فإن الدليل المادى يمكن أن يؤدى بشكل غير محدود لإقامة حقائق التاريخ[٤].

وعلى أية حال فإن مسألة الفصل ما بين التفسير (interpretation) والدليل المادى (solid evidence) هى مسألة ليست مُقنِعة بشكلٍ صارم. ومما هو جدير بالذكر أن رجال الآثار عندما يختارون موقعًا للتنقيب تكون لديهم فكرة مُسبَقة وأن هذه الفكرة تلازم أيضًا من يأتى بعدهم وتحدد قراراتهم فيما يتعلق بالمكان الذى يحفرون فيه. كما تحدد أيضًا الوسائل التى يتبعونها، وأين عليهم أن يتوقعوا، وما هو الجانب الذى ينبغى فحصه بدقة، وما هى البقعة التى يجب عليهم أن يقوموا بتنظيفها وملاحظتها. وما ينبغى الاحتفاظ به. وليس هناك مفر من القول بأن التحليل لابد أن يكون ذاتيًا (Subjective) . والحقيقة أن النتيجة التى توصل إليها آدامز على الرغم من أنها لا تبدو متميزة إلا أنها مثلها فى ذلك مثل فكرة ماك نيل (McNeal) التى أشرنا إليها كما جاءت فى مقالة فى مقدمه هذا الكتاب تحتوى على هجوم على فكرة الانتشار. وتبدو رؤيته ذات وقع عنصرى[٥]. وفى إطار الرغبة فى عدم الاعتراف بمصداقية الافتراضات المبنية على معطيات علم الآثار، وكذلك الأدلة الأخرى من عصور ما قبل التاريخ، فإن بعض الباحثين من أمثال آدامز وماك نيل هجروا كل ما تم الاستدلال عليه، وفضلوا الأخذ بفكرة التطور الذاتى والانعزال .

ويمكن تلخيص فكرتي فيما يلي. إنني على الرغم من تقبلي لنقدهما للأدلة المتوافرة فإنني أرى أنه لابد من الاستفادة إلى أقصى حد مما هو متوافر لدينا، وأن نستمر في استخراج الاستنتاجات. وفي نفس الوقت علينا أن نذكر أنفسنا باستمرار بأنها ليست ثابتة تمامًا. إنني أحرص على هذا لأنني مقتنع بعدة حقائق. أولها أن الأبحاث بدون هذه الأدلة تؤدى إلى نتائج ليس لها معنى. أما ثانيتها فإنه على الرغم من كونها غير صادقة بشكل مطلق، فإن الافتراضات المختلفة بطريقة أو أخرى يمكن أن تشجع على الوصول إلى ما يفيد. وفي هذه الحالة يكون دورنا هو القيام بعملية المزج، ثم اختيار أقلهم سوءًا وهناك نتيجتان مترتبتان على الحقيقة الثانية وهما:-

١- إنه يحول دون إقامة افتراض جديد يفسح بشكل لا فكاك منه مكانًا للأفكار القديمة التى قامت على أدلة ينبغى التعديل عليها.

٢- أن هذه الحيلولة نابعة من وجود خط محدد للعزلة وهو أمر قد يؤدى بشكل خاطئ إلى فكرة الاتصال أكثر من العزلة. وهو أمر يحتاج إلى برهان. إن هذا الاتجاه خاطئ، وقد أخذت ما يمكن أن نطلق عليه الشكل الانتشارى المخفف.

لذا فإنني أرى أن التغيرات الحضارية يمكن إرجاعها لعاملين هما التأثير الخارجى أو التطورات الداخلية. أو كنتيجة لتركيبة معقدة للعاملين معًا. والحقيقة أن الدارسين في عصرنا الحالى الذين يأخذون بفكرة العزلة لابد أن أفكارهم قد تولدت من خلال النظرة الحديثة إلى عالم بحر إيجه خلال عصر البرونز ما بين عامى ٣٣٠٠ إلى ١١٠٠ ق.م. وقد إنقسم العلماء فى العصر الحالى إلى معسكرين بشكل حاد. وقد تمت مناقشة آراء أصحاب المعسكر الأول فى الجزء الأول (من هذا الكتاب). ويضم هذا المعسكر بشكل أساسي الدارسين ذوى الاتجاه المحافظ مثل فرانك ستابنجز (Frank Stubbings) والراحل سبيريدون ماريناتوس (Spyridon Marinatos) وقد تأثر هؤلاء ببقايا النموذج القديم. وقالوا بأن بلاد اليونان قد تعرضت للغزو من مصر ومن الشرق فى عصر البرونز المتأخر حوالى عام ١٥٧٠ ق.م. إلا أنهم مع ذلك يجادلون بالقول بأن هذا الغزو لم يدم لفترة طويلة. وأنه لم يكن ذا أثر بارز فى الحضارة الإغريقية. أما المجموعة الثانية فإنها تضم معظم العاملين فى مجال الآثار من الذين ينتمون إلى

الجيل المتوسط. وكذلك المؤرخين المتخصصين في تاريخ اليونان القديم مثل جون بينتلف (Johin Bintliff) وبيتر وارن (Peter Warren) . ويميل هؤلاء إلى الأخذ بنظرية الانعزال. ويتبنون نظرية رينفريو (Renfrew) التي تنادي بفكرة النمو الذاتي (Autochthonous) للحضارة. وتستند إلى الاعتقاد بوجود مستوطنات ذات تأثير بارز في بلاد الإغريق منذ العصر الحجري الحديث. ويعارضون بشدة فكرة الغزو الخارجي الذي أدى إلى وجود مستوطنات أجنبية في منطقة بحر إيجه مصدرها الشرق الأدنى[٦]. إن رينفريو ذهب إلى مدى أبعد مما ذهب إليه مؤسسو فكرة النموذج الآرى أنفسهم. فإنه لم يكتف بالقول بأن الإغريق لم تكن لديهم علاقات بارزة مع الشرق الأدنى، بل ذكر أنهم في العصر ما قبل الهيليني كانوا عنصرًا نقيًا لا تشوبه شائبة.

وعند هذه النقطة فإننا نرى أنه لزامًا علينا أن نعمل على ملء فجوة تركت في الجزء الأول (من هذا الكتاب). فقد ذكرت أن فكرة النموذج الآرى المتطرف قد سادت بشدة في بداية هذا القرن. إنني أضع في الاعتبار أفكار نظرية الانتشار (diffusionist) التي نادى بها إليوت سميث (Elliot Smith) . ومفادها أنه يوجد شعب أسيوى ذو طبيعة نشطة، وأن هذا الشعب هو الذي قام بنشر الحضارة في أرجاء العالم منطلقًا من مصر[*][٧]. وهو أمر لم تجر الإشارة إليه. وعلى أية حال

فإنه يوجد باحثون معتدلون تأثروا بعلماء الآثار الذين يعتقدون بأن الحضارة الأوروبية جاءت بشكل جوهرى من الشرق الأدنى، مما حدا بخصومهم إلى أن يعموهم بالمغالاه في الإيمان بفكرة " الضوء الآتي من الشرق " "Ex Oriente Lux" .

ولعل أبرز الذين ينادون بفكرة الانتشار المعتدل (Modified diffusionists) عالم الآثار السويدى أوسكار مونتيليوس (Oscar Montelius) وقد تبعه في هذا الاتجاه الكثيرون من الباحثين. وبخاصة في بريطانيا. مثل السير جون مايرز (John Myres) . وكذلك الباحث الاسترالي العظيم والعالم صاحب المكانة العالمية في مجال الآثار ونعني

(*) لا يخفى على القارئ ما يهدف إليه المؤلف من إيراد هذه العبارة حيث الترويج لفكرة فضل اليهود على الحضارة الإنسانية. انظر مقدمة د. أحمد عتمان للجزء الأول ص ٢٢، ٢٣ . انظر أيضًا تعليق د. حسين الشيخ في ترجمته للفصل الثاني من الجزء الأول ص ٢٨٨ . (المترجم)

به جوردن تشايلد (Gordon Child) [٨]. ويقول هؤلاء الدارسون أن سكان منطقة بحر إيجه قد تلقوا الكثير من المهارات الفنية من الشرق الأدنى إن لم يكن معظم هذه المهارات، وذلك خلال الألف الثالثة. وعلى أية حال وكما أشرت في الجزء الأول فإن مايرز وتشايلد كانا على اقتناع تام بتفوق الجنس الآرى. كما كانت لديهما قناعة بأن الإغريق كانت لديهم أفضل الحضارات الآرية. إن التناقضات التي تكمن في هذه الأفكار الأساسية يمكن تلافيها عن طريق التخمين بوجود عنصر سابق على العنصر الهلليني (Pre - Hellenes) يُعَدْ وسطًا ما بين الهللينيين الآريين وبين العناصر الوافدة من الشرق الأدنى[٩].

ومما يَجْدُر بالذكر أن من بين خصوم نظرية الانتشار المعتدل بعض الباحثين من أمثال سالومون رايناخ (Salomon Reinach) وهو الأمر الذى ناقشناه في الجزء الأول. وقد شن هذا الباحث هجومًا على ما أسماه " بالسراب الشرقي". ويقصد بهذا التعبير أولئك الذين يبحثون عن الأصول الآسيوية للحضارة الأوروبية. وهناك أيضًا جوستاف كوسينا (Gustav Kossina) العالم البارز في مجال الدراسات الآثارية الألمانية في أوائل القرن العشرين. وقد ذكر هذا العالم بأن العناصر الأصلية مثل الآريين والفنلنديين والسومريين قد جاءت من مصدر واحد. وأن الشعوب الأدنى قد استفادت من إختلاطها بتلك الشعوب الأعلى مرتبة. إلا أن أعظم الحضارات هي تلك التى أقامتها العناصر النقية التى لم تتسرب إليها شوائب. وهو الأمر الذى يمكن أن نلاحظ حدوثه في حالة شمال ألمانيا[١٠]. وينبغي أن نلاحظ الروح العنصرية هنا. وتبدو في أعمال رينفرو (Renfrew) ووارين (Warren) محاولة واضحة لإحياء فكرة الانعزالية أو التطور الذاتي. وهي الفكرة التي تقف على النقيض من فكرة الانتشار المعتدل التى نادى بها مونتيليوس (Montelius) و تشايلد (Childe) . وهي في نفس الوقت تطبيق عملي لنظرية النقاء الخالص وعدم التأثير على عالم بحر إيجه.

وهكذا فإن أفكارهم تبدو ذات طابع عنصرى، لأنهم يرون أن الحضارة الأوروبية أعظم حضارات الإنسانية قد أقامها الأوروبيون ذوى اللسان الهندو أوروبى فقط. ومما يسترعي الانتباه بشكل فج أن كتاب رينفرد يحمل عنوانًا مستفزًا وهو " قيام الحضارة: الكيكلاديس وعالم بحر إيجه في الألف الثالث ق.م". على الرغم أنه أهدى

إلى ذكرى العالم جوردون تشـايلد (V. Gordon Child) الذى كان رينفـرو يجاهـر بعدائه لآرائه.

وعندما يتعلق الأمـر بجزيرة كريت قبل عام ١٤٥٠ . حينما كان الموكينون على ما يبدو هم السادة فيها، فإننا نجد أنفسنا في أتون معركة ما بين دُعَاة الانعزالية ودُعَـاة الانتشـار المعتدل. ومن الجدير بالذكر أنه حتى هؤلاء الأخيرين يميلون إلى الاعتقاد بأن الحضـارة المينوية كانت تتمتع بقدر من الحيوية والحرية تفتقر إليهما حضارات الشرق الأدنى[١١].

كريت قبل القرن الحادى والعشرين

العصر النيوليثى (الحجرى الحديث)

٧٠٠٠ – ٣٣٠٠ ق.م

ذكر إسترابون أن جزيرة كريت في القرن الأول ق.م والقرن الأول الميلادى لم يكن ينظر إليها باعتبارها جزءًا من عالم بحر إيجه بل بإعتبارها منطقة وسطى ما بين بلاد اليونان وأفريقيا[١٢]. ويقول كيث براينجان (Keith Branigan) أحد المتخصصين فى تاريخ وآثار هذه الجـزيرة أنهـا تقع على خط الاتصـال بين القـارتين الذى وصلت من خـلاله الفنون والحرف التى تنتمى إلى الحضـارات العظمى فى هاتين القـارتين إلى طرف بدائى ثالث[١٣]. وتؤكد الأدلة الآثارية أن كريت قد تأثرت بخمسة أقاليم رئيسية وهى الأناضول والمشرق ومصر وليبيا وأخيرًا الكيكلاديس وبلاد اليونان. ومن المحتمل أن تكون الزراعة قد جاءت إلى كريت كما جاءت إلى بلاد اليونان القارية من الأناضول خلال الألف الثامن أو السابع ق.م[١٤]. وذلك خلال العصر الحجرى الحديث الذى أعقب ذلك حيث توفر عنصران هما التطور الذاتى والتـأثير الخارجى. ويؤكد عالم الآثار الأمريكى سول ڤاينبرج (Soul Weinberg) أن النمط الجديد من الفخار المزخرف الذى عُرِفَ فى الفترة المتأخرة من العصر الحجرى الحديث خلال الألف الخامسة ق.م.

إستند إلى نمط الأواني التي عُثِرَ عليها في حضارة العبيد(*) التي شهدتها بلاد الرافدين وسوريا في الفترة ذاتها. وقد يكون لهذا دلالة لغوية لأنني إفترضت (بشكل متردد) في مقدمة الجزء الأول أن نموذج فُخَار العبيد قد انتشر في أرجاء الشرق الأوسط(**) (!!!) وهو الأمر الذي يمكن ربطه بحركة انتشار الساميين في هذه المنطقة(١٥).

ويرى سير آرثر إيفانز (Sir Arthur Evans) الذي يُعَد مؤسس علم الآثار الكريتية أن هناك مؤثرات ليبية في نماذج أشكال الرجال التي عثر عليها في مخلفات العصر الحجري الحديث. والتي ترتدي ثياباً ليبية. وقد ذكر عالم الآثار البريطاني سينكلير هود (Sinclair Hood) أن بعض هذه النماذج وُجِدَتْ في مصر في عصر ما قبل الاسرات. وربما تكون وَفِدَت من هناك. وخرج هذا الباحث بحكم عام مفاده أن هذه الأردية التي بقيت في كريت حتى وقت متأخر تعد مفتاحاً لمعرفة الكثير من المظاهر في الحضارة المينوية في كريت. لأن المعتقدات والعادات التي عرفت في الأصل في الشرق الأدنى كانت تميل إلى البقاء(١٦). ويمكننا من خلال هذه الملاحظة أن نجني ثماراً كثيرة سوف نُورِدها لاحقًا.

ومن الجدير بالذكر أن هناك عالمان سارا على نهج آرثر إيفانز وأولهما بندلبرى (J.D.S. Pendlebury) الذي يجمع بين المعرفة بالآثار المصرية والإيجية. أما ثانيهما فهو عالم الآثار اليوناني أليكسيو (S. Alexiou) وقد استطاع كلاهما أن يرصد مؤثرات ليبية على كريت خلال العصر الحجري الحديث ربما تمثلت في ذلك الشكل من رُكَام الحجارة الذي يقام كعلامة للذكرى، والذي تطور إلى شكل المقابر الكريتية (Tholos) أو في المقابر ذات القباب(١٧). كما أن التأثير المصري يتأكد من خلال العديد من الأواني الحجرية المصرية التي ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات. وكذلك رأسي الصولجان التي

(*) حضارة قامت في جنوب العراق ومن أهم مراكزهم بلدة إريدو (ابى شهرين الحالية) ويرى البعض أن أصحاب هذه الحضارة جاءوا من جنوب غربي إيران . أنظر عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم. مصر والعراق. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٧٧ (المترجم)

(**) لا يحل استخدام هذا المصطلح في تلك الفترة الزمنية من التاريخ القديم، لأنه مصطلح حديث، كما لا يحل للحديث عن العناصر السامية (!!!) البدوية أمام مراكز حضارية أقدم (!!!) (المحرر)

عُثِرَ عليها في كنوسوس. وهى ترجع جميعًا إلى أواخر العصر الحجرى الحديث أو نهايته[١٨]. وقد أثار هذا الأمر جدلاً ضد فكرة الانتشار. فقد تمسك كل من وارين ورينفرو بأن الأوانى الحجرية الكريتية التى ترجع إلى العصر الحجرى الحديث، إلى جانب نماذج أخرى من الأوانى ذات الثقوب إنما جاءت نتيجة لتطورات محلية[١٩]ولكن في الحقيقة فإن وجود إنتاج كثيف لمثل هذه الأدوات فى مصر فى هذه الفترة والعثور على بعض منها فى كريت على الرغم من أنه لا يؤكد فكرة الانتشار فإنه يدفع بالجدل الدائر إلى الأمام في صالح هذه الفكرة. وذلك عن طريق إيفانز وعلماء آخرين فى مجال الآثار. وهو أمر جدير بأن يوضع في الاعتبار[٢٠].لذا فإننى أرى أن هناك أدلة كافية لتأكيد فكرة الانتشار من العصور الباكرة جداً، حيث كانت كريت مركزًا للالتقاء بين مختلف حضارات البحر المتوسط.

عصر البرونز المبكر

حوالى عام ٣٣٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م

قبل أن نتحدث عن أحوال كريت في بواكير العصر المينوى فإننا نرى أنه لزاما علينا أن نُلْقى نظرة على بدايات عصر البرونز في شرق البحر المتوسط بشكل عام. والواقع أنه يوجد بعض الشك فى أن قيام الحضارة المينوية يرتبط بشكل واضح بالانفجار الحضارى الذى شهدته منطقة جنوب غرب آسيا ومصر فى نهاية الألف الرابعة. ففى هذه الفترة إمتدت الحضارة السومرية السامية التى قامت في بلاد الرافدين إلى سوريا[٢١]. وقد أثبتت الحفائر التى جرت فى مدينة بيبلوس (Byblos) الفينيقية وجود درجة من الشكل الحضرى فى هذه المنطقة فى تلك الفترة[٢٢]. كما شهد القرن الرابع والثلاثين ق.م. صعود نجم مصر التى توحدت تحت حكم الأسرة الأولى. ومن الجلى أن هذه التطورات جاءت مستندة إلى حضارات محلية من العصر الحجرى الحديث. ما لبث أن أصبحت حضارات تتمتع بشخصية متميزة. ولكن على الرغم من ذلك فإن التحولات المتزامنة ترتبط بدرجة أو بأخرى بعامل الانتشار (وبعبارة أخرى أن

التطورات المحلية إنما تحفزها أنشطة خارجية). وهو أمر يمكن أن نلاحظه بجلاء ليس فقط من مجرد التشابه بين التطورات المتعاصرة ما بين مصر وبلاد الرافدين بل من خلال التطابق بين النماذج التى ترجع إلى عصر ما قبل الاسرات وعصر الأسرة الأولى فى هاتين المنطقتين.

وزيادة على ذلك فإن هناك من الدلائل الآثارية ما يدل على وجود شبكة تجارية تربط مصر وبلاد الرافدين مع أفغانستان[٢٣]. كما تحتوى مقابر فرعونية عُثِرَ عليها فى النوبة على محتويات يمتد مصدرها حتى هضبة كردفان فى غرب السودان وشواطئ المشرق[٢٤]. وهناك أيضًا دلائل أثرية قوية على وجود اتصالات بين مصر وفلسطين وأسبانيا فى هذه الفترة. كما تم العثور على لوحات كتابية تنتمى إلى بلاد الرافدين فى رومانيا[٢٥]. وهذا الأمر لا ينبغى أن يثير دهشتنا كما قد يبدو للوهلة الأولى. لأن مناطق ترانسلفانيا (Transylvania) وهنغاريا (المجر) وبوهيميا تحتوى على الرصاص والفضة والصفيح، وهى مواد كانت مطلوبة فى بلاد الرافدين. وينبغى أن نذكر أن أربعة من آنية الشراب عُثِرَ عليها فى بلدة أور ترجع إلى حضارة جمدة نصر التى ترجع تاريخها إلى أواخر الألف الرابعة. ويبدو أن هذه الآنية كانت مصنوعة من رصاص هنغاريا (المجر). وهو أمر يمكننا التحقيق منه باستخدام النظائر المشعة. وهذه الطريقة فى تقدير العمر الجيولوجى لمعدن الرصاص تُجْرَى عن طريق تقدير نسبة اليورانيوم والثوريوم Thorium (*)، لأن النشاط الاشعاعى تجمد بعد مرحلة معينة. وهذا لا ينطبق على الرصاص فقط بل على المعادن الأخرى التى يمكن أن تتحد معه، وعلى وجه الخصوص النحاس والفضة[٢٦].

وينبغى أن نلاحظ أن التغير الذى وقع فى حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م ليس دلالة على وجود تغير تقنى فقط بل يدل على تطور جغرافى أيضًا[٢٧]. ففى خلال العصر الحجرى الحديث كانت بلاد الإغريق هى أغنى الأقاليم حيث توجد السهول الزراعية الخصبة فى ثساليا ومقدونيا فى شمال هذه البلاد. أما جزيرة كريت وجنوب بلاد اليونان فكانت

(*) الثوريوم هو عنصر إشعاعى فلزى النشاط . (المترجم)

تبدو هى الأصغر ومجتمعاتها أقل ترفًا. وكانت مساحة الأرض القابلة للزراعة فيها محدودة، وذات أمطار قليلة. إلا أنه فى الألف الثالثة حدث العكس، فقد أصبحت منطقة جنوب بحر إيجه هى مركز الأزدهار الاقتصادى بينما ساد الشمال حالة من الركود، وهذا الموقف يتطلب تفسيراً.

يسوق رينفرو رأيًا فحواه أن الازدهار الاقتصادى جاء نتيجة لقدوم محاصيل جديدة مثل الكروم والزيتون، التى كانت تصلح زراعتها على الشواطئ الجبلية والجُزُر أكثر مما تصلح فى السهول الشمالية التى كانت ملائمة لزراعة الغلال(٢٨). وقد ثار جدل فى وقتنا الراهن حول مدى استخدام محصول الكروم والزيتون بشكل تجارى خلال عصر البرونز. وهو ما سوف نعرضه فيما بعد . كما أن الشـواهد اللغـوية غامضة فيما يتعلق بهذا الأمر، وبالإضافة إلى هذه المحصولات الجديدة.

فإن أتبا ع رينفرو يميلون فى الوقت الراهن إلى القول بوجود تحسن فى مجال الملاحة. بالإضافة إلى إزدهار التجارة فى جنوب بحر إيجه مما سهل على بعض المناطق التى لا تنمو فيها محصولات معينة لكونها غير ملائمة لنمو هذه المحصولات فى أن تحصل على حاجتها من الخارج.

ويحرص هؤلاء على القول بأن هذه التجارة النشطة إقتصرت على منطقة بحر إيجه، ويرسمون صورة لشبكة من المراكز التجارية التى كانت نشطة على الرغم من أنها صغيرة(٢٩). ولأن مثل هذه المراكز التجارية كانت موجودة فى الشرق الأوسط منذ الربع الثالث من الألف الرابعة. لذا فإنه من المحتمل أن هذا التأثير الذى لعب دور الحافز أو المنبه وإن لم يكن مباشراً. فقد جاء متضمنًا فى مثل هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية. إن الدلائل المادية فى كريت فى هذا الوقت تجعل هذا التطور متماثلاً.

وخلال عصر البرونز احتلت الحضارات المينوية المبكرة السهول الصغيرة. وأخذت تتباين بشكل واضح. ففى الشمال كان الفخار يؤكد استمرار أنماط العصر الحجرى الحديث التى تأثرت بجزر الكيكلاديس، فى شرق وجنوب جزيرة كريت. وامتدت إلى الشمال وفيما بعد سيطر نموذج من الفخار وهو آنية (Agios Onouphrios) . ويرى

البـعض أن أصـل هـذا النمـوذج يرجـع إلى الأناضـول . كـمـا جـاء فى كـتـاب برانيجان (Branigan) فى كتابه " نشأة عصر القصور فى كريت ".

إن المصدر الخارجي الوحيد الأكثر إحتمالاً للنماذج ذات اللون الأصفر والأحمر هو سوريا وفلسطين، حيث عرف نموذج مشابه منذ أواخر الألف الرابعة ق.م. كما تتشابه روح الزخرفة في هذا النموذج مع تلك التي وجدت على الآنية المينوية. بالإضافة إلى تماثل الأشكال المصورة على النموذجين. إضافة إلى ذلك فإن بعض نماذج الفخار الفلسطيني من عصر النحاس تربطها أواصر واضحة مع النماذج الكريتية، وعلى وجه الخصوص تلك التي تسمى " مزهريات الطيور ".

إن تطور نموذج آنية (Agios Onouphrios) قد وقع فى ميسارا Messara (جنوب كريت). وربما حدث هذا التطور تحت تأثير العناصر الشرقية، التي تدل عليها شواهد أخرى[٣٠].

أما الشواهد الأخرى التي يشير إليها هذا المؤلف فهي عادة الدفن الجماعى فى مقابر باسم[*] "ثولى" (Tholoi) . وتكديس الجماجم. كما أن دخول أعمال البرونز

جعل هذا المؤلف يعتقد بافتراض قيام هجرة من فلسطين إلى كريت عبر سوريا[٣١]. ولم يستطع رينفرو أن يتقبل هذا الافتراض الغائم الذى قال به برانيجان لذا فإنه في محاولة منه لتقديم الدليل تراجع أملاً فى أن يتمكن من إيجاد البرهان " لا يوجد في بقايا حضارة العصر المينوى الأول الباكرة ما يؤكد بشكل لا لبس فيه وجود اتصال مع مصر أو الشرق الأدنى"[٣٢].

ويرى عالم الآثار الأمريكى سول واينبرج (Saul Weinberg) ثمة تشابه بين عدد من النماذج التى يرجع تاريخها إلى الألف الثالثة ق.م فى كريت وتلك التى ترجع إلى حضارة (Ghassul) الباكرة فى فلسطين. وقد قام واينبرج بملاحظة مزهريات الطيور،

(*) تُعْرَف باسم المقابر القبابية، وهى ذات عمارة دائرية عند القاعدة والجدران ولكن قبابية السقف، مثل الجرس، ثم تُغطَى بالأتربة ويتم إخفاء القبة تماماً، ولا يظهر إلا فتحة الطريق الموصلة إلى بوابتها، انظر . محمود السعدنى: تاريخ اليونان وحضارتها، القاهرة ٢٠٠٠ م . (المحرر)

والزخارف التي تزين قواعد الآنية، وقواعد موائد القرابين، والمغارف الخزفية، والنماذج المصقولة وآنية الجبن، والاختام المخروطية وعادة الدفن في قبور ذات أضرحة، والزخرفة التي تعتمد على أشكال الزهور[٣٣]. وقد وافق عالما الآثار البريطانيان برانيجان (Branigan) وهود (Hood) على وجود هذا التماثل، وراحا يقدمان المزيد من الإضافات[٣٤]. وعلى الرغم من أن رينفرو قد أقر بأن وجهة نظر واينبرج جديرة بالاهتمام فإن الأفكار الأساسية في كتابه بنيت على الاعتقاد بأن جوردون تشايلد ومن ساروا على نهجه مثل واينبرج وبرانيجان قد أخطأوا بشكل مطلق في أخذهم بنظرية الانتشار السلمي[٣٥]. ومما هو جدير بالملاحظة أنه توجد بقايا من بعض المصنوعات التي تم استيرادها من مصر والشرق منذ الفترة المينوية المبكرة. فقد كانت كنوسوس مستوطنة هامة كما بينا. وقد عُثِرَ فيها على آنية ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات والدولة القديمة في مصر. كما عُثِرَ أيضًا على أعمال من العاج المستوردة أو المُصنَّعة محليًا. مثلما عُثِرَ على مثل هذه البقايا في أماكن أخرى من عالم بحر إيجه[٣٦]. ولكن كما حرص رينفرو على أن يؤكد لنا فإنه " بالإضافة إلى الآنية الحجرية المصرية في كريت هناك شواهد صغيرة على وجود اتصالات أجنبية خلال الألف الثالثة[٣٧]. وعلى أية حال فإن دُعَاة العزلة يُثيرون قضايا أخرى. فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بظهور عجلة الفخار وانتشارها على نطاق واسع خلال عصر البرونز المبكر في منطقة بحر إيجه. وقد إعترض دارين ورينفرو على ما ذهب إليه هؤلاء مثل ما قال به جوردون تشايلد في الثلاثينيات بأن هذا جاء نتيجة للانتشار وهو ما عبر عنه رينفرو، قائلاً:-

" إن المرة الأولى التي يتم فيها العثور على عجلة الفخار كانت في بقايا حضارة أوروك (الوركاء) في بلدة أور[*]. ويمكن القول تحديداً بأنه لم يكن يوجد في منطقة بحر إيجه ما يشبه هذه العجلة، فإن عجلة الفخار التي جرى استخدامها في كيليكيا (Cilicia) قديمًا يمكن أن نجد فيها تعضيداً لفكرة الانتشار. لأنه كان يوجد ارتباطٌ

(*) أحد أهم المواقع الأثرية في جنوب العراق، وأقدم مدينة عراقية يتم الكشف فيها عن نصوص مسمارية قانونية للأحوال الشخصية . (المحرر)

ما بين حضارة طروادة الثانية وطرسوس (Tarsos) في كيليكيا. وبهذا يمكننا تأييد نظرية تشايلد عن الانتشار. ولكن من ناحية أخرى، وفيما يتعلق بوجود التناظر فإن وارين يرى أن وجود الطاولة المستديرة في منطقة بحر أيجه قبل ظهور عجلة الفخار السريعة يثير اقتراحاً بامكانية أن تكون عجلة الفخار السريعة قد جرى تطويرها في هذه المنطقة بشكل مستقل أيًا كان المصدر الذي جاءت منه في الأصل[٣٨]".

وفي نظري فإنه في مثل هذه الحالة وفي أحوال أخرى فإن أعتراضات رينفرو على إفتراض تشايلد بوجود الانتشار تذهب إلى مدى بعيد. ولا تُضْعِف هذه الافتراضات، وهي تدل بوضوح على رغبة ريفنرو في الابقاء على منطقة بحر

إيجه بعيداً عن الشرق الأدنى. وعلى أية حال سواء قَبِلَ المرء بآراء واينبرج وبراينجان أم لا، فهل يمكن لنا أن نتصور ألا تتأثر كريت وجنوب منطقة بحر إيجه بهذا النمط الواسع من التجارة الذي أشرنا إليه من قبل. فقد تم العثور على أوان حجرية في حفائر كنوسوس تنتمي إلى عصر ما قبل الاسرات. ونحن نعلم من الكشوفات الواسعة التي جرت في جزيرة ميلوس (Melos) إحدى جزر مجموعة الكيكلاديس[*] ، بأن هذه المنطقة كانت تمارس تجارة واسعة مع أعالي البحار في فترات قديمة قبل ٣٣٠٠ ق.م. وينبغي أن نتذكر ما جاء عند هوميروس من ذكران الابحار كان مباشرة من كريت إلى مصر ثم العودة. كان أمر شائعًا في عصر الحديد. وقد ذكر عالم الآثار الألماني هيلك (W. Helck) . وهو متخصص في العلاقات الدولية القديمة، وذلك في معرض حديثه عن تجارة الزجاج في العصور الباكرة، بأنه ليس هناك ما يدل على حدوث تدهور في فنون الملاحة ما بين العصر الحجري الحديث والألف الثالثة[٣٩]. ومن الثابت أن الملاحة في منطقة جنوب بحر إيجه كانت تتمتع بموانئ أفضل مما هو عليه الحال في عصرنا الراهن. وأنها شَهِدَت تَحسُنًا في نهاية الألف الرابعة. وكان المجتمع في هذه المنطقة منغمساً بشدة في التجارة[٤٠].

(*) في وسط البحر الإيجي (بين اليونان وتركيا)، وسُميَت بهذا الاسم لأنها تأخذ شكل الدائرة في مجمل شكل الجوار الجغرافي لها، أو هي - كما قال استاذنا المرحوم/ عبد اللطيف أحمد علي - كعقد إنفرطت حباته . (المحرر)

إن السبب في عدم إمكانية تصديق الصورة التى تنادى بالانعزالية، والتى لا يبدو أنها تستند على الأدلة، وهو أن هذه الصورة قد جرت صياغتها قبل التوصل إلى التقنية الحديثة التى يمكن من خلالها معرفة الأصل الجغرافى للطين أو المعادن . وهى التقنية التى تم تطبيقها فى مجال علم الآثار. إن وجهة نظر القائلين بفكرة الإنعزالية تابعة من أساس أيديولوجى، فقد كتب رينفرو فى مقدمة كتابه " نشوء الحضارة" .

" لقد توصلت إلى اعتقاد بإن فكرة الانتشار المعروفة على نطاق واسع، والتى تقول بأن الحضارة الإيجية هى أمر تم استعارته من الشرق هى فكرة غير وافية، فإنها فشلت في أن تفسر لنا ما جاء في السجلات الآثارية. لذا فإننا لم نعد نتقبل أن الفكرة الرئيسية لعصور ما قبل التاريخ الأوروبية هى ما عبرت عنه كلمات جوردون تشايلد "تأثر البربرية الأوروبية بالحضارة الشرقية". آلاف السنين (الألف الثالثة ق.م) شهدت منطقة جنوب بحر إيجه تغيرات بارزة في كافة المجالات. فى الزراعة. وفنون الحرف والتنظيمات الاجتماعية وفي الفنون والعقيدة وكذلك فى التجارة والسكان. إن هذه التطورات تُدين بنسبة قليلة للتأثير الشرقي. وفى هذا الوقت كانت قاعدة الملامح الرئيسية للحضارة المينوية – الموكينية التى سوف تلى بعد ذلك كانت آخذه فى التشكيل[٤١]".

ومن الواضح أن رينفرو قد قَبِلَ وجهة نظر بعض الدارسين من أمثال مارتن نيلسون (Martin Nilsson) الذى تخصص فى دراسة تاريخ الديانات والأساطير. وترى وجهة النظر هذه أن هناك استمرارية جوهرية من الحضارة المينوية – الموكينية استمرت حتى العصر الكلاسيكى، مما يؤدى إلى تثبيت فكرة استقلالية الحضارة الإغريقية والأوروبية. وبينما يميل كل من مونتيليوس (Montelius) وتشايلد (Chiled) ومنْ سار على دربهما إلى الاعتقاد بوجود فجوات (فترات انقطاع) فى الحضارة الإيجية بعد عام ٢٠٠٠ ق.م. فإن رينفرو مثله فى ذلك مثل نيلون (Nilsson) يرى أن هناك استمراراً جوهرياً فى هذه الحضارة " وهكذا فبالنسبة لرينفرو فإن عليه أن يسلم بوجود تأثير واضح فى حضارة بحر إيجه خلال العصر الحجرى الحديث. وأوائل عصر

البرونز، وان هذا التأثير ينبغي أن يحتل مكانه في قلب الحضارة الإغريقية في كل مراحلها"[٤٢].

ومن الواضح أن هناك استعارات أخرى من الشرق الأدنى تمت في بواكير العصر المينوي. ومن المُرجَحْ أن الكتان وصناعة النسيج من الكتان. قد أحضر إلى منطقة بحر إيجه من الشرق الأدنى في ذلك الوقت. ويرى ريفرو أن إدخال الكروم واستخراج الخمور منها قد أدخلت إلى كريت خلال الألف الثالثة. إلا أن بعض الدارسين في وقتنا الراهن يشككون في هذه المقولة. ولكن إذا كان هذا الأمر حقيقيًا وأن الكروم قد أدخلت إلى منطقة بحر إيجه من الشرق الأدنى. فإنه يمكننا أن نلجأ إلى الأدلة اللغوية لكي تساعدنا في تقصي هذا الأمر. إن كلمة (Wine) تعني خمر وعنب في آن واحد. طبقًا الكلمة المُتَفق عليها باعتبارها كلمة مُضلله". أو تعبير فني غامض يُستخدم لوصف التشابهات اللفظية في عدد من اللغات. بدون الإشارة أو حتى الرغبة في الإشارة إلى المصدر الأصلي[٤٣]. إن الجذر ليس فقط في اللغات الهندوأوروبية. فهي في الإغريقية oinosوفي اللاتينية (Vinum) ، وفي اللغة الأرمينية (gini) وفي اللغة الحيثية (Wiyana) ولكنها أيضًا في اللغة السامية Wayn . وفي اللغة العربية يوصف العنب الأسود بأنه Wayaue الأثيوبي. وهناك أيضًا في اللغة الأكادية كلمة الخمر. ويرى عالما اللغويات الروسيان إليش سفيتش (Illic Suitic) ودبجوبولسكي (A.B.Dolgopolski) أنه لا مناص من الاعتقاد بأن هذه الكلمات عبارة عن حبات في عنقود من تراث مشترك وهو الـ (Nostratic) (وهي عبارة عن مجموعة لغوية عليا تشتمل على الأفروآسيوية والهندوأوروبية إضافة إلى عدد من عائلات اللغات الأخرى). وزيادة على ذلك فإن هذان العالمان يعتقدان في أن هذا عبارة عن اقتراض من اللغة السامية لصالح اللغة الهندوأوروبية. وذلك بالمعنى الذي نشير إليه في هذا الكتاب بتعبير ما قبل الهندوجيثي Proto - Indo Hittite [٤٤] . وبالنظر إلى كريت فإنه تبدو ثمة ملاحظة وهي أن كلمة خمر في الحضارة المينوية هي Wono التي جاءت من الجذر الهندوحيثي وهذا ما وجدناه في الكتابة Linear B بينما جاءت في الكتابة الخطية الأولى (Linear A) في شكل Yane [٤٥] . ومن الممكن أن يكون هذا الشكل قد جاء نتيجة تطور مستقل عن

الجذر العام. إلا أن الأمر الأكثر احتمالاً أن يكون سن أصل سامي غربي على وجه التحديد. حيث تحول حرف W إلى Y وقد أجمع معظم الدارسين على أن تحول حرف W إلى Y فى اللغة السامية الغربية قد بدأ فى الألف الثانية(٤٦) ويؤدى هذا إلى ترجيح رأى علماء الآثار من الجيل التالي الذين يرون أنه على الرغم من وجود كروم برية فى منطقة بحر إيجه منذ بداية عصر البرونز. فإن زراعة الكروم بشكل منظم لم تُعرَف فى هذه المنطقة حتى منتصف الألف الثانية(٤٧). وعلى أية حال فإن الدليل اللغوى ليس واضحًا بشكل مقنع. لأن استبدال الـ W بـ Y قد حدث في اللغة السامية الغربية الأمورية التى يرجع تاريخها إلى الألف الثالثة. وربما حدث فى (Eblait) (*) وهى لغة غربية سامية أخرى يرجه تاريخها إلى الألف الثالثة. ومع ذلك فإنه من المحتمل أن كلمة Yane قد أُستُخدمت خلال الألف الثالثة لوصف العنب البرى. وهو نفس الشكل الذى كان يستخدمه المتحدثون باللغة السامية فى المشرق فى الألف الثانية. ولهذا فإن Yane على وجه التحديد هو الشكل الذى يتوقع المرء أن يكون مُستَخَدما مع بداية ظهور زراعة الكروم المنتظمة فى الألف الثانية. إننا لا نريد من كل هذا أن نقول أن حضارة كريت خلال العصرالمينوى الباكر هى حضارة تنتمى إلى الشرق الأدنى بشكل كامل. فإن شعوبها على الأقل كانت تعيش فى حالة رخاء تحكمها مدن كبرى أو دول كما هو الحال فى الحضارات المعاصرة لها فى سوريا وبلاد الرافدين والمشرق أو مصر.

والأمر الذى ينبغى أن يحظى بالتأييد هو ما ينادى به جوردون تشايلد والذى يتمثل فى فكر الانتشار السلمى مع وجود عناصر حضارية راحت تتخلل فى داخل الحضارات المحلية. كل ذلك أوجد بناءً مترابطًا إلا أنه فى الأصل يحتوى على خليط متنوع.

(*) نسبة إلى إبلا (Ebla) فى سوريا القديمة، وهى حضارة لمركز تجارى كبير ، أواخر الألف الثالثة ق.م، وتم الكشف عن مئات من الألواح المسمارية الأكادية اللغة. (المحرر)

الديانة الكريتية فى أوائل

عصر البرونز

منذ أن راح كل من رينفرو ووارين يعملان على إرساء أفكارهم ضد نظرية الانتشار السلمى أظهرت دراسة رائعة للأفكار الدينية الكريتية – من خلال ما تكشف عنه البقايا الآثارية أن هذه الأفكار يمكن أن تنتمى إلى الحضارات المعاصرة فى الشرق الأوسط بشكل عام. ومصر على وجه الخصوص. وإذا ما بدأنا بتلك البقايا التى تم العثور عليها ويرجع تاريخها إلى الألف الثالثة. فإننا نجد أن إحدى العالمات فى مجال الآثار وهى الدكتورة لوسى جوريسون (Dr. Lucy Goodison) أخذت تفتش عن ملامح ثابتة فى المنحوتات المختلفة التى تتعلق بالموت والدفن فى كريت والكيكلاديس وقد استطاعت بمهارة فائقة أن تلاحظ المكانة المركزية التى تحتلها بعض الرموز الفنية والمعمارية التى تمثلها رحم المرأة وشعر العانة بالإضافة إلى مؤشرات أخرى للموت يمكن النظر إليها كتمثيل لفكرة البعث[٤٨].

وبالإضافة إلى ذلك فإن الدكتورة لوسى جوديسون أنكرت بشدة وجهة النظر الشائعة والتى تقول بأن الديانة المينوية قامت فى الأصل على عبادة الربة "الأرض الأم". وساقت بدلاً من هذه الفكرة نظرية عبادة الربة " الشمس ". والحقيقة أن الأدلة التى تؤيد ما ذهبت إليه كانت على درجة من القوة مما جعلها تشعر بالدهشة من أن بعض الدارسين ومن أبرزهم مارتن نيلسون (Martin Nilsson) لم تستلفت أنظارهم المكانة الهامة للشمس فى الأيقونات المينوية، والتى تظهر فيها الخاصية الأنثوية[٤٩].

ومن الجدير بالذكر أن ما لم تضعه الدكتورة جوديسون فى الحسبان هو الفكرة الأساسية لأنصار النموذج الآرى، والتى ترى أن الديانة الآرية كانت ترتبط بالسماء. بينما يفترض أن ديانة ما قبل العصر الهللينى كانت تقوم على رموز أرضية. وترتبط هذه الفكرة بما هو موجود من توتر واختلاف فى الحضارة الإغريقية ما بين آلهة الأوليمب السماوية والمظاهر التى ترتبط بالأرض فى هذه الديانى. ومن ناحية أخرى

فإن رد هذه الأسباب الى تفسيرات عنصرية يُعَد تطوراً حديثًا. حيث تُعَد جزءًا من الخصائص الرومانسية والعنصرية لتقسيم المراحل المانوية(*) بين الروح والمادة. وتبدو هذه الفكرة واضحة لدى عالم اللغويات الرومانى الألمانى فردريش فون شليجل Friedrich Von Sclegel . فإنه يرى أن اللغات الهندوأوروبية كانت ذات طابع روحانى. بينما اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغات السامية ذات طابع حيوانى(٥٠). والحقيقة أن النظرية التى ترى أن العبادات الآرية كانت روحانية فى مقابل عبادات الأجناس الأخرى تعد مادية. بقيت رواجًا فى ألمانيا فى نهاية القرن التاسع عشر. وشكلت أساسًا للفكر النازى(٥١). وقد ظهرت هذه التفرقة أولاً فى عشرينات القرن الثامن عشر. وبقيت دعمًا من كارل اوتفريد موللر Karl Otfried Miller الذى راح يعمل على تحطيم النموذج القديم. فقد كرس مؤلفه " الديوريون " . – الذى يُعَد عظيم الأثر على الرغم من مجافاته للعقل – من أجل التركيز على القول بأن عقيدة القبيلة الشمالية الأعلى. هى عقيدة أبوللونية(**). وتجمع بين كونها سماوية وشمسية أيضًا(٥٢). وحتى وقت قريب جدًا فإن وجهة النظر التى تقول بأن الديانة الإغريقية هى مزيج بين آلهة السماء الهيللينية والروحانيات المحلية فى منطقة بحر إيجه. ظلت مستقرة ولم يتم إختبار مدى مصداقيتها. ولكن العالم الألمانى فالتر بوركرت Walter Burkent الذى يُعَد حجة فى الديانى الإغريقية استطاع أنْ يدحض بشدة فكرة الربط ما بين الآلهة الأوليمبية والغزاة الهيللينيين. وذكر أنه إذا كانت الصادرات المحلية الإغريقية أقرب إلى باقى العبادات الهندوأوروبية الأخرى منها إلى العبادة الأوليمبية(٥٣).فإن هذا من شأنه إضعاف فكرة النموذج الآرى التى تأخذ بنظرية الغزو الشمالى.

وإذا ما عُدنا إلى فكرة الدكتورة جوديسون عن عبادة الشمس الكريتية فإننا نُلاحظ أنها تذكر أن بعض ملامح هذه العبادات ذات طابع محلي ومتميز. وعلى وجه

(*) العقيدة المانوية نسبة إلى مانى وتدور حول الإيمان بفكرة إثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام. (المترجم)

(**) الروح الأبوللونية التى ترمز إلى القيم والمُثُل العُليا فى البشر (الأنا الأعلى) فى مقابل الروح الديونيسيوسية التى ترتبط بالجانب الغريزى فى البشر (الأنا الأدنى). (المترجم)

الخصوص النظر إلى الشمس باعتبارها أنثى(٥٤). وترى هذه الباحثة أن هناك ملامح مشتركة ما بين عالم بحر إيجه ومصر. مثل فكرة قيام الشمس برحلتها خلال السماء نهاراً. وقيامها بالسفر أسفل العالم أثناء الليل. وأنها تقوم بهذه الرحلات فى قارب. بالإضافة إلى فكرة الموت ثم البعث فى صورة الإنبات. والحقيقة أن هاتين الفكرتين توجد مثيلتهما فى الديانة المصرية. فهناك المراكب المقدسة التى تُبْحر خلال السماء مع إله الشمس " رع " وكذلك أوزيريس الذى قتله شقيقه ست. ثم بُعِثَ من جديد. ثم أنتصار أبنه حورس وانتقامه. كل ذلك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالموت الموسمى ثم إعادة الحياة فى الإغذية والمحاصيل والنباتات الأخرى(٥٥).

وقد ذكرت جوديسون أن ساحات الرقص التى وُجِدَت بالقرب من العديد من المقابر الكريتية. كانت مخصصة للاحتفالات. وهى تشتمل على مناظر للنواح من ذلك النمط الذى كانت تؤديه إيزيس ونفتيس وهما تنتحبان أمام أخيهما الميت أوزيريس المحبوب. وتقومان بتجميع أشلاء جسده الممزق. وترى هذه العالمة أن هاتين الأختين (إيزيس ونفتيس) من الممكن ان تكونا هما ذات السيدتين اللتين يجرى تصويرهما أحيانًا على أختام(*) هذه الفترة(٥٦).

وقد ربطت جوديسون ما بين عملية تكريس الجعارين فى التلال المقدسة فى كريت وبين الجعارين المصرية. وكذلك الجعارين المقدسة التى تصور وهى تقوم بدفع كرة من الروث إلى أعلى. ورأت أن ذلك من الممكن أن ينظر إليه باعتباره يمثل الدورة الشمسية وفى هذا المجال أيضًا أشارت إلى نموذج مينوى للجعارين على ظهرها صورة الشمس ثم العثور عليه(٥٧). والإحتمال القوى هو أنه قبل ظهور الجعران فى منتصف الألف الثالثة كانت توجد خنافس شمسية ترتبط بالربة نيت فى الديانة المصرية وهو الأمر الذى سوف نناقشه فى الفصل الثانى. وكذلك فى الجزء الثالث من هذا الكتاب(٥٨).

(*) من الصعب جداً تصديق أو الاقتناع بهذا الاحتمال الضعيف الذى لا يقوم عليه دليل أثرى واحد - غير الآنية الحجرية (Stone Vases) ، فيما قبل ٢٠٠٠ ق.م، حيث تؤرخ هذه الأختام، ولكون الألم والحزن مشاعر إنسانية لا تحتاج للنقل بالضرورة من حضارة لأخرى . (المحرر)

وقد أقامت لوسي جوديسون ملاحظاتها على قرينة قامت على إعتقادها فيما يذهب إليه كل من كولين رينفرو وبيتر وارين من وجود إستمرارية حضارية فى كريت منذ العصر الباكر ثم العصر المتوسط وحتى عصر البرونز وبواكير عصر الحديد. وعلى أية حال فبينما يرى كلاً من رينفرو ووارين وجود استمرارية وحدوث تطور خلال وجود تفاعل خصب ما بين الحضارات المحلية وحضارات الشرق الأدنى[٥٩].

وقد قدم والتر بوركات Walter Burkert نموذجًا آخرًا على وجود هذا التفاعل. ويتمثل هذا النموذج فى الرمز الدينى الذى يأخذ شكل البلطة المزدوجة فى أعلى بلاد الرافدين فى الألف الرابع التى انتقلت إلى سومر وعيلام فى وسط وشرق بلاد الرافدين فى الألف الثالثة. كما أن عبادة البلطة ذات الرأس المزدوجة وُجِدَتْ أيضًا فى طروادة الثانية. وقد عرفتها الحضارة المينوية فى كريت فى أوائل عهدها. خلافًا لما هو عليه الحال فيما يتعلق بعبادة الثور التى ارتبطت بها فيما بعد[٦٠].

ولعل مصر أقرب إلى كريت حيث إزدهرت فى الدلتا عبادة البلطة المزدوجة خلال عصر الدولة القديمة. وظلت ذات جذور عميقة فى مصر العليا[٦١]. وهذا فيما أعتقد يمكن إرجاعه إلى الرمز المزدوج للإله الأفريقى الشمالى " مين". وسوف نناقش دلالة هذا الأمر فى الفصل الرابع . وهكذا فإن البلطة المزدوجة التى يُنظر إليها باعتبارها رمزًا أوروبيًا وأناضوليًا يوجد لها جذور فى أفريقيا والشرق الأدنى وليس هناك سبب يدعونا إلى الاعتقاد بوجود حائل دون هذا التبادل[٦٢]. وهكذا فإن بعض الملاحظات التى يسوقها الذين يعتقدون فى النموذج الآرى. مثل تلك التى تقول " إذا كانت هناك أفكار شرقية غامضة قد ساعدت الكريتيين فإننى أتخيل أنها أدت إلى سرعة تشكيل البلطة المزدوجة[٦٣]. فإن هذه الملاحظات خاطئة فى تفصيلاتها كما أنها ذات دفع كرية.

خاتمــــة

ولهذا فإنه يبدو أن هناك أسباباً وجيهة تدعونا لرفض الرؤية التعديلية لكل من رينفرو ووارين. ومن ثم إلى إعادة تأكيد الرأى الشائع الذى يأخذ به كلاً من مونتيليوس وتشايلد. كما يتمسك به كلاً من واينبرج ويراينجان وباحثون آخرون. وهو الرأى الذى يقول بأن كريت خلال أوائل عصر البرونز قد تلقت مؤثرات حضارية على نطاقٍ واسعٍ من الشرق الأدنى بشكلٍ عام. ومن مصر على وجه الخصوص. بشكل أكثر مما كان عليه الأمر خلال العصر الحجرى الحديث. وهو أمر يتأكد بقوة من خلال أنماط وأشكال الفخار. وكذلك إدخال عجلة الفخار السريعة، ونسيج الكتان. وزراعة الكروم إلى جانب عادات الدفن وصناعة الايقونات.

وفى الفترة التى تقع فى أواخر الألف الرابعة. إذا كان لنا أن نرجع إليها بدايات بواكير العصر المينوى. فى هذه الفترة كانت الحضارات المصرية قد رسخت أقدامها[٦٤]. وفى هذه الفترة أيضًا كانت سوريا والمشرق أكثر ميلاً للتحضر بدرجة فائقة وقد شهدت الألف الثالثة قمة إزدهار الحضارة فى عصر الدولة القديمة فى مصر. وهناك من الدلائل ما يشير إلى قيام المصريين والنوبيين فى أواخر هذه الفترة بالتجارة مع مناطق تصل إلى شرق إيران وأفغانستان[٦٥]. ويشبه هذا الأمر إلى حد كبير ما كان خلال النصف الأول من الأولف الثالثة والذى يتمثل فى وجود تلك الحضارة الراقية التى قامت على تجارة المدن فى سوريا والمشرق. والتى كانت تتمتع بشبكة واسعة النطاق. وعلى قدر كبير من التشابك ويميل بعض العلماء إلى الاعتقاد بوجود هجرة من فلسطين إلى كريت فى بداية وبواكير العصر المينوى. وسواء أخذنا بهذا الرأى أن لا فإن هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن الحضارة المينوية سواء فى بداياتها أو خلال تطورها قد تخللتها مؤثرات من مصر والشرق الأدنى. وهو اعتقاد مؤسس على الدلائل الآثارية المباشرة أو العارضة.

وفى الحقيقة أننا سوف نناقش التطـورات التى حدثت فى القصــور الكريتيـة فى أواخر الألف الثالثة، وذلك فـى الفصل الرابع، ولكن قبل ذلك فإننى أريد أن أضــع فى الاعتبار العلاقات بين الشرق الأدنى ومصـر على وجه الخصـوص وبلاد الـيونان مع التـركيـز على المنطقة التى تشكل مدخـلاً لوسط بلاد اليونان ونعـنى بها منطـقة بيوتيا Boiotia .

هوامش الفصل الأول

(1) M.H.Salmon (1982 , esp .pp .19 -30)and the papers in Renfrew , and Sea graves (1982).

(٢) الجزء الاول ص ٤٠٧ – ٤٠٨ .

(3) Adams (1968) and Renfrew (1987 , esp . pp. 86 - 94).

(4) Adams (1968 , p.213)

(5) Mc Neal (1972, p.19) see Introduction , n, 2

(٦) الجزء الاول ص ٤٠٧ – ٤١٢ .

(٧) الجزء الاول ص ٢٧٠ – ٢٧٢ .

(٨) من أجل مراجعة الاتجاهات الآثارية انظر : Trigger (1980 , pp. 24 -31 , 44-9)

(٩) عن الفكرة العنصرية عند Myres انظر الجزء الأول ص ٣٨٩ . أيضا عند ميل Gordon Childe المبكر الى فكرة الآرية انظر الجـزء الاول ص ٣٨٨ – ٣٨٩ و كـذلك Trigger (١٩٨٠ص ٤٠ – ٥٣) و بالطبع لعب شيلد دورا متميزا في معارضة النازية و معاداة السامية : انظر Trigger (١٩٨٠ ص ٩١ – ٩) .

(١٠) فيما يتعلق بـ Reinach انظر الجـزء الاول ص ٢٧٠ – ٢٧٣ عن Kossinna انظر : ,1980) Trigger PP. 24 - 6) ويجب ان نتذكر أن السومريين ينظر اليهم باعتبارهم أصل حضارة بلاد الرافدين . عن بعض المظاهر الايديولوجية لهذا انظر الجزء الاول ص ٣٦٤ – ٣٦ .

(11) Trigger (1980 , p.50)

(12) Starbo , Geography 10 .4.2

(13) Branigan (1968 a , p .7)

(١٤) يرى البـاحثـون (Renfrew (1972, pp. 63 - 4) Hood (Branigan (1968 , p . 7) 1971 , p.28) أن هناك احتمالية لأن يكون الفخار المبكر مصدره جهة أبعد في الشرق وربما يكون آتيا من فلسطين

(15) Weinberg (1965 b ,p.47).

و يبدو أن رينفرو (Renfrew (1972 , p.67 يتشكك في هذه، الفكرة ولكنه لا يسوق اعتراضاً عليها. فيما يتعلق بالربط ما بين آنية العبيد و المتحدثين باللسان السامي ، انظر الجزء الأول ص ١٢ .

(16) Hood (1971 , p.31)

(17)Evans (1928 , p .34) Pendlebury (1963 , p.74) ; Alexious (1967a,p.484).

وكذلك Branigan (1970 a ,p.141) أن نفس الفكرة قدمها عالم الاثار اليوناني (Xanthoudides 1924,p.128) أما الاعتراضات فقد جاءت من قبل كل من Banti (1933 ,pp.244-5) and Hood (1971 ,p.173)

أن كلمة (tholos) التي لم يجد لها شانترين أصلاً مُقنعًا في اللغة الهندو-اوروبية قد جاءت من الكلمة الديموطيقية dw3t,t(w)3t, والتي تعني في اللغة المصرية العالم السفلي" او الحجرة الداخلية" في المقبرة ويبدو انها تنحدر أيضًا من كلمة dw3w (فجر – صباح) فيما يتعلق بالربط مابين مقابر الالف الثالثة و مشرق الشمس انظر (Goodison (1985 ,pp.70-2

(18)Warren (1965 ,pp.30 -1) and , Pendlebury (1930a) ,pp.20- 1) and Hood (1971,p.29).

(19) Warren (1965,p.8) ;Renfrew (1972,p.347)

(20) Evans (1921,pp.64-70; 1928) (volume 2),pp.21- 59; 1925 ,esp. pp.11-23)

(21) Oates (1979,pp.21-2 and29- 30)

(22) Jidejian (1968,pp.11-15)

(23) Gardner (1961,pp.396-7); Hoffman(1979,pp.293-4) Biggs (1966) ; Herrmann (1968)and Kulke (1976).

(24) Williams (1980;1985.pp.32-5 and 1986)

(٢٥) فيما يتعلق بنمط التجارة بشكل عام انظر Helck (1979,pp.12-13)

وفيما يخص الدلائل من اسبانيا انظر Monteagudo(1985 ,pp.36-41)

و عن رومانيا انظر Helck (1979,pp.9-12) and Dumitrescu(1982,p.84

أن اختيارات عنصر الكربون تعطي تاريخًا و يرجع إلى الألف الخامسة او السادسة .فإذا أخذنا في الاعتبار النقص في التأريخ الكربوني للألواح التي ترجع الى الفترة المبكرة من حضارة بلاد الرافدين ، فإن هذا لا ينبغي أن يدفعنا الى اهمال الأمر كلية . فان هناك إمكانية لوجود كتابة في هذا الزمن البعيد . و مع ذلك فإن الأقرب الى الترجيح أنها يجب أنْ توضع مع تجارة الألف الرابعة . و شبيهة بذلك تلك الأختام الأسطوانية التي لا يوجد شك في تأثير بلاد الرافدين عليها و كذلك النماذج الفخارية التي تشبه النمط الأناضولي . وهي التي تم العثور عليها في عصر مالك الثاني في البانيا ، ويرجع تاريخها الى زمن يرجع إلى الألف الثالثة إنْ لم يكن الرابعة انظر.

وكذلك انظر Prendi(1982,p.204) - Gebrech(1988,p.186)

(٢٦) إنَّ فكرة وجود عناصر من الشرق الادنى في الدانوب في نهاية الألف الرابعة مسألة قديمة انظر Childe (1949,esp.pp.239-40)-Dayton(1982a,p.145) وكذلك كما أن Dayton الذي يُعَد من غُلاة المتعصبين للنظرية الآرية يرى أنَّ المبادرة جاءت من أوروبا . وفيما يتعلق بالاقداح الرصاصية انظر Dayton (1982a,p.166)

(٢٧) أن هذا التاريخ يعود الى فترة سابقة عما هو متعارف عليه و هو يعكس محاولة المواءمة بين التواريخ الخاصة بالشرق الادنى و تلك التى اثبتتها الاختبارات الكاربونية فيما يخص عصر الدولة القديمة فى مصر ,انظر الفصل الخامس ملحوظة رقم ٧١-٧٨ و كذلك رقم ٩٦-٩٧ .

(٢٨) انظر (Renfrew(1972 وكذلك الدراسة الاحدث (1948 pp.248-57) وانظر كذلك Trump (1981,pp.75-7) وأيضاً (Andel and Runnels (1988.pp.240-2

(29) Andel and Runnels (1988,pp.242-5)

على أية حال ربما يستلفت النظر أنْ نلاحظ أنْ أسماءها ليست ذات وقع اوروبى كما يرى رينفرو إلا أنه يمكن النظر إليها باعتبارها مؤشراً على "انبثاق الحضارة فى عالم بحر ايجة .

(30) Branigan(1970a,pp.199-200)

ويمكـن النـظر إلى اسـم Onouphrios باعتبـاره مُنحـدراً من أحـد الألقاب الشـائعة لاوزيريـس وهو ,wnnfr الذى يعنى الكائن الطيب "او الجميل" . و هذا بالطبع ليس له علاقة بالفخار الذى يحمل اسم المكان هو ,Agios Onouphrios أى القديس أنوفريوس .

(31) Branigan(1970a,pp.199-200).

(32) Rewnfrew(1972,p.89).

(33) Weinberg(1954,p.95;1965a,pp.302-8).

يوجد تشابه بارز ما بين نمط التحصينات فى فلسطين و الكيكلاديس وإسبانيا فى الفترة حول عام ٢٣٠٠ق.م انظر في هذا الصدد .

Vaux(1971,pp.214-18),trump(1981,pp.100,126)and Renfrew (a1972,pp.392-9)

(34) Branigan(1970a,pp.199-203);Hood (1971,pp.36-8)

على الرغم من أنْ برانجيان فى مقالته قد ذكر قائمة بالمواد التى تم العثور عليها و ترجع إلى عهد الدولة القديمة انظر ص١٨١-١٨٢ ١٩٧٠ ، إلا أنه في مقالته عام ١٩٧٣ ذكر عددا أقل . ويؤكد هذا مدى التوسع فى العلاقات ما بين مصر و منطقة بحر ايجة بعد أوائل العصر المينوى الثالث ويقر وارن

(Warren too (1965,p.38 بوجود تشابه واضح بين ماعُثِرَ عليه فى أوائل العصر المينوى و تلك التى ترجع الى (Ghassulian)

(35) Renfrew(1972,p.347)

سبق أنْ أشرنا الى هذه المناقشة في الجزء الأول ص ١٥-١٦.

(36) Helck(1979,pp13-15)and Renfrew (1972,pp.444-9)

فيما يتعلق بالعاج انظر (Krzyszkowska(1983,pp.163-70

(37) Renfrew(1972,p.449)

(38) Renfrew(1972,p.57)

(39) Helck (1979,p.4), الاوبيسيا ١٤ ، سطر ٢٥٢-٢٥٨

(٤٠) انظر ملحوظة رقم ٢٩ .

(41)Renfrew(1972,p.xxv).

(42) Renfrew(1972,p.269).

(43) Masson(1976,p.9,n.1),Chantraine(1968-75,p.785).

(44) Dolgopolskii(1987, pp,5,9).

إنَّ كلمة kvim الجورجية التي يسود الاعتقاد في بعض الأحيان بأنها هي الأصل . يتم النظر إليها الآن باعتبارها مستعارة من الدراسة المفصلة لهذه الكلمة انظر (Brown(1969,pp.147-51 .

(٤٥) فيما يتعلق بكلمة yane انظر (Gordon(1966,pp.28-9 انظر أيضًا الفصل العاشر ملحوظة ١٣٧ . عن تحويل ay الى a انظر العمل القادم للباحث Rendsburg

(46) Harris(1939,pp.8-9); Moran (1961,pp, 34 - 72), Moscati et al.(1969,p46)

(47) Zohary and Hopf (1988,pp.140-1)

(48) Lipinski(1981,p.201) على أى تقدير فهذا هو اعتقاد

(49) Goodison(1985,pp.159-60;1988,p.169)

بالنسبة لجودسيون فان أهم الأشياء المرتبطة بالعبادة هي تلك الآنية الخزفية التى تُسمى "وعاء القلى". البحث في هذا الامر بشكل مفصل انظر (Coleman (1985

(٥٠) انظر الجزء الأول ص ١–٣٠ .

(51) Katz(1986,pp.168-9)

وكذلك (1986 pp.43-5) كما أنني أشعر بالعرفان تجاه Glenn Ayala للمعلومات التي أوردها .

(52) Muller(1820-4) وكذلك الجزء الأول من الكتاب ص ١١– ٣١٠

(53) Burkert(1985,pp.200-1)

(٥٤) كما جاء عند جودسيون (Goodison(1985,p.50 أن حضارات عديدة مثل اليابان كانت لديها ربات للشمس . كما وُجدت ربات الشمس أيضًا في مناطق حول البحر المتوسط مثل الأناضول واوجاريت ولهذا فليس من الضرورى أنْ تكون هذه ظاهرة محلية. ومن الجدير بالذكر أنَّ الكلمة العبرية semes (الشمس) مذكراً ومؤنثًا في نفس الوقت. وانني أعتقد أنَّ الأمر عندما يتعلق بكريت فإنه تُوجد ارتباطات بمصر لأن الربة (Rhea) التي تأتى فى مقدمة الربات في كريت جاء اسمها من الكلمة المصرية ,R t(Riyat)t3y وهو الشكل المؤنث لتجسيد صورة الشمس. انظر فيما يلى الفصل الرابع ملحوظة رقم ٨– ١٢٧ و فيما يتعلق بالتفضيل الايجى لاتخاذ الشكل المؤنث للشمس والذى يبدو واضحًا فى تبنى الاغريق لآلهة الشمس ممثلاً في أرتميس (Arteimis) وأوروبا (Europa) انظر الجزء الثالث .

(55) Goodison (1985,pp.84;1988,p.169)

(56) Goodison (1985,pp.85.101)

(٥٧) يرى الباحثان جودسيون واتورس وجود ارتباط ما بين التماثيل الكريتية الصغيرة للجعران . والجعران المصرى الذي يرتبط بالشمس انظر : (Watrous (1987b,p.67. (Goodison(1985,p.110

(٥٨) انظر الفصل الثانى ملحوظة رقم ٢٥ . و كذلك الجزء الثالث من هذا الكتاب .

(59) Renfrew(1972,pp.44-60);Goodison (1985,pp.120-3).

(60) Burkert(1985,pp.37-8)

(61) Newberry(1909,pp.27-30);Hall(1929)

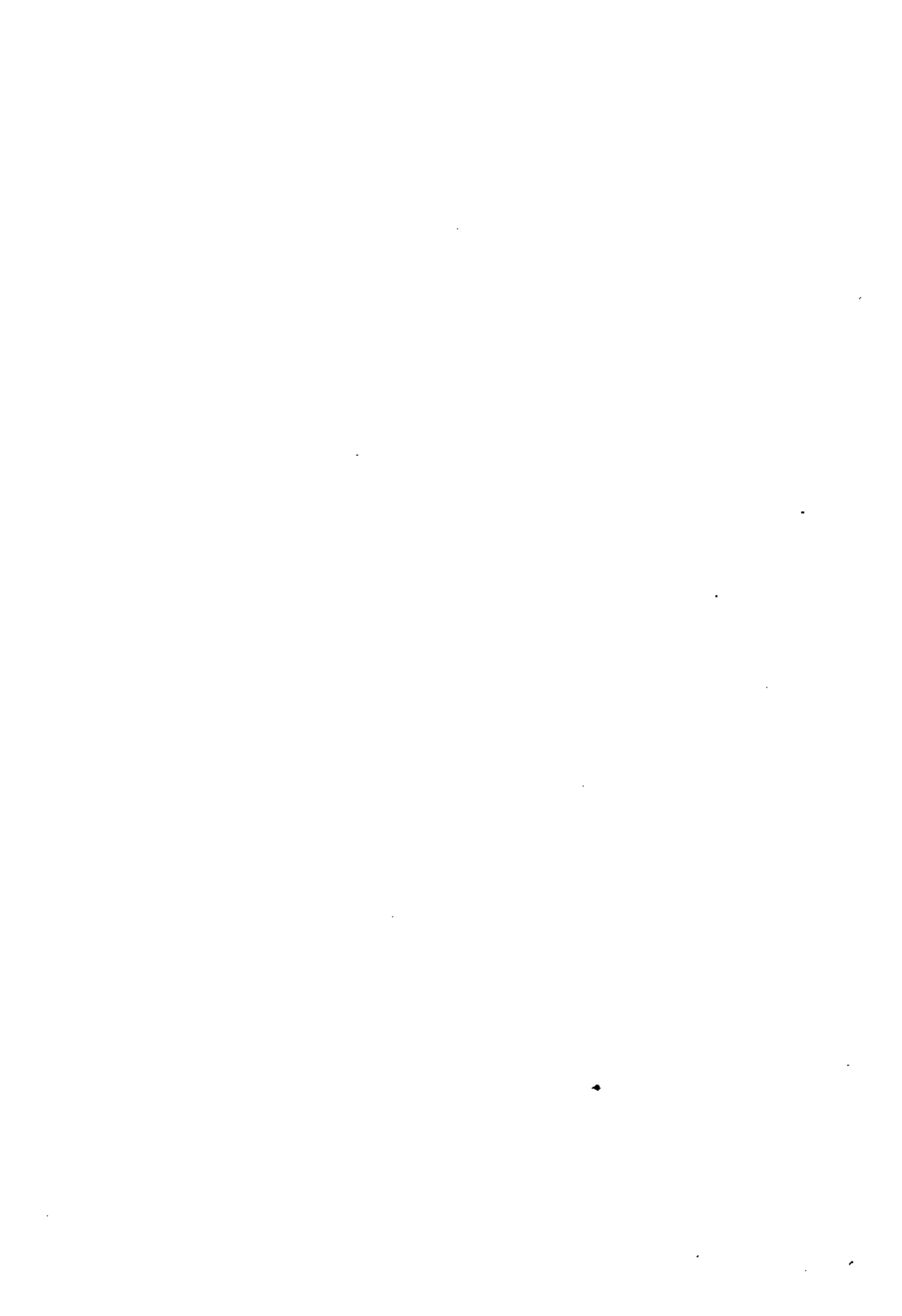
(٦٢) انظر الفصل الرابع ملحوظة رقم ٧٢-٨٦،

(63) Gadogan(1986,p.171)

فيما يتعلق بالارتباط بين البلطة المزدوجة وشمال أوروبا ، أنظر الجزء الأول ص١٦٧

٦٤) انظر هامش ٢٧ أعلاه .

(65) Porada(1982,p.291).



الفصل الثانى

تأثير مصر على بيؤتيا والبلوبونيز خلال الألف الثالثة

أولاً: الدليل الدينى والأسطورى والخرافى

ترجمة : هانم محمد فوزى

فى هذا الفصل سأعرض إلى القدر الهائل والمعقد من المتشابهات الأسطورية والعلاقات بين بيؤتيا ومصر مركزًا على موضوعات الرى والصرف. وسأحاول حل طلاسم بعض هذه الأساطير والخرافات عن بيؤتيا وكذلك بعض المتشابهات القريبة منها فى أجزاء أخرى من بلاد اليونان، خاصة فى أركاديا بالبلوبونيز. وهذه المتشابهات تكون مصحوبة ليس فقط بتشابه أسماء الأماكن بل أيضًا بالدليل المادى من نظم الرى الهامة التى وُجِدَت فى كلٍ من بيؤتيا والبلوبونيز. وغالبًا ما يُعتَقد أنها مُستوحاة من هندسة الرى المصرية. وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل فى الفصل الثالث.

إن الدليل الدينى والأسطورى والأثرى وأسماء الأماكن تشى جميعها بوضوح بأن بيؤتيا وأقاليم أخرى من بلاد اليونان قد تأثرت تأثرًا هائلاً بمصر وبالشرق فى غضون عصر البرونز. وأيضًا من المحتمل جدًا أن تكون هذه التأثيرات قد بدأت فى الفترة الميلادية المبكرة (الفترة الفخارية القريبة من الفترة الميناوية المبكرة بكريت). ولكن، على الرغم من وجود شكل ما من أشكال السيادة المصرية على بعض الولايات الإيجية فليس ثمة دليل يؤكد أن هذه التأثيرات كانت نتيجة استعمار مصرى. وهكذا وعلى الرغم من وجود الكثير من التطابق فى المواقف بين الشرق الأدنى وإقليم بحر إيجه فى العصر البرونزى المبكر (٣٣٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م وفى العصر البرونزى المتأخر ١٧٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، فإن المؤشرات الموضوعية الوحيدة على وجود سيادة مباشرة تأتى فى العصر المتأخر.

فى العصرين الهيلينستى والرومانى، اعتاد الكُتَّاب أمثال ثيوفراستوس وبلنيوس وبلوتارخوس أن يضاهوا بين شواطئ النيل وشواطئ كوبائيس (Kopais) إذ رأوا أوجه تشابه بين الجزر الطافية، والنباتات المائية، والنخيل وصناعة الكتان فى الإقليمين[١]. وقد حدت كثرة الشواهد بكارل أوتفريد موللر (Karl Otfrid Müller) إلى قبول الرأى القائل بهجرة شعب زراعى أو باحتلال مصرى " وهو ما يبدو أن له أساس"[٢]. وبالطبع أخذ يشرح ما رآه من خداع للمظاهر فى هذه الحالة [٣]. إلا أن موللر (Müller) كان يعلم أنها ليست أوجه التشابه الجغرافية فقط بين هذين المستنقعين هى التى ربطت بين مصر وحوض كوبائيس. فهناك أيضًا وشائج أسطورية تربط بين بؤتيا ومدينة طيبة وسوف نناقش لاحقًا استقاقات مصرية جديرة بالتصديق لأسماء أماكن مثل طيبة وكوبائيس وكفيسوس (Kephissos) ولأسماء قومية مثل الميانئيون واللابيثا[٤].

وفى الفصل الرابع سوف تُؤخذ بعين الاعتبار السمات المصرية والسامية الغربية فى الكثير من الأساطير البيوتية، مثل تلك التى تدور حول أوديب وأبى الهول. وسوف اكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الشواهد الدينية والأسطورية والاسمية على التأثير المصرى. وأمل أن يمهد هذا الفصل الثالث حيث سأعرض إلى الشاهد الأثرى من المنطقة المحيطة ببحيرة كوبائيس ، من الألف الثالثة ، على الاحتلال المصرى.

سميلى وألكمينى

سنتناول أولاً ألكمينى، وهى أميرة أسطورية كانت تعيش فى طيبة وقد أغواها زيوس ونتيجة لهذا أنجبت هيراكليس. وكانت عبادتها هامة جداً على شواطئ كوبائيس، وثمة تشابه كبير بين ميلاد اثنين من أبناء زيوس هما ديونيسوس وهيراكليس، من امرأتين تربطهما صلة وثيقة بطيبة. وتدعم هذه الصلة الفقرة التالية من الإلياذة حيث يذكر زيوس خليلاته السابقات:

" ولا بنت فوينيكس ذائع الصيت التى حملت لى مينوس والمؤلة ردمنثيس Rhadamanthys ولا سيميلي ولا ألكميني في طيبة التي أنجبت لي هيراكليس رابط الجأش، وحملت سيميلي ديونيسوس"[٥].

وهذا لا يربط فقط بين الإلهين هيراكليس وديونيسوس وبين كادموس المؤسس الفينيقى الأسطورى لطيبة، عن طريق بسميلي وألكميلى[٦]. أشرت فى الفصل الأول، إلى اشتقاق اسم زيوس عشيق إيو من الكلمات المصرية الدالة على البقرة[٧]. وطبقًا للأسطورة، فقد كانت سميلي ابنه كادموس، التي أغواها زيوس هي الأخرى وأنجبت ديونيسوس، يبدو اسمها أيضًا مشابهًا للأصول المصرية، على الرغم من وجود مقترحات أخرى. فأحد اشتقاقات الاسم هو أنه من كلمة فريجية مشكوك فيها بمعنى سماء، واشتقاق آخر من (Selene) اليونانية بمعنى قمر[٨]. وهناك أحتمال أقوى اقترحه عالم الساميات ميخائيل أستور (Michael Astor) وهو أنه مشتق من اسم الربة السامية Sml (أم النسور) وبعض الروايات عن قصة ميلاد ديونيسوس وتقطيعة تشبه الأساطير عن (Sml) والنظير الأوغاريتى لأوزويريس ، دينيسوس وهو (Baal) ومن الواضح أن لهم سمات مشتركة[٩]. وبذلك يكون هناك كل الحق فى الشك فى التأثير السامى الغربى.

إلا أن الاشتقاق الأساسى الأكثر احتمالاً لسيميلي يبدو أنه من الكلمة المصرية (Sm3t) بمعنى بقرة برية. فالأصول الحضارية للمصريين كمربين للماشية تجعل البقر بالنسبة لهم كما هو الحال بالنسبة للنوير والشيلوك (Nuer and Silluk) الذين مايزالون يسكنون وادى النيل – مثلاً للثروة والجمال، ويتجلي هذا من أشياء كثيرة من بينها استعمال المصريين لكلمة (Sm3yt) بمعنى " زوج ملكية"[١٠] وفى الصفات المشتركة بين كل من الكبش الممثل للإله آمون فى مصر العليا وبين زيوس، الذى اعتبره الإغريق القدماء نظيره الإغريقى، فإن كلمتى سمات Smi(y)t وسميلي (Semele) تبدوان قرينتان متلائمتان للغاية.

ويجب التنويه إلى أن العلاقة بين زيوس وآمون كانت وطيدة جدًا في بؤتيا بصفة خاصة، ويشير بوسانياس(*) (Pausanias) ، الرحالة الكاتب من القرن الثاني الميلادي، إلى مزار مقدس لآمون في طيبة به تمثال أهداه شاعر محلي يدعى بندار في القرن الخامس ق.م[١١]. وقد كتب بندار ترنيمة جاء بها ذكر " آمون ملك الأوليمب"[١٢].

والأصل المصري اللغوي الأساسي لألكميني أقل من سيميلي. فالفعل rh بمعنى يعرف له معنى توارتي أو دنيوي. والأسم (Rh?mn) يُصدق عليه، مثل المصطلحات rhnsw و rhtnsw (معارف الملك من الرجال والنساء) [١٣]. وهكذا، بينما الأسماء الإغريقية ((Alkmaion، بطل أرجوس ذو العلاقة بطيبة، وألكماؤن Alkma(o)n ، الشاعر الدوري من القرن السابع، ربما تكون له صلة

بالعنصر الشائع في الأسماء الإغريقية Alki بمعنى الحامي، وربما تكون مشتقة أيضًا من Rhimn فاسم ألكميني، خليلة زيوس، يبدو أنه يأتي من (Rhtim) والحرفان الأوسطان (ts) كانا غير مستقرين في اللغة المصرية وأحيانًا لا يظهران في اللغة اليونانية عند نقلها للأسماء المصرية، كما هو الحال في Amenóphis من . 'Imnhtp ونعرف أنه في منتصف الألف الثانية كانت كلمة .'Imn تنطق Amára ؛ ونعلم أيضًا أن المقاطع الساكنة الابتدائية سواء أكانت من حرفين أم ثلاثة كانت تسبقها دائمًا في اللغة المصرية حروف متحركة مفترضة وأن الحروف المتحركة غير المشددة كانت تُقصرُ[١٤] وهكذا فإن كلمة Ioan المشتقة من الكلمة المصرية arhemana يمكن أن تقبل بسهولة في اللغة اليونانية كـ " ألكمانا " وبالتالي تصبح في اللهجة الأيونية .Alkémene إذن Alkeméné / Rhtimn تبدو مناسبة جدًا لزوج آمون زيوس.

وبعد أن أخذنا في الاعتبار هذا الاحتمال القوي لكون اسم ألكميني مصري علينا أن نشير باختصار إلى العناصر المصرية في خلفيتها. وبغض النظر عن العلاقة بين زيوس – آمون والتي أشرنا إليها آنفًا والخاصية المصرية الأساسية لابنها هيراكليس،

(*) رحالة يوناني وجغرافي اشتهر في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي بكتابه " رحلات حول اليونان (Perieseis Peri tes Hellados) وكذلك " الجغرافيا" (المحرر).

والتى سوف نناقشها لاحقًا، فقد اعتقد هيرودوت أنها وأحد أزواجها وهو أمفيتريون، كانا مصريين[١٥].أما السمات المصرية لزوجها الآخر ردمنثيس Rhadamanthys فسوف نناقشها فى الفصل الرابع. ويكفينا هنا القول بأن زوج ألكمينى ، أى زوج أم هيراكليس، ردمنثيس هو الذى علّمَ البطل كيف يرمي القوس والسهم[١٦]. وهذا أمر هام، لأنه فى فقه الإلهيات المصرى القديم نجد منتو Mntw، والذى سيناقش فى الفصل الرابع، وهو الأصل المصرى لردمنثيس كان هو الحامى المقدس للرمى بالسهام.

الربة أثينا ومدينة أثينا فى بؤتيا

عبادات الربة أثينا إتونيا والربة أثينا ألاكومينا

كانت لألكمينى مقبرة قرب هاليارتوس (Haliartos) على الساحل الجنوبى لكوبائيس حيث تُوجَد حفريات قديمة سوف نعرض لها فى الفصل الثالث. وكانت لصيقة لمقبرة منسوبة لردمنثيس كما كانت قريبة من مزار لكيكروبس (Kekrops) البطل المؤسس لأثينا. وتوجد فى الواقع آثار أثينية أخرى فى الإقليم. فهناك مزارات لأثينا وكان من المعتقد أن هناك مدينتان أغرقتهما بحيرة كوبائيس، تُدْعَيان أثينا وإلوسيس، ويقترح سترابون أنهما، مثل المدن الكبرى التى تحمل نفس الاسم فى أتيكا، أسسهما كيكروبس[١٧]. وبالإضافة إلى هذا، كانت هناك عبادة البطل كيكروبس فى هاليارتوس نفسها، بالرغم من وجود جدل فيما إذا كان كيكروبس هذا هو مؤسس أثينا أم أنه ابن بانديون (Pandion) ، أحد ملوك أثينا المتأخرين[١٨].

ويسوق كل من فوسيّ Fossey وشاختر Shachter وهما من المتخصصين المعاصرين فى تاريخ بؤتيا – الحجج – معضداً كل منهما الآخر والتى تؤكدان " الفكرة الأثينية " هذه فى الإقليم الواقع غرب هاليارتوس ظهرت مؤخراً جداً فقط حينما كانت أثينا تحكم الإقليم بين عامى ١٧١ و ١٢١ ق.م[١٩]. وواقع الأمر أن فوسى ليس متطرفاً إلى هذا الحد ويقبل بأنه ربما كانت هناك تقاليد محلية أصلية ذات طابع أثينى

زائف[٢٠]. وحتى شاختر يقبل بأن عبادتين محليتين لأثينا ألالكومينا وأثينا إيتونيا Itonia كانتا قديمتين جداً[٢١].

وقد كان مزار أثينا إيتونيا في كورونيا، وهي تبعد عشرة كيلومترات إلى الغرب من هاليارتوس، هو مركز العبادة في بؤتيا وتميز بالنشاط الكبير وبوضوح في العصرين القديم (٧٧٦ - ٥٠٠ ق.م) والكلاسيكي (٥٠٠ - ٣٢٥ ق.م) وجرى العُرْف على افتراض أنه كان قد أُسس من قِبل البؤتيين الذين غزوا الإقليم الذي سمي بؤتيا نسبة إليهم، من الشمال بعد الحرب الطروادية بقليل (حوالي ١٢١٠ ق.م) وقد أخبرنا باوساناس بأن اللقب (It?nos) كان لوالد (Boiotos) الي يُنسَب إليه البوتيون. وكانت العبادة الحربية لأثينا إيتونيا عبادة مركزية في ثيساليا على مدى العصرين الكلاسيكي والهلينستي ويفترض استرابون عن اقتناع بأن البؤتيين المنتصرين هم الذين جلبوا هذه العبادة معهم من وطنهم ثيساليا إلى شواطئ كوبائيس[٢٢].

من أين جاء اسم إيتونيا؟ يبدو أن هناك مقترحان. أولهما: أنه من الكلمة المصرية Itnt' (قرص الشمس المؤنث) . وسبق أن ناقشنا في الفصل الأول علاقة كل من الرمز والمفهوم بالعصر القديم في كريت والشاهد الوحيد على أن Itn.t' هي البديل عن Neit التي كان يرى فيها القدماء النظير المصري لأثينا، ترجع إلى القرن الثاني الميلادي. وهكذا ربما تكون نتيجة للتأثير الإغريقي أكثر مما هو تقليد مصري أصيل. إلا أن وجود Neit على مركب الشمس وارتباطها بالشمس؛ وخاصة عندما يرمز إليها بعين رع وقرص الشمس الملكي الذي تخرج منه كوبرا، (يرجع وجودها هذا إلى الأسرة الثامنة عشرة على الأقل) [٢٣]. وحتى قبل ذلك كان هناك ارتباط بين نيت Neit وخنفساء كليوباترا التي يبدو أن إيقونتها كانت قد سبقت إيقونة الجعران وربما كانت لها وظيفة شمسية إذ كانت دائما مضيئة[٢٤]. وأقوى ارتباط لنيت بالشمس نجده في المملكة القديمة في النصف الأول من الألف الثالثة. وأكثر من هذا، أن هناك دليل من كريت على أن إيقونة خنفساء الشمي كانت شائعة في كريت في العصر المينوي المبكر[٢٥]. كما أن وجودها المتأخر في بلاد الإغريق يعكس تقليداً مصرياً قديماً جداً.

وسنناقش في الفصل الثالث وجود دليل من الألف الثانية من البحر الإيجي يؤكد الرابطة بين الربة أثينا وقرص الشمس وبالحيات على شكل وجه جورجونا، الذي كانت تضعه الربة دائمًا على درعها. وهذا الجانب الشرس من شخصية الربة يناسب جداً الطبيعة الحربية لأثينا إيتونيا.

إلا أن الصفة إيتونيا لها أصل آخر له شأن أكثر مباشرة. فعندما وصف سترابون الأصل الثيسالي لعبادة الربة أثينا إيتونيا في كورونيلا Koronela، قرر أيضاً أنه كانت هناك توريه حول أسماء النهر إما Kuralios أو Korlios و Koronela. هذا النهر الذي كان ينساب من نبعين مثل ثديي الربة، كان مهمًا جداً في العبادة[٢٦].

وهذا يؤدي إلى احتمال وجود استقاق آخر لإيتونيا Itonia. فاستيفانوس (Stephanos) البيزنطي الذي كان يكتب في القرن السادس الميلادي، أكد أن مدينة إيتانوس (Itanos) الكريتية سميت على اسم ابن فوينكس Phoinix (الذي سُمي على اسمه الفينيقيون). وبمتابعة هذه الإشارة إلى وجود أثر سامي رأى كل من موفر F.C.Movers و برار Victor Bérad أن أصل هذا الاسم يرجع إلى كلمة etan أو ētan بمعنى المنساب دائمًا، في اللغة العبرية[٢٧]. ومنذ أن كتبوا الاسم وهو معتمد في كل من Linear A, B (الكتابة الخطية الأولى والثانية) على أنه Itano وUtano على التوالي(*). والاختلاف بين Itan و Iton يمكن شرحه بأن حرف a السامي قُلب في اللغة اليونانية واللغات الأخرى إلى o ، على سبيل المثال

ميناء قرطاجة Carthage يعرف في اليونانية بـ Kothon وهي مشتقة من كلمة كنعانية من العصر المتأخر qatan أو qaton بمعنى صغير[٢٨]. وفي ضوء الأهمية

(*) القياس هنا خاطئ تماماً، إذ كيف أفسر السابق باللاحق وأبحث في هذا الأخير عن أصل لتكوين الأسبق تاريخياً... كيف يتأتى هذا منطقياً، فضلاً عن إنه لا علاقة للعبرانيين في فلسطين القديمة (منذ حوالي عام ١٠٠٠ ق.م) ، بكريت القديمة، ومدينة إيتافوس بها، التي ورد ذكرها في ألواح كتاباتها القديمة منذ ما قبل عام ١٤٠٠ ق.م؟!!! (المحرر)

الدينية لانسياب الرافد عبر إيتونيا فمن المحتمل جداً أن يكون هذا الاسم موجوداً قبل وصول البؤتيين . مما كان سبباً فى تأسيس هذه الديانة هناك والاحتمال الأكبر لوجود ضخم للسامية الغربية فى بؤتيا فى العصر البرونزى المتأخر يدل على أن الاسم من الممكن أن يكون سامياً، إلا أن شيوع Tanos/ Itonos حول البحر الإيجى يرجع إلى أن اسم المكان كانت له مكانة خاصة متميزة فى اللغة المحلية.

لقد اتفق الباحثون بصفة عامة على أن عبادة أثينا ألالكومينا أقدم حتى من عبادة أثينا إيتونيا، وهناك حُجَجٌ ، كما سنرى، تؤكد الربط بين العبادتين ويشير هوميروس إلى أثينا ألاكومينا[٢٩]. ويسوق شاختر أسباباً أخرى لقبول عمرها الكبير: إذا كانت تُعتَبر قديمة فى العصور القديمة، وجذبت أساطير من عصر ما قبل التاريخ، ووُجِدَت على مَقْرُبة شديدة من عبادة أثينا إيتونيا على بعد ثلاثة كيلومترات فقط. وفى العصور القديمة كانت هناك علاقة بأثينا يشى بها وجود اسم (Alakomenios) الذى كان يُطلَق على الشهر الأخير من السنة البؤتية، وأحياناً كان يُكَرر هذا الشهر للتوفيق بين السنة الشمسية والسنة القمرية[٣٠]. فمن المعروف أن التقاويم تحتفظ بمصطلحات قديمة بصفة عامة.

Gôg , Og , Ogygos

جوج و أوج و أجيجوس

قليل نسبيًا ما هو معروف عن العبادة. ففى قصة ترجع على الأقل إلى القرن الرابع ق.م. نجد أن Alalkomena أو Alkomena هى إحدى البنات الثلاث لأوجيجوس Ogygos الحاكم الأسطورى الأول لبؤتيا[٣١]. ويخبرنا وباسانياس أيضاً أن أوجيجوس Ogygos هو والد إلوسس Eleusis فى أتيكا[٣٢]. وأوجيجا Ogygia هو اسم الجزيرة النائية لكاليسبو التى ورد ذكرها فى الأوديسيا. وتشير دلالات الأسماء جميعها إلى فكرة نشوئها من فيضان بدائى. ويربط المؤرخ الألمانى ماير Aduard Meyer بين

أوجيجوس Ogygos بصفة خاصة وبين فيضان كوبائيس[٣٣] والربط بين البحيرة والمدن المغمورة بالماء مثل أثينا وإلوسيس من سواحلها الغربية يفسر بالتأكيد العلاقة المحيرة بين أوجيجوس Ogygos وبؤتيا وأتيكا. وترد الدلالة المزدوجة للعصور القديمة والمستنقعات في فقرة من الفرس لأرخيلوخوس يُشير فيها ليس إلى طيبة البؤتية ولكن المصرية[٣٤].

وأوضح الاشتقاقات لاسم Ogygos أو Ögygés و Ogygia تأتي من السامية الغربية، فأكثرها شيوعًا بخصوص كلمتي Ogygia و Okeanos بمعنى محيط أو حافة العالم هي من الجذر السامي √'wg بمعنى يرسم دائرة[٣٥]. وهذه الدلالات للمحيط والجبال التي تحيط بالعالم نجدها أيضًا في شخصية أسطورية سامية غربية، إلا وهو <Og، من باشان. وقد كان (<Og) شبيهًا جداً بـ (Ogygos). وكان يُرى في التوراة على أنه آخر سلالة الرفائيين Rephaim، وهو جنس بدائي من العمالقة له علاقة بالطقوس الجنائزية وأرواح الموتى المرتبطة بالطين الرطب في العالم الآخر[٣٦]. وعلى عكس هذه المواصفات كان للرفائيين Rephaim أيضًا علاقة بالشفاء والأفاعي المتصلة بالطب في كل من بلاد اليونان والمشرق، كما كانت لهم صلة أيضًا بالحياة والبعث والخصوبة[٣٧].

وهناك نص أوغاريتي، يسمى الـ Rephaim أو Rpim باسم qdmym أي الشرقيين أو القدماء، وهو نفس الجذر الذي اشتق منه اسم كادموس مؤسس طيبة[٣٨]. وفي سفر التثنية في التوراة يقال أن الملك (<Og) من باشان هو آخر من بقي من سلالة الرفائيين Rephaim على قيد الحياة في الإقليم العام لكنعان[٣٩]. وهكذا يكون وضعه كأقدم ساكن مشابه جداً لوضع أوجيجوس Ogygos في بؤتيا. وتقع باشان بصفة عامة إلى الشمال من موآب (Moab) حيث شمال الأردن الآن، إلا أن باشان تتصف بالخصوبة الشديدة والماشية السمينة[٤٠]. على عكس هذا الإقليم القاحل. وبهذه الطريقة كان متوازيًا مع أراضي المستنقعات ذات المراعي الغنية في بؤتيا.

وكـان <Og هو الكائن الوحـيـد الذى بقى على قـيـد الحـيـاة من شـعب مـا قـبل الطوفان. وطبقًا لتفاسير التوراة اليهودية(*) التى دونت فى بابل من القرنين الخامس والسـادس والمدونه بـاسم المدراش فـإن <Og قـد نجـا من الطوفـان بجلوسـه على قـمـة سـفـينة نوح[٤١]. ولا يربط أسـتـوربين Ogygos و <Og . إذ يرى أن Ogygos هو نظيـر نوح ونظيره فى بلاد الرافدين أوت – نابشتيم Ut - Napistim ونظيره فـى بلاد الإغريق هوديوكاليون (Deukalion) [٤٢]. وقد جرى العرف على أن اسم نوح (Noah) مشتق من الجذر السـامى (√nwh) بمعنى يرتـاح أو يسـتقر. وبغض النظر عن الحرف الأخيـر h ، فمن المحتمل أنه قد تأثر بالكلمة المصرية (nwy)بمعنى مـاء أو فيضان. وهذا يفسـر بعض الكلمات غير القياسـية كمـا هو الحال فى التعبير (Mê Noah) بمعنى فيضـان والموجود فى سِفـر الشـعـيا Isaiah وترجمة Noah بـ Noe فى ترجمة التوراة المعروفة باسم السبعونية[٤٣]. وهكذا وبطريقة أو بأخرى أصبح نوح Noah هو الفيضـان الذى ارتبط به. وهـذا الغـمـوض أو هذه الوظيـفـة المزدوجـة يمكن أن تنسـحب على <Og وOgygos . وبهـذا الخـصـوص فـإنه لمن المـمتع مـلاحظة أنه فى كلمـة Wg3 فى اللغـة المصرية المتأخرة كان يتضمن نوعًا من "الماء أو الفيضان"[٤٤]. ويظهر اسم المكان Wg(3) أيضًا كاسم لجسم من الماء، سواء " القناة الكبيرة أم مجرى النيل". وفى الإقليم الثالث من مـصـر العليـا وهى مدينة إسنا[٤٥]. وكـانت إسنا هى مـركـز عـبادة نيت فى مصـر العليـا. وسـوف نناقش عـلاقـتـهـا بالمدينة المقدسـة لأثينا Troezen Athena فى أرجوليس (أرجوليذا) فى الفصل الثالث، ومن الممتع هنا أن ننوه إلى عـلاقة Wg(3) بالماء والنظير المصرى لأثينا ألا وهى نيت Neit .

إلا أن هناك صـعـوبات فـيـمـا يخص جذر الكلمـة سـواء <Og أم Ogygos . ففى الحـالة الأولى المقطع الأول Γαyin فى اللغـة السـامـيـة يمـثل صـعـوبات. إلا أنه ثمـة عـلاقـة

(*) هناك إصرار غريب على أن يكون التفسير التواراتى هو الذى يسود ويختم به فى كل اشتقاق لغوى أو حتى بحث أسطورى، فـهل ببسـاطة هكذا، يسلم العلمـاء الآن. (أم أن الأمـر يخص برنال فـقط وهو أمـر واضح تمامًا لا لبس فيه، حيث أننا أمـام حالة ماكرة جدًا) بمرجعية التوراة فى فرعى التاريخ والآثار القديمين. (المحرر)

وثيقة بين الحرف W المصرى و Γ وبهذا يسهل تخطى هذا العائق فمشكلة اشتقاق Ogygos من Wg(3) تكمن في حرف g الثاني حيث لا يوجد دليل عليها في النصوص المصرية .

إلا أن هناك دلالات في اللغة السامية الغربية. أولها يوحي بها العملاق Gôg المشار إليه في التوراة، والمفروض أنه ابن يافت Japhet وكان يعيش مع أخيه هاجوج Hagogo في أقصى الشمال . ويبدو أن هذا يجعله مختلفًا عن أوج Og> ، حتى بالرغم من ثيران وجواميس باشان التي بُشر بأكلها في جنازة جوج Gôg(٤٦). ثم أن هناك احتمال أن Gôg هي ببساطة كلمة سامية بمعنى عملاق، والجذر √gg المعتمد في اللغة الأكادية والأوغاريتية والكنعانية ومعناها العام هو " سطح أو رواق أو قمة". وفي اللغة الأمهرية gogg تعني فيه علاوة على أسماء Gôg أو Magos يرجح هذا الاحتمال. على أية حال، فليس ثمة شك في أن كلمة δiδαs اليونانية بمعنى عملاق ليست من أصل هندوأوروبي وهو ما يحرص على ذكره بعض المعجميين. وسواء أكانت δiδαs من أصل سامي أم لا فإن تكرار حرف g في Ogygos هو تأثير للكلمة اليونانية.

ويؤكد أستور أن Ogygos مشتق من الجذر السامي √>gg بمعنى يحرق أو يشعل، ويربط هذا بالتقليد القوي الذي كثيراً ما يربط بين الطوفان والحريق. وكمثل على هذا هو أن زوجة بطل الطوفان الإغريقي كانت تسمى Pyrrha بمعنى نار(٤٧). وفي الفصل السابع سوف أناقش كيف أن هذا التقليد له أصل تاريخي في الأحداث البركانية وخاصة بركان ثيرا الهائل عام ١٦٢٨ ق.م. وطبقًا للتقليد اليهودي كما يخبرنا التلمود، فإن الطوفان الذي كان يفرق Og> من باشان كان مصحوبًا بحريق كاد يودي بحياته لولا قوته العملاقة(٤٨).

باختصار، وبالرغم من أن الاشتقاق من الكلمة السامية الغربية (Og>) ومن الكلمة المصرية Wg3 بمعنى طوفان ضعيف وبالرغم من أن الاشتقاق من الكلمة اليونانية gigas المأخوذة عن السامية √gg ليس أكيداً ، فإن تشابك النظائر يجعل العلاقة بين Ogygos أو Ogygos وبين Og أمرًا محتملاً جداً. على أية حال ، فلا شك في أن Ogygos ، الممثل البؤتي للأصل الإغريقي ، له علاقات كثيرة ومعقدة بالشرق الأدنى.

ألالكومينا

والآن أود أن أعود إلى ابنه Ogygos ألالكومينا أو ألكومينا . فألكومينى هى مسقط رأس أوديسيوس، بالرغم من أن هذا سيسبب إرباكًا مع ألكومينى أخرى على جزيرة إيثاكا موطن البطل[٤٩]. والأهم من ذلك، هو وجود عادة أن اللقب Alalkomeneus قد شيد أثينا على شاطئ نهر تريتون Triton تحت اسمى (Alalkomena) و (Koronia) .

وكان هذا بديلاً للتقليد الآخر القائل بأن أثينا أنشأها ورعاها نهر تريتون فى ليبيا[٥٠]. وقد ذكر هرودوت تريتون مقترنًا بأثينا فى ليبيا، وهى جنوب تونس الحالية[٥١] ويضعها كتاب قدماء آخرون فى أقاليم أخرى من شمال وغرب أفريقيا، ولكنها فى معظم الأحوال مرتبطة بالمستنقعات[٥٢]. وفى فقرة ممتعة جداً من ملحمة الأرجونوتيكا التى سوف نناقشها فى الفصل السادس، نجد أن المثقف أبوللونيوس الرودسى، الذى كان أمينًا بمكتبة الإسكندرية بالقرن الثالث قبل الميلاد، يدعى أن تريتون هو اسم قديم للنيل. وبدون ربطة بمن سمى على اسمه وهو تريتون أحد أبناء بوسيدون، لما كان هناك اشتقاق مقنع للاسم، بالرغم من الاعتقاد المبهم بأن له علاقة بالكلمة اليونانية tritos بمعنى ثالث. إلا أن الجذر اليونانى trito - is كثيراً ما يختلط حسبما أعتقد بالكلمة المصرية tryt وهى اسم من الفعل tr بمعنى يحترم، التى تستخدم بكثرة عند الإشارة إلى الملوك والآلهة. ونلاحظ أن إرمان Erman وهرمان جرابو H. Grapow الناشران الرئيسيان لقاموسى اللغة المصرية Wörterbuch der Ageyptischen Sprache يشتقان tr من twr بمعنى يحترم. إلا أن المعنى الأساسى لهذه الكلمة هو يطهر. وفى كتاب الموتى، وهو من أهم النصوص المصرية ويرجع تاريخه إلى الأسرة الثامنة عشرة أو السابعة عشرة فى القرن السابع عشر قبل الميلاد، نجد أن كلمة twr هى اسم أحد أنهار الجنة، أو ساحة أهل النعيم المفعمة بالغلال الوفيرة والزراعة المزدهرة[٥٣]. وهذا الاشتقاق لـ Tritonis غير مقنع ، ولكن يجب أن يكون ماثلاً فى الذهن عند النظر فى الربط بين أثينا ونظيرتها المصرية نيت وبين تجفيف المستنقعات وخلق أرض خصبة بحذاء ضفتى النيل والأنهار والبحيرات الأخرى.

هل لنا أن نربط بين أثينا ألالكومينا وعبادة أثينا إيتونيا التى تقع على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الغرب وكذا بينها وبين مقبرة ألكميني Alkmene التى تبعد أيضاً بنفس المسافة تقريباً إلى الشرق؟ يؤكد شاختر على وجود روابط أساسية بين العبادات المجاورة لأثينا. وافترض مؤقتًا أن Alakomeneion كانت هى الموطن الأصلى لعبادة أثينا إيتونيا ثم انتقلت غرباً، ربما بسبب خطر الفيضان(٥٤). ليس من الضرورى أن نصل إلى هذا الحد لكى نقبل اقتراحه العام هذا، والذى لديه عليه دليل قديم - وهو مرجع للكاتب المسيحى الأفريقى لاكتانيوس Lactanius من القرن الرابع يشير فيه إلى باخيليديس (Bakchylides) وهو شاعر من القرن السادس ق.م. كان قد قرر أن أثينا ألالكومينا وإيتونيا تدلان على نفس الشيء(٥٥).

وإذا قارنا بينهما فسنجد أن المواصفات المثيرة للانتباه فى عبادة أثينا إيتونيا تتطابق مع مثيلتها فى عبادة ألالكومينا. فالثانية على سبيل المثال كانت على صلة وثيقة بالأفاعى من القرن السادس ق.م على الأقل(٥٦)ويعتقد شاختر أن الحية المرسومة على إناء بؤتى كانت هى زيوس الأرضى حيث كانت أثينا إيتونيا تقرن بزيوس فى هاليارتوس(٥٧). وثمة آثار قليلة لزيوس الثعبانى. ولكن هناك أيضًا شرحان مصريان لهذه الصورة الإيقونية اليونانية . أحدهما ربط نيت بالكوبرا المنتصبة على التاج الفرعونى، كما كانت رمزًا للربات. إلا أن الأكثر احتمالاً هو أن ذلك المخلوق من كورينى Korone ، مثل ذلك الموجود على مزهرية بؤتية أخرى من القرن السادس وصورة أثينا فى برينى Priene على ساحل آسيا الصغرى، والتى تلتف فيها حية أمام الربة، هى نماذج لابن نيت ورفيقه المألوف جداً منذ عهد المملكة القديمة ، ألا وهو التمساح أو سوبك(٥٨). وكان سوبك هو رب الفيضانات ، وضفتى النهر وخاصة بحيرة الفيوم - وهى منخفض ضخم وواحة متصلة بوادى النيل . وهكذا تبدو مثل هذه العبادة ملائمة للسواحل السَبِخة لبحيرة كوبائيس. وسأنظر فى العلاقات بين ألكمينى وأثينا ألالكومينا لاحقًا فى هذا الفصل . إلا أننى سأتناول هنا خاصية أخرى لنيت .

نيت المتحكمة فى المياه

فى المجلد الثالث سوف أناقش العلاقة الوطيدة بين نيت وأثينا وأيضًا بين سايس (Sais) أو (Ht Nt) وهى مدينة نيت وبين مدينة أثينا. إلا أننا هنا من الضرورى أن نأخذ فى الاعتبار خاصية معينة للربة المصرية لكى نتعمق فى عبادات أثينا على شواطئ كويائيس .

إن نيت لها وظائف عديدة كمحاربة وناسجة وكربة لطبقات الجو العليا. إلا أن الخاصية الأساسية لها هى كونها البقرة المقدسة – البقرة المبدعة – آخت 3h3t Ahet متزامنة مع (Mhtwrt)، الفيضان أو المستنقع الأعظم، وهو الماء الأزلى(٥٩) . والتفاصيل عن هذا نجدها فقط فى نصوص العصرين الصاوى والبطلمى فى الألف الأولى قبل الميلاد . إلا أن مراجعًا وردت فى نصوص الهرم ومنقوشة على أهرامات الدولة القديمة المتأخرة (٢٧٠٠ – ٢٥٠٠ ق.م) ، ولكنها مؤلفة قبل ذلك بعدة قرون ، وكذلك فى نصوص التوابيت من الدولة الوسطى (٢١٠٠ – ١٧٥٠ ق.م) توضح أن هذه الأفكار أقدم بكثير. وعبادتها فى سايس فى مستنقعات الدلتا الغربية معروفة فى الأسرة الأولى وربما كانت أقدم(٦٠).

وتصف نصوص الهرم مظهرًا من مظاهرها الرئيسية : " لقد أتت نيت إلى بحيراتها الواقعة على حافة (Mht Wrt) (أى المُستَنقع الكبير)(٦١).

نيت تجعل العُشْب أخضر على ضفتى الافق. فى النسخة المُعدَّلة لكتاب الموتى كيف خَلَقَت نيت أرضًا من داخل المياه ، " فاصلة الجزر والضفاف" (٦٢). وفى الدولة القديمة، كانت هى الربة التى شقت الطرق . وهذا يعنى بوضوح أنها تقود المواكب الدينية والجنائزية غالبًا فى قارب عبر الماء. وكانت تعنى كلمة Wp(i) أيضًا شق الطرق المائية(٦٣). وهكذا، فهى الربة التى تخلق القنوان والنظام فى المستنقعات البرية .

المعركة بين نيت وست وبين أثينا وبوسيدون

دور نيت كربة للفيضان واهب الغذاء وربة القنوات والرى واستصلاح الأراضي يمكن أن يقدم لنا مفتاحًا لفهم سمات كثيرة لشخصية أثينا الأسطورية بدت غير مفهومة من قبل الباحثين المحدثين لنأخذ مثلاً المعركة بين الربة الإغريقية وبوسيدون في مدينة أثينا وترويزين وأماكن أخرى، تلك المعركة التى توازى معارك نيت ضد نظير بوسيدون المصرى ألا وهو ست الأفعى الشريرة Apopi(٦٤) وبالبحث عن أسباب هذا الصراع كتب فارنل Lewis Farnell الباحث الأرثوذوكس في الديانة اليونانية – الآتي:

" لا تجد في أى مكان في الديانة اليونانية أى علاقة بين بالآس (أثينا) وبوسيدون تشير إلى علاقة أصلية في الخاصية. حيث تواجدت العبادات جنبًا إلى جنب، كما هو الحال فوق أكروبوليس مدينة أثينا، وفى إقليم كولونيا واحتمال في سونيون وتريزين(*) واسبرطة وآسيا (في أركاديا وربما كورنثا، نرى في بعض هذه الأماكن مصالحة نهائية بين عبادتين كانتا في البداية متصارعتين. فالنزاع بين أثينا وبوسيدون حول أرض أتيكا هو رمز للتغيرات الطبيعية ، فالإشارة إلى مد البحر أو جزره شئ مقبول جداً ولكن غير حقيقي: ولدينا تشابه في الصراع بين هليوس وبوسيدون في كورنثا، حيث يبدو التفسير أكثر طبيعية وأكثر احتمالاً؛ ولكننا نعلم أنه خطأ، فأولاً الإقليم المتنازع عليه بين الإلهية هو أكروكورينثوس ، وهو منطقة مرتفعة ولا تعي ذاكرة أى إغريقى أن مياه البحر غمرتها أو هددت بذلك وثانيًا لدينا دليل واف على انتشار عبادة قديمة جداً لهيلوس في كورنثا واندثرت قبل عبادة بوسيدون في إيتونيا المتأخرة. ولا شك في وجود أسباب طبيعية لعبادة بوسيدون في كورنثا، ولكن الأسطورة الكورنثية لهذا النزاع، والأسطورة الدلفية للنزاع بين أبوللون وبيثون، وبين أبوللون وهيراكليس على

(*) هو الاسم الأقدم لإقليم أرجوليذا شمال إقليم لاكونيا (Lakonia) و عاصمته إسبرطه. قديمًا، وحتى الآن . (المحرر)

إنـاء البخور (Tripod)(*) والأسطورة الأتيكية عن المنافسة بين بوسيدون وأثينا ومعارك أخرى كثيرة بين الآلهة، محتمل أنها تشمل نفس الجوهر لحقيقة تاريخية، لصراع فعلي بين العبادات بعبادة مبكرة علقت بأذهان السكان الأصليين للمكان، وعبادة لاحقة أدخلها السكان المُحدَثون. فأثينا كانت الربة الأقدم في أتيكا، وبوسيدون كان الرب الكبير للأيونيين، والنزاع والصداقة بين هذين الإلهين على الأكروبوليس هو النظير الديني للصراع والاتحاد بين أتيكا القديمة والعناصر الأيونية للسكان[٦٥].

والخلل الأساسي في هذه الفقرة هو أن فارنل Farnell أرجع معظم المشكلة إلى أنها مشكلة " سلالة" أو عنصر عِرقي وقد سبقه إلى ذلك نيبور B. Niebuhr كما أُعجِبَ به مؤرخو القرن التاسع عشر. طبعًا لربة أثينا كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمدينة أثينا. ونقبل أيضًا الرأى القديم القائل بأن بوسيدون كان حاميًا للأيونيين، وسأذهب إلى أبعد من ذلك وأربط بين ولع الميكينيين به وبين عبادة الهكسوس لست. ومن ناحية أخرى ليس هناك داع للاعتقاد بأنه كان هناك سكانًا أثينيين أصليين وبادوا قبل سيادة الجنس الأيوني[٦٦].

ونلاحظ أن والتر بركرت W. Burkert السويسرى وأحد الثقات المعاصرين في شئون الديانة اليونانية لا يشير إلى هذه النظرية العرقية. ويقلل من التركيز على العامل القومي بينما يركز على علاقة هذين المعبودين بالخيل[٦٧]. وليس هناك شك في أن عدداً من عبادات الحصان قد وُجِدَت، وسوف أوضح في الفصل الرابع كيف أن بوسيدون كان قد ارتبط بالعجلات الحربية منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ومن ناحية أخرى، فليس هناك على حد علمي - وصف أو تمثال لهذين الإلهين وهما يقاتلان من فوق عجلة حربية وآمل أن أوضح فيما بعد أن عبادات أثينا وبوسيدون ومنافستهما سبقت تاريخياً دخول العجلات الحربية إلى بلاد اليونان. ويناقش بركرت Burkert أيضًا - وبالقياس على الصراع بين أبوللون وبوسيدون - أن الصراع بين أثينا وبوسيدون يرمز إلى

(*) هو محرقة البخور، الواسعة الحلق العالية الأرجل الثلاثة، التي كانت تصنع غالبًا من البرونز، وتوضع في حجرة تمثال الإله (Sekos) ، أو : (Cella) قدس الأقداس، وقد التصق رسمها وتوحدت مع شخصية أبوللون، ومعبد الوحي في دلفي، منذ القرن السادس قبل الميلاد . (المحرر)

الصراع بين الأجيال، بين الشباب والشيوخ[٦٨]. فعلاً من الواضح أن أبوللون - كرمز للشمس المشرقة، مثل نظيريه المصريين حورس وخبرى Khepri يبدو فى صورة شاب أصغر سنًا من ستِ غريم عمه بوسيدون، إلا أن الأمر ليس واضحًا بالنسبة لأثينا بالرغم من كونها ابنة أخت بوسيدون، ولا بالنسبة لنيت فكلتاهما ليستا فتاتين بشكل واضح ولكن تجسدان الشباب الدائم على نحو لافت للنظر.

إذًا أخفقت هذه المقترحات، فماذا سوف يتبقى لنا؟ أولاً هناك الافتراض الذى رفضه فارنل Farnell ، وهو أن الصراع هو رمز للتغييرات الطبيعية، إيحاءً إلى مد البحر أوجذره فقد ضللته هنا نظرته البحرية الخالصة إلى الإله الإغريقى. فبوسيدون - مثل ستِ ونظيرهما الأوغاريتى "يم" وتعنى البحر هو إله للاضطراب خارج نطاق الزراعة . وهكذا وعلى الرغم من أن عالمه يشتمل يقينًا على البحر

إلا أنه اشتمل على أشياء أخرى مثل الزلازل وحمير وخيول البدو فى الصحراء ، والصراع الرئيسى الذى أشار إليه فارنل هو الصراع بين الأرض ذات البنية المنظمة والماء الهيولى الطلق والمعركة المصرية بين حورس وستِ تصور دائمًا على معركة بين إنسان وحيوان نهرى أو بحرى ضخم وقوى، تمساح أو فرس نهر على الأرجح. ومن الممتع ملاحظة أن فرسان النهر (hippopotamoi) لا تشبه كثيرًا الخيول، ولذا فالكلمة اليونانية ومفهومها ربما جاءت من ربطهم بين الخيول وستِ ومناظرته لتيفون الإغريقى فيما بعد[٦٩].

وهذه الدلالات النهرية تشرح عبادات أثينا وبوسيدون فى منطقتى آسيا وإسبرطة تقعان عند المنبع وسهل نهر يوروتاس Eurotas ثانى أكبر نهر فى البلوبونيز. (ومحتمل أن الصراع فى أثينا كان أصلاً على سهل تراكيا على ساحل أتيكا) . إلا أن الروابط الوثيقة بين مدينة أثينا وسايس مدينة نيت المحاطة بالمستنقعات، وكذا المزاوجة وهى أقل يقينًا ولكنها محتملة بين ترويزينيا فى أرجوليذا وإسنا مدينة نيت الجنوبية، والتى تتطلب أيضًا عملاً مائيًا، كافية لشرح العبادة المزدوجة لأثينا وبوسيدون فى المدينة اليونانية، ومدينة أثينا موضع الصراع بين أثينا وبوسيدون تشبه كثيرًا مدينة سايس موضع الصراع بين نيت وستِ.

وبدلاً من تأكيد أن العبادة المرتبطة بمثل هذه الآلهة المتباينة لابد وأنها تمثل الصراع الديني بين الشعوب أو بين الإجيال المختلفة، فقد يكون مقبولاً أكثر افتراض أن الصراع هو نفسه شيء رئيسي للعبادة. وقد أثبت فونتنروز (Fontenrose) وآخرون عالمية مثل هذه المعارك بين الآلهة[٧٠]. وهنا أريد ببساطة تأكيد أن الأشكال المميزة لكثير من هذه الموضوعات الموجودة في اليونان هي في معظم الأحوال مصرية أو سامية غربية.

إذ كان السائد في مصر، كما هو الحال في معظم الأماكن الأخرى، أن قوى الطبيعة الشريرة وترويضها أمر ضروري لوجود البشر. هكذا وبينما أرفض أن عبادة الحصان كانت أساسية في الصراع بين أثينا وبوسيدون، فإن بركرت محق فعلاً في قوله " أنه عندما ينشئ بوسيدون الحصان وتبتدع أيضًا اللجام والشكيمة فإنهما يضعان الحيوان في خدمة الإنسان، وهذا شيء عالمي لأنه قدم كوكبة مؤثرة من قوى الطبيعة والحكمة التطبيقية "[٧١].

بوسيدون / ست

سنعود إلى أثينا فيما بعد، ولكن هنا نحتاج إلى التركيز على بوسيدون. فقد كانت له هو أيضًا عبادة في الإقليم الواقع جنوب كوبائيس على بعد عشرة كليومترات شرقي هاليارتوس، حيث كانت هناك أيكة وفيما بعد معبد بوسيدون وأونخستوس Onchestos وحيث أنه كان يقع على الممر الفاصل بين هاليارتوس وطيبة، فقد ربط شاختر بينه وبين مراكز عبادة بوسيدون الأخرى الموجودة على ممرات أو فواصل مائية في غابات تساليا، والتي يُعتَقد أنها ترجع إلى العصر البرونزي. ويربط الباحثون أيضًا بين جنوب اليونان، ويؤكدون أنها نشأت في العصور الميكينية المبكرة[٧٢]. والعبادة الأونخستية كانت متصلة بصفة خاصة بساحات البراري والخيول. وكذلك عبادة كل من بوسيدون وتلفوسا التي وجدت عند نبع تلفوسا (Telphosa) أو (Tilpousa) الموجود عند سفح منحدر تحت الجبل التلفوسي على بعد كيلومتر واحد من الكوميناي[٧٣]. وهناك عاشر بوسيدون الربة المتوحشة إرينيس Erinys وأنجبا الحصان السحري أريون المشهور

بمساعدته هيراكليس لإنقاذ البطل أدرواستوس (Adrastos)) [٧٤]. وقد اتضحت أهمية هذه الأسطورة على نطاق أوسع عند ظهورها فى تلفوسا بأركاديا حيث يُقَال أن بوسيدون اغتصب ديمتر ارينيه هناك وأنجبا أريون[٧٥].

ويبدو في الأسماء المناظرة لإرينى وأريون يبدو أنها مشتقة من كلمة شِقاق eris [٧٦] . وهنا أيضًا تقدم لنا الأساطير المصرية إرشادات مفيدة تُعِيْن على فهم هذه المجموعات الأسطورية .

وقد لاحظ فونتنروز Fontenrose علاقة وثيقة بين إرينيس وكورى برسيفونى[٧٧] وبهذا يمكننا اعتبار إرينيس الترجمة اليونانية لنفتيس المصرية. ونفتيس هى أخت إيزيس (التى نظيرتها اليونانية هى ديمتر الربة الأم للأرض وأم برسيفونى) وزوجة ستِ الذى يماثله في اليونانية القديمة العالم السفلى هاديس. ومثل نظيرتها اليونانية برسيفونى أوكورى، كانت تعتبر نفتيس ربة لكل من الخير والشر معًا. وقد ساعدت الربة المصرية أختها على حماية أوزوريس وحورس ولكنها كانت فى نفس الوقت ربة الموت[٧٨]. وعلى عكس أختها إيزيس ربة الخصوبة الدائمة فقد كانت نفتيس عاقرًا ولكن يُقَال أنها كان لها طفل واحد هو ابن آوى أو الإله أنوبيس، وكما هو الحال فى الأساطير المصرية – وفى غيرها – فإن الشكوك تُحيط بالأب، إذ تؤكد بعض المصادر أنه أخوها أوزوريس ، والبعض الآخر يرى أنه زوجها ست[٧٩]. والرأى الآخر يناسب القصة اليونانية جيدًا أو يربط أنوبيس بأريون ابن بوسيدون. واختلاط أبوة انوبيس هى نتيجة لسمته الأسطورية . وبالرغم من أن ارتباطه الوثيق بالموت (وهو الدور الذى سنناقشه باسهاب فى الفصل الثالث) فإن دوره كان إيجابيًا. فهو مرشد وأحيانًا حامل الروح مثل نظيره اليونانى هرميس مرسل الأرواح. ويشبه أنوبيس أريون في استرداده للموتى وحملهم إلى دار السلام. إذن نجد بصفة عامة أن قصة بوسيدون وإرينيس وأريون تسير على نَهْج النموذج المصرى ذى العلاقة بالحصان .

دلفوس وانوبيس

إلا أن النموذج معقد للغاية حيث أن عدداً من الباحثين رأى توازيًا بين تلفوسا Telphousa - Tilphousa ودلفوس Delphos ابن بوسيدون أو أبوللون وملانثو Melantho أو ملاينا Melaina ابنه ديوكاليون Deukalion (الفيضان) ودلفوسا Delphoussa وهو اسم عين ماء من عيون دلفى الثلاثة[٨٠]. وكانت العلاقة واضحة لأنه طبقًا لنشيد عند هوميروس أسماه " ترنيمة إلى أبوللون الثعبانى" فقد أقام ابوللون معبده وبنوعته عند النبع التلفوسى قبل أن يقوم بهذا فى دلفى[٨١]. وقد تأكد هذا بوجود ثلاثة أشكال لاسم المكان الأركادى Delphousia / Telphousa / Thelpousa وهذا يقودنا إلى التطابق بين دلفوس وأبوللون وإلى التعقيدة المتعلقة بعبادة أبوللون فى دلفى، والتى سنناقشها فى الفصلين ٣ ، ٤ .

وعلى أساس العلاقة التى أوجدها هسيخيوس Hesychios المعجمى الإغريقى من القرن الخامس الميلادى، بين الأسماء الدلفية والكلوانية لكوكب الزهرة Venus طابق فيكتور برار Victor Berard بين مجموعة تلبوسا وتلفوسا ودلفوسيا ,Thelpousa Telphousa, Delphousia وبين نجمة الصباح فى عبادة Dilbat السامية[٨٢]. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه من وجهة نظرناأقل أهمية من اعتبار دلفوس ابن بوسيدون أو أبوللون وميلينا أوميلانثو. إذا قبلنا معادلة بوسيدون بست وحورس ابن أوزوريس بأبوللون، فإن غموض نشأة دلفوس تشبه بوضوح نشأة أنوبيس.

ميلينا Meliana / نفتيس Nephthys

أمومة دلفوس لاتزال تستحوذ على مزيد من الاهتمام ويطابق فونتنروز Fontenrose بين ملينا و " جى " ربة الأرض وبالتالى وبطريقة غير مباشرة بالأرض الأم ديميتر[٨٣]. وما من شك فى أن الاسم Melantho / Melaina له علاقة بالجذر اليونانى (M??av) بمعنى أسود. وباستمرار تسمى الأرض فى الكتابات الإغريقية "بالسوداء". ولهذا السبب يبدو أن ابنها دلفوس كان يعتبر أفريقيًا أسود ويبدو واضحًا

أن صورته هى تلك التى نجدها على عدد من عملات القرن الخامس من دفلي وأثينا[٨٤]. إلا أن الجذر نفسه من أين أتى؟.

ليس ثمة جذر هندى أوروبى للون الأسود، بالرغم من أن Chantraine يرى تشابهًا هنديًا أوروبيًا فى الجذر البلطيقى Meln بمعنى البقعة الزرقاء[٨٥]. إلا أنه من المقبول أكثر أن نشتق هذا من الاسم المصرى (M3nw) ، أى الجبل الغربى حيث تغرب الشمس فى المساء ، ومدخل العالم السفلى (ويناقش هذا أكثر في الفصلين الرابع والعاشر) [٨٦]. والاشتقاق من M3nw يناظر الجذر السامي √rb> بمعنى " يدخل " ، "المكان الذى تغرب فيه الشمس"، " الغرب " و "أسود "، وقد كتبها هوميدوس erebos وحددت في قاموس ليدل وسكوت Liddell and Scott بـ " المكان السفلى " المظلم الذى يمثل مَعْبَرًا من الأرض إلى هاديس". وشبه مؤكد أنها تأتى من الكلمة الأكادية erebu بمعنى الغروب .

وفى هذه الحالة فإن Melanlho / Melaina ربما لا تعنى فقط " أسود" ولكن سواد الغرب والمساء . وهذا يربطهما بـ (Europa) التى يشتق اسمها من rb> والتى لعبت دورًا هامًا فى أساطير بؤتيا وعبادتها[٨٧]. وعلاقتها بالغسق تربطها أيضًا بربتين مصريتين يونانيتين هما (Hrt Tmt) وأرتميس اللبوة المتوحشة وربة شمس المساء، أو نفتيس وبرسيفونى، ربة الحد الفاصل بين الحياة والموت والنهار والليل. وبعد ان أشرنا إلى علاقتها بديمييز وموازاتها بالأساطير التلفوسية عن خطف بوسيدون لإرينى، فإن التفسير الأخير هو الأكثر احتمالاً والمطابقة هنا أوثق وقد رأى بلوتارخوس فى مؤلفة "عن إيزيس وأوزوريس" De Iside et Osiride العلاقة المحرمة بين أوزوريس ونفتيس كقصة رمزية:

أبعد أجزاء الأرض بجانب الجبال والحد المتاخم للبحر الذى يسميه المصريون نفتيس. ولذلك فهم يسمون نفتيس " النهاية " telente ويقولون بأنها زوجة تيفون. إذن كلما فاض النيل بمياه غزيرة فإنه يصل إلى الأقاليم البعيدة، ويسمون هذا بالاتحاد بين أوزوريس ونفتيس، والذى يدل عليه ظهور النباتات[٨٨].

وكما أسلفنا فمنبع تلفوسا يُوجَد عند سَفْح مُنْحدر على بعد أمتار قليلة من الحافة التاريخية لبحيرة كوبائيس ولكن على بعد كيلو واحد من الخمسة وتسعين متراً التى تمثل المحيط والذى يبدو أنه كان المستوى فى العصور القديمة جداً[٨٩]. والنبع كان بالضبط على حافة السهل، تماماً مثلما وصف بلوتارخوس إقليم نفتيس فى مصر. والفرق الرئيسى في القصة المصرية هو أن نفتيس ، زوجة ستِ ، كانت قد أغواها أوزوريس واهب الفيضان الخيِّر. ونجد من ناحية أخرى ، فى الأساطير اليونانية أن هاديس خطف برسيفونى وأن بوسيدون رمز المياه الطافية اغتصب إرينى Melantho / Melaina فى تلفوسا إلا أن التوازى ملحوظاً بين قصة بلوتارخوس والأسطورة البؤتية.

ولكى يكون لهذا التناظر دلالته فلابد من الوفاء بشرطين عسيرين. أولاً لابد من قبول المطابقة بين بوسيدون وستِ وكذا بين برسيفونى ونفتيس. وبالرغم من أنه لم يكن مقبولاً رسمياً فى العصور الكلاسيكية والهلينستية. إلا أننى آمل فى أن أدلل على هذه الروابط فى الأجزاء التالية. والشرط الثانى هو أنه إذا كانت القصة المصرية قديمة جداً، كما تبدو، فإن مدلولها الرمزى كان لأكثر من ألف عام قبل بلوتارخوس وهذا أيضاً ليس من الصعب قبوله كما سيتضح. وهناك أمثلة كثيرة أوضحها روايته للأساطير التى تدور حول أوزوريس، حيث يبدو بلوتارخوس متأثراً بالتقاليد التى ترجع إلى ألف عام مضت[٩٠]. وإذا سلمنا بتطابق نفثيس مع برسيفونى إرينيس، فإن فرص التوازى الملحوظ بين أسطورة تلفوسا وقصة بلوتارخوس وهى مثل على التفسير الإغريقى Interpretatio Graeca جديرة بالإهمال (وعبارة التفسير الإغريقى هى التعبير المستعمل من قبل الباحثين المؤيدين للنظرية الآرية Aryanists لوصف ما رأوا أنه تفسير خاطئ للإغريق المتأخرين لثقافتهم على أنها استعارت عناصر عميقة من مصر وجنوب آسيا. وحدث هذا نظراً لقدم عهد الديانات البؤتية وبالتحديد لأن الإغريق والمصريين أخفقوا فى العصور الكلاسيكية فى إعطاء اعتراف عام بمطابقة كل من ستِ وبوسيدون .

أريون وبيجاسوس

إن قصة حمل وميلاد الحصان السحرى أريون، حسب روايات علماء كثيرين ، مشابهة جداً لقصة بلليروفون وبيجاسوس[٩١]. فبيجاسوس، الحصان الطائر ، المفروض أنه ابن بوسيدون من ميدوسا وأنجباه فى غرب هيبربوريا الأسطورية أوليبيا ، وهو مرتبط بالينابيع بصفة خاصة. وبعد أن أمسك البطل بليروفون ببيجاسوس وروضه استعان على قتل الوحش خيمير Chimaera . وبعد ذلك ، وبينما كان بليروفون جزيئاً لجرأته على الطيران إلى جبل أوليمبوس وصل بيجاسوس إلى قمة الجبل وبقى هناك كخادم للآلهة .

ويرى ميخائيل أستور Michael Astour أن الاسم بليرفون Bellerophon يشتق من الكلمة السامية بعل- لافون – Ba<al- raphôn بمعنى الرب الشافى. كما يرى أن الكثير من أسلافه، كما هو الحال بالنسبة لموضوعات أيقونات بيجاسوس وبعض موضوعات الأساطير التى تدور حوله، من الواضح أنهم من جنوب غرب آسيا[٩٢]. إلا أنه لم يستطع أن يشرح اسم بيجاسوس أو نسبه.

على الأقل منذ عصر هسيودوس، الذى أحدده فى القرن العاشر قبل الميلاد ارتبط اسم بيجاسوس بكلمة (Pege) أو (Paga) بمعنى عين أو مياه جارية[٩٣] واسترابون، فى القرن الأول قبل الميلاد، أشار إلى هيبوكرينى Hippokrene بمعنى نبع الحصان على أنه نبع بيجاسوس على جبل هليكون، على بُعْد عشرة كيلو مترات جنوب تلفوسيون وبحيرة كوبائيس ويسلم كانترين Chantraine بأن هذا الاشتقاق غامض ولكنه يذهب إلى هذا التفكير لأن الينابيع تكون باردة . و pege لها علاقة بالفعل Pegnymi بمعنى يلتصق بـ ونادراً ما يأتى بمعنى يتجمد. وهذا غريب حيث إنَّ Pege أو فعلها Pegazo تحملان بالتحديد معنى التدفق أو حركة الماء السائل، أو الدموع، وهكذا[٩٤].

ولعل من الأوفق اشتقاق Pege وبيجاسوس من المجموعة المصرية لدلالات الألفاظ وتطورها والتى تتضمن كلمات مثل Pg3w بمعنى أوانى للغسيل و(Pg3) بمعنى فتحة ،

g3 بمعنى يتفجر وPgy بمعنى يجرح، وكلها تكتب مع كلمة محدودة هى (Psgorpgs) بمعنى لعاب أو يبصق - وعلينا ملاحظة أن بيجاسوس قد انبجس من عُنق أمه ميدوسا. والأكثر من هذا، فقد كانت هناك أسماء أماكن Pg3 و Pgs [٩٥].

صلة ليبيا بالخيول

من المحتمل أن الاسم تلفوسيا Tilphossia مشتق من T3lbyw (ليبيا) وهو ما سنناقشه لاحقًا. وهنا سأدرس العلاقة بين الخيل والينابيع الموجودة فى ليبيا مستعملاً الاسم بالمعنى الحديث الدال على دولة ليبيا وأيضًا بالمعنى القديم إذ كانت تشمل كل المغرب والصحراء الغربية. فى العصور الكلاسيكية، مثلما هو الحال الآن، كان البلد الموجود إلى الغرب من مصر معروفًا برمله، إلا أنه عُرف فيما بعد بخيوله أيضًا وعرباته وواحاته، ويبدو أن الحمير والخيول قد دخلت إلى ليبيا عبر مصر، فقط فى منتصف الألف الثانى وبداية المملكة الجديدة، وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة، فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. استولى المصريون على أعداد كبيرة منها[٩٦]. وفى العصر الكلاسيكى أصبحت ليبيا هى بلد الخيل بامتياز excellence Par . وأطلق بندار على منطقة قورينى التى تقع شرق البلاد اسم "الحصان الجيد" كما أطلق عليها كاليماخوس شاعر القرن الثالث اسم " أفضل حصان للحمل"[٩٧]. إلا أن أوريك باتيس Oric Bates وهو كاتب من أوائل القرن العشرين كان يشير إلى الليبيين القدماء بكلمة " الخيول "، وكان يصفهم بأنهم أصغر من الجياد ولكن أقوياء ونحاف وسريعيين. وكانوا مدربين جيدًا على اتباع سادتهم مثل الكلاب[٩٨]. وهذا مثير فى ضوء مضاهاة أنوبيس الكلبى والحصان أريون كما أشرنا سالفًا.

ومثلما اشتهر الليبيون بأنهم فرسان مَهَرة، فقد اشتهروا أيضًا بأنهم سائقو عربات ممتازون. وادعى رمسيس الثالث فى عام ١١٧١ ق.م أنه سلب منهم حوالى مائة عربة[٩٩]. وقد وُجِدَت رسومات على الحجر يرجع بعضها إلى ما حول هذه الفترة - فى الصحراء جنوبًا وحتى النيجر، وتصور هذه الرسومات مئات العربات[١٠٠]. وفى العصور الكلاسيكية كانت كل القبائل الأفريقية الشمالية تقريبًا تستخدم العربات

لأغراض حربية[١٠١]. وطبقًا لهيرودوت فإن العجلات ذات الأربعة جياد كانت قد دخلت إلى بلاد اليونان عن طريق ليبيا[١٠٢]. وإذ يشير هوميروس إلى استعمالها، فهذا لابد أنه كان قبل ٨٠٠ ق.م. وربما قبل ذلك[١٠٣]. والأكثر احتمالاً هو القرن الثاني عشر عندما كان الليبيون والإغريق متحالفين لكونهما من شعوب البحر[*].

ويمكن ملاحظة العلاقة بين الجياد والعربات من ناحية وبين العيون والواحات من ناحية أخرى من أسماء المغيرين البدو فى ليبيا. وإحدى القبائل الشهيرة التي أغارت على الساحل من الداخل، على ظهور الخيل أو مستعمله عربات، هى قبيلة النيجر Vigretai أو Nigretes الذين ترجع إلى سُمرتهم المحببة الكلمة اللاتينية niger ، والتى اشتقت منها negro فى كل من البراتغالية والأسبانية والإنجليزية . وقد أتى اسمهم من الجذر السامى n)gr√) بمعنى الماء المُنساب فى الرمل ، وهو أصل لأسماء جغرافية مثل Ger, Nugar, Niger نهر النيجر الشهير الذى ينساب لأسباب غير معروفه من المحيط الأطلنطى شرقًا نحو الصحراء[١٠٤].

سكان الواحات Nobatai

الجذر السامى nbt√ يعنى تدفق الماء أو الواحة. وكان أحيانًا يطلق على سكان الصحراء الواحات اسم Nabatu أو Nabati أو الأنباط فى شبه الجزيرة العربية. ولكن الموقف يتعقد بوجود مكان فى مصر اسمه نبط Nbyt أو Nbt إشارة إلى بلدتين فى صعيد مصر كانتا تعرفان باسم Ombos و Ombi وأومبوس كانت متاخمة للصحراء وهى أهم مركز لعبادة ست وقد كان معروفًا دائمًا باسم رب أومبوس أو نبطى[١٠٥]. ولهذا نجد شعوب الواحات يربطها بالإله ست رباط وثيق نظرًا لأنه رب الصحراء وسكانها وحيواناتها. ولذا فمن المستحيل اكتشاف أى منها هو أصل الاسم Nobatai ،

(*) والأدق ، أثريًا، أنها دخلت إلى اليونان مع الميكينين – ولا علاقة لليبيا بذلك – فقد أثبتت الحفائر فى اليونان فيما قبل ١٢٠٠ ق.م، أن العجلات الحربية كانت معروفة لديهم ومستخدمة بكثرة، وبخاصة من حفائر قصر تيرنس Tiryns فى أرجوس . (المحرر)

وهــم شعب بدوى كان يعيش فى الصحراء الشرقية. وكانت مدينتهم عند أعالى النيل فى النوبة وكانت تعرف باسم Nabata أو Napata[١٠٦]. وفى العصر البطلمى كان هناك تعبير جغرافى T3N3pytw ومعناه أرض Napitu ، والتي يحدد مكانها بليبيا عالم الجغرافيا المتخصص فى مصر القديمة هنرى جوثير Henri Gautheir ، واسترد هذه الأرض الإمبراطور الرومانى ديوكلتيانوس لحماية الحدود الجنوبية لمصر عام ٢٩٤م[١٠٧]. وبُذلَت محاولات متعددة للمطابقة بينها وبين قبائل ليبية معينة ولكنها لم تكن محاولات مُقنعة[١٠٨]. بَيْد أن هناك إشارات كثيرة إلى أن Nobatai "سكان الواحات" كانوا يحصلون على معلوماتهم من ليبيا وأيضًا من النوبة وشبه الجزيرة العربية Arabia .

سِت وبوسيدون ، نبتى ونبتيون

طبقًا لهيرودوت، فالعربة ذات الأربعة جياد ليست فقط هى التى أتت إلى بلاد اليونان من ليبيا ولكن أيضًا إلهها الراعى بوسيدون : فالليبيون هم الشعب الوحيد الذى كان يعرف دائمًا اسم بوسيدون وكان يعبده دائما[١٠٩]. يفيدنا بشىء فى هذا الشأن ألان لويد Alan Lioyd الذى كتب تعليقًا ممتازًا على الكتاب الثانى لهرودوت وهو عن مصر، ويؤكد لويد، إلتزامًا منه بالنموذج الآرى ، أن الأصل الهندى الأوروبى/ اليونانى لبوسيدون لا يدانيه شك ويرجع تاريخ دخوله بلاد اليونان إلى العصر الآخى على الأقل (العصر البرونزى المتأخر) [١١٠]. وافتراضى المبدئى الذى ذكرته فى الجزء الاول يفيد بأن اسم بوسيدون مشتق من الكلمة المهجنة من اللغتين المصرية والسامية P3(w) أى Sidôn بمعنى الذى من صيدا[١١١].

وهكذا فإننى لا أقبل أن الاسم كان إما اسم هندى أوروبى أو ليبى. ومثلما ناقشت آنفًا، فإننى أرى أنه نظير ست المصرى الذى كان يُعتَبر فى العصور الكلاسيكية مثالاً للشر.

وقد يُفسر لنا هذا لماذا كان الرواه المصريون الذين أخذ عنهم هيرودوت صارمين جداً فى رفضهم بوسيدون وهو الإله المبجل فى بلاد اليونان، كأحد أفراد الآلهة المصرية كما يفسر لماذا كانوا يرونه كإله للبرية الخارجية، ومن ثم كان إلهاً ليبيًا. ومن المحتمل أن يكون هيرودوت قد حذا حذو الرواة المصريين وربط بوسيدون بنهر تريتون Triton وبحيرة تريتونيس Tritonis فى ليبيا أو إلى الغرب قليلاً[١١٢] وهكذا يبدو أن الإله كان مرتبطاً بالمياه الداخلية فى ليبيا، وأيضاً بالصيد والجياد وعربات سكان الواحات المشاغبين.

وهنا يجب أن نأخذ فى الاعتبار اسم نبتون النظير الإيطالى لبوسيدون. ولنرجع للحظة إلى الجذر السامى √nbt بمعنى الواحات وسكانها، وهو ما ظهر فى أسماء الأماكن Nabata و Napata وأيضاً قبيلة Nabatai التى كانت تعيش فى شرق ليبيا فى العصور القديمة المتأخرة ومدينة Napete قرب روما كان بها نهر وينابيع، وحسب وصف الأثرى جورج دنيس George Dennis لها عام ١٨٤٠ م: (المسافر) غادر برارى كمبانيا ودخل منطقة غابات. وهى إحدى المناطق القليلة فى وسط إيطاليا والتى تُذَكِّرْ الإنجليزى بوطنه ... هذا الامتداد للمروج الخضراء اليانعة ... والمنظر ككل يكون تقليداً حيًا – وهو شىء نادر فى قارة أوروبا – لمنظر طبيعى فى حديقة إنجليزية[١١٣].

لقد كانت فى الواقع واحة. وسوف نناقش فى الفصل الثالث وجود اشتقاقات سامية مقبولة لأسماء أماكن حول روما– بما فيها اسم المدينة نفسها. وهكذا فإن اشتقاق Nepete من الجذر السامى لا يمكن رفضه بسهوله. واللاحقة السامية الغربية الدالة على شخص أو قبيلة معينة ôn أو an ، تجعل Nepete أصلاً مقبولاً لنبتون Neptun والمرشح الرئيسى الآخر هو الكلمة المصرية Nbty-Seth [١١٤] . وهكذا فوجود اسم Nepete يشى بأن بعض الناس رأوا تشابهًا بين واحات الصحراء ومنابع المياه الأوروبية وضواحيها القريبة منها، فى الأقاليم الجافة. وإذا قبلنا بهذه الخلفية، فإن علاقة بوسيدون بالربة فى تلفوسا تبدو طبيعية .

بوسيدون ، تيلفوسا وليبيا

هل يمكن استنتاج أي شيء من الاسم Tilphousa / Telphousa / Thelpousa نفسه؟ يبدو أن هناك على أحد المستويات علاقة بين دلفوسا ودلفوس ,Delphos Delphousa وبين معناها الأساسى " اثنان" أو " أخ " وهو ما أشرنا إليه آنفًا وسوف نناقشه ثانية فى الفصل الرابع[115] وسأناقش أيضًا العلاقة بين اسم المكان فى اللغة المصرية T3lbyw أى أرض ليبيا واللاحقة الإيجية S(s)a[116]– ونادرًا ما نجد من يشهد على أن T3lbyw ضَرْبٌ آخر من كلمة Rb أو Libu أى الليبيون. ولم يظهر هذا الاسم ذاته إلا منذ عهد رمسيس الثانى فى القرن الثالث قبل الميلاد وكان يعنى آنذاك ، فيما يبدو، قبيلة بعيدة غرب مصر[117]. وإبان غزو شعوب البحر، أي الشعوب من الشمال الغربى ومن الغرب، أصبح libu - من وجهة النظر المصرية – قادة الصحراء الغربية.

ولكى نكشف عن التناظر بين (T3lbyw) وتلفوسا البؤتية حرى بنا ألا ننسى أن الإغريق، منذ عهد هوميروس وربما قبل ذلك ، كانوا ينظرون إلى ليبيا على أنها تشمل كل أفريقيا الواقعة غرب النيل[118]. وعظم هذه المساحة كانت عبارة عن صحراء وواحات؛ مثلما كانت تلفوسا البؤتية التى شكلت المنحدر شديد الانحدار والنبع الذى يشبه الواحة والذى كان ينبع منه ويفيض تحته – كما في ليبيا – نهر تريتون Triton المرتبط ببحيرة سَبِخة[119]. ولذلك يمكن اعتبار كلاً من تلفوسا وليبيا كنية لربة توازى الربة المصرية نفثيس أخت إيزيس العاقر وإرينيس/ برسيفونى الإغريقية، أخت الخائفة إيزيس نظير ديميتر. وإذا كانت Melaina/ Melantha نظير إرينيس مرتبطة بـ M3nw الجبل المصرى العربى، كما افترضت آنفًا، فإن هذا يشى بعلاقة مع ليبيا[120]. والأكثر من هذا ، فليبيا مثلها مثل إفريقيا ربما توازى أيضاً السواد فى Melaine/ Melantha Delphos [121] . هذه (التوازيات) وأساطير بوسيدون المرتبطة بليبيا تجعل الاشتقاق Telphusa من T3lbyw مقبولاً تمامًا.

تلفوسا الأركادية

إن مضاهاة تلفوسا فى أركاديا بليبيا من الناحية الجغرافية أقل وضوحًا. فتلفوسا الأركادية كانت تقع على نهر لادون Laden حيث ظهرت من مضيق ثم انتشرت في قنوات مختلفة على سهل فيض صغير. واسم لادون يبدو كبديل لاسم نهر Ismenos الذى فاض إلى أبعد من طيبة في بؤتيا وأيضًا يظهر مرتين فى البلوبونيز – مرة فى أركاديا ومرة فى إليس Elis فى أركاديا ينبع من العيون التى منشأها بحيرة (Pheneos) حيث كان يعبد كل من أثينا وبوسيدون معًا. وكانت هذه العيون أو القنوات تتعرض بصفة مستمرة للهزات الأرضية، وهذا كان يؤدى إلى توقف اندفاع الفيضان[١٢٢]. وكل هذا يمكن أن يُعْزَى " بوضوح إلى بوسيدون، إله الزلازل، وربما يشرح فكرة خطف ديميتر إرينيس فى اتجاه مجرى النهر فى تلفوسا . وفى إليس يصب نهر لادون فى نهر بنيوس Peneios فى إليان بيلوس (Elean Pylos) أو قوس البوابة والعلاقة المزدوجة بين الاسمين مهمة، خاصة وأن بنيوس Peneus عنده اشتقاق مصرى فى P3Nw(y) بمعنى الماء أو الفيضان[١٢٣].

وقد أشار أستور إلى وجود نهر لاثون (Lathon) أو ليتون ((Letonعبر مسافة غير بعيدة عن بحيرة تريتون فى ليبيا. ويربط أستور هذا بالتنين الأوغاريتى (th n) والإله العبرى (Liuwgatau) (ومنها Leviaghan) الذى يضاهية العلماء المُحَدثون بإله البحر الأوغاريتى يم Yam(m)[١٢٤] والذى يقوى هذا الاشتقاق هو لادون ladon الأسطورى – الثعبان الذى كان يحرس تفاحات هسبريديس الذهبية – والذى قتله هيراكليس، ربما فى ليبيا. وطبقًا لهيسود فمن الممكن أن يكون هذا الثعبان نهرا[١٢٥]. ففكرة أن العالم مُحاط بنهر / ثعبان/ تنين، وبداخله الجحيم تظهر فى نص غنوحى أو باطنى Gnostic روحى مصرى ، Pistis Sophia ، من القرن الثانى أو الثالث الميلادى، ويربطه عالم الأساطير جوزيف فونتنروز Fountenrose بالمفاهيم المصرية المبكرة[١٢٦]. وسوف أناقش بتفصيل أكثر فى الفصل السابع عند ربطة بأطلس Atals- Atantos المحيط الذى يُحيط بالعالم، وكل من العملاق أطلس والمحيط الأطلسى ، كل منها له علاقة وثيقة بهراكليس وهسبريديس وليبيا[١٢٧].

ونلاحظ أن شـــارح أبوللونيـــوس الرودس يصف لادون (Ladon) على أنه التنين تيفون، الذى مات في منابع نهر العاصى في سورية[١٢٨]. وكثيراً ما يُعزى مجرى نهر العاصى إلى حركة الزلازل. وتيفون هو النظير الإغريقى الرسمي للإله ستِ. ويشير أستور في هذا الصدد إلى أن يم Ym(m) الأوغاريتى أو (Tpt Nhr) (نهر القاضى)، والمعادل للرب ستِ وبوسيدون كان يظهر على شكل تنين[١٢٩]. وهكذا، وفى بلاد الإغريق نجد أن مصر والشرق لها علاقة بالأنهار والتنين ورب الفوضى.

نيت / أثينا ونفتيس /إرينيس

يرجع بنا لادون Ladon في بؤتيا إلى شواطئ البحيرات في بؤتيا، حيث ندرك بسهولة وجود بوسيدون كإله لكل من المستنقعات البرية والينابيع. وكذلك الحال بالنسبة إلى وجود إرينيس Erinys ، إذا ما ربطنا بينهما وبين برسيفونى ونفثيس زوجة ستِ. وبالمثل، وجود أثينا كربة لتنظيم المياه واستصلاح الأرض هو بالضبط ما يجب أن نتوقعه في مكان يجمع بين الاثنين. إلا أن هناك بعض الصعوبة فى فهم العلاقة بين الربتين.

شيء واحد كان يجمعهما هو الجورجون، ميدوسا، التى أشرت إليها آنفًا والتى كانت تربطها علاقة وثيقة مع برسيفونى/ نفثيس، ومع ليبيا بطريقة ثانوية. إلا أنه، بينما كانت أثينا متورطة فى قتل الوحش وضرب عنقه، كانت ترتدى وجهها وبهذه الطريقة كانت متصلة بها. وهذه العلاقة التى ترجع إلى العصر البرونزى ستناقش لاحقًا فى الفصل الثالث .

أونكا/ أنونكيس Onka / Anukis

نحن هنا معنيون بعلاقة أخرى بين ربتين هما نيت / أثينا و نفثيس / إرينيس وهى الموجودة فى الاسم أونكا Onka . نلاحظ أن مزار ديميتر إرينيس في تلفوسا

الأركـادية كـان بمنطة أونكيـون Onkeion . وهذا هو لقب الملك أونكوس Onkos الذى كان يعتبر ابن أبوللون أونكايوس Onkaios[١٣٠] . ويبدو أن هؤلاء اتخذوا أسماءهم من الموقع أكثر من الأشياء المحيطة.

ويكاد يكون من المؤكد أن اشتقاق أونكا Onka يأتي من اسم الربة المصرية Γnkt ، التى عرفها الإغريق فى العصر الهيلينستى بأنوكيس Anukis . والمقطع qgins> فى اللغتين المصرية والسامية كان دائمًا مرتبطًا بالحرفين المتحركين الخلفيين o و r فمثلاً اللاحقة القبطية o مشتقة من اللاحقة المصرية Γ3 بمعنى عظيم والقبطية onh و onh تقابل Γηh بمعنى حياه. والمقطع النهائي - ts كان عادة يحذف فى اللغة المصرية ودائمًا كان يحذف فى اللغة اليونانية. وهكذا فليس ثمة مشكلة صوتية فى اشتقاق Onka من Γnkt .

وأنوكيس Anukis كانت لها علاقة بالكبش خالق العالم الرب خنوم Khunm فى إلفنتين، على الحدود الجنوبية لمصر عند منحدرات الشلال الأول. وكانت على صلة بالجزر الموجودة بالشلال بالقرب منه، وأشهرها Sahel و Elephantine و Philai[١٣١] وكربة للمكان الذى يفيض منه النيل على مصر، فقد كانت متصلة أيضًا بمنابع النيل – التى طبقًا لهيرودوت كانت أحيانًا ترى على أنها عيون Pegai – كما كانت لها صلة بفيضان النيل[١٣٢]. وحيوانها المقدس هو الغزال P3ghs . وهذا مهم فى ضوء أحد اشتقاقات بيجاسوس المذكورة آنفًا. والغزال له علاقة بالسرعة gst ، سرعة المياه المندفعة إلى ما وراء جزر أنوكيس Aunkis . والصورة الآدمية لأنوكيس كانت عادة تصور بتسريحة نوبية وكانت ترى على أنها غير مصرية[١٣٣]. وكانت أيضًا على صلة بنفثيس.

وهكذا فالاسم Onkaios ، محدد تمامًا فى جميع الأحوال. وموقعها فى تلفوسا حيث هدأت حركة نهر لادون بعد أن كان يتدفق بسرعة، لتظهر بالجزر وحيث استقرت ديميتر إرينيس كل هذا يتطابق تمامًا – وإن كان على نطاق، أضيق – مع مراكز عبادة Γnkt فوق جزر شلالات النيل وارتباطها بنفتيس.

نيت / أثينا وأنوكيس / أونكا

كانت عبادة أثينا أونكا أو أونجا Onka أو Onga معروفة أكثر من عبادة أونكايوس Onkaios . وطبقًا للأسطورة فقد أسسها كادموس Kadmos في مكان وسط طيبة حيث استقرت البقرة المقدسة ، بعد أن قادته لتأسيس المدينة .

وبقبول الروابط القائمة بين نيت وأثينا وبين أنوكيس وأونكا، لنا أن نتوقع وجود علاقات بين نيت وأنوكيس. إلا أنه لم يثبت وجود علاقات بين الربتين المصريتين. ولكن ليس عسيرًا علينا أن نتصور، كما هو الحال في العصر البطلمي، أن الربة نيت والإله الكبش خنوم كانا الزوجان المقدسان في إسنا وكانا يقدمان على أنهما شكلان لنفس الإله خالق العالم. والأكثر من هذا، فقد كانت نيت على هيئة البقرة المقدسة الخالقة أخت 3h3t . كانت ترى على أنها أم خنوم ويعتقد رمضان السيد، الذي وضع مُؤلَّفًا قَيمًا عن نيت ، أن الربط بين نيت وخنوم كان أقدم من هذا[١٣٤].

ولعل هذه العلاقة قد انعكست على العبادات اليونانية. لقد كان خنوم معروفًا جدًا بكونه سيد الشلالات Nb Kbbw وأحيانًا كان يشار إليه ببساطة بـ Kbh[١٣٥] . وسنناقش في الفصل القادم كفيسوس Kephis(s)os ، المرتبط بروافد كانت تفيض تحت الأرض[١٣٦]. كفيسوس أيضًا شخصية أسطورية، وأعتقد أنه بهذا لابد وأن يرتبط بخنوم. في إرجوس ، على سبيل المثال، كان كفيسوس أحد القضاة الذين أيدوا فتح الإقليم لهيرا وليس لبوسيدون، وهي أسطورة قريبة جدًا من الصراع بين بوسيدون وأثينا والذي أشرنا إليه آنفًا[١٣٧].

في مدينة أرجوس كان هناك معبد لكنيسوس حيث أحضر باوسانياس رأس ميدوسا[١٣٨]. وسبق أن أشرنا إلى أن العلاقة بين ميدوسا وكل من أثينا وإيرينيس / برسيفوني: وبالمثل في مصر العليا، ليست نيت فقط بل أنوكيس (Anukis) ونفثيس كانتا رفيقتان حميمتان لخنوم. هكذا، يمكن أنْ تكون هناك علاقة بين أنوكيس ونيت عبر خنوم / كفيسوس.

وتأكد أكثر الربط بين أثينا أونكا وعلاقتها التقليدية بالبقرة التى قادت إلى تأسيس طيبة وبين نيت بفضل نقوش ترجع إلى العصر الرومانى تتضمن إشارة إلى معبدها الكبير فى إسنا إلى نيت على أنها أخت Ahet السابحة مع الشمس بين قرنيها لتستقر فى سايس[١٣٩]. ويبدو أن قصة أخت هذه قديمة. وكما أشرنا آنفًا، فقد كانت نيت تطابق بقرة المستنقع الكبير Mht Wrt فى نصوص الهرم من الألف الثالثة[١٤٠]. كما نعرف أيضًا أن نيت كانت متطابقة مع مدينتها، سايس أو Ht Nt بمعنى بيت نيت منذ عهد الأسرات المبكر. وإذا أخذنا فى الاعتبار تسليمنا بأنها أم رع فى نصوص الموتى من المملكة الوسطى، فمن المحتمل أن يعكس النقش المتأخر فى إسنا قصة أقدم بكثير[١٤١].

وقد أوضح ميخائيل أستور (M. Astour) أن قصة اتباع بقرة لاكتشاف مكان بناء مدينة نجدها واردة فى التوراة وربما كانت معروفة فى مكان آخر فى الحضارة السامية الغربية[١٤٢]. ولكن التماثل الأقرب هو ما نجده بين نيت باعتبارها أخت وتأسيس مدينة سايس وبين قصة كادموس الذى اقتفى أثر البقرة وضحى بها فدية إلى أثينا وقام بتأسيس كل من طيبة وعبادة أثينا أونكا . وعلاوة على هذا فإن الأسطورة المصرية تركز على نيت باعتبارها أخت ، وهذا هو تحديداً سمة الربة التى كانت أقرب لخنوم، حيث إن أخت كانت أم خنوم، ومن ثم لأنوكيس . هكذا ، فإن سياق أسطورة تأسيس أى مدينة ، خاصة مدينة لها وضع طيبة الجغرافى - انظر ما يلى - سيكون تحديد السياق الذى نتوقع أن نجد فيه اندماجًا بين نيت / أثينا وبين أنوكيس/ أونكا.

وكتب باوسانياس عن العبادة الطيبية لأثينا أونجا فقال أن أولئك الذين كانوا يعتقدون أن كادموس كان مصريًا وليس فينيقيًا قد جاء إلى طيبة، إنما تناقضهم حقيقة أن " أثينا " هذه تسمى أونجا فى الفينيقية وليس سايس باللغة المصرية[١٤٣]. وسوف نناقش فى الفصل الثانى عشر مسألة الخلط بين الأصل المصرى والفينيقى لكادموس. وهنا أود أن أشير إلى أن باوسانياس كان محقًا فى افتراض حتمية وجود علاقة وثيقة بين أثينا وسايس كما كان محقًا فى حيرته إزاء أثينا أونكا. وأثينا أونكا ليس اسم الربة الرسمى، بل هو دمج بينها وبين أنوكيس Anukis . فباوسانياس محق فعلاً فى كونه غير متأكد مما إذا كانت أونكا مصرية أم فينيقية.

والأصل الأكثر احتمالاً للاسم نخت nkt وهو الاسم المصرى لأنوكيس Tnkt أنه مشتق من الفعل ink بمعنى يطوق. وهذا يشير إلى جزرها المحاطة بفروع النهر. إلا أننا نجد الأصل السامى rnq√ بمعنى قلادة أكثر توازيًا، فالفكرة إما أن الأنهار المنهمرة كانت كالقلادة أو أن الجزر كانت تبدو داخل الشلال مثل عقد من الجواهر. وهذا يبدو بعيد الاحتمال لعاملين :

أولاً: هناك الموقع الجغرافى لطيبة، فهى على جرف فوق سهل طيبة الذى كان ينساب فوقه نهران أو ثلاثة لتتجمع بعد ذلك فى القاع. وهكذا فالموقع يشبه كلاً من الجزر المصرية Tnkt والسامية Tnq بمعنى قلادة[١٤٤] .

ثانياً: حقيقة أن الموقع الجغرافى كان يرى بهذه الطريقة فى العصور القديمة وهو ما يثبته حقيقة أن اسم ملكة كادموس هو هارمونيا Harmonia بمعنى " ينظم حبات العقد " ، وأن أشهر هدية كانت تقدم فى الزفاف هى قلادة[١٤٥].

وكل هذه العلاقات يمكن رؤيتها فى مسرحية يوريبيديس " الفينيقيات" فبينما كانت تسقط المدينة ، كانت الجوقة المكونة من نساء فينيقيات تغنى احتفالاً بتأسيسها الفينيقى:

ومن ثم قدمت الآلهة المقدسة لحضور زفاف هارمونيا
وارتفعت أسوار طيبة عالية على أنغام القيثارة وعلى
دعوة قيثارة أمفيون.
وعلى الأرض ما بين النهرين وقفت أبراجها شامخة.
حيث جلست ديركى وايزميونوس جنبًا إلى جنب.
يندى السهل الأخضر الخصيب[١٤٦].

لاحظ الإشارة المتكررة إلى الخيوط أو الأوتار وهى مشتقة من هارمونيا Harmonia و Harmon المشتقة من الجذر السامى √hrm بمعنى خيط أو شبكة وهو ما سنناقشه فى الفصل الثالث.

وبالطبع هارمونيا لها صفات أسطورية أخرى كبيرة . وقد أوضح أستور على سبيل المثال، العلاقات بين السوماريين والربات الساميات بلقب " سيدة البيت أو القصر"[١٤٧]. وهذا يقربها من نفثيس أو Nbt Ht التى تعنى أيضًا "سيدة البيت". هكذا فالعلاقة بين عبادة أونكا وهارمونيا فى طيبة البؤتية تتطابق مع المواءمة المصرية بين أنوكيس ونفثيس. وهناك قصة أخرى عن هارمونيا مؤداها أنها وزوجها كادموس تحولا إلى ثعبانين وذهبا ليعيشا فى هسبريديس فى آخر حياتهم. وهذه الأسطورة أيضًا لها عدة أوجه، إحداهما هو أن أحد خيوط القلادة هو نهر إيزمنيوس/ لادون Ismenios / Ladon (الذى كان يعيش فى هسبيريدس أيضًا)، وهارمونيا كانت فعلاً حية[١٤٨]. إلا أن النقطة الرئيسية التى أردت التركيز عليها هن هى أن اسم هارمونيا بمعنى " قلادة " يجعلها قريبة من Ꞁng وꞀnkt و Onka .

كما رأينا، فإن الاشتقاق الأكثر احتمالاً لـ Ꞁnkt يأتى من فعل ink . واللغة المصرية أيضًا بها كلمة Ꞁnkt بمعنى قلادة. إلا أن وجود أسماء سامية أخرى كثيرة فى بؤتيا تجعل السامية أكثر احتمالاً. وهكذا فإن حيرة باوسانياس بين الأصل المصرى والفينيقى للاسم أونكا يبدو أنه يعكس وجود كل من اللغتين معًا عند البداية الأولى لهذه العبادة.

أثينا أونكا وأثينا أولكومينا

وجذر مصرى آخر نعرض له هنا هو Ꞁrk وهو قريب من الناحية الصوتية من Ꞁnk ويمكن أن نجد نطقًا صوتيًا مشابهًا لـ Onka فى الكلمة اليونانية (horkos) بمعنى قسم، وهى تأتى من الكلمة المصرية (Ꞁrk) بمعنى حلف أو قسم والكلمة القبطية

Ork [١٤٩] . المعنى الأساسى لـ (Γrk) هو إلزام. وهذا يبدو مشابهًا لكلمة Γnk بمعنى يطوق أو قلادة . وفـى اللهجة القومـية Γrk بمعنـى قسم تحولت إلى Olk وكلمـة Γvky (اليوم الأخير من السهر) وكلمة rvky (اليوم الأخير من السنة) كانت تستخدم كثيرًا على فرض أنها أتت من معنى أن السنة مثل الحلقة.

والمصريون لديهم ثلاثة أو أربعة تقاويم، ولكن التقويم الذى يبدو أساسيًا بالنسبة لهذه المجموعة الأسطورية هو التقويم المدنى. وينقسم هذا التقويم إلى اثنى عشر شهرًا وكل شهر من ثلاثين يومًا مضافًا إليها خمسة أيام هى الأيام النسئ. وكانت تبدأ السنة الجديدة بالشروق الشمسى لنجم الشعرى اليمانية الذى كان مؤشرًا لوصول فيضان النيل فى منتصف شهر يوليو الحالى. على الأقل على عهد الأسرة الثامنة عشرة، أول يوم من أول شهر للفيضان من السنة الجديدة كان عهد خنوم رب الخلق وشلالات النيل[١٥٠]. وهكذا كانت Γrkyrnpt مرتبطة برفيقه rnkt/ Anukis الذى كان يعتبر فيضان النيل، وعلى الأقل فى العصور المتأخرة، كانت تتطابق مع Spdt/Sothis ربة نجم الشعرى اليمانية[١٥١].

ولم تكن Γrky فى اللغة القبطية تكتب فقط Ork أو Olk ولكن أيضًا alke . وهذا يرجع بنا إلى Alalkomena و Alkmene . والتوازى هنا ليس صوتيًا فحسب. هناك أيضًا علاقات تقويمية هامة. بينما Γrky rnpt كانت آخر يوم فى أيام النسئ الخمسة وكانت مكرسة لإيزيس ونفثيس ، فإن الشهر الذى يتكرر أحيانًا حتى يتوافق التقويم كان يسمى فى بؤتيا باسم Alakomenios .وسنناقش لاحقًا العلاقة بين ألالكومينا وأثينا ألكمينى. ويعنينا هنا ملاحظة أن mena-mene من الواضح تشابهها مع الكلمة اليونانية mene بمعنى شهر. ويزعم شاختر أنه فى مدينة أتيكا الشهر المساوى لألكومنيوس كان يسمى أثينا يوس، وهو ما يتوافق مع أثينا ألالكومينا[١٥٢]. وعدم التأكد التقويمى فى كل من الأيام الزائدة المصرية Γrkyrnpt والكومينوس البؤتى يتطابق مع أسطورة زيوس الذى حول دوره يوم وليلة إلى ثلاثة عندما كان يمازح ألكومينى لتحمل ولدها هيراكليس[١٥٣].

وهكذا، من خلال التلاعب المتعلق بالكلمات بين الجذور المتشابهة Tnk, Tnk من المكن وجود توازى بين العبادة الطيبية لأثينا و Tnkt/Anukis Onka (ومن نفتيس ونظيرتها إرينيس وبرسيفونى) ، وعبادة أثينا ألالكومينا وألكميني. إلا أننا لكى نُكمل هذا، علينا أن نقيم علاقة بين أثينا ألالكومينا وألكميني.

أثينا ألكومينا وألكمينى

يبدو ان الاسم ألكميني يعتمد على تورية تكشف عن ان لها أصلان مختلفان على الأقل، أحدهما من (Rht imn) بمعنى صديق آمون والآخر من Trky بمعنى الأيام الأخيرة من السنة.

وإن تزاوج أثينا إيتونيا (التى ناقشنا آنفًا علاقتها بأثينا ألالكومينا) فى هاليارتوس، وربما فى كورونيا Koroneia أيضًا، هذا التزاوج مع زيوس مهم، حيث أن أثينا كانت باستمرار تظهر بمفردها أو مع منافسين لها مثل بوسيدون وهيفايستوس. وكان زيوس يعبد فى كل بؤتيا على أنه زيوس كارايوس Karaios أو Keraios بمعنى ذو القرنين. وأوحى هذا إلى شاختر باحتمال وجود علاقة ما بين الكبش - ذى القرنين "آمون" المصرى، الذى كان يُعْبدَ فى طيبة على الأقل منذ عهد بندار فى القرن الخامس قبل الميلاد[١٥٤].إلا أن شاختر رأى أن هذه الفكرة خاطئة، حيث إنه كان يعمل من خلال النموذج الآرى Aryan Model ومن ناحية أخرى، بالنسبة لهؤلاء الذين لا يستعملون هذا النموذج، فإن عبادة زيوس المحلية مع أثينا مقترنة بحقيقة أن ألكوميني كانت زوجة زيوس تؤدى إلى وجود احتمال قوى لحقيقة أن معبد أثينا ألالكومينا كان على بُعْد سبعة كيلومترات فقط من مقبرة ألكميني والتشابهات غير العادية بين أسمائهم تبدو جوهرية فعلاً وليست مجرد نتيجة للصدفة المحضة.

وثمة احتمال أن ألالكومينا تأتى من ألكمينى مع البادئة المصرية المألوفة R - بمعنى مدخل لـ والتى أشرنا إليها فى الفصل الأول[١٥٥]. كما رأينا أيضًا أن هذه

البادئة ربما تكون قد نقلت إلى اللغة اليونانية على أنها – La وأن الحروف المتحركة المفترضة تكون محتملة قبل الحروف الساكنة المفردة. والأكثر من هذا فإن – R تُستَعمل بكثرة لدرجة أنها كانت غالبًا تعني ببساطة " إقليم ......" [١٥٦]. وفي هذه الحالة، فمن الممكن أن تكون " إقليم ألكميني" . وحيث أن هناك دلالات كثيرة على التأثير الكنعانى على بؤتيا في عصر البرونز المتأخر، فمن المحتمل أن البادئة –A في Alalkomenia تأتي من أداة التعريف ha . وهذا يوجد، مثلاً، في Atobyrion ، اسم أعلى وأهم جبل في رودس من الكلمة الكنعانية Hatabor بمعنى مركز أعلى جزء[١٥٧]. من ناحية أخرى، فالبادئة -A في Alakomena من الممكن أن تكون مجرد أول اللفظة. وإذا كانت Alalkomena تعني " إقليم ألكومينا"، فإن أثينا ألالكومينا من الممكن إلى أن تكون اندماج بين أثينا وألكميني، " زوجة آمون أوزيوس".

وهناك عدد من العلاقات بين نيت وآمون. وكما ذكرنا آنفًا، فقد كانت Neit تربط أحيانًا بـ itn قرص الشمس. كما كانت ترى على أنها أم ابن الإله رع ولذلك كانت تربط بآمون، والذى كان يسمى باستمرار آمون – رع. على الأقل من الأسرة الثلاثين في القرن الرابع قبل الميلاد – كانت نيت تتطابق مع زوجتى آمون، أمنت Amenet والربة Mut[١٥٨] . وملمح آخر مثير هو علاقة نيت Neit بـ منت Mntw ، الإله المصرى المحارب وخاصة فيما يخص هزيمة الشمال. وهناك نقش هام من الأسرة الحادية عشرة يظهر منت ونيت وهما تحميان الفرعون Mntwhtop الثاني، والذى سنناقش فى الفصل الرابع علاقته بالإيجيين[١٥٩]. وهذه الفكرة أن نيت ومنت وممكن نيت وآمون كانوا الآلهة الحارسة لفراعنة الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، يبدو أن هذه الفكرة تمدنا بتوازٍ هام مع زواج ألكميني بالقاضي الأسطورى والمشرع Rhadamanthys الذى سوف نناقشه في الفصل الرابع، وهو النظير اليونانى لكل من الإله Mntw وفرعون الأسرة الحادية عشرة Mntw Htp ، ويمدنا أيضًا بتناظرات مهمة مع زواج زيوس من ألكميني لينجبا البطل هيراكليس، الذى يشبه بشدة فرعون من الأسرة الوسطى.

هيراكليس

الأصول السومرية والسامية لهيراكليس

هيراكليس هو شخصية أسطورية على قدر كبير من الثراء والتعقيد إلى درجة أنه من الصعب معرفة كيفية فك الخيوط المختلفة التى تتشابك معًا مكونة إياه. ويرجعه والتر بركرت Walter Burkert إلى العصر الحجرى القديم الأعلى من ٢٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ قبل الآن حيث يبدو كصياد عظيم يقتل الحيوانات الضخمة وككاهن يمكنه دخول عالم الموتى والعودة منه. ونراه بتحديد أكثر قادراً على إبراز صور من القصور السومارية والأكادية من الألف الثالثة تظهر بطلاً يرتدى جلد أسد وممسكًا بقوس وهراوة ويقتل الأسود، والتنانين والطيور الجارحة، ونحو ذلك[١٦٠]. وبركرت حريص على عدم الإشارة إلى الاسم ولكن من الواضح جداً أنه كان يفكر فى البطل السومارى جلجامش، هذا بينما كان العلماء الآخرون أكثر وضوحًا[١٦١]. لقد كان جلجامش الأصلى حاكمًا لمدينة أوروك uruk حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م[*]. ومن الواضح أن الأساطير جمعت عنه فى القرون التالية لوفاته، ولكن أولى النصوص المتعلقة بمآثره ظهرت فقط حوالى عام ٢١٠٠ ق.م، ويبدو أن ملحمة جلجامش، كما نعرفها، كانت قد ألفت فى النصف الأول من الألف الثانية[١٦٢].

لقد كان جلجامش حاكمًا عسكريًا، وقد اصطحب صديقه المشعر انكيدو (Enkidu) الرجل الطبيعى أو الوحش الذى اعتزل الزواج والحياة المستقرة، وسافر معه لقتل الوحش هواوا (Huwawa) وثور السماء الكبير. وبعد وفاة إنكيدور ذهب جلجامش لزيارة صديقه فى العالم السفلى، وليبدأ بحثًا عن الخلود، وقد أظهر كُتَّاب الأساطير أنَّ هذه الملحمة أيضًا معقدة إلى حد بعيد. فهى عن جلجامش التاريخى، وموضوعات فولكلورية موجودة فى قصص من كل أنحاء العالم وأعمال أدبية، بعضها ذات مغزى فلكى وفلسفى[١٦٣].

(*) ليس هناك دليل أثرى واحد يقينى لوجوده الأصلى أو مدة حكمه . (المحرر)

كم كان تأثير ملحمة جلجامش على الأساطير اليونانية حول هيراكليس؟ طبعًا مستحيل الإخبار عن مكان الدائرة السومارية التى رسمت عن موضوعات فولكلورية باتساع العالم. وبنفس الطريقة، وحيث أن كليهما على الحدود بين الفنائية والخلود وكلاهما متعلق بالموت، فهذا الموضوع عام جدًا إلى درجة أنه لا يشير إلى علاقة خاصة بين البطلين. إلا أن هناك عدد من المتشابهات المحدودة – فكل من جلجامش وهيراكليس كانا يمشيان، أكثر من ركوبهما العربات، وكانا يستخدمان الهراوات أكثر من السيوف، وهذا فيما يبدو يحدد أصول البطل اليوناني قبل عام ١٧٥٠ ق.م، عندما ظهرت العربات والسيوف في إقليم البحر المتوسط وسرعات ما أصبحت رموزًا لطبقة الأبطال. وبالمثل، عادة ما كان كل من جلجامش وهيراكليس ينجز أعماله وحده أو يصحبه رفيق أو تابع لهما متفان في خدمتهما وقد أزعجهما موته إزعاجًا شديدًا.

الإله الفينيقي الهام ملكارت Melqart أو Mlkqrt بمعنى ملك المدينة، الذى كان الإله الحامي للمدينة الفينيقية صور كان يمكنه مد جسر بين جلجامش وهيراكليس. ونجد فقرة مفصلة من هرودوت ودليل نقشي يوضحان تمامًا تطابق ملكارت وهيراكليس[١٦٤].

ومن المستحيل أن نبين مدى قدم عبادة ملكارت في صور. وقد كتب هيرودوت أن معبد هيراكليس كان قديمًا قدم مدينة صور نفسها والتى يعتقد أنها أسست قبل عصره بحوالى ٢٣٠٠ سنه، أى حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م. هذا، مثلما ألمح أستاذ الساميات الفرنسي رنيه دسو Rene Dussaud ، ربما يشير إلى عبادة (Hadad) بعل Ba<al ، أحد الآلهة التى اشتق منها ملكارت، لكن هذا الملكارت هو توفيق حدث بعد ذلك بين آلهة كثيرة[١٦٥]. ويؤكد معظم العلماء المحدثين على أن عبادة ملكارت كانت أحدث بكثير. وأكثرهم تطرفًا يضعها فى عصر النقوش المبكرة فى القرن العاشر ق.م ويقترح أن عبادته حلت محل العبادات الأقدم بالمدينة[١٦٦]. وهناك أيضًا شك بسيط فى أن ملكارت كان يتطابق مع آلهة كثيرة تشمل إله بلاد الرافدين نرجال Nergal ،

وكمـا سنرى لاحـقًـا، كـان يتطابق مـع الإله السـامـي الغـربى(*) رشف Reshef إله الطاعون(١٦٧).

ويبـدو أن اسم هيـراكليس يشي بأن أصل البطل هـو الشـرق الأدنى. والحكمـة التقليدية قديماً كانت تفهم اسم هيراكليس على أنه يعني " المجد لهيرا" . على أية حال فتطابق المقطع الأخير من الاسم مع Kleos بمعنى مشـهور، حدا ببـحـوث الاشـتـقـاق اللغوى عن اسمه إلى التركيز على الجزء الأول -Hera ، كما وجدت بحوث في الاسم Hera نفسه وربما كلمة "hero "والاشـتـقـاق الهندى - أوروبى المعـتـاد لـ Hera هو من الجـذر Ser بمعنى يخـدم أو يحـمي. وقـد هـوجم هذا من قـبل جـون شـادويك John Chadwick المتخصص الرائد في بلاد الإغريق الميكينية، فعلى أساس B Linear الكتابة الخطية الثانية فإن الشكل Era يدل على اسم الربة. وهذا ينقصه aw في الشكل المعاد تركيبه herwa ، الذى يعتقـد شـادويك أنه ضـرورى(١٦٨). وإذا كان هـذا النقد يعتمـد أو لا يعـتـمد على دقة في غير مـحلهـا، فمن الأفضل أن نجد أصـلاً لـ Héra و hero وأيضـاً لملامح من شخصية هيراكليس، من اتحاد ثلاثة جذور سامية تعتمد كلها على الحروف الساكنة √hrr .

أول الجذور السامية ، هو الجذر الذى يبدو رئيسياً بالنسبة لمواصفات هيراكليس √hrr, heroes, Hera بمعنى نبيل، حـر. فى اللـغة العبرية كلمة (Hor) تعني المولود حراً أو النبيل والاسم Hrr يظهر فى اللغة الأوغاريتية. فى القرن الثانى الميلادى، نصادف الجـذر Ben Hur والكلمـة السـواحيلي ذات الأصـل العـربى uhura بمعنى حرية. هناك مشاكل خاصـة بالنطـق كما يظهـر Era فى Linear B الكتابة الخطية الثانية أن الـ e فى Hera هى أوليـة وليست مـتطورة عن a ، وحـرف الجـر يعـود إلى اللـغـة السـامـيـة الغربية(١٦٩).

(*) إصرار دائم على إلقاء ظلال السامية، وإيحاءات الوجود اليهودى فى المنطقة منذ تواريخ أقدم بأى شكل من الأشكال وفي كل مناسبة، وهنا نلاحظ إلصاق الصفة بإله مـحلي، موجود فى المنطقة (السـاحل السورى الفلسطيني (الفينيقى بعد ذلك) منذ ما قبل عام ١٠٠٠ ق.م، أى وجود مملكة سليمان على أرض فلسطين.

والمعنى الثانى لـ (√hrr) هو يشيط أو يحرق. اسم الإله الأكادى Erra بمعنى يوم حار جداً مشتق من هذا الجذر. و Errag كانت معروفة فى العصر السرجونى Sargonic - فى الألف الثالثة – ولكن ملحمة عنه تبدو أنها قد أُلِفَت فى الألف الأولى، التي كانت بصفة خاصة فترة قاسية من تاريخ بلاد الرافدين . و Errag أو " الأرض المحترقة " كان محارباً متوحشاً وقاسياً ، ولكنه كان بطلاً تخصص في التخريب وإحداث المجاعات عن طريق الحرق. لقد كان من عدة أوجه مطابقًا لنرجال Nergal ، إله الطاعون المخيف جداً[١٧٠]. هذا الجذر يبدو أنه ظهر في اللغة اليونانية بمعنى " جنون" هيراكليس ونوازعه التدميرية. ويمكن أيضاً أن يكون له صلة بعلاقة البطل بالنار التى كانت قوية بصفة خاصة في عبادات هيراكليس الفينيقية. هنا، العلاقة الصوتية أفضل من العلاقة بـ Hor . وما من شك في أن Erra تأتى من الجذر √hrr وأنه بينما الحرف الأول h حذف فى اللغة الأكادية إلا أنه بقى فى اللغة السامية الغربية. ولكن اللغة السامية الغربية لم تحتمل تضعيف r ، ولذلك أصبح النظير الغربى لـ Erra هو Hera ، بالرغم من أن الطبيعة المحددة للحرف e غير أكيدة.

الجذر السامى الثالث √hrr – أصله اللغوى – √hrr - يعنى " يحفر ويثقب". وكما هو الحال فى hrrبمعنى نبيل، حر ، فيبدو أنها تنطق بالحروف المتحركة الخلفية (u,o) فى اللغة العبرية. هذا المجال اللفظي يبدو أنه منعكس على هيئات هيراكليس كمنختص بالأنفاق (الجحور) وكساقى بالرغم من أنهار – كما سيتضح لاحقًا، ربما يكون لها أصول أخرى أيضاً.

واشتقاق آخر يمكن أن يأتى من الاسم المصرى Hr , Horus الذى تُعَاد صياغته Haruw . وكان هذا الاسم يُستَعمل لكل من الصقر البرى وإله الشمس وكرمز واسم للفرعون الحى وسوف نناقش هذا لاحقًا.

بالرغم من الخلط وانعدام الدليل المباشر، فمن الواضح أن (H)era كان اسمًا يستعمله المُتحَدثون باللغة السامية الغربية للدلالة على البطل الهراقلى أو الذى يشبه ملكارت وأقوى دليل على هذا يأتى من اسم مدينة أبديرا Abdera .

ويبدو مقبولاً جداً أن نشتق أبديرا من الكلمة السامية الغربية **abdera** بمعنى خادم **Era** . بالرغم من أن تطوير أسماء الأماكن من ألقاب شخصية نادر إلا أنه يحدث أحيانًا. ومثال على هذا هو **Didyma** ، اسم مدينة على الساحل الكورنثى **Carian** والمشهورة بنبوءتها عن ديديمايوس **Didymaios** بمعنى التوأم، وهو لقب أبوللون. وسأناقش فى الفصل الثالث كيف أن دلفى وديلوس أخذتا اسميهما من **Delphos** ، وكلمة أخرى تعنى توأم استعملت كـ **epiclesis** لأبوللون.

فى حالة أبديرا هناك علاقات مقنعة بين المدن التى تحمل هذا الاسم وهيراكليس. طبقًا للأسطورة، أبديرا فى ثراكيا كانت هى المكان الذى قتل فيه ودفن خادمه أو رفيقه أبديروس **Abderos** ، وكل من المدينة الثراكية وأبديرا فى جنوب شرق أسبانيا كان هيراكليس هو الإله الشرفى لها. وحتى لو أهملنا الطبيعة السامية الواضحة للبادئة – **Abd** ، فالاسم لا يمكن تفسيره بالمعايير اليونانية، ليس فقط لأن أبديرا الثراكية هى اقليم متصل – ومن زمن بعيد – بفينيقيا قبل أن تصبح ناطقة باللغة اليونانية، ولكن أبديرا الأسبانية كانت فى مركز مجموعة المستعمرات الفينيقية على الساحل الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة[١٧١].

الأصول المصرية لهيراكليس

بعد تقديم ما يبدو أنه دليل قوى على الأصل السامى لاسم هيراكليس، فمن المحير بعض الشىء أن هيرودوت يقرر بصراحة أن الاسم هيراكليس أتى من مصر[١٧٢]. ويقترح آلان لويد **Alan Lloyd** أنه عندما كتب هيرودوت " اسم " كان يقصد أسمًا وليس مجرد " فكرة" مثلما فعل علماء آخرون. يرى لويد أن هيرودوت هنا – وفى مكان آخر – كضحية لتضليل التفسير اليونانى **Interpretatio Graeca** ، من ناحية اعتقاد المؤرخين الإغريق فعلاً أن الآلهة المصرية كانت تدعى بأسمائها الإغريقية[١٧٣]. ولكننى كما يتضح الآن لا أوافق على أن التفسير الإغريقى تضليل، وأعتقد أن الكثير من أسماء الآلهة الإغريقية، مثل أبوللون، أثينا وهلم جرا، كانت فى الواقع مصرية وعندما قال هيرودوت " اسم " كان يعنى مجرد اسم إلا أن الدليل فى هذه الحالة أقل

تحديداً والعلماء الحذرون الذين يؤكدون أن هيرودوت كان يشير إلى مجرد فكرة هيراكليس على حق.

إلا أنه من المحتمل أن الاسم هو الذى كان يدور فى أذهان الرواة الذين استقى منهم هيرودوت معلوماته. وربما كان الشكل Hr K3 كان مقبولاً فقط فى إقليم بطلميوس السادس فى القرن الثانى قبل الميلاد للاسم الذى كان يكتب عادة Hk3 بمعنى سحر[١٧٤]. وحتى فى عالم الديانة المصرية المثير للحيرة فإن شخصيه Hk3 أو Heka بالذات غامضة وخادعة ؛ حيث إنه الصورة البشرية للسحر فطبيعته الأساسية تمثلت فى نظر هرمان فلد Herman te Velde الخبير فى الديانة المصرية، فى صورة " قوة سحرية، والطاقة المقدسة الخالقة، وخلق البشر، والقادر الحى والتأثير الغامض[١٧٥] ". وهذا يبدو ككل إله غامض جداً إلى درجة أنه لا يمكن ربطه بهيراكليس. والأكثر من هذا هناك مشاكل صوتية حادة إذ أن Hrk3 كانت تنطق فى الألف الأولى المتأخرة بنفس الطريقة مثل Hk3 ربما مثل Hik . وهذه المطابقة يبدو فى الواقع أنها السبب فى كتابة Hrk3 . وهكذا فكون الراء فى ٢ من الحروف السائلة يتطلب قراءة قديمة للاسم.

إلا أننا وقبل التخلص من هذه العلاقة يجب أن نأخذ فى الاعتبار نقطة أو نقطتين أولاً Hk3 كان يرى على أنه المسئول عن إخضاع Apopis ، الوحش الثعبانى للعماء الكونى السابق على الوجود[١٧٦]. ثانيًا هناك أيضًا علاقة وثيقة بين H(r)k3 وإله متأخر كان يعرف باسم توتو Tutu الذى كان يرى فى العصر البطلمى على شكل أسد يمشى وكان يعرف بـ " العظيم فى الشجاعة"، ابن نيت. وهكذا فهو يشبه هيراكليس – الذى كان أيضًا يشبه الأسد بوضوح – وكان ابن الكمينى/ أثينا ألالكومينا. وأكبر فترة لعبادة توتو Tutu كانت فى القرنين الأولين من الميلاد وهى الفترة التى شهدت ازدهار عبادة هيراكليس[١٧٧]. وكانت النظرة السائدة أن كلاً من Tutu , H (r) k3 هما تجلٍ للإله Shu ، إله الهواء، والذى سنناقش علاقته الأكيدة بهيراكليس لاحقًا، ثالثًا، فى المعبد البطلمى والرومانى للربة نيت وخنوم فى إسنا، H (r) k3 كان يبدو فى صورة طفل مقدس، وأمه هى نيت. وليس ثمة شك فى الأهمية القصوى لطفولة هيراكليس فى الأساطير المحيطة به. وهذا يربط H (r)k3 بحورس الصغير المعروف بـ Hrphrd أى حورس الطفل (هربوكراتيس فى اللغة اليونانية) [١٧٨]. والخلط بين هيراكليس

وهربوكراتيس في القصور القديمة المتأخرة يتضح من عبارة قالها إراتوستينيس Eratosthenes ، أمين مكتبة الإسكندرية في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد في مجموعته عن ملوك طيبة. فيشير إراتوستنيس إلى الفرعون سمفروكراتيس Semphrukates على أنه هيراكليس هربوكراتيس[١٧٩].

أين ينتهي بنا كل هذا؟ يبدو أنه من الممكن تمامًا القول إن هيرودوت والرواة المصريين الذين أخذ عنهم دار في خاطرهم H(r)k3 عندما قالوا أن الاسم هيراكليس جاء من مصر. إلا أن الأقل احتمالاً أن الاسم هيراكليس أتى بالفعل من Hrk3 بالرغم من أنه مجرد احتمال. وإجمالاً فإن الأكثر احتمالاً هو افتراض أن المقطع الأخير kles - هو مجرد لاحقة يونانية معناها " مجد "، وكانت تستعمل باستمرار مع أسماء الأعلام. إلا أن أساس الاسم وكذلك اسم هيرا Hera وكلمة hera يبدو أنها تتأثر بالجذور السامية hrr وخاصة من √hrr بمعنى نبيل أو حر، ولكن تأتي من حورس أو H?ruw وثمة مشكلة صوتية هنا في كون الشكل Era في linear B الكتابة الخطية الثانية يظهر أن e في الاسم Hera سائدة في جميع اللغات الهيلينية وليس نتيجة لابدال ?بـ ?في اللهجات اليونانية الشرقية. إلا أن التناظرات السامية شديدة الأهمية. أولاً، هناك تشابهات كثيرة شمسية وبطولية بين هيراكليس والأبطال اليونانيين من ناحية، والفراعنة المصريين من الأسرة الوسطى، الذين كانوا يبدأ لقبهم الرسمي دائمًا بـ Hr وأيضًا اسم حورس من ناحية أخرى.

ومن المهم أيضًا أن نلاحظ فيما يخص اسم هيرا أن حتشبسوت الفرعونه من الأسرة الثامنة عشرة تسمى نفسها، ضمن أشياء أخرى، Hnt nt d'm بمعنى الأنثى حورس ربة الذهب الخالص[١٨٠].

وبعد هذه الملامح عن اسمه، فليس مدهشًا أن الأساطير اليونانية لا تشير إلى طفولة هيراكليس في سورية أو بلاد الرافدين. إلا أنه كانت تشاهد علاقات كثيرة بمصر.

ومثلما رأى العلماء المحدثون هيراكليس كشخصية مركبة، فإن الكُتَّاب القدماء كثيرًا ما أكدوا أنه كانت هناك أشكال مختلفة تدعى هيراكليس. وقد ميز هيرودوت بين

الإله والبطل هيراكليس وبين الإله المصرى البالغ القدم والإله الفينيقي والإله المعبود فى مستعمرة ثاسوس Thasos الفينيقية وهيراكليس من طيبة اليونانية[١٨١]. وديودوروس الصقلى المؤرخ العام من القرن الأول قبل الميلاد، رأى ثلاثة هيراكليس. أقدمهم ولد فى طيبة بمصر وأخضع كل العالم، والثانى كان كريتيًا ، وهو الذى أسس الألعاب الأوليمبية والثالث هو ابن ألكمينى وزيوس وقد ولد قبل الحرب الطروادية[١٨٢]. وشيشرون يفرق بين ستة هيراكليس – هيراكليس اللاتينى – وكان المصرى هو ثانيهم، والذى من صور كان رابعهم والإغريقى هو سادسهم[١٨٣].

هيراكليس ، حورشف ورشف

أين نجد هذا الهيراكليس القديم إن لم يكن أقدمهم فى التراث المصرى؟ ثمة تطابق مع الإله الكبش Arsaphes - Hrys -f فى اليونانية ومعنى اسمه " ذلك الذى على بحيرته". بالرغم من أنه كان له مركز أصغر للعبادة فى الدلتا يعرف باسم هيراكليوبوليس الصغرى Herakleopolis Parva ، فإن مدينته الرئيسية ، والتى عرفت فيما بعد بـ هيراكليوبوليس الكبرى Herakleopolis Magna كانت فى الفيوم، واسمها المصرى هو Nni-nsw(t) مدينة الأطفال الملكيين. عمومًا مثل هيراكليس، فقد كان هارسافيس Harsaphes مرتبطًا بالأطفال الملكيين. وكان يعرف أيضًا بالإله الملكى الممثل لآمون، الذى كان يتماثل معه كثيرًا فيما بعد. إلا أنه كان أيضًا إلهًا للخصوبة مثل أوزوريس. وهذا الارتباط بالخصوبة كان يؤخذ مع اسمه وموقع مراكزه فى الفيوم ومناطق المستنقعات بالدلتا حيث تمت استصلاحات معتبرة. هذا يشير إلى أنه كان مختصًا بالرى والصرف[١٨٤]. وسوف نناقش لاحقًا هذه الجوانب المختلفة التى يتصف بها هيراكليس.

بالرغم من التصديق على الإله السامى الغربى على أنه Ra-sa-ap فى إبلا Ebla من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ، فالاسم Hys-f يبدو أيضًا أنه أصل اسم الإله السامى الغربى للحرب والمرض Reshef orRsp [١٨٥] .وليس ثمة أصل سامٍ مقنع للاسم الأخير[١٨٦] ومن المعروف أن Hrys-f له معبد فى Byblos ، ولكن ثمة شك بسيط

فى وجود خلط بينه وبين Reshef هناك وفى أماكن أخرى. والمطابقة لا يبطلها كون الإله الكنعانى Reshef قد عبد فى الأسرة الحديثة بمصر. وبالتوازى مع هذا سوف نناقش فى الفصل الرابع أن الربة المصرية W3dyt أصبحت تماثل الربة السامية الغربية dst وعبدت على هذا النحو فى مصر(١٨٧).

هناك بالفعل ملامح شيقة فى عبادة Reshef فى مصر. أولاً، يبدو أنه قد كَرَّسَ له وادياً شمال هيراكليوبوليس الكبرى Herakleopolis Magna مركز عبادة Hry?-f وهناك نقش من العصر الفارسى نقرأ عليه الاسم Roshef ابن حاكم Nni-nsw هيراكليوبوليس الكبرى (Herakleopolis Magna) أو ابن Resheph حاكم Nni-nsw(١٨٨). على أية حال فثمة علاقة وثيقة بين Reshef و Hryš-f الذى فقد اسمه فى العصور المتأخرة معنى " على بحيرته"(١٨٩).

وكان السائد فى مصر - على الأقل من الأسرة ١٨ أن (Reshefإله الفرعون المختص بشئون الحرب، والرماية خاصة وأنه يتطابق مع Mntw)(١٩٠) . لكونه زوج أم هيراكليس. أمفيتريون المزدوج لردمانثيس وأيضاً زوج ألكمينى والمنفى إلى طيبة - كان معلم البطل فى الفنون الحربية(١٩١).

إذا كان تطابق Arsaphes مع كل من Reshef وهيراكليس واضحاً، فإن المثلث قد اكتمل بوجود توازٍ تام بين Reshef وهيراكليس. وفى مقال نشر بعد وفاة مؤلفه، القائد العسكرى والمؤرخ ايجال يادين Yiegal Yadin يثبت المؤلف أنه بينما كان يتطابق Reshef السامى الغربى باستمرار مع أبوللون اليونانى نظراً لارتباطهما بالسهام والسقم، فقد كان أيضاً معادلاً من نرجال وهيراكليس. واستخدم rhyton على شكل رأس أسد مهداه إلى Reshef ووجدت فى أوغاريت ليحسم مطابقة Reshef للأسود. ويذهب يادين إلى ربط هذا بعلاقة هيراكليس بالأسود وليستغل ما كان قد كتبه سابقاً عن مطابقة هيراكليس لشمشون - فكلاهما أساساً بطل شمسى وله علاقة بالأسود. ويوافق يادين على أن دان Dan وهى القبيلة الإسرائيلية التى كان شمشون ينتمى إليها، أصلها يرجع إلى أحد شعوب البحر.

هكذا، رأى يادين اندماجاً بين هيراكليس الإيجى ورشف الكنعانى(١٩٢). وأعتقد

أنه ثمة علاقات بين الاثنين قبل هذا بكثير، كما اعتقد أن أقدم واحد في هذه المجموعة هو Hrys-f المصرى. فخصائص هذه الآلهة ، كونها شمسية ومتجولة ورماه وأقوياء ومطابقين للأسود وصغار في السن - إن لم يكونوا كالأطفال - وكل هذا يجعلهم قريبين جداً من حورس أو Hprr ، رب شمس الصباح، ونظيرهم اليونانى أبوللون. هكذا، على سبيل المثال المدينة الموجودة فى Philistia والمسماة Arshuf ، من Hrys-f or Reshef ، كانت تسمى أبوللونيا Apollonia في بلاد اليونان، ونصوص قبرص تساوى بين رشف وأبوللون(١٩٣). إلا أن هذا لا يضعف المطابقة بين هيراكليس ورشف.

هيراكليس ، خونسو وشو

علماء كثيرون من زيته (Sethe) إلى جريفثس (Griffiths) ولويد طابقوا هيراكليس بإله مصرى آخر هو خونسو. وكان خونسو هو الثالث في مجموعة الآلهة الثلاثة التى كانت تعبد فى طيبه، الأب هو آمون والأم هى موت (أم و / أو نسر). واسم خونسو يبدو أنه مشتق من فعل hns بمعنى يسافر، وهذا يناسب البطل المسافر، أو كما يضعه لويد، المتجول في السماوات(١٩٤). إلا أن عالم المصريات جورج بوزينيه (George Posener) اعتقد أنه كانت هناك Paranomasia بين hns ودمج خونسو كطفل ملكى، والذى ركب اسمه من الشكل h-n-nsw (طفل الملك)، وهكذا يرتبط بهيراكليوبوليس ماجنا أو Nnisw(t) أى مدينة الأطفال الملكيين. وقد أصدر بوزينيه أيضًا على أن خونسو لم يرتبط فقط بآمون، ملك الآلهة، ولكن أيضًا بالملوك الدينويين(١٩٥). والكثير من هؤلاء، مثل آمون ، لهم مقاعدهم الرئيسية فى طيبة، ومن الشائق هنا ملاحظة أنه في الكثير من الأعراف أن هيراكليس ولد وتربى فى طيبة الإغريقية.

ويشير أيضًا ريتيه وجريفثس ولويد إلى أن خونسو كان مطابقًا جداً لشو، إله الهواء، الذى كان معروفًا بكونه محاربًا شرسًا(١٩٦). وترتبط ضراوة شو بعنفوان الشمس وسط النهار، وهذا بالتالى يوازى حر hrr√ بمعنى سفعه وإيرا Erra البطل / نصف الإله(١٩٧). وكانت مهمة شو الرئيسية هى فصل الأرض عن السماء، أو دعم السماء وهذا يوازى أسطورة هيراكليس وأطلس. التى يخدع فيها أطلس البطل فى

جعله يرفع السمـاء ولكن هيراكليس يخدع العمـلاق بعد ذلك ويجعله يرفع حمله مره أخرى. وسوف نناقش الأصل المصرى لاسم أطلس فى الفصل الخامس[١٩٨].

والمطابقة بين هيراكليس وشو تقوى عن طريق صراع البطل مع أنتايوس Antaios ، حيث ، مثل شو فى الأسطورة المصرية، يفصل هيراكليس الشر عن الأرض برفعه فى الهواء. وهناك اعتقـاد بأن أنتـايوس كان يعيش فى ليبيـا وأنه ابن بوسـيدون[١٩٩] والدلالات المصرية لهذه القصة تأكدت عن طريق شرح جاردينر Gardiner بأن Ꜥntywy النظير المصرى لأنتايوس ، كان صورة من ست. ويقول فى هذا:

" كان الظن حتى الآن أن مطابقة Antywey المصـرى بأنتـايوس الذى تصـوره الإغريق عملاقًا ليبيًا ذبحه هيراكليس- إنما يفترض أنها تعتمد على مطابقة الأسماء، وتوضح المساواة بين ست - تيفون المشار إليها آنفًا تظهر أن التشابه بين الأساطير المصرية والإغريقية أكثر مما كان يظن سابقًا[٢٠٠] ".

والتطابق مع ليبيا، مع علاقاتها بنبتون وبوسيدون وانتايوس/ انتيوس يقدم لنا سببًا آخر للربط بين ست وبوسـيدون. والجدير بالاهتمام أنه ساد فى عصر النهضة اعتقـاد، ربما توارثه مع العصـور القديمـة، بأن هذه المعركة كانت بين هيراكليس المصـرى وأنتـايوس ملك ليبيـا. وقـد أشار إليـهـا مكيـافيللى Machiavelli فى كتـابه "المقالات" Discorses :

إن خرافات الشـعراء، التى يظهـر فيها أن انتايوس ملك ليبيا، فى صورة الملك الذى لا يقهر أمام هجمات هيراكليس المصرى طالما واجهة باق داخل حدود مملكته، ولكن مـا أن يتركهـا بسبب دهاء هيراكليس حتى يفقد مكانته ويخسر حياته[٢٠١].

ويشـبه هيراكليس المنتصر على أنتـايوس فى ليبيـا كـلاً من حـورس والفرعـون المصـرى وشو إلا أن العلماء عند مطابقتهم هيراكليس بشو لا يشيرون إلى أن توتو Tutu ومن ثم Hrk3 كـانا صـورتين من تجليات شـو. هكذا، فـجـدلهم ينحـو إلى دعم احتمال أنَّ الاسم هيراكليس مشتق من Hrk3 .

ولنحاول الآن النظر فى أمر الربة موت Mut أم خونسو. لقد أصبحت هذه الربة مشهورة فقط أثناء حكم حتشبسوت فى الأسرة الثامنة عشرة (١٥٠٣ - ١٤٨٣ ق.م) عندما شيد معبد للثالوث الملكى فى الكرنك، إلا أن الدليل على اسمها ظهر فى المملكة الوسطى[٢٠٢]. وعلى عهد الأسرة العشرين ١١٨٤ - ١٠٨٧ ق.م كانت الربة موت ترتبط بالربة نيت ، ونجد البراهين على التماثل فى العصور المتأخرة[٢٠٣]. وهذا يترك السؤال مفتوحًا عما إذا كانت موت مجرد شكل جديد لنيت القديمة، ولكن يبدو أن الاثنين يمكن تطابقهما فى العصر البرونزى المتأخر. وهنا مرة أخرى، يجب ملاحظة أن شو وتوتو و H(r)k3 كان يُنظر إليهم على أنهم أبناء نيت[٢٠٤].هكذا فإن حالتي التناظر بين كل من نيت وموت وبين أثينا ألالكومينا وألكمينى يماثلان التشابه بين شو و Hrk3 وبين هيراكليس.

هيراكليس وفراعنة المملكة الوسطى

عند هذه النقطة ، يجب أن نأخذ فى الاعتبار هيئة أخرى لهيراكليس كصورة إغريقية لفرعون المملكة الوسطى (٢١٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) إذ على الرغم من أن البطل الإغريقى - كما سنرى لاحقًا - كان يشبه فراعنة كل من المملكتين القديمة والوسطى فى أشياء مثل الرى، فإنه يشبه فراعنة المملكة الوسطى بصفة أخص. وكان الاعتقاد السائد أن هيراكليس أتى من طيبة الإغريقية أو فى تجسيدات أقدم من مصر أو بصفة خاصة فى طيبة المصرية[٢٠٥]. لقد كان معروفًا أن فراعنة المملكة الوسطى شأنهم شأن شو أتو من إقليم طيبة وكان بعض الإغريق يعتقدون ، طبقًا لتراث إغريقى واسع الانتشار، أن بعض فراعنة الأسرة الثانية عشرة كانوا فاتحين عظامًا وأن جيوشهم امتدت من ليبيا وأثيوبيا أى سيكثيا Scythia وكولخيس Colchis فى منطقة القوقاز.

بالرغم من أن العلماء المحدثين يعترفون بحقيقة الغزوات المصرية فى النوبة فى عهد المملكة الوسطى والبعض مستعد للقول بسيادة مصرية على أجزاء من سورية وفلسطين، فإنهم غير مستعدين للقول بإمكانية أى من الغزوات الواسعة التى عزاها هيرودوت وديودوروس إلى سيزوستريس، فرعون الأسرة الثانية عشرة Senwosre I

سنوسرت الأول ، أو أن لها أى ظل من الحقيقة. إلا أننى سوف أناقش هذا الاحتمال بالتفصيل فى الفصلين الخامس والسادس. وإذا سلمنا بهذه الحجج، فلن تكون هناك صعوبة فى اعتبار هذه الفتوحات كأساس لهيئة هيراكليس الأسطورية كفاتح. ولكى نقوم بهذا الربط فإننا نحتاج فقط إلى قبول حقيقة الفتوحات الجنوبية، بالرغم من احتمال الاعتراض بأن الإغريق فى الألف الثانية ربما لم يسمعوا بهذه الأحداث البعيدة، فإنه، فى المقابل، يبدو أن فاتحى المملكة الوسطى كانوا عظامًا جدًا لدرجة أنهم أوحوا بصورة هيراكليس الفاتح.

لقد كان الاعتقاد السائد أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة شأنهم شأن هيراكليس والأبطال الإغريق المتأخرين يحتلون الحدود الفاصلة بين الإنسانية أو الفنائية بين الألوهية. ويزعم هيرودوت أن هيراكليس كان إلهًا مصريًا فى العصور القديمة وأن البطل هيراكليس كان صورة متأخرة جدًا[٢٠٦]. ويؤكدون فى موضع آخر أن الديانة المصرية لم تكن بها عبادة الأبطال[٢٠٧]. ويؤكد ألان لويد أن المصريين ألهوا فقط: العلماء والحكماء والسحرة وذوى المقدرة الفذة، مثل هذا الاختلاف فى الموقف هو بالطبع اختلاف رئيسى فى المزاج بين ثقافتى كل من اليونان القديمة ومصر القديمة[٢٠٨].

ويبدو أن لويد هنا ليس راغبًا تمامًا فى إيجاد وجه للتمايز وواقع الأمر أن المصريين دأبو على أن تكون الآلهة من طبقة مختلفة تمامًا عن البشر، أى الفراعنة. وهؤلاء ، مثل الأبطال الإغريق، كانوا من دم ملكى وينظر إليهم باعتبارهم يعملون على إنجاز الأعمال الهائلة والشجاعة. وقد أصبحت هذه المهابة قوية فى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وأبدت الأجيال المتأخرة إجلالاً خاصًا للشخصيات المقدسة أمثال أمنحتب الثانى وأمنمحات الأول والثانى وسنوسرت الأول والثالث ، وهذه العبادات كانت نشطة فى العصور المتأخرة. هكذا، فهذه الآلهة التى كان لقبها يبدأ بـ Hr وكثيراً ما كانت تكرره، هى نسبيًا شبيهه بهيراكليس، والأكثر من هذا ، ففى ذروة عهد الأسرة الثانية عشرة كانت هناك عادة حكم الفراعنة جنبًا إلى جنب مع ورثتهم. وهكذا فالربط بين خونسو وأرسافيس (Arsaphes) وهيراكليس فى مصر بالأطفال الأبطال الملكيين يتلاءم جيداً وكل من هيراكليس والأبطال الإغريق الآخرين[٢٠٩].

وكان المفترض أن هيراكليس ، شأنه شأن جلجامش، كان يعمل وحده أو مع رفيق واحد تابع له، وهذا على عكس أخيه غير الشقيق ديونيسوس (سنناقش انحدار انتصاراته من انتصارات سنوسرت فى الفصل الرابع) الذى قام بغزواته على رأس جيش، ويبدو أن هذا يميز هيراكليس عن الفراعنة المصريين بجيوشهم الضخمة، فيما عدا الدعاية المصرية الموجود بالنصوص التى صورت الفتوحات كما لو كانت تعزى للفرعون نفسه بمساعدة بسيطة من جيوشه وسبق أن أشرنا إلى دور هيراكليس كصياد للوحوش الضخمة، وهذا أيضًا له تواز بالفراعنة المصريين الذين اشتهرت رحلات صيدهم الرائعة فى الصور والنقوش. وقد أشار الكتاب الإغريق أيضًا إلى قدرة سيزوستريس على الصيد[٢١٠].

هيراكليس كمهندس رى

وهناك أيضًا توازيات هامة بين الأنشطة المذكورة عن فراعنة الدولة الوسطى والدولة القديمة وبين خاصية محيرة بعض الشىء لهيراكليس ودوره كمهندس رى. وبالرغم من كونه شيء طبيعي جداً بالنسبة للأبطال أن يخضعوا لأعداء ويقتلون الوحوش، فإن حفر القنوات والأنفاق أمر أقل اعتياداً، إلا أن هذا هو أحد الموضوعات المتكررة جداً في الأساطير التي وردت عن هيراكليس.

ويتضح من خاتم من منطقة ما بين النهرين أن صورة بطل يشبه جداً هيراكليس وهو يقتل وحشًا بسبعة رءوس ويرجع تاريخها إلي الألف الثالثة. وترتبط الأساطير الأوغاريتية هذا بقتل التنين ذى الرؤوس السبعة (Lodon) والذى يرتبط بوضوح بالبحر الأدغاريتي وبإله النهر يم (Yam(m)[٢١١] ، إلا أن قتل هيراكليس لهيدراء (الماء) ذات الرؤوس الكثيرة في إنجازه الثانى يشتمل على صورة موزعي السدود أو مصبات الأنهار المختلفة وهندسة الرى[٢١٢]. وقد نظف هيراكليس الأسطبلات الأوجية وهو الانجاز الخامس له، وذلك عن طريق تحويل نهرى ألفيوس **Alpheios** وبنيوس **Peneios** خلالها. وقتل البطل للطيور الاستيمفالية التى كانت تقذف برازًا مسممًا، من المحتمل أنه ارتبط بالقصص الأخرى عن تجفيف المستنقعات الآسنة. وهنا يجب الإشارة إلى

أن، كما هو الحال بالنسبة للاسطبلات الأوجية، أحد الأنهار فى هذه الأسطورة كان يسمى بنيوس Peneios وهو ما سأناقشه فى الفصل القادم، يشتق اسمه من p3nw بمعنى فيضان فى اللغة المصرية[٢١٣]. فى إنجازه العاشر، حجز هيراكليس نهر ستريمون Strymon لكى يدفع مخزونه إلى الوطن، وفي إنجازه الحادى عشر يقتل الوحش لادون الذى ناقشنا طبيعته النهرية آنفًا، ولعل هذا يعد جانبًا لقصة الطفل هيراكليس وهو يخنق الحيتين، والتي أصبحت رمزًا لطيبة على عملاتها. وترمز الحيتان للنهرين الجاريين عبر طيبة، وأحدهما هو لادون[٢١٤]. وفي اتجاه معاكس، هناك فكرة قوية لكون هيراكليس قد حول نهر كفيسوس Kephissos ليصب فى بحيرة كوبائيس[٢١٥].

وسبق أن أشرنا إلى احتمال أن هذه الخاصية لهيراكليس يمكن أن تمت بصلة بطريقة أو بأخرى للجذر السامى (√hrr >√hrr) بمعنى تجويف النفق . من المحتمل أنه مرتبط بتطابق مع " الذى فوق بحيرته " Hrys-f/ Arsaphes ، إلا أن أوضح التوازيات يبدو أنه مع فراعنة الدولة الوسطى.

وروى هيرودوت أن الملك مينا (Min)كان قد شيد سدوداً لحماية ممفيس عند رأس الدلتا[٢١٦]. وكتب أن فاتح الأسرة الثانية عشرة العظيم سيزوستريس استعمل أسرى الحرب في أعمال التشييد والرى الضخمة[٢١٧]. ويلمح هرودوت أيضًا إلى أن الفرعون امنمحات الثالث باني قصر التية (اللابيرانث)، وهو أيضًا من الأسرة الثانية عشرة، كان مهتمًا أيضًا بالرى[٢١٨]. وقد أسهب ديودوروس في وصف التقريرين الأخيرين. إذ يصف بدقة كيف أن أمنمحات كان قد جفف الفيوم واستعملها لتنظيم منسوب النيل[٢١٩]. وأشار أيضًا إلى نشاط سيزوستريس – وهو يطلق عليه سيسؤسيس Sesoosis - في مجال حماية المدن من الفيضان وفي مجال تحسين الرى[٢٢٠].

هكذا نجد تشابهات بين صورة هيراكليس مهندس الرى والتصور الإغريقى الكلاسيكى، عن فراعنة الأسرة الثانية عشرة الذين تعهدوا بالرى واستصلاح الأرض، في الواقع، ما من شك فى وجود تطابقات قوية بين صور هؤلاء البشر المؤلهين كما تصورهم المصريون والإغريق في العصور الكلاسيكية وبين صور البطل هيراكليس.

وقد أوضح أمين المكتبة إراتوسثنيس Eratosthenes هذه التشابهات، إذ وصف ملك طيبة السادس والعشرين بأن " سيمفروكراتيس Semphroukrates " الذى هو هيراكليس هربوكراتيس" ووصف الملك الرابع والثلاثين بـ " سيستوسيخرميس Sistosichermes ، هيراكليس الشجاع". ومن الصعب مطابقة سيمفروكراتيس Semphroukrates ولكن يبدو أنه ينتمى إلى الدولة الوسطى. ويتتبع الإشارات إلى امنمحات الأول والثانى، اعتبر العلماء المحدثون سيستوسيخرميس إشارة إلى سيزوستريس الأول أو الثالث أو كليهما[٢٢١]. وكتب ريتشارد لبسيوس Reichard Lepsius عالم المصريات من القرن التاسع عشر، مقالاً مفصلاً عما رآه من مظاهر تطابق بين سيزوستريس وهيراكليس، ويقرر أن الروابط الأسطورية بين كليهما (هيراكليس وسيزوستريس) كانت واضحة ومتعارف عليها[٢٢٢] من وجهة نظر الناقد المصرى القديم.

وحرى بنا أن نتذكر أن هيراكليس يرجع وبوضوح إلى عصر ما قبل السيوف والعجلات الحربية. وبهذه الطريقة، كان مختلفًا عن فراعنة الدولة الحديثة (١٠٧٠ – ١١٠٠ ق.م) الذين استعملوا العجلات الحربية إما فعلاً أو رمزاً، ومثل هيراكليس، ارتدى فراعنة الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة جلد الأسد ، وكانوا يظهرون وفى أيديهم الهراوات المشهرة[٢٢٣]. وحدث تألية فراعنة الدولة الوسطى أثناء، أو بعد عهودهم مباشرة[٢٢٤]. ولم يكن تفسيراً لاحقًا. هكذا، فهذه الخاصية لطبيعة هيراكليس محتمل أنها كانت رئيسية فى الأسطورة التى نشأت فى العصر البرونزى، أى قبل ١١٠٠ ق.م. وبينما كان فراعين الأسرة الثانية عشرة تحت حماية آمون بصفة خاصة، الذى كان الإله الملكى لطيبة والأب المقدس لهم، كان هيراكليس ابن زيوس، الذى كان فى طيبة الإغريقية مطابقًا جداً وبصفة خاصة لآمون، والأكثر من هذا، فحيث كان فرعون الأسرة الحادية عشرة المدعو امنحتب مكرسًا لمونت Mont أو Mntw ، وكان هيراكليس بمعنى أو بآخر ابن رادامانثيس الذى كان النظير الإغريقى لمونت، وهذا ما سوف نناقشه فى الفصل الرابع وسبق أن ناقشنا تطابق أثينا مع ألكمينى وما من شك فى أن أثينا فى الأساطير الإغريقية كانت تساعد وتساند هيراكليس بصفة مستمرة.

وبالمثل، هناك دليل واضح على كون نيت حامية لأمنحتب الثاني، وثمة سبب بسيط للشك فى أنها كانت تقوم بنفس الوظيفة بالنسبة لفراعنة الأسرة الثانية عشرة[٢٢٥].

وبينما تهكم العلماء المُحدثون على روايات كل من هيرودوت وديودوروس عن فتوحات سيزوستريس، نجد دليلاً تفصيليًا من النصوص والآثار مما يدعم ويقوة رواياتهم عن انتصارات المختصين بالماء فى الدولة الوسطى. وبالرغم من أن العمل الأكبر فى تجفيف بحيرة الفيوم الكبرى كان فى عهد الأسرة الثانية عشرة، فإن العُرْف جرى على وضع بداية الرى فى مصر مع أول فرعون أى مينا الذى حكم حوالى عام ٣٤٠٠ ق.م، وهو ما يبدو دقيقًا، وأيضًا هناك دليل أثرى على وجود سدود من الدولة القديمة (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م) . وقد وُجِدَ دليلٌ واضحٌ على إنشاء القنوات من قبل الفرعونين سنوسرت الأول والثالث، المعروفين بكونهما النموذج الأصلى لسيزوستريس، ويصدق نفس الشيء على أمنمحات[٢٢٦] Moeris . والاسم Moeris يبدو أن له مصدرين ، أولاً، هناك اسم المكان (Mrwr) بمعنى البحيرة الكبيرة أو القناة الكبيرة، وهو ما أُطلِقَ على بلده بالقرب من ثغر الفيوم؛ ثانيًا، الاسم NemaΓreΓ، فرعون الأسرة الثانية عشرة المعروف عامة بأمنمحات الثالث الذى تعهد فعلاً بأعمال رى مهمة فى الفيوم[٢٢٧].

هكذا، فإن فكرة المنجزات الفعلية لهؤلاء الفراعنة قد لعبت دورًا مهمًا فى تكوين هيراكليس الأسطورى وهو ما يجب أن نأخذه مأخذ الجد.

هيراكليس بوصفه فرعونًا من الدولة الوسطى فى بؤتيا

فى الأساطير الإغريقية، كان هيراكليس أساسًا بطل من طيبة، وكانت طيبة عادة هى مسقط رأسه ومسرح الكثير من منجزاته المبكرة. كما كان معبودًا أيضًا فى أماكن أخرى من بؤتيا. وفى هذه المرحلة، لعله من المفيد أن ننظر إلى بعض هذه العبادات بحثًا عن أية دلائل على وجود علاقات مع مصر أو فراعنة الأسرة الوسطى بصفة خاصة.

مدينتان في غرب بؤتيا لهما اسم مشابه بطريقة واضحة وهما تيسبياى Thespiai وتيسبى Thisbe وكلاهما كانت بها عبادة هامة لهيراكليس. وكما أوضح أستور، فكل من الاسمين له أصل مقبول من اسم حرانى لرب العاصفة Tessub [٢٢٨] . وفكرة تأثير حرانى على بؤتيا فى العصر البرونزى فكرة محتملة، أولاً، بسبب احتمال وجود عناصر حرانية بين الهكسوس، الذين استعمروا فى البحر الإيجى، وثانيًا، بسبب التأثير الأناضولى فى نهاية عصر البرونز. وسوف نناقش هذه المسائل فى الفصلين التاسع والحادى عشر.

والعلاقات الخاصة بين مثل هذا التأثير الحرانى وعبادة هيراكليس يوحى بها اسم زوجة البطل، وهو هيبى Hebe وأثبت عدد من العلماء أن اسمها لا يعنى فقط "الشباب" كما وأن عالم اللغة الألمانى بول كرتشمير Paul Kretschmer يربطها بطريقة مقنعة بهيبتا Hipta الموجودة فى اثنين من الأناشيد الأورفية Orphic ، كما أوضح أن كليهما لابد وأنه مُشتَق من زوجة Tessub الربة Hebat الحرانية[٢٢٩]. والربط بين هيراكليس و Te??ub يمتد بلا شك إلى أناتوليا وجنوب القوقاز. إلا أنه ليس من الضرورى أن يبعده عن فراعنة الدولة الوسيطة. وكما سوف أناقش فى الفصلين السادس والحادى عشر، فإن فتوحات سنوسرت الأول فى هذه الأقاليم قد تركت أثرًا للفرعون المرتدى التاج الأبيض لمصر العليا على رسومات كل من الملكية و " الإله الضار " الشهير جدًا Tessub .

وقد أسس باوسانياس Pausanias عبادة هيراكليس فى ثيسبياى Thespiai فى زمن أقدم من زمن هيراكليس ابن أمفيتريون، وينتمى إلى من كان يدعى (قديمًا) هيراكليس الذى وجدت مقدساته فى إثراى Erythrai بإيونيا وفى صور[٢٣٠].

سبق أن أشرنا إلى عبادة هيراكليس Melqart فى صور. وطبقًا لباوسانياس، "فإن تمثال هيراكليس فى إرتريا Erythrai لا يشبه التماثيل التى يسمونها Aiginetau أو أقدم تماثيل الأثينية، ولكنه مصرى محض بطريقة لم يسبق لها مثيل"[٢٣١]. وجدير بالذكر أنه كان هناك سدًا ضخمًا للتحكم فى المياه ومد الأرض بها فى ثيسبياى Thespiai وثيبى Thisbe ، وأيضًا كما هو الحال فى كوروينا Koroneia كان هيراكليس

معروفًا باسم Heracles Kharops , Kharops أو غالبًا Kharops Herakles . والصفة يبدو أن معناها " لامع العينان " إلا أن ثمة احتمالاً آخر وهو أن الاسم متصل بـ Kekrops المؤسس الأسطورى لأثينا ، والذى كان له معبد فى هاليارتوس أيضًا. وسوف نناقش بمزيد من التفصيل كيكروبس فى الفصل الثالث ولكن يكفى هنا القول بأن الاسم ربما يكون له صلة بـHprk3RΓ, HΓhpr or HΓk3wRΓ وهى الأسماء الأولى لسنوسرت الأول والثانى والثالث.

وهكذا توجد علاقات محتملة لهيراكليس البؤتى بمصر إبَّان الأسرة الثانية عشرة .

النتيجـــــــــة

لقد تعلق هذا الفصل بجزء صغير من الدليل على وجود علاقات وثيقة ودائمة بين بؤتيا وأركاديا والشرق الأدنى فى عصر البرونز. فيما بعد فى هذا المجلد، سأقوم بدراسة اشتقاقات مصرية وسامية جديرة بالتصديق لأسماء أماكن كثيرة هامة فى بؤتيا بما فى ذلك كوبائيس Kopais وكفيسوس Kephissos وأرخومينوس Orchomenos ومينيان Minyan وطيبة Thebes نفسها. وفى الفصل الرابع سأنظر فى التناظرات الأسطورية المعقدة أيضًا بين مخلوقاتت مثل أبى الهول المصرى والبؤتى، وبين عبادات الشمس لحورس وأبوللون وبين تم Tm وأرتميس، وأيضًا بين أوديب والمصرى K3MWt.f بمعنى ثور أمه. وهنا اهتممنا إلى حد ما بهؤلاء المختصين بالمياه الجوفية والرى والصرف.

وكما رأينا، فعبادات أثينا القديمة على شاطئ بحيرة كوبائيس وفى طيبة تبدو موازية للأساطير المحيطة بنيت Neit كربة للمستنقعات واستصلاحها. كما توجد أيضًا تشابهات بين تنافسها مع بوسيدون والصراع بين الزراعة والطبيعة فى مصر وليبيا. وعبادة أثينا أونكا فى طيبة توحى بتماثل نيت / أثينا بنفثيس / برسيفونى/ إرينيس

من خلال أنوكيس Anukis المصرية والعلاقات بالفيضان والتحكم فى المياه كما يبدو أيضًا أن هناك علاقات بين Γnkt/Onka و ΓΤk/alke تربط بين اسمي Onka و Alkemene وعبادات أثينا فى إتونيا Itonia ذات الصلة بالالكومينا Alakomena . تشير إلى تطابق بين أثينا وألكميني Alkmene ، وزواج أمون /زيوس بأم هيراكليس، فى مصر، كانت تقدم نيت على أنها الأم المقدسة لمنتوحوتب الثاني Menthotpe II من الأسرة الحادية عشرة.

من الواضح أيضًا أن البطل الطيبى هيراكليس هو شخصية معقدة خُلِقت من مصادر كثيرة، وبالرغم من احتمال أنها ليست أقدمها- كما يفترض الإغريق- فإن المصادر المصرية كانت أساسية فى تكوينه. فمن ناحية كانت هناك الآلهة - شو (Shu) وأرسافيس (Arsaphes) / (Hry s-f) ، ومن ناحية أخرى فراعنة الأسرة الوسطى. فأرسافيس والفراعنة، كما رأينا، يمثلون معظم الخلفية لمآثر هيراكليس كمهندس رى.

وهكذا ، فليس هناك فقط توازٍ بين بحيرة كويائيس ومصر كما شوهد فى العصر البطلمي، ولكن هناك أيضًا تشابهات معقدة بين الأساطير المصرية وعبادات أثينا فى بؤتيا، كما توجد أيضًا تطابقات بين أساطير هيراكليس كمهندس رى وبين المنجزات الخيالية والحقيقية لفراعنة الدولة الوسطى فى الصرف والرى. وككل يبدو أن هناك دليل واضح على افتراض أن عمال الرى القدماء فى بؤتيا بصفة عامة وعند بحيرة كوبائيس بصفة خاصة كانوا على صلة بعمال مصر بطريقة أو بأخرى.

بعض الأساطير التى نوقشت يبدو أنها تنتمى إلى عصر البرونز المتأخر. وقد أشار إليها هوميروس وهسيودوس، مبينين أنها وُجِدت على الأقل فى القرن العاشر، ولكنهما يقدمان أدلة على أنها لم تكن قبل القرن السابع عشر ق.م. وأوضح أمثلة على هذا هو الأساطير التى تشير إلى بوسيدون وإرينيس كخيول، حيث أن ، كما أشرنا آنفًا، الخيول لم توجد بأعداد يعتد بها فى الشرق الأوسط ومنطقة بحر إيجه قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد. وربما انطبق الشيء نفسه على تلفوسا/ تلفوسا Telphousa/Thelphusa فى صلتها بالأسماء T3ldyw, Rb and Ilbus وعلى الرغم من أن ليبيا كانت معروفة بالجياد لدى الشعوب الإيجية على الأقل منذ الألف الثالثة. فإن

هذا الاسم وعلاقة البلد بالجياد ظهروا فقط في النصف الثاني من الألف الثانية. وبالمثل، فالأسماء التي من الواضح أنها حرانية (*) ألا وهي ثيسبي / ثيسبياي وهيبي Thisbe/ Thespiai and Hebe ؛ فمن الممكن أن تكون قد ظهرت لأول مرة بعد وصول الهكسوس، وهو ما سوف أناقشه في الفصل التاسع، الذي حدث في نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ومن المحتمل أيضًا أن الأساطير المحمومة حول أوجيجوس Ogygos قد ظهرت فقط بعد بركان ثيرا عام ١٦٢٨ ق.م(**).

ولأسباب سوف تتضح لاحقًا، فإننا نبحث عن آثار أسطورية وثقافية لعصور أقدم. وكل ما يمكن قوله هنا هو احتمال أن الأساطير الأساسية عن هيراكليس وألكميني وردمانثيس تأتي من انعطاف الألف الثانية. ومن ناحية أخرى، فالبعض، مثل العبادة الأولى لأثينا وبوسيدون في بيوتيا، ممكن أن تكون أقدم. ولتحديد العصر المحتمل لهم فمن الضروري أن نفحص الدليل الأثري الذي سيناقش في الفصل التالي.

(*) حرانية هذه هي نسبة إلى أرض حوران أو حران التي عاش بها سيدنا إبراهيم عليه السلام. (المترجمة).

(**) هذا تاريخ غير دقيق للبركان. وقديم جدًا، حيث يجمع علماء الآثار (منذ مطلع السبعينيات وحتى الآن)، على أن البركان قد وقع حوالي عام ١٤٥٠ ق.م . راجع / Marinatons, Thera (I- VII) (المحرر) وكذلك انظر/ محمود السعدني، تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠م (ثيرا ولوحاتها الجدارية) ص ٥٥ – ٥٨ .

هوامش الفصل الثانى

(1) Theophrastos, Peri phyton historias, IV. 10 ; IV. 59; peri aition, II. 12.4 ; Pliny, Natural History II. 95 and XIX. 1.2.2; Plutarch suka 20.3-5.

وعلينا أن نرى هذه المراجع في ضوء .Heroadotos II. 156 . ويجب أيضًا التنويه إلي أن سرابيس وآمون وإيزيس وأنوبيس كانوا يعبدون فى طيبة في العصرين البطلمى والرومانى وإلى أنه كان هناك مركز عبادة لسرابيس فى تناجرا Tanagraجنوب بؤتيا. انظر (Spyropoulos (1972 p. 25 . ومثل هذه العبادات كانت منتشرة انتشارًا واسعًا فى بلاد اليونان.

(2) Müller (1820 - 4, I, p.92).

(3) Müller (1820 - 4, I, p.93).

(4) For the Kopais and Kephis(s)os, see ch. III, nn. 94-7. For Minyan, see ch,III, n. 48, and Volume 3. for Thebes, see ch. XII, nn. 49-52.

المينائيون هم مهاجرون وصلوا إلى اليونان في القرن الثالث عشر ق.م أى قبل الغزو الدورى مباشرة.

اللابيث هم مجموعة من العماليق جاء ذكرهم فى الأساطير عند كل من هوميروس وهيسيودوس ودخلوا فى صراع مع آلهة الأليمبوس.

(5) Iliad, XIV. 321-5, tr. A.T. Murry, II, p.91.

(6) Schachter (1981, p.16) يرى شاختر أن عبادة الاثنين كانت متوازية . في طيبة.

(7) Volume I, p.95.

(٨) يشتق Chantraine هذا من الكلمة اليونانية Selas بمعنى نار أو ضوء الشعلة. إلا أنه لا يجد اشتقاقًا مقبولاً لهذا. وثمة علاقة بين Selas وبين الكلمة الديموطيقية Sl-Sol فى القطبية بمعنى شعلة. وهذا الجذر لا يوجد في اللغة المصرية القديمة ويقترح Cerny أن Sol تاتى من الكلمة السامية s<l.Sa<ala وتعنى في العربية شعلة. وهكذا يكون أكثر الافتراضات احتمالاً هو أن كلاً من اللغتين الديموطيقية واليونانية استعارت من كلمة سامية غربية غير محققة هى Sal بمعنى نار أو لهب أو شعلة أو منارة.

(9) Astour (1967 a, pp. 170-2) . ولكي تجد نقدًا جادًا لهذا Burton (1972, pp 102-3) انظر.

عن أهمية رعاية الماشية فى أصول الحضارة المصرية انظر :

(10) Hoffman (1979, pp. 236-7)

(11) Pausanias, IX. 16.1.

(12) See Volume 1, p. 114.

(13) See Rank (1935 - 52 , I, p. 226).

(14) Gardiner (1957, pp. 428-30).

(15) Herodotos, II. 43.

(16) Tzetzes, Scholiast on Lykophron. وقبل بهذا أيضًا أبوللودوروس Apollodoros, II. 4. 12; see the discussion in Frazer (1921, I, p. 183, n.I).

(17) Strabo, IX. 2.18.

(18) Pausanias, IX. 33.1.Schachter (1986, p. 113) Roesch (1982, p.214)

وفكرة أن كيكروبس كان آخر ملوك أثينا كان قد عارضها روش وأعتقد أن روش على حق واعتقد أن تفسير باوزانياس مقبول ولكنه غير صحيح هنا

(١٩) انظر فوسى (Fossey (1974, p. 15, n. 40 الذى يستشهد ببحث شاختر.

وانظر شاختر (Schachter (1981, p.114, n. 3 الذى يستشهد بمقالة فوسى.

(20) Fossey (1974, p. 15, n. 40)

(21) Schachter (1981, p. 113).

(22) Strabo, IX. 2.29 see also Pausamias, I. 13.1 and X.1.10 and Farmell (1895-1909, I, pp. 402 - 3, n.61).

(23) Sayed (1982 I, pp. 71-2, 106-14).

(24) Keimer (1931, pp. 151-9); Hollis (1988, pp. 1-3).

(25) See ch. I, n. 58. for more, see Volume 3.

(26) Strabo, IX. 2. 29.

(27) Movers (1941 - 50) II, 1, p. 258) and Berard, les Pheniciens et l'Odyssee, 2nd ed., II, p. 337 not in (1902 -3) See Asthour (1967, p. 140).

(٢٨) استعمال Kothon بمعنى كأس كبير للشرب يمكن إما أن يشير إلى ميناء قرطاجى أو أن يكون مثلاً على مسرح الجنود. وللمزيد بخصوص هذا الاشتقاق انظر (Brown (1969, p. 157 .

(29) Schachter (1981, p. 113); Iliad, IV. 8 and V. 908.

(30) Schachter (1981, p. 113).

(31) Pausanias, IX. 5. 1.

(32) Pausanias, I 38.7. Varro, Res rusticae. 3. 1. 2.

(33) Meyer (1928 - 96, II, p. 194). See also Fonten vase (1959, pp. 236-7).

(34) Aischylos, the Persians, II. 37 - 40.

(35) See below, ch VII, nn. 122 - 3.

(36) See Pope (1981, p. 170).

وفي الفصل الرابع ستكون هناك مناقشة أكثر للعلاقة بين الرفائيين The Rephaim ومساكنهم الطينية والعمالقة الإغريق، الذين يتصل اسمهم بالكلمة اليونانية titanoi بمعني رجال الطين او الجبس، ويقترح أستور (Astour (1967 a , pp. 196 - 7,n.3 أنها تاتى من كلمة سامية بمعنى طين أو وحل وهى موجودة فى اللغة الأكادية وتكتب Titu . وأدين لسكوت نوجل Scott Noegel بكل الجزء الخاص بالعلاقة بين اوج Og و اوجيجوس Ogygos . وانظر أيضًا (West (1971, p. 41 .

(37) Astour (1967 a , pp. 236 - 7).

حيث يعرض للعلاقة بين <rp the Rephaim بمعني يشفى والملاك الرئيسى رفائيل من ناحية، والثعابين من ناحية أخرى.

(38) Pope (1981, p. 170)

(39) deuteronomy 3.11.

(40) Ezekiel 38, 39, وفى أماكن أخرى

(41) Midrash Bereshit Raba 31. 13; Sanhedrin 108 b; Targum Yerushalmi Dt. 2. 11, 3.10; Yalcut Reubeni on Gn. 7. 22.

(42) Astour (1967 a, p. 212).

(43) Isaiah 54. 9.

(44) Erman and Grapow (1982, 1, p. 376). It is hot, lowever, in Lesko and Switalski - lesko, 1982 - 90.

(45) Gauthier (1925 - 31, I, p. 208).

(46) Ezekiel 39. 18.

(47) Astour (1967 a , p. 212).

(48) Zebahim 113b ; Sanhedrin 108b; Rosh ha-Shanah 12a; Yerushalmi Sanhdrin 10, 296; Yelmmadena in Yalkut 11508 on Tsaiah 64 11.

(49) Schachter (1981, p. 113).

إذا يرفض الصلة بـأوديسيوس كخيال محض وربما يكون محقًا. إلا أنه، بينما يعنى اسم أوديسيوس ببساطة (المسافر)، نجد الكلمة المصرية wd(yt)w وهى من wdyt بمعنى حمله أو رحلة او معسكر. وهذا أيضًا ممكن أن ينطبق على هيراكليس الذى سنناقش علاقته الممكنة بالعبادة لاحقًا.

(50) Pausanias , IX. 33. 7. Pausanias, VIII. 26. 5-6.

حيث يقرر أن الأركاديين عندهم أيضًا نهر اسمه Triton بالقرب من عبادة أسكليبيوس وأثينا . ومن المثير أنه كان فى Peneos ، التي كما سنرى لاحقًا تشتق اسمها من الكلمة المصرية P3nw بمعنى الفيضان . ومن أجل إشارات أخرى إلي ميلاد أثينا وأنشطة أخرى قرب Triton انظر: (Farnell (1895- 1909, I, pp. 266- 9; 385- 6, n. 16

(51) Herodotos , IV. 178.

(52) Apollonios Rhodios, IV. 149 ; Diodoros, III. 53. 4 ; Plsny, Natural History, V. 28.

(53) For the derivation of tr frpm twr, see Erman and Grapow (1925 - 31 , V, pp. 255 and 318).

(54) Schachter (1981, p. 113).

(55) Lactantius on Statius, thebaid, VII. 330. See Schachter (1981, p. 112).

(56) See Farnell (1895 - 1909, I, pl. xv) and Schachter (1981, p. 122).

(57) Schachter (1981 - pp. 120 -1).

(58) Sayed (1982, I , pp. 101 - 6). For the coin and the statue at Priene, see Farnell (1895 - 1909, I, p. 338).

(59) Sayed (1982, I, pp. 51 - 62).

(60) Sayed (1982, I, pp. 31-2).

(61) Pyramid Texts 508-9. Sayed, Doc. 196 (1982, T, pp. 31-2).

حيث يقدم مراجع لكل الترجمات المنشورة.

(62) Sayed (1982, I, pp. 61 - 62; II, pp. 319 - 20, Doc. 287).

(63) Sayed (1982, I. Pp. 67-9). See also Hollis (1987b, pp. 8-9).

(64) For Neit's warlike triumph over Seth and Apopi, see Sayed (1982, I, pp. 72-6). For the identification of Seth with Poseidon, see Volume 1, pp. 66- 7). I will be discussed further in Volume 4.

(65) Farnell (1895 - 1909, I, pp. 270 -1).

(66) See Volume 1, pp. 303 - 6 , 320.)

(67) Burkert (1985, p. 221).

(68) Burkert (1985, p. 221).

(69) For Seth's characteristics, see Rundle - Clark (1959, pp. 14-15).

(70) Fontenrose (1959).

(71) Burkert (1985, p. 221).

(72) Schachter (1986, pp. 211 - 14).

(73) Pausanias, IX. 33. I ; Strabo, IX. 2. 36.

(74) Thebais schol. On Iliad, XXIII. 346 - 7.

(75) Pausanias, VIII. 25. 4-7 and 42.1. see also Berard (1894, pp. 136-7).

(٧٦) يبدو أن العلاقة تتأكد بوجود Erion مختلف على عمله أركادية. انظر Schachter (1986, p. 222, n. 5). وربة الشقاق Eris التي ليس لها اشتقاق هندو - أوروبي ، ربما تشتق من الجذر السامي الغربي hrr بمعنى يحرق، يضرم النار، وهو يستعمل بمعنى يضرم الشقاق، وللمزيد عن هذا الجذر ، انظر أدناه تحت هيراكليس.

(77) Fontenrose (1959, p. 368, n. 5).

(٧٨) هذا والمتشابهات مع Mary Magdalene سوف تناقش بالتفصيل في الفصل الرابع.

(79) For the Osiran version, see Plutarch, De Iside.... 356 and 366 B-C. for Seth's paternity, see Budge (1904, p. 378) and Graefe on unpublished sources (1984, IV, col. 459, n. 20).

(80) See Berard (1894, pp. 136-7) and Fontenrose (1959, pp. 46, 421).

(81) Hymn to the Pythian Apollo, 244 - 76.

(82) B'erard (1894, pp. 136-7).

(83) Fontenrose (1959, pp. 47 esp n.5). For the relation between ge and Demeter see Volume 1, p. 57.

(84) For a bibliography on this see Snowden (1970, pp. 307 - 8, n. 6).

(85) Andr'e (1948, pp. 44 - 53).

(86) See ch. IV, n. 99 and ch. X, n. 9.

(87) Lewy (1895, p. 139) and Astour (1967 a, p. 130).

يفضل علماء اللغات الهندو - أوروبية اشتقاق erebos من الجذر reguos بمعنى مظلم وهو موجود في السنسكريتية والآرامية. وثمة كلمة أخرى سامية تقابل كلمة غرب هي aharon وتظهر في اسم المكان Acheron وهو النهر المرتبط بالموت في العبادة والأساطير ويقع جغرافيا في أقصى الشمال الغربي لبلاد اليونان. انظر :

Astour (1976 a, p. 314)

(88) Plutarch De Iside,..., 366 B. Trans. Babbit, p. 93.

(89) Knauss (1987 a, pp. 43-6; 1987 b, p.3).

(90) See, for instance, Fontenrose (1959, pp. 177- 81).

(91) Fontenrose (1959, pp. 370-2).

(92) Astour (1967 a. pp. 226-7 ; 250-71).

(93) Hesiod, Theogony, 282 - 3.

(94) Strabo, 1 X. 2. 25.

(95) B'erard (1894 p. 116).

وهو يتفق مع Bochart في اشتقاق الاسم من √pgh بمعنى كبح - يكبح. وهذا يبدو مقبولاً في ضوء الأسطورة القائلة بأن أثينا قد وضعت لجامًا على بيجاسوس. وهذا الشكل ليس معترفًا به في التوراة العبرية. إلا أن Pag تعني أحيانًا حبل المشنقة و Paga تعني الشكيمة وهي تظهر في الآرامية والعبرية الحديثة من العصر الأول الميلادى ومن المحتمل جدًا أن الجذر قد وجد قبل ذلك بكثير. وبعد اعطاء الاشتقاق السامى لبلروفون Bellerophon يبدو من المحتمل أن هذا الجذر لبيجاسوس قد لعب أيضًا دورًا في خلق الأسطورة.

(96) See Breasted (1906, III, ss 589 and IV ss III).

(97) Pindar, Pythian Ode, IV. 2 ; Kallimachos, quoted in Strabo, X. 5. 1. and XVII. 3. 21. for others, see Bates (1914, pp. 96-7).

(98) Bates (1914, p. 97).

(99) Breasted (1906, IV, ss III).

(100) See L'hote (1959, pp. 122 - 8).

(101) Herodotos, IV. 170 - 93.

(102) Herodotos, IV.189.

(103) Iliad , VIII, 184-5, and Odyssey, XIII. 81-5.

(104) Bernal (forthcoming)آت قريبًا

(105) See Gardiner (1947, II, pp. 5, 28-9).

(106) Procopius, History, I. 19. 29; Pliny, Natural History, VI, 35; Arkell (1961, p. 178); Andre (1948, pp. 44- 53).

وبصفة عامة هناك اتفاق على أن كلمة Oasis اليونانية تأتى من الكلمة المصرية wh3t وهى في القبطية uahe

(107) Procopius, De Bello Persico, I. 19. 29-31, cited in Bates (1914, p. 236).

(108) Gauthier (1925 - 31, v, p. 21).

(109) Herodotos, II. 50.

(110) Lloyd (1976, pp. 237 - 8).

(111) See Volume 1, p. 67.

(112) Herodotos, IV. 180 and 188.

(113) Dennis, (1848, I. P. 109).

(١١٤) عن اللاحقة الوثنية h- انظر (Grodon (1966, ss 8.60 . وليس ثمة سبب لكون الشكل الاتروسكى Nethun أقدم من الشكل اللاتينى Neptun . فالأكثر احتمالاً هو أن Nethun مشتقة من Neptune وليس العكس. وعن علم الرومان بأهمية Nbty انظر :

Winkler(1985, pp. 309 - 18).

(115) For Delphos see n.84 above. For the meaning of the stem Deph - see Volume 4.

(116) Gauthier (1925 0 31 , v , p. 27).

(117) For Rb, libu, see Gardiner (1947, I, pp. 121 -2).

(118) See Odyssey, IV. 85 and XIV. 295.

(119) For a bibliography on reference to Tilphousa/ Telphusa/ Thelphousa, see Fonterose (1959, p. 367, nn. 3-4).

(120) See above n. 86.

(121) See above nn. 83 - 4.

(122) Frazer (1898, IV, 262 - 3 ; 286).

(123) For more on this, see below, ch. III. Nn. 85-6.

(124) Astour(1967a, p. 214). For the Ugaritic paralles, see Gray (1956, p. 32); for the biblical ones, see Pope (1973, p.30).

وقد جرى العُرف على ربط Ladon الأركادى بالثعبان أو التنين وهو مازال يحيا فى اسم المكان الحديث Drakovouni ، بمعنى جبل التنين، وهو الجبل القريب من النهر.

(125) Hesiod, Theogony, 333 - 5.

وقد ذُكِرَ الثعبان بالفعل فى الثيوجونيا ولكن لمعرفة مطابقتها لـ Ladon انظر : West (1988, p. 258, 1. 334).

(126) See Pistis Sophis, 287 - 9 ; Budge (1934, pp. 357 - 79) and Fontenrose (1959, pp. 234 - 7).

(127) See ch, VII, nn 107-18.

(128) Scholiast on Apollonios Rhodios, IV. 1396.

(129) Astour (1967 a, p. 214).

(130) See Fontenrose (1959, p. 369).

(131) For Anuket (is), see Otto (1975 c, cols 333 - 4). For this derivation of Onka, pace Berard (1894, p. 140).

(132) Herodotos, II. 28.

وعن التعقيد الهائل الذى يحيط بهذه الينابيع المفترضة، انظر:

Lloyd (1976, pp. 107 - 17).

(133) For Nephthys and Anukis, see Graefe (1982, cols 458 -9).

(134) Sayed (1982, I, p. 125).

(135) For Khnum being drawn as Nb kbhw, see Gardiner (1947, II, p.4).

بالرغم من أن مرجعه عن Gauthier (1925 - 31,V, 170) لا يشير إلى خنوم وعن الاستعمال المحتمل لقب Kbh بمفرده، انظر:

Budge (1904, II, p. 5).

(136) See ch. III, nn. 94-7.

(137) See Pausanias, II. 4.5.

(138) See Pausanias, II. 20.6.

(139) Inscription at Esna, Sayed, Doc.1024 (1982, II, pp. 634-5)

(140) See n. 60 above.

(141) For Neit as cow and mother of Re, see Sayed, Doc. 260 (1982, II, pp. 308-9).

(142) I. Samuel 6.7-12 ; Astour (1967 a, pp. 157-8).

(143) Pausanias, IX, 12. 2.

(144) Symeonoglou (1985, pp. 7-11).

(145) Euripides, the Phoenician Women, 822-33, trans. Vellacott (1972, p. 265), and Schliast on [1]. 71; Phorekydes quoted in Apollodoros, II, 4. 2; Pindar, Pythian Odes, III, 94 (167); Diodoros, IV. 65.5 and V. 49. I; Pausonias, IX. 12.3.

(146) Euripides, the Phoenician Women, 822-7, trans. Vellacott (1972, p. 265).

(١٤٧) عن الأسباب الأخرى لطبيعتهم الثعبانية انظر:

Astour (1967 a, pp. 154-8, 392).

(148) Astour (1967 a p. 160).

(١٤٩) وقد رأى هذا (Barthelemy (1763, p. 226 أما Chantraine الذي كتب بعد مائتي عام يصف الاشتقاق من " horkos بأنه غامضاً ".

(150) Sethe (1906 - 9, IV, 1. 823).

(151) Hintze (1975, col. 333).

(152) Schachter (1981, p. 113). Bickerman (1980, p. 20)

(153) Apollodoros, II. 48, and Diodoros, IV. 9. 2.

(154) Schachter (1981, p121, n. 3).

(155) Volume 1, p. 76.

(١٥٦) انظر التسعة والثمانين اسماً للمكان والتي تبدأ بـ R عند:

Gauthier (1925 - 31, III, pp. 112-28).

(157) Lewy (1895) p. 194, n. 2).

(158) See Sayed (1982, p. 141).

(159) Sayed (1982, pp. 282 - 3, Does. 220 and 221).

(160) Burkert (1985, p. 209).

(161) See, for instance kirk (1974, p. 257).

(162) Jacobsen (1976, p. 195).

(163) Jacobsen (1976, pp. 208-19).

(164) Herodotos, II. 44, and levy (1934, p. 45).

(165) Dussaud (1946 - 8 , p. 2081).

(166) For a full bibliography on this, see Lloyd (1976, pp. 205-6).

(167) See Seyrig (1944-5); Dussaud (1946-8). See also Brundage (1958).

حيث يثبت بطريقة مؤثرة العلاقات بين هيراكليس وجلجامش و Melqart ويستمر، بما يبدو دقة فى غير محلها، فى ربط البطل الإغريقى بالجنوب الغربى لأناتوليا فى القرن السابع.

(168)Chadwick (1976, pp. 87, 95).

(١٦٩) ربما تكون هناك تورية فى الكلمة الأكادية sarrum غير الموجودة في Eblaite والكلمة العبرية Sar بمعني ملك. وسوف نناقش في الفصل الثالث إبدال حرف s بـ h.

(170) See Roberts (1971) and Jacobsen (1976, pp. 226- 32).

ومن المشوق أن والتر بركرت Walter Burkert يرى علاقة بين إرا و Erra طيبة. إلا أنه يربط بين إله الرافدين وأدراستوس Adrastos ، الملك الأسطورى لأرجوس وعدو طيبة، والذى قاد الأبطال السبعة ضد طيبة (a984, pp. 97- 104) ، هكذا، وحيث أن هيراكليس يطابق إرا Erra ، فهو هنا عدو طيبة أكثر منه بطلها. إلا أن عنف هيراكليس وعدم الثقة به يجعل هذا ممكنًا جداً.

(171) Apollodoros, II. 5.8. for Further bibliography, see Frazer (1921, p. 201, n. 2).

وعن عبادة هيراكليس فى أبديرا الأسبانية والصعوبات التى واجهها العلماء الأريانيون فى التعامل مع طبيعتها الفينيقية البحتة انظر : Farnell, (1921, pp. 145, 167) .

(172) Herodotos, II. 43.

(173) Lloyd (1976, pp. 203-4).

(174) Sauneron (1968, p. 18).

(175) Te Velde (1970, p. 186).

(176) Te Velde (1970, p. 175). In fact, Budge notes a variant form of Hrk3 p hard, Hrk3 the Child (1904, I p. 463).

(177) See Budge (1904, I, p. 463) and Sauneron (1960).

(178) Budge (1904, I, p. 463, n. 3).

(179) See Syncellus (1719, p. 81). For lepsius' interpretation of this, see below, n. 222.

(180) See Gardirer (11957, pp. 71-3).

(181) Herodots, II. 43-4. Lloyd (1976, pp. 207-11).

حيث يُنكر وجود علاقة بعبادة فينيقية. وقد أدحض هذه الحالة فان برخم Van Berchem (1967) ولم يُشر إليه لويد Lloyd الذى نظر إلى المشكلة عبر البحر المتوسط.

(182)Diodoros, III. 7. 4.4.

(183) De Natura Deorum, III 42.

(184) See Altenmuller (1977, cols. 1015- 18) and Yadin (1982)

(185) For bibliography on this see Yadin (1982, p. 266).

(186) For the unsatisfactory nature of the proposed semitic etymologies see Fulco (1976, pp. 64-5).

(187) For his cult at Byblos, see Fulco (1976, p. 55, nn. 292-4).

عن اللبس بين الآلهة المصرية والآلهة السامية الغربية، انظر:

Leclant (1960, p. 53, nn. 7-10), Simpson (1960 , p. 68 and pace fulco (1976, p. 55). For the Egyptian cities, see Gardiner (1947, II, pp. 113-14, 176).

(188) Fulco (1976, p. 20).

(189) Gardiner (1947, II, p. 114).

(190) Fulco (1976, pp. 3-21).

(191) Diodoros, IV. 10.2. see also ch. IV, nn. 132-58.

(192) Yadin (1982, pp. 264- 741. for his arguments on Dan, see yadin (1968) and below, ch. X, nn. 53-9. for the Aegean origins of the Sea Peoples, see Volume I, pp. 445-50.

(193) Fulco (1976, p. 50) and Yadin (1982, p. 270).

(194) Lloyd (1976, p. 195).

(195) Posener (1966).

(196) Sethe (1929, pp. 30-4), Bonnet (1952, p. 142); Griffiths (1955, p. 23). For a full bibliography, see Lloyd (1976, p. 195).

(197) See above, n. 170.

بنفس المعنى " حرق و وباء" ولكن فولكو Fulco(1976, pp. 64-5) يرى هذا مشتق من اسم الإله.

(198) Sethe (1929, pp. 30-4); Bonnet (1952, p. 142); Griffths (1955, p. 23); Lloyd (1976, p. 195).

(199) Apollodoros. II. 5. 11.

(200) Gardiner (1947, II, p. 55).

(201) Machiavell : (Gilbert, 1964, p. 354). For a full biliography of Herakles and Antaios, see Frazer (1921, I, pp. 222-3, n.2).

(202) Te Velde (1982,cols. 247-8).

(203) Sayed (1982,pp. 139-40).

(204) Sayed (1982,pp. 116-118).

(205) See n. 181 above.

(206) Herodotos, II. 44.

(207) Herodotos, II. 50.

(208) Lloyd (1976, p. 239).

(209) For Methotpe's divinity, see ch. IV, n. 158. for that of Senwosre I, see ch. V, n. 57.

(210) Diodoros, I. 55. 5.

(211) Rachel Levy (1934).

حيث توضح التطابق بين Tel Asmar Seal ومنجزات هيراكليس لأكثر من خمسين سنة. ومن أجل دراسة مفصلة عن عجل البحر the seal والنصوص الأوغاريتية والأساطير الإغريقية عن هذا الموضوع، انظر:

Rendsburge (1984).

(212) Servius, the commentator on Virgil in the 4th \century AD, pointed this out in his commentary on Aeneid VI. 287.

(213) See Diodoros, IV. 18.6, and Graves (1955, II, p. 120).

(214) See nn. 122-7 above. Astour (1967 a, p.392).

حيث يوضح أن صورة إله يخنق ثعابين يوجد على أحد الأختام التي وجدت في طيبة (see below, ch. XII, nn. 75-87) بالرغم من أن هذا يظهر أن الأيقونة ترجع إلى عصر البرونز في الشرق الأوسط، فإنني أعتقد أن وجودها في طيبة مجرد صدفة.

(215) Pausanias, IX. 38.7, and Strabo, II.4 .11.

(216) Herodotos, II. 99.

(217) Herodotos, II. 108.

(218) Herodotos, II. 13 , 101.

(219) Diodoros, I. 551 - 52.

(220) Diodoros, I. 57. 1-4.

(221) See Waddell (1940, pp. 223- 225). See laso n. 209 above.

(222) Lepsius (1871, p. 54). Burton (1972, pp. 171-3)

إذ يشير إلى بعض الصعوبات الفنية للمقاييس

(223) Wildung (1984, p. 40, 11. 33).

(224) For more detail on this, see ch. V, n. 57.

(225) Stevenson Smith (1971, p. 169).

(226) Burton (1972, pp. 175 -6).

الاسم Ny-m3r t-Rr كان يرسم بعدد من الطرق المختلفة وتشمل Lamares و lamaris و labares و labaris (Waddel, 1940, p.224, n. 1) .

(227) For two excellent surveys of the complicated literature on this, see Burton (1972, pp.162-3)and Lloyd(1976, p. 34).

(228) Astour (1967 a, pp. 215 - 16). See also levin (1989).

(229) Kretschmer (1927, pp. 76-8), Hrozny [Civ. Of Hittites and Subaraeans] and Graves (1955, p. 206).

(230) Pausanias, IX. 27. 8.

حيث يشير إلى هيراكليس على جزء ناتئ (أو إصبع) من جبل إيدا في كريت وفي شمال غرب أناتوليا كانت يستخدم كحامي للرضيع زيوس وعلاقة اسم ايدا بالأصابع اشتق وبوضوح ، أو على الأقل على سبيل التورية، من الجذر السامي yd بمعنى يد

See Gardiner (1957, p. 455) and Greenberg (1986, p. 287).

(231) Pausanias, VII. 5. 5. Astour (1967 a, p. 215)

ويبدو أنه يغالي هنا بقوله أنه كان يوجد تمثال مشابه في ثيسبياى Thespiai



الفصل الثالث

المؤثرات المصرية في بويوتيا

١ - والبلوبونيسوس في الألف الثالثة (ثانيا) الدلائل الآثارية

ترجمة : أبو اليسر فرح

حاولت في الفصول السابقة أن أحلل بعض الأساطير والروايات عن بويوتيا، وهي تُشبه إلى حدٍ كبير مثيلاتها في مناطق أخرى من بلاد اليونان وبخاصة أركاديا والبلوبونيسوس . ومما يستلفت النظر أن التشابه بين هذين الإقليمين يمكن ملاحظته في التشابه في أسماء الاماكن وأنماط نُظُم الري ، وهي في الغالب مستوحاة من نظم الري لدى المصريين.

وقد ذكرت في الفصل الأول أن الفترة الهامة التي مارست فيها مصر والشرق تأثيراً قوياً على بلاد اليونان كانت فترة الألف الثانية وعلى وجه الخصوص الفترة التي تقع ما بين عامي ١٧٣٠ ، ١٦٠٠ ق.م. وكان ذلك في مَعرِض إشارتي إلى وجود مستوطنات للهكسوس(*) في منطقة بحر إيجه . وقد قادتني الرغبة في المزيد من الاستقصاء إلى الاعتقاد بوجود تأثير واضح يرجع إلى فترة أقدم ، وإلى أن أحد هذه المؤثرات قد انتقل إلى بلاد الإغريق القارية في النصف الأول من الألف الثالثة ق.م. أي في بواكير عصر الخزف الهيلادي الثاني ، وهي الفترة المعاصرة لزمن الدولة القديمة في

(*) هناك شبه استحالة لوقوع ذلك و حدوثه كوجود للهكسوس في البحر الإيجي، و تحديداً في كريت، لمجرد العثور على إناء عليه خرطوشة باسم "خيان" ملك الهكسوس أو درع لذاك الملك .. فليست هذه سوى تذكارات للفترة الزمنية نفسها وليس بالضرورة دليلاً يقينياً على وجود مستعمرة للهكسوس أنفسهم. (المحرر)

مصر. كما تسللت مؤثرات أخرى إلى كريت وأنحاء أخرى من منطقة بحر إيجه خلال عصر الدولة الوسطى المصرية.

وذلك في الفترة ما بين عامي ٢١٠٠ ، ١٨٠٠ ق.م. وهي عصور الخزف خلال أوائل العصر المينوى الثالث، وأواسط العصر المينوى الثالث فى كريت. وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نلقى الضوء على الأول منها أما بقيتها فإننا سوف نناقشها فيما بعد فى هذا الجزء.

وعلى الرغم مما هو معروف من أن نُظُم الرى التى عُثِرَ عليها فى بويوتيا ترجع إلى عصر البرونز. فإن هناك جدل حول تحديد الفترة التى تنتمى إليها هذه النُظُم من عصر البرونز. وهناك دلائل متزايدة ترجح اقتراحًا مفاده أن تلك النُظُم قد تم البدء فى إنشائها فى أوائل العصر الهيللادى. أما بالنسبة للسدود الموجودة فى أركاديا فإننا لا نستطيع أن نطمئن تمامًا إلى دقة التاريخ الذى ترجع إليه. ولكن يمكن القول بأنها قديمة بنفس الدرجة، وفى أورخومينوس (Orchomenos) إلى الشمال من بحيرة كوپايس (Kopais) توجد مخازن للغلال على النمط المصرى ، يمكن أن يرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرونز، وهذا الشكل المتقدم للنظام الاقتصادى فى بويوتيا كان يقوم بشكل أساسى على نظام الرى الذى كان نتاجًا للتأثير المصرى. وهذه الفكرة يمكن أن نجد ما يدعمها فمثلاً فى وجود تلك المقبرة الكبيرة فى طيبة(*). ويرى مكتشف هذه المقبرة ثيودوروس سبيروبولوس Theodoros Spyropoulos أنها تتخذ شكلاً هرميًا وأن تاريخها يرجع إلى أوائل العصر الهيللادى الثانى.

(*) لا يخفى على القارئ أن المقصود هنا مدينة طيبة الإغريقية التى تقع فى إقليم بويوتيا. (المترجم)

وتبعد عن أثينا (إلى الشمال الغربى منها) حوالى ساعة ونصف بالسيارة ، الآن ، صعوداً فى الطريق إلى دلفى (Delphoi) أشهر معابد الوحى والنبوءة فى اليونان القديم ، من القرن ٦ ق.م. والجدير بالذكر أن حفائر يونانية تمت هناك فى طيبة (Thebai) وكشفت عن عناصر معمارية مصرية خالصة مثل الشكل الهرمى والبئر لمقابر تحت الأرض(؟!!) منذ مطلع الألف الثانية ق.م. (راجع/ محمود السعدنى، تاريخ الحضارة اليونانية، القاهرة ٢٠٠٠م). (المحرر)

وعلى الرغم من عدم العثور على أهرامات من عصر البرونز في منطقة أرجوس التي تقع في شمال البلوبونيسوس ، فإنه تم العثور على مخازن غلال ضخمة ذات طراز مصري يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الهيلادي . بالإضافة إلى سد مائي ضخم يرجع إلى عصر البرونز تم اكتشافه بالقرب من تيرنس (Tiryns) ، ويجب ان نأخذ هذه الآثار بالإضافة إلى الآثار التي ترجع إلى عصر

البرونز والتي توجد على مسافة أقل من ٢٠ ك.م. من ليرنا (Lerna) على رأس خليج أرجوس باعتبارها مؤشرات على وجود دولة متقدمة في هذه المنطقة من أرض أرجوليس، وأن هذه الدولة قد خضعت بشدة للتأثير المصري . كما أن اكتشاف منازل ذات القرميد في أنحاء متفرقة من جنوب ووسط بلاد اليونان يؤكد وجود درجة ما من التنظيم السياسي ، أو على الأقل وجود نوع من التنظيم الاجتماعي في هذه الأقاليم.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار الدلائل الدينية والاسطورية، وكذلك دراسة أسماء الأماكن (Toponymy) والشواهد الآثارية، فإننا نجد أنفسنا أمام حقيقة واضحة وهي أن منطقة بويوتيا ومناطق أخرى من بلاد اليونان قد تأثرت بشدة بمصر والمشرق خلال عصر البرونز. ومن المؤكد من الناحية الفعلية أن هذه المؤثرات قد بدأت في أوائل العصر الهيللادي. وعلى الرغم من أنه كان يوجد شكل من أشكال السيادة المصرية على بعض دويلات منطقة بحر إيجه في هذه الفترة. فإنه لا يوجد في الدلائل الأسطورية ما يؤكد أنَّ هذه المؤثرات جاءت كنتيجة لحركة استيطان مصري أو مشرقي في الفترة المبكرة، وهكذا فإنه يمكن القول بأنه على الرغم من وجود الكثير من أوجه الشبه بين الأحوال في الشرق الأدنى وعالم بحر إيجه في أوائل عصر، البرونز خلال الألف الثالثة، وأيضاً في أواخر عصر البرونز خلال الألف الثانية، لذا فإن الاقتراح الذي يقول بوجود تحكم مباشر لمصر أو المشرق يأتي في مرتبة تالية(*) .

(*) هذه النتيجة هي منطقية بكل المعايير لغياب أدلة أخرى غير بعض الآثار المتشابهة و ليست المصرية الخالصة . (المحرر)

الآثار الإسبرطية

مقبرة ألكميني (Alkmene)

قبل أن أبدأ بمناقشة الدلائل الآثارية من الألف الثانية والثالثة فإنني أود أن أبدأ بعرض تقرير عن كشف أثرى قديم. لقد كتب بلوتارك فى القرن الثانى الميلادى وصفًا لأثر يرجع تاريخ إكتشافه إلى أربعمائة عام سابقة على أيامه. فخلال الفترة ما بين عامى ٣٨٢ إلى ٣٨٠ ق.م أى أثناء الاحتلال الأسبرطى لبويوتيا قام بعض الإسبرطيين تنفيذًا لأوامر ملكهم أجيسيلاوس الثانى بالحفر فى بقعة يعتقد أنه كان يوجد بها مقبرة ألكمينى وتقع بالقرب من مدينة هاليارتوس (Haliartos) على الشاطئ الجنوبى لبحيرة كوبايس (Kopais) والحقيقة أنه لم يتم العثور على بقايا فى المقبرة. وما عثر عليه فى داخلها هو حجر فقط (بعض التفسيرات للنص ترى أنه كان يوجد هيكل عظمى) . بالإضافة إلى سوار من البرونز حجمه ليس كبيراً ، وجرتان من الفخار تحتويان على تراب تحول إلى كتلة صلبة متحجرة. وأمام المقبرة توجد مائدة من البرونز عليها نقش طويل من نقوش ذلك الزمان القديم. وهو يثير الدهشة إلا أن المرء لا يستطيع قراءته ، وعلى الرغم من أن النقش يبدو واضحًا إذا تم غسيل البرونز. فإن نمط هذا النقش يبدو ذو سمت غريب وأجنبى ويشبه بقوة الكتابة المصرية. ويقال أن الملك أجيسلاوس قام بارسال نسخة من النص إلى الملك (الفرعون نيت نيف Nht nbf نكتانيبو (Nektanebes) ٣٧٩ – ٣٦٣ ق.م) . وقد وصل المبعوث الأسبرطى إلى مدينة منف حاملاً معه وثيقة طويلة من الملك أجيسلاوس إلى خنوفيس Chonuphis المعبر عن رأى الإله والذى سبق أن أجرى معه أفلاطون و اللوبيون من بيباريثوس (Peparethos) وكذلك سيمياس (Simmias) حوارات فلسفية فى تلك الأيام. وقد حمل المبعوث معه أوامر من الملك بأن يقوم خنوفيس بترجمة هذه الكتابة إن كان بمقدوره أن يعرف شيئًا منها ، وأن يرسل الترجمة إلى الملك على الفور، وقد حبس خنوفيس نفسه لمدة ثلاثة أيام وراح يقلب فى جميع الكتب القديمة ثم كتب إجابته إلى الملك التى عرفنا خبرها منه. إن الوثيقة تحتوى أمراً بالاحتفال بتكريم ربات الفن (Muses) ، وتتخذ الكتابة نمط الشكل الذى كان سائداً فى عهد الملك بروتيوس (Proteus) التى علمها إياه هيراكليس بن

أمفتريون (Amphitryon) . فقد كان الإله يستخدم النقوش لكى يعلم الإغريق ويحضهم على العيش فى دعة وسلام وأن تكون الفلسفة هى المجال الذى يحققون من خلاله القناعة. وأن عليهم أن ينحوا أسلحتهم جانبًا وأن يقوموا بتسوية خلافاتهم حول الصواب والخطأ بأن يخلدوا إلى رحاب ربات الفن ويمارسوا الحوار[١].

هل ثمة ما يمكن استخراجه من هذا النص؟ مما لا شك فيه أن الاسبرطيين كانوا يتمتعون بالسيادة على إقليم بويوتيا فى ذلك الوقت، وكان ملكهم أجيسلاوس الثانى يتولى قيادة قواتهم. والواقع أن الدوافع التى دعت الملك أجيسلاوس إلى أن يأمر بفتح المقبرة غير معروفة على وجه التحديد. إلا أنها ترتبط بحقيقة جلية وهى أن سيده ومعشوقه الملك الجسور والقائد الاسبرطى العظيم ليساندر (Lysander) قد لقى حتفه منذ ستة عشر عامًا أى فى عام ٢٩٥ ق.م. فى هاليارتوس. وقد أشار باوسانياس إلى أن مقبرة ليساندر تقع بالقرب من هاليارتوس، وعلى أية حال فإن أحد الدارسين الحاليين وهو بيتر ليفى (Peter Levi) يذكر أن اسم ليساندر قد ارتبط بإحدى المقابر القديمة[٢]. وعلى الرغم من أن السبب المنطقى لهذا الموقف غير واضح فإن من الأرجح أن عملية الحفر فى مقبرة ألكمينى ترتبط بشكل ما بازدياد إهتمام الاسبرطيين بعبادة الأبطال متمثلة فى بطلهم ليساندر. على أيه حال فإن ربط هذا الأمر بليساندر يعطى مصداقية لما ذكره بلوتارك.

والواقع أن الوصف التفصيلى للأشياء التى تم العثور عليها فى المقبرة يجعلنا ننظر إلى التقرير الذى كتب عن الاكتشاف بعين الاعتبار. فإنه لا يحتوى قصصًا عن الثعابين أو العظام العملاقة أو الكنوز الضخمة، وقد لا يكون مدعاة لدهشة قراء الجزء الأول من كتاب أثينا السوداء أن يعلموا أن إغريق القرن الرابع ق.م – مع قبول النموذج القديم – لابد وأنهم افترضوا أن البقايا القديمة واللوح مصرية. أما فيما يتعلق بالسؤال الذى قد يطرح نفسه وهو لماذا يختص ذلك بمقبرة الكمينى فى بويوتيا فهو أمر سوف نناقشه لاحقًا. ومن الملاحظ أن شفارتز (Schwartz) .J الذى كتب مقالاً طيباً عن هذا الكشف فإنه على الرغم من طبيعته المتشككة قبل هذا الجزء من رواية بلوتارك[٣].

ولا ينبغى أن يغيب عن بالنا أن أجيسلاوس كان يتمتع بعلاقات قوية مع مصر، ففى عام ٢٩٦ ق.م قام الفرعون نفرتيس الأول (Nephertes I) بإرسال مساعدات إلى أجيسلاوس الثانى من أجل مساعدة أسبرطة فى القيام بحملة ضد الفرس. وقد إنتهت حياة الملك الاسبرطى الحافلة خلال مشاركته فى حملة لمساعدة مصر ضد الفرس فى عام ٣٦٠ ق.م[٤]. وذكر ديوجنيس لأرتيوس (Diogenes) Laertios) الذى كتب عن الفلاسفة أن عالم الرياضيات والفلك يودوكسوس من كنيدوس (Eudoxos of Kindos) قد ذهب إلى مصر مع الطبيب خريسيبوس (Chrysippus) وحمل معه خطاب توصيه من أجيسلاوس إلى الفرعون نتكتنبو الذى زكاه بدوره لدى الكهنة[٥]. ومن المعروف أن كلاً من يودوكسوس وخريسيبوس كانا من كنيدوس المستعمرة الأسبرطية فى كاريا. وكانت أسبرطة قد استولت عليها فى عام ٣٩٠ ق.م، وعلى الرغم مما هو معروف من أن يودوكسوس قضى بعض الوقت فى أثينا فإنه من المحتمل أن يكون هذان الرجلان قد أُرسِلا فى مُهمة دبلوماسية لدى الفرعون الجديد من قِبَل السلطات الأسبرطية. وعلى أية حال فإن هناك مشكلة فيما يتعلق بتاريخ هذه المهمة. فإنه طبقًا لما جاء عند ديومينيس فإن يودوكسوس توجه إلى مصر بعد إقامته فى أثينا مباشرة، وأن عمره أنذاك كان ٢٣ عاما، وأن ذلك لابد وأنه قد تم عام ٣٨١ ق.م. وعلى الرغم من أن هذا التاريخ يُعَد ملائمًا للقيام بهذه المهمة الدبلوماسية. فإن اللبس يمكن أن نعزوه إلى أمرين. فإما أن يكون هناك خطأ فى تقدير عمره، والأمر الثانى هو أن يكون قد جرى إسقاط رحلة له قام بها فى الفترة التى تقع ما بين إقامته فى أثينا وسفره إلى مصر . ومن الثابت أنه كانت هناك وشائج ما بين أجيسلاوس ونكتانيبو ٣٧٩ – ٣٦٣ ق.م منذ بداية حُكْمه وأن هذا الوضع قد استمر حتى نهاية عهده[٦]. وكان عام ٣٧٩ ق.م على وجه التحديد عامًا متميزًا. ففى هذا العام خضع إيفاجوراس (Evagoras) طاغية سلاميس فى قبرص للفرس بعد أن كان يتولى قيادة المعارضة ضدهم. وفى العام ذاته نجح نكتانيبو فى التغلب على آخر فراعنة الأسرة ٢٩ التى أسسها نفرتيس الأول الحليف السابق للملك أجيسلاوس . لذا فإن الموقف كان حَرِجًا فيما يخص العلاقات بين الأسرة الجديدة فى مصر وأسبرطة أقوى دويلات الاغريق مع غياب الحلفاء الآخرين والرغبة فى التصدى للفرس. والواقع أن الربط ما بين يودوكسوس السفير

والنص المكتوب يؤكده بشدة ما هو معروف أن يودوكسوس قد تلقى العلم على أيدى كاهن يُدْعي خونوفيس Chonuphis[٧] وشبيه بذلك ما قام به أفلاطون من إجراء محاورات فلسفية مع خونوفيس عندما كان فى مصر حوالى عام ٣٩٠ ق.م. إن كل ذلك يُعطى مصداقية إلى قصة مجئ يودوكسوس وإلى طلب أجيسلاوس القيام بترجمة النص. إنه يبدو أن هذه القصة قابلة للتصديق ونعنى بها قصة قيام الإسبرطيين بإرسال الوثيقة إلى الفرعون المصرى وقيام هذا الأخير بإحالتها إلى الكاهن خونوفيس[٨]. إن هذا لا يعنى أن كل ما تم العثور عليه فى المقبرة مصرى. حقًا أنه أمر بعيد الاحتمال أن تكون كذلك. إن السوار البرونزى والفخار ربما يرجع تاريخهم إلى أواسط العصر الهيللادى ٣٣٠٠ - ١٧٠٠ ق.م. أو الموكينى ١٧٠٠ - ١٢٠٠ ق.م. إلا أن اللوح البرونزى الذى وُجِدَ أمام المقبرة يثير أكثر من مشكلة لأنه لم يتم العثور على مثيل له فى الحضارة المصرية أو فى المشرق أو منطقة بحر إيجه. إلا أن هذا لا يدعونا إلى التشكك فى هذه الرواية. فإن أى واحدة من تلك الحضارات ربما تكون قد عرفت عادة وضع اللوحات البرونزية أمام المقابر. كما أنه أمر بعيد الاحتمال أن تكون العلامات فى حقيقتها هيروغليفية. والأمر الأكثر إحتمالا هو أن نمط الكتابة الذى كان سارياً فى عهد الملك بروتيوس والتى علمها إياه هيراكليس بن أمفيتريون هى فى حقيقتها الكتابة الخطية الثانية (Linear B) أو الكتابة الخطية الأولى (Linear A) وربما كانت أيضًا كتابة مسمارية. وإذا كان النقش قد اتخذ شكل الكتابة المصرية الهيروغليفية فإنه يصعب تفسير الصعوبة التى وجدها خونوفيس فى قراءة اللوح. وهو أمر لابد وأن يكون مثيراً لكاهنٍ مثقف.

وعلى أية حال فإن هناك جزءًا قابلاً للتصديق فى القصة وهو ما يتعلق بالتقرير الذى يتناول ترجمة خونوفيس للنص والذى جاء فيه أن هيراكليس " قد أمر بإقامة الاحتفالات تكريمًا لربات الفن (Muses) (*) ... وأن الإله قد استخدم النقش لكى يعلم

(*) ومنها جاءت تسمية " موسيون" (Mouseion) ، " دار العلم " ، بالإسكندرية البطلمية، وكانت مفاجأة علمية وأدبية وفنية، حتى لمعاصريها، وحقق علماؤها إنجازات ضخمة، ومنها، أيضًا، تم اشتقاق لفظة (Museum) الحديثة ومرادفاتها الأوربيات، وكان بطلميوس الثانى (فيلالفوس) ٢٨٤ - ٢٤٦ ق.م، هو صاحب الفضل الأول لذلك . (المحرر)

الاغريق ويحضهم على العيش في دعة وسلام ، وأن تكون الفلسفة هي المجال الذي يحققون من خلاله القناعة، وأن عليهم أن ينحوا أسلحتهم جانبًا ، وأن يقوموا بتسوية خلافاتهم حول الصواب والخطأ بأن يخلدوا إلى رحاب ربات والفن ويمارسوا الجوار "(٩).

ولا ينبغي لنا أن نستبعد هذه الرواية باعتبار أنه ليس فيها ما يثير الاهتمام. بل يجب أن نأخذ في الاعتبار ما نعرفه عن انتشار عبادة ربات الفن (Muses) في إقليم هاليارتوس. لذا فإنه ليس من المستبعد أن يكون هذا التقرير حقيقيًا ، وأن خونوفيس كانت لديه معلومات عن منطقة بيوتيا. والواقع أن اختيار الكاهن المصرى للإله هيراكليس ينطوى على دلالة واضحة تدل على الحكمة. فكما نعلم فإنه كانت توجد صلات وثيقة وقديمة ما بين مصر والإله هيراكليس البويوتي. وزيادة على ذلك وإذا ما استبعدنا إحتمال وجود محاولة لجعل قطعة من بويوتيا تبدو كما لو كانت إسبرطية للأبد من خلال انتحال علاقة بين مقبرة تنتمي إلى عصر البرونز والملك الأسبرطي ليساندر. فمن المحتمل أن تكون الإشارة إلى الإله هيراكليس الذى يجمع بين صفتين في آن واحد وأولاهما اعتباره بطلاً في مدينة طيبة، وثانيهما النظر إليه باعتباره الجد الأسطورى لملوك أسبرطة (أبناء هيراكليس) و المقصود منها إضفاء الشرعية على الوجود الأسبرطي في منطقة بويوتيا(*) . والحقيقة أن الاحتلال الاسبرطي لم يكن يستند إلى قاعدة دينية صلبة، ويرجع السبب في ذلك إلى التدنيس الى لحق بالأكروبوليس في طيبة في ظل السيادة الأسبرطية. وهو أمر حَظِيَ بتأييد أجيسلاوس(١٠)، ومن ناحية أخرى فإن نص خونوفيس لا يمكن النظر إليه باعتباره دعاية أسبرطية لأن اسبرطه آنذاك كانت في شغلٍ شاغلٍ بنشاطها العسكرى الداخلي. وفي الحقيقة أنَّ هذا النص أكثر شبهاً بالخُطَب التى ألقاها الخطيب إيسوقراط (Isokrates) في عام ٣٨٠ ق.م. والتي راح يدعو فيها إلى اتحاد الإغريق

(*) أوافق المؤلف تمامًا على هذا التخريج المنطقي السليم ، و لا سيما في ضوء دمج آلهة مع بعضها ، وتواجد البعض إلي جوار الآخر ، كما حدث مع أثينا ، فوق الاكروبوليس ، مع إريختيوس الأقدم . راجع/محمود السعدني "البارثينون : بين الأثر و الآثار"، المؤرخ العربي، القاهرة ٢٠٠٠م.

سياسياً وحضارياً من أجل مواجهة الفرس. والتفسير الأقرب إلى الاحتمال هو أن هذه الترجمة هي دعوة مصرية للإغريق للاتحاد، وأن يكون هذا الاتحاد تحت الزعامة الأسبرطية.

وعلى أية حال فقد توالت الأحداث وجاء الرد من خلال ما قام به الأدميرال الأثينى خابرياس (Chabrias) فى عام ٣٧٧ الذى عاد بعد أن تمكن من إغلاق الطريق إلى طيبة البويوتية أمام إسبرطة[١١].

والواقع أنه ليس من الصعب أن تشرح لماذا كان اعتقادنا بأن هذا النقش مصرياً. فإنه بالإضافة إلى غلبة النموذج القديم على بلاد الاغريق فى القرن الرابع، توجد أسباب محددة (كما رأينا فى الفصل الثانى) تدعو إلى الربط ما بين مصر وألكمينى وزوجها رادامانثيس (Rhadamnthys)[*] وابنها هيراكليس من ناحية وموقع بناء المقبرة فى هاليارتوس على بحيرة كوبايس وكذلك الربط بينها وبين طيبة وبويوتيا إجمالاً.

مقبرة أمفيون (Amphion)

وزيتوس (Zeithos)

والآن فإننى أود أن أترك جانباً علم الآثار القديمة وألجأ إلى علم الآثار الحديثة. والحقيقة أن مدينة طيبة الآن مدينة عامرة تعج بالحياة مما يشكل صعوبة فائقة أمام إجراء حفائر فيها، وقد أدى هذا إلى وجود صعوبة فى معرفة كل فترات تاريخها. وكذلك عصور ما قبل التاريخ، فهناك مشكلة تتمثل فى تقييم تاريخها خلال العصر الهيللادى الثانى (٣٠٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م)، وكذلك أوائل العصر الهيللادى الثالث (٢٤٠٠ – ٢٠٥٠ ق.م)، وهناك بقايا من نماذج بيوت القرميد تشبه تلك التى تم العثور عليها

(*) عن رادامانثيس انظر ترجمة الجزء الأول ص ١٥٧ – ١٥٨ . (المترجم)

فى ليرنا (Lerna) فى منطقة أرجوس، ومناطق أخرى، ويبدو أن هذه البيوت كانت تؤدى وظيفة القصر أو أماكن الاجتماعات[١٢].

فلربما كانت طيبة مركزًا بارزًا فى الألف الثالثة، ويقوى هذا الاحتمال وجود آثار من الممكن أن نصفها بأنها مثل الأهرامات. وفى أوائل السبعينيات قام تيودورسبيروبولوس (Theodor Spyropoulos) المشرف على الآثار فى منطقة بويوتيا بكتابة العديد من المقالات التى تتعلق بالمسح الأثرى والحفائر فى هذه المنطقة. وقد ورد فى مقالين من هذه المقالات حديث مباشر عن إحتمالية الوجود المصرى أو التأثير المصرى فى منطقة بويوتيا. وكان عنوان أول هذه المقالات هو " الاستعمار المصرى لبويوتيا". أما المقال الثانى فكان عنوانه " مقدمة لدراسة منطقة كوبايس ". وقد استندت دراسة سبيروبولوس عن الاستعمار المصرى لبويوتيا على موقعين أثريين هامين. أولهما ما يطلق عليه مقبرة زيثوس (Zethos) وأمفيون (Amphion) أما الموقع الآخر فهو تلك الشبكة المعقدة من قنوات الرى والسدود التى استخدمت لرى منطقة كوبايس (Kopais) .

وقد نشر سبيروبولوس فى عام ١٩٨١ كتابًا عن الموقع الأول، وهو عبارة عن رابية كبيرة تقع إلى الشمال من مدينة طيبة عند نقطة ملتقى مجريين مائيين يحتضنان المدينة، وتعرف تلك الرابية باسم مقبرة زيثوس وأمفيون . وكما جاء عند هيسيود أن أمفيون وزيثوس هما اللذان شيدا أسوار طيبة عن طريق العزف على القيثارة[*]. وإذا ما أخذنا فى الاعتبار العلاقة ما بين مدينة طيبة والقلادة والآلة الموسيقية التى ورد ذكرها فى الفصل السابق. فإنه مما يثير الاهتمام أن ندقق فى شكل الآلة الوترية[١٣].

وطبقًا لما ذكره هوميروس فإن " التوأم أمفيون وزيثوس هما أول من أسس مدينة طيبة ذات الأبواب السبعة وحصناها بالأسوار حيث كان من الصعب عليها العيش فى

(*) إلى هذا الحد يمكن أن تصل الأسطورة ، فيما لا منطق يحدده ، و حيث يخترق كل الحواجز العقلية إلى اللامعقول !!! و هذا هو أحد أهم ملامح الفكر اليونانى القديم، راجع / كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ١٣٩-١٦٤ . (المحرر)

طيبة الواسعة غير الممعنة مهما كانت الشجاعة التي توفرت لهما"[١٤]. ومن الواضح أن أعدائهما كانت القبائل البربرية مثل الاونيس (Aones) والتميكيس (Timmikes) وهويانتس (Hyantes) وليليجيس (Leleges) والبلاسيجيين(*) (Pelasgians). وهي قبائل إما أنها من نفس المنطقة أو أنها وفدت من منطقة أتيكا إلى الجنوب من بويوتيا[١٥]. (هناك مناقشات طويلة عن البلاسيجيين وعن إنحدار أسماء الأون (Aones) والهينات من كلمة (iwn(t)yw) المصرية التي تعني "برابرة" في الجزء الأول من هذا الكتاب[١٦]) . من الواضح طبقًا لوجهة نظر هوميروس أن أمفيون وزيثوس كانا غريبين عن المنطقة وقاما بالاستيطان فيها، كذلك ذكر هيسيود وبعض الكتاب القدامى بالإضافة إلى فريكيديس (Pherekydes) المتخصص في أساطير القرن السادس ق.م. أن التوأم أمفيون وزيوس هما أول من أسس مدينة طيبة (تجب الإشارة إلى أن أوجيجوس (Ogygos) الذي أشرنا إليه في الفصل الثاني يعد أول ملك أسطوري للمنطقة التي عرفت فيما بعد باسم بويوتيا، إلا أنه لم يكن مؤسسًا لمدينة طيبة) [١٧]، وطبقًا لرواية فريكيديس عن تاريخ طيبة فإن المدينة التي شادها أمفيون وزيثوس كانت بمثابة حصن دفاعي ضد الفليجان (Phlegyans) ويبدو أن هؤلاء الأخيرين قد جاءوا من تساليا في الشمال، بعد وفاة الأخوين. وقاموا بتدمير المدينة، وإذا ما لجأنا إلى علم دراسة أصل الكلمات (Etymology) فلربما نجد أن كلمة فليجان هي P3rk(y)w (التي تعني عدو). وأن كادموس Kadmos وخلفاؤه قاموا بإعادة بناء مدينة طيبة في الموقع المهجور[١٨].

وهناك رواية تتردد بشدة تقول بأن كادموس الفينيقي لم يكن هو الذي قام بإعادة بناء المدينة ، بل هو المؤسس الحقيقي لها. والحقيقة أن كلمة qedem لا تعني شرق فقط ولكنها تعني أيضًا قديم. وعلى أية حال ذكرت روايات أخرى تؤكد صحة ما جاء عند البعض عن الإشارة إلى كادموس باعتباره أول من استوطن مدينة طيبة. والمشكلة التي

(*) كما أن هناك آراء أخرى تتحدث عنهم باعتبارهم مؤسس حضارة تساليا – في العصر النيوليثي (٥٠٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م)، وقد نزلوا من الشمال أو من تراكيا وليسوا من داخل البلد الأم ، راجع / محمود السعدني ، تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠ . (المحرر)

تثور في هذا الصدد هي حول موضع أمفيون وزيثوس. وقد حاول بعض المؤرخين مثل هيلانيكوس (Hellanikos) من القرن الخامس ق.م. وفيلوخوروس (Philochoros) من القرن الرابع ق.م. حل هذه المشكلة عن طريق وضع هذه المشكلة عن طريق وضع الأخوين بعد كادموس[١٩]. وقد أخذ باوسانياس (Pausanias) بهذه الترتيب ولكنه أدعى أن مدينة طيبة قد أسسها أمفيون وزيتوس أدنى مدينة كادميا (Kadmeia) التي بناها كادموس[٢٠]. إن هذه الرواية تثير مشكلة لأننا نعرف أن ملوك طيبة الأواخر كانوا ينحدرون من كادموس، ولكي تصبح هذه الرواية قابلة للتصديق فلابد من إعادة ترتيب خلفاء كادموس، ومن أجل تجنب هذه التعقيدات فإن هيكاتايوس من ميليتوس ، وهو ينتمي إلى القرن الخامس ق.م. وكذلك إيفوروس (Ephoros) مؤرخ القرن الرابع. وقد سايرهم إسترابون في القرن الأول ق.م أنكروا رواية هوميروس وقالوا أن أمفيون وزيتوس لم يؤسسا مدينة طيبة، ولكنهما قاما ببناء مدينة يوتريسيس (Eutresis) إلى الجنوب الغربي منها[٢١].

والواقع أنه ليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بانكار احتمالية الرواية التي ذكرت أولاً والتي تتعلق بأمفيون وزيتوس، على الرغم من الأثر الفولكلوري الواضح لقصة بناء الأخوين التوأم لمدينة، و هو الذي نحسه بجلاء في أسطورة قيام رومولوس وريموس بتأسيس مدينة روما. وإذا كنا لا نملك دليلاً على أن المقبرة التي تسمى مقبرة أمفيون وزيتوس كانت تحمل الاسم ذاته في عصر البرونز، فإنه لا يوجد ما يشير إلى أنها كانت تحمل إسماً آخر في عصر باكر. وقد أشار إليها إيسخولوس وقال أنها كانت موضعاً للتبجيل كما كانت على أيام باوسانياس[٢٢]. ويؤكد الباحثان يوانيس (Ioannis) وإيفيلين لوكاس (Loucas Eveline) على هذه الحقيقة حين ذكرا أن هذا الموقع ظل مقدساً خلال العصور القديمة ولم يتم البناء فيه لمدة ثلاثة آلاف عام[٢٣] ، إلا أنه يساورنا بعض الشك في أن يكون هذا الموقع هو أقدم مكان في المدينة . وقد جرت أعمال الحفر في هذا الموقع مرات عديدة خلال هذا القرن. وعثر فيه على العديد من القبور التي يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الهيلادي. ومما هو جدير بالذكر أن تيودور سبيروبولوس الذي قام بالتنقيب في هذا الموقع في عام ١٩٧١ يرى أن هذا البناء يتخذ شكل هرم مدرج له ثلاثة مستويات يعلوها تكوين من الطوب المجفف[٢٤]. ويوجد بها مقبرة

تحدها الأحجار. وفي إطار فكرة وجود الأخوين يرى سبيروبولوس إحتمال وجود فتحتين للدفن في هذه المقبرة. وعلى الرغم من أن المقبرة تعرضت للنهب في العصور القديمة فإن بعض محتوياتها قد سلمت من النهب مثل بعض حبات الذهب التي تشكل جزءاً من عقد على هيئة سوسنة وكذلك شكل لولب مزدوج عليه تاج يتخذ شكل نبات البردي. بالإضافة إلى بعض حبات اللؤلؤ[٢٥]. والحقيقة أن الموطن الأصلي لهذه الحُلَيِّ غير معروف. وسوف أوضح في الفصل التالي مدى التأثير المصري على صناعة الحلي في كريت خلال عصر البرونز[٢٦]. إن شكل نبات البردي المستخدم في الزينة مستمد من مصر. إلا أن شيوع استخدام هذا الشكل في كريت في ذلك الوقت يجعل من الصعب علينا القول بأن موطن هذه الحُلِيِّ الأصلي هو مصر. كما تواجهنا مشكلة أخرى وإن كانت أقل أهمية وتتمثل في التأريخ. ويمكن يكون هذا التاريخ هو الألف الثالثة. ويرى سبيروبولوس من خلال دراسته للحُلِي وكسر الفخار التي عثر عليها في الموقع، أن هذه الرابية يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الهيلادي الثاني وعصر الخزف (Ceramic period) ، وهي فترة تقع ما بين عامي ٣٠٠٠ إلى ٢٤٠٠ ق.م طبقًا لمنهج هذا الكتاب[٢٧]. إلا أن باحثًا آخر هو سارنتيس سيميونوجلو (Sarantis Symeonoglou) الذي يشغل منصب نائب المشرف على الآثار القديمة في بويوتيا ونشر كتابًا مفصلاً عن طبوغرافية طيبة، لا يوافق على هذا التاريخ المبكر ويرى أن تاريخ الفخار الذي عُثِرَ عليه في المقبرة يرجع إلى منتصف العصر الهيلادي[٢٨]. ولكنه لم يذكر تحديداً أي فترة في ذلك العصر. والحقيقة أن غالبية الدارسين قبلوا بما ذهب إليه سبيروبولوس في تحديد هذا التاريخ وهو أوائل عصر البرونز، وليس هناك ما يدعوني إلى معارضة هذا الرأي[٢٩].

وإذا كنا قد قبلنا التاريخ الذي يقترحه سبيروبولوس لهذه المقبرة فإننا لا نستطيع قبول ما ذهب إليه من إرجاع أصل المقبرة إلى مصر. وعلى الرغم من أن إنشاء هذه المقبرة يرجع إلى فترة ما قبل وصول الشعوب الهندية الأوروبية، وهي فترة يتفق الجميع على أنها تقع في نهاية بواكير العصر الهيلادي الثاني. فإن انصار النموذج الآري يرون أنها من نمط مقابر الـ (Kurgan) وهي نوع من الأكوام الترابية التي كانت تستخدم للدفن وجدت في جنوب روسيا والبلقان.

ويفترضون أنها إحدى الملامح المميزة لقوم يتحدثون بلغة ما قبل اللغة الهندية الأوروبية[٣٠]. ونحن مضطرون إلى إجراء مقارنة لأن نمط الـ (Kurgan) هو مجرد كوم من الحجارة والطين. وعلى النقيض من ذلك تمامًا فإن مقبرة أمفيون وزيتوس كان يوجد بها درج أعد بعناية، ولها قمة من القرميد وقد أقيمت على تل موجود من قبل، وبها عدد من القاعات التي أقيمت بداخلها ويبدو أنها ترتبط بطقوس جنائزية[٣١].

ويرى سبيروبولوس أن وجود أرض فضاء أمام المقبرة ووجود كوتين يؤديان إلى دهليز يجعل في الإمكان مقارنتها بمقابر وجدت في لابيثوس (Lapithos) وإنكومى (Enkomi) في قبرص[٣٢]. ويسير في نفس الاتجاه كتاب إنجوبيني (Ingo Pini) الذي يتحدث عن عادات الدفن في كريت حيث يرى أن المقابر الكريتية ذات الممرات (dromoi) ذات تأثير مصرى[٣٣]. ويؤكد سبيروبولوس على هذه الفكرة من خلال اعتقاده بوجود علاقة مباشرة ما بين المقابر الكريتية ذات الشكل القائم المزودة بممرات ومثيلاتها في مصر[٣٤]. وفي هذه النقطة فإن سبيروبولوس لا يقف على قاعدة صلبة لأن المقابر الكريتية تنتمي إلى فترة القصور القديمة، أي أوائل الألف الثانية ؛ لذا فإنها زمنيًا تالية على التاريخ الذى أرجع إليه مقبرة أمفيون وزيتوس.

والواقع أن المحاولات التي بُذِلَت من أجل إيجاد تشابه ما بين مقبرة أمفيون وزيتوس ومقابر أخرى معاصرة لها في ليوكاس (Leukas) وخايْرونيا (Chaeonea) في أقصى شمال اليونان. هي محاولات غير مقنعة، ولدينا بعض الشك في أن تكون هذه المقابر هي الوحيدة من نوعها في اليونان[٣٥].

ومما يُثير الدهشة أن أقرب الآثار شبهًا بحالتنا هذه في أوروبا هي التي توجد في سيلبرى هل (Silbury Hill) بالقرب من السلسلة الصخرية الكبرى في أفيبرى (Avebury) . إن هذا الهرم المدرج الذى شُيِدَ بعناية من الحجر الجيرى يبدو أكثر قدمًا، كما أن تاريخه يرجع إلى القرن ٢٨ أو ٢٧ ق.م. وهو نفس التاريخ الذى ترجع إليه مقبرة أمفيون وزيتوس، وهو تاريخ يأتي بعد بناء الأهرامات الكبرى في مصر، وهو أمر يبدو أنه تم في الفترة ما بين عامى ٣٠٠٠ و ٢٨٠٠ ق.م[٣٦]. وعلى الرغم من الازدراء الذى صبه الباحثون الذين ينتمون إلى أوائل القرن العشرين ومنتصف هذا

القرن. ففي اعتقادي أنه يخامرني الشك في أن البنائين في سيلبري كانوا على دراية بالأهرام المصرية المعاصرة لهم(٣٧). ومن ناحية أخرى فإن ذلك يعيد إلى الأذهان بقوة فكرة أن المصريين قد استعمروا مقاطعة وسكس (Wessex) في عهد الأسرة الثالثة أو الرابعة(*). وفيما يتعلق بمقبرة أمفيون وزيتوس فمن الواضح أن بناتها كانوا يعرفون أهرامات مصر. ومن ناحية أخرى يرى البعض أن فترة أوائل العصر الهيلادى الثاني، وهي الفترة التي يبدو أن مقبرة أمفيون وزيتوس قد بنيت خلالها، كانت مصر خلالها قد تخلت عن نمط الهرم المدرج(٣٨). إن هذا الاعتراض ليس خطيراً كما قد يبدو للوهلة الأولى أولاً لأنه من المستحيل القول بأنه عندما تم بناء المقبرة خلال عصر الخزف الطويل (٣٠٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م). إذا كان ذلك قد وقع في أوائل هذا العصر فإنه يكون معاصراً لزمن الأسرة الثالثة (٣٠٠٠ – ٢٩٢٠ ق.م)، وهي الفترة التي شهدت أكبر الأهرامات المُدَرَّجة. والأمر الثاني هو أن الأهرامات المدرجة ظلت تحتفظ بدلالتها الدينية حتى بعد التطور الذي أدى إلى بناء الأهرامات العادية، بل أكثر من ذلك أن عمليات تشييدها ظلت مستمرة، فإن معبد الشمس الذي شيد في عهد الأسرة الخامسة الفرعون " ني أوسررع" Ni-user-re حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م قد بُنِيَ مُدَرَّجًا ، وهناك ما يدعونا للافتراض بأن الهرم المدرج للملك زوسر من الأسرة الثالثة (حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م) كان يتمتع بمكانة مقدسة في القرون التالية خلال عهد الأسرة الخامسة(٣٩).

والأمر الثالث هو أنه ينبغي أن نقول ببساطة إنه من المحتمل أن هذه الأنماط ظلت متبعة في الخارج على الرغم من توقف الأخذ بها في مصر.

ومع ذلك فإنني أرى أن يوانيس (Ioannis) وإيفيلين لوكاس(Loucas) (Eveline) على حق عندما أشارا إلى وجود تأثير من الزقورات(**) التي عرفتها بلاد الرافدين ،

(*) كما يحزنني هذا الشطط في الفكر الغربي بحثًا عن التأصيل الزمني الذي يفتقدونه في آثارهم (!!!) ، التي يستحيل ان تؤرخ بهذه العصور القديمة التي يدعونها (!!!) ، فكان مثل ذلك أولى ان يحدث في اليونان أو عند الرومان !!! (المحرر)

(**) المعابد السومرية التي كان يتم تشييدها على أماكن مرتفعة يجرى الصعود إليها عن طريق درج. (المترجم)

والتى كانت ماتزال تشيد[٤٠]. وهذه الزقورات مثلها مثل الأهرام هى مبانٍ مُقدَسة يحمل بناؤها معنى رمزيًا وهــو الصعـــود إلى السمـاء. لذا فإنه ينبغى أن يســاورنا كثـير من الشك فى أنهـا كـانت تؤدى الوظيفـة التى مـن أجلهـا اسـتـمـدت تلك المكانة ذات التقديس الفائق التى ظلت تنعم بها لعدة آلاف من السنوات، باعتبارها مقبرة لامفيون وزيتوس. ومن الجلى أنه كان ينظر إليها أيضًا باعتبارها مصدرًا للخصوبة الدائمة لسهول بويوتيا.

وقد جاء عند باوسانياس ما يلى:

"إن المكان التـذكـارى الذى ينسب إلى أمفـيـون وزيتوس هو عبـارة عن ركـام من الطين، وقـد أراد بعض الرجـال من تيثـوريا (Tithorea) فى فـوكـيس أن يأخـذوا بعض الطين، وكانت فكرتهم تتلخص فى أنـهم إذا أخذوا الطين عندمـا تكن الشـمس فى برج الثور من هذا الموقع ووضـعـوه فى تل أنتيـوپى (Antiope) (الأم الأسطورية للتوأم) فإن المحاصيل سوف تنبت فى أرضهم فى تيثوريا وليس فى طيبة."

وقـد أراد بـاوسـانيـاس أن يروى نبـوءة باكـيس (Bakis) التى ترجع إلى القـرنين السابع والسادس ق.م. لكى يدلل على مدى قدم هذه الرواية[٤١].

وفى زمن باوسـانيـاس (القـرن الثـانى الميـلادى) كانت تيـثـوريا تحـتـوى على أهم معابد بلاد اليونان التى أقيمت للربة إيزيس، حيث كان يجرى اتباع الطقوس المصرية بدقة[٤٢]. والحقيقة أنه ليست لدينا وسيلة لمعرفة مدى قدم هذا العادة، فلربما تكون قد بدأت فى العـصـر الهللينيسـتى أو حـتى خـلال العـصـر الرومـانى وذلك فى إطار حـركة التمصير التى أشرنا إليها فى الجزء الأول من هذا الكتاب[٤٣]. وعلى الرغم من أن هذه العبادة على وجه الخصوص مصرية فإننا نلاحظ أن ما أورده باوسانياس عن باكيس يأتى متوازيًا مع شارة هوميروس فى النشيد الذى وجهه إلى الربة " جايا " (Gaia) ، وكذلك إحدى الشذرات التى بقيت من تراجيديا مفقودة ليوربيديس بعنوان " انتيوبى"،

كل ذلك يؤكد الرواية المتداولة عن القوة السحرية التى تتمتع بها التربة التى تحيط بمقبرة أمفيون وزيتوس، وأن هذه الرواية يمكن إرجاعها إلى عصر البرونز[٤٤].

ومما هو جدير بالذكر أن فراعنة الدولة الوسطى كانوا مايزالون يسيرون على عادة بناء الأهرامات. ومعظم هذه الأهرامات كانت تطل على بحيرة الفيوم التى تحيط بها الأحراش، وقد اعتادوا تجفيف هذه الأحراش وتحويلها إلى سهول فائقة الخصوبة. وعلى الرغم من أن تلك الأهرامات أحدث من مقبرة أمفيون وزيتوس ، فإنه هناك نقطة تشابه بينهما، وهى أن مقبرة أمفيون وزيتوس تشرف على سهل طيبة حيث بحيرة "كوبايس" النظير الاغريقى لبحيرة الفيوم. ومع ذلك فثمة أمر ينبغى أن يوضع فى الاعتبار وهو أن بُناة مقبرة أمفيون وزيتوس أرادوا أن يقيموا شبيهًا بالأهرام – وربما كان القصد إنشاء مقبرة ملكية – وأن هذا الأمر يتطلب توفير قدر من الثروة وحشد عدداً كبيراً من الأيدى العاملة، وكل ذلك لا يدل على أن هؤلاء البُناة كانوا مستعمرين مصريين. وكما رأينا فإنه لا يوجد مواد من تلك التى تم العثور عليها ما يمكن اعتباره بشكل قاطع قادمًا من مصر(*). وعلى أية حال فإن سبيروبولوس لم يؤسس فكرته عن المقبرة على أساس نظرية الاستعمار المصرى فقط، فإن الأكثر أهمية بالنسبة له هو تلك الشبكة الواسعة للرى فى كوبايس والتى يرى هذا الباحث أن تاريخها يرجع إلى عصر الخزف فى أوائل العصر الهيلادى الثانى والتى يعتقد أنها تقع ما بين عامى ٢٦٠٠–٢٣٠٠ق.م بينما نفضل نحن فى هذا الكتاب أن نضعها فيما بين عامى ٢٠٠٠–٢٤٠٠ق.م.

نظام الرى فى كوبايس

إن بحيرة كوبايس عبارة عن حوض مساحته حوالى ٢٥٠ ك.م وتقع فى الشمال الغربى لإقليم بويوتيا، ويصب فى هذه البحيرة نهر كيفيسوس (Kephissos) وكذلك بعض الأنهار الأخرى الصغيرة، إلا أن الطريق إلى البحر تعترضه كتلة بتوؤن (Ptoon)

(*) هكذا يستقيم الفكر المنهجى التاريخى السليم ، والاستنتاج المنطقى ، حيث لا نتائج تاريخية بدون وثائق وأدلة أثرية . أوافقه الرأى على ذلك . (المحرر)

الصخرية. وكما هو معروف فإن الجبال التى تتكون من الحجر الجيرى عادة ما تتخللها الكهوف ؛ لذا فإنه توجد قنوات تحت الأرض تجعل مياة البحيرة تصب في البحر، سواء أكانت هذه القنوات طبيعية أو أنها ثمرة الجهد البشرى. ومما لا شك فيه أنه لفترة طويلة تمتد خلال عصر البرونز كانت مساحات كبيرة من البحيرة تجف شتاءً، بينما تمتلئ بالمياة خلال الصيف. ولقد جرى تحويل مجرى نهر كيفيسوس باتجاه الحد الشمالى للسهل والبحر.. وذلك عن طريق إقامة عدد من السدود. وقد تعرض هذا النظام للدمار فى نهاية أواخر العصر الهيلادى الثالث حوالى عام ١١٥٠ ق.م) عندما إندفعت القبائل الدورية والبويوتية الشمالية باتجاه الجنوب. وعلى الرغم من استصلاح بعض المساحات خلال العصر الكلاسيكي منذ عصر الحديد بعد عام ١١٠٠ ق.م، فإن مساحة كبيرة من أرض هذا الحوض كانت تفيض بالمياه وتحولت إلى أرض أحراش غير منتجة. وربما يفسر لنا ذلك ما نلمسه من تناقض ما بين حالة الانتعاش السياسى والاقتصادى التى نعمت بها طيبة ومدينة أورخومينوس (Orchomenos) التى تقع فى شمال بويوتيا خلال عصر البرونز، وبين حالة التدهور التى آل إليها هذا الإقليم خلال العصر العتيق (Archaic) والعصر الكلاسيكي (أى ما بين القرن الثامن إلى القرن الرابع ق.م) وفى أواخر القرن الرابع ق.م، حاول الإسكندر الأكبر أن يجفف البحيرة مرة أخرى، وتم حفر قناة كبيرة لهذا الغرض فى منتصف الحوض، وعلى أية حال فإن هذا المشروع لم يكتمل ربما لأسباب سياسية أو فنية أو للسببين معًا، وظلت بحيرة كوبايس مليئة بالأعشاب وأصبحت مساحتها أكبر خلال الألفى عام التاليين. وفى العصر الحديث حاولت شركة فرنسية أن تجفف البحيرة، إلا أن شركة إنجليزية تمكنت من إنجاز هذه المهمة فبدأت العمل في عام ١٨٧٠ وتمكنت من الانتهاء منه فى عام ١٨٩٠، وهو إنجاز يعادل ما تم القيام به خلال عصر البرونز وهو تحويل بحيرة كوبايس مرة أخرى إلى أرض زراعية منتجة[٤٥].

ويبدو أن عملية تصريف المياة وكذلك نظام الرى قد بدأ عن طريق عمل أحواض ذات خُلّجَان مغلقه على الشواطئ الشمالية للبحيرة، ومما لا شك فيه أن مثل هذه المشروعات تتطلب هندسة مائية على درجة عالية من التقدم بالإضافة إلى نظام سياسى واجتماعي مستقر.

والواقع أن أحد الأسئلة الهامة التي يثيرها وجود هذا المشروع هو متى تم إقامتها؟. ويميل عالمًا الآثار فوسي (Fossey) ووالاس (Wallace) إلى إرجاع تاريخ إقامة هذه المنشآت إلى العصر الموكيني حوالي ١٧٠٠ - ١٢٠٠ ق.م[٤٦]، إلا أن بعض المتخصصين في هندسة المياة وعلماء الآثار الألمان الذين عملوا في هذا المجال لمدة خمسين عامًا يرون أن الأعمال الأولى في مثل هذا المشروع ترجع إلى عهد أقدم . أما العالم البارز في هذا المجال وهو لوفر (S. Lauffer) فإنه يرى أن هذه الأعمال ترجع إلى أوائل العصر الهيلادي[٤٧]. بينما يعتقد بعض العلماء الذين جاؤوا بعده مثل كناوس (Knauss) أنها من عمل المينائيين (Minyan) . وطبقًا للرواية الشائعة فإن المينائيين هم المسئولون عن شبكة تصريف المياة (إن كلمة مينائيين تحريف للكلمة المصرية (Mniw) ومعناها "الرُعَاة"، وهو ما سوف نناقشه في الجزء الثالث). وفي الأساطير الاغريقية ورد ذكر المينائيين باعتبارهم قبيلة بدائية عاشت في مدينة أورخومينوس (Orchomenos) التي تقع شمالي بحيرة كوبايس، وقد ارتبط هذا الاسم بطراز من الفخار كان يجرى تصنيعه في أورخومينوس، وينتمى إلى أواسط العصر الهيلادى. وينبغي التأكيد على أن الربط الذى نقوم به حديثًا هو أمر عشوائي وليس هناك في النموذج القديم ما يجعلنا نعتبر المينائيين على وجه الحصر ينتمون إلى العصر الهيلادى.

وعلى أية حال فإن الجزء الأول من المؤلف الضخم الذى وضعه كناوس وزملاؤه بعنوان " المشروعات الهندسية المائية للمينائيين في كوبايس. أقدم تحكم فى الأنهار فى أوروبا . والتطوير الثانى لحوض نهر كوبايس بواسطة المينائيين فى الألف الثانى ق.م ". هذا العنوان يدل بشكل واضح على أنه لا يوجد شك فى تفكير هؤلاء العلماء ومعاصريهم من الدارسين الآخرين، فى أن هذا العمل قد بدأ فى منتصف عصر البرونز (٢٠٥٠ - ١٦٧٥ ق.م) . ولكن سبيروبولوس حدد تاريخًا متأخرًا عنهم، وهو ما قبل العصر الموكينى أو أواخر عصر البرونز[٤٨] والواقع أن الدارسين الألمان على صواب فى حرصهم على أن يكونوا أكثر تحديداً فى هذا الأمر. ففى الكتاب الذى صدر

فى عام ١٩٨٤ حدد كناوْس وزملاؤه بداية مشروع الصرف فيما بين عامى ٢١٠٠ – ١٩٠٠ ق.م[٤٩]. وفى عام ١٩٨٧ وصف كناوْس ما إعتبره أقدم تلك الانشاءات ، وأرجع تاريخه إلى النصف الثانى من العصر الهيلادى[٥٠]. وطبقًا للتقسيم الزمنى (الكرونولوجى) المتبع فى هذا الكتاب فإن هذا التاريخ يقع ما بين ١٨٣٠–١٦٧٥ ق.م.

وينبغى أن نلاحظ أن كناوْس لم يأخذ فى اعتباره الدلائل الفخارية التى قدمها سبيروبولوس. ونعنى بذلك الفخار الذى تم العثور عليه على إحدى الضفاف الشمالية للبحيرة ويرجع تاريخه إلى أوائل العصر الهيلادى، وربما يكون معاصرًا لمقبرة أمفيون وزيتوس[٥١]. والحقيقة أن هذا التأريخ يلقى قبولاً من علماء الآثار من أمثال كونسوك (D. Konsole) ويوانيس (Ioannis) وكذلك إيفيلين لوكاس (Eveline Louca) [٥٢] ، ونحن نرى أن مسألة الميناثيين ينبغى أن نربط بينها وبين المينويين ومن ثم المصريين[٥٣]. وإذا كنت لا استطيع القبول بما ذهب إليه سبيروبولوس فى الربط ما بين الميناثيين والمينويين من الناحية اللغوية ، فإننى أرى أنه علـى حق فيما ذكره عندما أشار إلى أن مصر فى عصر الدولة القديمة كانت فى قمة ازدهارها، مما يترتب عليه الاعتقاد بأنها المكان الذى يوجد به هذا المستوى المتقدم فى الهندسية الهيدروليكية، بنفس الدرجة التى كانت عليها الأعمال الهندسية حول بحيرة كوبايس، وأن مصر هى مصدر هذه التقنية[٥٤]. ولذا فإن فكرته التى تقول بأن مقبرة أمفيون وزيتوس وكذلك الأعمال الأولى عند بحيرة كوبايس ترتبط ببعضها البعض، وأنها ترجع إلى وجود أدلة مادية ، حيث لم يعثر على آثار مصرية فى إقليم بويوتيا فى هذه الفترة.

ولكن على أية حال فإنه توجد أدلة عارضة معقولة يمكن أن تساند اقتراح سبيروبولوس، وأول هذه الدلائل هو توفر حالة من الثراء فى هذا الإقليم خلال أوائل العصر الهيلادى الثانى. ومن سوء الحظ أنه لم يتم التنقيب فى كثير من مواقع الاستيطان. وبالتالى فلا توجد دراسات عنها، وفى هذه الفترة كانت توجد أكبر قرية فى يوتريسيس (Eutresis) على بعد عشرة كيلومترات إلى الجنوب من طيبة. كذلك كشفت الحفائر الحالية فى ليثاريس (Lithares) التى تقع على بُعْد سبعة كيلو من هذه المدينة

على ضفاف بحيرة هوليكي[*] (Hylike) عن وجود مستعمرة مزدهرة خلال أوائل العصر الهيلادى الثانى، وقد تمتعت هذه المستعمرة بنمط مدينة. كما توجد دلائل مؤكدة على قيام تجارة بين هذه المستعمرة والأناضول ومقدونيا، بالإضافة إلى جزر الكيكلاديس[**].

صوامع الغِلال

توجد بعض البقايا الآثارية يمكن أن تُرَجح أن العمل فى تلك الإنشاءات التى تتعلق بأعمال الهندسة المائية ، والتى سلفت الإشارة إليها قد بدأت فى منتصف القرن الثالث، ونعنى بالبقايا الآثارية عدد من المبانى ذات الشكل المستدير فى أورخومينوس (Orchomenos) والتى يتراوح قُطرها ما بين ٨ إلى ٢,٥ متر. وقد ذكر سبيريدون ماريناتوس (Spyridon Marinatos) الذى أصبح فيما بعد أبرز العلماء فى مجال الآثار اليونانية فى عصر البرونز فى عام ١٩٤٦ أن هذه المبانى ليست مقابر، كما أنها لا يمكن أن تكون معابد أو منازل ولكنها على وجه التحديد صوامع للغلال . وأنها تُشبه بشكل واضح تلك النماذج المستعارة من مصر. وكذلك النمط الذى تم العثور عليه فى جزيرة ميلوس إحدى جزر الكيلاديس. ويدل حجم هذه الصوامع على أنها أقيمت لكى تستوعب غلال من انتاج منطقة شاسعة، كما يؤكد هذا المستوى الكبير من التخزين وجود تنظيم سياسى متقدم. وقد تمكن مارينا توس من خلال دراسته للخزف من إرجاع تاريخ هذه المنشآت إلى أوائل العصر الهيلادى الأول والثانى. وبالإضافة إلى هذه المنشآت أشار هذا العالم إلى وجود سلسلة من الصوامع ذات الحجم الكبير، وقد شُيِّدَت هذه الصوامع من الطوب ويصل محيط دائرتها إلى ٨٨ مترا ويبلغ ارتفاع القباب فيها إلى ٤٦,٤ مترا فى تيرنس (Tiryns) فى سهل أرجوس الذى يقع فى شمال

(*) أما النطق اليونانى الحديث لاسم البحيرة نفسها ، فهو " إليكى " . (المحرر)

شرق شبه جزيرة البلوبونيز. أما تاريخ إنشائها فإنه يرجع إلى أوائل العصر الهيلادى الثاني أيضًا. وإذا أخذنا بهذا الرأى فلابد أن هـذه الصوامع قد أقيمت لاستيعاب كل الغِلال التى ينتجها سهل أرجوس(٥٦). والواقع أن مقالة مارينياتوس تثير حالة من الارتباك لدى المتخصصين، فإن هذا العالم من أبرز المتخصصين في مجال الآثار اليونانية في خمسينيات هذا القرن، بل والستينيات واستمر الحال كذلك في السبعينيات. وقد جاءت أفكاره عن التأثير المصرى، وعن وجود تنظيم سياسى واقتصادى كبير في بلاد اليونان خلال الألف الثالثة ق.م. مناقضة لما يؤمن له الأوروبيون الشماليون عن بلاد اليونان في هذه الحقبة.

ومن الملاحظ أن رينفرو ومثله فى ذلك مثل الكثير من المنادين بفكرة الانعزالية. قد شعر بالارتباك أمام وجود مثل هذه المنشآت ذات الحجم الضخم ؛ فإذا سلمنا بأنها صوامع للغِلال فإن هذا يؤدى إلى هدم النموذج الذى يأخذ به، والذى يقول بوجود مزارع محلية صغيرة في أوائل عصر البرونز في تاريخ الزراعة الإغريقية. وقد أثار الشك في بعض إجزاء كتابه عن بزوغ الحضارة حول إمكانية النظر إلى هذه المنشآت على اعتبار أنها مساكن(٥٧). إلا أنه عاد في مواطن أخرى وأقر بأن هذه المنشآت وكذلك تلك التى وجدت فى تيرنس تكون صوامع للغلال . وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يزال مُصِراً على أن لا ينهض دليلاً على هدم نظريته التى يرى من خلالها أن الزراعة الاغريقية خلال الألف الثالثة كانت تقوم على أسس أولية(٥٨).

فإذا أخذنا فى الاعتبار نظام الرى في كوبايس، وكذلك السد بالقرب من تيرنس، وهو سد على الرغم من كونه قصيراً إلا أنه ذو حجم كبير. فإنه لا يكون من قبيل المبالغة الربط بين هذه الصوامع الضخمة وبين المنشآت المائية(٥٩).

وكما رأينا فإن تاريخ هذه الصوامع يرجع إلى أوائل العصر الهيلادى الأول والثانى (حوالى ٣٣٠٠-٢٤٠٠ ق.م) إلا أن تاريخ سد تيرنس لايزال موضعًا للخلاف. فإن الباحث الأمريكى "بالسر" (J. M. Balcer) يرى أن هذا التاريخ يرجع إلى أواخر

العصر الموكيني. إلا أن "كناوْس" (Knauss) يرى أن سد تيرنس أكبر بكثير من سدود بويوتيا. ومن ثم فإنه لا ينبغي بأى حال المقارنة بينه وبين تلك الموجودة فى كوبايس .

وعلى أية حال فإنه يصنع تأريخًا لسدود كوبايس يرجع إلى ما بين عامى ١٨٣٠ و١٦٨٠[٦٠]. وما يسترعي الانتباه أن هذا الباحث يعتقد أن سد تيرنس هو الأقدم. وأنه يرجع إلى أوائل العصر الهيلادى الثانى[٦١]. وهكذا فإنه يتوافق مع تاريخ صوامع تيرنس. ومن ناحية أخرى فإن التاريخ الذى يقترحه كناوْس لأعمال كوبايس يأتى بعد العصر الهيلادى المبكر بفترة طويلة وهو تاريخ إنشاء الصوامع. وعلى أية حال فإن سبيروبولوس يربط ما بين مخازن الغلال ونظام الرى الذى يرجع إلى أوائل العصر الهيلادى الثانى[٦٢]. ومن ثم فإن فكرة أن تكون تلك المبانى المستديرة هى صوامع الغلال، وأن إقامتها كانت نابعة من تأثير مصرى، وكذلك إرجاعها إلى هذا التاريخ المبكر، هى أمر يجالفه الصواب. ومن ناحية أخرى فإنه بسبب بعض المسائل المتداخلة يمكن القول بأن نظام الرى والصرف فى كوبايس (وكذلك فى البلوبونيسوس) قد تم تحت تأثير مصرى خلال عهد الدولة القديمة حوالى ٣٠٠٠ – ٢٤٧٠ ق.م. وعلى وجه الخصوص من أجل خدمة ضفاف نهر كيفيسوس الغنية، وكذلك المحاصيل الموسمية لحوض البحيرة فى السنوات التى يكون فيها هذا الحوض جافًا.

إن وجود بيت القرميد أو القصر الصغير الذى يرجع تاريخه إلى أوائل العصر الهيلادى الثانى فى " ليرنا " (Lerna) على بعد كيلو مترات معدودة من تيرنس (Tiryns) قد يزودنا بدلائل فى صالح فكرة الانتاج الزارعى الكثيف، ونظام الرى فى هذه الفترة. ومع ذلك فإن بيوت القرميد فى ليرنا وطيبة لا ينبغى النظر إليها باعتبارها قصورًا صغيرة ترتبط بنظام الرى، وليس هناك ما يدعونا للاعتقاد بوجود نظام للسدود بالقرب من ذلك السد الذى وجد فى مسينيا (Messenia) جنوب غرب البلوبونيسوس. على الرغم من أنه من المتوقع وجود نظام للرى فى هذا الإقليم . وعلى أية حال فإنه يوجد نموذج لبيت القرميد فى جزيرة إيجينا (Aigina) على الرغم من وجود القليل أو حتى عدم وجود أنظمة للرى فيها[٦٣].

نظام الرى والإستيطان

فى إقليم أرجوس

أشرت فى الجزء الأول من هذا الكتاب إلى نظام الرى الذى يُفتَرض أنه جرى تنفيذه على يد " دناؤوس" (Danaos) المستوطن الأول والمؤسس لأرجوس. وإننى على يقين من أنه قد جاء من مصر فى عصر الهكسوس خلال الألف الثانية. إن ما يدفعنا إلى التأكد من نسبة نظام الرى إليه ربما يأتى من أن هذا الاسم يتشابه مع الكلمة المصرية (dui) وينحدر منها (وهى كلمة تعنى يوزع أو يروى) [٦٤]. فإذا كان الأمر كذلك فإن ملامح هذا النظام ترجع إلى الألف الثالثة وليس الثانية. وسوف نُرجئ الحديث عن هذا فى الفصل التاسع، وذلك لأسباب كثيرة. فإننى لازلت متمسكًا بفكرة أن كل الأفراد والأحداث التى ترتبط بشخصيته الأسطورية هى أحداث مركبة وتنتمى بشكل غالب على الأقل إلى العصر المتأخر.

ومن ناحية أخرى فإن شخصية إيناخوس (Inachos) وهى شخصية أسطورية ، إن لم تكن خرافية، وهو أول ملوك أرجوس ووالد إيو (Io) التى يسود الاعتقاد بأنها وجدت قبل " دوناؤوس". إن إيناخوس يمكن النظر إليه بإعتباره الصورة المجسدة لنهر "إيناخوس"، الذى يُعْد أكبر أنهار أرجوس ولكن إطلاق هذا الاسم ليس له تفسير مقنع. وقد إفترضت فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن يكون منحدراً من الكلمة المصرية (rnh) التى تعنى الحياة ، وترد أحياناً بمعنى المياه الحية، وقد جاء ذكرها فى أشكال أخرى لكى تعنى " الذى يعيش للأبد" وكان هذا أحد ألقاب فرعون الحى[٦٥].

ويسود الاعتقاد بأن إيناخوس ينتمى إلى هذا المكان، وأنه وُلِدَ فيه، إلا أننا نرى الأب يوسيبيوس (Eusebius) يشير إلى رواية تقول بأن إيناخوس مثله فى ذلك مثل دناؤوس كان مستوطنًا جاء من مصر. وقد حَظِيتَ هذه الرواية بقبول الدارسين الفرنسيين فى القرن ١٨ من أمثال "نيكولاس فرير"(Nicolas Freret) و"أبيه بارثلمى" (Abbe Barthelemy) . فقد ذكر هذان العالمان أن إيناخوس وإبنه الذى ذكرته الأساطير ويدعى فرونيوس (Phroneous) كانا مستوطنين مصريين أقاما فى أرجوس

في القرن العشرين ق.م[٦٦]. فإذا أخذنا في الاعتبار الأصل المصري للاسم والدلالة اللفظية التي ترتبط بالملكية، وكذلك المياة، ورد ذلك جميعًا إلى فترة مُوغلة في القِدَم، فإن ذلك يقودنا إلى إتجاه عام وهو أن نظام الري كان مصريًا ، وكذلك الاستيطان ، وأن ذلك يرتبط بالسد والمبنى ذو الشكل المستدير في تيرنس (Tiryns) وكذلك بيت القرميد، وهو البيت الذي كان فيما يبدو يقوم بوظيفة القصر في " ليرنا" (Lerna) خلال الألف الثالثة، إلا أن ذلك يظل على أية حال في عالم التخمين.

نظام الري والصرف

في أركاديا Arkadia

إذا كانت نظم الري والصرف في تيرنس وكوبابيس هي أكبر الأعمال من نوعها في بلاد اليونان فإن هناك نماذج أخرى في أماكن متفرقة ، مثل تلك التي وجدت في أركاديا التي تقع في قلب شبه جزيرة البلوبونيسوس . ولقد تحدثت في الفصل الثاني عن بعض الملامح الطبيعية لإقليم أركاديا وذلك في معرض حديثي عن تيلبوسا (Thelpousa) ولادون (Ladon) التي تنبع من بحيرة فينيوس (Phenueos) وتتصل بحيرة ستيمفالوس (Stymphalos) من خلال قناة تحت الأرض، قد ذكر باوسانياس أن هناك رواية محلية دارجة تعزو إنشاء هذه القناة إلى الإله هرقل[٦٧]. وتدل عمليات المسح الحديثة على أنه حدث تطوير لهذه القناة بواسطة البشر، وقد قام بإجراء عمليات المسح " كناوس " (Knauss) وفريق البحث المصاحب له. وقام هذا الفريق بالعمل في بحيرتي فينيوس وستيمفالوس بالإضافة إلى حوض " كافاي" (Kaphai) وكذلك منطقة أورخومينوس (Orchomenos) في البلوبونيز، وهي تقع جنوبي بحيرة " تاكا" (Takka) بالقرب من تيجيا (Tegea) جنوب غرب تريبوليس (Tripoli) الأركانية ، وقد أكدت هذه العمليات وجود عمليات انشائية للسدود بالإضافة إلى تطوير القنوات الطبيعية في الإقليم[٦٨].

والواقع أنه من الصعب معرفة تاريخ هذه الأعمال. فإن البعض منها يرجع إلى العصر الهيللينيستي. بينما يرجع بعضها الآخر إلى العصر الروماني. ولكن معظمها كان قائمًا في أواخر عصر البرونز، وهو ما يمكن معرفته من خلال الدلائل التي أمدتنا بها المستوطنات القريبة التي يرجع تاريخها إلى العصر الموكيني(٦٩). بالإضافة إلى ما ذكره هوميروس من أن أرخومينوس الأركادية كانت في زمن الحروب الطروادية غنية بالقطعان(٧٠).

وبشكل عام فإن التناقض ما بين ثراء أركاديا في عصر البرونز، وما آل إليه حالها من تدهور خلال العصر الكلاسيكي يؤكد أن نظام الري والصرف كان أكثر فعالية في العصور الباكرة. وثمة تأكيد آخر يدلنا على إرجاع هذه السدود إلى عصر البرونز، ويتأتى ذلك من خلال ربطها بشخصية هيراكليس، وهي شخصية على الرغم مما يكتنفها من غموض فإنها ترجع إلى هذا العصر(٧١). وهناك تأكيد أكثر على قدم أعمال الهندسة المائية في أركاديا، وهو ما تمثله الملاحظة التي أبداها كناوْس وفريق العمل المصاحب له، والتي ترى تشابها ما بين سدود أركاديا وتلك الموجودة في تيرنس (Tiryns) وبويوتيا، وبما أن هذه الأخيرة كانت موجودة إبَّان العصر الموكيني، فليس هناك من الأسباب ما يحملنا على الافتراض بأن سدود أركاديا متأخرة عنها. وعلى أية حال فإنه طالما أن كناوْس وفريقه قد ذكروا أن سدود البلوبونيز تشبه تلك الأعمال الميناثية "Minyan" في كوبابيس. فإن ذلك ينهض دليلاً على أن ثمة احتمال بأنها قد بدأت في أوائل أو منتصف العصر الهيلادي. وليس في أواخر هذا العصر(٧٢).

تشابه أسماء الأماكن

في بويوتيا وأركاديا

أثار انتباه علماء الآثار المحدثين ذلك التشابه بين التقنية المستخدمة في بناء السدود في كل من بويوتيا وأركاديا، ولعل الأكثر لفتًا للنظر ذلك التشابه الدقيق بين أسماء الأماكن التي وُجِدَت بها تلك الأعمال المائية. وقد أشرنا من قبل في الفصل

الثاني إلى وجود نهر يحمل اسم لادون (Ladon) في كلتا المنطقتين، وكذلك التشابه ما بين اسم تلفوسا (Tilphousa) وتلبوسا (Thelpousa) . وكذلك ما بين اسم أونكا (Onka) وأونكايوس (Onkaios) [٧٣] كما يستلفت النظر أيضًا وجود مدينة تحمل اسم أورخومينوس تقع على مَقْرُبة من ذلك السد الذي يمكن اعتباره أقدم السدود على بحيرة كوبابيس. وكذلك أخرى تحمل نفس الاسم وتحتل موقعًا مهمًا على القناة التي تصل ما بين بحيرات كافاي القديمة وأورخومينوس الأركادية، كما توجد أورخومينوس أخرى على حافة سهل فتيوتيس (Phitiotis) في ثساليا[٧٤].

ويساورنا بعض الشك في أن يكون هذا الاسم من أصول قديمة ، فإن الصفة (Ekomeno و Okomeno) تظهر في الكتابة التخطية (Linear B) وعلى الرغم من إصرار شادويك (Chadwick) بأن هذه الكلمات لا ترتبط بأروخومينوس الأركادية فإنه لا ينبغي أنها ترتبط بشدة باسم مدينتين مختلفتين وجدتا في العصر الكلاسيكي وهما مدينتا أورخومينوس (Orchomenos) وإرخومينوس (Erchomenos) . وقد ذكر شانترين (Chantraine) أن التطور الأتيمولوجي لاسم أورخومينوس غامض إلى حد كبير. ولكن على أية حال يسود اعتقاد عام بأنها تنحدر من الجذر (Orch) الذي يعني كرمة أو شجر الفاكهة، وهو ما يمكن أن نأخذه أيضًا على محملين متقاربين "الأيكة" أو "الحديقة" أو على أنه سياج لذلك، فإن كناوْس يأخذ بالرواية التي يسير عليها الدارسون والتي تقول بأن المعنى المقصود هو المكان المحدد أو الذي يحيط به سور[٧٥]. كما أقر بوجود ملحوظة وهي أن كلتا المدينتين تقعان في منطقة توجد أعلى مناطق الري وليس في وسطها. وقد استند إلى ما جاء عند استرابون وباوسانياس ، وذكر أن أورخومينوس البويوتية تقع في سهل كوبابيس ، وأنها نقلت إلى موقعها الأخير بعد الفيضان الذي حدث في نهاية عصر البرونز[٧٦] ، إلا أنه لا يوجد دلائل يمكن مقارنتها فيما يتعلق بأورخومينوس الأركادية.

وهناك اقتراح بوجود أصل إتيمولوجي للجذر (Orch) من الكلمة (wer-gh)(مغلق) وهو موجود في اللغة الليتوانية في كلمة Verziu (بمعنى مغلق أو مسور). وفي اللغة الاسكندنافية القديمة (Virgill)(دائرة). وهناك احتمال آخر قابل للأخذ به بنفس الدرجة وهو أنه من الجذر الكنعاني rk . والمعنى الأصلي لهذا الفعل هو "الترتيب في

نظام" أو " الوضع في صفوف" . وقد استُخدِمَت بشكل متواتر في المجال العسكرى بمعنى " إعداد صفوف القتال". وثمة مشكلة أخرى من جانب علم الصوتيات، وهى أننا لا نعرف متى بدأت اللغة الكنعانية فى إبداء تلك الظاهرة المعروفة باسم " تليين الوقفات" مثل b,g,d وكذلك T , K, P التى تأتى بعد حروف العلة والتى تؤدى إلى قراءة rk مثل rkh . وعلى الرغم من ذلك فإن تحول حرف kالسامي إلى حرف ch اليونانى هو أمر معروف بما يكفي بتدبر هذه المعادلة. إن تليين الحروف ربما يكون قد انتشر من خلال الاختلاط مع جذر سامي آخر هو rh (الذى يعنى طريق أو يرحل أو يصل). وأن هذا الجذر rh ربما يكون هو الأصل فى الكلمة اليونانية (erchomai) (رحلة - يصل - يذهب) وهى كلمة ليس لها أساس إيتمولوجى فى اللغة الهندية الأوروبية(٧٧).

إن الجذرين rh , rk تنحدر منهما كلمات كثيرة فى اليونانية، وتحمل هذه الكلمات معنى " ترتيب صفوف القتال ". ومن المحتمل أن rk هو الأصل فى عنقود من الكلمات اليونانية التى تبدأ بـ arch والتى ليس لها أساس فى اللغة الهندية الأوروبية. ويرى شانترين أن المعنى الأساسي لها هو " يذهب أولاً " أو " يبادر" أو "يبدأ " كما ترجم كلمة (archion) إلى " يتولى القيادة ". وذلك فى المجال العسكرى . ومن هذا المقطع تنحدر معان كثيرة للمقطع arch مثل " يقود " و " أولاً "، وهكذا فإنه من الواضح أن (erchorcho) عبارة عن استعارة من اللغة السامية. إن هذا يقوى الافتراض بأن (orchomenos أو Erchomenos) تعنى " المنظم " أو " المكان المسور" ، وتشير إلى وجود السدود والقنوات التى تتحكم فى المياة. وإذا كان الأصل السامي للجزء الأول الذى لا جدال فيه فإن الجزء الأخير وهو (menos) هو اسم الفاعل المبنى للمجهول الذى يدل على التسمية اليونانية للمكان. ومن الممكن أن يكون ثمة امتزاج ما بين كلمة (mayin) فى الآرامية التى تعنى مياه، وفى لغات أخرى يجرى دمج حرفى العلة المتتابعين (diphthong) لكي يصبحا حرف e فقط فى اللغة السامية(٧٨). ولذا فإن المعنى يكون " المياه المنظمة " وهو ما يمكن أن يعبر عن المعنى المطلوب بدقة.

وعند هذه النقطة فإنه ينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا التطور الإتيمولوجى لبعض الكلمات اليونانية التى تتصل بالرى وأولها كلمة استخدمها الأقدمون لكلمة السدود والجسور وهى كلمة (Khoma) . إنها تشبه الكلمة العبرية (homa) (جدار) ،

والتى استخدمت لوصف الأسوار التى تحيط بالمدن والأماكن الكبرى. ولكن لأن كلمة (homa) تستخدم بشكل منفرد فى اللغة السامية أكثر من استخدامها على هذا النحو فى اللغة اليونانية، لذلك فإن الإعارة ربما جاءت من الغرب إلى الشرق. أما كلمة (gephyra) فإننا نرى أن جونز هوكر (Jones Hooker) الذى تخصص فى الدراسات الكلاسيكية يثير جدلاً حول الأصل السامى لهذه الكلمة، والتى تعنى فى الأصل سد أكثر مما تؤدى إلى المعنى الذى إلتصق بها وهو " جسر". إنه يقترح أنها جاءت من أصل سامى هو (gb) الذى يحمل معانى " يحفر " و " سد " و " حصن "[٧٩]. وسوف أناقش فى الجزء الثالث من هذا العمل فكرة أنه ربما يكون من الأفضل استناداً إلى علم الأصوات أن نستشف أن كلمة (gephyra) قد جاءت من الأصل السامى (gwbr) (يدفن) . وعلى أية حال فإن افتراض الأصل السامى لهذه الكلمة يدعمه ما ورد عند هيرودوت ونصه كما يلى : " إن الـ (Gephraei) على حسب وصفهم قد جاءوا فى الأصل من إرتريا (Eretria) ، ولكن عندما تحريت الأمر وجدت أنهم فى الحقيقة فينيقيون، وهم ينحدرون من هؤلاء الذين وفدوا مع كادموس إلى ما يعرف الآن بإقليم بويوتيا. حيث تم منحهم منطقة تاناجرا (Tanagra) لكى يقيموا فيها مساكنهم، وبعد أن قام أهل أرجوس بطرد خلفاء كادموس، ثم طرد الـ (Gephyraei) بواسطة البويوتين لجئوا إلى أثينا[٨٠].

وهكذا فإن الجماعة التى تحمل اسم " جسر " والتى جاءت مع الغازى كادموس فى عصر البرونز وصفت بأنها فينيقية . إن هذا يعطينا إشارة ذات دلالة واضحة على تدخل ذوى اللسان السامى فى نظام الرى فى بويوتيا، وهذه التسميات السامية المرجحة سواء أطلقت على الأماكن أو الأشخاص تتوافق مع التأثير السامى فى مجال العبادات والأساطير فى بويوتيا وأركاديا خلال عصر البرونز[٨١].

ومما هو جدير بالذكر أن العالمين الألمانيين كالسيك (Kalcyk) وهنريش (Heinrich) ذكرا أن جبل أوركسيس (Oryxis) المتاخم لأورخومينوس فى أركاديا يرتبط بكلمة (Orysso)(بمعنى يحفر قنا). وهى تعنى أيضاً(حفر الجبل) [٨٢]. والواقع أن الجذر

(Orygk) ليس له تفسير مقنع فى اللغة الهندوأوروبية من الناحية الاتيمولوجية[٨٣]. ومن ناحية أخرى هناك الأصل السامى (rg) (يحفر). وقد ورد بمعنى يحفر الأرض الجافة[٨٤]. ومما هو جدير بالملاحظة أن جبل أوركسيس يقع بالقرب من جبل ساتيس (Saitis) وقد أشرنا من قبل إلى مدينة سايس (Sais) مركز عبادة الربة نيت - أثينا، وارتباط هذه المدينة بعمليات التحكم فى المياه[٨٥]. إن كلا الجبلين يقع بالقرب من أورخومينوس على شواطىء بحيرة فينيوس .

إن اسم فينيوس يدل بوضوح على التأثير المصرى فى تسمية الأماكن التى لها صلة بالمياه ونُظُم الرى فى بويوتيا وأركاديا . إن كلمة فينيوس (Pheneos) وبينيوس (Peneios) تنحدر من كلمة (P3 Nw(y)) (الفيضان). وربما تكون هى كلمة (Panan) فى اللغة القبطية. وهو الأمر الذى ذكرناه من قبل[٨٦]. إن اسم (Peneios) يُطلَق على نهر إليس (Elis) فى شمال غرب البلوبونيز وهى المنطقة التى يفيض منها نهر لادون (Ladon) . كما أن هذا الاسم ذاته يُطلَق على النهر الرئيسى فى ثساليا والذى يفيض فى سهل ثساليا . وكان القدماء يعتقدون أنه كان فى الأصل عبارة عن بحيرة. وعلى أية حال فإنه إما أن يكون ناتجًا عن زلزال أو من أعمال بوسيدون (إله البحر) فإن نهر بينيوس التسالى أصبح يتجه إلى البحر[٨٧]. ومما هو جدير بالذكر أن الكاتب الملحمى المصرى نونوس (Nonnos) كتب فى القرن الخامس الميلادى - استنادًا إلى مادة ترجع إلى عصور قديمة - لكى يربط ما بين هذه الأحداث الدرامية والطوفان العظيم الذى إجتاح العالم[٨٨]. إن الاقتراح الذى يرجح الفيضان ربما يمكن قبوله بقوة فيما يتعلق بفينيوس فى أركاديا . إن حالات الانسداد التى نتجت عن الزلازل المتتابعة والتى أغلقت مجارى الاتصال مع نهر لادون قد جرى ذكرها من قبل. كما أن القنوات الأخرى سواءً كانت طبيعية أو من صنْع الإنسان لابد وأن يكون قد لحقها التدمير[٨٩]. وقد ذكر بلينى أن المنطقة شهدت وقوع خمسة فيضانات خلال العصور التاريخية . كما كتب باوسانياس ما يلى:" إن سهل فينيوس يقع اسفل كارياى (Karyai) ، وقد وقع به فيضان أغرق السهل، وحتى أيامنا هذه توجد علاقات باقية على الجبال تدل على مدى ارتفاع مستوى المياه[٩٠]".

سار جيمس فريزر (James Frazer) وباحثون آخرون من بعده على نفس النهج الذى سار عليه كناوس وفريقه فى تقدير البحيرة التى من صُنْع البشر[٩١]. (ولا يجب الخلط ما بين اس (Peneios ، Pheneos) وبين اسم العلم (Phinea/es) ، فإنه مثل الاسم العبرى بنحاس (Pinhas) يأتى من الاسم المصرى (P3 Nhs) (النوبى أو الأسمر) حول هذا الأمر أنظر الفصل الثامن الذى سيأتى فيما بعد[٩٢].

وهناك بحيرة أخرى يبدو أن اسمها فى الأصل كان مصرياً وهى بحيرة فى أركاديا تحمل اسم كافاى (Kaphai) [٩٣] .إن اسم (Kbh(w)) واحداً من أكثر الأسماء المصرية شيوعاً للدلالة على مجارى المياه والأنهار والمسطحات المائية الأخرى[٩٤]. وهى ترتبط بشكل واضح بالجذر (kbb) (بارد) وكذلك (kbh) (يطهر) ، إن (kbb) كان اسما لواحد من كهفين يقعان بالقرب من جزيرة الفنتين، وكان يسود الاعتقاد بأن النيل ينبع منهما وقد أشار هيرودوت إلى هذين المنبعين باسم (Pegai) [٩٥].إن قيام المصريين بالربط ما بين (kbh(w)) والبرودة وكذلك الينابيع التى تحمل المياة العذبة وتخرج من كهوف فى الأرض هو أمر يتماشى مع فكرة أن بحيرة كافاى تستمد مياهها من مصادر غامضة ومن قنوات مختفية ، وإذا ما تذكرنا النهاية (issos) التى توجد فى أسماء بعض الاماكن فى منطقة بحر إيجه ، فإننا نجدها فى اسم (Kephissos) وهو النهر الرئيسى الذى يصب فى بحيرة كوبابيس، كما نجدها فى أسماء العديد من أسماء الأنهار فى بلاد اليونان. إن الكثير من هذه الأنهار إن لم يكن غالبيتها يأتى من كهوف، وكانت تلك الكهوف تستخدم لإجراء شعائر التطهر[٩٦]. ويمكننا أن نلاحظ أن (kbh(w)) تكتب بشكل محدد بالعلامات المصرية للتعبير عن البرك أو البحيرات التى تعيش على شطآنها طيور مائية . إن هذا ينطبق على كافاى (Kaphai) ، كما انه ملائم أيضاً لحالة بحيرة كوبابيس[٩٧] .

إن كناوس له عدة اقتراحات بناء على ما جاء عند بليني، فإن كوباى (Kopai) قد اكتشف المجداف، وبلاتايا (Plataia) توصل إلى الدفة ، وأن إيكاروس (Ikaros) قد توصل إلى الملاحة، أما دايدالوس (Daidalos) فقد إكتشف الصارية وعارضه الشراع[٩٨]. إن هذه الرواية يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ولا ينبغى إهمالها، ويجب أن نلاحظ التشابه بين كلمة بلاتايا وكلمة (Plat) (مجداف – دفة) كما أن الشكل

الأسطورى لأجنحة إيكاروس يمكن أن يكون ملائمًا لعملية الإبحار. لقد وصف كل من باوسانياس وبلوتارك عبارة دايدالا (Daidala) التي انتشرت بين موطني بلاتايا التي تقع على الحدود بين بويوتيا وأتيكا، حيث يجرى قطع أطول شجرة من بين أشجار البلوط، ويتم صنع أصنام صغيرة من أخشابها، ويرجع ذلك إلى العادة المصرية التي تقوم على صُنْع أشكال باقية من الخشب[٩٩]. وقد يفسر هذا الإدعاء بأن دايدالوس هو الذى اخترع الصارية، وعلى أية حال فإن الربط ما بين كوبابيس والمجداف هو أمر يسهل فهمه أو القبول به. ويربط كناوس ما بين كوبابيس والمجداف من الناحية الاتيمولوجية، وذلك إنطلاقًا من إعتقاده بأن القنوات التى وجدت فى كوبابيس لم تكن فقط مجرد قنوات للرى والصرف. ولكنها كانت تُستَخدم للملاحة الداخلية[١٠٠]. إن قابلية هذه النقطة الأخيرة للتصديق لا تعوض ضعف الدليل الاتيمولوجى، وعدم إمكانية وجود مكان يسمى "مجداف" لذا فإن الأمر الأكثر قبولاً للتصديق هو أن اسم كوبابيس – مثل (Kophai) – قد جاء من التسمية التى جرى استخدامها بكثرة وهى (kbh,) التى تلائم على وجه التحديد البحيرة الضحلة المليئة بالأعشاب. وهكذا فإننا إذا أخذنا (Kophai , Kopais) يكون لدينا نموذج للنشابة بين أسماء الأماكن المرتبطة بنظام الرى فى بويوتيا وأركاديا. والمرء لابد وأن يلاحظ الارتباط الواضح مع مصر.

ماذا يمكن أن نستتشف من خلال هذه الملاحظات الاتيمولوجية؟ إن الكثير من الأسماء يبدو من أصل مصرى أو تنتمى إلى الساميين الغربيين، وهذا يدل بجلاء على وجود المتحدثين باللسان المصرى والسامى الغربى فى المنطقة عندما تم إطلاق هذه الأسماء. ولكن هذا على أية حال أمر غير مؤكد، فإن الأسماء من الممكن أنْ تكون قد أُخِذَت من مصر والمشرق دون أقحام مسألة الهجرة. وثمة مشكلة أخرى تتعلق بالتأريخ، وتطرح سؤالاً هو هل الأسماء التى سبق ذكرها قد أُطلِقَتْ قبل إقامة هذه الأعمال أو خلال الإنشاء أم بعد الفراغ منها؟

أنه بحق أمر شديد التعقيد عندما نحاول إيجاد تاريخ تقريبى لأعمال الهندسة المائية فى بويوتيا والبلوبونيسوس. إن المناقشة التى ذكرناها من قبل تشير إلى أن أعمال الهندسة المائية فى بويوتيا وأرجوس ربما يكون البدء فى إنشائها تم فى أوائل العصر الهيلادى.

وقياسًا على ذلك يكون الحُكْم صحيحًا فيما يتعلق بأعمال أركاديا، على الرغم من أن هذه الأخيرة ربما يكون العمل فيها قد بدأ بعد الأولى بقرون. فهل يمكننا أن نخمن أن ذلك التشابه في التقنية ما بين بويوتيا وأركاديا كان نتيجة للإفادة من تجربة بويوتيا التي كان موقعها أكثر جنوبا ، ولذلك فهل يمكننا القول بأن أسماء الأماكن قد جاءت إلى البلوبونيز من بويوتيا وليس من الشرق الأوسط بشكل مباشر؟ وزيادة على ذلك فإنه على الرغم من أن أسمًا واحدًا من أسماء هذه الأماكن على الأقل وهو أورخومينوس كان مُستخدمًا خلال عصر البرونز، إذا كانت نُظُم الرى يرجع تاريخها إلى عهد أقدم، فليس هناك بالضرورة رابطة ما بين بداية الانشاءات وإطلاق أسماء الأماكن.

إن الأمر فيما يتعلق بأسماء هذه الأماكن يبدو على درجة كبيرة من التعقيد. فإذا ما نظرنا إلى بعض ما جاء في الأساطير فإنه يبدو من المؤكد تقريبًا أن بعض أسماء الأماكن من أصل شرق-أوسطي مثل ثيسبي (Thisbe) وثيسبياى (Thespiai) التى أُدخِلَت خلال أواخر عصر البرونز – وهو تاريخ يتفق مع أول إنشاءات الهندسة المائية. إلا أن البعض الآخر من الأسماء يبدو أقدم، وكل ما استطيع أن أذكره بنوع من التأكيد أنه في نهاية عصر البرونز كانت توجد العديد من أسماء الأماكن التى ترتبط بأعمال هندسة الرى، وأن معظم هذه الأسماء على الأرجح مصرية أو سامية غربية استنادا إلى علم الاتيمولوجي.

وهكذا فإنه طالما أن الدلائل التى تتعلق بأسماء الأماكن ليست مؤكدة، فإن الأمر الأكثر فائدة أن نفترض أن هذه الأسماء قد جاءت مع السدود والقنوات، وأن قومًا من المتحدثين بالمصرية أو السامية الغربية قد اشتركوا في إقامتها، وربما تم ذلك في أوائل عصر البرونز. وتقريبًا خلال العصر الموكيني(*).

(*) وهذه نتيجة منطقية جدًا ، وموضوعية ، وأيًا كانت قلة الدليل الأثرى المصرى – في هذه الأماكن يرجع قومًا آخرين ، غير المصريين ، كانوا على إتصال بمصر ، ونقلوا الخبرات المصرية الى اليونان ، وهم الفينيقيون، كما فعلوا الشيء نفسه ، من بعد ذلك ، في عصر الحديد مع مطلع الألف الاولى ق.م . (المحرر)

التركيب الاجتماعي والسياسي

لبلاد اليونان في أوائل العصر الهيللادى

إننى أفضل اعتبار أن أقدم الدويلات التي قامت في بلاد اليونان هي تلك التي كانت قاعدتها في تيرنس (Tiryns) وليرنا (Lerna) في إقليم ارجوس، ويجب التأكيد فيما يتعلق بهذه النقطة على أن سهل أرجوس كان على درجة من الرخاء. وأنه على الرغم من فترات التدهور التي وقعت خلال الألف الثالثة، فإن هذه المنطقة قد نعمت بفترات صافية من الرخاء العظيم.

إن ليرنا التي تقع على رأس خليج أرجوس كانت مستوطنة ذات شأن كبير، حيث كانت توجد بها العديد من المساكن. بالإضافة إلى سور محكم حول المستوطنة. كما وجد بها أيضًا بيت القرميد وهو عبارة عن قصر صغير، وذلك خلال أوائل العصر الهيلادى الثانى[١٠١]. ومن الممكن ان تكون ليرنا أصغر من تيرنس. وربما كانت هناك مدن أخرى كبيرة في المنطقة، وزيادة على ذلك فكما أشرنا من قبل فإن بيوتا أخرى من القرميد تشبه بيت ليرنا قد وجدت في مسينيا (Messenia) وجزيرة إيجينا التى تقع ما بين أتيكا وإقليم أرجوس، وربما في مدينة طيبة[١٠٢]. وهكذا فإننا إذا ما نظرنا إلى إقليم أرجوس في أوائل عصر البرونز فإننا نجد أنفسنا بإزاء مجتمع على قدر كبير من الرخاء والتقدم، وإذا ما أضفنا صومعة الغلال في تيرنس والسد – إذا كانا ينتميان إلى هذه الفترة – فإننا نجد أن الإقليم كان يتمتع بنوع من الوحدة السياسية . وترى إميلى فيرميول (Vermeule Emily) أن التعاون في تلك الآونة كان ذو طبيعة إشتراكية (Communal) وهو اقتراح يترك شكل النظام الاجتماعي غامضًا. وعلى أية حال فإننا إذا ما أخذنا في الاعتبار النُظُم الاجتماعية وشكل الدولة في الشرق الأدنى خلال هذا العصر فإنه من المعقول أن يكون النظام في أرجوس ذا طبيعة ملكية أو قائم على نظام الإمارة كما هو الحال في مصر وفي بيبلوس (Byblos)[١٠٣] . المدينة التجارية العظيمة على الشاطئ الشرقى للمتوسط ، والتي كانت توجد بها حكومات أرستقراطية

أو بلوتوقراطية(*). وقد كان الحال كذلك في المدينة المعاصرة التي كان لها شأن كبير وهي إبلا (Ebla).

وعلى الرغم من أن كوبابيس لم تكن قد شهدت بعد اكتمال نظام الري والصرف، كما أن الصوامع بها كانت أصغر من تلك التي وجدت في تيرنس فإنه يبدو أنه كانت توجد إمارة أو جمهورية صغيرة في أورخومينوس البويوتية. إن النمط الكبير والشكل الذي كانت عليه مقبرة أمفيون وزيتوس تجعلنا نعتقد بوجود دولة ذات شأن في طيبة. إن أشكال التنظيم الاجتماعي الذي يقف وراء السدود الأركادية أمر يصعب على الفرد أن يرصده. ولكن بشكل عام فإن من الواضح أن بلاد اليونان في أوائل العصر الهيلادي الثاني شهدت العديد من الدويلات كان لبعضها شأن كبير.

ومن الواضح أيضًا أنه كان يوجد في أتيكا وجزيرة سيفنوس (Siphnos) إحدى جزر الكيكلاديس على الأقل مناجم كان يجري استغلالها بشكل تجاري. وقد تم العثور على الرصاص الذي كان يُستَخرج من هاتين المنطقتين في مواقع يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الهيلادي الثاني في كريت وبويوتيا[١٠٤]. كما تم العثور على قالبين لصب المعادن في حطام سفينة غارقة ترجع إلى أوائل العصر الهيلادي الثاني في دوكوس (Dokos) بالقرب من إقليم أرجوس، تدل بجلاء على مناجم الرصاص والفضة في لاوريون (Laurion) عند رأس أتيكا على بُعْد ٨٠ ك.م[١٠٥]. وسوف نرى في الفصل القادم كيف كان يجري تصدير الفضة المستخرجة من لاوريون إلى مصر خلال الألف الثانية[١٠٦]. إن سفن دوكوس كانت على درجة من التطور بحيث كانت قادرة على الوصول إلى السواحل الشرقية ومصر. إلا أنه ليس لدينا من الدلائل ما يؤكد أنها كانت تولي شطر هاتين المنطقتين. إن المكان الذي عثر فيه على حطام السفينة يعطي انطباعًا بأن السفينة كانت في طريقها إلى سهل أرجوس أو جنوب البلوبونيز أو كريت. وعلى أية حال فإنه يمكننا القول أنه خلال النصف الأول من الألف الثالثة

(*) مكونات أصحاب الثروة (المترجم).

كان يتم إنتاج النحاس بشكل تجارى في عالم بحر إيجه. إن دراسات علم المعادن فى عصرنا الراهن تثبت أن الرأى السائد بأن مناجم لاوريون قد بدأ فى استغلالها خلال القرن الخامس ق.م، فقط هو رأى خاطئ وأن هذا الأمر يسبق هذا التاريخ بألفى عام على الأقل[١٠٧].

إن الافتراض الذى يقضى بوجود دول كبرى في بلاد اليونان القارية فى ذلك الوقت هو افتراض يُثير عدداً من المشاكل. أولاً نجد أنه من الصعب علينا أن نشرح لماذا لم يكن يوجد فى كريت قصور أو دول على الرغم من أنها تشربت التأثير المصرى. وهو الأمر الذى سوف نوضحه في الفصل الأخير. بينما كانت توجد القصور والدول فى شمال أرجوس وبويوتيا. إن أكثر التفسيرات إقناعًا هو ذلك الذى يقوم على الأساس الجغرافى مع إمكانية استثناء ميسارا (Messara) فإن كريت لم يكن يوجد بها مستنقعات أو سهول تتناسب مع إقامة نظام للرى والصرف. كما أنها لم تعرف تنظيمات إجتماعية قادرة على القيام بمثل هذه المشروعات. وهكذا نلاحظ أنه بينما كانت كريت قادرة على إيجاد نظام اقتصادى وقصور فى منتصف وأواخر عصر البرونز، فإن الرخاء والحضارة ذات المستوى الرفيع التى تمتعت بها فى أوائل العصر المينوى أو فى فترة ما قبل العصور تشير بجلاء إلى إمكانية كريت على تحقيق الإزدهار بدون أن يكون هناك قصور بالمرة. إن جزر الكيكلاديس التى كانت ذات اقتصاد مزدهر وحضارة راقية فى أوائل عصر البرونز. وكانت على اتصال دائم بالحضارات الشرقية لم يكن لها – فى حدود ما هو معروف – دويلات أو قصور[١٠٨]. إن نظام الرى والصرف فى كوبابيس، وكذلك الثروة التى عرفتها بويوتيا خلال عصر البرونز تنهض دليلاً قويًا على أن سهول بلاد اليونان من اللازم أن تكون لها تنظيمات إجتماعية ذات حجم كبير حتى تكون قادرة على تحقيق الاستغلال الأمثل للإمكانيات الزراعية فى هذه السهول.

وثمة مشكلة أخرى فى القول بأنه فى حالة وجود مثل هذه الدول ذات الدرجة العالمية من التقدم، وفى ظل وجود الكتابة واستقرارها والمعرفة بها فى بلدان المشرق،

فلابد وأن تكون الدول الاغريقية على علم بها، حتى على الرغم من عدم وجود آثار مكتوبة. لقد ساد الاعتقاد - على أساس ما يمكن أن يستشف من الحجة الناتجة عن الصمت - بأن الاختام لم تكن تصنع أو لم تكن تستخدم في بلاد اليونان خلال فترة أوائل العصر الهيلادي، ولكن من الواضح الآن - على أية حال- أنه كان يجرى تصنيعها هناك، وأنه كانت توجد فنون النقش على الأحجار الثمينة والأختام على درجة عالية من الجودة[١٠٩]. إن هذا يدل بجلاء على وجود درجة من الاحساس بفكرة الملكية الخاصة فى المجتمع. كما توجد أيضًا نماذج منتشرة من الفخار يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الهيلادى الثانى. ولكن لا توجد واحدة من العلامات تشبه تلك المقاطع الواردة فى الكتابة التخطية (Linear) .كما أنه لا توجد تاكيدات بوجود كتابة محلية فى هذه الفترة[١١٠].

لقد أشرنا فى مواضع كثيرة إلى أننا يجب أن نكون قلقين على وجه الخصوص فيما يتعلق بمسألة " الحجة الناتجة عن الصمت ". وبخاصة عند الحديث عن الكتابة لأن الكتابات عادة ما تتكون بشكل عام من شرائح من العلامات على مواد هشة وقابلة للتلف[١١١]. لذلك فإننى لا أشعر بالقلق نتيجة للفشل فى العثور على نماذج من الخطوط التى ترجع إلى أوائل العصر الهيلادى فى بلاد اليونان. وعلى أية حال فإنه إذا ما وُجِدَت كتابة فى هذه المنطقة فى ذلك العصر. فإنها على وجه التحديد لابد وأن تكون شبيهه إما بالكتابة التصويرية الكريتية أو بالخط السابق على الكتابة التخطية Linear) (A,B . وكما سوف نوضح فى الفصل القادم أن الكتابة التخطية (B) لا يمكن أن تكون قد إنحدرت بشكل مباشر من الكتابة التخطية (A) ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الكتابة التخطية (B) قد إنحدرت من خط قبل الخط (A) وأن ذلك قد جرى فى حوالى عام ١٦٠٠ ق.م[١١٢]. ومن أجل أن نكون قادرين على أن نشرح العلاقة ما بين الكتابة التخطية (A) التى تنتمى إلى قبرص والمقاطع التى تحتويها الكتابة التخطية (B) فإننى يمكن أن أثير جدلاً مفاده أن الشكل المشترك قد استمر إلى فترة متأخرة فى منتصف الألف الثالثة. وتاكيداً لتخميناتي في هذا المجال فإننا ينبغى أنْ نأخذ فى الاعتبار معرفة المجتمعات المجاورة للكتابة. ومن المحتمل أنه على الأقل فى الدول

الكبرى إن لم يكن الحال في الدول الصغرى في منطقة بحر إيجه والأناضول كانت الكتابة مُستَخدَمة. وإذا ما تذكرنا أن حروف الهجاء قد تم جلبها إلى الإقليم في منتصف الألف الثاني، فإن هذه الجذور العميقة ربما تشرح لنا لماذا ظلت هذه المقاطع هي الكتابة الرسمية في كريت وبلاد اليونان القارية ذاتها.

إن هذه النظرية تأتي على النقيض من نظرية سبيروبولوس عن الاستعمار المصرى، فإذا كان هذا الاستعمار جارفًا حسب اقتراح هذا العالم فإنه لابد وأن يكون قد جلب معه الكتابة التصويرية المصرية (الهيروغليفية)، أو الكتابة ذات الحرف المتصلة (الهيراطيقية) إلى بويوتيا. أما القول بان الكتابة الأكثر شيوعًا خلال أوائل العصر الهيلادى الباكر في بلاد اليونان لابد وأن تكون إيجية أو أناضولية قد يؤدى إلى الاعتقاد بانتسابها إلى حضارات أخرى بنفس القدر. إن هذا في اعتقادى ينطبق بالتحديد فيما يتعلق بلغة الحديث. ولكن من ناحية أخرى فإن التأكيدات بوجود مؤثرات مصرية كثيرة في الدويلات الإيجية خلال بواكير عصر البرونز أمر يدعمه وجود الأشكال الهرمية وأعمال الهندسة الخاصة بالري، وكذلك صوامع الغلال. ولكن هذه الشواهد ليست هي الأدلة الأثارية الوحيدة التي تدل على الوجود المصرى بشكل بارز ومتزايد في هذا الوقت.

شواهد آثارية أخرى عن تأثير مصر في عصر الدولة القديمة على منطقة بحر إيجه

قبل الحديث عن العلاقات بين مصر ومنطقة بحر إيجه حوالى منتصف الألف الثالثة، فإننا يجب أن نركز على القول بأن هذه الفترة قد شهدت ازدهارًا حضاريًا في بُلدان الشرق الأدنى. وقد كان لهذه البلدان علاقات دبلوماسية وتجارية انتشرت في مدى أبعد بكثير من منطقة الشرق الأدنى. ونحن نعلم أن مدينة إبلا (Ebla) السورية في ذلك الوقت كانت على اتصال بمملكة كان مقرها كردستان الحالية. كما كانت بلاد

الرافدين تستورد أحجار اللازورد وربما الصفيح من أفغانستان[١١٣]. كما تؤكد تحليلات الرصاص أن بلاد الرافدين كانت تستورد الفضة والنحاس من " المريا " في جنوب أسبانيا[١١٤]. وإذا ما نظرنا إلى هذا النطاق الواسع الذى كانت تتم فيه العمليات التجارية فإن التجارة بين مصر ومنطقة بحر إيجه تبدو كما لو أنها تجارة محلية.

لقد ناقشنا التأثيرات المصرية على كريت فى الفصل الأول. أما الإشارات المصرية إلى عالم بحر إيجه فى عصر الدول القديمة فسوف نقوم بمناقشتها فى الفصل العاشر، وعلى هذا الأساس فإننا الآن سوف نضع فى اعتبارنا الدلائل الآثارية فقط. وهى التى تم العثور عليها فى أماكن متفرقة فى المنطقة. فقد تم العثور على إنائين حجريين يرجع تاريخهما إلى عصور ما قبل التاريخ أو إلى بواكير عصر الأسرات المصرية فى موكيناى وأسينى (Asine) فى منطقة أرجوس، التى تقع فى نفس المنطقة التى توجد بها تيرنس.

وقد عثر على الإناء الأول فى محيط الفخار الذى يرجع إلى أواخر العصر الهيلادى فى موكيناى. أما الإناء الثانى الذى وجد فى أسينى فإنه من المحتمل إرجاعه إلى مخلفات العصر الموكينى. أى ما يقرب من ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ عام من تاريخ صناعتهما. ويرى عالم المصريات بندلبرى (J.D.S.Pendlebury) والذى تخصص فى الآثار الكريتية أيضًا أن هذه الآنية الفائقة الجمال ذات الجودة العالية ربما تكون قد جاءت عن طريق كريت، أو ربما جاءت ايضًا من خلال عملية نهب إحدى المقابر الإغريقية جرت فى وقت لاحق[١١٥]. وإذا ما أخذنا بالرأى الذى يتحدث عن التأثير المصرى فى أرجوس فى الألف الثالثة فإن إمكانية أن تكون هذه الآنية قد وصلت فى ذلك الحين، وأنها دُفِنَت أو حُفِظَت كشىء ذو قيمة تتوارثه الأجيال فى بلاد اليونان أمر لا ينبغى أن نستبعده. وشبيه بهذه الحالة أحد الأزرار على هيئة ختم تم العثور عليه فى محيط بقايا ترجع إلى أوائل العصر الهيلادى الثالث فى أسينى. ويرى العالم الذى قام باكتشافه أنه مصرى، وطبقًا للإطار النظرى فإننا لا ينبغى أن نستبعد هذا الاحتمال بالقول بأنه أمر مبكر جداً فيما يتعلق بتاريخ الاتصال[١١٦]. ولكن من ناحية أخرى فإن

هذا يمثل مجرد احتمال ولن نعطى اهتمامًا كبيرًا لهذا الختم ونأخذه على أنه يمثل دليلاً إضافيًا.

وهناك دليل لا يعتريه شك، وهو عبارة عن كأس من الرخام نُقِشَ عليه اسم معبد الشمس الخاص بمؤسس الأسرة الخامسة أوسركاف الذى حكم فى القرن ٢٦ ق.م. لقد عُثِرَ على هذه الكأس فى جزيرة كيثيرا(Kythera) التى تقع بالقرب من الطرف الجنوبى لشبه جزيرة البلوبونيز [١١٧]. ويوجد احتمال قوى بأن يكون هذا الكأس الرقيق قد نقل إلى الجزيرة بعد صناعته بوقت قصير. ويرى العالم هيلك (Helck) أن هذا الكأس لابد وأنه قد وصل إلى الجزيرة بعد سقوط الأسرة الخامسة ؛ لأن مثل هذا الكأس لا يمكن أن يُؤخذ من المعبد قبل هذا التاريخ[١١٨]. إن الروابط القوية بين هذه الجزيرة والساميين (!!!) تترك[*] مجالاً للاعتقاد بوجود اتصالات مع الشرقيين فى بعض المجالات خلال الألف الثانية. فعلى سبيل المثال هناك نُصِبَ كرسى للملك " نرام سين" ملك أشنونا الذى حَكَمَ فى تلك الفترة عُثِرَ عليه فى الجزيرة[١١٩]. ويظهر اسم (Ku-te-ra) فى قائمة مصرية تضم بعض الأماكن الإيجية من منتصف الألف الثانية. وهو الأمر الذى سوف نناقشه فى الفصل العاشر. إن الأصل السامى لاسم (Kythera) هو (Ktrt) (تاج). وكذلك الحال بالنسبة للكلمة المصرية (Shandeia) من كلمة (Shmty) (تاج مصر المزدوج) وهو الأمر الذى ناقشناه فى الجزء الأول[١٢٠].

إن كل ذلك على أية حال لا يساعدنا فى إمكانية إتخاذ هذا الكأس كدليل على العلاقات بين مصر ومنطقة بحر إيجه خلال العصر الهيلادى الثانى. وفى هذه الحالة وللمرة الثانية فإن الدليل على الرغم من أنه قد يثير هذا الاقتراح فإنه يبقى مهتزًا. فهو لا يقدم دليلاً قاطعًا على وجود التأثير المصرى فى بلاد اليونان. وكما يبدو الأمر فيما يتعلق بجزيرة كيثيرا فهى يمكن اعتبارها إلى كريت أكثر من انتمائها إلى نطاق تأثير بلاد اليونان القارية[١٢١].

(*) لا حظ عزيزى القارئ الدهاء الشديد فى حشر تلك اللفظة ، بدلاً من المصريين ، وكأنها مرادف لهم (!!!) إنه السم فى العسل ، الهدف النهائى لهذا المؤلف برنال (!!!) ولسوف نواصل كشف ألاعيبه أولاً بأول . (المحرر)

وهناك أيضًا شاهدان أثريان من عصر الدولة القديمة من المنطقة الإيجية يثيران العديد من الصعوبات، وذلك لأنهما من الذهب الذى تم العثور عليه بواسطة صائدى الكنوز من التجار الذين حاولوا بيعها أو نجحوا فى بيعها بالفعل إلى تجار عديمى الضمير. وأبرز هذه المجموعة هى تلك التى يُطلَق عليها كنز دوراك (Dorak) وهو الذى تم العثور عليه في دوراك بالقرب من بحر مرمرة على بعد ١٦٠ كم. من طروادة. ومن المعتقد أنه يحتوى على عدد من المشغولات الذهبية من حضارة اليورتان (Yortan) التى تنتمى إلى هذه المنطقة. وهناك سيف حديدى يرجع إلى أوائل عصر البرونز وبعض الشرائح الذهبية تنسب إلى فرعون الأسرة الخامسة ساحورع. لقد اختفى هذا الكنز منذ أن جاء وصفه فى مجلة The London Illustrated News فى عام ١٩٥٩ . ولكن هناك بعض الشك فى مدى أصالة هذه المواد[١٢٢]. وعلى أية حال فإننى على استعداد لأن آخذ بما ذهب إليه جونز ميلارت (Jones Mellart) الذى كتب مقالاً قصيراً ذكر فيه أنه قام بفحص تلك المواد التى تم العثور عليها[١٢٣]. فإذا كانت حقيقية فلابد أنها كانت هدية رسمية من مصر إلى الحاكم المحلى، الذى يُفتَرض أنه حاكم دوراك وربما تشير إلى نوع من السيادة المصرية على النمطقة.

إن ذلك ليس هو الدليل الأثرى الوحيد الذى يشير إلى الاتصال بين مصر والأناضول فى عصر الدولة القديمة. فقد عُثِرَ على أباريق من كيليك (Cilicia) فى مقبرة مصرية فى الجيزة يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة. كما عُثِرَ على أحد الأزرار على هيئة خِتْم مصرى فى طرسوس (Tarsus) فى كيليكيا[١٢٤]. وكذلك يوجد كَمٌ مدهش من الاتصالات بين كيليكيا فى جنوب شرق الأناضول من ناحية وبين طروادة ودوراك من ناحية أخرى فى الشمال الغربى. إن الكثير من المواد التى عُثِرَ عليها تشير إلى أن التجارة المصرية والاتصالات امتدت إلى ما بعد سوريا ، ولكنها على خلاف الحال بالنسبة لكنز دوراك لا تظهر بوضوح الوجود المصرى فى منطقة بحر إيجه .

إن هذا الوجود تؤكده مشغولات ذهبية أخرى ، وهى ربما كانت عبارة عن محتويات قبر لاحدى الأميرات. وعلى الرغم مما يبدو من أن هذه المشغولات قد جاءت

من منطقة بحر ايجه، فإن المصدر الأصلي لها غير معروف. ويعتقد " هيلك" أنها مثل مشغولات دوراك جاءت من شمال غرب الأناضول، وربما من طرواده ذاتها، وأنها المجموعة الوحيدة التي يرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرونز[١٢٥]. إن أكثر المشغولات إثارة من تلك التي تحتويها هذه المجموعة عبارة عن ختم كبير من الذهب أسطواني الشكل يتعلق بموظف كبير في المنطقة من عهد فراعنة الأسرة الخامسة منكاور (Menkauhor) وإيزوزي (Izozi) ، فكيف إذن وصل هذا الختم الشخصي إلى منطقة بحر إيجه وقد تساءل كل من إميلي (Emily) وكورنيليوس فيرمول (Cornelius Vermeule) هل تم إرسال هذا الموظف في مهمة دبلوماسية أو تجارية إلى شواطئ البحر المتوسط البعيدة عن مصر.... وهل حمل هذا الموظف ختمه معه لكي يتم اعتماده. وهل قُتِلَ هذا الموظف في الخارج؟[١٢٦] وقد أراد هذان العالمان أن يدعما رأيهما فيما يتعلق بقيام الموظفين المصريين بالإبحار إلى مناطق شرق البحر المتوسط في الألف الثالثة ق.م فذكرا أسماء منكاور وإيزوزي وكذلك اسم ساحور التي تم العثور عليها في جرار من الألباستر في بيبلوس Byblos . وهكذا فإن فكرة الاهتمام المصري بهذه المناطق الأجنبية في ذلك الوقت غير واضحة، كما أن فقدان هذه المتعلقات الثمينة على وجه التحديد أمر يحتاج إلى تفسير. لقد تحدثت إميلي في موضوع آخر عن اتساع نطاق تجارة جزر الكيكلانيس وتجارة الإغريق البحرية في هذا الوقت المبكر من العصر الهيلادي . كما تحدث كتاب صدر حديثًا عن الموانئ البويوتية المزدهرة في ذلك الوقت. ولدينا أيضًا حطام سفينة دوكوس (Dokos) كدليل . وهكذا فليس هناك سبب للافتراض بأن بلاد اليونان كانت أكثر تأخرًا من شمال غرب الأناضول[١٢٧].

وبالنسبة لهؤلاء الذين يأخذون بفكرة النموذج المتكامل، وعلى وجه الخصوص الفكرة التي تقول بأن عبادة الإله ديونيسوس الإغريقية قد جاءت من عبادة الإله أوزيريس في مصر. فإن هناك دلائل إضافية ترجع إلى الألف الثالثة تؤكد وجود اتصالات بين مصر ومنطقة بحر إيجه، وتتمثل في عبادة الإله ديونيسوس كإله للخصوبة التي كانت تمارس في الجزء الأخير من الألف الثالثة في جزيرة كيوس (Keos) بالقرب من أتيكا[١٢٨].

وإذا ما حاولنا أن نربط بين هذه الدلائل فإن الاحتمال الأقوى هو ما ذكره عالِم المصريات والمتخصص فى تاريخ الفن المقارن وليم ستيفن سميث Wiliam Steven Smith الذى قال :

"إن التوسع فى التجارة الملكية براً وبحراً نلاحظها بوضوح فى الأسرة الخامسة تثير إقتراحا بأن الفترة من عهد سنفرو (بداية الأسرة الرابعة حوالى عام ٢٩٠٠) وحتى خوفو الثانى (Phiopos II) (نهاية الأسرة السادسة حوالى عام ٢٤٥٠ ق.م) هى فترة ملائمة لمصر لكى تكون على إدراك تام بعالم بحر إيجه[١٢٩].

وبعبارة أخرى ، فإننا إذا ما أخذنا فى الاعتبار ما كانت تتمتع به مصر من ثروة خلال عصر الدولة القديمة، وكذلك القوة السياسية التى كان يتمتع بها فراعنة هذا العصر، وما عُرِفَ عنهم من اهتمام بالتجارة مع جيرانهم فى الجنوب وغاراتهم على هؤلاء الجيران، علينا أن نضع كل ذلك جنبًا إلى جنب مع تجارتهم وعلاقاتهم السياسية النشيطة مع بيبلوس والشاطئ الشرقى، فإنه لمن المُستَغْرَب ألا يكون لمصر علاقات مع عالم بحر إيجه فى هذه الفترة. وزيادة على ذلك فلابد أن يكون هناك قليل من الشك فى وجود ما يترتب على هذه الاتصالات، وهو التأثير المصرى على بلاد اليونان، أكثر من التأثير اليونانى على مصر. وهكذا فإننى أعتقد أن المرء عليه أن يضع اعتباراً للآثار التى وجدت فى كريت وفى أماكن أخرى من منطقة بحر إيجه، وعلى الرغم من ذلك فإننى أرى أن الشواهد على التأثير المصرى والتى تتمثل فى الهرم الذى عثر عليه فى طيبة، وكذلك أعمال الرى وصوامع الغلال هى شواهد لها مصداقية أكثر.

نهاية الفترة الباكرة من عصر البرونز

" قمة الازدهار الحضارى "

يسود اعتقاد عام بأن الرخاء والحضارة اللذين شهدتهما بلاد اليونان فى أوائل العصر الهيلادى قد انتهيا بسلسلة من الانهيارات التى وقعت فى القرن الثالث

والعشرين ق.م (إننى أعتقد أن التاريخ الحقيقى ينبغى أن يكون القرن الخامس والعشرين ق.م) ويميل المؤرخون إلى إرجاع قدوم نوى اللسان الهندوأوروبى إلى شبه جزيرة البلقان إلى هذه الفترة ، وعلى الرغم من أننى أميل إلى الاعتقاد بأن غلبة اللغة الهندوأوروبية على اللغة الهندوحيثية قد تم فى زمن أقدم ، فإننى مكره على إلزام نفسى بهذا ومع ذلك فإنه يوجد قليل من الشك فى أن تكون القبائل الشمالية مسئولة عن الانهيارات التى حدثت، وعمليات الاستيطان التى أعقبت ذلك ، وبناء على ما تقدم فإن هذا الوقت هو الذى شهد قدوم نوى اللسان الهندوأوروبى إلى بلاد اليونان[١٣٠]. وليس هناك شك فى أن ليرنا (Lerna) قد دمرت ، وأن منطقة أرجوس قد تم اجتياحها فى ذلك الوقت وتميل إميلى فيرميول (Emily Vermeule) إلى الأخذ بهذا التاريخ. فإنه بعد التدمير الذى لحق ببيت القرميد (فى ليرنا) احتاجت بلاد اليونان إلى نصف ألف من السنوات لكى تعاود الاقتراب مـن نفس المستوى الحضـارى[١٣١]. وعلى الرغم من ذلك ، وكما هو الحال فى عصور الظلام التى أعقبت سقوط الحضارة الموكينية فى القرن ١٢ ق.م. فإن الأحوال لم تكن جميعها بنفس الشكل، فإن بعض المناطق يبدو أنها لم تمس، بينما استعادت مناطق أخرى من انهيار جيرانها. وزيادة على ذلك يبدو أنه قد حدثت حالة استبدال عامة للسكان فى اتجاهات مختلفة. فعلى سبيل المثال فإن التدمير الذى وقع فى القرن الرابع والعشرين كان أقل حدةٍ فى بويوتيا. على الرغم من أن المتخصصين يرون حالة من الانخفاض فى عدد السكان والرخاء فى أواخر فترة بواكير العصر الهيلادى الثانى تشبه تلك الحالة التى كانت عليها باقى بلاد اليونان[١٣٢]. وعلى النقيض من هذا الرأى يرى سيميونوجلو (Symeonoglou) أن هناك زيادة سكانية وحالة من الازدهار سيطرت على طيبة وبويوتيا بشكل عام فى أوائل العصر الهيلادى الثانى. وأن ذلك يرجع إلى اقتحام عامل خارجى جاء من الجنوب وليس من الشمال. ولما كان هذا العالم متحمسًا للنظرية الآرية فإنه لجأ إلى القول بأن هذا العامل الخارجى قد جاء من خلال تحركات سكانية فى نطاق عالم بحر إيجه[١٣٣].

ويربط سيميونوجلو بين الاقتحام الذى وقع فى أوائل العصر الهيلادى الثانى بالأساطير التى تتعلق بكادموس (Kadmos) الذى يعتقد هذا العالم أنه جاء من كريت فى هذا الوقت[١٣٤]. وعلى الرغم من أننى لا أود أن أفقد النتائج الآثارية التى ذكرها

سيميونوجلو، فإنه توجد بعض الصعوبات فيما يتعلق بهذه النتائج: مثل اعتقاد سبيروپولوس بأن أساطير كادموس ودوناؤوس (Danaos) تشير إلى عامل خارجي يتمثل فى التأثير المصرى على وجه التحديد، وأن هذا العامل قد جاء فى أوائل العصر الهيلادى[١٣٥].

أولاً توجد إشارات محددة فى أسطورة كادموس تدل على أنه كان فينيقيا وأن اسمه من أصل سامي، إن هذه الأفكار سوف نناقشها بشكل أكثر تفصيلاً فى الفصل العاشر. وثانياً أن ما طرحه كل من سيميونوجلو وسبيروپولوس يُعَدْ إنكاراً لما جاء عند هوميروس. فقد ذكر هذا الشاعر أن أمفيون وزيتوس قد أقاما مدينة طيبة . وأن كادموس أعاد بنائها، لقد ذكر فيريكيديس (Pherekydes) عالم اللغويات الذى ينتمى إلى القرن السادس قصة مفادها أن المدينة الأقدم تحولت إلى أطلال قبل وصول كادموس[١٣٦]. ولكن سيميونوجلو يفضل بدلاً من ذلك أن يأخذ بالقصة التى تُبدل الأمر وتجعل من كادموس المؤسس الأصلى[١٣٧]. إن القصة الأقدم تتفق مع وجهة النظر الآثارية المقنعة التى تشير إلى أن حالة الرخاء شهدت انحساراً خلال أوائل العصر الهيلادى الثانى، والجزء الأول من أوائل العصر الهيلادى الوسيط. ولكن هذا الأمر سوف نناقشه فى الفصل العاشر.

إن التدمير الذى وقع فى أوائل العصر الهيلادى الثانى فى بلاد اليونان يبدو أنه يتوافق مع سقوط الدولة القديمة فى مصر، وفترة الانتقال الأول التى شهدت حالة من التدهور السياسى والاجتماعى فيها.

وإذا كانت حالات الغزو قد أنهت حضارة عصر البرونز فى القرنين ١٢ ، ١٣ فإن مصر والمشرق قد نهضت بسرعة من كبوتها، بينما الأقاليم المحيطة بها مثل منطقة بحر إيجه امتد بها الحال فى العصور المظلمة لعدة قرون .

الخاتمـــة

بالنظر إلى تلك الشواهد الكثيفة والمعقدة من أسماء الأماكن والديانات والأعراف المحلية التي ناقشناها في الفصل الثاني. فإن من المقطوع به أن بويوتيا وأجزاء من البلوبونيز قد تلقت تأثيرات مصرية حضارية على نطاق واسع، وكذلك من الشرقيين ذوي اللسان السامي خلال عصر البرونز (*).

والحقيقة أنه من الصعب أن نكون أكثر تحديداً في أحكامنا، فإن بعض الأساطير بما فيها تلك التي ترتبط بالربة أثينا والإله بوسيدون، ترتبط في اعتقادي بالصراع من أجل استصلاح مناطق المستنقعات، وربما تكون قد جاءت أوائل عصر البرونز، ومن خلال المساهمة المصرية في إقامة نظم الري والصرف في تلك الآونة. كما ان تلك الأساطير التي ترتبط بالإله زيوس وألكميني وهيراكليس - بأشكاله المختلفة - ربما تكون قد جاءت فقط خلال الألف الثانية. أما الأخرى التي ترتبط بالخيول على وجه الخصوص، فلابد وأنها قد استقرت بعد وصول الخيول والعجلات الحربية الى بلاد اليونان في القرن ١٨ ق.م. على الرغم من أنها تحتوي بلا شك على عناصر أكثر قدماً. كذلك فإن الأساطير التي تتعلق بكادموس فيبدو أنها جاءت أيضًا في هذا العصر المتأخر.

فإذا ما وضعنا الأساطير والخرافات وأسماء الأماكن جنبًا إلى جنب فإننا نجد تأثيراً مصريًا ذا طبيعة طاغية، وكذلك تأثيراً واضحًا من الساميين الغربيين على بويوتيا وإقليم أرجوس وأركاديا[١٣٨].

إن هذه الصورة تتماشى مع السجلات الآثارية بشكل طيب. إن الأثر المصري واضح في بناء هرم أمفيون وزيتوس، ومشروعات الري والصرف المبكرة في كوبايس

(*) لاحظ عزيزي القارئ - الإصرار على حشر لفظ " الساميين "(بدلاً من المصريين أو الشرقيين) حتى يتسنى له الوصول الى النتائج المرجوة من كتابه !!! (المحرر)

فى أوائل عصر البرونز، وهى التى ناقشناها باسهاب من قبل. وكذلك صوامع الغلال المصرية بالقرب من أورخومينوس. وهناك أيضًا التأثير المصرى والشرقى فى القصر الموكينى الذى وجد فى طيبة، والمجموعة المثيرة للإعجاب التى ينتمى طابعها إلى الشرق الأدنى، التى تم العثور عليها فى كادميون (Kadmeon) وترجع إلى القرن الثالث عشر ق.م. وسوف نناقش كل ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى. بما يؤكد استمرارية الاتصال مع مصر، وتدفق التأثير المصرى .

ومن سوء الحظ أنه من المستحيل أن نحدد شكل العلاقة التى قامت بين بويوتيا ومصر فى الفترة التى تقع فى دائرة اهتمامنا . إن الفرصة فى أن تكون هذه العلاقة قد أخذت شكلاً استعماريًا مباشرًا تبدو ضئيلة . وعلى الرغم من خطورة فكرة الاستناد إلى الحُجة الناتجة عن الصمت. فإنه يلاحظ أن الأمر لا يقتصر على نقص الدلائل الآثارية المصرية، وعدم وجود شواهد على إقامة هذه المستعمرات بل إنه يوجد ترجيح قوى بأن نظام الكتابة البويوتية ينتمى إلى منطقة بحر إيجه أكثر من إنتمائه إلى الهيروغليفية أو الهيراطيقية. ولكن برغم كل هذا فإن الشواهد الآثارية للتقنية المصرية فى بويوتيا فى هذه الفترة، وكثافة التسرب المصرى والسامى فى العبادات والأساطير والقصص وأسماء الأماكن فى بويوتيا، واحتمال وجود موظفين مصريين فى منطقة بحر إيجه فى الألف الثالثة، يجعل فكرة السيادة المصرية فكرة محتملة.

إلى أى مدى يمكن أن نطبق الصورة التى وجدت فى بويوتيا على بقية بلاد اليونان؟ إن النماذج الآثارية تكشف عن درجة متقنة من التعاون ، وربما فى أعمال الهندسة المائية ذات النمط المصرى، والذى عثر على نماذج منه فى مصر. إن كل هذا يجعل فكرة السيادة أمرًا ممكنًا . كما يجعل العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإقليم أرجوس أمرًا واقعيًا . إن التشابه الدقيق بين نظم الرى والصرف فى بويوتيا وأركاديا، وكذلك بين الأساطير وأسماء الأماكن المحيطة بتلك الإنشاءات فى الإقليمين، تثير اقتراحًا مفاده أنه إذا كانت أعمال الرى فى أركاديا قد بدأت فى بواكير العصر

الهيلادى، فإن ذلك يعني جود تأثير مصرى وسامى هناك أيضًا. وهكذا فإنه فى فترة مبكرة جدًا ربما ترجع إلى ما قبل وصول المتحدثين بالهندوأوروبية - بالمعنى المناقض للهندوحيثية - مارست حضارات عصر البرونز فى مصر والشرق تأثيرًا على نطاق واسع فى منطقة بحر إيجه.

أما الصورة فى كريت وجزر الكيكلاذيس فى أوائل عصر البرونز فإنها تختلف بشكل واضح عن تلك التى عرفتها بلاد اليونان القارية. ففى الجزر يلاحظ المرء وجود صورة جذابة جدًا لحضارة مادية متقدمة. مع درجة من الحياة الحضرية ، ولكن لا توجد دلائل على وجود الدولة القوية. وكما أشرنا فى الفصل الأول فإن الدلائل الآثارية فيما يتعلق بكريت على الأقل لا تدع مجالاً للشك بوجود التأثير المصرى والشرقى الواضح على تلك الحضارات. وسوف نستعرض فى الفصل العاشر الأدلة التى يمكن أن نستمدها من الوثائق المصرية لتدعيم هذا القول. ففى الحقيقة يوجد تشابه رئيسى ما بين العلاقات التى ربطت ما بين منطقة بحر إيجه والشرق الأدنى فى أوائل عصر البرونز، أى فترة ازدهار الدولة القديمة، وتلك التى قامت فى أواخر عصر البرونز عندما كانت الدولة الحديثة فى عصر القوة.

وهناك بالطبع اختلافات بارزة وأولها تلك الحقيقة - بعد التشرذم والفوضى فى عصر الانتقال الأول - وهى أن صحوة القوة المصرية فى الدولة الوسطى فى القرن الحادى والعشرين، يبدو أنها قد لعبت دورًا هامًا فى تحول كريت إلى منطقة عامرة بالقصور والدويلات. وعلى النقيض من ذلك يبدو تأثير الدولة الوسطى على بلاد اليونان القارية والجزر التى تقع فى الشمال أقل ظهورًا. إن وجود القوة الحضارية وربما السياسية التى تتمثل فى كريت المينوية بعد عام ٢٠٠٠ ق.م. جعل من تلك الجزيرة وسيطًا هامًا وفريدًا خلال النصف الأول من الألف الثانية ق.م وهو الوسيط الذى سيلعب الدور الحاسم فى تطور الحضارة الإغريقية. والحقيقة أن الفارق الحاسم بين عالم بحر إيجه وأوائل عصر البرونز وأواخر هذا العصر هو أنه لا يوجد دليل صغير

على وجود استعمار مباشر هناك خلال الألف الثالثة. ومن ناحية أخرى وكما سوف نرى في الفصل التاسع، أن أُمراء الهكسوس في ظل الحضارة المصرية السامية(!!!)(*) قد تمكنوا من إقامة مستعمرات في بلاد اليونان. وأسسوا أسرًا حاكمة عمرت لزمن طويل خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م. (!!!)

(*) كم هو ملفت للنظر تكرار صفة الحضارة المصرية بأنها سامية (!!!) - وهو وصف لغوى فردى غير مؤكد (!!!) - ثم استبدال الأصل المصرى لتلك الصفة وحدها كمرادف للأصل العريق ؟!!! إنه التزييف الحضارى المتعمد من علماء ومؤلفين مجهولى الهوية في التخصص الذى يكتبون فيه الآن .. عجبى على ثقافة اليوم العالمية التى ركعت - فعلاً - لأهداف السامية !!! (المحرر)

هوامش الفصل الثالث

(1) Plutarch ,De Genio Socratis ; de lacy and Einarson PP.389-97

فيما يتعلق بصعوبات التعامل مع النص في هذا الجزء انظر:(Schacher(1981,p.14

ولمعرفة المزيد عن المقبرة و الحفائر التى تمت فيها انظر:.(Persson(1932,pp.295-309

(2) Levi(1971,I,p.380,n.190).

(3) Schwartz (1950,p81).

(4) Cartledge (1987,pp.328-9).

(5) Diogenes Laertios,VIII.87,trans.Hicks(1925,pp.401-3)

(٦) إن المشكلة ليست معقدة كما يتصور شفارتز راجع (Schwartz(1950,p.78 لان حكم نيكتانيبو بدأ فى ٣٧٩ كما يفترض شفارتز انظر (Lioyd(1983,p.281

(7) Plutrch ,de Iside ,10 ;Clement of Alexander ,Strom., I.15,69: Diogenes Laertios ,VIII.go ;Schwartz (1950,p.78).

(٨) عن المراجع التي تتعلق بالمناقشة التى دارت حول مدى صدق رحلة أفلاطون إلى مصر انظر الجزء الأول ص٤٥٩ ملحوظة رقم ١٤٨ .

(٩) يعتقد الكثيرون من الكتاب فى هذه الفكرة انظر على سبيل المثال :

Persson(1932,p.303)and Schwartz(1950,p.81)

(10) Cartledge(1987,pp.296-7).

(11) Schwartz(1950,p.79).

(12) Symeonoglou(1985,pp.15-19)and Shaw (1987,p60)

(13) Hesiod,Merkelbach and West,1983,frg.182 .Palaephatos c.42 in Loeb, p.214,no.96.

(14) Odyssey ,XI .262 -4.

(١٥) شذرات من هيكاتايوس انظر (Jacoby (1932-9,I,F.119

(١٦) انظر الجزء الأول ص٩٨،

(١٧) انظر هيسيود

Merkelbach and West ,1983,frg. 182. Palaephatosc.42 in Loeb,p.214,no.96.

وفيما يتعلق بالدراسة الشاملة لهذه الشواهد انظر :

Buck(1979,p.46)and Symeonoglou(1985,pp.76-7)

(١٨) شذرة عن ,Pherecydes انظر (Jacoby(1923-9,III,F.41 طبقا لما جاء عند يوريبيديس The Phoenician Women,638,

فإن الرجل الذي اخذ كادموس من قُطَيعْة عجلة صغيرة قادته الى طيبة كان يُسَمى Pelagon فهل يمكن أن يكون هذا الاسم منحدراً من الكلمة ?Ip3 rkw

(١٩) عند المناقـــشـــة المفـــصلة حـــول المصـــادر انظر (Buck(1979,p.46 وكـــذلك (Symeonoglou.1985,pp.76-7).

(20) Pausanias,IX .51-3.

(21) Strabo,IX.2.28;Buck(1979,p.46);Symeonoglou (1985,pp.76-7)

(22) Aischylos, Seven Against Thebes ,526-9.and Pausanias,IX.17.2.

وفيما يتعلق بتعريف Symeouoglou لهذا الموقع انظر . pp.83,192)١٩٨٥

(23) Loucas and Loucas (1987,p.100)

(24) Keramopoulos (1917,pp.381-92)see also Symeonoglou (1985,p.273)

(25) Spyropoulos (1972a,pp.18-23)

و انظر ايضا (Konsola (1981,p100 الذي ورد في

Loucas and Loucas (1987,p.96)

(26) Pausanias ,IX .34.3.Higgins (1979,pp.25-7)

(27) Spyropoulos(1972a,p.20)

إنْ التواريخ الأعلى التي ذكرت هنا لعصور الخزف الاغريقية جاءت بسبب اختبارات الكربون التي بُنِيت عليها بالعصور التي زامنتها انظر الفصل الخامس هامش رقم ٨٤–٨٨ .

(٢٨) Symeonoglou (1985,p.273)

(٢٩) فيما يتعلق بالدارسين الذين قَبلوا هذه النتيجة انظر على سبيل المثال

Treuil (1983,p.441)Konsola (1981,p.140)and Loucas and Loucas (1987,p.96)

(30) Schachermeyr(1967,pp.269-70)and Konsola (1981,pp.231-4)

(Loucas and Loucas (1987 ,p.97التي وردت في

(31) Loucas and Loucas (1981,pp.97-8)

(32) Spyropoulos (1981a ,pp.84-6)

(33) Pini(1968,p.39).

(34) Spyropoulos (1981a ,pp.117-24)..

(35) Treuil(1983,p.441).

(36) Burl(1979 ,pp.130,254)

(37) Burl(1979,p129)

أن هذا لا يعنى اننى أذهب الى نهاية المطاف مع ((Ivimy(1974,pp.68-80.الذى يذهب إلى القول بأن المؤسسات التى وجدت في تل Silbury و كذلك الآثار الكبرى التي ترجع الى الألف الثالث قد أقامها مستوطنون مصريون . ولكنني مع القول الذى يرى أنَّ من قاموا ببناء هذه المنشآت قد قاموا بتطوير المعلومات الرياضية و كانوا على دراية بما كان شائعًا فى عصر الدولة القديمة في مصر. إنَّ المشكلة المتعلقة بـ Ivimy و التى تقول بأن تل Silbury يرجع إلى تاريخ سابق على الأهرامات. قد تم حلها الآن من خلال التاريخ الأعلى الذى أعطى للدولة القديمة في مصر .

(38) Loucas and Loucas (1987,p.99).

(39) Edwards (1947,pp.1367).

(40) Loucas and Loucas (1987,pp. 99-100).

(41) Pausanias ,IX .17.3;Levi(1971,I,pp.343).

عن المصادر حول Bakis انظر .(Kern(1896,II,cols 2801-2

(42) Pausanias ,X.32.9.

(٤٣) انظر الجزء الأول ص ١٧٧–٢٠٠ .

(44) Homeric Hymn to Ge ,11,6-7,and Euripides ,Nauck frag.195.

(٤٥) عن المراجع حول الصرف فى Kopais انظر :

Hope Simpson(1965,pp.113-20)See also Spyropoulos (1972a, pp.22-b, 1973a); Fossey (1974); Wallace (1979); Knauss, Heinrich and Kalcyk (1948); and Knauss (1986,1987a,1987b).

46) Fossey (1974,p.7) and Wallace (1979,p.8)

يقر Fossey بأن الإنشاءات الأولية يرجع تاريخها الى زمن أقدم .

(47) Lauffer (1981,pp.245-6)

(48) Knauss, Heinrich (1984); Knauss (1986,1987a,1987b).

(49) Knauss,Heinrich (1984,p.56).

(50) Knauss (1987a,p.103)

(51) Spyropoulos (1981,pp.133-4)

(52) Konsola (1981,p.39) ; Loucas and Loucas (1987,pp.102-3).

(53) Spyropoulos (1981,pp.135-6).

(٥٤) لعل ما يثير الدهشة قلة الأبحاث التى نشرت حول هذا الموضوع الهام . ونعني به مشروعات الرى التى أقيمت فى عصر الاسرة ١٢ في الفيوم ولكن انظر (Arnold (1977,cols 87-93

(55) Tzavella-Evjen (1948)

(56) Marinatos (1946)and Vermeule (1964,p.35)

(57) Renfrew (1972,p.100).

(58) Renfrew (1972,p.288).

(59) Balcer (1947)

هذا الباحث لا يُقر إحتمالية التاريخ الذى يرجع الى أواسط أو بواكير العصر الهيلادى .

(60) Knauss (1987a,pp.103-4).

(61) Knauss (1987a,p.206,n.33) .

(62) Spyropoulos(1973a.p.209).

(63) Shaw (1987).

(٦٤) انظر الجزء الأول ص ٨٨-٩٨

(٦٥) انظر الجزء الأول ص٩٤ .

(٦٦) انظر ص ٨٣-١٨٦ .

(67) Pausanias,VIII.14.2.

(68) Kalcyk and Heinrich (1986); knauss(1987a); Knauss.Heinrich and Kalcyk (1986)

(69) Hope-Simpson (1965,p81)

(70) Iliad, H.605.

وكذلك See also Knauss, Heinrich and Halcyk(1986,p.604)

(٧١) فيما يتعلق بالارتباط مابين هيراكليس وبحيرات اركاديا انظر الفصل الثانى هوامش رقم ٢١٣-٢١٤ .

(72) Knauss, Heinrich and Halcyk(1986,p.604)

(٧٣) انظر الفصل الثانى هوامش رقم ١٢٢-١٢٤ .

(74) Ventris and Chadwick (1973,p.543)

(75) Knauss, Heinrich and Halcyk (1986,p.611)

(76) Knauss, Heinrich and Halcyk (1986,p.611). see Strabo ,IX.2.18, and Pausanias , IX.24.1-3.

(٧٧) من الممكن أن يكون الأمر هنا عبارة عن مزج من الفعل erchomai

(78) Moscati el al .(1969,p.47).

(79) Hooker (1979)

(80) Herodotos,V.60,trans ,de Selincourt (1954)oo,360-1)

(81) Astour(1967a ,pp.138-244)and Berard (1894).

(82) Kalcyk and Heinrich (1986,p.12)

(٨٣) يربط Chantraine ما بين هذا و الكلمة الليتوانية ruket (يحضر)

(84) Job 30.3-8.

(٨٥) انظر الفصل الثاني هوامش ٥٩-٧١ و كذلك ١٣٩-١٤١ .

(٨٦) انظر الفصل الثاني هوامش ١٢٢-١٢٤ فيما يخص Panau انظر Gardiner (1947,II,p.177).

(87) Herodotos, VII.12809.

(88) Nonnos ,Dionysiaka ,VI.366-80.

(٨٩) انظر الفصل الثاني ، هامش ١٢٢ .

(90) Pliny . Natural History,XXXI.54.

(91) Pausanias,VIII.14.1;Levi(1971,II,p.12)

(92) Frazer(1898 ,IV,pp.231-3);Kalcyk and Heinrich(1986),p.12)

إنني في الحقيقة غير قادر على رؤية السطر في الصورة التي عرضوها في ص ١١ .

(٩٣) انظر الفصل الثامن ، هوامش رقم ٤٨-٤٩ .

(94) See Brugsch (1879-80, pp. 823-5) and Gauthier (1925-31, V, pp. 169-72)

(٩٥) انظر الفصل الثاني ، هوامش رقم ١٣٥-١٣٨ .

(٩٦) بالنسبة للمقطع issos- انظر الجزء الثالث .انظر على سبيل المثال Pausanias,I.37.3and II.20.6 بالنسبة للموقع الذي تظهر فيه ثيسيوس من خلال نهر كيفيوس الاثيكي حيث يوجد معبد كيفيسوس. يمكننا بسهولة أنْ نسمع صوت النهر و هو يجري تحت الارض .

(97) Gauthier (1925-31,V,p.171)

(98) Natural History ,VII.209.see Knauss (1987a ,p. 199,n.22)

(99) Pausanias, IX.3.3-4, and Plutarch ,Daedala, in Eusebius Praepartio Evangelica, III.1.6.For the Ded,

راجع فيما يلي الفصل الرابع ، هامش ٤٥ .

(100) Knauss(1987a,pp.194-9).

(101) Caskey(1956, 1957, 1960, 1971); Vermeule (1964, pp.29-44).

(102) Shaw (1987).

(103) Vermeule (1964,p.35)

فيما يتعلق بدستور مدينة Ebla راجع :Pettinato(1981,pp.69-95)

(104) Gale and Stos Gale(1981)and Stos-Gale and Gale 91984b)

(105) Vichos and Kyriakopoulou(1989); Bass(1990a)

(١٠٦) انظر الفصل الرابع ، هامش ٢٣ .

(107) Dayton (1982a,p.158).

(108) See Vermeule (1964,pp.45-58)and Renfrew (1972).

(109) Vermeule (1964,pp.37-9).

(110) Vermeule (1964,pp.40-1)انظر عن أسواق الفخار

(111) Bernal (1990, pp.54-6).

(١١٢) انظر الفصل الرابع ، هوامش ٤٣-٤٤ .

(113) Pettinato (1981,pp.103-9) and Biggs(1966) , Herrmann(1968) and Kulke (1976,pp.43-56).

(114) Dayton (1982a,pp.159.163)

(115) Pendlebury (1930a, pp. 53,57,64-5)

(116) Brown (1975, pp.8,106)

1938, Frodin .and Persson (1938,p.234).

(١١٧) يحمل هذا القدح رقم ٤٥٧٨ من مقتنيات متحف أثينا انظر

Stevenson Smith (1971, p. 180).

(118) Helck (1979, p. 15).

(١١٩) عن ترجمة هذا النص و المناقشات التى دارت حوله انظر

Astour (1967a, pp.142-3).

(١٢٠) انظر الجزء الاول ص ٣٨٢. ٥٠١ .

(121) Coldstream (1973) and Coldstream and Huxley (1984)

(١٢٢) بالنسبة لوجهة النظر المثيرة للشك فى هذا الموضوع المثير انظر Pearson and Connor (1968).

(١٢٣) فيما يتعلق بتاكيدات ميلارت انظرعلى سبيل المثال . (1967, p.394)

(124) Mellart (1967) ,p.401)

(125) Helck (1979),p.16). see also Vermeule and Vermeule (1970)

(126) Vermeule and Vermeule (1970,pp.36-7)

(127) Vermeule (1964,pp.64-6)and konso(1981,p.182)cited in Loucas and Loucas (1987, p.103).

(128) See Caskey (1980)

(129) Stevenson Smith (1971,p.181).

(130) Howell (1973),Caskey (1986,pp.22-3).

عن المسح الشامل حول الجدل الدائر حول هذا الأمر انظر

Drews(1988,pp.17-20)

(131) Vermeule (1964,p.59).

(132) Buck(1979,pp.35-6).

(133) Symeonoglou(1985,pp69-70).

(134) Symeonoglou (1985,pp.70-5).

(135) Spyropoulos(1981,pp.133-7).

(١٣٦) انظر أعلاه هامش ١٨ و كذلك .Buck (1979,p.47)

(137) Symeonoglou(1985,pp.76-7).

(١٣٨) انظر الجزء الأول ص ٥١-٥٤و٨٨-١٠١ . فيما يتعلق بحالة أثينا وإسبرطة سوف نناقشه بتفصيل كبير في الجزء الثالث.

الفصل الرابع

عصر القصور القديمة في كريت والدولة الوسطى

في مصر ٢١٠٠ - ١٧٣٠

ترجمة : أبو اليسر فرح

نود في هذا الفصل النظر إلى كريت بعد أن تحولت من مجتمع زراعي ينعم بالرخاء يضم تجمعات صغيرة إلى دويلات مركزية تحكمها القصور. إن هذا التغير يضعها على خط واحد مع نمط كان سائداً في معظم مناطق الشرق الأوسط لقرون سابقة. إن هذا التطور الكريتي مع ملامحه يعد ذو دلالة عظيمة في حد ذاته. كما أنه يمدنا بمعظم العناصر الأساسية في أواخر الحضارة الموكينية التي سادت في أواخر عصر البرونز، ويشكل أساساً لحضارات العصور الارخايكية (العتيقة) والكلاسيكية في بلاد اليونان.

ويؤكد هذا الفصل أن التأثير المصري يقف وراء قيام القصور وهو الأمر الذي جرى التقليل من أهميته في القرن العشرين بعد قيام أرثر إيفانز Arther Evans بأعمال التنقيب في حوالي عام ١٩٠٠، وذلك على الرغم من ورود الإشارة إليه في الروايات القديمة. إن اكتشاف تلك الحضارة الرائعة الصافية لكريت المينوية كان أمراً لا يُطاق بالنسبة لهؤلاء الذين تقوقعوا داخل إطار النموذج الآري. والذين رأوا في هذه الحضارة مجرد مرحلة من مراحل العلاقة بين أوروبا والشرق. وتبدو كريت بهذا الشكل أحد الوالدين للحضارة الهللينية. مع ما يترتب على هذا من اعتبارها كذلك بالنسبة لكافة الحضارات الغربية. أما الوالد الآخر فهو سهول وجبال وسط آسيا ؛ فهي التي أنجبت ذلك العنصر الفعال أي الهندوأوروبي[1].

العصر المينوى المبكر الثالث

عصر ما قبل القصور

انتهى عصر الخزف المينوى الثالث ، وجاءت بداية العصر المينوى الأوسط فى فترة تقع قرب التحول نحو الألف الثانية. ويشكل هذا التغير بداية لعصر القصور فى تاريخ كريت، وبينما كانت كريت في أوائل العصر المينوى مجتمعا ريفيا يضم تجمعات آخذه في النضج. فإننا نجدها فى العصر الوسيط عبارة عن دول يتم إدارتها من القصور.

وليس من المستغرب أن نجد أحد دُعَاة الانعزالية وهو كولين رينفرو (Colin Renfrew) لا يريد أن يضع أهمية لأى تغيرات قد تتضمن وجود مؤثرات خارجية. وهكذا فإنه يرى أن الاستمرارية فى التحول من عصر ما قبل القصور (Prepalatial) إلى العصر الذى يسبق عصر القصور بشكل مباشر وهو الذى يطلق عليه (Protopalatial) هو أمر ينبغى أن نركز عليه[٢]. وثمة مشكلة أخرى تتعلق باستخدام المصطلحات فإن كلمة Prepalatial يمكن أن تستخدم لوصف عصرين. أولهما هو العصر المينوى المبكر بأكمله، وثانيهما كما اعتدت أنا على استخدامها لوصف الفترات التى تكتب عملية بناء القصور بشكل مباشر. وفى وقتنا الراهن نجد الدارسين قد بدأوا فى التأكيد على دلالة وضع الحدود بين أوائل العصر المينوى الذى لم يكن يعرف القصور من ناحية. والفترة السابقة على إقامة القصور من ناحية أخرى. وقد تركزت شكوكهم حول فكرة التحول الهادئ من خلال موقع ميرتوس (Myrtos) الذى يقع على الشواطئ الجنوبية لشرق كريت، والذى يمكن النظر إليه باعتباره مستوطنة تنتمى إلى أواخر العصر المينوى الباكر فى فترة التحول إلى مرحلة القصور. وقد أظهرت دراسة قام بها أحد شباب الآثاريين ويدعى وايتلو (T.M.Whitelaw) أن موقع ميرتوس لا يمكن اعتباره جسراً ما بين بواكير العصر المينوى وعصر ما قبل القصور فى كريت[٣]. ويميل بعض الدارسين إلى الأخذ بهذه الفكرة، وقد عبر عن ذلك أحد علماء الآثار فى جامعة كمبردج عن ذلك قائلاً " بعد إعادة فحص موقع ميرتوس فإنه لا يمكن القول بأن قصور العصر المينوى

الأوسط هي مجرد مظهر مختلف لنمط تلك التي تنتمي إلى أوائل العصر المينوى"[٤].
ويبدو أن جون شيرى (John Cherry) وهو عالم آثار آخر من جامعة كمبردج قد توصل إلى النتيجة ذاتها. فقد أصر في إحدى مقالاته التي كانت تحت عنوان: التطور والطفرة وأصول المجتمع المركب في كريت المينوية". على القول " إن الانتقال إلى مجتمع القصور في كلا الجانبين في عام ٢٠٠٠ ق.م. يعد لاعتبارات كثيرة هامة عبارة عن وثبة تفوق أى تطور قد وقع من قبل"[٥]. ومثل هذه الفكرة تثير الدهشة لكونها نابعة عن الجامعة التي يوجد بها أستاذ الآثار البارز كولين رينفرو. وأيا ما كان الجانب الذى يميل إليه شيرى فإن من الواضح أنه يوجه نقداً حاداً إلى فكرة التطور الى الأمام التي قال بها مؤسس علم الآثار الكريتي ونعنى به آرثر إيفانز. وسار عليها معاصروه أيضاً والتي استند إليها بقوة رينفرو. وهو يضع هذه الفكرة جنباً إلى جنب مع نظرية الرائد العظيم لنظرية التطور في العصر الفيكتورى أى " الداروينية ". وهكذا فإنه يطبق الاعتراضات التي تحتويها نظريات الداروينية عن التطور الهادئ على مجال الآثار الكريتية. وتكون النتيجة هي وقوع تطور مفاجئ أعقبه حالة من الركود النسبي. إن فكرة شيرى قائمة على أساس ما يمكن ملاحظته للفارق الكبير الذى يوجد في المجتمع وتنظيماته الاجتماعية في عصر القصور. وقد أكد أيضاً على أهمية الدليل الأثرى الذى يؤكد الزيادة المطردة في الاتصال ما بين كريت والشرق الأدنى[٦].

وقبل أن نمضى قُدُمًا في فحص هذه الظاهرة فإننا يجب أن نُلقى نظرةً على الترتيب الكرونولوجى (الزمنى) لهاتين المنطقتين، وإن آرثر إيفانز بنى ما قام به من ترتيب زمنى للخزف الخاص بجزيرة كريت على أساس ترتيب العصور في مصر. إن العصر المينوى الأول يماثل عصر الدولة القديمة. أما العصر الوسيط فإنه يماثل عصر الدولة الوسطى. بينما يماثل العصر المينوى المتأخر عصر الدولة الحديثة. وقد ظلت هذه الفكرة تلقى قَبولاً عامًا . وظل الحال كذلك لما يزيد عن خمسين عامًا. وقد بذلت محاولات جادة من الدارسين للتكيف مع هذه الفكرة[٧]. وأحد هذه المحاولات ما جاء من إعتراف على يد وليم وارد (Wiliam Ward) عالم المصريات الأمريكي والذى كَرَّس وقتًا طويلاً لدراسات العلاقات في منطقة شرق البحر المتوسط. وقد جاء في اعترافه "إن غالبية المتخصصين في الدراسات الايجية الذين استندوا إلى تأريخ الخزف يضعون

بدايات العصر المينوى الأوسط الأول حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. أو بداية عصر الأسرة الثانية عشرة[٨]. وهكذا فإن العصر المينوى المبكر الثالث الذى سبقه يبدو أنه قد بدأ فى الحقب الأخيرة للقرن الثانى والعشرين. وفى الفترة الأخيرة نجد أن البروفسيور كادوجان (Cadogan) يضع بدايات العصر المينوى الأوسط الأول (أ) حوالى عام ٢٠٥٠ ق.م. وهو تاريخ يتماشى مع ما أكدته الاختبارات الكاربونية[٩]. وعلى أية حال فإن هذا العالم ومعه بعض المتخصصين الآخرين يوافقون على أن بناء القصور قد تم فى فترات تقع عند بداية عصر الخزف. وبعبارة أخرى فإنه يبدو أن القصور الكريتية العظيمة قد جرى تشييدها خلال الأعوام الخمسة والعشرين عند التحول نحو الألف الثانية[١٠]. وعلى أية حال فإنه من الواضح وجود فترة سابقة على ما قبل القصور (Prepalatial) وأن هذه الفترة استمرت لما يقرب من قرن قبل ذلك، وأن النمط بينها وبين عصر الخزف غير واضح. وهناك تداخل واضح ما بين فخار العصر المينوى الوسيط الأول فى كنوسوس، وفخار أوائل العصر المينوى الثالث فى شرق كريت، ويبدو على الأرجح – كما جاء عند " وارد" – (Ward) أن معظم ما يخص الجزء الأخير من أوائل العصر المينوى الثالث كذلك فى العمارة – ما قبل القصور – لا يماثل عصر الانتقال المصرى الأول. ولكن الأكثر احتمالاً أنه كان مُعاصراً لفترة الأسرة الحادية عشرة، وهى الأسرة الأولى فى عصر الدولة الوسطى، وهى الفترة التى بدأت عند منتصف القرن ٢٢ وازدهرت فى القرن الحادى والعشرين[١١].

وفى أوائل العصر المينوى الثالث كانت هناك زيادة مطردة فى الاتصال ما بين كريت والشرق الأوسط بشكل عام، وبين كريت ومصر على وجه الخصوص. وقد لاحظ عالم الآثار كيت برانيجان (Keit Branigan) وجود موجة من المؤثرات السورية على كريت. فقد ذكر على سبيل المثال أنه على الرغم من وجود مظاهر الاستمرارية فإن صناعة المعادن فى كريت فى هذا الوقت " تأثرت بشكل واضح بالأنماط والتقنية التى استخدمت فى سوريا وكيليكيا". ففى هذه الفترة وما بعدها جرت عمليات استيراد الخناجر[١٢]. كما لفت انتباه عالم آخر للآثار هو كرسكوفسكا (O.Krzszkowska) وجود زيادة واضحة خلال أوائل العصر المينوى الثالث فى استيراد سِن الفيل. وربما كان مصدره مصر أو سوريا. وكذلك أسنان فرس النهر التى من المؤكد أنها كانت تأتى من مصر[١٣].

وقد أثبت بيتر وارين (Peter Warren) أن الآنية الصغيرة ذات الشكل الأسطوانى، وكذلك القوارير الصغيرة التى وجدت فى فخار أوائل العصر المينوى الثالث فى كريت تنحدر من النماذج المصرية[١٤].

وقد أردف الآثارى فانس واتروس (L.Vance Waterous) قائلاً " فى خلال العصر المينوى الأوسط الأول وجدت أشكال جديدة للمزهريات التى تشمل الأقداح والأكواب ذات الشكل المخروطى، والأشكال ذات الأخاديد ونماذج الحيوانات، فى كريت وكانت تمثل تقليداً للآنية التى عرفت فى الشرق الأدنى من فترة طويلة سابقة". ويرى هذا العالم أيضًا وجود صِلات ما بين الاستخدام الدينى لهذه الآنية فى كريت وكل من مصر والمشرق من ناحية أخرى[١٥]. كما يذكر اقتراحًا معقولاً مضمونه أن عجلة الفُخَّار السريعة ذات التجويف التى ظهرت أولاً فى العصر المينوى الأوسط الأول والثانى قد جرى استيرادها من الشرق الأدنى من أجل الوفاء بمتطلبات نظام القصور[١٦].

الرصاص والأشكال المخروطية :

تم العثور على الأشكال المصرية التقليدية فى كريت. فقد عُثِرَ على ستة جعارين من محيط آثار ترجع إلى أوائل العصر المينوى الثالث، وأواسط العصر المينوى الأول فى ميسارا (Messara) فى جنوب كريت[١٧]. إن دلالة هذه الجعارين أكثر أهمية من أحجامهم أو عددهم فإن وجودهم يدعم فكرة وجود صِلات قوية فيما يتعلق بالتأثر النمطى بين الأختام المصرية والكريتية، تلك الصِلات التى بدأت فى أوائل العصر المينوى الثالث[١٨]. وقد عبر عن ذلك بندلبرى Pendlebury قائلا: "إن الكثير من المظاهر تبدو شديدة الشبه وبخاصة عندما نضعها جنبًا إلى جنب مع المواد التقليدية الأخرى التى كان يتم استيرادها بما لا يدع مجالا للشك بأن ثمة اتصالات بين مصر وميسارا فى هذه الفترة[١٩] ". وقبل صدور هذا الرأى عن بندلبرى تعرضت وجهة نظر إيفانز التى تقول بوجود اتصالات بين مصر وكريت للهجوم الشديد. وقد جاء هذا الهجوم من ماتز (F.Matz) فى مقال نشره فى برلين عام ١٩٢٨، الذى يرى أن فن النقش على

الأحجار الكريمة في كريت خلال هذا العصر له أصول من البلقان أو حتى من منطقة الدانوب[٢٠]. أما الباحثون الألمان والنمساويون فإنهم يفضلون الأخذ بفكرة الأصل الأناضولي لفن صناعة الأختام الكريتي[٢١]). ولكن على الرغم من ميل " وارد " (Ward) إلى الأخذ بهذه الفكرة فإنه يقول " رغم الجدل الذى أثاره هؤلاء الدارسون حتى في الكتابات الحديثة جداً، فإن هناك قدراً مدهشاً من التأييد لأفكار إيفانز الأصلية "[٢٢].

والآن فإننا عندما نأخذ في الاعتبار الاتصالات التى كانت تجرى ما بين الشمال والجنوب ، فإننا نلاحظ وجود تطابق يثير الدهشة – وهذا ما أظهرته تحليلات الرصاص –. فهناك تمثالان من عهد الأسرة الحادية عشرة من القرن الحادى والعشرين. قد جرى صنعهما من الفضة المستخرجة من لاوريوم في أتيكا. وربما يحلو للبعض القول بأن هذا التحليل ربما كان خاطئًا، أو أن هذه الفضة قد جرى استيرادها من قرون سابقة في عهد الدولة القديمة، وذلك خلال الاتصالات التى ربما تكون قد حدثت، والتى أشرنا إليها في الفصل السابق.

وفي الحقيقة أن مسألة واردات مصر من لاوريوم هو أمر سوف نناقشه في الفصل الحادى عشر. وعلى أية حال فإن التفسير الأكثر ترجيحاً هو الذى يقول بوجود اتصالات سياسية مباشرة أو غير مباشرة. وكذلك وجود علاقات تجارية بين مصر وعالم بحر إيجه في أوائل عصر الدولة الوسطى[٢٣].

إن أكثر النماذج التى تقع عليها أبصارنا، والتى تدل على التأثيرات الواردة من الشمال هي تلك النماذج ذات الشكل المخروطي، والتى يطلق عليها العلماء الألمان "المشكلة المخروطية " (Spiralen problem) والتى يثيرها ذلك الاستخدام الواضح للأشكال المخروطية للزخرفة في كل من كريت ومصر في القرن الحادى والعشرين. وأحد الحلول الممكنة لهذه المشكلة هو ما يقترحه بعض الدارسين الألمان مثل " فيمن" (Fimmen) و" هيلك " (Helck) ويرى هذا الاقتراح أن هذه الطريقة في الزخرفة جاءت من الشمال. وربما من جزر الكيكلاديس[٢٤]. وهناك حل آخر يلقي قبولاً أكثر في ظل مناخ الرفض لفكرة الانتشار(Diffusion) . وهو المناخ الذى ساد في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

ويرى هذا الباحث إنه قد تم التوصل إلى هذا الشكل فى كل هذه الأماكن الثلاثة بشكل مستقل عن الآخر[٢٥]. وقد عمل وارد (Ward) على توسيع هذه الفكرة. فبعد أن أوضح سهولة التوصل إلى هذا الشكل بشكل مستقل، فإنه افترض وجود ثلاثة مراكز للانتشار هى جزر الكيكلاديس وشرق تركيا وإيران[٢٦]. وهذا الرأى يبدو مقبولاً إلى حد كبير.

وعلى أية حال فإنه يمكننا أن نلاحظ أن الأشكال المخروطية فى الحقيقة كانت شائعة فى الشرق الأوسط ومنطقة بحر إيجه منذ منتصف الألف الثالثة على الأقل[٢٧]. وزيادة على ذلك فإن طريقة الزخرفة التى تقوم على استخدام الخطوط اللولبية، كانت شائعة فى مصر فى عصر الدولة القديمة. وأكثر من ذلك يوجد مثالان منها تتمثل فى الجدران الملتفة فى منفيس (Memphis) والقرون المخروطية فى التخطيط المقدس لـ "مين" (Min) ، والتى يمكن أن نربطها بعبادة الثور التى يبدو أنها قد جاءت إلى كريت من مصر فى ذلك الوقت (إنظر أسفله). وهكذا فعلى الرغم من وجود الأشكال المخروطية فى مصر وكريت وأيضًا فى الأناضول والكيكلاديس عند التحول نحو الألف الثانية، فإن دلالة استخدامهم الرمزية تدل على أن مصدرهم مصر.

القصور الكريتية

قبل أن نتطرق إلى الحديث عن أصول عبادة الثور فإننا ينبغى أن نلقى نظرة على القصور التى إزدهرت فى ظلها هذه العبادة. لقد تم تشييد هذه القصور فى العقود الأخيرة للقرن الحادى والعشرين. ويبدو أنها ظلت حتى القرن الثانى عشر. وكانت كريت خلال هذه الفترة واقعة تحت التحكم الإغريقى الموكينى. واستمر الحال على هذا المنوال لما يزيد عن ٢٥٠ عاما[٢٨].

ولما كانت كريت تقع فى إقليم يعد مسرحًا للنشاط الزلزالى الكثيف، فمن المرجح أنه قد حدثت بها حالات دمار ناتجة عن الزلازل، أكثر من كونها نتيجة لنشاط عسكرى أو احراق. ومع ذلك فإن الخمود الحضارى تعد ذات دلالة – إذا ما استبعدنا حالة

وصـول الإغريق حوالى عام ١٤٥٠ ق.م – وهى قد وقـعت بالقرب من نهـاية القرن ١٨ ق.م، مـا بين عصـر الخزف في العصـر المينوى الأوسط الثانـي، العصـر المينوى الأوسط الثـالث، وهـي الفترة التي يعتبرهـا دارسـو العمـارة فـاصـلاً مـا بين أوائل وأواخر عصـر القصـور[٢٩]. وعلى الرغم من التـغيـرات التى حـدثت في تركيب القصـور واسـتـخـدام الرموز، وهو الأمـر الذى سوف نناقشـه فيمـا بعد، فإنه توجـد اسـتـمرارية فـى عصـر القصـور لمدة تزيد عن ٨٠٠ عـام. وهكذا فـإنه يبدو أن ثمة مـبـررات قـوية تدعـونا إلى النظر فـى السِمـات المبكرة للقصـور. وإلى أن نقـارنهـا بالقدر الكبـير الذى نعرفـه عن بيروقراطية البلاط والاقتصـاد فى أواخر عصـر القصـور. وليس هناك شك فى أن طريقة بناء القصور الكريتية في حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. تعد إمتداداً لما كان سائداً في جنوب المنطقة الإيجية من النُظُم الاقتصـادية والاجتماعية. وهـى النُظُـم التى كانـت قائمـةً فى مـعظم مناطق الشرق الأوسط لأكثـر من ألف عـام[٣٠]. والأكثـر من ذلك أن دخـول هذه النُظُم لـم يكن مـقتصراً على المظاهر العـامـة، بل تعداه إلى التـفاصـيل الدقيقـة. ومن الجدير بالذكر أن " جيمس والتر جراهام" (James Walter Graham) الذى كرس معظم حياته الدراسية لمتابعة طُرُز العمارة في القصور فى كريت، وظل كتابه " قصـور كريت " هو العمل البارز فـى هذا المجال، قد ذكر فى هذا الكتاب ما يلى " إن التشـابه الموجـود بين قـصـور كـريت وقصـور الشـرق الأدنـى في كثـيـر من الأوجـه أمـر لا يمكن إنكاره إلا قليـلاً. ونفس هذا الحكم يمكن إصـداره فـيـمـا يتـعلق بالعـمـارة الكريتـيـة والمصرية ".

إن هناك تشـابهـًا بشكل عـام مـا بين قصـر مدينة مـارى (فى أعـالى نهر الفرات) وقصر مينوس، فإن الحجرات مرتبة حول الأفنية، كما خصصت أقسام القصر المختلفة لأغراض شتى، وهناك حمامات مزودة بأنابيب فخارية وكذلك وجدت قاعات للمجالس... إلخ، ولكن على الرغم من هذا الإطار الواسع للتشابه. فثمة اختلافات تبدو عميقة الجذور، ويمكن للمرء أن يتسـاءل أى النمطين المعمـاريين قد أثر فى الآخر. وإلى أى درجة كان هذا التـأثير؟ وهناك طرق للبناء قد انتشـرت بشكل واسع مـثل المبانى ذات النصف خشبية. ذات القوائم، كذلك يمكن أن نلاحظ بعض التشابه فى التفاصيل، مثل ذلك التشابه الموجود فى الأنابيب الفخارية فى مارى وكنوسوس ... وبين جذع العمود

نو الأخاديد وربما بعض التيجان ... والأعمدة المصرية. كما يمثل التصوير الجدارى مجالاً للتشابه فى نطاق محدود.....

إن الفكرة التى يمكن أن تتبادر إلى الذهن هى أنه عندما ظهرت القصور أولاً حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. فإن المعماريين الكريتيين على الرغم من أنهم كانوا على دراية بطرق العمارة المستخدمة فى تشييد القصور فى المناطق الأخرى، فإنهم ابتكروا أشكالاً مناسبة أملتها عليهم متطلبات البيئة الكريتية، وقد استخدموا تقنية إنسانية كانت شائعةً فى شرق البحر المتوسط، ومألوفة لديهم فى الوقت نفسه ، ولكنهم كرسوا أشكالاً ملائمة ذات خصوصية محلية. وهى أشكال تأثرت بالعمارة التى كانت معروفة لدى جيرانهم عبر البحر. إن اقتباس نمط قاعات الطعام المصرية عندما كان هذا الأمر مرغوبًا من قبل الملوك، يعد تقليداً للفراعنة ورغبة فى إضفاء مظاهر الأبهة[٣١].

ورغم ما يسود من طابع الإنكار لوجود تأثير من الشرق الأدنى ومصر وهو ما تسجله بوضوح إحدى المقالات الصادرة حديثًا، فإنه يقر بوجود تأثير مصرى فى أحد القصور الذى ينتمى إلى أواخر عصر القصور فى موقع فايستوس (Phaistos) جنوب المنطقة الوسطى من كريت. وقد ورد فى المقال ما يلى " ذكرت فى مقال سابق أنه لا يوجد سبب للاعتقاد بوجود مؤثرات ذات أثر فعال من حضارة خارج الجزيرة، قد تكون فرضت طابعها على العمارة فى كريت فى أى مرحلة من مراحل تطورها. إننى مازلت متمسكًا بهذا الرأى ، إلا أن وجود زخارف فخمة أو بعض الملامح المبهرة مثل قاعات الاستقبال وصالات الطعام يدل على أن الاستيراد ليس أمرًا ممكنا فقط بل هو أمر مرجح[٣٢]".

والواقع أن مظاهر الأبهة وما ارتبط بها لم تكن أمرًا مطلوبًا للقصور فقط. بل أنها إلى جانب كونها مظهرًا للرفاهية فإنها كانت ضرورية لنظام الحكم والاقتصاد[٣٣]. وقد عرفت القصور الكريتية الكثير من مظاهر الفخامة منذ بداية انشائها. فعلى سبيل المثال يوجد تشابه بارز بين صناعة الحُلِىِّ المصرية والكريتية، وهذا يدل على وجود إستعارة من حيث الموضوعات والتقنية وهى ظاهرة بدأت منذ عصر القصور القديم[٣٤]. ويمكن أن نلاحظ أن الموضوعات التى رسمها الفنان من أجل الزخرفة فى كريت.

وجدت أمثلة لها في عصر الدولة الوسطى في مصر. وعلى سبيل المثال فقد إستعار المينويون طريقة المصريين في التلوين، فرسموا النساء في ألوان بيضاء. أما ألوان الرجال فكانت هي الأحمر والبني. إن تصوير الربة المصرية على هيئة أنثى فرس النهر وهي واقفة وعلى ظهرها جلد التمساح يبدو أنه قد جاء إلى كريت في هذا الوقت وأدى إلى تحول فن الايقونات إلى نوع يعرف لدى علماء الآثار باسم الجنيعات (genii) (*)الذي أصبح شائعًا في الفن الكريتي(٣٥).

إن العلاقة ما بين الرموز الدينية والزخرفية في القصور الكريتية وتلك التي وجدت في مصر. هو أمر سوف نناقشه في هذا الفصل وكذلك في هذا الجزء من كتابنا، وشبيه بذلك هذا التماثل الدقيق الذي يستلفت النظر ما بين النظم الرسمية والاقتصادية في القصور الكريتية ومثيلتها في قصور الشرق الأوسط. وسوف نتناول هذا الأمر في الفصل العاشر.

وقد أثار " واتروس" (Watrous) مؤخرًا جدلاً مفاده أن الكثير من العناصر الفنية والمعمارية ذات الأصول الشرقية في أوائل العصر المينوي الثاني ترتبط بمرحلة إقامة القصور، وإدخال النظم البيروقراطية، والتي ينبغي النظر إليها كوحدة واحدة، قد جلبت إلى كريت كجزء من متطلبات النظام الملكي. وقد دحض بشكل واضح نظرية رينفرو التي تقوم على فكرة العزلة، كما ذكروا أيضًا أن التوازي التاريخي المؤكد لزيادة الثروة والاتجاه نحو النظام المدني لا يجب أن تؤدي في حد ذاتها إلى إيجاد نمط مجتمع القصور على النحو الذي عرفته كريت ومنطقة الشرق الأدنى(٣٦). وتبدو أفكار " واتروس" غير تقليدية بين المتخصصين في الآثار الايجية، وعلى الرغم من هذا فإنها ليست موضعًا للاعتراض من جانب المعسكر الآخر من المتخصصين في الدراسات الايجية، لأنهم وجدوا أنه من الصعب عليهم المجادلة في النتائج التي توصل إليها.

(*) Elsaadani, M., " Similarities" and Differances between the Egyptian TA-WRT and the Mycenaean Genii", The Congress of the Ploponneesean Studies, Kalamata (Greece), 1982.

وفى كل الأحوال تبرز أمامنا نقطتان هامتان، أولاهما أن النموذج العام للقصور والنظم الاجتماعية التى تعد بمثابة المراكز الحضارية بالإضافة إلى مهام أخرى، قد جاءت إلى كريت من الشرق الأدنى، أما النقطة الثانية فهى أن معظم الدارسين فى القرن العشرين يعارضون الاذعان لهذه الحقيقة[٣٧]. وقد أوردت من قبل ما جاء عند جراهام من إشارات تدل على عدائه لفكرة تأثر كريت بالشرق الأدنى. وهو الأمر الذى يبدو واضحاً فى كتابه. ويوجد لدينا نموذج أكثر وضوحاً لهذا الاتجاه، ويتمثل فيما جاء عند " كيث برانيجان " .(Keith Branigan) الذى يرى أن الأخذ لهذا الإتجاه يقود فى النهاية إلى قبول فكرة الأثر الخارجى على كريت. ويقول هذا الباحث " ولكن فوق كل شىء فإن الفكرة العامة للقصر المينوى تختلف بشكل كلى عن عمارة القصور فى الأماكن الأخرى خلال عصر البرونز فإن القصر المينوى يتمتع بشكل البلاط المركزى بالإضافة إلى البعد المحورى. فقد كانت لهذا القصر القدرة على النمو انطلاقًا من المركز. وإن العمارة لم تكن مرغمة على أن تلائم أفكاراً مقررة سلفًا من حيث المساحة والشكل[٣٨].

وهنا يتولد لدينا الانطباع الواضح فيما يتعلق بالإطار الايديولوجى بأن المينويين يمثلون مرحلة " الأوروبيون القدماء" (Proto - Europeans) . وبهذا يتم استبعاد أية مؤثرات آسيوية أو أفريقية. كما ينبغى أن نلاحظ فى الأنماط السابقة (للقصور) عدم وجود أسوار. مما يمكن اعتباره دلالة واضحة على الطبيعة السليمة الهادئة للمجتمع المينوى، وهو مجتمع يمكن النظر إليه بشكل متطابق مع الصورة التى ذكرها "فينكلمان" (Winckelmann) عن الشكل العام للمجتمع الاغريقى فى خالكيديكى (Chalkidik?) فى القرن ١٨ ، ١٩ . وتشبه هذه الحالة إلى حد بعيد ما نلاحظه من تأثر آرثر إيفانز بشكل واضح بخليفته الاجتماعية، وانتمائه إلى الطبقة العليا عند تصوره للمجتمع الكريتى الهادئ المسالم[٣٩].

وبعد أن نأخذ كل هذا فى اعتبارنا ينبغى أن نلاحظ وجود مَعْلَم كريتى شديد التميز فى القصور والحضارة التى تحتويها، وهناك ملامح محلية متشابهه توجد فى أقاليم الشرق الأوسط التى احتوت على قصور مثل بلاد الرافدين وسوريا والاناضول ... الخ . ففى هذه الأماكن جميعًا يمكن أن نلاحظ أن القصور تعكس

الأحوال الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويمكن القول بأن الاكتشافات الحديثة تشير بقوة إلى وجود الاضاحي البشرية(*)، وهو ما سوف نناقشه في الجزء الثالث ، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن المجتمع المينوى لم يكن مجتمعًا تسوده الطمأنينة كما أراد آرثر إيفانز أن يصوره(٤٠). وهناك ما يدل على وجود إهتمام نسبى فى أوائل عصر القصور بالأمور التى تتعلق بالدفاع والعنف. على الرغم من أن هذا الموقف قد تغير بشكل واضح فى أواخر عصر القصور. وهذا يؤدى إلى الاعتقاد بوجود حالة من التوافق ما بين دول عصر القصور فى كريت فى الفترة الأولى ما بين عام ٢٠٠٠ و ١٧٣٠ ، وبأنه لم يعد ثمة تهديد خارجي.

إن الملامح الكريتية الأخرى مثل بروز أساليب الزخرفة البحرية يمكن أن نرجعها إلى العامل الجغرافى، فإن الموقع المتوسط لكريت يجعل نظام القصور فيها ذو شخصية متميزة عن تلك القصور المعاصرة لها. ففى تلك الفترة كانت كريت تمثل نقطة إلتقاء للمؤثرات المصرية والشرقية، وعلى الرغم من الانقطاع الحاد فى بداية فترة ما قبل العصور (Prepalatial) فإن رينفرو على حق حينما يرى وجود حالة من الاستمرارية تمتد من أوائل العصر المينوى إلى العصر المينوى الوسيط. ويجب أن نتذكر أن ذلك لم يكن نتيجة للعزلة ولكن بسبب الامتزاج الحضارى المتتابع. ومما لا شك فيه أن كريت فى العصر المينوى الباكر كانت تعد مجتمعًا راقيًا له شخصيته الحضارية المتميزة.

نظام الكتابة الكريتية

إن هذا الاستقلال يتضح بجلاء فى الحقيقة التى نعرفها وهى أن كريت لم تأخذ بالهيروغليفية المصرية أو الكتابة المسمارية أو طريقة الكتابة التى كانت متبعة فى بيبلوس (Byblos) ، ولكن كانت لها طريقتها فى الكتابة التى تقوم على المقاطع المستقلة. إن الصورة المعروفة لتطور الكتابة الكريتية هى تلك التى عرفت فى العصر المينوى

(*) حول هذا الموضوع الخطير فى تاريخ الحضارة الإنسانية القديمة، راجع كتابنا، تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠ م. (المحرر).

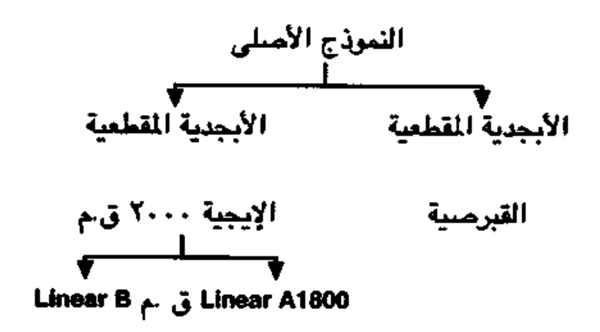
الوسيط الأول، أى بعد إنشاء القصور مباشرة. فقد جرى تنظيم العلامات التى كانت مستخدمة منذ أوائل العصر المينوى الأول لكى تصبح كتابة ذات أشكال تصويرية. واستخدمت هذه الكتابة فى القرون القليلة التالية حتى بداية العصر المينوى الوسيط الثالث. فى القرن الثامن عشر عندما تم استبدالها بمقاطع صوتية هى (Linear A) وظلت هذه الطريقة المقطعية مستخدمة فى كريت حتى حلت محلها طريقة .(Linear B) وهى طريقة مماثلة فى الكتابة جرى تطويعها لكى تلائم اللغة الاغريقية، وهى اللغة التى وفدت إلى كريت وأصبحت مستخدمة فى كنوسوس مع قدوم الميكينيين!! إلى كريت حوالى عام ١٤٥٠ .

ويجب أن نسلم بوجود صعوبات فى هذه النظرية. وأولها الحقيقة التى تقول بأن خط (Linear B) لا يمكن أن يكون قد انحدر بشكل مباشر من خط (Linear A) وهذا يتطلب التسليم بأن (Linear B) قد انحدر من خط سابق على Linear A وهو أمر لا يمكن القبول به. وذلك فى ضوء النظرية التى ترى أن التطور كان مباشراً من الكتابة التصويرية إلى (Linear A) كما ذكرنا آنفًا. وأيضًا فإنه يجعل من المستحيل الابقاء على النظرية الجذابة البسيطة التى تقول بأن خط Linear B قد تطور فى كريت عندما تمكن الإغريق من هزيمة كريت ذات القصور ولكى نوضح الأدلة المستمدة من علم النقوش فإنه من الضرورى أن نعتقد بأن خط (Linear B) كان موجوداً ومستقراً قبل ذلك فى بلاد اليونان القارية.

ويرى العالم الأمريكى سترلنج دو (Sterling Dow) المتخصص فى الدراسات الكلاسيكية أن نظام المقاطع قد ابتدع حوالى عام ١٦٠٠ ق.م. ويضع هذا الإقتراح أمام المؤرخين التقليديين مشكلتين: أولاهما هى لماذا يحتاج الاغريق إلى مثل هذه الكتابة قبل أن يكون لديهم قصور؟ أما المشكلة الثانية فهى أنه لماذا لم يتم البرهنة على وجودها خلال قرون عديدة[٤١]. والحقيقة أن هذه المشاكل لا تبدو بالنسبة لى خطيرة. فإن المجتمعات ذات التركيب الاقتصادى والسياسى البسيط لديها القدرة على استخدام وتطوير الكتابات ذات المستوى المتقدم والتى على درجة من التعقيد. انظر

على سبيل المثال كتابة Xixia التى تطورت فى غرب سنكيانج Xinjiang فى أواخر الألف الأولى للميلاد. وعلى أية حال فإننا ذكرنا فى الفصل السابق أن بلاد اليونان كانت تحتوى على عدد لا بأس به من الدويلات منذ أوائل منتصف الألف الثالثة ق.م. وإزاء الافتقار إلى وجود دليل لعدة قرون فى الألف الثانية فى بلاد اليونان، وفيما يتعلق به فهناك خوف من الاستناد إلى الحجة الناتجة عن الصمت ؛ لأن ذلك يُظهر إخلاصاً لا مسوغ له لعلم الآثار. ومن الواضح أنه توجد أمثلة كبيرة على وجود فجوات طويلة وواضحة فى تسجيل الكتابات(٤٢).

وتوجد صعوبة أخرى فى النظرية التقليدية تنبع من العلاقة ما بين خط (Linear A) و (Linear B) والأبجدية المقطعية فى قبرص. وهذه الأخيرة ربما تنحدر من أخرى سابقة ربما تكون أكثر قِدمًا من النموذج الأصلى للنظامين الإيجيين السابقين. ويمكن أن يكون تصورنا كما يلى:



وتوجد دلائل من أحد القصور فى جنوب كريت فى فايستوس (Phaistos) تشير إلى وجود أحد أشكال (Linear A) الذى كان مستخدمًا فى خلال العصر المينوى الوسيط الأول (أ) عند نهاية الألف الثالثة(٤٣).

إن الفكرة التى تقول بأن خط (Linear A) ذاته كان قديمًا فى القرن ١٧ ، ١٦ تدعمها الحقيقة التى نعرفها بأن هذه الكتابة كانت مستخدمة للتعبير عن الكثير من اللهجات الإقليمية فى خلال العصر المينوى الوسيط الثانى (ب) حوالى عام ١٧٠٠ ق.م.

وهى الفترة التى وصلت إلينا منها معظم اللوحات التى صمدت أمام عوادى الزمن[٤٤].
فإذا كانت الكتابة الخطية الأولى (Linear A) قد نشأ عند التحول إلى الألف الثانية فإن نموذجه الأصلى الذى انحدر منه (Linear B) أيضاً لابد من أنه كان موجوداً فى الألف الثالثة. وفى هذه الحالة فإن أصل هذه الكتابة وكذلك المقطعية القبرصية لابد وأن يكون قد تطور بشكل جيد قبل ذلك أى فى منتصف الألف الثالثة وربما فى فترة أقدم. إن احتمالية تطوره قبل عام ٢٥٠٠ ق.م. تزداد من خلال الحقيقة التى تقول بأن الكتابة المسمارية التى تم تطويعها وتبنيها فى لغات عديدة . كانت مستقرة فى المشرق فى ذلك الوقت.

إن أكثر الافتراضات التى يمكن أن تلقى قبولاً هى أن أصل هذه الأبجديات المقطعية قد تطور فى مكان ما. فى منطقة مداها ما بين قبرص وجنوب الأناضول حتى كريت، وأن ذلك قد تم فى فترة تالية على تطور الكتابة التصويرية فى تلك المناطق، فى فترة قريبة من بداية عصر البرونز، وأن هذه الأبجدية المقطعية قد تم ابتداعها من أجل لغة – ليست مثل اللغة الاغريقية ولكنها أشبه بمعظم اللغات الأخرى مثل الأناضولية والكريتية السامية كما يفترض عالم الساميات سيروس جوردون (Cyrus Gordon) - لا تجعل ثمة تفرقه ما بين الحروف الساكنة المنطوقة وغير المنطوقة.

وهكذا فإنه على الرغم من نقص الأدلة فإن من المحتمل أن كلاً من الكتابة التصويرية والكتابة المقطعية، كانت مستقرة فى كريت فى فترة ما قبل القصور. وهذا يفسر لنا ظاهرة وهى أنه على الرغم من الفجوة الحضارية ما بين فترة عدم وجود القصور والفترة السابقة مباشرة على عصر القصور فى كريت، وعلى الرغم من التأثير الواسع من المشرق ومصر فى القرن الحادى والعشرين، فإن القصور الكريتية لم تأخذ بالكتابة المسمارية أو الهيروغليفية أو الهيراطيقية. إن هذا الشكل الذى يوحى بالتناقض من حيث المنطق التاريخى – فى المنطقة الهامة للكتابة – يؤدى إلى تأكيد فكرة رينفرد عن الاستمرارية الحضارية من أوائل العصر المينوى وحتى العصر المينوى الأوسط.

الرموز الدينية فى أوائل

عصر القصور فى كريت

إذا ما سلكنا طرقًا أخرى فإننا نجد مستجدات ذات دلالة فى عصر ما قبل القصور وأوائل عصر القصور. ومما يلفت النظر أنها ذات أصول شرقية أو مصرية. من بين هذه المستجدات الرموز الدينية. فنجد مثلا st (عقدة الكتف) و(الربطة) . ويجرى تضعيف هذه الأخيرة لكى تصبح Ded وهى عبارة عن حزمة وفقرات وضلوع مع nh> . إن عنخ علامة الحياة تمثل رباط صندل. والأقرب إلى الاحتمال أنها تمثل شكل فقرات الثور البرى (Taurochos) (ثور برى منقرض) [٤٥]. إن الاستخدام الواضح لرموز الثور الخاصة بالعبارة المصرية فى جزيرة كريت فى أوائل الألف الثانية يمكن أن نراه فى " قرون التكريس ". وهو رمز دينى استخدم بشكل بارز وأحيانًا يبدو استخدامه ذو طبيعة زخرفية فى الحضارة الكريتية فى عصر القصور. وقد ذكرنا عالما المصريات فى القرن العشرين وهما نيوبرى Newberry ، جايرت Gaerte أن ذلك قد جاء نتيجة للمزج بين رمزين مصريين هما (wpt) وشكل جبلين يقسمهما واد[٤٦]. إن هذا الدمج الواضح لهذين الرمزين الذى ظهر أولاً فى العصر المينوى الأوسط الثانى يبدو أنه كريتى ذو طبيعة محلية. ومن حيث المفهوم العام فإن الانصهار له جذور مصرية أقدم نجدها فى نصوص الأهرام التى دونت فى عهد الأسرة الخامسة والسادسة، فى القرون ٢٨ ، ٢٧ . ولكن من الواضح أنها ترجع إلى عهد أقدم. ولدينا فقرة تدل على هذا الإنصهار كما يلى: " إن هذين الجبلين قد انشطرا متباعدين . جاء هذا الملك إلى الوجود حاملاً القوة فى جسده[٤٧] ".

وترتبط Wpy بشكل واضح مع wpi (انفتاح – على وجه الخصوص انفتاح الرحم عند الميلاد). ويأتى الربط مع شكل الجبلين من خلال رمز آخر هو 3ht شكل الشمس فى الأفق ما بين جبلين، حيث تغرب الشمس وهو ما يرمز إلى فكرة الموت والبعث. ويمكن ملاحظة العلاقة بين الخلود وعودة النباتات إلى الحياه فى الديانة المصرية والمينوية المبكرة.(إنظر الفصل الأول). ويمكن أن نلاحظ مجموعة من الكلمات مثل 3ht

(فيضان) 3ht or 3ht (أرض زراعية) 3h (بركة البردى) 3h (يتحول إلى روح) وهى فى الجذر الاغريقى lakh (بمعنى خضره أو أخضر) [٤٨]. إن كلمة 3h3h (ينمو أخضر) ، ويبدو أنها اسم السهل المقدس فى إليوسيس. ولكن الاسم الأكثر شيوعاً هو أورجاس (Orgas)[٤٩] .

وتلقى فكرة الربط ما بين الرموز المصرية وقرون التكريس فى كريت معارضة من نيلسون (Nilsson) على الرغم من إقراره بوجود تماثل فى الشكل. ولكنه أشار إلى أن العلاقة المصرية هى رمز، بينما النماذج المينوية مجرد علامات دينية كانت تستخدم لتوضيح الأماكن أو الأشياء التى تكرس للعبادة. كما ذكر أيضاً أن الرمز الكريتى لا يرتبط فى حد ذاته بأى قدر من التقديس[٥٠]. وعلى أية حال فإن أحد الدارسين المحدثين وهو بارى باول (Barry B.Bowell) ذكر أن الأمر فيهما يتعلق بالجبلين قد يكون حقيقياً. ورفض اعتراضات نيلسون باعتبارها أكثر غموضاً[٥١]. ولدينا بعض الشك فى أن قرون التكريس أيضاً يمكن إضافتها إلى مجموعة الرموز الدينية التى وجدت فى كريت فى عصر القصور.

الأصول الأناضولية المحتملة

لعبادة الثور

وننتقل الآن من مناقشة فكرة القرون إلى عبادة الثور فى كريت فى عصر القصور. وذلك فى محاولة منا لمعرفة ما إذا كانت هناك احتمالية لمجيء هذه العبادة من عصر الدولة الوسطى فى مصر. إن الثيران حيوانات قوية ذات طبيعة جذابة. سواء كان ذلك لمظهرها أو عند النظر إليها باعتبارها رموز. ولهذا عرفت عبادة الثور فى أماكن كثيرة. ويبدو أنها كانت ذات طبيعة محلية فى تلك الأماكن. وعلى أية حال فإن كريت ذات الطبيعة الجبلية وهى تسمية جاءت من الكلمة المصرية K3yt (الأرض العالية) هى فى الواقع مكان ملائم للماعز والماعز البرية agrimi على وجه التحديد أكثر من كونها مكانا ملائماً للثيران[٥٢]. فإذا ما وضعنا هذه الحقيقة فى الاعتبار فإننا

ينبغي أن نتساءل من أين جاءت عبارة الثور إذن؟ وكالعادة فإننا عندما نحاول البحث عن أصل شرقي فإن الأصل المرشح هو الأناضول(٥٣). وعلى سبيل المثال فقد كتب "والتر بوركرت" (Walter Burkert) في كتابه الذي حاز القبول من الدارسين وعنوانه "الديانة الاغريقية".

إن ما تم العثور عليه في بلدة " كتال هويك " (Catal Huyuk) ويرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث يجعل من المستحيل أن نشك في أن الرمز ذو القرون الذي أطلق عليه إيفانز " قرون التكريس " ليس مقصوراً به قرون الثور بالمعنى المجرد. إن العدد الكبير من قرون الثور الحقيقية التي تم اكتشافها في أحد المعابد في " كتال هويك " هي عبارة عن تذكار تم إحرازه من خلال صيد الثيران. وجرى وضعه في فناء إحدى الربات في موقع يتوسط المسافة ما بين كتال هويك وكريت، وقد تم اكتشاف هذه المجموعة الآن. كما عُثِرَ على نماذج أخرى من التكريسات من قبرص يرجع تاريخها إلى نهاية الألف الثالثة ..... (٥٤) وبناءً على ما تقدم فقد راح هذا العالم يرتب لمسألة البحث عن أصل البلطة المزدوجة. إلا أنه عاني الكثير فيما يتعلق برغبته في البحث عن أصل عبادة الثور في كريت(٥٥). إن عبادة الثور في كتال هويك أمر مثير للاهتمام حقًا. إلا أنه فشل في الإشارة إلى أنها إزدهرت واختفت في الألف السادس ق.م. وهو تاريخ يسبق معرفة قرون التكريس في قبرص وكريت بثلاثة آلاف عام. ومن الجدير بالذكر أنه كانت توجد عادة – ربما بشكل متقطع – في مصر. وهي عادة وضع علامة على قبور الموتى من البشر، تتمثل في وضع رؤوس ثيران تبرز من الأرض. وكان ذلك يجري خلال الألف الحادي عشر ق.م. واستمر حتى أوائل عصر الأسرات في الألف الرابع(٥٦).

لقد ذكرت في مرات عديدة أن المرء لا ينبغي له أن يعطي اهتمامًا كبيرًا لفكرة استخراج الدليل من صمت المصادر. وأنه من الممكن أن يكون هناك استخدام ديني لقرون الثور في الأناضول لمدة ثلاثة آلاف عام. بدون أن يكون لدينا برهان، ولكن ينبغي لنا أن نستبعد الأناضول ليس فقط لأننا ذكرنا في الجزء السابق أن قرون التكريس ذات أصول مصرية كريتية. ولكن لأننا نستبعد الأمر كلية فيما يتعلق بعبادة الثور بشكل عام.

وهناك غياب كامل لأى رسومات لعبادة الثور خلال العصر الحجرى الحديث أو أوائل عصر البرونز فى كريت[٥٧]. بينما عرفت عبادة الثور فى قبرص فى نهاية الألف الثالثة. وخلال هذه الفترة فى بداية عصر القصور أصبحت الثيران ذات أهمية قصوى لشئون العبادة فى كريت.

الرعـــد والجنـــس

بـــان Pan ، ومـــين Min

و بـــاوزا B"ÄZÄ

فى هذا الجزء نحاول القيام برحلة بعيداً عن علم الآثار ، وذلك فى محاولة للبحث عن أصل محتمل آخر لعبادة الثور التى قفزت فجأة إلى الجزيرة فى القرن الحادى والعشرين والقرن العشرين ق.م. وقد ذكرت أنها لم تنحدر من أصول أناضولية ترجع إلى ثلاثة آلاف فقط ، بل إنها تنحدر من مصر من عصر الأسرة الحادية عشرة التى عاصرتها. وقبل أن نمضى فى الحديث عن عبادة العجل فى أوائل عصر الدولة الوسطى، فإننا يجب أن نُلقى نظرة على عبادة الثور فى أفريقيا وارتباطها بكريت.

ونبدأ بالحديث عن الإله المصرى " مين " (Min) وهو الذى يقابل الإله " بان " فى الديانة الاغريقية. وقد ذكر هيرودوت أنه قديم جداً وكان واحداً من الآلهة الثمانية الذين وُجِدوا قبل بقية الآلهة[٥٨]. كما أورد المؤرخ ديودور الصقلى فى القرن الأول ق.م. أسماء الآلهة الأثيوبية فى مروى التى كانت بمثابة المركز السياسى والحضارى العظيم فى أعالى النيل، على بعد مائة ميل من الخرطوم الحالية، وهى الآلهة إيزيس وبان وهيرا وزيوس[٥٩]. أما معاصرة الأصغر منه ونعنى به الجغرافى استرابون فقد ذكر أن أهل مروى كانوا يعبدون هيراكليس وبان وإيزيس وآلهة أجنبية أخرى[٦٠]. وسوف نحدد فى الفصل الرابع هوية هذه الآلهة بشكل محدد. إلا أن اهتمامنا الآن ينصب على الإله "بان" الذى يقابل الإله المصرى "مين " (Min) .

ترجع عبادة الإله " مين " إلى المراحل الأولى من التاريخ المصرى فى مدينتين تقعان فى الجنوب هما قفط (Koptos) وإخمين (Akhmin) وعلى آية حال فإنه منذ أوقات مبكرة جداً كان اسم مين (Min) ينطق مينو (Minw) ويرتبط بالنوبة وهى البلاد التى تقع أعلى النيل بعد مصر وبلاد بونت وهذه البلاد الأخيرة تقع بعيداً فى شرق أفريقيا إلى الجنوب ويتم الوصول إليها عن طريق البحر[٦١]. وفى عصر الدولة الوسطى كان يُطلَق على مين اسم "الفتى الغريب". ومن الواضح أنه قد جاء من الجنوب[٦٢]. وقد ارتبط مين فى النصوص البطلمية بـ ;Md وهم قبائل البجة (Beja) الذين كانوا يعيشون فى صحراء شرق النيل فيما يُطلَق عليه جنوب مصر وشرق السودان. وما يزالون يستوطنون هذه المنطقة فى عصرنا الراهن. وفى بلاد بونت كان يُنظَر إلى هذا الإله باعتباره المسئول عن توزيع مواد الرفاهية التى تأتى من المنطقة الاستوائية، ويفترض عالم المصريات الفرنسى " شاسينا " (Chassinat) وآخرون أن هؤلاء البجة كانوا يقومون بدور الوسيط التجارى ما بين شواطئ البحر الأحمر ووادى النيل[٦٣].

ومما يستلفت النظر أن الإله " مين " كان يرتبط بالخصوبة والإنماء فى مصر، وهو أمر لا يتفق مع كونه معبوداً للصحراء. إننى أعتقد أنه يمكن التوفيق بين هذين الأمرين عندما نقارن بينه وبين عبادة الإله ,Bʷäzä فى شرق إفريقيا. وهو الإله الذى يمثل قوة الاخصاب التى تتجسد فى الرعد الذى تعقبه الأمطار وإذا ما استثنينا اليزيديين والعلويين فى سوريا والعراق، فإن الحالة الوحيدة لغير المسلمين والمسيحيين نجدها تتمثل فى سكان جنوب وسط إثيوبيا، حيث الجوارج (Gurage) وهم الوثنيون الوحيدون الذين يتحدثون بلغة سامية. وما يزال Bʷäzä أو Bazo يُعبَد بين ربوعهم. وذلك بسبب قوته الطاغية وقدرته الجنسية. وذلك ما تعكسه الأنشودة التالية:

أى بازو هل يوجد مكان لم تذهب إليه

أو منزل لم ترتاده

فتردى الأب والأبن

وتهرب مع الأم والابنه؟[٦٤]

ومما يثير الفضول هذان المظهران المتناقضان اللذان ينعكسان بشكل جلى فى التركيب الاتيمولوجي (B"āzā) ذاته . فهو يأتى من الجذر السامى أو الأفروآسيوى

الذى يرد فى اشكال متعددة قسمها ديفيد كوهين David Cohin المتخصص فى المعاجم إلى قسمين من أقسام تطور الدلالة اللغوية . هما Split (يمزق) ، Divide (يقسم) ، distribute (يوزع) ، من ناحية ، inflate (يضخم) ، Inseminate (يبذر الحب) ، abound (يكثر) من ناحية أخرى[٦٥].

وسوف أناقش فى الجزء الثالث مسألة ورود (B"āzā) فى الحضارة الكنعانية فى شكل (Bo'az) . وفى كتاب روث (Ruth) نجد أن هذا الاسم كان يُطلَق على أحد أقارب نعومى (Naomi) الذى كان ارتباطه بالخصوبة واضحًا من خلال قصة زواجه من روث فى مخزن الغِلال خلال موسم الحصاد فى بيت لحم "بيت الخبز "[٦٦]. إن المظهر الذى يبعث على الرهبة (مثل الرعد) لـ (B"āzā) يتفق مع ما جاء فى العهد القديم من إطلاق اسم (B?'az)على أحد العمودين فى مدخل معبد يهوه، وربما يكون (Bo'az) أيضًا إسما لأعمدة معروفه كانت توضع أمام معابد الكنعانيين الأخرى[٦٧]. إن عادة وضع أعمدة قائمة بشكل مستقل أمام المعابد لها ما يقابلها فى عبادة (B"āzā) عند الجوراج (Gurage) . ومن الملاحظ أن كهنة (B"āzā) يُطلَق عليهم اسم (Maga) . وهو أمر يستلفت النظر ولكنه يرتبط بشكل غامض بالكلمة الايرانية ماجى (Magi) . التى تعنى تقسيم قطع صغيرة من خشب الأشجار التى ضربتها الصاعقة. ثم وضعها على الأرض بالقرب من المدخل أو خارج كوخ، ويفسر عالم الانثروبولوجيا وليم شاك (Willi-am Shack) هذا الطقس بأنه يرمز إلى أن الأرض أو الممتلكات التى توضع عليها تلك الأخشاب هى أرض مباركة ينبغى على الجميع احترامها والا تعرضوا لانتقام (Boza) [٦٨]. و هذا النوع من الإضاءة الروحانية يبدو بمثابة الدليل. وهو ذات النمط الذى نجده أيضًا لدى الجوراج (Gurage) ومثل هذه الحاجة إلى الوقاية من الشرور وذلك التقديس الخلاق فى العبادة السامية الغربية يمكن أن نلاحظه فى أنشودة من أوجاريت. وكذلك فى ملاحم الإله بعل الذى يعاقب بلا رحمة، ولكنه فى نفس الوقت يقوم باخصاب الأرض مثله مثل العاصفة إلى تجذب الأشجار وتهددها[٦٩].

وربما يكون هناك ربط يلفت النظر ما بين كريت وهذه العبادة. وقد كتب كليارخوس (Klearkhos) أحد تلاميذ ارسطو. أنه خلال القرن الخامس ق.م هزم أهل تارنتون (Tarenton) فى جنوب إيطاليا مدينة تقع إلى جوارهم وهى مدينة كاوسينا Kausina . وكان يسكن في هذه المدينة قوم يطلق يابيجيس (lappyges) عُوقِبَ المقهورون بأن فُرِضَ عليهم أن يؤدوا طقس الإضاءة، وقد اعتاد أهل تارنتون أن يقوموا بوضع أعمدة أمام مداخلهم، وأن يقدموا الأضاحى أمام الأعمدة للإله زيوس (Kata-baites) (المنحدر). ويرى كوك A.B.Cook العالم الإنجليزى المتخصص فى الدراسات الكلاسيكية بعد مناقشته لهذا النوع من العبادة أننا يجب أن نشير بأصبعنا إلى كريت. وقد أعطى كليارخوس بعض التفصيلات لكي يؤكد فكرته الإسطورية بأن الـ (lapyx) هى الأصل لـ (lapyges) وأن مصدرها كريت[٧٠]. ويُضيف كوك أيضًا أن الصاعقة التى يستخدمها زيوس (Katabaites) يمكن أن تكون راجعة إلى البلطة المزدوجة ويعتقد كوك أن البلطة المزدوجة ترمز إلى زيوس (Katabaites)[٧١].

ويمكن أنْ نلاحظ وجود تصوير للبلطة المزدوجة في بلاد الرافدين فى الألف الرابع. إلا أنه لا توجد إشارة إلى معناه الدينى. وعلى أية حال وكما أشرت فى الفصل الأول فإنه يبدو أنه كان يوجد عبادة للبلطة المزدوجة في مصر فى العصر العتيق[٧٢]. وإذا ما أخذنا بفكرة كوك فإن أحد الأغراض الدينية للبلطة المزدوجة في كريت – لأن بعضها كان يمثل دعامة للسقف بينما بعضها الآخر لا ترتبط بالمبنى – هو ما تقوم به الأعمدة عند الـ lapygi من إبعاد خطر الصواعق الطبيعية أو الروحانية. وسوف نرى فيما بعد كيف أن شكل البلطة المزدوجة يشبه إلى حد كبير صاعقة زيوس. وهكذا فإننا نرى أن استخدام الجوراج (Gurage) للأخشاب المأخوذه من الأشجار التى ضربتها الصاعقة (Sana) كان الغرض منه توفير الحماية من (Bʷäzä) . كما أن البلطة المزدوجة ترمز إلى الحماية من الصاعقة، وليس من الواضح ما إذا كان للإله آمون النظير المصرى للإله زيوس ارتباط بالصاعقة أم لا. وعلى أية حال فإن الإله مين (Min) الذى ارتبط بكل من آمون ومنتو (Mntw) من فترة مبكرة له ارتباط بالصاعقة التى كان يرمز إليها بالشكل .-.,Hm .وقد استخدم هذا الشكل فى اسماء مدينتين ترتبطان بهذا الإله وهما أخمين (Akhmin) (بانوبوليس Panopolis) . ومدينة قفط Koptos وربما استخدم

أيضًا في اسم المديرية التاسعة في مصر العليا التي عرفها الاغريق باسم خيميس (Khemmis) . إن دلالة هذه العلاقة الغامضة التي يرجع تاريخها على الأقل إلى عصر الأسرة الأولى (٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م) هو أمر مبهم إلى حد كبير، ويطلق جاردنر Gar-diner على هذه الظاهرة اسم The Two fossil belemites وقد ذكر أن أقدم (نماذج لهذا الرمز) تشبه إلههم ذا الرأس المزدوج(٧٣). ويرى عالم المصريات " وين رايت " (G.A.Wainwright) أن الرمز (Hm) أصبح يمثل رمز الصاعقة أخذه الإله " مين " بعد الاندماج الذي تم بين عبادة الثور وعبادة الكبش الإله الصاعقة(٧٤). ويصعب تفسير هذا الأمر من خلال نظريات التاريخ الطبيعي المعاصر ولكن يمكن تفسيره في مصر وبلاد اليونان بأنه يمثل شكل الصاعقة. ففي بلاد اليونان نجد أشكال زيوس خلال العصر العتيق يوجد بها الصاعقة في يد وفي اليد الأخرى صولجان يشبه شكل الصدفة(٧٥). إن الرمز Hm الصاعقة المزدوجة تشبه أشكالاً من القرن السابع لزيوس وهو يتأهب لإرسال الصواعق(٧٦).

ومن الجدير بالملاحظة أنه بينما كانت لدى الكثيرين من الآلهة المصرية رايات فإن الإله مين هو الوحيد الذي كانت تقام أمام معابده أعمدة خاصة لأداء الشعائر. ولهذه الأعمدة أشكال تتخذ رأس الثور أو قرونه، التي ترسم مع الشكل المخروطي كما سبق أن ذكرنا. والحقيقة أن دلالة الشكل المخروطي تبدو غامضة ربما تمثل عصا الراعي. أو صدفة متحجرة أو إحدى الرخويات المتحجرة - وعادة ما تكون بدون رأس. أو الحية الملتفة التي يمكن النظر إليها على أنها تأخذ شكل الصاعقة. إن كلمة الصدفة المتحجرة (ammonite) قد جاءت من اسم آمون Amon . ومن المؤكد أن الكثير قد لاحظوا في التماثيل الارتباط الواضح ما بين قرون الكبش رمز الآله آمون وبين شكل الصدفة، وذلك حتى قبل أن يطلق دارسو العصور الوسطى على الحفرية اسم Cornu Ammonis التي جاء منها الاسم الحديث(٧٧). إن Bt يمكن أن ترمز أيضًا إلى الرحم وعادة ما تكتب T ، وهنا فإنها يمكن أن تمثل الشكل اللولبي أو التيه Laberinth(٧٨) .

وهناك أيضًا دلالة تستلفت الانتباه ، وهي أن العلاقة المزدوجة (Hm) يمكن أن تستخدم بأشكال متشابهة، وعلى الرغم من أن كلمة hm (معبد) ، hm (شكل مقدس) تشاهد مكتوبة فقط منذ عهد الدولة الوسطى فإن هناك إحتمالية أن يكون المقطع (hm)

يعني مقدس، وأن هذه العلامة المزدوجة ذات قوة مقدسة قد جرى استخدامها كرمز عام للطهارة أو القداسة، وأن هذا الاستخدام تم بطريقة أكثر من تلك الطريقة التي استخدم بها البلطة المزدوجة في كريت[٧٩]. وينهض ذلك دليلاً على احتمال أن تكون الشعائر الخاصة بالبلطة المزدوجة التي وجدت في عصر ما قبل الأسرات وعصر الدولة القديمة في مصر، عبارة عن تطور أو اشتقاق للـ Hm الذي أصبح مصدراً هاماً إن لم يكن أهم المصادر على الإطلاق للبلطة المزدوجة في كريت.

وإذا ما رجعنا إلى الإله " مين " فإننا نلاحظ أن عالما المصريات جوتيه Gauthier و شاسينا (Chassinat) اللذان درسا عبادة الإله " مين " حاولا أن يشرحا مظهرين لهذا الإله، فهو كإله للبرية والاخصاب للأرض الزارعية بدأت عبادته في بلاد بونت المدارية. وأنها انتقلت عبر الصحراء الشرقية إلى صعيد مصر. حيث إندمجت مع إله الخصوبة القديم في قفط وهو K3mwt.f (ثور أمه)[٨٠] فإذا ما تم هذا الاندماج بالفعل فلابد وأن ذلك قد حدث في الألف الرابعة. حيث توجد تماثيل للإله " مين " في قفط يرجع تاريخها إلى ما قبل بداية عصر الدولة القديمة[٨١]. وفي هذه الحالة فإننا يجب أن نتجنب أن نصدر أحكاما مسبقة بشكل خاطئ. وأن نتفق ببساطة على أن عبادة إله على شاكلة الإله " مين " لابد وأنها كانت منتشرة على نطاق واسع في شرق أفريقيا، وأنّ هذه العبادة عرفت أيضاً في مصر العليا وارتبطت بتربية الحيوانات. وفي الأماكن المطرة فإن هذه العبادة لابد وأنها تميل إلى الارتباط بخصوبة المحاصيل. أما في الأماكن الجافة فإنها ترتبط بالرعد الذي لا يؤدي إلى سقوط أمطار في تلك الأقاليم. كما أن الإله مين له ارتباط خاص مع البلاد الجبلية التي يعيش بها الأجانب[٨٢].

ومما لا شك فيه أن الحيوان الرئيسي للإله من هو الثور الذي لم يكن يطلق عليه K3mwt.f فقط بل كان يطلق عليه أيضاً K3nfr (الثور الجميل) وكذلك يطلق عليه K3 nht (الثور الجبار). وكان يُصَوَّر في بعض الأحيان مُزوداً بقرون[٨٣]. وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن عضو التذكير ذو الحجم الكبير فيه لا يبدأ من منطقة ما بين الفخدين وإنما من البطن. وعلى الرغم من ذلك فكلما ذكر عالم المصريات الألماني " إبرهارد أوتو " أنه يوجد دائماً (صلة نسب أساسية) ما بين الإله " مين " والكبش رمز الإله آمون[٨٤]. فقد ارتبط هذان الإلهان في طيبة منذ عصر الأسرة الحادية عشرة.

وفى عصر الدولة الحديثة يبدو أن ثمة إندماج وقع ما بين الإله آمون ورع والإله "مين" فى الكثير من العبادات. وأتخذا شكلاً واحداً يقوم على التركيز على عضو التذكير[٨٥] .

وفى الحقيقة أن تصوير الإله الاغريقى " بان " (Pan) فى شكل الماعز يمكن تفسيره كنتيجة للاندماج مع الإله آمون (الكبش - الماعز). إن ارتباط الإله بأن بالإله مين يمكن تاكيده ليس فقط من خلال الإشار إلى عضو التذكير ذى الحجم الكبير فيه، وارتباطه بخصوبة الحيوانات وكونه يعيش فى البرارى فقط، ولكن من خلال الملامح الزنجية التى كان يصور بها هو ورفاقه الساتير (Satyrs) أيضًا. أما اسمه المصرى ومكانة والدته من الناحية اللاهوتية ونعنى بها كالستو (Kallisto) . فهذا ما سوف نناقشه فى الجزء الرابع من هذا الكتاب.

وفى أوائل القرن ١٩ جاء عند الشاعر الرومانسى نيبور (Neibuhr) وكذلك عالم الميثولوجيا يوهان هينريش فوس (Johann Heinrich Voss) أن اسم بان ينحدر من الأصل الأوروبى Pa(s) (بمعنى يحرس أو يحمى). وهو الأصل الذى جاءت منه الكلمة الانجليزية Pasture (مرعى) أو Pastor (راعى)..... الخ[٨٦]. ويرى عالم الكلاسيكيات السويسرى فيليب بورجود (Philippe Borgeaud) الذى ألف كتابًا عن الإله بأن أن وجهة نظر فوس يمكن تأكيدها من خلال النصب الذى اكتشف فى القرن السادس، والذى كرس للإله بان وأطلق عليه اسم " باونى " Paoni ، ويعتقد بورجود أن هذا الاسم الأخير قد جاء من (Pawon) وهو فى الأصل Pa(s)on . حيث يرد حرف s المطلوب[٨٧]. إلا أن شانترين (Chantraine) يتشكك فى هذا التفسير. ويرى أن الأصوب هو الأخذ بالاقتراح الذى نادى به العالم الهولندى " روج" (C.H.Ruijgh) والذى يقول بأن اسم "بان" يرجع إلى ما قبل العصر الهللينى (Pre-Hellenic) . وهو شكل أخر للاسم (Paiaon) الذى ينظر إليه باعتباره اسمًا قديمًا للإله أبوللو[٨٨]. إن العلاقة بين إيون Ion ، إيوان Iaon، بايون Paion ودلالة إنحدارهما من الكلمة المصرية (iwn) أو p3 iwn التى تعنى أجنبى هو أمر قد ذكرناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب[٨٩]. إن هذا الوصف نجده ملائمًا للإله بان ذى الطبيعة البرية.

وعلى أية حال فإنه لا يبدو أن هذا هو المصدر الوحيد لهذا الاسم. فإن اختصار Paiaon إلى (Pan) ربما كان بتأثير حالات التورية ذات الشكل الغامض التى كانت تزخر بها حضارات شرق البحر المتوسط[٩٠]. وأول هذه الأشكال يأتى من الكلمة الاغريقية) Panجميع - كل شىء) وهناك شكلان آخران ربما كانا مصريان يربطان الإله بان بالإله مين. ويمكن إرجاعهما إلى P3hm وهناك احتمال آخر وهو الأقوى ، وهو أن تطور اسم الإله Pan قد تأثر بالكلمة المصرية) P3 imأنين). وأن المقطع الصوتى الذى يأتى من الكلمة الاغريقية (Pan) ، Panos (سمكة نيلية) يأتى من الكلمة المصرية p3 (السمكة)[٩١]. وفى ضوء على دلالة الألفاظ (Semantics) يوجد تشابه ما بين كلمة P3im (أنين)، (أين) وكلمة (خشب) . التى ترتبط بالإله أوزوريس حيث يرد تصويره فى المناظر الميثولوجية على شجرة[٩٢]والواقع أن الربط ما بين الاسم المقدس والأنين يمكن ملاحظته أيضًا فى اسم باكوس (Bakchos) الذى انحدر من الكلمة السامية Bakui (النادب - النائح). وكذلك نظيره بنيثوس (Pentheus) فى الهندية الأوروبية (بمعنى النائح أيضًا)[٩٣]. إن الربط ما بين الإله بان والأنين يمكن ملاحظته فى الكلمات Panismos, Panikos (ذعر - رعب). وقد جعل بلوتارك هذا الربط واضحًا فى قصته عن " ثاموس" (Thamus) . فمن الواضح أن ثاموس هو دموزى أو تموز. الإله الذى عرف فى بلاد الرافدين وسوريا، وكانت مهمته أخصاب المحاصيل والقطعان التى كانت تنوح فى كل عام على موته قبل الأوان[٩٤]. وفى كل الأحوال فإن تموز هو نظير الإله المصرى أوزوريس. وطبقًا لما ذكره بلوتارك فإن ثاموس قد تلقى تعليمات بأن يذهب فى قاربه إلى (Palodes) وأن يهتف قائلاً " بان العظيم مات ". وقد فعل ذلك "وحتى قبل أن يفرغ إنطلقت صرخة عظيمة من الألم. لم يكن مصدرها شخص واحد فقط. وقد امتزجت هذه الصرخة بالتعجب والذهول"[٩٥].

مين ومينوس

لنمض قدماً فى الاستطراد عن العلاقة بين الثور المصرى (Lecherous) (الماجن) والماعز الاغريقية Lecherous (الماجنة) التى ترتبط بالإله بان. وعلينا أن نحاول إلقاء

نظرة على احتمال تواجد الإله المصرى " مين " فى عالم بحر إيجه تحت اسم مينوس (Minos) .

وطبقًا لما جاء فى رواية إغريقية يرجع تاريخها إلى عصر سابق على عصر الشاعر هيسيود، فإن مينوس كان ملكًا ومشرعًا فى كريت " إنه الأكثر جلالة من بين الملوك الفانين"(٩٦). كما أشار إليه هوميروس أيضًا باعتباره قاضيًا فى عالم الموتى، وهو ما يجعله نظيرًا للإله أوزيريس من وجهة النظر المصرية، وفى عهد الدولة الحديثة كان ينظر إلى الإله آمون باعتباره مظهرًا أو على وجه التحديد هو b3 أو روح أوزوريس(٩٧). ويحتوى أحد النصوص من كتاب الموتى الذى يرجع إلى القرن السابع ق.م. (العصر الصاوى). على ابتهالات للإله آمون الذى كان فى ذلك الوقت قد إندمج مع اوزيريس باعتباره قاضيًا للبشر بعد الموت(٩٨). وطبقًا لهذا فإن مينوس الكريتى يماثل كلاً من أوزوريس وآمون. وهو أيضًا يماثل " مين " وذلك من خلال إندماج " مين " مع آمون.

وفى الفصل العاشر يوف آخذ فى الاعتبار الافتراض الذى اقترحه أولبرايت (Alb-right) بأن الكلمة المصرية (Mnws) استخدمت للدلالة على البلاد الأجنبية. مما يجعلها قابلة لأن تُطلَق على جزيرة كريت من خلال كلمة Minos . وسوف أنظر أيضًا فى إمكانية أن يكون (Minos) أيضًا مرتبطًا بـ (M3nw) الجبل الذى تغرب فيه الشمس، وهو الذى ارتبط به رع Ra الذى إندمج أيضًا مع الإله آمون(٩٩). ومن سوء الحظ أننا لا نعرف كيفية نطق (M3nw) لذا فإن تأكيد صلتهم بـ Minos يظل أمرًا لا نستطيع حسمه، وبخاصة لأن الاسم الاغريقى لم يُشْر بشكل مباشر إلى جزيرة كريت ولكنه أشار فقط إلى ملكها الاسطورى.

ويوجد تفسير أكثر قبولاً لأصل كلمة مينوس (Minos) وهو أنه ينحدر من اسم أول فرعون مصرى وهو الملك مينا Mn (حوالى عام ٣٤٠٠ ق.م) الذى عُرِفَ من خلال الشكل الاغريقى Menes) .ولكن هيرودوت قبل ذلك بعدة قرون أطلق عليه اسم Min (١٠٠) . وهناك صعوبة ينبغى أن نأخذها فى الاعتبار، فإن القائمة الرسمية لملوك الدولة الحديثة استخدمت شكلاً واحدًا للأسماء (الاسم النبتى) الخاصة بالملوك الأوائل

فى الأسرة الأولى. بينما كان المعاصرون يذكرون الملك الحى باسم آخر وهو الاسم الحورى. وهكذا فإنه على الرغم من أن الاسم النبتى Mni يظهر فى قائمة الملوك فإن اسم Mn عُثِرَ عليه فقط فى واحد من نقشين معاصرين. لذا فإن الصعوبة تكمن فى إننا لا نعرف بأى أسماء حورس يرتبط. إن كلاً من جاردنر (Gardiner) ولويد (Lloyed) على صواب فى القول بأن (Mn) هو الفرعون الأول. وأن اسمه الحورى هو " نرمر" Narrmer [١٠١].

وعلى أية حال فإن هذه المشكلة لا تعنينا طالما أن الاسم استُخْدِمَ بوضوح من قبل هذا الفرعون البارز فى الاسرة الأولى، وفى العصور التالية اعتُبِرَ على النطاق العام هو مؤسس عصر الأسرات ، ومن المحتمل أيضًا وجود تورية مع كلمة mn (يؤسس - يَدْعم) ويمكن أنْ تُستَخدم كفعل متعدى (transitive) لكى يعنى " يؤسس "، وفى هذه الحالة ومن هذا المنطلق فإن مينوس الكريتى من الممكن أنْ يكون لقبًا للمؤسس المحلى الذى قام لعملية التوحيد[١٠٢]. وفى العصور الكلاسيكية يبدو أنه كان يُنظَر إلى (Mn) ليس باعتباره الفرعون الأول. بل على أنه الرائد فى مجال الحكومة المستقرة فى أى مكان. وقد رأى ديودور تماثلاً واضحًا ما بين (Mn) ومينوس الكريتى. وطبقًا لما جاء عنده فإن الملك المصرى هو:

ليس عظيمًا فقط فى روحه ولكن أيضًا فى حياته فهو الأكثر حيوية من بين كل المشرعين المعروفين، وطبقًا للرواية المتداولة فإن الإله هوميس هو الذى منحه القوانين لتأكده من أنه سيكون سببًا لبركات عظيمة، وكما حدث لدى الإغريق فى حالة مينوس فى كريت وليكورجوس بين اللاكيدايمونيين. فقد تسلم الأول قوانينه من زيوس أما الأخير فقد وهبها له الإله أبوللو[١٠٣].

وطالما أننا بصدد الحديث عن عبادة الثور فى كريت فإن هناك رواية قديمة تربط ما بين (Mines/Min) والثور. فقد ذكر الكاتب الرومانى آيليان (Aelian) فى القرن الثانى والثالث أن مينيس (Menes) هو الذى أسس عبادة العجل أبيس[١٠٤]. بينما جاء عند المؤرخ المصرى مانيثون أن هذه العبادة نشأت فى عصر الأسرة الثانية ، إلا أن هذا الرأى يمكن وصفه من خلال ورود أشارة إلى هذه العبادة من عهد فرعون من الأسرة

الأولى هو rh[١٠٥] . وبالإضافة إلى ذلك توجد العديد من الارتباطات ما بين (Mines/ Min) وكذلك nfr / Mn من ناحية ومنف (Memphis) مقر عبادة العجل أبيس[١٠٦].

وهكذا يبدو أن هناك سبباً قوياً يدعونا إلى الأخذ بما قال به آيليان وحتى برغم أن هذه العبادة قد تم تأسيسها فى فترة سابقة على هذا الكاتب بثلاثة آلاف عام ، فإن هذا أمر بالغ الأهمية لأننى اعتقد أنه ينير لنا الطريق ، وهو يعد نموذجًا لقوة واستمرار مثل هذه المعتقدات التى صمدت لهذا المدى الطويل. وفى كلمات موجزة فإننا إذا أخذنا التشابه فى الاسم، والربط بين العجل وصورة الحاكم المصرى كمؤسس سياسى فإنه لس من المستبعد أن نعتقد أن اسم (Minos) كمشرع وقاض للموتى قد جاء من (Min / Menes) .

ولكن على أية حال فإن (Menes / Min) ليس هو المصدر الوحيد فإنه يوجد على الأقل مصدران آخران. وأولهما هما (Menevis) ، وفى النص الذى أخذناه من ديودوروس وأشرنا إليه من قبل يشير الكاتب بوضوح الى Menes ، ولكن الاسم الذى استخدمه هو (Menevis) ، وهذا هو الاسم الاغريقى للعجل الذى كان موضع التقديس فى مدينة اون (iwn) أو هليوبوليس (Heliopolis) وهى الآن إحدى ضواحى القاهرة، وهو ما أشرنا إليه فى الجزء الأول من هذا الكتاب[١٠٧]. ومن الجدير بالذكر أن اسم العجل يكتب بالمصرية Mrwr (mr العظيم). وفى أحد نصوص التوابيت من الدولة الوسطى يرد فى شكل Nmwr [١٠٨] . وفى اوائل القرن العشرين ذكر عالم الآثار الألمانى كورت سيت (Kurt Sethe) أن اسم Menevis ينحدر من الشكل المصرى (Mnewe) ، وهو الأمر الذى تأكد منذ ذلك الحين من خلال اكتشاف كتابة لـ (Min) منذ وقت ليس ببعيد[١٠٩].

وفى الحقيقة يوجد قدر كبير من التداخل فى اللغة المصرية ما بين ثلاثة من الأصوات الساكنة هى Mn , Mr وكذلك nm ، ويجب أن نلاحظ أن المقطع ls فى الأسماء السامية كان يجرى كتابته فى اللغة المصرية بدون تفريق فى شكل r.3. وأفضل نموذج لهذا هو الاسم المصرى Kbn المعروف لسكانها من ذوى اللسان السامى باسم

جوبلا Gubla ، والتى يعرفها الإغريق المتأخرون باسم بيبلوس Byblos [١١٠]. فإن هذه الأصوات الثلاثة أى nm , mn , mr فإنها تعنى مصارعة الثيران، وإذا ما ابتعدنا قليلاً عن كلمة Mni فإننا نجد كلمة mniw (رُعَاة) ، mn't (البقرة الحلوب) ، وكلمة mnmnt (قطيع) وكلمة Mnmnmwt.f (ثور أمه) كان أحد ألقاب من. كما أن كلمة (Nmiw) تشبه إلى حد كبير كلمة ,mniw (بدوى) [١١١]. وكذلك نجد أن كلمة Nmnm تعنى يهتز كما هو الحال مع كلمة mnmn ، إلا أن الكلمة الأولى تدل على معنى الذهاب والإياب مثل حركة القطعان. ومما يستلفت النظر أن المعنيين لكلمة nmi (ينتقل) أو (يتحرك فى شكل دائرى) فى اللغة المصرية المتأخرة، وكذلك (خوار الماشية) إن كلتاهما تحتوى على الشكل. وهو الشكل الذى اعتقد جاردنر لأسباب لا نعرفها أنها ينبغى أن تقرأ مثل المقطع الصوتى nm . وعلى أية حال فإن العلاقة ذاتها تأتى فى كتابة mrrt (شارع) وفى اسم منفيس العجل . Mrwr ، ونلاحظ ورود المقطع nm ومعنى " الحوائط الملتفة" معا فى اللغة المصرية المتأخرة nmr (يسقط الأسوار). إن العودة إلى علم الدلالة للأصل المصرى nm فى اللغة الاغريقية يبدو جليا فى المعانى التى تحيط بالجذر (nom) والذى يمكن أن نجده فى كلمتى nomadites (بدو) ، nomos (قانون) وهذا ما سوف نناقشه فى الجزء الثالث[١١٢].

فإذا ما وضعنا كل ذلك جنبًا إلى جنب فإننا نجد توازيا ذا ثلاثة أبعاد: ففى مصر توجد عبادة العجل مرتبطة باسم Mn وكذلك باسم الفرعون المؤسس واسم السور المحيط، وفى كريت توجد عبادة الثور وترتبط بالملك المؤسس وهو مينوس ويقصر اللابيرنث، ويمكن أن نجد هذا التوازى بشكل أشد قربًا فيما جاء عند آلان لويد Alan) (Loyed عالم الكلاسيكيات والمتخصص فى دراسة المصريات أيضًا، فقد أشار هذا العالم إلى أن الوصف الذى أورده استرابون عن المصارعة بين الثيران والذى جرى فى إحدى الساحات عند معابد أبيس وهيفايستوس (بتاح) فى مصر. يرجع إلى اعتقاد مصرى قديم يعود إلى عهد الدولة القديمة، ويبدو أنه يرمز إلى فكرة الصراع ما بين حورس وست[١١٣]. والواقع أن ترجمة كلمة (dromos) إلى الإنجليزية أمر صعب. فهو مكان للجْرى ولكن ليس له شكل محدد. فمن الممكن أن يكون مسرحًا دائريًا ، إلا أنه فى أغلب الأحيان يكون عبارة عن طريق عريض أو مضمار للسباق. تحيط به أسوار ذات

شكل دائرى. ويطلق على الثيران المتصارعة اسم (mry) وهو مقطع يرتبط بشكل واضح لـ (Mrwr) والأكثر دلالة من ذلك أن Mrwr / Mnevis كان يجرى تصويره أحيانًا فى شكل العجل، ولكن ربما كان ذلك في عصور متأخرة. أو على شكل رجل له رأس العجل، وهو بهذا يكون شبيهًا بالمينوتاوروس (Minotaurus) في قصر اللابيرنث[١١٤].

وهناك رواية قديمة تقول إن دايدالوس (Daidalos) هو الذى قام ببناء قصر اللابيرنث في كنوسوس على طراز مصرى[١١٥]. ومما هو جدير بالذكر أن أقدم استخدام معروف لكلمة لابيرنث هو ما جاء عند هيرودوت. ولم يكن ذلك إشارة منه إلى البناء الموجود فى كريت. وإنما إلى ذلك البناء الضخم الذى أقيم كمعبد جنائزى فى عهد أحد فراعنة الاسرة (١٢) وهو أمنمحات الثالث (١٨٥٩ - ١٨١٤ق.م) الذى وجد فى هواره الحالية على بعد بضعة أميال إلى الغرب من اللاهون فى مدخل الفيوم. وقد ظل هذا البناء الضخم قائمًا حتى عصر هيرودوت وربما شاهده أيضًا استرابون فى القرن الأول الميلادى[١١٦].

وينبغى أن نذكر هنا أن هاينريش بروجش (Heinrich Brugsch) عالم المصريات. الذى عمل لدى الخديو إسماعيل (حاكم مصر ١٨٦٦ - ١٨٧٩) ، وأصبح أستاذًا لعلم المصريات فى جامعة جوتنجن بعد شامبليون . كتب عملاً رائعًا هو القاموس الجغرافى لمصر القديمة : .Dictionaire geographique de l'ancienne Egypte تم طبعه فى عام ١٨٧٩، وفى هذا القاموس اقتراح أن تكون كلمة Laberinthos الاغريقية جاءت من الكلمة المصرية R-prR-hnt (بمعنى المعبد الذى يقع فى مدخل البحيرة) [١١٧]. إن صحة هذا الاسم ليست أمرًا مؤكدًا. ولكن (r-pt) هو اصطلاح شائع لكلمة معبد، أما كلمة (R-hnt) كانت اسمًا للإقليم الذى يسمى فى اللغة القبطية (Lehone) أو (Lihone) وهو الاسم الذى ما تزال تحتفظ به إحدى القرى وهى اللاهون، وللأسباب ظاهرة فإن هذا الافتراض لم يلق قبولاً فى العقود التالية، كما رفضه بشده جوتيه (Gauthier) فى ثلاثينيات هذا القرن فى القاموس الجغرافى الذى أعده[١١٨]. وفى بدايات هذا القرن تم تنمية الفكرة التى ترى أن اللابيرنث تنحدر من (R-pt-Rhunt) لكى تحل محلها فكرة تقول إن الأصل قد جاء من ليديا Lydia (فى آسيا الصغرى) متمثلاً فى كلمة Labrys

(البلطة المزدوجة) وأخذت هذه الفكرة تلقى المزيد من القبول عندما تتابع بشكل ملحوظ العثور على هذا الرمز فى كنوسوس[١١٩]. وكما سلف القول فإن البلطة المزدوجة كانت رمزًا دينيًا مهمًا فى كريت فى العصر المينوى، إلا أنه يصعب علينا أن نعرف لماذا يُطلَق اسمها على أحد المبانى، وفى كل الأحوال فإن اللغة الليدية أو أى لغة أخرى من الأناضول لم يتم التحدث بها فى كريت. إذن فمن المؤكد أنه لا توجد رواية تربط ما بين اللابيرنث وليديا. أما السبب فى وجود هذا الافتراض البعيد عن الحقيقة فيرجع إلى عدم الرغبة فى الاعتقاد بوجود أصول مصرية أو سامية، وهى الرغبة التى تسود بشدة بين الباحثين الألمان والبريطانيين بعد عام ١٨٠٨ ، بسبب تفضيلهم لفكرة الأثر الاناضولى الآسيوى على فكرة تأثير الشرق الأدنى.

وفى الجزء الأول من هذا الكتاب قبلت اقتراح بروجش Brugsch بأن R-prR-hnt هى أصل كلمة لابيرانث وهى الفكرة التى عمل على إحيائها عالم الساميات روبرت شتيجلتز Robert Stieglitz [١٢٠] ومازلت على اعتقادى بأن هذه الكلمة أثرت فى الشكل الاغريقى، وعلى أية حال فإننى الآن أفضل الأخذ بالتفسير الإتيمولوجى الذى أقره ماسبيرو (Maspero) وشبيجلبرج (Spieglberg) وآرثر إيفانز Arthur Evans والذى عرضه بشكل خاص المؤرخ H.R.Hall فى عام ١٩٢٠ ، ولكن قوبل بالرفض مؤخراً من قبل آلان لويد Alan Lloyed [١٢١] ، وذلك لأن أصل Labyrinthos توجد فى الاسك الأول للفرعون إمنمحات الثالث وهى (Ny-m3r t-Rr) بانى اللابيرنث المصرى الأصلى. وقد سلّم الكتّاب الكلاسيكيون بوجود Ny-m3r t-Rr فى أشكال مختلفة مثل Labaris , La-bares , Lamares, Mares [١٢٢] .

إن التوافق ما بين اسم مبنى اللابيرنث واسم الفرعون الذى أقيم من أجله يبدو بالنسبة لى أمراً ظاهراً، فإن المقطع (nthos) الواسع الانتشار من المعتقد أنه ينتمى إلى ما قبل العصر الهللينى. وله مصادر متعددة تشمل الشكل البسيط لإخراج الصوت من الأنف قبل الأصوات السنية (dental) . وفى بعض الأحيان كما هو الحال فى كلمة anthos (زهرة – نماء) فإننى أعتقد أنها جاءت من الكلمة المصرية ntr (النماء المقدس – فى مجال التوحيد) [١٢٣]. وهذا أمر ممكن كما هو الحال فى المقطع الأخير (inthos) الموجود فى كلمة (Labyrinthos) .

وكما أسلفنا القول فإنه توجد ارتباطات قوية ما بين اللابيرنث ومصر، وزيادة على ذلك توجد مؤثرات مصرية واضحة فى طريقة تشييد القصور الكريتية وزخرفتها، وعلى النقيض من ذلك تمامًا توجد اتصالات طفيفة ما بين كريت فى عصر البرونز والأناضول . بينما لا توجد علاقات بالمرة ما بين هذه الجزيرة وليديا. ولكل هذه الأسباب مجتمعة ، بالإضافة إلى الأسباب التى تستند إلى دلالات علم اللغة، فإننى أفضل الأخذ بفكرة الأصل المصرى لكلمة اللابيرنث عن الأصل الليدى.

وحتى لو سلمنا بأن اللابيرنث لم يأت من مصر. فإننا نجد أنه على الرغم من الخلط لدى الاغريق المتأخرين ما بين كلمة (dromos) الساحة المخصصة للثيران والمعبد الجنائزى وبين القصور الكريتية ذاتها، فإنه من الواضح وجود هذا التشابه البارز ما بين عبادة العجل فى مصر والعبادة ذاتها التى مورست فى كريت فى عصر القصور. ولا ينبغى أن نسأل أنفسنا أى العبادتين تطورت أولاً ؛ فإن الإجابة واضحة حيث أن هذه العبادة فى مصر يرجع تاريخها إلى الألف الرابعة، بينما عرفت فى كريت فقط فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. وقبل أن نمضى فى تحديد قضية كيفية الانتقال فإننا نعتقد أنه من المفيد أنْ نربط ما بين بعض المظاهر الميثولوجية المتشابهة.

إن مينوس الكريتى تتوفر فيه بعض الصفات التى لا تليق بالمشرع الوقور. فقد عُرِفَ عنه أنه كان يقوم بإغواء الحوريات واغتصابهن، وكذلك نساء البشر[١٢٤]. وفى هذا المجال فإننا يمكن أن نقارنه بالإله زيوس. ولكن مينوس لم يكن خالداً أو أنه يعلو درجة عن الفانين، فإن هذه الصفات ترتبط بالإله المصرى " مين" Hm (الصاعقة المزدوجة) والبلطة المزدوجة التى عُرِفَت فى كريت المينوية، بالإضافة إلى قصة ثور مينوس الشاهق البياض ، الذى حَظِىَ بإعجاب مينوس فجعله قائداً لقطعية ، وقام هذا الثور بتلقيح الزوجة باسيفاى (Pasiphai) التى إنجبت وراحت تتضرع إلى دايدالوس لكى يقيم لها بناءً. ومن خلال هذا المزج ولد المينوتاوروس (Minotauros)، ومن الملاحظ أن الإله العجل "مين" فى مصر كان له ثوراً أبيض كرُس من أجله. وكان يرتبط بكلمة K3mwt.f (الثور الذى لقح أمه). وهكذا كان للمينوتاوروس ابن مينوس وباسيفى ثور أبيض، ويمكن مقارنته بالإله مين، ويثير الانتباه أيضًا أن عبادة "مين" كانت تحتوى على بقرة مقدسة سوداء ihtkmt [١٢٥] . وإذا ما أخذنا فى الاعتبار التماثيل بين " مين " وآمون فى مصر

من ناحية، وبين زيوس ومينوس في كريت من ناحية أخرى. فإنه من المثير للفضول أن نشير إلى ما سبق أن ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب. وهو أن تكون إيو Io عشيقة زيوس قد جاء اسمها من iht (بقرة) [١٢٦]. إن التوحد ما بين الإله والفرعون اللذان يحملان اسم (Mines) لا يمكن أن يكون ظاهرة كريتية خالصة، فقد كانت هناك مناسبات في مصر أدت إلى أن يعبد الأثنان معًا. ففي العيد الأعظم للإله " مين " في طيبة كان يتم الاحتفال به في عصر الأسرة التاسعة عشرة (القرن ١٣ ق.م) وكان التمثال الذي يتم حمله في هذا الاحتفال هو تمثال Mines / Min [١٢٧].

وهكذا فإنه حتى لو لم يكن هناك ارتباط طبيعي ما بين الاثنين كما يدعي بعض الباحثين فإن الروح التي كانت سائدة لدى الأقدمين، والتي تميل إلى التورية لابد من وأنها قادت المتعبدين إلى أن يلاحظوا تلك الارتباطات الدينية الواضحة[١٢٨]. لذا فإنه من الواضح أنه تم وضع العجل منفيس (Mnvis) مع اللقب الملكي Menes / Min وكذلك الشخصية المقدسة من أجل تعويض النواحي الأسطورية في شخصية مينوس.

حالة الرافضين للتأثير المصري

إن البرهنة على التشابه ذي الطبيعة البارزة بين " مين " ومينوس هو أمر يتعلق بالدراسات الميثولوجية المقارنة أكثر من كونه متعلقًا بعلم الآثار. بالإضافة إلى ذلك توجد فجوة زمنية كبيرة ما بين الأساطير الإغريقية عند كريت التي تمتد ما بين العصر الجيومتري (Geometric) الخزفي الذي يمتد ما بين عامي ١٠٠٠ و ٧٠٠ ق.م والعصر العتيق ٧٧٦ - ٥٠٠ ق.م، وقد ظهرت عبادة الثور في القصور الكريتية منذ بضعة آلاف سنة أقدم من ذلك. وإذا ما وضعنا ذلك جنبًا إلى جنب فمن الممكن أن تجادل كارل أوتفرد موللر (Karl Otfried Muller) ومن أخذ برأيه ؛ لأنه يرى أن مظاهر التشابه بين كريت ومصر هي مجرد نتائج للعلاقات المتبادلة في الفترة المتأخرة ما بين الإغريق والأجانب والمصريين في مجال الديانة[١٢٩].

وعلى أية حال فإنه توجد عقبتان كبيرتان أمام مثل هذا التفسير. أولاهما هذا التداخل غير العادى ما بين تلك المظاهر المتشابهه، أما الثانية فهى تلك الحقيقة التى تقول أنه على الرغم من الروايات الكثيرة عن الأساطير التى تتصل بالملك مينوس ، والتى ظهرت فى فترة متأخرة. فإن هناك إشارات طفيفة فى أعمال كل من هسيود وهوميروس، مما يرجح أن هذه الروايات كانت معروفة فى عهدهم. وهكذا فإن الذين يؤيدون الفكرة التى تقول بأن هذه التشابهات هى مجرد اختراعات جاءت فيما بعد. وإذا كانوا على خلاف موللى صفًا واحد، فإنهم لابد من أن يرجعوا هـذا الاتصال إلى ما قبل القرن العاشر، وهو ذات الوقت الذى أرى أن هسيود ينتسب إليه، لأننى أعتقد أنه أقدم الشعراء[١٣٠]. وبناءً على هـذا يمكن القول بأن الاتصال الرئيسى لابد وأنه تم إما فى عصر الحضارة الموكينية حوالى ١١٥٠ - ١٠٠٠ ق.م. وهى الفترة التى تمثل فترة إزدهار نسبى فى علاقات الصداقة ما بين عالم بحر إيجه والشرق الأوسط ، أو أن يكون ذلك قد تم فى أواخر عصر البرونز. وفى هذه الحالة الأخيرة فإن الأمر يؤدى إلى نسج سلسلة من الادعاءات ، لأن مصر والشرق فى تلك الآونة لم يقتصر الأمر فيها على وجود طبقة من الكهنة المتعلمين، بل أيضًا لأن القصور الكريتية أو الموكينية فى تلك الآونة كانت ما تزال فى طور النهوض. وربما كانت لديها بعض السجلات التاريخية. ومع ذلك فإنه ليس هناك شك بأن اختلاق مثل هذه الأساطير كان أمرًا ممكنًا، وزيادة على ذلك فإذا ما أخذنا فى الاعتبار العلاقات القوية ما بين مصر وعالم بحر ايجه فى القرون ١٥ ، ١٤ ق.م. فإن المرء يستطيع أن يضع يده على مثل هذه الإدعاءات مما يؤكد الربط بين المنطقتين من أجل تأكيد سمو مصر وعلو كعبها المسبق على الشمال.

وعلى أية حال فإنه توجد لدينا دلائل إضافية تؤكد هذه الفكرة البسيطة التى ترى الأساطير تعكس بعض الحقائق التاريخية، مثل تلك الحقيقة التى تقول بأن القصور الكريتية قد تطورت كنتيجة للتأثير القادم من الشرق الأدنى، وأن عبادة العجل التى لعبت مثل هذا الدور الهام فى تلك القصور قد جاءت من مصر على وجه الخصوص، وتحديداً فى الوقت نفسه وهو القرن الحادى والعشرين ق.م.

مونت Mont

و رادامانثيس Rhadamanthys

وحتى يمكننا أن نتفحص هذا المصدر الآخر، فإنه من المفيد أن نحاول التعرف على أحد الأخوة الأسطوريين لمينوس. وهو الملك رادامانثيس، ويميل روبرت جريفز (Robert Graves) إلى القول بأن هذا الاسم جاء من Rhabda Mantis (ذلك الذي يحكم بالصولجان) ، إن هذا الاسم أميل إلى أن يكون أسماً مصدره كاريا(١٣١). ومن ناحية أخرى فإن شانترين (Chantraine) يرفض هذه الفكرة وكل الافتراضات الأخرى باعتبار أنه ليس هناك ما يؤيدها ، وأنني أعتقد أنه يمكن للمرء أن يرى بشكل إيجابي أن هذا الاسم قد جاء من الكلمة المصرية Rdi Mntw (Mntw أو Mont بمعنى ذلك الذي وهبه مونت أو منتو). وعلى الرغم من أن هذا الشكل لم تتأكد صحته تماماً فإن Rdi مع الاسم المقدس Mntw هي شكل شائع جداً في المسميات المصرية(١٣٢).

إن الشكل العام لاسم رادامانثيس يؤدى إلى اقتراح مفاده أن استعارة هذا الاسم يرجع إلى فترة مبكرة ؛ لأن الفعل rdi بدأ في اسقاط الحرف r حتى منذ عصر الدولة الوسطى، على الرغم من أنه لا ينبغى علينا أن نقلل من أهمية قوة تأثير العصر القديم في الحضارة المصرية(١٣٣).

دعنا ننظر أولاً في إمكانية أن يكون RdiMntw / Rhadamnthys يقابل من حيث القدسية Mntw أو السكنسريتى Mntw Re(Re) نفسه. إن Mntw يعد إلهًا آخرًا من آلهة الشمس، وهو يرتبط بالإله آمون رع. لقد جرت الإشارة إليه باعتباره إلهًا للشمس أو باعتباره مرتبطًا بالنجوم في نصوص الاهرامات(١٣٤). فهو إله منطقة طيبة في صعيد مصر. وقد ارتفعت مكانته مع ارتفاع نجم هذه المنطقة في عصر الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٥ - ١٩٧٩ ق.م) خلال النصف الثاني من هذه الفترة. وقد ارتبطت عبادته بالبلاط الملكي، وانتشرت في جميع أرجاء البلاد. ولكن مع بداية عصر الأسرة ١٢ صارت أقل أهمية، في مقابل ازدياد أهمية عبادة آمون، الذى نميل إلى أن نشبهه بـ Mntw، ورغم ذلك فإن Mntw ظل إلها له مكانته في مديرية طيبة، وكان يتمتع بشعبية

واسعة باعتباره إلهًا للحرب ، الذى ارتبط بإعادة توحيد مصر فى عصر الأسرة الحادية عشرة بعد ثلاثمائة عام من التشرذم خلال عصر الانتقال الاول. وكما سوف نعرض بتفصيل أكثر فى الفصل الخامس فإن هذا الإله ظل على وجه الخصوص مرتبطًا بفكرة إخضاع البرابرة الشماليين(١٣٥).

لقد كان لمنتوخليلتان أولاهما هى iwnyt (ترتبط بـ iwn الجنوبية) وهو اسم مركز عبادته فى مدينة أرمنت أو هرمونثيس (Hermonthis) على بعد عشرين ك.م أعلى مدينة طيبة، وهى التى تقابل iwn أى مدينة هليوبوليس فى مصر السفلى(١٣٦). أما الخليلة الثانية فهى (Tnnyt) وهذا هو الشكل المؤنث للاسم Tnn . إله الخلق القديم الذى اندمج مع الإله بتاح خالق الحرف. وفيما بعد فقدت كل من Tnnyt , iwnyt المكانة المستقلة التى كانت تتمتعان بها وتم استبدالها بـRrt t3wy (أو Ria سيدة الأرضين) (١٣٧). إن Rrt هو الشكل المؤنث للاسم Rr ومن المؤكد أنه الشكل المصرى للاسم Rhea . وهذا أمر صحيح من وجهة نظر علم الصوتيات ، فإننا نعلم أن Re فى عصر الدولة الحديثة كانت تتم كتابته فى اللغة الأكادية Riya أو Ri'a (١٣٨) . لقد اندمجت Ria مع Nwt التى كان ينظر إليها فى العصر الهللينيستى على أنها تقابل Rhea .

إن التعارض الذى قد يبدو جليًا ما بين شخصية Nut كربة للسماء و Rhea كربة أرضية تحمى الصغار فى الكهوف والمغارات. أمر يمكن تفسيره من خلال ما نعرفه فى الشعائر المصرية ، فإن المهمة الرئيسية لنوت هى أن تقيم ما يشبه القوس على المومياء داخل التابوت، وأن تقوم بحراسة المقابر والتوابيت، ويرى بعض الدارسين أن هذا يدل على أنها تغيرت من كونها ربة للسماء إلى أن تصبح ربة للموت. بينما يرى آخرون أنً ارتباطها بالأرض يرجع إلى عصور ضاربة فى القدم(١٣٩). وعندما ننظر إلى خليلة منتو أى Re فيما يتعلق بعلاقتها براداما‌نثيس، يلفت انتباهنا أن (Rhea) كانت من أهم المعبودات فى كريت، وهذا دعم فكرة ارتباط مصر بهذه الجزيرة فى مجال الآلهة، كما يمكن القول أن استخدام اسم (MutwRe) على نطاق واسع يدل على العلاقة بينه وبين إله الشمس Re ، كما أن Mutw Hr يدل بوضوح على الارتباط بالإله اليافع المقاتل حورس. ومثله فى ذلك مثل هذا الأخير كإله للحرب التى تقوم على الإغارة فإن (Mntw)

كان يُصَوَّر أحيانًا فى شكل ثور عنيف، وكانت تجرى عبادته في شكل الثور مع الثيران الأخرى فى مراكز عبادته فى عصر الأسرة الثانية عشرة، وفى هذا الوقت فإن لون الثور المقدس كان على الدوام هو اللون الأبيض، وكما هو معروف فإن الثور منتو كان يرتبط بشكل واضح بالثور الأبيض للإله " مين ". كما يرتبط منتو ايضًا بالبقرة السوداء (ihtkm) التى تقابل إيو Io ، كما أشرنا آنفًا[١٤٠]. وفى وقت لاحق بعد عام ٧٠٠ ق.م. كانت هناك أربعة عبادات للثور ترتبط بمنتو. وكانت إحداها تتصل بالوحى والنبوءات. وتحتوى جميعها على طقوس إقامة المهرجانات التى تتعارك فيها الثيران[١٤١]. وهذا يقودنا إلى فكرة أن هذه العبادة التى تقوم على العراك لا يمكن أن تلعب دورًا مهمًا فى مجال القضاء فى عالم الموتى فى العقائد الجنائزية. فإن هذه الوحشية أمر لا يتلائم مع القضاء فى أى مكان وخصوصًا عالم الموتى. وفى الحقيقة فإن كتاب (The Coming Forth by day) ، والمعروف باسم كتاب الموتى يشمل الإشارة إلى Mntw من بين الآلهة الآخرين فى إليسيوم Elysium [١٤٢].

إلى أى مدى تتفق هذه الصفات مع شخصية رادامانثيس؟ لقد عُرِفَ هذا الكريتى كمشرع، وكان ربيبه هو هيراكليس. ومن المفترض أنه كان يقوم بتنفيذ أحد قوانينه الخاصة بالقصاص. ويبدو أنه قانون " العين بالعين "، ومن الملاحظ أن هسيود وهوميروس وكتاب آخرون فى عصور لاحقة كانوا ينظرون إلى رادامانثيس جنبًا إلى جنب مع مينوس باعتباره قاضيًا فى عالم الموتى[١٤٣]. فقد أطلق عليه فى الأودية اسم (Xanthos) وهو ما سوف نناقشه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب. وكان يشار إليه باعتباره مقدسًا أكثر من الإشارة إليه باعتباره قاضيًا عادلاً[١٤٤]. وكلمة مقدس تبدو أكثر ملائمة مع المقطع anthos (شبيه الإله) ، وهو الوصف الذى أطلق عليه فى الإلياذة[١٤٥]. وفى الأودية يصور رادامانثيس على أنه قادر على الذهاب إلى أبعد نقطة فى إتجاه الغرب والعودة فى اليوم نفسه ، وهو ما يجزم بوجود رابطة بينه وبين الشمس[١٤٦].

وهنا يجب أن نشير إلى أن شهرة رادامانثيس كمشرع وقاض لا يمكن أن تجعل منه إلها مسالمًا. فمن المفروض أنه قام بإنشاء إمبراطورية واسعة فى الجزر الأيونية، ليس فقط بهدف إقرار العدل ولكن أيضًا " لانزال العقاب الصارم بالمدنيين"[١٤٧]. وقد

ناقشنا في الفصــل الثاني قصـة الرحلات الأسطورية التي كان يقوم بها رادامانثيس مـا بين كـريت وبويوتيـا. وكـذلك ارتبـاطه بزيوس وأبوته لهـيراكليس. وهكذا هل يمكن القول بأن هيراكليس كان فرعونًا في الدولة الوسطى ، لأن رادامـانـثيس يساوي منتو كراع للأسرة الحادية عشرة وللفراعنة التاليين[١٤٨].

وبشكل عام يوجد أساس للربط ما بين رادامـانثيس و(Mentw) . فقد كـان كلاهما مقاتلاً وبطريقة ما كان أبًا لبطل دائم الترحال وفرعون في آن واحد. وفي الفصل الثاني ناقشت تصوير منتو على أنه الحامي لمنتوحتب الثاني[١٤٩]. لقد كان كل من رادامانثيس ومنتو شديدي الارتباط بآمون زيوس. كما أنهما ارتبطا بشكل أو بآخر بعبادة العجول. وإذا مـا استندنا إلى علم الأصوات فإننا لا نجد صـعوبة في العثور على رابطة المقطع Mntw , mantthys فـقـد عـرفنا من الكتـابة الآشـورية أن الاسم Mntw كـان ينطق في الأصل مع الحرف a [١٥٠] .

والحقيقة أن الربط مـا بين كريت ومنتـو لا يقتصر على رادامـانثيس. فإننا يجب أن نلاحظ تمركز عبـادة (Rhea) في الجزيرة في الفترة المتـأخرة، لذلك فـإن Re / Ria التي لم تكن ذات مكانة بارزة في الديانة المصرية لابد وأنها خليلة منتو. وهنـاك أيضًـا تزامن وجود العجل الأبيض الذي يبدو أنه يربط مـا بين منتو ورادامـانثيس من نـاحيـة وبين شقيق هذا الأخير أي مينوس المقدس Min . وبالإضـافة إلى ذلك فهناك احتمال أن منتو مـثله في ذلك مـثل (Mnevis) كـان يصـور في شكـل رجل له رأس الثـور خـلال العـصـر المتـأخر[١٥١]. وقد تم العثور على ختم فريد ذو ثلاثة أوجه عند الكرنك بالقرب من طيبـة يرجع تاريخـه إلى عصـر الانتقـال الأول. أو إلى عصـر الأسـرة الحادية عشرة يظهر فيه رجل برأس الثـور[١٥٢]. وطبـقًـا لما هو مـعروف عن انـتشـار عبـادة منتـو في ذلك الوقت فلربمـا يمكن القول بأن هـذا الرسم يمثله. ولكننا لا نملك وسـيلة لتـأكيد هــذا الأمـر. كمـا أننا نلاحظ أن شكـل " الرجل الثور " قـد جاء على خـاتمين من بلاد الرافـدين في كنز تود Tod الذي يرجع إلى عـهد أمنمـحات الثـاني ١٩١٧ - ١٨٨٢ ق.م. عُثِرَ عليهمـا أسفل معبد منتو. وسـوف نـناقش هذا الأمر في الفصـل الخامس. وربما يكون من المفيد أن نحاول معرفة ما إذا كانا يرتبطان بمنتو على وجه التحديد أم لا [١٥٣].

وعلى الرغم من ارتباط منتو الواضح بالعجول في عصر الدولة الوسطى فإنه كان يُصَوَّر بشكل عام برأس الصقر[١٥٤]. وعلى أية حال فإنه لم يوجد في كريت تصوير لثور مينوس Minotaurus على هيئة الثور خلال عصر القصور. أما الصورة الشائعة في التراث الاغريقي فلربما تكون قد جاءت فقط من خلال الاتصال الواسع المدى مع مصر خلال القرن الخامس عشر. وفي كل الأحوال فليس هناك شك في أن منتو في هيئة الثور العنيف، مثلها في ذلك مثل هيئة من كانت ترتبط بالإله آمون، وهي صورة تنطبق على المينتوتاوروس، أي ابن مينوس وابن شقيق رادامانثيس وحفيد زيوس .

وعند هذه النقطة فقد يكون من المفيد أن نضع في الاعتبار احتمالية ألا يكون رادامانثيس منحدراً بشكل مباشر من الإله المصري، ولكن من الحاكم المصري ، ويجب أن نتذكر أن مينوس يقرن بـ Min المقدس وكذلك بالملك Min/ Menes .

ومن الجدير بالذكر أن Menes / Min باعتباره مؤسسًا للأسرة الأولى يُذْكَر دائمًا بصفة المنتصر الذي صاغ القوانين، والحكام الوحيدون الذين يضارعونه في الشهرة هم هؤلاء الذين أعادوا توحيد بلادهم، والذين أسسوا الدولة الوسطى. إن منتوحتب الذي ذاع صيته في حوالي عام ٢١٥٠ ق.م. لم يعرف بصفته فرعونًا، ولكنه كان موضع التكريم باعتباره منحدراً من الأسرة الثانية عشرة ومرتبطًا بالأسرة السمراء التي أعادت توحيد مصر إنطلاقًا من قاعدتها في مديرية طيبة[١٥٥]. لقد كان منتوحتب الثاني الذي حكم في القرن الحادي والعشرين أكثر ملوك الأسرة نشاطًا في خلال المدة التي استغرقها حكمه وهي ٥١ عامًا. فقد أصبحت مصر مرة ثانية قوة كبرى كما كان الحال في عصر الدولة القديمة. وهو الأمر الذي عبر عنه حاردنر قائلاً " أن منتوحتب تعني مونت راضيًا. إن رضا الإله المحلي له سبب وجيه لأنه شهد إعادة توحيد مصر بعد سنوات من التشتت تحت راية حاكم واحد ".

ومن الملاحظ أن الشخصين العظيمين اللذين حملا اسم منتوحتب قد جرى ذكرهما باعتبارهما مؤسسين للدولة الوسطى. ويقرنان دائمًا بـ Min/ Menes . وعلى سبيل المثال فإن تماثيل Menes / Min ومنتوحتب كانت تحظى بمكانة خاصة في الاحتفال العظيم للإله Min . وهو الاحتفال الذي كان يقام في الرمسيوم بالقرب من

طيبة فى عهد رمسيس الثاني مـن الاسـرة ١٩ . وهكذا فإننا نلاحـظ ان الفراعنة Min / Menes ومنتوحتب لعبا دوراً هاماً وبخاصة فيما يتعلق بعبادة العجل التى ترتبط بالإله Min .

إن مظاهر التشابه ما بين الديانات المصرية والكريتية متشابكة بشكل دقيق. ففى مصر نجد أن " مين " ومنتو يرتبطان بالعجول البيضاء ويرتبطان بالإله آمون. وفى كريت فإن الشقيقين مينوس ورادامانثيس يرتبط أولهما بالعجل الأبيض. وكلاهما ابن لزيوس الذى يساوى آمون. إن الربط ما بين رادامانثيس ومنتوحتب يمكن أن يُكْمل أضلاع المربع حيث أن مينوس يتداخل مع الثور " مين " ومع الفرعون Min/ Menes . كما يتداخل رادامانثيس مع الإله العجل منتو ومع الفرعون المؤسس منتوحتب. وفى مصر عرف هذان الفرعونان بالصداقة وبارتباطهما بالتشريع. وهى ذات الصفة التى عُرِفَ بها كل من مينوس ورادامانثيس فى كريت. وهناك أيضاً النظرة الكريتية إلى دور هذين البطلين الملكيين فيما يتعلق بالفكرة الأساسية فى التراث المصرى أى فيما يتعلق بعالم الموتى.

وعلى الرغم من أن الدمج ما بين الإله والحاكم يبدو أمراً غريباً فى حالة " مين " فهو أمر طبيعى فى مصر، ويمكن أن نرى نموذجاً له فى الإشارة إلى الفرعون سيزوستريس الأول من الأسرة الثانية عشرة، الذى سنعالجه بالتفصيل فى الفصل الخامس. فقد وردت الإشارة إلى هذا الفرعون باعتباره " العجل الأبيض" الذى جعل البرابرة يولون الأدبار.

وقد علق عالم المصريات الألمانى أوتو (Otto) الذى كتب كثيراً عن عبادة العجل فى مصر قائلاً " إن هذا يزودنا بدليل على الارتباط ما بين الشخصية المحبة للقتال والعجل منتو، كما يشير بجلاء إلى الربط ما بين شخصية الملك المحب للقتال وعبادة العجل فى مصر العليا".

ويستلفت النظر هـذا التشابه الدقيق فى مجال العبادة ما بين مصر وكريت وهو ما يتمثل فى ازدهار عبادة العجل الملكى الأبيض فى مصر فى القرن الحادى والعشرين

على وجه التحديد، وذلك بناء على الدلائل الآثارية التى أشرنا إليها آنفًا عندما تم إنشاء القصور أولاً وإرساء عبادة العجل.

وكما أسلفنا القول فإن ذلك كان خلال الفترة التى يلاحظ عدد من الدارسين أن التأثير المصرى والشرقى واضحًا فى كريت. ويرى بندلبرى (Pendlebury) أن كريت قد تأثرت بشدة بالحضارة المصرية والشرقية من خلال دلتا وادى النيل. وهى المنطقة التى خضعت بعض أجزائها لمتحدثين باللغة السامية فى عصر الانتقال الأول. ويفضل وليام وارد (Wiliam Ward) – استنادًا إلى أساس يبدو قويًا – القول بأن هذه الظاهرة قد حدثت فى أوائل عصر الدولة الوسطى ، حيث إن التأثير المصرى قد جاء إلى كريت من خلال فينيقيا بشكل عام. ومن بيبلوس على وجه الخصوص. والحقيقة أن بيبلوس كانت قد تمصرت بشدة، فقد تم العثور فيها على العديد من النقوش التى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، وفى ذلك الوقت أشارت النصوص المصرية إلى أمير بيبلوس باعتباره h3ti (حاكم إقليم) ولم تشر إليه بكلمة hk3 h3swt (هكسوس) التى تعنى أمير أجنبى مثلما كانت تطلق على الحكام الآخرين فى سوريا وفلسطين.

ومن المعروف أن منتوحتب الثانى لم يكتف بإعادة توحيد مصر فقط بل أن قادة جيشه قاموا بحملات على النوبة وسيناء ، وربما امتدت حملاتهم إلى مناطق أبعد فى الشمال. ونحن نعلم من المصادر الوثائقية أنه تم إرسال حملة بحرية على الأقل إلى بيبلوس. وهو أمر تؤكده الدلائل الآثارية ؛ حيث كانت الأخشاب السورية تستخدم فى صنع الصناديق والتوابيت التى ترجع إلى عهد الأسرة الحادية عشرة .

وإضافة إلى هذا يوجد " قدر مونيه Monet ". وهى عبارة عن خبيئة ضخمة تحتوى على آثار مصرية يرجع تاريخها إلى القرن الحادى والعشرين عثر عليها فى بيبلوس. كما توجد لدينا دلائل على وجود مصريين ينتمون إلى عصر الأسرة الحادية عشرة فى منطقة بحر إيجه. ولعل الدافع القوى إلى مثل هذا التواجد يتمثل فى الفضة التى يتم استخراجها من مناجم لاوريون فى إقليم أتيكا، والتى وجدت فى

تمثالين مصريين(*) ينتميان إلى هذه الفترة التى أشرنا إليها. ويبدو أنه من المرجح أن كريت قد تلقت مؤثرات من مصر ومن العناصر السامية الغربية فى الشرق فى القرن الحادى والعشرين، حينما كانت الشخصية التى تحكم فى مصر وسوريا هى منتوحتب، الذى كانت العبادة الرسمية فى عهده هى عبادة منتو وثوره الجامح.

والحقيقة إننا لا نملك دلائل وثائقية على وجود حملات على منطقة بحر إيجه فى ذلك الوقت ، إلا أن نقش ميت رهينة الذى جاء فيه وصف لحملات مصرية وقعت فى وقت سابق فى البر والبحر - وهو ما سوف نناقشه فى الفصل الخامس - يقدم لنا تحذيراً دراميًا ضد فكرة استخراج الدليل من الصمت فى مثل هذا النوع من المواقف. فلم تكن هناك حاجة إلى القيام بالغزو. وعلى أية حال فمن أجل شرح مثل التمدد فى التأثير الحضارى، فإننا يجب أن نشير إلى أن الفراعنة الذين حملوا اسم منتوحتب و أعادوا توحيد مصر، وأعادوا إليها مكانتها كقوة لها مكانتها فى المشرق، فأنهم كانوا فى حاجة إلى المعادن التى لم تكن متوفرة فى شمال شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا. وهذا تفسير قد يكون كافيًا، وإذا ما قبل المرء فكرة الربط بين رادامانثيس ومنتوحتب فإنه يصبح لدينا أيضًا مؤشرات أسطورية على وجود توسع للقوة السياسية. لقد كتب ديودوروس عن رادامانثيس قائلاً: " لقد جاء أيضًا من أجل السيطرة على عدد ليس قليل من الجزر، وكذلك على جانب كبير من شاطئ آسيا. إن الرجال جميعاً قدموا إليه أنفسهم طواعية وذلك بسبب عدالته". وفى موضع آخر ذكر ديودوروس جزر كاريا وأيونيا على وجه التحديد. ويمكن القول بأن الأصل المحتمل لاسم واحد من العناصر الاغريقية وهم الأيونيون قد جاء من الكلمة المصرية iwn (رامى السهام. بربرى). وهو أمر ناقشناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب. ومما يثير الاهتمام فى هذا الاتجاه أن منتو الذى كان مهتما على وجه الخصوص بأمر القتال ضد البرابرة الشماليين كان يحمل لقب Nb hsf iwntyw (السيد الذى قمع البرابرة) . وإذا

(*) لقد كان الدافع اليونانى (والأثينى تحديداً) أكبر بكثير من الدافع المصرى لاحتياجهم الدائم إلى القمح، ومن ثم فهذان الأثران لا يدلان على تواجد مصرى بالضرورة ، بقدر ما هى إلا تذكاران على اتصال التجار اليونان بمصر ورحلاتهم القديمة إليها. راجع/ محمود السعدنى: " تصدير" هذا الجزء من الكتاب الثانى . (المحرر)

ما نحينا فضة لاوريون جانباً فإنه لا يوجد لدينا دليل أثرى على وجود أى تغلغل فى منطقة بحر إيجه فى عصر الأسرة الحادية عشرة. وفى حدود معلوماتنا فإن الآثار المصرية الوحيدة من عصر الدولة الوسطى التى وجدت فى منطقة خارج كريت، هى جعران أسيرطه وكذلك تمثال خشبى من معبد الربة هيرا فى جزيرة ساموس Samos . وهى آثار من المرجح أنه قد جرى استيرادها خلال العصر العتيق (٧٧٦ - ٥٠٠ ق.م). وهى الفترة التى شهدت ازدهار التجارة بين ساموس ومصر(*) ، كما ارتبط رادامانثيس بمنطقة بويوتيا. وكما رأينا فى الفصلين الثانى والثالث أن هذه المنطقة قد تأثرت بشدة فى الألف الثالثة.

رسوخ عبادة العجل

وروح المحافظة فى كريت

على الرغم من أن عبادات العجل بشكل عام وعبادة منتو على وجه الخصوص ظلت تتمتع بأهمية فى مصر حتى تاريخ نهاية العبادات فى القرن الثانى والثالث الميلاديين، فلا يوجد شك فى أنها وصلت إلى قمتها فى عصر الأسرة الحادية عشرة. ولكن أهميتها تقلصت خلال عصر الأسرة الثانية عشرة مع ارتفاع نجم العبادة الملكية الجديدة أى عبادة الكبش ذو الرأس البشرية آمون. ويبدو أنه يوجد لدينا فى عبادة الثور الكريتية نموذج لنقطة مهمة تتمثل فيما قدمه سنكلير هود (Sinclair Hood) الذى تخصص فى دراسة آثار منطقة بحر إيجه. فقد ذكر هذا العالم ما يلى "إن روح المحافظة هى مفتاح معرفة الكثير من مظاهر الحضارة المينوية فى كريت. فإننا نلاحظ أن المعتقدات والعادات التى كانت سائدة فى الأصل فى أماكن أخرى فى الشرق الادنى، ظلت باقية فى كريت". فمن خلال احتفاظ الكريتيين بأهمية عبادة العجل

(*) راجع رسالة الدكتوراه - باليونانية الحديثة وملخصها بالإنجليزية - لصاحبها / محمود السعدنى "العلاقات المصرية - اليونانية فى ضوء القطع المصرية والمتمصرة المكتشفة فى اليونان : ٩٤٥ - ٥٢٥ ق.م" - أثينا ١٩٨٢ .

لعدة قرون في عصر القصور، حافظوا على ديانة العصر المبكر في الدولة الوسطى في مصر. ويمكن أن نلاحظ وجود نمط شبيه بهذا في شرق آسيا، فقد استعارت كوريا واليابان من الصين الكثير من المظاهر في عهد أسرتي سو Sui وتانج Tang . وقد حافظ هذان البلدان على هذه المظاهر مع العناصر المحلية وتطورت. وأصبح الجميع ينظرون إليها باعتبارها كورية ويابانية محضة. وعلى سبيل المثال فإن الملابس الوطنية الكورية التي ترتديها النساء هي ذات الملابس التي كانت سائدة في الصين في القرن السابع والثامن الميلادي. وهناك أمر وثيق الصلة بالموضوع في مجال الديانة، ويتمثل في اختفاء البوذية من موطنها الأصلي في الهند، بينما ظلت باقية في سرى لانكا والتبت وجنوب آسيا، إلا أنها في كل منطقة من هذه المناطق كانت لها شخصيتها المتميزة.

خاتمـــة

عندما نعود إلى النقطة الأساسية فى هذا الفصل فإننا نطرح تساؤلاً حول ماهية الأفكار التى تدفعنا الدلائل الآثارية من كريت قبل عام ٢٠٠٠ ق.م إلى الاعتقاد فيها. دعنا نبدأ بأن نذكر القارئ بالفكرة التى أثرناها فى الفصل الأول. أولاً أن الدلائل تقودنا بشدة إلى الاعتقاد بأن كريت قد تلقت الزراعة والفخار من الأناضول، ولكنها كانت على اتصال مع شمال أفريقيا والمشرق. وثانيًا أن حضارة العصر الحجرى الحديث (النيوليثى) المتأخر وكذلك أوائل عصر البرونز فى كريت هى عبارة عن مزيج من مؤثرات ليبية ومصرية ومشرقية وأناضولية وأيضًا شمالية. وهناك إحتمال ولكنه لا يصل إلى درجة التأكيد بأن الشكل الجديد للمجتمع التجارى الذى أخذ فى التطور فى منطقة بحر إيجه عند انقضاء الألف الثالثة، قد تأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالتطورات السابقة عليه فى الشرق الأدنى، وفى كل الأحوال فإنه يوجد بعض الشك فى أن تكون منطقة بحر إيجه قد تلقت عجلة الفخار إلى جانب الفخار وعادات الدفن من الشرق الأدنى. إن فحص البقايا المادية للرموز الدينية التى ترجع إلى بواكير الحضارة المينوية فى كريت، يؤدى إلى ملاحظة تشابه قوى بين تلك الرموز ومثيلتها فى الدولة القديمة المصرية المعاصرة لها.

من الواضح أن القصور الكريتية لم تتطور بشكل عفوى ومنتظم، وأنها وليدة المجتمع فى العصر المينوى الباكر. ولكنها تعد طفرة لا علاقة لها بما كان سائداً من قبل. إن إدخال القصور والتنظيمات التى ارتبطت بها من الناحية الاجتماعية، والتى كانت موجودة منذ قرون سالفة فى الشرق الأدنى يعد فى حد ذاته دليلاً على المؤثرات الشرقية، وزيادة على ذلك فإن أنماط العمارة وأشكال الزخرفة فى تلك القصور لابد وأنها جاءت من مصر بالتحديد، ويستلفت النظر أيضاً أن نهضة مجتمعات القصور فى

كريت خلال القرن الحادى والعشرين ارتبط بها تركز عبادة العجول، وهى العبادة الرسمية للأسرة الحادية عشرة فى مصر.

إن علم الآثار يمكن أن يقوم باظهار هذا فقط كشكل تنظيمى يدل على هذا التزامن الواضح. وعلى أية حال فإننا عندما نضع الدلائل الآثارية جنبًا إلى جنب مع ما هو متوافر لدينا من بقايا التراث الاغريقى والنقوش المصرية، يمكن أن نلاحظ أوجه التشابه الكثيرة والمتشابكة. التى تفسر لنا بشكل مقنع ما إذا كانت تلك العبادة قد تم استعارتها من مصر فى ذلك الوقت أم لا. وهكذا فإن عبادة العجل الملكية فى مصر المعاصرة، وليس من خلال سلسلة طويلة تنتهى عند " كاتال هويك" Catal Huyuk فى الأناضول التى يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل عصر القصور فى كريت، هى المصدر الذى استمدت منه كريت معظم ملامح عبادة العجل. وهى العبادة التى نسجت حولها أساطير الملك مينوس والمينوتاوروس.

إن التحول الاجتماعى والحضارى الذى وقع فى كريت فى القرن الحادى والعشرين تزامن مع إعادة توحيد مصر فى عصر الأسرة الحادية عشرة، وانتشار النفوذ المصرى فى المشرق، وربما إلى مدى أبعد . إن التبنى الواضح للعبادة الأسرية يدل على التأثير المصرى المباشر فى هذه المرحلة الهامة. وهناك بعض الأساطير التى سجلت فقط فى العصر الهللينستى تجعل بعض الدارسين يعتقدون بوجود حكم مصرى أو سيادة لهذه الدولة على كريت وبعض الجزر فى تلك الآونة، إلا أن انتماء هذه الأساطير إلى عصر لاحق، وكذلك عدم وضوح الدلالات التى تحتويها يجعل هذه الفكرة تتسم بعدم الواقعية. ولا يوجد شك فى أن كريت قد تأثرت بشدة بمصر خلال القرن الحادى والعشرين.

إن تأثير الشرق الأدنى وعلى وجه التحديد التأثير المصرى الذى ذكرناه هنا لا يعنى ان المينويين كانوا مجرد مقلدين لجيرانهم فإن الكريتيين مثلهم فى ذلك مثل معظم الشعوب كانت لديهم مساحة لا بأس بها من الأصالة الحضارية. وليس هناك شك فى أنهم كما طوروا " قرون التكريس" من رمزين مصريين فإنهم توصلوا أيضًا إلى تطوير خاص بهم فيما يتعلق بعبادة العجل. وهناك على سبيل المثال دليل طفيف

على أن المصريين قد مارسوا عادة الوثب على الثيران التى كانت شائعة فى كريت. وبينما كانت الأنماط والنماذج تجرى استعارتها من مصر والمشرق بشكل متتابع، فإن المرء لا يجد صعوبة فى التعرف على سمات الفن الكريتى. وعلى وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بتصوير الحياة البحرية. وهو النمط الذى كان غائبًا فى فنون الشرق الأدنى. وبرغم كل هذا فإن الشواهد التى ذكرناها فى هذا الفصل ، والتى تدل على أن الأقاليم الأخرى كانت لها عدد من الصفات المحلية المميزة، فإننا نلاحظ أن قصور كريت فى العصر الباكر كانت على وجه التحديد جزءًا من العالم الحضارى للشرق الأوسط، وأنها استعارت عناصر حضارية بشكل مكثف من مصر والمشرق.

هوامش الفصل الرابع

(١) فيما يتعلق بالمناقشات حول حالة الإعجاب الجديدة التى سيطرت على الجميع بعد عام ١٩٠٠ كريت القديمة انظر الجزء الأول ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(2) Renfrew (1972. p.98).

(3) Whitelaw (1983.pp323-40)

(4) Lewthwaite (1983.p.172)

(5) Cherry (1983.p33)

(6) Ibid,p.41.

(7) Matz (1973a ,pp.141-3)

(٨) يذهب وارد (١٩٧١ ص ٧٢) ' كذلك ص ٧٤ – ٨٢ إلى ضرورة إهمال التاريخ المبكر الذى قدمه Astrom ، ومن الواضح أن أستروم لم يتخل عن هذا الرأى فى كتاباته الأخيرة (١٩٧٨ ص ٨٧ – ٩٠) وهو رأى ترتب على التاريخ المبكر لحضارة بلاد الرافدين . فيما يتعلق بهذا الأمر ، انظر الفصل الخامس هامش ١٠٥ .

(9) Cadogan (1978,pp.209-14)

إن الموقف معقد فى ضوء الحقيقة التى تقول بوجود تداخل وقتى ما بين نماذج الفخار الذى يرجع إلى العصر المينوى المتوسط الأول (٣) وذلك الذى يرجع إلى أوائل العصر المينوى الثالث فى باقى أرجاء الجزيرة

see Merrillees (1977.p.37).

(10) Matz (1973a.pp.141-5)

(11) Ward(1971,pp.72-125).

(12) Branigan (197oa.p.81).

(13) krzyszkowska (1983,p.168).

شبيه بهذا الأمر أن الخزف المزخرف الذى أزداد استيراده فى أوائل العصر المينوى الثالث ربما كان مصدره مصر أو سوريا ويفضل karen Pollinger Foster الاعتقاد بأن سوريا هى المصدر على أساس أن الحكمة تقتضى الاقتناع بأن بضائع الشرق الأدنى كانت ترد إلى كريت من سوريا ليس ذلك فحسب ، ولكن تقنية صناعة الخزف المزخرف الذى عثر عليه فى كريت تبدو أقرب إلى فخار من ذلك الذى ينتمى إلى مصر انظر ١٩٧٩ ص ٥٦ –٥٩

(14) Warren (1965 .pp.7-43:1967.pp37-48:1969.pp.41-5.71-91

(15) Watrous (1987b,.67).

في دحض أراء الانعزالية في نماذج الفخار ، راجع مناقشته في ص ٧٠

(16) Watrous (1987b,p.70).

(17) Ward(1971.pp92-5).

(18) Evans(1921-35.i,pp.117-25).

(19) Pendlebury (1963,p.83).

(٢٠) على الرغم من إنكار ماتز لوجود اتصالات ما بين مصر وكريت في هذا الوقت إلا أنه يعتقد أن ذلك الرمز الذي يأخذ شكل الصليب المعقوف قد أنتقل من كريت إلى الشمال الشرقي لأفريقيا . فإذا ما أخذنا في الاعتبار ذلك الارتباط ما بين شكل الصليب المعقوف والنظرية العنصرية الآرية – التي لا تقتصر على النازيين – فليس من المقصود أن يكون هذا الشكل قد ورد إلى أوروبا من أفريقيا وقد تجنب ورد (١٩٧١ ص ٨٥ ، ٨٩) أن يحسم هذا الأمر من خلال تمسكه بالقول بأن وجود شكل الصليب المعقوف في كل من مصر وكريت بشكل متزامن قد جاء نتيجة لتطور مستقل في كل من البلدين

(21) Fimmen (1921.pp.154-60):Biesautl (1954.pp.33- :Helck.(1979.p.20).

(22) Ward (1971,p.86). للحصول على معلومات حول الجدل الدائر حول انظر الهامش رقم ٢٤٧ لديه .

(23) Z.a. Stos Gale on Poursat (1984.p.87).

(24) Ward (1971.pp.107-25):Helck (1979.pp.21-2).

(25) Kantor (1947.pp.21-4).

(26) Ward (1971,pp.1o8-10).

ربما يستلفت النظر في هذا الاتجاه أن شكل العقدة المتدنية قد جاء إلى كريت من مصر في خلال القرن ١٩ أو ١٨ ق.م (Higgins (1979,p.37

(27)Vermeule and Vermeule (1970,p.33).

(٢٨) من أجل تبرير هذا التاريخ غير المقنع أنظر الفصل العاشر هوامش رقم ٩١ – ١٠٥ .

(٢٩) أرجعت موسوعة كمبردج للتاريخ القديم هذا الانقطاع إلى عام ١٧٠٠

وتماشيا مع دراسة تاريخ الخزف من خلال إعادة تاريخ الانفجار البركاني في جزيرة ثيرا وإرجاعه إلى عام ١٦٢٨ ق.م فإنني أقترح أن يكون التاريخ حوالي عام ١٧٣٠ ق.م انظر ما يلي الفصل السابع .

(٣٠) من أجل التقليل من أهمية هذه الحقيقة يبرز على سبيل المثال :

Trump (1981.p.175).

(31)Graham (1962,pp.231-2).

(32)Graham (1970,pp.238-9).

(٣٣) فيما يتعلق بوصف هذا المبدأ في حالة تطبيقه على مصر القديمة

أنظر Springborg (1990,pp.37-89)

(34) Higgins(1979,pp.22-37).

(٣٥) يثير جدلاً مفاده أن هذا التقليد قد بدأ في كريت في بداية العصر المينوى المتوسط الثالث . وعلى أية حال فإن الأساس الذى بنى عليه جدله أستمده من الآنية وهو أمر غير مسئول فيما يتعلق بـ Thueris Schapchermeyt (1967,.p.31 and plates 63-9)

(36) Watrous (1987b,pp.65-6,70).

(37) Bennet(1990,p.194,n.70).

(38) Branigan (1970a,p.52).

(39) Bintlifft(1984).

(40) Warren (1981);Sakellarakis and Sapuna-Sakellaraki (1981).

(41) Dow (1973,p.602).

(٤٢) إن Dow على وجه الخصوص شديد الحساسية فيما يتعلق بهذا الطرح ، لأنه يرمى إلى استغلال فكرة " الدليل من الصمت " لكى يدلل على وجود فترة طويلة من عدم المعرفة بالكتابة تفصل ما بين عصر البرونز والعصر العتيق Archaic ويبدو هذا جليًا من تلهفه على القول بأن قبرص اختلفت بشكل حاسم عن سائر بلاد اليونان فيما يتعلق بالحفاظ على كتابتها خلال عصر البرونز وحتى العصر الكلاسيكى (١٩٧٣ ص ، ٦٠٠ - ٦)حول الجدل في هذا الأمر وعلاقته بدعم أصحاب النموذج الآرى والتقليل من أهمية النموذج القديم انظر الجزء الأول ص ٢٩٨ وكذلك .Bernal(1983)

(43) Godart(1983).

(44) Ventris and Chadwick (1973,p.31).

(45) Evans (1921-35,11,p.49).

وكذلك Rundle Clark (1959,p.237) بالنسبة للافتراض الذى يقول بأن كلتا العلامتين تنحدران من شكل فقرات الثور البرى التى ينظر إليها باعتبارها الأصل وفى حالتنا هذه تعنى الحياة ، انظر:

Schwabe Adams and Hodge (1982).

وفى هذه الحالة فإن ذلك يؤدى إلى تقريب الكثير من المعانى الرمزية

(46) Newberry (1909,pp.24-31);Gaerte (1922,pp.72-5).

(47) Pyramid Text, Utt.685;Faulkner(1969,p.295).

(٤٨) فيما يتعلق بالديانة المينوية الباكرة انظر الفصل الأول هامش ٥٥

إن Lakh ليس لها أساس إتيمولوجى فى الأصل الهندو- أوروبى . أما التفريعات الأخرى من ih والتى يبدو أنها تشمل Leikhen (شجرة ، طحلب ، فطر) فهى أكثر مفعولية من القول بالإنحدار عن الأصل الهندو - أوروبى وكذلك فإن كلمة leigh موجودة فى الكلمة الإنجليزية lick والإغريقية Leikho أو Lasies بمعنى (مكسو بالشعر) . إن التبادل ما بين h ،s يتردد دائما فى اللغة المصرية .

(٤٩) للحصول على معلومات عن هذا السهل ، انظر الجزء الرابع ، وكذلك Frazer (1898,11,pp.514-15)

(50) Nilsson (1950,p.189).

(51) Powell (1977,pp.72-3).

قدم لنا باول مسحًا رائعًا للفكر المبكر في هذا الصدد ، وقد تمسك باعتقاده في النظرية الآرية فذكر أن الرموز يمكن أن تنتقل إلى الحضارات الأخرى دون أن يؤدى هذا الانتقال إلى إحداث تغير في الهيكل الأساسي للبناء الفكر .

(٥٢) ليس هناك ما يدل على وجود ارتباط بين – K3yt والجزيرة فيما يتعلق بالمناقشة حول الأسماء المصرية المعروفة لجزيرة كريت . انظر الفصل العاشر هوامش ٢–٢٣ فيما يلي .

(٥٣) فيما يتعلق بالجدول حول تفضيل الأناضول انظر الجزء الأول ص ٢–٣٩١ .

(٥٤) Burkert(1985,p.37).

(٥٥) انظر الفصل الأول ، هامش ٦٠ أعلاه .

(٥٦) Hoffmann (1979,p.91).

(٥٧) الدليل الوحيد الممكن على الوجود المبكر لعبادة الثور نجده في إنائين من بورتي (Porti) وكوماسا (Kumasa) في ميسارا (mesara) التي يرو فيها شكل الثيران التي تتخذ أشكالاً آدمية ذات قرون. وقد كتب برانيجان Branigan (1970 ب ص ٨١) عن هذا الأمر قائلاً " إن بعضها من الممكن أن ينتمي إلى أوائل العصر المينوى الثاني إلا أننا لا نستطيع التأكد من تاريخها على وجه التحديد فلربما يرجع هذا التاريخ إلى فترة لاحقة . ولكن من المؤكد أن بعض الآنية التي تم العثور عليها والتي تتخذ شكل الثور وتنتمي إلى أواسط العصر المينوى الأول (إنني مدين إلى ليفيا مورجان Lyvia Horgan فيما يخص هذه الإشارة) .إن مشكلة عدم تحديد التاريخ أيضا تنطبق على النماذج الطينية التي تحمل أرقام ٤١٢٦ و٥٠٥٢ في متحف هيراكليون . فإنها لا يمكن أن تشكل أساسًا قويًا لرأى في صالح وجود مبكر بعبادة الثور في كريت في عصر القصور .

(58) Herodotos, II.145.

(59) Diodoros,III.8.

(60) Strabo ,XVII.2.3.

(61) Chassinat (1966-8,II,p.676); Gundlach (1982,cols 135-9)

(62) Chassinat (1966-8,II,p.676).

(63) Chassinat(1966-8,II, pp.676-7) See also Gardiner (1947,I,pp.80-6).

(64) Shack and Habte(1974,p.26).

لمعرفة المزيد عن B aza انظر Leslau (1950,pp.54-5)

(65) Cohen (1970- 6,II,p.53).

التفسير الصحيح لهذا الاسم هو أنه ينحدر من bt+a az حول التركيبة المعقدة لهذا انظر (Mulder 1986,pp.19-25)

(66) Ruth,31-18 هناك اعتبارات أخرى للثراء غير العادى لهذه الأسطورة وهو ما سوف نناقشه فى الجزء الثالث

(67) I.Kings, 7.21

فيما يتعلق بالنماذج الأخرى Herodotos II.45 للحصول على معلومات فى هذا الصدد راجع Lloyd (1976,p.200)

(68) Shack and Habt (1974,p.175).

(69) Gordon (1962b,pp.178-205)

(70) Klearkhos,Fr.9,In Frag.Hist Gr.II.see cook (1914-40,II,pp.28-32)

انظر لمعرفة المزيد عن الـ Iapyges Bernal 1990,pp.44-

(71) Cook (1914 - 40,11,p.30)

انظر أيضا هاريسون يرى وجود تماثل ما بين البلطة المزدوجة وصاعقة الإله زيوس Jane Harrison (1927,pp.176-7) ولا يقتصر التشابه على هذا الشكل فقط بل ترى هاريسون أيضا (١٩٢٧ ص ٥٦ – ٥٧) أن البلطة الحجرية يمكن النظر إليها فى هذا الإتجاه حيث يطلق المزارعون فى اليونان الحديثة على أنفسهم لقب Astropelekia (بلطة النجوم).

(٧٢) انظر الفصل الأول ، هامش ٦١ – ٦٢ .

(73) Gardiner (1957 ,p.503,R-22).

(74) Wainwright (1931 .pp.185-95).

قد ربط هذا الكاتب ما بين هذه المقذوفات والآلة حورس وقرينه الإغريقى أبو للو

(75)Cook(1914-40,Ipp.84-6).

إن الأصل الإتيمولوجى لكلمة (belemnite) ينحدرن من الكلمة الإغريقية belemna (مقذوفات). لذا من السهل النظر باعتبارهم مقذوفات

(76) Cook (1914-40,I.1.pp.85-6).

(77) See Gardiner (1957,p.487) and Gundlach (1982,p.136).

(٧٨) يمثل الرمز المصرى رحم البقرة أكثر من رحم المرأة ، ويعكس هذا مركز وجود القطعان وبخاصة البقر وهو الأمر الذى أشرنا إليه أيضا وقد تمسك كل من Schwabe Adams and Hodge (1982,p.445) بالاعتقاد بأنه شكل الرحم الإنسانى وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى فى ظهر كتاب (Vesalius) فى القرن ١٦ الميلادى . وليس لدىّ سبب يدعونى إلى الشك فى هذا إلا أننى لم أتمكن من العثور على الإشارة التى أعطوها لجاردنر ١٩٤٧ . وفيما يخص الارتباط ما بين الرحم والأمعاء من ناحية والشكل اللولبى واللابيرانث من ناحية أخرى ، انظر

Eco (1989,pp.362-3)

(٧٩) إن كتابة كلمة Hm مع العلامات المحددة يجعلنا نزداد اهتماماً بالبحث عن باقي المنقود .إنها تكتب مع العلامة لتعنى الحائط المنهار ، وتكتب مع لتعنى "يضرب أو يجير". كما أن كلمة Hm تعنى بهدم المباني أو إيذاء شخص ما . وتستخدم أيضا بمعنى أعاق أو طرد . وتعنى هذه الكلمة فى اللغة المصرية المتأخرة (تدمير - إجبار - فتح - تكسير) وتأتى مع العلامة المحددة (حركة) ويبدو أنها تشير إلى الحيوانات البرية . وتعنى كلمة Hm يمسك أو يقبض وكذلك ينشر أو يسوق . فإذا ما وضعنا كل هذا المنقود من الكلمات جنبا إلى جنب فإننا نجد أنها من حيث الدلالة اللغوية قريبة من الكلمة السامية (bwaz) ومعناها المزدوج الذى يعنى التدمير والانتشار والحماية منه. إن كلمة hm(way) تعنى "غبار" وإذا كتبت مع العلامة فإنها تعنى يبحر ، وهذا يدل على أنها ترتبط بالرياح . وإذا ما أخذنا فى الاعتبار التوازى ما بين عاصفة bwaza وعاصفة الاله hm,Mim فإنه يمكننا القول بأنها أصل الكلمة الإغريقية kheimon بمعنى العاصفة كذلك فإن كلمة kheima تعنى شتاء . وهى كلمة ذات أصل هندو - أوروبى واضح . ولكن من حيث الدلالة اللغوية يبدو أنها تنتمى إلى مجالين متباينين . وربما يكون هذا الوضع نتج عن تداخل جذريين مختلفين

(80) Gauthier (1931,pp.149-50),Chassinat (1966-8,II,pp.684-91)

(81) Gundlach (1982,col.136).

(82) Gauthier (1931,p.197).

للحصول على مسح شامل للنقوش التى تتعلق بالإله فى هذه الأقاليم انظر :

Bernand(1977)

(83) Gauthier (1931,p.176.) .

(84) Otto(1966,p.118;n.d.,p123).

(85) Budge (1904,II,p.18)Gauthier (1931,pp.180-1);Otto(n.d.,p123).

(86) Voss (1827-34).for Voss and Niebuhr,see Volume 1,p.298

(87) Borgeaud (1979,p.263)

فيما يتعلق ملاحظة أكثر إبهاماً انظر الملحق الذى أعده Alfred Willy

(Borgeaud 1979 ,pp.283-5).

(88) Ruijgh (1967,s.86,n.40).

(89) Volume I,p.454,n.50.

(٩٠) للمزيد من المعلومات انظر الجزء الأول ص ٩١ - ٩٢ .

(٩١) كلٌ من in(t) المصرية و Pan الإغريقية تشير إلى

Tilapia Nilotica

(92) Sethe (1908 ,pp.II-14;19loa,pp.71-8).

وكذلك Hani (1976) ولمعرفة المزيد حول هذا الأمر انظر الجزء الرابع.

(93) Astour (1967a,pp.174-5):

هناك احتمال بأن يكون الاسم الإغريقى الغامض لأحد الأسماك وهو bakoss عبارة عن تورية مثلما فى حالة Pan- panos

(94) Frazer (1911,I.pp.6-121) and Jacobsen (1976,pp.25-73).

(95) Plutarch ," on the Obsolescence of Oracles" , 419,trans Babbit (1936,p.4o3).

(٩٦) أستشهد بهذا افلاطون فى Minos راجع loeb انظر كذلك Hesiod,p.204.

(97) Odyssey, xi.586.

(٩٨) إشارة إلى الفصول (Cited Budge (1904,II,p.10 CLXII and CLXII1 أنظر كذلك Otto (1975b,.cols.245-6).

(٩٩) انظر الفصل العاشر ، هوامش ٢ – ٨ .

(١٠٠) Herodotos , II.7.

من الممكن أن يكون هذان اللفظان من الـ Mayan المبكر . ولكن يظل هذا محض افتراض

(١٠١) Lloyed (1988,pp.6-10).

(١٠٢) يظل الموقف غامضاً في ضوء الحقيقة التى تعرفها التى تقول أن هناك شخصية أسطورية فى الهند ينسب إليها الفضل في إعادة الاستقرار السياسى ووضع التشريعات وأن هذه الشخصية هى .Maru

(103) Diodoros ,IXCV 1-2.trans .Oldathr (1935,Ip.319).

(104) Aelian XI.10cited in Otto (1938,p.5.n.2).

(105) Manetho Fragments 8,9 and 10; Vercoutter (1975,col.338)

وانظر أيضا : Lloyd (1976,p..171)

(106) Herodotos, II.99.

الذى يرى أن min هو الذى قام بإنشائها. وانظر أيضاً (Gardiner 196Ia,p4o8)

(١٠٧) فيما يتعلق بـ Iwn,Iwnw or ,On أنظر الجزء الأول ص ١٧٦ ، ١٧٧

(108) Coffin Texts,V.1916.see also Kakosy (1982,col.165).

(109) Sethe (1923,p.191). see also Otto (1938,p.34).

(١١٠) بعيداً عن تلك التى وردت فى النص يجد المرء تشابها كما هو الحال فى كلمة minwi (ميناء) وكذلك الكلمات التالية mrw mr، mrgt التى تعنى ميناء وشاطئ (السفينة) وكذلك كلمات. mn ، mr . وهما كلمتان تعنيان (الرجل المريض). ومما يستلفت الانتباه في اللهجات الحالية فى مصر والمغرب أن النهاية (s ,) التى عادة مما تنطق n فمثلا Football تنطق (futban) .

(١١١) سوق نناقش كلمة mniw عند الحيث عن الميناثين .

(١١٢) انظر الجزء الثالث.

(113) Lloyd(1978,pp.609-26):

للمناقشة حول كلمة mtwn اسم المكان الذى كانت تجرى فيه مصارعة الثيران وعلاقته بكلمة mothos التى ترد فى حالة المفعول به فى شكل mothon

(الصوت الذى يحدث خلال المصارعة) والأماكن التي تحمل اسم

mothone ، 41 .. methana إلخ ، انظر ما يلي هامش ١٧٤ الجزء الثالث

(114) Erman (1934,p.27).

إن شكل الثور الذى يحمل رأس منفيس قد أعيد مرة أخرى ، انظر :

anzone (1881-6,vol.I,pp.170-2,pl.55-3) وهـو شـكل بطلمي وفي حـدود ما أعلم فليس هناك ما يدل علي وجود أقدم له .

(115) Diodoros ,I.61.1-3, and pliny.N.H.XXXvi.90.

(116) Herodotos.

وقد وقع نظر نيبرى على الموقع في عام ١٨٨٩ وعام ١٩١١ وجده مجرد مساحة من الأراضي المليئة بالأحجار الجيرية المتشققة. ويبدو أن هذا الموقع شهد عمليات إحراق الجير خلال العصر الروماني . وقد ذكر ديودور وبليني أن الموقع تعرض للتدمير على أيامهم أنظر جاردنر Gardiner (1978,p.70;1985) إن القليلين. من الدارسيين منذ العصور القديمة المتأخرة الذين يرون أن بحيرة مويريس التي ذكرها هيرودوت هى ذاتها بحيرة الفيوم . قد قبلوا وصفه للبحيرة والبناء الذى أقامه مويريس أو أمنمحات الثالث تفصيلاً. وعلى الرغم من ذلك فإنهم رأوا أنه من المعقول الربط ما بين اللابيرنث، وبين هذا المبني الذى يبدو أنه معبد جنائزى غير عادى أقيم بطريقة شديدة الإتقان . وهو ما أكدته الأساليب الأثرية والنقوش. حول دراسة هذا الأمر أنظر Lloyd (1988,pp.121-71) ويجدر بالملاحظة. كما أنه أمر ذو دلاله فيما يخص النظرة المتشككة لدعاة الآرية وهى النظرة التي تميل إلى تغير النقوسية الإغريقية فى مصر بما يتفق مع ما ترغبه العقلية الإغريقية أن Armayor يرى أن ضرورة النظر إلى الأصول الباكرة للابيرانث الإغريقي كما هى .

(117) Brugsch (1879 - 80,II,P501).

أشرنا إلى هذا الكاتب من قبل فى الجزء الأول ص ٢٦١ – ٢٥٨

(118) Gauthier (1925-31,III,p.119).

(119) Kretschmer (1896,p.404).

كذلك أخرون ساروا على هذا الافتراض. انظر Hester (1965,pp.358-9) ومن الملاحظ أن كلاً من فريسك وشانتربن لم يشيرا إلى اعتراض Brugsch فيما يتعلق بعبادة البلطة المزدوجة وأصولها، في الشرق الأدنى انظر الفصل الأول هامش ٦١– ٦٢ أعلاه .

(١٢٠) انظر الجزء الأول ص ٦٤ .

(121) Hall(1905,pp.320-4)in 1920(pp.153-5);Lloyd (1970,pp.92-6).

(122) Waddell (1940,p.224,n.1)

يبدو أنه خلط بين اسم الفرعونين عندما أطلق عليه marrus أو mendes وإنني أرى أن هذه تنحدر من Imn m hbt and Ny-my t-rc وعلى آية حال فإن فيرجوت Vergote (1962) يذهب إلى القول بأن كلاً

الاسمين عبارة عن أشكال مختلفة Ny-my t-re فيما يخص العلاقة ما بين Imn m h3t و Memnon انظر الفصل السادس هامش ١٤٧ – ١٤٨ .

(١٢٣) انظر الجزء الثالث .

(124) Apollodoros.II.5.9 and III.1.2, and Nonnos ,xIII.222 and XL.284.

(125) Gauthier (1931 ,p.83).

(١٢٦) انظر الجزء الأول ص ٩٥ .

(127) Gauthier (1931,pp.83,2o5).

لقد قرأ Sethe الأسماء رقم ٤٧ و ٥٢ في قائمة أبيدوس كما يلي Nfr-KiMin and Nfr-Ki Minnnw انظر المناقشة في هذا الصدد (Stock,1949,p.35 وهو أمر يستلفت النظر . هؤلاء الفراعنة من الأسرة الثامنة التي يكتنفها الغموض من القرن الخامس والعشرين (في أوسطه) ربما تمثل رابطة ما بين Min والبيت الحاكم في كريت لمدة عدة مئات من الأعوام بعد ذلك

(128) Gundlach (1982,col.136)

(١٢٩) انظر الجزء الأول ص ٣١٠ – ٣١١

(١٣٠) انظر الجزء الأول ص ٨٥– ٨٨ .

(131) Graves (1955,I,p.298);Wilamowitz- Moelendorff (1931 32,Ip.56,n.3)

(١٢٣) انظر (52- Ranke (1935

و في الواقع إنني لست أول من اقترح وجود أصل مصري لاسم Radamanthys فقد سبقني إليه بيرارد (Berard did so (19o2- 3,pp.68-9 الذي قال بأنه ينحدر من الأصل المصري amenti أو In nty وأنه ورد ذكره عند بلوتارك كما يلي " Amenthys " وهو إسم البر الغربي حيث كانت تجري محاكمة الموتى . وربما يكون هناك تورية ، انظر ما يلي هامش رقم ١٤٣ . إلا أن بيرارد لم يستطع أن يفسر معنى المقطع الأول للاسم أي (Rhacla)

(133) Gardiner (1957,p.217:288).

(١٣٤) انظر نصوص الأهرام رقم ٥٠٣

(١٣٥) من أجل الحصول على معلومات مفصله عن هذه العبارة انظر :

Bourghouts (1982,cols200-4).

(136) Jahnkuhn (1980,col.212).

(137) Bourghouts (1982,col.201).

(138) Budge (1904,I,p.328);Mercer (1949,p.125).

(139) Rusch (1922);Frankfort ,de Buck and Gunn(1933,p.27).

لمعرفة وجهة النظر المناقضة انظر (Hollis (1987a,.pp.7-8

(140) Otto (1938,p.47);Bourghouts (1982, col .2ol); Drawer .(1940,pp.157-9).

(141) Bourghouts (1982,col.202).

(142) Book of Coming Forth by Day , cxi ,6 and Clxx.see Budge (1904,II,p.26)

(143) Hesiod ,in Merkelbach and West 1983 ,frs 140-4.

Odyssey Iv.564;Diodoros,V.79;Nonnos ,XIX.190.see also Marinatos (1949,p.II).Victor Berard (1902-3,pp.68-9)

وفيما يتعلق بالربط بين هذه و amenti انظر أعلاه هامش ١٣٢ وربما يكون هناك تورية بين هذه وبين شخصية rhadamanthy-s

(144) Odyssey IV.564 and VII.323.Marinatos (1949,p.II)

يترجمها إلى " الأشقر " ويستخدمها فى محاولة لإيجاد رابطة ما بين رادامنثيس وبيوتيا . حيث يرى أن الشقرة أمر شائع بين سكان هذا الإقليم

(145) Iliad, XIV.322.

(146) Odyssey , VII.323.

(147) Diodoros,V.79.I-2.

(١٤٨) انظر الفصل الثانى ، هوامش ١٩٠- ١٩١

١٤٩) انظر الفصل الثانى ، هامش ١٥٩ .

(150) Ranke (1935 -52,I,pp.54.57).

للمزيد من المؤشرات ، حول نطق Mntw انظر Gardiner (1947,II,p,22)

(151) Drioton (1931,pp.26o-1); Lanzone(1881-6,Vol.I,pp.293-9,pls99.2 and 4)

(152) Ward (1971,p.138).

(153) Contenau (1953,p.17,Plate 40).

سوف نناقش أمر هذا الكنز فى الفصل الخامس ، هامش ١٢٦-١٣٧

(154) Bourghouts (1982,col.200).

(١٥٥) فيما يتعلق بالتشابه ، انظر على سبيل المثال Maspero (1884,p.462,n.1.)

الفصل الخامس

سيزوستريس الأول (Sesostris I)

(الدليل الأثرى والوثائقى للروايات اليونانية عن انتصاراته)

ترجمة : محمود إبراهيم السعدنى(*)

يقول ليفيوس : (Levi, 1971, vol 1, p.117,)

"إن الصورة الغريبة (للفرعون) سيزوستريس هى واحدة من مشكلات الكتاب الثانى عند هيرودوت".

لقد بينت ، كما كنت آمل ، أن هناك العديد من المناهج المتاحة لدراسة التاريخ القديم لحوض البحر المتوسط، بما فى ذلك آثاره، ولغته، وأسماء أعلامه، وتراثه وتقاليده التى ظلت سائدة بين شعوب المنطقة فى أزمان لاحقة. كما أن هناك، أيضًا، الوثائق المعاصرة. وهذه ، على وجه الخصوص، لها علاقة وثيقة بموضوعنا، وذلك لأن مصر، مع مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد، كانت بالتأكيد تعرف الكتابة، وكذلك كان المشرق (Levant)[1] على نحو شبه يقينى، ومن الواضح، أيضًا، أن هذه الكتابة كانت تستخدم فى كل من أناتوليا (Anatolia) [2] والعالم الإيجى (Aegean) ، إبَّان الألف الثانية ق.م، وهى الفترة التى تهمنا بدرجة كبيرة .

وهنا ، تارةً أخرى ، يجب أن يكون واضحًا أنه ، وبالضبط كما فى حالة الدليل الأثرى، ليس هناك ما يقال إنه تمويه إذ لا توجد وثائق معاصرة، من طراز

(*) سيكون لنا هنا تعليقاتنا الخاصة وبعض الشروح بهامش وبرقم عربى مسلسل ، بينما ستظل الهوامش الأجنبية كما هى بحروفها الإنجليزية ، وذلك – كالعادة فى آخر الفصل .

"أن سى (X) المصرى الفينيقى وصل إلى هذا المكان فى اليونان وأسست مدينة مملكة هناك[٢]"، مما يؤكد بجلاء النموذج القديم . كما أنه لا يوجد من ينكرون هذا الموضوع. إن كل ما يمكن أن يفعله الإنسان، في غياب تلك الوثائق، أن يمعن النظر في القرائن التي يمكن أن تمدنا بها والذى يمكن أن تمدنا به وثائق عصر البرونز، فيما يخص العلاقات بين المشرق، وإقليم بحر إيجه إبَّان الفترة الوسيطة والمتأخرة من عصر البرونز.

ويركز هذا الفصل على نص وحيد من أغنى مصدر للدليل الوثائقى، ألا وهى مصر. وهذا النص لم يذكره اليونان بطريقة مباشرة، حيث سنتناول تلك الوثائق المباشرة فى الفصل العاشر، ومع ذلك، فإن أثر"ميت رهينة" المنقوش ، وعلاقته بروايات هيرودوت وآخرين عن الانتصارات العظيمة للفرعون سيزوستريس هو، كما أعتقد، واحد من أهم المصادر القديمة ذات القيمة غير العادية، ليس فقط للتأكد من مصداقية المصادر الكلاسيكية، ولكن أيضًا من أجل فهم التغيرات التى طرأت على مناطق الأناضول والبلقان والقوقاز وعالم وبحر إيجه مع نهاية فترة عصر البرونز المبكر.

اكتشاف نقش

" ميت رهينة "

ظل جيرارد هاينى (Gerhard Haeny) ، مدير المعهد السويسرى للآثار بالقاهرة، ولمدة عدة سنوات، يشك فى احتمال وجود نقش كبير أسفل واحد من التماثيل العملاقة لرمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م)، والذى يقف منصبًا (مشيداً) أمام معبد الإله بتاح. وظن جيرارد أن هذا النقش بناه أو وسَّعه فراعنة الأسرة التاسعة عشرة، فى الموقع ذاته الذى يتبع الأسرة الثانية عشرة، فى ممفيس، بالقرب من القرية الحالية المعروفة باسم " ميت رهينة ". وفى عام ١٩٧٤ قام سامى فرج، مفتش الآثار، باستخراج النقش المحفور على لوح كبير من الحجر.

وعندما شاهد النقش لبيب حبشي، عميد الآثار المصرية، أدرك على الفور أنه يشبه قطعة أخرى أصغر كثيراً كان قد تم العثور عليها بالقرب من المكان نفسه، وتم نشرها على أيدى فلندرز بترى (F. Petrie) في عام ١٩٠٩ . و سرعان ما اتفق الجميع على أن القطعتين تحملان صفات النقش ذاته " الطول بشكل ملحوظ". وحتى بالرغم من أن القطعة الجديدة كانت ذات أطوال ٢×٢,٥ متراً مربعاً، إلا أن القطعتين قد أكملتا، فقط، جانباً من النقش الأصلى الكلى. كانت بداية ونهاية النقش الأصلى مفقودتين، وكذلك رؤوس كل السطور، وساهم فى عدم وضوح النص، حتى الآن. إن الجانب الأيسر من الصورة، التى تم التقاطها له حينئذ وتم نقل النقش عنها، لم تكن بؤرة العدسة مركزة عليه، وأصبح من المستحيل أخذ صورة جديدة له. ومع ذلك، فإن فرج وجورج بوزينيه (G. Posener) ، الأثرى البلجيكى، اعتقدا عن حق بأن النقش كان هاماً جداً إلى درجة أنه، وبالرغم من بعض النواقص، يجب نشره بأسرع ما يمكن. ولقد تم ذلك فى مجلة الآثار المصرية: (Revue d'EgyptoLogie) في عام ١٩٨٠[1].

ولم يكن مستغرباً بأنه لم تكن هناك ترجمة كاملة، ولكن بوزينيه وفرج كانا قد كتبا، كلاهما، ملاحظات على بعض محتويات النقش. ويشير النص مراراً وتكراراً، إلى ملكين من فراعنة الدولة الوسطى، وهما سنوسرت الأول (Senwosre I) وأبنه أمنمحات الثانى (Amenemhe II) ، فى مطلع الأسرة الثانية عشرة، فيما بين ١٩٥٩ و ١٨٨٢ ق.م، وكان ذلك النص قد تم إنجازه، على الأرجح، مباشرةً عقب نهاية حكم الفرعون الأخير[2] .

ويذكر النص ، فى معظم متنه، الحملات العسكرية خارج الحدود المصرية، سواء ما كان منها برياً أو بحرياً. وبعض هذه الحملات كان إلى أفريقيا، ولكن أغلبها كان موجهاً إلى آسيا، واتجهت واحدة ، فقط، صوب سيناء، واثنتان ذهبتا إلى حنتص (Hnty-s)، أى لبنان ، فى حين توجهت حملة أخرى إلى سط (Stt) ، وهى التى شارك فيها الفرعون بنفسه.

وست (Stt) اسم بلد فى أقصى الشمال. واستخدمت الدولة الحديثة هذا الاسم، للدلالة علـى نهارين (Nahrin) ، أو مملكة الميتانيين (Mitanni) فى سوريا الشمالية

وما بين النهرين ميسوبوتاميا[٤] (Mesopotamia) ، ولكن أول استخدام لهذا الاسم للدلالة على اسم آسيوى كان قد لوحظ منذ الأسرة الحادية عشرة[3].

وأشار نقش ميت رهينة، كذلك، إلى حملات عسكرية دمرت بلدانًا أخرى صوب الشمال، لم ترد أسماؤها فى أى مكان آخر فى النصوص الجغرافية المصرية. واسفرت نتائج تلك الحملات، أو الغارات، عن إحضار كميات ضخمة من البضائع المميزة إلى مصر، وهى فى الغالب ماشية، وعبيد، ومعادن.

أهمية النقش كدليل على وجود

إمبراطورية مصرية فى آسيا إبان الدولة الوسطى

ما الملفت للنظر فى هذا النص؟

إنه فى المقام الأول، وكما سنرى، يبدو وقد أعطانا دليلاً قويًا لتدعيم وتأييد التراث اليونانى المتأخر جداً القائل بأن سنوسرت الأول وأمنمحات الثانى قادا حملات ضخمة بعيدة صوب الشمال من مصر.

وثانياً، يدعم النقش بقوة موقف علماء المصريات والمؤرخين القدماء الذين يزعمون أن مصر إبَّان الدولة الوسطى كان لها إمبراطورية، أو على الأقل دائرة تأثير وهيمنة، فى منطقة الشرق.

ثالثًا، يمثل النقش بيانًا توضيحيًا داعمًا، لعلم المصريات والتاريخ القديم باعتبارهما مبحثين علميين. ذلك لأن هذا الدليل الجديد والهام لمثل تلك الحملات الكثيرة المكثفة، أتى من فترة ساد الظن بأنها معروفة جيداً سواء فى المصادر الرسمية أو الأدبية. إذ وضحت هذه المصادر أن مصر كانت غنية وقوية خلال مطلع الأسرة الثانية عشرة، بعد أن أمسك زمام السلطة فيها مؤسسها أمنمحات الأول.

لقد كانت الأسرة الحاكمة من أقاصى الصعيد، ويبدو أن والد[٥] أمنمحات كان قد أتى من إقليم طيبة، وكانت أمه من طاستى (T3Sty) ، المتاخمة لإقليم إليفانتين (Elephantine) أو أقاصى النوبة (Nubia) . وأياً ما كان الأمر، فإن هناك شك قليل بأن هذه الأسرة ، كما يعتقد جاردنر (Gardiner) من أماكن " كان أهلها، فى جزء منهم على الأقل، من جنس نوبى[4]." وهكذا، فإنه يبدو معقولاً أن نسلم بدقة أعمال النحت من التماثيل التى تصور هؤلاء الفراعين أناسًا سود البشرة، بالرغم من أن هناك تماثيل أخرى تعطيهم مظهراً آسيوياً، بشكل أكبر. وعلى الرغم من أصلهم الجنوبى، فإن فراعنة هذه الأسرة قد نقلوا عاصمتهم بعيداً عن طيبة (Thebes) ، عاصمة الأسرة الحادية عشرة ، إلى مدينة اللشت (Lisht) فى شمال مصر العليا (أى فى إقليم الفيوم) [٦].

ويشهد عهد سنوسرت الأول إنجازاً معمارياً يفوق الوصف فى ضخامة عدده. وفى هذا يقول عالم المصريات سمبسون (Simpson) "إن عدداً قليلاً من المواقع هى التى لم تشهد نشاط الملك المعمارى لإنشاء الصروح الضخمة الكثيفة[5]." ومن المهم بوجه خاص، أن النقش (موضوع الدراسة) ربما كان قد ألحق بمعبد بتاح الكبير، فى ممفيس، والذى ربط بينه – كما سنرى فيما بعد – الكتاب اليونان وبين سيزوستريس على وجه الخصوص[6].

إننا نعرف أن جنرالات الجيش فى عهد الفرعون أمنمحات الأول كانوا نشيطين فى حملاتهم العظيمة فى النوبة وكذلك إلى الغرب ضد الليبيين. ويظهر سنوسرت نفسه، قائداً لواحدة من تلك الحملات الأخيرة، عندما ظهرت محاولة انقلابية استهدفت حياة أبيه. وليس واضحاً بدقة، متى حدث ذلك، ولا إن كانت قد نجحت تلك المؤامرة، بالرغم من أنها محتملة الوقوع[7]. وإذا كان ذلك قد تم بالفعل، فإنه يكون قد حدث مع نهاية العشر سنوات، من الحكم المزدوج (بين الفرعون وابنه)، وأن سنوسرت أعاد النظام بسرعة واستعادت مصر ثروتها وقوتها، واستمرت فى التوسع.

وانقسم العلماء على أنفسهم واختلفوا حول اهتمامات الأسرة الثانية عشرة وسطوتها فى آسيا. وحتى الآن، فإن الدليل الوثائقى الوحيد والمعاصر لفتوحات هذه

الأسرة في آسيا هو النصب الحجرى التذكارى لأحد جنرالاتها المدعو " نسومنتو" (NSW Mntw) ، إذ يسجل هذا النصب التذكارى حملة له انتصر فيها على الآسيويين، ودمر قلعتهم، إبَّان حُكْم أمنمحات الأول وسنوسرت الأول[8]. ومع ذلك، فإنه هناك دليلاً هامًا غير مباشر عن هذه الفتوحات، كما أن معلومات علماء المصريات عن العلاقات المصرية مع آسيا في ذاك الوقت، تأتى في المقام الأول، - وهذا مما يلفت الانتباه - من نص أدبى يرجع إلى هذه الفترة، وهو قصة سنوحي [9].

هذه القصة المفْعَمة بالحيوية، والتى ظلت لقرون عدة واحدة من أكثر القصص شعبية في مصر، تدور حول سنوحي، أحد رجالات القصر الفرعوني، والذى ترامى إلى سمعه عن غير قصد أحد أخبار وأسرار الدولة عن موت أمنمحات الأول. عندئذ، وخوفًا على حياته، هرب إلى كنعان[٦] (Canaan) . واتجه سنوحي إلى أقصى الشمال حتى ببلوس (Byblos) وبعد ذلك عاد متوجهًا إلى بلاده متخذًا طريق العودة. ولكنه، في نهاية المطاف استقر في رتنو (Rtnw) العليا، والتي يبدو أنها هي الأراضي الداخلية لسوريا الجنوبية[10]. وهناك أصبح سنوحي، أولاً، مستشارًا لملك إقليمي محلي، ثم رئيسًا ثريًا مستقلاً بنفسه. وبعد سنوات عديدة هناك، أعطى الفرعون سنوسرت الأول لسنوحي تصريحًا وإذنًا بالعودة إلى مصر، مرحبًا به للإلتحاق بقصره، تارة أخرى، وقد دفن جثمانه في مصر.

إن أحدًا لا ينكر أن القصة تحتوى على حقيقة تاريخية وخيال مبدع، والصعوبة، هنا، تكمن في التمييز بين الاثنين. كما أن قصة حياة سنوحي وإقامته في رتنو تتضمن أوصافًا قليلة عن بعض الشئون العسكرية. كما أنه، وعمومًا في الواقع، فإن العلاقات الحميمة بين المصريين وأهل البلاد الأصليين لتلك المنطقة، وكذلك ذهاب وإياب رسل سنوسرت الأول عبر إقليم رتنو (Rtnw) فضلاً عن تقارب الأمراء السوريين وتملقهم للسلطات المصرية، كل أولئك يوحي بنوع من الهيمنة المصرية على الإقليم. ومن ناحية أخرى، فإن القصة تصف سنوسرت الأول وكأنه :" خلق لكي يؤدب البدو، ويسحق أهل الرمال". كما تصفه بأنه : "هو الذى يقطع رقاب أولئك الذين بين الآسيويين ". كما أن مناظر من المعبد الجنائزى للفرعون سنوسرت الأول تصور جمع

الجزية والغنائم من الأجانب المهزومين، مع صفوف من الأسرى تضم رجلاً سورياً[11].
كيف يمكننا أن نوفق بين كل هذه الصور المتناقضة للحرب والسلام[٧]؟ .

هناك احتمال واحد، أن نفترض سيادة السلام داخل منطقة الهيمنة المصرية وأعمال الحرب فيما بعدها. وقبل السير قدمًا لتطوير هذه الفكرة، بالرغم مما سبق، فإننا يجب علينا أن نلتفت إلى التفسيرات شديدة التباين التى نستقرئها من الدليل الأثرى لبيان ما إذا كان لمصر، فى عهد الدولة الوسطى، إمبراطورية أسيوية أم لا.

إننا نعرف أنه كان هناك نشاط مكثف فى مناجم سيناء. كما وترجع أكثر الآثار الدالة على الأنشطة المصرية هناك إلى الأسرة الثانية عشرة إذ تزيد وحدها عن آثار الأسر الأخرى مجتمعة. وفوق ذلك كله، فإن العلاقات (الخارجية بين مصر وجيرانها)[٨]، وخلافًا لما هو معروف عن مثيلاتها فى فترات أخرى، تبدو لنا بأنها كانت ودية. وكذلك خلافًا لما جاء فى آثار الدولة القديمة، فإن هناك مؤشرات قليلة من الدولة الوسطى تفيد بأن حملات التعدين (مناجم سيناء) كانت حملات مسلحة[12].

ولكن الدليل الأثرى للإتصال مع مصر يوجد بعيداً عن سيناء. كما تم الكشف عن أعداد كبيرة من أشياء ترجع إلى عهد سنوسرت الأول، ليس فقط فى الإقليم السورى، الفلسطينى، ولكن أيضًا فى الأناضول (Anatalia) وثار جدل حامى الوطيس بشأن أهميتها خلال القرن العشرين الميلادى، كما سنرى فى هذا الفصل وفى الفصل الذى يليه. لقد أوجز عالم الساميات والمتخصص فى آثار فلسطين وليام فكس إلبرايت (W.F.Albright) النتائج التى انتهى إليها علم الآثار البريطانى والأمريكى، فيما بين الحربين العالميين، حينما كتب يقول:

إن غرب فلسطين وكذا فينيقيا[٩]، وأجزاء من سوريا كانت خاضعة للسلطة المصرية وللثقافة المادية المصرية....وإن الآثار لشاهدة على وجود اتصالات مباشرة مع القصر الملكى المصرى التى ترجع إلى عصور قديمة منذ مطلع القرن ١٩ ق.م (وهى الفترة التى يؤرخ بها ألبرايت للأسرة ١٢

وقد تم الكشف عن هذه الآثار في أقصى الشمال حتى أوغاريت (Ugarit) ، وفي أقصى الشرق عند قطنة (Qatna) ، شمال شرق حمص (Hums) . كما أن المكتشفات، التي عثر عليها في بيبلوس (Byblus) تعطي فكرة حية عن مدى تأثر الفن والصناعات الحرفية في فينيقيا بمصر. وإن نصوص اللعنة (منذ نهايات الأسرة الثانية عشرة التي هزمت أعداء مصر) تمكننا ، هي الأخرى، من أن نرسم خطًا حدوديًا للمنطقة التي تخضع للسيادة المصرية المباشرة عبر وسط سوريا، شمال دمشق، وحتى وادي اليوثيروس (Eleutherus) في وسط فينيقيا)[13].

لقد تأكدت هذه الصورة العامة وتطورت على أيدي جورج بوزينيه ((G. Posener، والأثري الإسرائيلي رافائيل جيفون[14] (R. Giveon). لقد وجه بوزينيه الأنظار إلى مؤشرات عن " إمبراطورية " مصرية في الإقليم السوري – الفلسطيني[١٠]، وذلك عن طريق اتصالات منتظمة وحركة نقل للجزية والغنائم، كما يستشهد بوزينيه بسطر من قصة سنوحي عندما كان الأخير يحيا في رتنو : (Rtnw) "إن المبعوث الذي ذهب إلى الشمال أو إلى الجنوب، في اتجاه مقر الحكم (للفرعون) ، توقف لأنني كنت هناك[15]". لقد أشار بوزينيه إلى أن سنوحي وجد مصريين[١١] في أماكن كثيرة زارها. كما أشار بوزينيه أيضًا إلى النص المشهور المعاصر لنص سنوحي، والمعروف عمومًا باسم : "مشاق التجارة The Satire of the Trades" هذا النص المدرسي، الذي كان يشجع التلاميذ على الدراسة بوصف مساوئ وشرور كل الوظائف والمهن الأخرى ما عدا مهنة الكاتب ، يحتوي على الأبيات التالية:

- إن المبعوث يذهب إلى أعماق الصحراء
- تاركًا بضائعه مع أطفاله
- خائفًا من الأسود ومن الآسيويين (r3mw)

"إنه يأمن على نفسه (فقط) حينما يكون في مصر[16]

إن اسم رامو (r3mw) عادة ما يقال إنه غير مصري ، وإنه سامي على الأرجح. ومع ذلك ، فإن المتخصصين غير متأكدين من أصل الكلمة، ولعل الأرجح أنه من أصل

أرامي (arami) ، حيث يوجد النصوص الآشورية، التي تشير إلى البدو الآراميين ، وهناك صعوبة رئيسية تتمثل في أن كلمة (r3mw) تظهر في النصوص المصرية لمدة أكثر من ألف عام قبل أن نسمع عن الآراميين لأول مرة من المصادر السامية ، وذلك في أواخر القرن الثاني عشر ق.م، في حوليات الملك الآشوري الفاتح تيجلات بيلسر الأول[17] (Tiglath-Pileser I) وهذا، فيما أعتقد، قد تم نقضه مما هو معروف عن ثبات وبقاء الأسماء العرقية، وكذلك بسبب أوجه التماثل المثيرة بين المجموعتين. إن كلمتي رامو (r3mw) و أرامي (arami)، تظهر بمعنى البدو الذين يسكنون الصحراوات في سوريا وشمال ما بين النهرين[١٢] (العراق).

ولما كان المصطلح رامو (r3mw) قد طالعناه لأول مرة في نهايات الدولة القديمة، وكان شائعًا في الدولة الوسطى حيث نعرف أن الحرف (3) كان مستخدمًا ليقابل صوتيًا الحرف الأجنبي (r) وكذلك حرف الـ (L) ، فإن ذلك لا يمثل لنا مشكلة، ولكن التمييز والتفريق بين الـ "عين" (ayin) المصرية، والـ "ألف" (aleph) السامية الغربية، التي تكتب مع (بدايات) الأسماء لهو أمر أكثر خطورة، ومع ذلك، فإن هناك العديد من الأمثلة للتأثير المتبادل بينهما داخل اللغات السامية. كما أن هناك إضطرابًا كبيرًا في تقدير حجم مديونية أحدهما للآخر، والتي تبدو محتملة جدًا، ولاسيما مع احتمال أن يكون الاسم المصري (السابق الذكر :r3mw) مأخوذ من كلمة هي " عرب " (arab) ، وهي الاسم السامي الآخر الذي يعني بدو الصحراء[18].

وكما أوضح فونتنروز (Fontenrose) ، عالم الأساطير، فإن هومر كان فيما يبدو، على علم بالآراميين، عندما أشار إلى جماعة باسم "أريموي" (Arimoi) وموضع ذكر هؤلاء، في الإلياذة ، يقع بشكل مدهش على وجه الخصوص كالتالي:-

" كانت الأرض تئن من تحتهم (الجانب الآخى)[١٣] وكذلك تحت زيوس، الذي قذف بصاعقته، عند غضبه، حينما كان يعاقب الأرض من حول تيفويوس (Typhoeos) في بلاد أريموي (Arimoi) ، حيث يقول الناس إنه مضجع تيفويوس[19]".

وكذلك نجد فرانسيس فيان (Francis Vian) عالم الأريات المتطرف في محاولاته المتكررة لنفي كل التأثيرات السامية على اليونان ، يقول إن أريموي (Arimoi) -

المذكورة عند هوميروس – تمثل أرض الجن الأسطورية بشكل تام[20]. ولكن فونتنروز (Fontenrose) كان أكثر عقلانية وقبولاً عندما ربط أرض تيفويوس أو تيفون (كما ذكرنا نحن في هامشنا رقم [١٤]) بمنطقة كيليكيا (Cilicia) أو شمال سوريا، حيث كان الآراميون لهم الغلبة في القرن التاسع ق.م[21].

وفي هذا الإطار، فإنه من الجدير بالذكر أن نلفت النظر إلى أن اسم تيفويوس كان هو المعادل للإله المصرى ستِ (Sth) أو (Seth)، والذى كان إلهًا للاضطراب والصحراء، وبالتحديد على أرض ستِ (Stt). ويبدو أن هناك علاقة مجازية بين الاسمين (أى بين اسم الإله واسم موطنه). وكانت أرض ست (Stt)، هذه، يُنظر إليها عمومًا على أنها أرض سورية – فلسطينية، وتشير إلى الشمال (انظر صفحة ٢٣١) – أى أرض جماعة (r3mw)، السابقة الذكر. ويتجلى صراع الإله ست مع حورس (Horus) بوضوح، في الأساطير اليونانية، في مثيله كصراع بين تيفويوس/ تيفون وزيوس[22].

ويزيد احتمال معرفة الاغريق القدامى بأرض الـ (r3mw) / الأراميين بعد شهادة هوميروس بكلمة " إريموس " (Eremos)، من جذر كلمة (eremo)، والتى تعنى " المكان أو الأشخاص المنعزلين أو المهجورين"، وذلك فى إشارة خاصة إلى الصحارى وسكانها. وكان أحد اشتقاقاتها كلمة إريميتس (Eremites)، والتى منها كلمتنا (فى الإنجليزية) هرمت (hermit)، أى /ناسك. إن معقولية وقبول اشتقاق أفريقى آسيوى لهذه الكلمة، يزداد مع عجز علماء المعاجم عن ايجاد بديل هندى – أوروبى[23].

ونعود إلى أدلة وحجج بوزينيه لصالح السيادة المصرية على الإقليم السورى/الفلسطينى، فى ذاك الوقت، فقد فسر الصدريات الذهبية المؤرخة بالأسرة الثانية عشرة، وكذلك جواهر الصناديق والأسود الملكية، (والتى كانت قد اكتشفت ليس فقط فى بيبلوس (Byblos) وبيروت ولكن أيضًا فى أوغاريت (Ugarit)، وحلب (Aleppo) وأماكن أخرى) على أنها هدايا احتفالية إلى ملوك محليين[24]. كما أن ستيفنسون سميث (Stevenson Smith) ووليام ورد (William Ward) قد أشارا إلى أنه هناك أيضًا تماثيل لأشخاص مصريين عاديين عثر عليها فى فلسطين وسوريا بل وفى أماكن أبعد

كثيرا حتى كريت وجنوب الأناضول، كان قد تم إهداؤها إلى المعابد المحلية، ويشير هذا إلى أن وجود مصر استمر زمنًا طويلاً، في هذه المناطق[25]. وعلى الجانب الآخر من العملة أظهر لنا بوزينيه أن الآسيويين المرسومين على جدران إحدى مقابر بني حسن، في مصر الوسطى مع مطلع القرن ١٩ ق.م، لم يكونوا بدوًا جائعين، كما كان يظن عادةً، ولكن هم عبارة عن شيخ ثرى[١٥]، ومعه عشيرته وكانوا من المحتمل في مهمة تجارية، أو رسمية[١٦]. لقد ربط بوزينيه ذلك بالواردات الآسيوية العديدة ووجود العبيد في مصر إبَّان الأسرة الثانية عشرة. كما أن هناك لوحات جدارية أخرى، من بدايات حكم سنوسرت الأول، تُظهر لنا، ليس فقط جنودًا مصريين، بل أيضًا نوبيين وآسيويين[26].

ومع ذلك، فإن هناك علماء آخرين هم أكثر شكًا بكثير حول هذه "الإمبراطورية" الآسيوية. وفولفجانج هلك (W.Helck) ، الذى تسيد علم المصريات في ألمانيا طيلة الثلاثين عامًا الأخيرة، يستبعد أي خبر حول سوريا من ادعاءات سنوحي، ويشير إلى أن مؤلف القصة ربما كان، فقط، في جنوب فلسطين [27]. ويرفض هلك، فكرة وجود "إمبراطورية" مصرية في آسيا، ومن ثم يقبل بوجود اتصالات حميمة مع ببلوس (Byblos) بصورة، أقرب ما تكون إلى اعتبارها مستعمرة (مصرية). ولكن هلك يسلم بقيام تبادل تجارى مؤكد للبضائع الخام مع أماكن بعيدة جداً حتى أفغانستان. كما يعتقد بأن الأعداد الكبيرة للعبيد الآسيويين، في مصر، إبَّان الأسرة الثانية عشرة هي نتاج تجارة غير مباشرة، كانت تتم في أغلبها، عبر وسطاء تجاريين سوريين.

كما أن العالم الأمريكي والمرجع الكبير للدراسات اللبنانية والفينيقية، وليان ورد (W. Ward) يتشكك، بالقدر نفسه (كما فعل هلك) في وجود أية "إمبراطورية" آسيوية للدولة الوسطى. إنه يسلم بأن هناك دليل ، من سنوحي ، يشير إلى وجود مصريين في فلسطين، ويلفت النظر إلى أن سنوحي كتب يقول بأنه كان مضطراً لأن يتسلل خلف حائط دفاعي كان مبنيًا على الحدود الشرقية لمصر، مما يعني أن السيادة المصرية على المنطقة ، الواقعة عدة أميال بعد هذا الخط، (يقصد السور الدفاعي) تبدو غير محتملة[28]. ومع ذلك، فإنه حتى ولو كانت هذه الأسوار تدعمها حراسة قوية ودفاع قوى فإن أسوار الإمبراطوريات التقليدية مثل الصين وروما، نادراً ما تكون

علامة على حدود هذه البلدان بل إنها عادةً ما تفصل بين المناطق السكنية وتلك التى يسكنها البدو إننى لا أرى سبباً لكى ننكر على مصر هذا الاحتمال.

ويبدو أننا بإزاء مأزق بعد أن تشبث علمان من أعلام علم المصريات فى فرنسا وألمانيا كل بموقفه المعارض للآخر، فها هو بوزينيه يعترف لتوه بقيمة كشف ميت رهينة (Mit Rahina) ، وأن هذا النص يمكن أن يدعم رأيه فى هذه القضية، ومن ثم فقد كتب مسجلاً ملاحظاته يقول :

" إنه بجانب تلك المعلومات الكثيرة المهمة فى مجال المفردات والجغرافيا والإقتصاد، فإن نص ميت رهينة يلقى ضوءاً جديداً على السياسة الخارجية للملوك الأوائل للأسرة الثانية عشرة، إننى أريد أن أؤكد على هذه النقطة. وإن بعض العلماء أمثال هلك (Helck) ، ومؤخراً فراندسن (Frandsen) ، عندما كتبوا عن علاقات مصر مع الدول المجاورة، فإنهم قد قللوا ، لدرجة كبيرة، من تأثير الأسرة الثانية عشرة على سوريا وفلسطين."

إننا لا نعرف بالضبط طبيعة العلاقات حتى إنها لو كانت قد اقتصرت فقط على التجارة، فإن الجانبين لم يكونا متساويين. وإن دولة كبيرة وقوية مثل مصر لابد أنها مارست، ضغطًا قوياً على الإمارات الصغيرة فى آسيا. وأدى هذا إلى درجة معينة من السيادة والهيمنة (المصرية) مدعومة ببعض الحملات العسكرية .

« والآن وبشهادة نص ميت رهينة، فإننا نرى أننا يجب ألا نقلل من تأثير مصر وسيطرتها على سوريا وفلسطين من بداية الأسرة الثانية عشرة[29]» .

للأسف ، فإن بوزينيه منذ أن توفى لم ينشر أى تطوير لمضامين الإكتشاف. ومع ذلك، فقد أظهر فولفجانج هلك (Helck) عقلية متفتحة، والتزاماً منزهاً عن الغرض من أجل متابعة وتحصيل المعلومات، والتى هى نادرة حتى بين أعظم العلماء. وفى مقالة قصيرة له سلم هلك بأن تحدى بوزينيه له وآخرين، على أساس نقش ميت رهينة، كان سليماً، "على الأقل فيما يخص الامتداد الجغرافى"، (على حد قول هلك)، للسلطة المصرية فى سوريا وفلسطين إبّان الدولة الوسطى. وما هو أكثر من هذا، فقد تبنى

هلك، الآن، الرأى القائل بأن سنوسرت الأول (Senwosre I) أو على الأقل ابنه وولى عهده أمنمحات الثانى، قد قام بحملات مستمرة صوب الشمال[30].

سنوسرت وسيزوستريس

يثير نقش ميت رهينة خلافات أهم بكثير من وجود أو عدم وجود "إمبراطورية" الدولة الوسطى فى سوريا وفلسطين. وتتعلق هذه الخلافات بتعزيز التطابق بين سنوسرت الأول وسيزوستريس.

لقد وصف هيرودوت سيزوستريس وكذلك فعل كتاب يونانيون آخرون، وأعتبروه الفاتح المصرى العظيم. كما وضعه مانيتون (Manetho) ، الكاهن المصرى ومؤرخ القرن الثالث، ضمن الأسرة الثانية عشرة.

إن ترتيب العلامات داخل الخرطوشات، وكذلك الأشكال البيضاوية المرسومة بالحبل حول أسماء الفراعنة هى غير منتظمة إلى درجة كبيرة. وفى بداية كتب المصريات الاسم المألوف لفرعون الأسرة الثانية عشرة، هكذا " Wsrtsn" ولكن شامبليون وعدداً من تلاميذه لم يستطيعوا أن يروا تشابهًا بين هذا الاسم (أى/ اسم سنوسرت) واسم سيزوستريس، فى أى من أشكاله المختلفة سيزوستريس (Sesostris) ، أو سيزووسيس (Sesoosis) ، أو سيزونخوسيس (Sesonchosis) ، كما قدمه اليونان للفاتح المصرى العالمى[31]. وهكذا فإنهم قد اعتبروا أن سيزوستريس كان شخصية خيالية وأن انتصاراته المزعومة كانت مبالغات لتلك التى قام بها فراعنة لاحقون، مثل رمسيس (Ramesses II) الثانى فى القرن الثالث عشر ق.م، وشيشنق (Sheshonk) فى القرن التاسع، ولقد كان مثل هذا الحل ملائمًا لعدة أسباب :

أولاً: إنه يؤكد " المعرفة الأفضل" (Besserwissen) قبل علماء الآثار العلميين المحدثين حول هيرودوت وسذاجة اليونانيين المتأخرين.

ثانيًا: إنه يحدد عدد وهدف الفتوحات الخارجية التى قام بها الأفارقة(١٧) وكذا المصريون الذين يذهب الافتراض الى أنهم كسالى. ومن المحتمل أيضًا أن يكون الإحجام عن الربط بين الأسماء سببه كراهية المسيحيين أن يكون هناك امتعاض لربط الأسماء المأخوذة فى مطلع القرن ١٩ للتاريخ المصرى القديم، الذى يمثل تهديداً للتاريخ التوراتى، ولقد ظهر هذا الاتجاه عند المؤرخ الألمانى بارتولد نيبور (Barthold Nibebuhr) ، حينما أنكر حقيقة وقوع أحداث التاريخ المصرى قبل الهكسوس[32].

ومع ذلك، فقد اختلفت الآراء وأبدى عدد من العلماء ومن بينهم كريستيان بنسين (Ch. Bunsen) سكرتير نيبور دهشتهم للحقيقة القائلة بأن مانيتون ((Manetho، الكاهن والمؤرخ المصرى من القرن الثالث ق.م، كان قد وضع سيزوسترس، بوضوح، فى الأسرة الثانية عشرة، وهكذا فإنهم أرادوا أن يطابقوا بينه وبين واحد أو كل الفراعين الثلاثة، الذين يعتقد بأنهم يسمون "[33]- Wsrtsn" ، ولكن على أنه " S-n Wsrt" (رجل الإلهة Wsrt) . وأكد أن هذا الاسم، بكتابته بطريقة تقليدية على أنه (Senwosre)، كان هو أصل كلمة سيزوستريس (Sesostris) [34] . إن معقولية وقبول هذا التفسير لمطابقة سيزوستريس مع سنوسرت كانت أخاذة لدرجة أنه تم قبوله فوراً ومن الغالبية، ولم يظهر من يناقضه خلال الخمسة والعشرين عامًا الماضية[35].

إمنمحات

إنه بينما كان اسم (imn m h3t) (آمون فى المقدمة) اسمًا واضحًا للفراعنة الذين كانت عبادتهم المعروفة مخصصة لآمون، نجد اسم سنوسرت (S-n Wsrt) إلهة مصرية قديمة، ولكنها ذات أصول غامضة، ومن المحتمل أن تكون هى شكل محلى، فى طيبة، للإلهة حتحور (Hathor) الهة الجمال التى تأتى فى شكل بقرة: لقد كانت هاتان الإلهتان كلتاهما مرتبطتين بأماكن بعيدة جداً، وكانت حتحور الربة الراعية، وبصفة خاصة، للمناجم الغنية ومنابعها[36]. ويبدو أنزديودوروس (Diodorus) احتفظ بالعلامة التى تربط الفرعون والالهة حتحور عندما أشار إلى "أثيرتيس" (Athyrtis) ابنة سيزوسيريس التى وُجِدَت فى حملاته الخارجية[37].

وكما سنرى، فإن اتحاداً مع حتحور/ وسرت (Hathor/ Wsrt) سيكون ملائمًا ، وبصفة خاصة فى ضوء فتوحات أو حملات سنوسرت الأخيرة، والتى عنيت بالمعابد والأحجار الثمينة. ومع ذلك، فإنه من غير الواضح، هذه النشاطات ومن الناحية الفنية، كان سنوسرت هو ما يقصد به علماء المصريات وما يسمونه بلفظة "nomen"، كواحد من بين ألقاب الفرعون الكثيرة ذات القائمة الطويلة، وكان من المعتاد أن يمنح الفرعون هذا اللقب قبل اعتلائه لكرسى العرش، وكان ذلك، بالتأكيد ، هو ما حدث مع الفراعنة المتأخرين بالنسبة للقب نفسه (nomen)[38] . وهذا هو ما يمكن أن يماثل حالتنا هنا؛ إذ إن أمنمحات الأول كان يبدو، كذلك، مهتما جداً بالفتوحات الخارجية. ومن المحتمل أيضًا أن جاء إطلاق هذا الاسم بعد وقوع بعض فتوحات سنوسرت، عندما كان يحكم بالاشتراك مع والده، وفى نهاية المطاف، فإن هذا الاسم، أو اللقب (Wsrt) ، كان بشرى ملائمة لغالبية الإنجازات العظيمة التى تمت فى عهده.

سيزوستريس عند مانيتون

هنا، وحتى أفحص عملية المطابقة بدرجة أعمق، سوف أنظر أولاً فى أوصاف الكتاب اليونانيين القدماء والمصريين اللاحقين عن سيزوستريس، وذلك قبل العودة إلى الدليل الأثرى والنقشى (النصى) المصرى عن سنوسرت الأول.

ومع ذلك، فقد ترك لنا هذا التطابق بعض المشاكل. أولاً: وضع مانيتون سيزوستريس فى الترتيب الثالث لفراعنة الأسرة الثانية عشرة. وطبقًا لما جاء عنده، فإن هذا الفاتح العظيم قد سبقه – فى الترتيب – أمنمحات (Ammenemes) ، مؤسس الأسرة ، ثم تلاه سيسونخوسيس (Sesonchosis) ، ومن بعده أمنمحات ، الذى كان قد قتل على أيدى بطانته الخاصة[39] . هنا، يبدو أن مانيتون كان قد جمع أشتاتًا مضطربة الترتيب والتسلسل لعدد من الملوك يمكن ، الآن، أن نرتبهم، بصورة تقريبية، كالتالى:-

– أمنمـــحـــات الأول : ١٩٧٩ – ١٩٥٠ ق.م

– سنوســـــرت الأول : ١٩٥٩ – ١٩١٤ ق.م

– أمنمـحـات الثـانى : ١٩١٧ – ١٨٨٢ ق.م

– سنوسـرت الثـانى : ١٨٨٤ – ١٨٧٨ ق.م

– سنوسـرت الثـالث : ١٨٧٨ – ١٨٥٩ ق.م

– أمنمـحـات الثـالث : ١٨٥٩ – ١٨١٤ ق.م

– أمنمـــحـــات الرابـع : ١٨١٤ – ١٨٠٥ ق.م

– ســـبك نوفـــرو : ١٨٠٥ – ١٨٠١ ق.م

ويبدو أن مانيتون خلط بين سنوسرت الأول، الذى يسميه " سيسونخوسيس"، وبين سنوسرت الثاني والثالث. لقد كان سنوسرت الثالث، بحق، حاكمًا قويًا، ويبدو أنه كان قد قام بحملات وفتوحات فى أفريقيا أكثر مما فعله أسلافه[40]. والاحتمال الذى نواجهه الآن لابد وأن الكتاب المتأخرين اللاحقين، مثل هيرودوت، ربما عزوا إنجازات أحفاد سنوسرت الأول (وبصفة خاصة فتوحات سنوسرت الثالث) إلى جدهم الأول[41].

المشكلة الثانية: التى يفرضها علينا مانيتون فتأتى من وصفه لسيزوستريس:

« إنه خلال تسع سنوات قام سيزوستريس بقمع كل آسيا وأوروبا وحتى ثراكى[١٨]. وقد شيد، في كل مكان، لوحات تذكارية لانتصاراته على القبائل (الأعراق Lit. ethne) الأجنبيه، وفوق شواهد Stelae أنتصاراته هذه، سجل نقشًا وأشار فيه إلى عرق شجاع بأن استخدم رمز الأجزاء السرية للرجل. بينما أشار إلى عرق وضيع بأن رمز إليه بالأجزاء السرية للمرأة. وتبعًا لذلك، عظم المصريون سيزوستريس وأهلوه ورفعوه إلى المرتبة التالية لأوزيريس[42]» .

تشكلت هذه الصورة فيما يبدو، لجذب اهتمام القراء، إن لم يكن لإثارة شهوتهم، وأضفت على سيزوستريس شهرة عظيمة وشبهته بالآلهة، ومن ثم فإنها يبدو أن شأنها أن تعزز صورة مانيتون عند الكلاسيكيين المُحَدثين إذ يروه نموذجًا للمؤرخين الهيللينستيين فى رواياتهم غير المترابطة منطقياً وتفتقر إلى الثقة، ومع هذا فإن كلاً من هاتين الروايتين تنطوى على قدر من الحقيقة كما سأحاول أن أبين فيما يلى.

سيزوستريس عند هيرودوت

وقبل أن نعرض لهذه الأشياء، يجب أن ننظر فى وصفين آخرين متماثلين لهذا الفاتح. ونعنى بذلك وصف هيرودوت ، فى القرن الخامس ق.م ووصف ديودوروس الصقلى فى القرن الأول ق.م.

كتب هيرودوت يقول:

« لسوف أنتقل سريعًا لأقول شيئًا عن سيزوستريس، الذى فاق الجميع، ولم يكن كمثله أحد من الملوك الآخرين فيما قام به الكهنة من دور وما خلفوه من تذكارات. لقد قال الكهنة أن سيزوستريس أبحر، أولاً، بأسطول من سفن حربية من الخليج العربى (Arabian gulf)[١٩] حتى صار بحذاء ساحل المحيط الهندى، وقد أخضع القبائل التى مر بها على الساحل، إلى أن وجد ماءً ضحلاً جعل تقدمه أبعد من ذلك مستحيلاً. وعندئذ، وفى طريق عودته إلى مصر، (ومازال الحديث وفق رواية الكهنة)، فقد شكل جيشًا قويًا وسار على رأسه عبر القارة مخضعًا تحت إمرته كل قوم (ethnos) يلقاه فى طريقه. وكان كلما قابل عدوًا شجاعًا، كان قد حاربه ببسالة من أجل الحرية، أقام له الفرعون نُصُبًا تذكاريًا (Stela)، فى الموقع نفسه، يحمل نقشًا اسمه الشخصى وبلده[٢٠]. ثم يضيف جملةً ليشير فيها إلى أنه بفضل جبروت قواته المسلحة قد حقق النصر. ومع ذلك، فإنه إذا سقطت مدينة بسهولة فى يديه وبدون مقاومة من جانبها، كان يضيف ملحقًا إلى النقش المحفور فوق الشاهد التذكارى - بعد أن يكون قد سجل عليه كل الأحداث كما ذكر من قبل - على هيئة تصور للأعضاء التناسلية للمرأة،

قاصداً، بذلك، أن يظهر أن سكان هذه المدينة لم يكونوا بأشجع من النساء. وهكذا فقد استمر تقدمه المظفر عبر آسيا، حتى دخل أوروبا[٢١]، وهزم أهل سكيثيا (Scythia)[٢٢] وأهل ثراكي[٢٣]. وهذه فيما أعتقد، كانت أبعد بقعة وصل إليها الجيش المصرى، وذلك لوجود أعمدة تذكارية يمكن أن ترى فوق هذا الجزء من البلاد، ولكن ليس أبعد من ذلك..... وفى طريق العودة وصل سيزوستريس إلى نهر فاسيس (Phasis)، (فى كولخيس) وإنه من المحتمل جداً أن يكون سيزوستريس، هنا، قد فصل جانبًا من قوات جيشه وتركهم خلفه ليستقروا أو ربما سئم البعض من أسفارهم ففروا من الجيش. إننى لا أستطيع أن أقول عن يقين أيًا من الإحتمالين هو الصحيح. ولكنه ليس هناك شك فى الحقيقة القائلة بأن أهل كولخيس[٢٤] هم من أصل مصرى... » .

إن معظم الشواهد التذكارية التى أقامها الملك سيزوستريس فى البلدان المفتوحة، قد أختفى، ولكننى قد رأيت بعضها بنفسى فى فلسطين، مشفوعة بالنقش الذى ذكرته من قبل وكذلك رسم الأعضاء التناسلية للنساء. وفى إيونيا، كذلك، هناك صورتان لسيزوستريس منحوتتان فى الصخر إحداهما فى الطريق من إفيسوس (Ephesus) إلى فوكايا (Phocaea)، بينما الأخرى بين ساردیس (Sardis) وسميرنا (Smyrna) . وفى كلتا الحالتين، فإن الشكل المنحوت يصل ارتفاعه إلى حوالى (٧) أقدام ويصور رجلاً حاملاً رمحًا فى يده اليمنى، وقوسًا فى يده اليسرى، بينما بقية معداته تماثل تارة التسليح المصرى، وتارة أخرى التسليح الإثيوبى، وعلى صدر التمثال، من الكتف إلى الكتف الآخر، تجرى كلمات النقش التالى، وهو محفور وفق الكتابة المصرية المقدسة:

« بفضل قدراتى ملكت هذه البلاد.........» .

لقد استمر الكهنة فى إخبارى بأن سيزوستريس، وهو فى طريق عودته إلى وطنه، مصحوبًا بأعداد كبيرة من الأسرى من البلدان المقهورة، قابلة أخوه عند دافنى (Daphnae)، بالقرب من بيلوزيوم (Pelusium) ، وهو الذى كان قد تركه ليحكم مصر خلال غيابه، ودعاه هو وأبناءه إلى وليمة. وبينما كانوا على العشاء، جمع أخوه حزمًا

من العصى حول المبنى وأشعل فيها النيران.... وقد أسفر ذلك عن موت اثنين من أبنائه (سيزوستريس) حرقًا فى النار، بينما تم انقاذ الآخرين مع والدهم....

ولقد كان سيزوستريس هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم إثيوبيا، ومن بين أعماله التذكارية لحكمه أنه ترك تماثيل حجرية له، هو نفسه، ولزوجته، وارتفاع كل منها (٤٥) قدمًا، وهذا غير التماثيل لكل من أبنائه الأربعة ارتفاع التمثال (٣٠) قدمًا. لقد تم تشييد هذه التماثيل في مدخل معبد الإله هيفايستوس (بتاح). وبعد ذلك بزمن طويل، لم يسمح كاهن هيفايستوس لملك الفرس داريوس أن يقيم تمثالاً له شخصيًا أمام هذه التماثيل، ذلك لأن (كما أعتقد الكاهن) أعمال داريوس لم تكن عظيمة بقدر عظمة إنجازات سيزوستريس المصرى. إن فتوحات سيزوستريس ليست بأقل توسعًا من تلك التى قام بها داريوس، وقد ضمت بلاد أهل سكيثيا (Scythia)، أولئك الذين لم يقدر داريوس على إخضاعهم، ولهذا فلم يكن سليمًا أن يضع داريوس تمثاله أمام تلك التى كانت مهداة من قبل حاكم لم يسبقه أحد فى إنجازاته. ويقولون أن داريوس اعترف بهذه الحقيقة[43].

سيزوستريس عند ديودوروس

يمثل وصف ديودوروس للفرعون أطول وصف حتى الآن، وفيه أسماه سيزوأوسيس (Sesoosis)، هو شبيه بما جاء عند هيرودوت. ويبدو أنه أخذه عن المؤرخ الأقدم مباشرة، وتجرى سطور الفقرة الخاصة بانتصاراته كالتالى:

« أولاً وقبل كل شيء، كان سيزوأوسيس ورفاقه الذين يصاحبونه كذلك، قد أرسلهم والده بجيش لفتح " أرابيا " (Arabia[٢٥])، حيث هزم سيزوأوسيس .... كل أمة العرب، التى لم تستعبد أبدًا قبل ذلك اليوم، ثم بعد ذلك، أرسله أبوه إلى الأقاليم الواقعة فى الغرب، فأخضع الجزء الأكبر من ليبيا، بالرغم من أنه كان فتى لم يتجاوز سن الشباب. وعندما اعتلى العرش، عند وفاة والده، ولكنه كان مليئًا بالثقة فى نفسه بفضل مكاسبه السابقة، قام بحملات تعهد فيها بفتح بقاع الأرض المأهولة .....

بعد أن جهز جيشه سار به ، أولاً وقبل كل شيء، لمحاربة الإثيوبيين، المقيمين جنوب مصر. وبعد أن هزمهم، أجبر السكان على أن يدفعوا له جزية من الأبنوس، والذهب، والعاج، ثم جرد أسطولاً مكونًا من (٤٠٠) سفينة للبحر الأحمر[٢٦]، فأصبح هو أول مصرى يقوم ببناء سفن حربية، ولم يكتف سيزوأوسيس بالاستيلاء على الجزر في تلك المياه، بل إنه أيضاً، أخضع الساحل البرى حتى وصل إلى الهند، هذا وواصل هو نفسه شق طريقه........... فحسب هو ما فعله، لقد زار بالفعل الإقليم الذى استولى عليه فيما بعد الإسكندر المقدونى، وأكثر من هذا أنه زار بعض شعوب وأقوام لم يطأ الإسكندر بلادهم. ذلك لأن الفرعون المصرى كان قد عبر نهر الجانج "جانجيس" (Ganges) وزار كل الهند وحتى آخر حدودها مع المحيط، كما زار قبائل سكيثيا (Scythia)، حتى وصل إلى تانانيس (Tanais) ، الذى يفصل أوروبا عن آسيا. ويقولون أنه كان هناك، فى ذاك الوقت، بعض المصريين الذين تخلفوا بالقرب من بحيرة مايوتيس (Maeotis) (=بحر أزوف : Azov)، وهم الذين أسسوا أمة الكولخيين (Colchi) ..... وبالطريقة نفسها أخضع كل الأراضى الباقية من آسيا لسلطانه، وكذلك معظم جزر الكيكلاديس (Cyclades) وبعد أن عبر إلى داخل الأراضى الأوروبية ، وكان فى طريقه من خلال الإقليم المترامى كله لثراكى، فإنه فقد، تقريباً، جيشه بسبب نقص الطعام والطبيعة الصعبة للأراضى، وتبعًا لذلك، وضع نهاية لحدود حملته فى ثراكى، وأقام نُصبًا تذكارية فى أماكن عديدة من الأقاليم التى أستولى عليها ....

وتعامل بلطف مع كل الشعوب المقهورة، ثم بعد أن أكمل حملاته الخارجية فى تسع سنوات، أمر الأمم الأجنبية بأن تحضر إلى مصر، كل عام، هدايا، كل حسب طاقته ومقدرته، بينما جمع هو نفسه أعداداً ضخمة من الأسرى، لم يحدث مطلقًا، أن فاق عددها أحد من قبل. كما جمع كميات ضخمة من غنائم أخرى......» .

إنه بالرغم من أن أعمالاً عظيمة قد نسبت إلى سيسوأوسيس (Sesoosis)، فإن عظمته تبدو بشكل أفضل فيما أظهره من معاملة، عرفت عنه، مع الملوك الأجانب ، كلما انطلق فى رحلة خارج القصر الملكى. إن الملوك الذين كان قد سمح لهم بالاستمرار فى حكم الشعوب التى اخضعها وكذلك كل الأمراء الآخرين الذين حصلوا منه على أهم المناصب فى السلطة، كانوا يحضرون بأنفسهم إلى مصر، فى أوقات معلومة، حاملين

الهدايا، وكان الملك (الفرعون) يرحب بهم، وفى كل الأحوال، يقوم بتكريمهم وإظهار المكانة الخاصة لهم. ولكنه - مع ذلك - كلما كان ينوى زيارة معبد أو مدينة، فإنه كان يستبعد الخيول من عربته الحربية، ذات الأربعة خيول، ويضع بدلاً عنها، فى النير، الملوك (الأجانب) والأمراء الآخرين، فى كل مرة أربعة منهم[44].

الحقيقة والخيال فى قصص سيزوستريس

كم من هذه القصص، الواضح منها المبالغة، يجب أن نصدق؟ إن معظم علماء اليوم يسلمون بالمطابقة بين سيزوستريس/ سيسوأوسيس وسنوسرت الأول والثالث، وكذلك يعتقدون بأن هناك نواة تاريخية لهذه القصص. ولكنهم يرون أن هذه النواة صغيرة نسبيًا، وتوارت فى أغوار بعيدة جداً. وتبعًا لهم، أيضًا، فإن الشخصية الأسطورية لسيزوستريس قد ارتبطت، بشكل كبير، بشخصيات مأخوذة من فراعين آخرين لاحقين حققوا انتصارات - وبوجه خاص رمسيس الثانى، من الأسرة (١٩) وشيشونق من الأسرة (٢٢) - ومن ثم فقد تم تكوين تلك الشخصية كنموذج فرعونى مثالى. كناتج مصرى، يمكن أن ينافس الانتصارات اللاحقة للفرس واليونان. لقد كتب هيرودوت عندما كانت الامبراطورية الفارسية لا تزال فى أوج ازدهارها، وكذلك فعل مانيتون، وديودوروس، عقب الفتوحات ، غير العادية، للإسكندر الأكبر[45]. ولسوف يبدو محتملاً أن هناك بعض الحقيقة فى هذه التفسيرات، بالرغم من أنها تحمل بوضوح طابع مبدأ المعرفة الأفضل (Besserwissen) (ولسوف يدرك قراء الجزء الأول لكتابنا Black Athena أننى أرى فى التفسيرات الواضحة لهذا بأنها أقل اعتماداً عليها مقارنة بالنصوص القديمة ومصادرها).

ومع ذلك، فإن هناك علماء آخرين، وبوجه خاص جورج بوزينيه (G. Posener) تمسكوا برأيهم فى أن معظم أسطورة سيزوستريس يرجع تأريخيًا إلى الدولة الوسطى فى اتجاهين أثنين هما : أولاً، إن هذه القصص لها أساس واقعى (فعلى) بدرجة ما، وثانيًا، وهناك منذ أواخر الدولة القديمة استخدام واع للدعاية لأغراض كثيرة، ولكن، بصفة خاصة، من أجل تكوين أسطورة ملكية[46].

إن الكلمة المصرية لهذا كانت (md.t) بمعنى " خطاب " أو " حديث "، وهى التى جاءت منها الكلمة اليونانية " ميثوس" (mythos) . كما أن لفظتى (Mdw) أو (mwdw) وتقابلهما بالديموطيقية (mt) والقبطية (moute) أو (mout) وتعنى " يتحدث أو ينصح "، كفعل وتعنى " حديث أو كلمات"، كاسم . وكذلك فإن تعبير (Mdw ntr) يعنى " كلمة الإله "، أو – فى صيغة الجمع– " الكتاب المقدس"، بينما تعبير (ddmdw) وبالديموطيقية (dd md/t)، وبالقبطية (de mtau) فإنها تعنى " الكلمات الناطقة" أو " السحر "، ومن ثم فإن (Mdt) هى " الحديث أو الكلمات " أو دعوى قضائية. ومع ذلك، فإنه يلاحظ أن هذه اللفظة كانت تنطق كما لو كانت (met) أو (met) . وهكذا فإن الشكل الدقيق (المصرى القديم/ الذى تم منه اشتقاق الكلمة اليونانية ميثوس (Mythos) شكل غامض. ومع ذلك، فإن نطق الحرف الصوتى الواسع يجب أن يدرك فى ضوء المقابل المهم والمطابق لذلك تماماً بين (mdt / mdw) وكلمة (mythos) ، وكذلك الكلمات الأخرى العديدة المكونة من الجذر نفسه[47] .

ولكى نعود إلى الحديث عن سيزوستريس، فإنه بدلاً من أن ننتقص أو أن نتجاهل ونستبعد الإدعاءات " الساذجة للقدماء "، فإنه يبدو مهمًا أن نختبرها ونتأكد من مصداقيتها فى ضوء المصادر الأخرى للمعلومات. ولقد أكدت فى الجزء الأول أن المفيد لنا أن نتخذ من التراث القديم الأكثر انتشاراً، الذى لا يبارى، فروضا نظرية لعملنا . ومع ذلك، فإنه لمن المنطق والمعقول أن نتخذ فقط تلك العناصر القصصية منها، والتى هى مقبولة، بشكل عام، فى العالم القديم. ومن ثم، فإننى لذلك، أود أن أدرس هذه العناصر دراسة فاحصة لبيان حقيقتها.

إن الشىء الوحيد غير المقبول، بقدر علمى، من عهد سيزوستريس هو قيامه بفتح وغزو الهند، بالرغم من أن من المهم أن هيرودوت لم يذكر شيئًا عن ذهاب سيزوستريس إلى بلاد ما بين النهرين (العراق) (مسوبوتاميا)[48] ولهذا، فلربما كانت فتوحات سيزوستريس الشمالية المزعومة يجب أن تكون مقصورة على آسيا (والتى سوف نناقش حدودها فيما بعد)، وكولخيس (جورجيا)، وثراكى (الجزء الجنوبى الشرقى من البلقان)[٢٧]، وسكيثيا فى جنوب روسيا، وإن كان هناك لا يزال بعض الشك بشأن الإقليمين الأخيرين.

إن كتابًا حديثين قد أخذوا موقفًا معقولاً وهو أن ثراكى وسكيثيا لا يجب أن يؤخذ على محمل الجد، كواقع قد حدث فعلاً، ذلك لأنه - بالضبط كما فعل المصريون فى العصر الهيللينستي، وبالغوا في فتوحات سيزوستريس، لكي تتفوق على فتوحات الإسكندر- وهى إدعاءات نمت إبَّان أو عقب الغزو الفارسى لمصر، فإنها تعنى أنها تحاول أن تَجبَّ فتوحات الغزاه الفرس العظام، أمثال قورش وداريوس. ويعضد ذلك ما جاء فى أسطورة داريوس من أنه لم يمنح إذنًا بأن ينصب تمثاله أمام معبد بتاح فى ممفيس، لأن الفرس فشلوا حيث نجح سيزوستريس، فى فتح سكيثيا[49]. وتصدق الحجة نفسها، كذلك، على النوبة، التى كان الفرس غير قادرين على أن يفتحوها، بينما كان هناك - فى هذه الحالة - نص واضح، ودليل أثرى وعقائدى دينى يظهر لنا أن سنوسرت الأول والثالث قد نجحا فى ذلك. وهكذا، فإن الرواية المصرية حول ثراكى وسكيثيا يجب أن تظلا أقل احتمالاً، مما يمكن أن يكون قد حدث مع آسيا. ومع هذا سوف ندرس مثل هذا الاحتمال.

وينقلنا هذا إلى الصعوبة المتمثلة فى عدم وضوح مصطلح " آسيا". إن الاسم اليونانى، لهذه الكلمة، مشتق من اسم محلى أقدم، عثر عليه فى مملكة أسوا ((Assuwa، التى جاء ذكرها فى النصوص الحيثية كما كان فى الأناضول، وكذلك كاسم لمدينة هى أسوس (Assos) فى إقليم طرود (Troad) وهى المنطقة المحيطة بطرواده نفسها، وعندما تم ضم مملكة ليديا، فى الأناضول، إلى الإمبراطورية الفارسية فى القرن (٦) ق.م، قام الجغرافيون الإيونيون بتوسيع نطاق معنى كلمة " آسيا "، فى اتجاهين، وذلك حتى تشمل وتغطى كل الأناضول، وكذلك لتصبح اسم واحدة من الثلاث قارات، جنبًا إلى جنب مع أوربا وليبيا (أى/ أفريقيا).

ليس هناك أدنى شك فى أن هيرودوت قد سار على نهج أسلافه فى استخدام المعنى الثانى، ولما كانت كتاباته قد خلت تمامًا من أى مصطلح عن الأناضول، فإنه يبدو محتملاً جدًا أن يكون كل من الجغرافيين القدامى واللاحقين على السواء، وكما فعل هو أيضًا، قد استخدموا لفظة " آسيا " كاسم لما كان يسمى لاحقًا باسم " آسيا الصغرى " (Asia Minor) [50]. وهكذا فعندما كتب هيرودوت عن سيزوستريس قائلاً: "ولقد واصل تقدمه المظفر داخل آسيا، حتى دخل أوروبا" فإنه ربما كان يعنى، فقط، أن

سيزوستريس كان يواصل سيره داخل الأناضول، وأعتقد أن الحيرة والشك حول اسم آسيا، كانت هي السبب في أن ديودوروس، وكتاباً آخرين لاحقين، قد جعلوا فتوحات سيزوستريس قارية في اتساعها.

ويصبح لزاماً النظر إلى التوسع الأخير في فتوحات سيزوستريس في ضوء حاجة ديودوروس أو مصادره، أو هما معاً، لكي ينافس إنجازات الإسكندر الأكبر. ولسوف نرى لاحقاً التناظر الوثيق في الروايات التي تحكي عن كل منهما[51]. وجدير بالملاحظة هنا أن وصف ديودوروس لطموحات سيزوستريس، الفتى في أن يفتح العالم، وذلك عقب وفاة والده، يشبه كثيراً جداً وضع الإسكندر وعلاقته بوالده فيليب. ومن ناحية أخرى، يرتبط هذا العنصر الذي يبدو خيالياً بقيام سيزوستريس فعلاً بإخضاع « الجزء الأكبر من ليبيا، وهو فتى دون سن الشباب » ، وهو يبدو كخليفة تاريخية . وبالمثل، فإن رواية مانيتون بأن الفرعون أمنمحات سلف سيزوستريس، « قُتِلَ على أيدى أعوانه » ، تبدو مؤكدة عند علماء المصريات المحدثين[52].

ونستطيع أن نقتفي أثر هذا الخلط نفسه بين الخيال والواقع في كثير من القصص المروى عند هيرودوت وديودوروس. ومثال ذلك، تلك القصة عن أخ لسيزوستريس، حاول أن يقتله حرقاً بالنار ؛ إذ تبدو غير محتملة التصديق، لأنها ذات طبيعة فلكلورية[53]. ومع ذلك، فإن هناك قصصاً آخر، ربما بدا لنا على نفس القدر من الخيال أو أكثر، ولكنه ربما كان له، بشكل مدهش، أساس واقعي. مثال ذلك، ما نجده من وصف لإجراء الفرعون إذ يحفر أشكالاً للأعضاء التناسلية للذكر والأنثى على لوحات انتصاره، وهو الأمر الذي جاءت روايته عند هيرودوت ومانيتون وديودوروس، ويبدو أنه حدث له أساس من الواقع. إننا نعرف أن كلمة (hm) وتعني " جبان "، تحتوى على علامات تناسلية لكل من الذكر والأنثى، كما أنه كان لها ارتباط واضح باللواط بمعنى من معانيها، وقد ارتبطت بكلمة (hmt) وتعني " امرأة " ومعروف أن كلمة "hm" كانت تستخدم للإشارة إلى الأعداء وكذلك إلى الجبناء في الجيش المصري، وذلك في النصوص العسكرية إبَّان الدولة الوسطى، فضلاً عن استخدامها في اللوحات الحدودية التي شيدها سنوسرت الثالث في منطقة سمنة (Semna) وأورونارتي (Uronarti) على ضفاف نهر النيل الأعلى في النوبة [54] .

وهناك مبالغة أخرى من ديودوروس، وهى إشارته إلى عربة سيزوستريس التى يجرها الأمراء المصريون والملوك الأجانب، ولكن زيته (Sethe) ، ومـاليز (Malaise) وبيرتون (Burton) يعترضون على ذلك، مبررين هذا الرفض على أساس أنه ليس هناك أى دليل على وجود عربات أو خيول فى الدولة الوسطى، وأنها، فى حقيقة الأمر، قد أدخلت إلى مصر على يد الغزاة الهكسوس[55]. ولكن الموقف ليس على درجة من الوضوح التام كما حاولوا ذلك. إن اكتشاف مقبرة حصان لابسًا فى فمه لجامًا بالقرب من حصون الدولة الوسطى فى منقطة بوهن (Buhen) ، فى النوبة، وإذا صدقت الإدعاءات حول فتوحات سيزوستريس الواسعة فى أتجاه الشمال، فإن المصريين يكونوا قد اتصلوا بشعوب استعملت، على الأقل، عربات بسيطة. ودليلنا يجىء من خاتم إسطوانى يظهر أنه كانت هناك عربات معروفة فى أناتوليا الشرقية مع نهايات القرن (٢٠) ق.م[56]. ومع ذلك. فإن هذا التفسير مع رواجه ليس كافيًا، وهكذا، فإنه من المحتمل أن تكون الإشارة إلى العربة والخيول هى حاشية أضيفت لاحقًا.

ومن جهة أخرى، فإن إدعاء ديودوروس بأن سيزوستريس كان يجره[٢٨] مسئولون كبار وملوك أجانب هو شىء مقبول عقلاً خاصة فى ضوء التراث المصرى الممتد فى حمل وشد تماثيل الآلهة عند القيام بزيارات دينية إلى مدن الأقاليم. ويجب التنويه إلى أن سنوسرت الأول كان إلهًا[57] وخلافًا لأسلافه، الذين كانوا مجرد تجليات مقدسة للإله أو كانوا " أشباه آلهة". وهناك كذلك تدعيم أكبر للقصة، القائلة بأن الفرعون كان يجره كبار الموظفين والملوك الأجانب، ويأتى ذلك من الحقيقة المعروفة بأن ديودوروس يشير إلى رحلة الفرعون إلى " معبد أو مدينة".

وحتى إذا كان بعض أكثر إدعاءات هيرودوت " خيالاً، عن سيزوستريس تشتمل على عنصر من الحقيقة، فماذا عسانا فاعلين بالعناصر الأخرى العديدة الخاصة بفتوحاته الواسعة؟ وقبل معالجة هذه الأشياء بطريقة مباشرة، يجب علينا أن نضع فى اعتبارنا السبب فى أن العلماء المحدثين قد أخرجوها من حساباتهم.

إن الإدعاءات (فى نصوص المؤرخين الكلاسيكيين[٢٩]) حول فتوحات واسعة لم يتم رفضها والاعتراض عليها على أساس من بحث أثرى أو تاريخى مفصل، لكن لأنها

كانت "معروفة" وأنها سخيفة من أساسها وغير منطقية. إن العلماء قد شككوا في ذلك حتى قبل أن يتم هدم النموذج القديم[٣٠] (Ancient Model) ففي الجزء الأول ذكرت أن إدوارد جيبون (E. Gibbon) كتب في عام ١٧٥٢ م أول مقالة تاريخيه له وكان عمره ١٥ عامًا، بعنوان "عصر سيزوستريس"، ولكنه في عام ١٧٨٠م مزقها لأنه، كما قال: « في سن أكثر نضجًا، لم أعد أتجرأ على أن أربط الآثار اليونانية، واليهودية، والمصرية، التي ضاعت في غياهب الماضي البعيد» [58]. وبحلول العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر كانت قد ترسخت نزعة التسلسل الهرمي للاعراق، وبدأت صورة المصريين كشعب معزول له خصوصية في الظهور وأخذت مكانها في أمان. وهذه المبادئ الراسخة النمطية أعادت تمامًا فكرة قيام إمبراطوريات مصرية في آسيا أو أوروبا[59].

وهكذا، فإنه بالرغم من التأكيد على حدوث فتوحات الأسرة الثانية عشرة في أفريقيا وكذلك بعض تفاصيل القصص اليونانية حول الفرعون، إلا أنه أصبح من البديهيات، خلال الـ (١٥٠) عامًا الأخيرة أن القصص والحكايات اليونانية حول فتوحات سيزوستريس الشمالية كاذبة في جوهرها[60]. ولما كان ذلك هو الاتجاه الغالب، فإن العالم الكلاسيكي الفرنسي بول فوكار (P. Foucart)، كان هو الوحيد الذي وقف ضد هذا التيار، معتقداً بأنه ليس هناك ما يبرر استبعاد الرأي القديم الواسع الانتشار من الساحة[61]. وليست هناك محاولة واحدة تمت لتقييم احتمالية وقوع هذه القصص في ضوء كم المعلومات الجديدة المتراكمة، والتي غدت في متناول الجميع، منذ ذلك الوقت وحتى الآن[٣١].

وإذا استبعدنا ادعاءات ديودوروس بأن سيزوستريس وصل إلى الهند وما بعدها، فإننا يبقى معنا مخطط يبدأ بفتوحاته في إثيوبيا وليبيا وحملاته البحرية إلى البحر الأحمر، والتي غالبًا ما يفسرها اليونانيون بأنها كانت إلى المحيط الهندي. وقد اتبع سيزوستريس ذلك بحملات برية، لمدة تسع سنوات، داخل أناتوليا وثراكي، وحول البحر الأسود عبر سكيثيا وصولاً إلى كولخيس، كما أن هناك، أيضًا، إشارات غير دقيقة لفتوحات في ميسوبوتاميا (العراق) وإيران.

ومـاذا تـعنى كلمـة " الفـاتح" فى مـثل تلك النصـوص؟ إنه بالرغم من إدعـاءات المصريين حول الأعمال الخيرية لمليكهم سيزوستريس، فإن هذه الفتوحات كانت تمثل تجارب مرعبة مخيفة للشعوب التى عانت منها. ويتحدث كل من الرواة المصريين والكلاسيكيين عن أعمال تدمير وتخريب، وحصار، وثروات، فضلاً عن فرض الجزية المنتظمة على الشعوب المقهورة. كما أن إقامة النصب التذكارية (Stelae) يفترض نوعًا من المحاولة لتأكيد الهيمنة والسيطرة، ولكنه لا يوجد هناك ما يشير إلى أن الفرعون قد حقق إمبراطورية طويلة الأمد، ومع ذلك، فإن هناك، أيضًا مادة تراثية، ناقشناها لاحقًا، تقول بأن سيزوستريس أقام مستعمرات خارجية.

القدرة العسكرية المصرية

إبَّان الدولة الوسطى

نعرف من قصة معاصرة باسم " الملاح الناجى "[٣٢] أن المصريين كانوا يبحرون جنوبًا حتى البلدان الاستوائية، وذلك إبان الدولة الوسطى[62]. كما نعرف، كذلك، من اللوحة المشهورة للملكة حتشبسوت، فى الدير البحرى، وإنطلاقًا من طيبة على صفحة النيل، أن الأساطيل الرسمية (الملكية)، فى القرن (١٥) ق.م، كانت تبحر حتى سواحل شرق أفريقيا[63].

ومع ذلك، يؤكد بيرتون (Burton) أنه بينما كان المصريون قد استخدموا سفنًا "لأغراض الحرب"، منذ الدولة القديمة، فإنه ليس هناك أية رسومات (لوحات) لسفن صُمِمَت خصيصًا لأغراض الحرب، وهى التى لم تظهر إلا إبان الحرب العظيمة ضد "شعوب البحر" ، فى عهد رمسيس الثالث مع مطلع القرن (١٢) ق.م. وبالرغم من ذلك كله، فإننا نعرف من دليل وثائقى أن أساطيل الأسرة (١٨) كانت متخصصة وذات كفاءة[64]. ولما كانت معلوماتنا عن أساطيل الدولة الوسطى ليست مكتملة أبدًا، فإننا لا يمكننا أن نصادر إمكانية وجود مثل تلك السفن عدة قرون قبل ذلك، وحتى هذا، فإن هناك بعض المنطق للشك فى رواية ديودوروس عن أن سيزوستريس كان « أول من

بنى سفنًا حربية » . وفضلاً عن ذلك، فإنه من غير المحتمل - بالرغم من أنه يعتبر ممكنًا بالنظر إلى حجم عملياته الحربية - أن يرسل سيزوستريس (٤٠٠) سفينة إلى البحر الأحمر أو المحيط الهندى، وبالمثل، فإن هناك مشاكل حول إشارة هيرودوت القائلة:

« ...... وأبحر، أولاً، بأسطول حربى من الخليج العربى بحذاء ساحل المحيط الهندى، مخضعًا القبائل الموجودة على الساحل أثناء سيره، حتى اكتشف أن المياه الضحلة قد جعلت تقدمه للأمام مستحيلاً [65] » .

وهذا يشير فيما يبدو إلى بعض الخلط بين الرحلات، عبر المحيط، وتلك التى تبحر على صفحة النيل، حيث نعرف أن الماء الضحل قد تسبب فى صعوبات للحملات العسكرية للأسرة (١٢)[66]. ومع هذا، لا نجد سببًا جوهريًا للشك فى الجزء الأول من إشارة هيرودوت.

ويبدو، للوهلة الأولى ، أن الروايات حول حملات سيزوستريس البرية مستحيلة الحدوث لأن جيوشه كان ينقصها العربات الحربية، والخيول، وحتى الخناجر، ويمكن للمرء أن يربط ذلك كله (كما فى الروايات الواردة لنا) مع شئون الحرب القديمة وفتوحات كل من الملك الآشورى تيجلات بلسر (Tiglath Pilesar) ، والملك الفارسى قورش (Cyrus) أو الإسكندر الأكبر. ومع ذلك، فإنه يجب أن نتذكر أنه قبل سيزوستريس، بحوالى ثلاثة قرون من الزمان، كان سارجون العظيم، الملك العراقى[٣٣]، قد قام بفتوحات واسعة فوق أراضى الإقليم نفسه، وبأدوات ليست أفضل مما كان لدى سيزوستريس من بعده. وفوق هذا، فإن وجود الخيول لم يكن يعنى أن الجيوش اللاحقة، كانت تعتمد عليها لأغراض النقل فيما بعد . والحقيقة أنه وحتى القرن (١٩) الميلادى لم يكن قد تم اكتشاف بديل للنقل وذلك بغرض نقل الجنود والكثير من مواد الإمداد والتموين لهم عن طريق البر.

إننا نعرف من نقش ميت رهينة أن السفن كانت تستخدم لإحضار الجزية والغنائم إلى مصر، ولهذا، فإنه من المحتمل أن تكون إمدادات الجيوش، على الساحل، ممكنة ويتم أحضارها بالطريقة نفسها. كما أننا نعرف، كذلك، أن الحمير كانت تستخدم بالفعل كدواب نقل فى كل من سوريا وأناتوليا، ومن ثم كانت ميسورة أمام الجيوش

المصرية وإذا كانت روايات حملات سيزوستريس يمكن الوثوق بها فإن لنا أن نقول إن معظم عمليات التموين والإمدادات كان يجرى الاستيلاء عليها من السكان المحليين. وجدير بالذكر أن نشير إلى أن الصعوبات الوحيدة التى رواها ديودوروس ولم تثبت حول جيوش سيزوستريس، كانت فى منطقتى ثراكى وسكيثيا الفقيرتين والبعيدتين نسبيًا ، حيث « فقد معظم جيشه بسبب نقص الطعام ، والطبيعة الصعبة للأرض[67] » .

وهناك العديد من الرسومات، من هذه الفترة، تصور القوات المصرية، والنوبية، والآسيوية، موحدة الزى وهى القوات التى كانت مسلحة بالرماح والأقواس والقضبان[68] . ومع ذلك، فإن أكثر اللوحات إثارة للانتباه بشأن حجم وفعالية جيوش الأسرة الثانية عشرة، جاءت من آثار تحصيناتها فى النوبة، حيث غرقت الآن معظم[٣٤] هذه الآثار بسبب السد العالى فى أسوان. ولقد كتب وليام أدامز (W. Adams) ، وهو عالم حجة فى آثار النوبة، عن هذا الموضوع ما يلى:

« لما كان الفراعنة غير راضين عن غنائمهم من البلدان الجنوبية، فقد ساروا على سياسة تحصين النيل عند " بطن الحجر"، وذلك عن طريق سلسلة من أقوى وأمتن التحصينات التى شيدت فى العالم القديم قاطبة. وبعد أربعة آلاف عام من بنائها، وثلاث مائة عام من هجرها النهائى.فإن الحوائط الطينية لهذه الآثار العملاقة لا تزال قائمة، فى بعض أجزائها، لارتفاع حوالى أربعين قدمًا فوق رمال الصحراء..... أما قلاع الشلال الثانى فقد كانت مبينة، كما هو واضح، على مدى فترة تمتد لمائة عام، فى عهد سنوسرت الأول، وسنوسرت الثانى، وسنوسرت الثالث. ومن الظاهر أن هذه القلاع قد نظر إليها على أنها تكوّن مجموعة معمارية واحدة، وربما كانت تحت قيادة إنشائية بنائية موحدة، وتشير مظاهر التماثل فى الخطة إلى أن العديد من هذه القلاع قد تم تصميمه بأيدى المعمارى ذاته، وأنها بنيت، فى الغالب، فى وقت واحد.... ويعرب بوهن (Buhen) عن ذهوله، ليس فقط بسبب حجم تلك الدفاعات والحصون، بل أيضًا بسبب تعقيداتها المعمارية. ففيها، أى فى هذا البناء، توجد النتوءات البارزة (المعاقل : Bastions)، والكوات الدفاعية للرمى (Loop holes) ، والخندق (Fosse)، والجسر المتحرك (draw bridge) ، والمنحدرات المخصصة للهجوم (glacis)، وجميعها عناصر

كلاسيكية فى تحصينات العصور الوسطى.... وتوجد هذه الملامح نفسها ، بدرجة أكبر أو أقل، فى معظم القلاع الأخرى للدولة الوسطى[69] » .

ولما كانت مصر قد حققت ثراءً ملحوظًا وتمتعت بمركزية للحكم فى عهد سيزوستريس، (كما بوجد الدليل، من النوبة، على المقدرة لتركيز كل تلك المصادر للثروة لخدمة أغراض عسكرية)، فإنه يبدو من غير المقبول منطقياً ألا تقوم دولة، بمثل هذه الآلة الحربية والمقدرة العسكرية، بفتوحات ذات شأن فى آسيا. ومع ذلك ، فإن هذه المقدرة لا تعنى أن مثل هذه الفتوحات قد حدثت فعلاً، ولهذا الموضوع الأخير نحن نحتاج إلى أدلة أكثر. وهذا ما أرجو أن أفعله فيما يلى.

الخلفية التأريخية

(التأريخ المصرى للألف الرابعة والثالثة ق.م)

قبل البحث عن أى دلالات أثرية لفتوحات سيزوستريس يجب أن ندقق، قدر الإمكان، فى تأريخ تلك الحملات المزعومة. وإذا كانت الأسرة الثانية عشرة تملك سجلات واضحة لمدد الحكم لفراعنتها، فإنها، أيضًا، لها بداية مؤقتة وثابتة نسبيًا، ويعتمد هذا على توافق وقوع بداية السنة الشمسية مع بزوغ نجم الشعرى اليمانية (Sothis)، والذى يعلن بداية فيضان النيل. وقد سجل ذلك فى السنة السابعة من حكم سنوسرت الثالث، وإذا كان ذلك الحساب وتلك الملاحظة قد تمت فى ممفيس، فإنها تعنى أنها قد حدثت عام ١٨٧٢ ق.م، وهذه المقابلة قد اعترف بها علماء الآثار المصرية لسنوات عديدة، كما وضعوا، أيضًا، تأريخًا لكل الأسرة فيما بين ١٩٩١ و ١٧٨٦ ق.م، بفضل عالم المصريات والمتخصص فى علم الفلك المصرى ر.أ. باركر (R.A.Parker)، فى عام ١٩٥٠[70].

ومع ذلك قام باركر وآخرون خلال العقود التالية بإعادة النظر فى أطوال مدد الحكم التقليدية لفراعنة تلك الأسرة على أن يقللوا هذه ، ويطيلوا فى كل حكم مشترك

(للفرعون وابنه سوياً على العرش). وبهذه الطريقة يكون زمن هذه الأسرة قد قل بمعدل (١٢) اثنتى عشرة سنة، ويصبح الآن فيما بين ١٩٧٩ و ١٨٠١ ق.م[71].

وفى الوقت نفسه، بدأ عدد من العلماء الألمان فى الترويج لنظرية مفادها أن زمن ظهور نجم الشعرى اليمانية قد حدثت على خط عرض ٢٤ْعند حدود إقليم إليفنتين لم يحدث فى ممفيس أو هليوبوليس أو قرب خط عرض٣٠ْ بل أبعد نقطة فى اتجاه الجنوب بما يقل عن ذلك بحوالى ٦ درجات أى خط عرض ٣٠ْ، فى ممفيس (Memphis) هليوبوليس (Helioplis) كما أن وتوافق ذلك الظهور للنجم مع بداية السنة الشمسية الجديدة يكون، عندئذ، قد تم عام ١٨٣٠ ق.م، مما يعنى تقليل زمان تلك الأسرة بمعدل (٤٢) عاماً، ووضعها فيما بين ١٩٣٧ و ١٧٥٩ ق.م[72]. ولكن ذلك، الآن، يبدو غير محتمل بسبب ارتفاع التأريخ اليونانى فى ضوء الاكتشافات الفخارية، وهذا ما سوف نناقشه فى الفصول التالية.

التأريخ المصرى للدولة القديمة

مع مقدم القرن العشرين الميلادى تمت محاولة تأريخ التاريخ المصرى الأقدم (المبكر)، حيث أصبحت صعوبات التأريخ، بالزيادة أو النقصان بوجه عام، أكثر وضوحاً، ما وضحت البواعث والعوامل التى دفعت الباحثين لاتخاذ مواقفهم السابقة، والتشبث بمقترحاتهم القديمة، ولكى نفهم ذلك المشوار. بطريقة أكاديمية عملية، أعتقد أنه من المفيد أن نعرج على تأريخ الدولة المصرية القديمة، بالرغم مما فى ذلك من عدم ضرورة مباشرة لتأريخ الأسرة الثانية عشرة.

ومع بداية هذا القرن، كانت كل محاولات التأريخ المصرية، التى بين أيدينا ، ميسورة للعلماء، وتستند إلى حسابات تاريخ نجم الشعرى اليمانية. وهكذا فإن كل قوائم التأريخ ، منذ ذاك الوقت، قد تمت حساباتها على أساس الجمع بين تاريخ نجم الشعرى اليمانية وبين السجلات المصرية[73].

إن حكم فراعنة الأسرة الحادية عشرة هو أقل ثباتًا واستقرارًا من مثيله لفراعنة الأسرة الثانية عشرة، ولكن هناك دليلاً على أن الأسرة الحادية عشرة قد استغرق حكمها، ككل، حوالي ١٦٠ عامًا، بالرغم من أن العلماء المُحَدثين يفضلون تقدير مدة بقائها بـ ١٤٣ عامًا[74].

ويأتي تقدير مدة حكم هذه الأسرة الحادية عشرة من قائمة تورين (Turin Canon)، وهذه القائمة هي كشف بأسماء الفراعنة ومدد حكمهم، وقد تم نقشها وكتابتها إبَّان الأسرة التاسعة عشرة في القرن (١٣) ق.م، إنها تشبه بطريقة مذهلة ما نعرفه من تاريخ مانيتون، المكتوب للحكام اليونانيين[٣٥]. الذين حكموا مصر، بعد مرور ألف عام تقريبًا من وجودها. ويبدو أن قائمة تورين كانت كاملة عندما حصل عليها القنصل الفرنسي في مصر، المدعو/ دروفيتي (Drovetti) . ومع ذلك، فإن شامبليون قد تمكن من رؤيتها، في تورين، على هيئة شذرات، في ذاك الوقت، حيث ظلت هكذا لمدة ١٨٠ عامًا، ومن ثم أخذت اسمها. وقد احتاجت عملية إعادة تجميع تلك القطع المتناهية الصغر والمهمشة إلى تفكير طويل عميق ومجهود ضخم. ولم يكن اهتمام العلماء مُنصبًا على النص فحسب وعلى ظهر البردية، حيث وثيقة ضرائبية، بل على ضفائر البردى ذاتها التي تم استخدامها لعمل اتصال لأطرافها وتثبيت الروابط بينها[75]. ومع ذلك، فإن التاريخ الأساسي في هذه البردية هو مفتاح يبدو مؤكدًا نسبيًا. إنها هي السنوات الـ ٩٥٠، من بداية حكم أول فرعون مصري، وهو مينا (Menes) ، وحتى نهاية الأسرة السادسة أو الثامنة، آخر أسرة في الدولة القديمة، وأحفادها أو خلفائها.

ومع قبولنا هذا التأريخ، تظل هناك مشكلة مع ما يُسَمي " مرحلة الانتقال الأولى ": عقب سقوط وانهيار الأسرة السادسة أو الثامنة. وقد قدم هانز ستوك (H. Stock)، المتخصص في فترات الانتقال، نظريته في عام ١٩٣٠، فكتب الآتي:-

- الأسرة السابعة (حوالى ٢٧ عامًا) = ٢١٩٠ - ٢١٦٣ ق.م.
- الأسرة الثامنة (حوالى ٦٥ عامًا) = ٢١٧٥ - ٢١١٠ ق.م
- الأسرة التاسعة (حوالى ٤٥ عامًا) = ٢١٧٥ - ٢١٣٠ ق.م
- الأسرة العاشرة (حوالى ٩٠ عامًا) = ٢١٣٠ - ٢٠٤٠[76] ق.م

وهذا النمط التـأريخي يخـتلف تمامًـا عن ذلك الذى عـرفناه في مطلع القـرن العـشرين الميـلادى ، فقـد اقتـرح عالـم المصـريات الأمريكـي جيمز هـنرى برستد (J. Breasted)، في عام ١٩٠٦، التأريخ التالي:-

- الأسرة السابعة = ٢٤٧٥ ق.م
- الأسرة الثامنـــة = ٢٤٧٥ ق.م
- الأسرة التاسعـــة = ٢٤٤٠ ق.م
- الاسرة الحادية عشرة = ٢١٦٠ ق.م(77)

وهناك، كذلك، المؤرخ القديم المعاصر لبريستيد، وهو العلامة إدوارد ماير (Eduard Meyer)، الذى وضع كل المرحلة الانتقالية الأولى فيما بين ٢٤٤٠ + ١٠٠ وعام ٢١٦٠ ق.م(78). وكما هو واضح آنفًا، مع تأريخ ستوك (Stock)، قام علامة آخر حديثًا بتقليل طول هذه المرحلة. ولقد رأى جاردنر (Gardiner)، في نهاية حيـاته، أن هذه المرحلة الانتقالية قد استغرقت حوالي مائة إلى مائتي عام(79). بينما وضعها وليام هيز (W. Hayes) - كما كتب ذلك في " تاريخ كامبريدج القديم" (Cambridge Ancient History) لمدة (٤٨) ثمانية وأربعين عامًا فقط، واعتبر توحيد الأسرة الحادية عشرة لمصر قد حـــدث، وفـــقط، في عـــام ٢٠٤٠ ق.م. وليس هناك شك فى أن مـــعظم علمـــاء المصريات،اليوم،يشاركون رأيه ويتفقون معه(80)

إن هذا الضغط لفترة الانتقال الأولى يجب أن ينظر إليه، على أنه جزء من اتجاه عام لتخفيض تواريخ التاريخ المصرى، ولكن لماذا أحس العلماء بضرورة تقليل هذا التأريخ، ولاسيما أنه - كما ذكرنا من قبل - ليس هناك أى تأريخ مصرى جديد قد ظهر منذ أيام برستدوماير(*) ؟ أعتقد أن أفضل تفسير لهذا الإتجاه يمكن أن يفهم في ضوء علم اجتماع المعرفة . إنه مع الحرب العالمية الأولى قام علماء الآثار ومؤرخو العصور القديمة بتكثيف جهودهم ونضالهم لتكون لهم مكانة علمية. ويمكن أن تفسر

(*) وهكذا يأتي ذكرها أيضًا في المراجع العربية المترجمة .

ذلك الاتجاه من جانبهم على أنه الرغبة فى أن يكون القصور أوضح وأصوب. ولكن بعض العلماء الحذرين والمحافظين خافوا أولاً وقبل كل شيء من اتهامهم بأنهم تأمليين فى منهجهم. وفى الوقت نفسه، فقد كان من المنتظر منهم أن يكونوا مجددين. وفى هذه الحالة فإن المخرج الوحيد للتجديد كان هو أن يكونوا مغالين فى نقدهم لكل نوع من أنواع الأدلة العلمية ، وعلى وجه الخصوص تلك التى تنتمى إلى المصادر الوثائقية القديمة. وهكذا فإنهم قد مالوا إلى الحد من الإدعاءات القديمة فى الزمان وفى المكان.

ومن دواعي السخرية إأن هذا الاتجاه قد كبحت جماحة معلومات من العلوم "الصلبة"، التى كان علماء المصريات وعلماء الآثار يحاولون أن ينافسونها. وكما هو معروض خلال هذا الكتاب فإن المصادر الجديدة للمعلومات تميل إلى زيادة العمق التاريخي والاتساع الجغرافى لممارسات وأنشطة العالم القديم.

وفى هذه الحالة تحديداً، فإن التحدى يأتى من طريقة التأريخ بالكربون المشع ففى عام ١٩٧٩ نشر الأثرى الواسع الشهرة فى آثار أناتوليا، جيمس ميلات (J. Mellaart) مقالاً مذهلاً فى الدورية الإنجليزية (Antiquity) بعنوان « التأريخ المصرى والشرق الأدنى: هل هو معضلة؟ » لقد ناقش فيه الاعتقاد الذى كان سائداً بأن التأريخ بطريقه الكربون المشع لا يمكن استخدامها فى مصر، حيث توجد لديها مصادر أخرى للتأريخ، وأكد على أن ذلك الإعتقاد لم يعد صواباً الآن بفضل عمليات إعادة النظر وتنقية طريقة التأريخ بالكاربون. ولهذا فقد اقترح ميللارت أن يتم إعادة تأريخ الحضارتين فى ضوء ذلك الدليل الجديد. وفيما يخص مصر، فإن النتيجة التى توصل إليها هى أن تأريخ الكاربون أشار إلى أن الأسرة الأولى بدأت حوالى ٣٤٠٠ ق.م، وهكذا فإن كل التواريخ الخاصة بالتاريخ المصرى يجب أن تزداد بمعدل (٣٠٠) ثلثمائة عام، حتى نصل إلى تأسيس الدولة الحديثة، والتى وافق ميللارت على أن تأريخها التقليدى، المعتاد، بعام ١٥٦٧ ق.م، هو تأريخ مقبول.

إن النقطة التى " قفز " عندها ميللارت من تأريخه العالى إلى مستوى التأريخ التقليدى العادى كانت خلال مرحلة الانتقال الثانية، ذلك لأن مصر، وقتها، كانت تحت احتلال الغزاة الهكسوس (Hyksos)، فى الشمال[81]. ولقد تبنى ميللارت الفكرة القائلة

بأن هذه الفترة كانت قد طالت مدتها أكثر من المعتقد، وبينما يقدر تاريخ كامبريدج القديم ((Cambridge A. History)الفجوة فيما بين سقوط الأسرة (١٢) وقيام الأسرة (١٨) بحوالى (٢١٩) عامًا [بين عام ١٧٨٦ وعام ١٥٦٧ ق.م] ، فإن ميللارت يقيمها بحوالى (٣٧٩) عامًا فيما بين عام ١٩٤٦ وعام ١٥٦٧ ق.م. ولسوف يتم تناول هذا الموضوع بتفصيل أكبر فى الفصل الثامن، وإن كان يجب الإشارة هنا إلى أن ميللارت كان بإمكانه أن يدعم رأيه بتمديد الانتقال الثانية وذلك بالتأكيد على أن الهكسوس كانوا فى مصر فى الأسرة (١٨)، وكذلك بأن كلاً من مانيتون والآثار المعاصرة تشير إلى أنه كان هناك عدد كبير من الفراعين ينتسبون إلى الأسرة (١٣) التى سبقت وصول الهكسوس.

ولقد سلم ميللارت بأن وضعه للأسرة (١٢) فيما بين (٢١٥٥) و (١٩٤٦) لا يتوافق مع تاريخ نجم الشعرى اليمانية. ولكنه أدرك أنه ليس هناك طريقة للمصالحة بينهما، ولاسيما إزاء ما اعتبره هو دليلاً لا يمكن رفضه، وهو دليل الكربون المشع[82].

وَتقْلب آراء ميللارت حول التأريخ المصرى والفلسطينى كل ما استقر فى علم المصريات، والذى كان – حتى ذلك الوقت – يتأرجح بين مؤيدين " التأريخ الوسط "، وأولئك الذين يحاولون إرساء تأريخ جديد ولو كان أقل من سابقه، ولقد عارض بحث ميللارت معارضة مباشرة من علماء المصريات هما بارى كمب (B. Kemp) وجيمس فاين شتاين (J. Weinstein) وسرعان ما أصبح الجدل بينهم فنيًا جداً ومرهقًا جداً لمعظم القراء وصعبت عليهم المتابعة[83]. ومع ذلك ، فإن الهجوم قد ترك انطباعًا بعدم جدوى وفائدة محاولة ميللارت لإعادة التأريخ.

وبعد ثمانى (٨) سنوات ، فى عام ١٩٨٧، تم نشر تقرير مفصل لتأريخ الأهرامات بطريقة الكاربون الجديدة، فقد قام مجموعة من العلماء السويسريين والأمريكان، برئاسة هربرت هاس (H. Haas) بتجميع (٦٤) عينة عضوية طازجة، من داخل الأهرامات، وقاموا باختبارها فى المعامل، فى تكساس وسويسرا. كانت نتائجهم

مـدهشـة، ذلك أنهم طالبـوا بزيادة تقسيم " تاريخ كامـبـريـدج الـقديم" بمـعـدل ٣٧٤ عاماً[84].

وفي تعليقاتهم على المحاولات السابقة للتأريخ بالكربون المشع، والتي كانت تميل إلى تأييد التـأريخ التقليدى المعتاد، لفت هاس ورفاقه الانتباه إلى الحقيقة القائلة بأن العينات السابقة كانت غير طازجة وكذلك كانت الأبحاث القديمة المبكرة تستخدم أدوات أقل تقدماً وأقل دقة وتكنيكاً، ومن ثم كانت تقديراتهم غير منتظمـة[85].

إن علماء تكساس وسويسرا لم يثيروا أى اختلاف آخر يوجد من تأريخهم وتأريخ باحثين كثيرين غيرهم، مثل حالة الأثرى الإنجليزى ، من كامبريدج، إيان شو .I) Show) الذى نشر مقالة عام ١٩٨٥[86] بعنوان : « التـأريخ المصرى وتأريخ حلقات شجر البلوط الأيرلندى » ، وبينما نجد شو وآخرين يعملون جنبًا إلى جنب مع علماء المصريات، وكان عندهم شغف بأن تتوافق اكتشافاتهم مع التأريخ التقليدى، نجدهم وقد أصابهم فيما يبدو الإحباط لعدم إمكانية تحقق ما يريدون ونجد هاس وزملائه قد اهتموا اهتماماً بالغًا بالأساليب التقنية ودخلوا إلى الموضوع بعقول متفتحة، مع أنهم كانوا مندهشين من النتيجة والدرجة التى جاءتهم بها أبحاثهم واختلفت عن تلك التى قامت بها مجموعة " تأريخ كمبريدج القديم"[87]. وصادفت ردود الأفعال لإنجاز هاس ورفاقه حالة من الصمت إلى حد كبير، وكان هناك اعتراض واحد وهو أن علماء تكساس وسويسرا لم يفلحوا فى أن يدركوا الاختلاف بين المادة الطويلة العمر والأخرى القصيرة العمر، وكذلك عدم دقتهم فى التأريخ، ولاسيما إذا جاءت العينة من كتلة مادية ربما تكون قد ماتت فيها الطلقات المركزية للشجرة قبل استعمالها فى بناء الهرم بعشرات السنين أو القرون. حاول هاس ورفاقه أن يواجهوا ذلك بالإدعاء بأن الأهرامات غالبًا ما استغرقت عشرات السنين ليتم بناؤها[88]. وفضلاً عن ذلك، فإنه يبدو أن قليلاً، فقط، من العينات كانت هى طويلة العمر، وهكذا فإنه من الممكن أن تكون أقدم من الأهرامات. ومع ذلك فإننى أعتقد بأن إدعاء فريق هاس، بضرورة زيادة تأريخ مجموعة " تاريخ كمبريدج القديم" بمعدل (٣٧٤) عامًا، يحتاج إلى تخصيص بعض الشىء.

ومع ذلك، فإنه من الطريف، أن نذكر أن الاعتراض الرئيسي على التأريخ المرتفع لجماعة تكساس وسويسرا هو كون هذه الإضافة الكبيرة لمئات السنين، التي جاءت بتحليل الكربون المشع، لا تساير التأريخ المعتمد على المصادر التاريخية. كما أنها لا تناسب التأريخ الفلسطيني، والذي يعتمد هو نفسه على النماذج المصرية المعاصرة له، فضلاً عن اعتماده على أسلوب الكربون المشع[89].

ويمكن مناقضة هذا بالقول إن هاس وزملاءه كانوا قد تبنوا، فعلاً، تأريخ الكربون المشع المبكر للحضارة المصرية، ووضعوا ذلك في اعتبارهم، وبالإضافة إلى ذلك، وبينما نجد تأريخهم لا يتطابق مع تأريخ المصادر التاريخية (كما قلنا من قبل) [٣٦]، كما هو معروف عنها الآن، وإذا أمكننا أن نخفض تلك التواريخ للأسباب السالفة الذكر، فإنها ستصبح متوافقة مع تأريخ جيمس هنري برستيد (Breasted) ومعاصريه، والتي كانت معتمدة على الحوليات المصرية ذاتها. وكما ذكرت من قبل، فإنني أعتقد أن تأريخ برستيد هو الأجدر بالثقة من تأريخ غيره من خلفائه أو الأجيال اللاحقة، وذلك بسبب الضغوط الحاصلة مؤخراً لتقليل التأريخ، ويعتمد التأريخ الفلسطيني كليةً على الترتيبات التزامنية مع مصر. وهكذا فإن الأمر يصبح " تحصيل حاصل" إذا استخدمناه لكي نضبط التأريخ المصري لهذه الفترات، وفيما يخص تجديد التواريخ الفلسطينية بالكربون فإن الجدل الدائر بين فاينشتاين وميللارت حول هذا الموضوع، يظهر لنا أن تفسيرهما غير مؤكد تماماً ويبعد تماما عن اليقين.

تأريخ إبــــــلا (Ebla)

وهناك فائدة واحدة لإعادة النظر في تأريخ كل من برستيد (Breasted) وماير (Mayer)، تعود على الدولة المصرية القديمة، وهي أنها تحل مشكلة في تأريخ " إبلا " (Ebla)، المدينة السورية العظيمة، ويعتبر الكشف الأثري لهذه المدينة أعظم مباهج آثار الشرق الأدنى في الربع الأخير من هذا القرن. ولقد تم العثور على آثار كثيرة تؤرخ بفترات عديدة، ولكن اهتماماً زائداً كان من نصيب القصر الذي تم الكشف عنه في المستوى المرقم بـ (IIB1)، من هذه الحفائر، حيث عثر على أرشيف ضخم. إن عطاء تلك

الألواح وإفادتها فى دراسة الاقتصاد، والمجتمع، والديانة واللغة للشرق الأدنى القديم لهو عطاء يفوق الحد وثورى وكبير جداً، بل ومعقد، ولا يمكن عرضه هنا[90].

وهكذا، فإننى سوف أهتم، هنا، بموضوع التأريخ فقط ومشكلة تاريخ تدمير القصر، الذى وجد فيه الأرشيف. هناك ملكان اثنان من حكام مسوبوتاميا ، بلاد الرافدين (Mesopotamia)، هما سارجون العظيم، وابنه الأكبر نرام سين (Naram Sin)، كان قد إدعى كل منهما غزو إبلا. ولقد اعتقد باولو ماتياى (Paolo Matthiae) لأثره الذى كان قد اختار الموقع وكشف عن العديد من كنوزه – اعتقاداً مبدئيًا على أساس الآثار المعمارية والنمط الفنى، أن تدمير القصر كان على أيدى نرام سين فى القرن (٢٣) ق.م[91].

ولكن جيوفانى بتيناتو (Giovanni Pettinato) (عالم النقوش الذى قرأ، لأول مرة، نصوص اللغة الإبلية السامية (؟!!) الجديدة، وهى اللغة المحلية التى كتبت بها ألواح كثيرة) ، قد عارض تأريخ ماتياى مقترحاً أن أرشيف إبلا كان قد تم تدميره فى وقت سابق بكثير، وقبل حكم سارجون بوقت كاف. وتستند نظريته على عدد من الحقائق: أولاً، تحتوى النصوص على كم ضخم من المعلومات الجغرافية، دون أى ذكر للملك سارجون أو مدينته أكاد (Akkad) ، والتى يبدو أنها قد استفادت إستفادة غير عادية من أهمية الفاتح المباغت لبلاد النهرين وتدميره لسوريا وثانيًا: هناك متشابهات ، سواء فى شكل الكتابة أو فى اللغة، بين ألواح إبلا ونصوص بلاد النهرين فيما قبل عصر سارجون، والتى تؤرخ بحوالى ٢٥٠٠ ق.م، ولقد أفضى به ذلك، مبدئيًا، إلى أنه أرجع تدمير أرشيف إبلا إلى الملك السومرى إياناتوم (Eannatum) ، من مدينة لاجاش (Lagash)، جنوب بلاد النهرين، وهو الملك الذى كان معروفاً بأنه فتح وغزا مدينة مارى (Mari) على نهر الفرات الأعلى، على مبعدة (١٧٠) ميلاً شرق إبلا. ومع ذلك، قام بتيناتو، بعد ذلك، بتخفيض هذا التأريخ ليصبح حوالى ٢٤٠٠ ق.م، وكذلك الحملات الشهيرة للحاكم السومرى ، لوجال زاجيزى (Lugalzaggizi) ، حاكم مدينة كيش[92](Kish) . ولقد راجت نظرية تيناتو حول تدمير قصر إبلا وتأريخه، بما قبل

سارجون، وتحول ماتياى ومؤيدوه بهدوء إلى تأييد الرأى القائل بتدمير القصر على يد سارجون حوالى ٢٣٥٠ ق.م بالرغم من أنهم لا يزالون لا يذهبون بعيداً كما ذهب بتيناتو[93].

ويبدو أن ماتياى لا يملك إلا دليلاً واحداً لصالح الرأى القائل بتدمير نارام سين لحضارة إبلا وأرشيفها، وهذا الدليل يتمثل فى وجود قطعتين من آنية من الديوريت داخل القصر IIB1 ، (الذى عثر بداخله الأرشيف) منقوش عليها اسم الفرعون خفرع، من الأسرة الرابعة، وكذلك اشتمل هذا الأرشيف على غطاء من الألبستر لإناء، عليه اسم الفرعون ببيى الأول من الأسرة السادسة.

ووفقًا لتأريخ تاريخ كمبريدج القديم (C.A.H) ، فإن ببيى الأول (Pepi I) قد حكم في الفترة من (٢٣٣١) إلى (٢٢٨٣) ق.م، بينما حكم نارام سين من (٢٢٩١) حتى (٢٢٥٥) ق.م. بالرغم من أن تأريخ الأخير جاء متأخراً بعض الشيء، ولقد اعتقد ماتياى، في البداية، (من ذلك التأريخ)، أنه بينما نجد قطع خفرع قديمة فعلاً عندما تدمر قصر إبلا، فإن إناء ببيى كان هدية معاصرة للحدث، ومن هنا ظن أن قصر إبلا هذا لا يمكن أن يكون قد تم تدميره بأيدى سارجون أو أى حاكم عراقى[٢٨] أقدم. وحتى اليوم، وبالرغم من أن ماتياى يقبل الآن الرأى القائل بتدمير سارجون لأرشيف إبلا، إلا أنه غير مستريح أبداً إلى ما يراه متأخراً فيما يمثله الدليل المصرى المعاصر[94].

وتظهر الآن معلومات فلكية تقلل تأريخ كمبريدج القديم لحكام بلاد النهرين القدماء الذين عاشوا هذه الفترة (محل الخلاف)، ويرفعون ويزيدون تأريخ سارجون بواقع تسع سنين فقط. وهكذا فإن سارجون يجب أن ينظر إليه كحاكم فى الفترة من (٢٣٨٠) إلى (٢٣٢٤). وكذلك ابنه نرام سين، من (٢٣٠٠) إلى (٢٢٦٣)ق.م[95].

ووفقًا للتأريخ المصرى هنا، فإن الملك ببيى الأول حكم فى الفترة من ٢٦١٤ إلى ٢٥٦٥ ق.م، وهذا ما يتوافق حتى مع تأريخ بتيناتو المبدئى وكذلك التأريخ المبكر جداً لتدمير قصر إبلا (IIB1) حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م، وهو التاريخ الذى يفضله معظم العلماء فى ضوء النقوش الشبيهة بأمثالها فى حضارة العراق القديم[96] .

ويمكن، كذلك، حل مشكلتين أخريين بالرجوع إلى تأريخ كل من برستيد وماير للدولة القديمة في مصر، وأولى هذه المشاكل هي غياب أية إشارة إلى مصر في نصوص إبلا. ولقد كان بتيناتو محتاراً فيما قبله من تأريخ شائع وصحيح للدولة القديمة المصرية، معتقداً بأن الأسرة الرابعة العظيمة كانت مزدهرة فيما بين الـ (٥٠) و (٧٠) عامًا التي تغطيها النصوص، ومع ذلك، فإنه يبدو الآن أن الأسرة السادسة والدولة القديمة كانت قد انهارت حوالي ٢٥٠٠ ق.م، وكذلك إذا تم تنزيل[٣٦] تأريخ دمار إبلا بمعدل (٣٠) عامًا، ليكون حوالي عام ٢٤٧٠ ق.م، فإن ذلك سيتوافق مع واحد من أكثر فترات التاريخ المصري فوضى، وهكذا، فإنه لن يكون هناك سبب للدهشة لغياب اسم مصر في نصوص إبلا[٣٧].

مع ذلك، فإن هذا الإتجاه لا يمكن أن يشيع وينتشر حيث أن هناك الآن اتجاهاً آخر، له وزنه، يستند إلى أن الأرشيف يحتوى على معلومات جغرافية عن أى مكان يقع غرب المدينة[97].

أما المشكلة الثانية، والتي يمكن أن تكون قد تم حلها بزيادة تأريخ الدولة القديمة المصرية، فهي أنه سيتم تفسير غياب أى أثر مصرى داخل أراضي العراق القديم (مسوبوتاميا)[٣٨] ، أو العكس ، مما يوضح المعاصرة بينهما، والتي يمكن أن يتوقعها الباحث توقعًا تامًا بين هاتين الإمبراطوريتين القويتين الواسعتين .

وتعتمد هاتان الملاحظتان الأخيرتان، بالطبع، على غياب الدليل، الذى هاجمته كثيراً في هذا العمل. ومع ذلك، فإننى لا أرى سببًا في أن أشك، مع هذه الميزات الإضافية ومعاصرة ألواح إبلا الممكنة[٣٩]، في أن تأريخ الدولة القديمة هو مرتفع بشكل كبير وأعلى مما أعطاه تاريخ كامبريدج القديم (.C.A.H) وأن تأريخ الراديو كاربون الجديد يبدو وقد ثبَّت التواريخ المصرية للدولة القديمة التي قدمها برستيد وماير وميللارت .

التأريخ المصرى قبل الدولة القديمة

هل هذا ينطبق على كل عملية التسجيل الزمنى للأحداث المصرية المبكرة؟ لقد كان هناك طريق واحد واضح، به يمكننا أن نوفق بين هذه النتائج الجديدة وبين التأريخ "الزائد" للدولة القديمة مع المزيج التقليدى للتأريخ النجمى (Sothic date)، وكذلك تأريخ تورين (Turin Canon)، وهو أن نقلل (أو / أن نقصر) الفترة الزمنية لمرحلة ما قبل عصر الأسرات (Protodynastic) التى تسبقها مباشرة، وبهذه الطريقة فإن الأسرة الأولى يمكن أن توضع حوالى (٣٢٠٠) ق.م، حتى ولو بدأت الأسرة الثالثة حوالى (٣٠٠٠) ق.م، ولكنه لسوء الحظ، فإن هذا الحل لا يدعمه ويغطيه مصدر آخر فى التاريخ المصرى، وهو حجر بالرمو (Palermo Stone)، وهو الذى يؤرخ، على الأقل، بألف عام كاثر أقدم من قائمة تورين التأريخية (Turin Canon) . هذا الحجر، وهو موجود الآن فى مدينة بالرمو بإيطاليا، هو عبارة عن قطعة من لوح، كان قد تم النقش عليه، كما هو واضح، فى الأسرة الخامسة مسجلاً الفراعين الأقدمين وبعض الأحداث البارزة خلال حكم أولئك. وكما هو حادث مع قائمة تورين، فإنه يمكن أن يزودنا، وفقط، بفتات متعب من المعلومات. وأحد هذه المعلومات يتمثل فى القول بأن الأسرتين الأولين، من الدولة القديمة، استمرت لمدة (٤٤٤) عاماً. هذا الرقم ربما يكون له مغزى عددى أو حسابى أكثر من كونه ذى دلالة تاريخية . ومع ذلك، فإن أحدث دراسة لحجر بالرمو تحدد، بشكل مقبول ومعقول، زمن الأسرتين الأوليين فيما بين (٤٠٥) و (٤٨٦) عاماً[98]. ومن ثم، فإنه من المستحيل أن نقلل زمن هذه الفترة لأقل من مائتين عاماً من السنين، بالرغم من قلة عدد أسماء الفراعين الذين جاء ذكرهم على هذا الحجر، وهكذا، أيضًا، فإنه لا يكون هناك شك فى أن ميللارت كان محقًا فى إعادة النظر فى تاريخ تأسيس وبداية مصر الفرعونية، بحوالى عام (٣٤٠٠) ق.م، وهو التاريخ الذى وضعه برستيد أيضًا، ويجب الآن، تبعًا لذلك، أن ننظر إلى الأسرة الثالثة على أنها بدأت حوالى عام (٣٠٠٠) ق.م، وأن الدولة القديمة كانت قد انتهت حوالى (٢٤٧٠) ق.م تقريبًا، وهكذا سيرًا على ما جاء فى قائمة تورين بأن ذلك استغرق (٩٥٥) عامًا بعد تأسيس الأسرة الأولى[99].

تأريخ الدولة الوسطى

وإذا كان ميللارت على حق فيما اعتقده حول الدولة القديمة، فهل هذا يعنى أن المرء عليه أن يقبل تأريخه الزائد والمرتفع أيضاً بالنسبة للدولة الوسطى؟ إننى أعتقد أنه لا يجب أن يكون كذلك. لقد قدم بارى كمب (Barry Kemp) دفاعًا جيداً عن الإمكانية الكاسحة والمعقولة للتأريخ النجمي (100). وهكذا فإن الحل الوحيد هو أن نجمع ونؤلف بين التأريخ الجديد المرتفع للدولة القديمة، وبين التأريخ النجمي للدولة الوسطى، وذلك بأن نطيل فترة الانتقال الأولى أكثر من الثانية. وهناك شك قليل في عدد الفراعين وأنهم كثيرون حتى أنهم يصلون إلى (١٨) فرعونًا، عقب وفاة بيبى الثانى، الطاعن فى السن، والذى بلغ من العمر (١٠٠) عام، وهؤلاء إما أنهم ينتسبون إلى نهاية الأسرة السادسة أو إلى الثامنة، وهناك (١٨) فرعونًا آخرون تنسبهم قائمة تورين إلى الأسرة التاسعة والعاشرة(101). وفوق ذلك كله، فإنه من الواضح أن حكم كل أولئك لم يكن قصيراً ولا مجرد انقلاب، وذلك فى ضوء عدد أوراق البردى التى تصور الحياة، وقتئذ، على أنها مسالمة تمامًا ومزدهرة، وعلى الأقل لبعض الفترات فى حكم بعض الملوك من تاريخ الدولة. وكذلك هناك، كما يبدو، عدد لا بأس به من الأسرة الحاكمة المحلية، فى الأقاليم، كحكام لبعض المناطق الداخلية (Nomes) (102).

ولقد لاحظ وليام ستيفنسون سميث (W. Stevenson Smith)، مؤرخ الفن، اختلافات حضارية ضخمة بين الدولة القديمة والوسطى، وهو العالم الذى كان قد وقف بعيداً ضد الإتجاه بتخفيض التأريخ للحضارة المصرية ، وذلك بالاعتراض على العديد من مظاهره. وكذلك فقد اهتم وكان يميل إلى ضغط فترة الانتقال الأولى هذه(103). وبالرغم من أن هناك آثاراً للغة المصرية في الدولة الوسطى – ونقصد اللغة الرسمية المكتوبة لها – فإنها كانت قد ظهرت منذ الدولة القديمة، وأن التغيير الجذرى للهجة الرسمية ينبئ عن فجوة سياسية وحضارية جوهرية فيما بين الدولتين(104). ويبدو أن هذا لم يكن ممكنًا فى أن يحدث فى قرن من الزمان، وفى الغالب كان ذلك مستحيلاً دون مرور فترة زمنية.

وبايجان، فإننى أعتقد أننا يجب أن نعود إلى برستيد ونرجع إليه فيما يخص تأريخنا المبكر للحضارة المصرية. وهذا يعنى إعادة نظر جوهرية لتأريخ فترة ما قبل الأسرات (العصر العتيق : Archaic Period) وكذلك الدولة القديمة، فضلاً عن مرحلة الانتقال الاولى، ولكن مع إجراء تعديل طفيف نسبيًا فى تأريخ الأحداث التى وردت فى هذا الفصل، ونقصد بها الدولة الوسطى وحكم سيزوستريس.

تأريخ مسوبوتاميا (بلاد النهرين)

من الضرورى أن يكون لدينا بعض المعلومات عن تأريخ مسوبوتاميا فى مطلع الألف الثانية ق.م، وذلك لكي يمكننا أن نصل إلى أى معرفة مقبولة لحملات سيزوستريس فى مسوبوتاميا وأناتوليا. وفى الحقيقة، فإن هناك جدل كبير حول هذا الموضوع طيلة الخمسين عامًا الماضية. ولقد تركز ذلك على تنافس تأريخى بين ما هو "طويل"، و "وسط " و "قصير " لبعض أحداث التاريخ مثل حكم حمورابى (Hammurabi)، ملك بابل الشهير، وكذلك غزو هذه المدينة (أى/ بابل) على أيدى الحيثيين فيما بعد. وهذه الجداول التأريخية تعتمد على أربع تواريخ محتملة، وهى التى تتفق مع تقارير ومعلومات فلكية قائمة على ملاحظة كوكب الزهرة، والتى تم الكشف عنها فى لوح بابلى أثرى.

وفى خلال العشر سنوات الماضية ، قام بيتر هيوبر (Peter Huber)، عالم الإحصاء من معهد MIT [٤٠]، بنقد التأريخ الأقدم، " الطويل "، نقدًا شديدًا وبقوة. ويعتقد هيوبر أنه، ليس فقط تلك الملاحظات البابلية لدوران الزهرة كل (٨) سنوات، ولكننا نجد كذلك بعض حالات الكسوف والخسوف للقمر، فى أوقات معينة، فضلاً عن أطوال الشهور، كل ذلك يشير إلى تأريخ " طويل" أكثر من التأريخين الآخرين . ويختتم هيوبر أحدث كتاباته حول هذا الموضوع مقررًا:

« لقد انتقلت ، فى اعتقادى، مشكلة التأريخ لمطلع الألف الثانية إلى شكل غاية فى الأهمية. إنها لم تعد مجرد مسألة إلتقاط واحد من أشكال التأريخ الفلكى العديدة على

أساس من قاعدة تاريخية أو أية براهين أخرى غير فلكية، ولكنها أصبحت مسألة قبول أو رفض تأريخ واحد فقط.

كما أنى أعتقد أيضًا، أنه بينما نسبة الـ ٩٩٪ من الثقة هى، بالطبع، مختلفة عن درجة اليقين، فإن هذا الهامش من الخطأ لهو أضيق مما هو موجود فى معظم النظريات والبراهين التاريخية، وكذلك فإن أى رفض محتمل لها يجب أن يكون تأسيسًا على دليل ناقض لها غاية فى القوة [105]» .

ولقد التقت النتيجة التى توصل إليها هيوبر مع الإتجاه السائد والأكثر ثباتًا بين علماء آثار أناتوليا[106]. إن المشكلة تكمن، الآن، فيما يظهر على أنه " الدليل المناقض القوى"، كما طلبه هيوبر. وقد تم ذلك على أساس تأريخ حلقات الشجر[٤١] (Dendro chronology) ويعتقد الآن بيتر كونيهولم (Peter Kuniholme)، عالم التأريخ بالشجر، أن قصر أجيم هيوك (Acem Huyuk)، فى أناتوليا الوسطى، والذى عُثِرَ فيه على خاتم للملك ياختون ليم (Iakhtun-Lim)، حاكم مارى، يمكن أن يؤرخ بعام ١٧٩٢/١٧٩١ ق.م + – ٣٧ عامًا[107]. ويبدو أن الملك ياختون ليم كان معاصرًا أقدم للملك الآشورى شمشى أدد، الذى حكم، (طبقًا للتأريخ الطويل)، فى منتصف القرن (١٩) ق.م. وهكذا فإنه من الصعوبة بمكان أن يوفق بين هذا التاريخ وذاك التأريخ. ومع ذلك، فإنه يمكن أن يساير، بسهولة، التأريخ " الوسيط" وكذلك يمكن أن يناسب التأريخ " المنخفض"، مع وجود بعض المشكلات البسيطة[108].

ومن جهة أخرى، فإن هناك العديد من الصعوبات فى تاريخ منطقة أجيم هيوك، وأولى هذه الصعوبات يتمثل فى أن عملية التأريخ، هنا، لم تأت عن طريق " نقى " للتأريخ بحلقات الشجر، بمعنى أنه ليس هناك تواصل فى مجموعة الحلقات المتوازية (الأشجار قيد الدراسة) [٤٢]، من منطقة أناتوليا الوسطى، وصولاً من العصور القديمة وحتى العصر الحديث، فى وقتنا الحالى. ولقد تم التوصل إلى تاريخ المنطقة (السابقة الذكر)، من عمليات التأريخ بالراديو – كاربون لحلقات الشجر، مقارنةً بمثيلاتها فى أماكن أخرى، حيث يوجد تواصل مستمر لحلقات العينات. ومن هنا، فإنه بالرغم من أن هذا الأسلوب يعتبر أكثر صلابة ويمكننا الاعتماد عليه بشكل أفضل عن التأريخ

البسيط للراديو – كاربون ، يوجد هناك احتمالات عدة للخطأ. أما الصعوبة الثانية ، أو المشكلة الاخرى ، فهى تكمن فى أن الحفائر التى تمت فى قصر أجيم هيوك ، والتى منها أخذت عينات اللحاء الخشبي والأختام، لم يتم نشرها بعد . وبسبب هذه الحالات ، أو الصعوبات (السابقة الذكر) ، والتى تشى بعدم اليقين ، فإننا لا نستطيع ببساطة أن ننفض أيدينا من التأريخ "الطويل". ومع ذلك ، فإننا بالمثل لا يمكننا أن نشارك هيوبر ثقته المطلقة، تقريبًا، فى ذلك التأريخ.

وهكذا، فإننا إذا كان يجب علينا أن نعظم ونقدر تأريخ باركر (Parker) المرتفع ، والتأريخ الألمانى المنخفض للأسرة الثانية عشرة، فإننا علينا أن نتعامل أيضًا مع مستويات التأريخ المختلفة ، المرتفعة والوسطى والمنخفضة، لحضارة بلاد النهرين (مسوبوتاميا). وعلى الجانب المصرى ، فإننا نسعى للبحث عن أحداث تدمير وانهيار فى أناتوليا أثناء حكم كل من سنوسرت الأول وأمنمحات الثانى فيما بين ١٩٥٨ و١٨٨٣ ق.م أو ١٩١٢ و ١٨٤١ ق.م. إنه ليس من قبيل المحتمل أن تكون هناك حملات عسكرية مصرية فى أناتوليا، ويمكن أن تحدث مع مطلع أو بدايات حكم سنوسرت الأول. إننا نعرف أنه كان هناك أزمة سياسية عندما أتى هذا الملك إلى العرش وكان يحارب فى ليبيا مع بدايات حكمه، ومن ثم، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يبدأ مثل تلك العملية كفاتح وغازى لآسيا، لحين قدرته على بناء قاعدة قوية، بدرجة كافية، سياسيًا وأقتصاديًا وعسكريًا، تمكنه من أن يقوم بذلك .وإذا قبل المرء منا المصادر التقليدية، فإنها تؤكد على أن حملات سنوسرت الأول البحرية والبرية صوب الجنوب وقعت قبل تلك التى وجهها صوب الشمال. وأخيرًا، فإن هناك المراجع الخاصة بحكم ابنه، أمنمحات الثانى، وذلك فى داخل نقش ميت رهينة. كل أولئك تقوى احتمالية حدوث ذلك، بشكل أفضل، على أيدى أمنمحات الثانى، الذى شارك فى هذا النشاط الخارجى بحملات تمت فى السنوات الأخيرة من حكم سيزوستريس. وهكذا، فإننا نبحث عن الدليل الأثرى لجيش قوى فى أناتوليا فى فترة زمنية ما، فيما بين ١٩٣٠ و ١٩١٦ أو١٨٩٨ و١٨٨٤ ق.م.

الدليل الأثرى للحملات

إذا فرضنا جدلاً أن فتوحات سيزوستريس قد حدثت وكانت واقعًا، فماذا نتوقع أن نكتشف من مادة أثرية؟ بدايةً، أن يجد المرء تدميراً شاملاً واسعًا، فى المناطق المذكورة، والتى تؤرخ بتلك الفترة مثل أناتوليا، ثراكى، سكيثيا والقوقاز الغربى. ولما كان التراث لا يحدد مكان إمبراطورية عاشت أمداً طويلاً، فإنه على المرء ألا يتوقع أن يرى أثراً كبيراً للحكم المصرى، ولكنه ربما تكون هناك بعض المعثورات المصرية، وربما يكون ممكنا، بضربة حظ عظيمة، أن يعثر على الجزية التى تم إرسالها من الأقاليم المفتوحة إلى مصر. ومن الناحية الاقتصادية، ربما كان من المحتمل كذلك أن يحقق الباحث سرعة نسبية فى إعادة صياغة الأوضاع السياسية آنذاك، وذلك عقب عمليات التدمير والتخريب، لمناطق مركزية ثرية، بالرغم من كونها أقل أمانًا واستقراراً من الناحية الاقتصادية، ولكنها ستستغرق وقتًا أطول لكى تستعيد عافيتها من جديد.

ومن وجهة النظر السياسية، فإن الإغارات السريعة والقصيرة الأمد للمغول داخل جنوب شرق آسيا، أو مثيلتها التى قام بها الأوروبيون داخل جنوب الصحراء فى أفريقية، تقدم لنا النموذج الشبيه أو المعادل لتلك الفتوحات (التى سبق ذكرها والخاصة بالفرعون المصرى سيزوستريس)[٤٣]، وذلك بأنها حركت هجرات ضخمة، وكونت ممالك جديدة ودولاً وجماعات سكانية ذات ملامح قومية.

وأخيراً فإن تراث المستعمرات التى عاشت طويلاً، والتى استقرت كثيراً، ربما تقود الإنسان لأن يتوقع وجود مناطق جديدة ثرية جنباً إلى جنب مع الأقاليم المدمرة.

أما من وجهة النظر الأثرية، فهناك، على ما يبدو، مؤشر لوجود " إمبراطورية" للأسرة الثانية عشرة، كما فسر ذلك ألبرايت (Albright) وبوزينيه (Posener) والدهريون (Maximalists) - أولئك الذين يؤكدون على طول مدة الإمبراطورية – استناداً إلى انتشار الفخار الملون لعصر البرونز الوسيط (الأول) لحضارة الساحل الشرقى لحوض البحر المتوسط فى منطقتى كيليكيا وسوريا، حيث يلاحظ أن النتاج الحضارى المادى لهذه المنطقة، مع مطلع الألف الثانية ق.م، يربط بوضوح كيليكيا

(التى هى الآن جنوب شرق تركيا) بسوريا، ويجب إرجاع هذا التراث الحضارى إلى مصر، كما أشار بذلك جيمس ميلارت (James Mellaart)، وذلك بفضل العثور على أشياء مصرية هناك تؤرخ بالأسرة الثانية عشرة[109]. وكما سنرى لاحقًا، فإنه من المحتمل جدًا أن كيليكيا كان قد تم فتحها وغزوها على أيدى سنوسرت الأول و/أو/ابنه أمنمحات الثانى (AmmenemesII) كما أنه من المحتمل، كذلك، أن كيليكيا ظلت تحت الهيمنة السياسية المصرية لعشرات من السنين بعد ذلك. ولقد كان الساحل السورى- الفلسطينى الغربى قاعدة مستقرة ، نسبيًا، للتواجد المصرى ومؤيديه، والتى منها استطاع سيزوستريس وابنه أن ينطلقوا ويجهزوا حملاتهم، هذا بالرغم من أن القبائل البدوية كانت قد أغارت على هذا الإقليم من الشرق، وهذا هو ما يمكن أن يوضح ويفسر استقرار وثبات الدليل الأثرى فى هذا الإقليم خلال القرن العشرين ومطلع القرن التاسع عشر ق.م، وذلك على العكس تمامًا من الوضع القائم فى أى مكان آخر من الشرق الأوسط.

ويميز ميلارت تمييزًا تامًا قاطعًا، وربما فقط مع نهاية حكم سنوسرت الأول، بين الساحل السورى - الكيليكى، واتصالاته بمصر، وبين وسط وشمال أناتوليا، حيث تمتد طرق التجارة وتربط المملكة الأشورية بالشرق[110].

أناتوليا القديمة : موجز تاريخى

وأناتوليا (Anatolia) ، جغرافيًا، هى إقليم منفصل تمامًا، بشكل ملحوظ، ومناخه متنوع ووديانه متوسطه، فضلاً عن هضاب مرتفعة، وسهول وبحيرات داخلية. وتعتبر العلاقة الحضارية الحالية والارتباط بتركيا حالة استثنائية مضللة، ذلك لأن معظم تاريخ أناتوليا المعروف يشبه، إلى حد كبير، تاريخ القوقاز اليوم، وهو خليط حضارى ولغوى به العديد من نقاط الضعف المهجورة لأسلوب حياتى محلى محافظ، فى مناطق تأثرت تأثيرًا جذريًا بالغزو والتجديد. ولقد كان ذلك، بالتأكيد، هو الحال الذى كانت عليه المنطقة مع مطلع الألف الثانية ق.م.

وعلى قدر الإمكان للقيام بعملية إعادة تصور لما كان عليه الحال آنذاك استناداً إلى أسماء معاصرة، وانتشار ذلك في العصور اللاحقة، فلقد قدمنا النموذج اللغوى جاهزًا في خريطة رقم ١٣، وينتسب العديد من هذه اللغات مثل الحيثية (Hittite)، واللوفية (Luvian) ، والبالية (Palaic)، والليدية (Lydian)، وربما كذلك الكارية ((Carian إلى الفرع الأناتولى للأسرة الحيثية– الهندية (Indo - Hittite) أما اللغات الفريجية (Phryguan) والأرمنية المبكرة (Proto - Armenian) فإنها ترجع إلى الأسرة الأوربية – الهندية ((Indo-Europeanكما أن هناك لغات أخرى مثل الحاتية (Hattic)، والكارتفالية المبكرة (Proto-Kartvalian) - والتى منها إشتقت اللغات الجورجية (Georgian)- وكذلك الحورية (Hurrian) . كل أولئك جميعًا ليست لغات أوروبية – هندية[111].

ولقد أهتمت محاولات تاريخية عدة لإعادة التصور وتفسير التدمير فى أناتوليا بالمشكلة القائمة حول " وصول" العناصر السكانية التى تتحدث الحيثية، ولغات أناتولية أخرى، من الشمال. وكنت قد قررت في الجزء الأول (من هذا الكتاب الذى بين أيدينا) أننى أوافق جورجيف (Georgiev) وكذلك رينفرو (Renfrew) على رأيهما فى الاعتقاد بأن هــذه اللغــات ، مـثـل اللغات التــى ليست أوروبيــة – هندية، كـانت غريبـة عن المنطقة[112]. ومن ثم، فإن قدومها لا يمثل مشكلة هنا. ولكنه، من ناحية أخرى، من الممكن أن تكن اللغـة الحـورية قـد دخلت إلى أناتوليـا من الجنوب الشـرقى، واللغـة الفريجية ومجموعة اللغات ذات الأصل الأوروبى – الهندى للغة الأرمينية قد وصلت ، كما هو واضح، من الشمال. وليست هناك أية مظاهر لوجد هاتين اللغتين الأخيرتين مع مطلع الألف الثانية ق.م، ولكنه وفق الدليل اللغوى، فربما كان من المحتمل أن هذه اللغات كانت قد وصلت إلى أناتوليا قبل ذلك، بالرغم من أن اللغة الفرنجية امتدت داخل مركز شبه الجزيرة مع الجزء الأول للألف الأولى ق.م فقط. ويبدو أن أكثر الأوقات احتمالاً وأنسبها لدخول تلك اللغات إلى المنطقة، لأول مرة، هو ما يتفق مع تكديس الدليل الأثرى المتنامى، كما نعرف، والسجلات الأكادية والتى يؤرخ بالقرن (٢٣) ق.م.

وعمومًا، فقد اتفق العلماء على أن الثقافة المسماه بالكورجية (Kurgan)، والتى تمثلت فى شمال القوقاز وقدمها لنا ميكوب بارو العظيم (Maikop Barrow)، يبدو أنها قد اخترقت، فى هذه الفترة الزمنية، أناتوليا الشرقية وانتشـرت مع الحضـارات

المحلية[113]. إنه من الممكن، ولكنه أقل احتمالاً، أن الاضطرابات فى أناتوليا الغربية، وتقريبًا فى الوقت نفسه، والتى اعتدنا على أن نربطها " بغزو لوفى " (Luvian invasion)كانت قد قويت بوصول الفريجيين الأوائل من الشمال الغربى[114].

وعلى أية حال، فإن شرق أناتوليا ووسطها، فيما بعد عام (٢١٠٠) ق.م تقريبًا، كان قد بدأ مرحلة توسع اقتصادى وحقق إزدهارًا يستند أساسًا على ثروات معدنية (من المناجم) وفيرة، وكذلك على تجارة مع الشرق الأوسط، وهى التى استمرت، مع بعض فترات التوقف الهامة، حتى نهاية عصر البرونز فى القرن (١٢) ق.م، وتأتى أقدم أمثلة للكتابات المعروفة باسم (الهيروغليفى الحيثى) (Hittite Hierolyphic) من حوالى عام (٢٠٠٠) ق.م، ومع ذلك، فإنه يبدو محتملاً أن هذه الكتابة قد نشأت بعد أن عرف سكان أناتوليا الكتابة ولكن قبل أن يتصلوا ويعرفوا الحروف المسمارية، والتى ظهرت، على الأرجح، حوالى مطلع الألف الثالثة ق.م. إن الشكل المسمارى الذى استخدمته الإمبراطورية الحيثية، والتى تكونت بعد الاضطرابات التى تشغل بالنا لم يكن آشوريًا، بل كان سوريًا، وليس معروفًا كيف ولا متى تحول ذلك من الهيروغليفى إلى المسمارى، وإن كان أحد الاحتمالات هو فتح سوريا أمام أناتوليا فى القرن (٢٠) والقرن (١٩) ق.م.

التدمير فى أناتوليا

كولتيبى الثانية (Kultepe II)

وكاروم كانيش (Karum Kanesh)

وبالرغم من أنه لا يوجد أثر على الإطلاق لثقافة أدبية محلية فى الألف الثالثة ق.م لإقليم أناتوليا، فإن هناك مصدراً لمعلومات تاريخية، وخاصةً حول منطقتها الوسطى منذ منتصف القرن (٢٠) ق.م، وما نقصده هو تلك الآلاف العديدة من الألواح المكتشفة فى محطة تجارية آشورية فى كارم كانيش، فى موقع يسمى الآن باسم القرية التركية

البسيطة كولتيبي (Kultepe) . ولسوء الحظ، وكما هو شائع دائماً في مثل تلك الحالة في علم الآشوريات، فإن عملية الكمال، وإحساس العلماء بالملكية الخاصة، قد حرم معظم هذه الألواح من أن تنشر(٤٤).

ومع ذلك فقد عرفنا الكثير من تلك الألواح المتاحة. وبخاصة حول مخطط كارم (وهي التي تعني مستعمرة تجارية). وعن علاقاتها مع المستعمرات الآشورية الأخرى، في أناتوليا، وكذلك علاقتها بمدينة آشور، والتي تبعد عنها بحوالي(٥٠٠) ميلاً، في حوض صعب الإجتياز تماماً، وتخبرنا هذه الألواح، أيضاً، بمعلومات كثيرة عن التجارة في العالم القديم، وأهمية نشاط التجارة الفردية الخاصة(٤٥). وترينا هذه الألواح، على وجه الخصوص ، الكميات الكبيرة من الفضة الأناتولية والذهب والرصاص، وقد تم تصديرها إلى آشور في تبادل سلعي معها مقابل المنسوجات من مسوبوتاميا، وكذلك الصفيح، والذي كان يأتي من مكان شرقي أبعد، ربما من افغانستان[115].

وتكشف الألواح، كذلك، عن المجتمع الذي كان يعيش فيه التجار الأجانب ويمارسوا نشاطهم، ولكن بدرجة أقل وضوحاً، وكان لمعظم المدن ملوك، وأكثر أولئك بأسماء حيثية. وكان هناك " الملك المعظم"، في مدينة بورشاتوم (Burushattum)، التي تبعد، عن العاصمة، بحوالي مائة ميل إلى الغرب. وهناك قصص تاريخي حيثي يشير إلى ملكهم الأول باسم " أنيتا" (Anitta) ، ملك كوسارا (Kussara)، الواقع إلى الشمال من كانيش، وهو الذي نقل عاصمته إلى " نشا" (Nesha) أو نيشا (Nisha) ، والتي ، من المحتمل، أن تكون هي نفسها كانيش (Kanesh) . ولقد جاء ذكر أنيتا كما فتح العديد من المدن وأجبر ملك بوروشخاندا (Purushkhanda) على الخضوع له. كما ورد ذكره، أيضاً، في النصوص الآشورية. وكذلك تم العثور على خنجر، أو رأس سهم، منقوش عليه اسمه، وجاء ذلك من آثار حفائر قصر مدمر في كانيش، ومع ذلك، فإن هناك خلاف بين العلماء حول ما إذا كان أنيتا هذا معاصراً لنهاية القرن (٢٠)، أي في فترة كوليتبي الثانية، أو أنه كان موجوداً في فترة القرن (١٩) ق.م، حيث مرحلة كوليتبي الأولى/ب[116]. وعلى أية حال، فإن هناك هوة وفجوة عظيمة بينه وبين الملك التالي له مباشرة، وهو المؤسس للإمبراطورية الحيثية، " لابارناس" (Labarnas) ، في منتصف أو نهاية القرن (١٨) ق.م.

وهذا يقودنا إلى المشكلة الحساسة لتأريخ نصوص كولتيبي. وينصب اهتمامنا على مرحلتين من تاريخ هذه المدينة، هما كولتيبي الثانية (II)، والأولى/ب (Ib) . وكلتا المرحلتين أو الفترتين كانتا مزدهرتين، وفيهما كانت هناك تجارة رائجة بين كانيش وآشور وكذلك فقد أنتجتا عدداً ضخماً من الألواح. ومع ذلك، فإنه مع نهاية مرحلة كوليتبي الثانية، تم تدمير المدينة وضاحيتها تدميراً شاملاً، حيث كان يقيم الآشوريون، وذلك عقب إنذار ما أو بغيره، وقد مرت على المدينة عشرات السنين قبل أن ينصلح حالها تارة أخرى، وتبدأ مرحلة كوليتبي الأولى/ب.

ولقد أظهر عالم الآشوريات الدانماركي م.ت.لارسن (Larsen Mogens Trolle) حكمة عندما لم يتعرض لمسألة التأريخ، في مؤلفه الرائع عن الإقتصاد والبنية الاجتماعية لمدينة كاروم. وهكذا فإن أكثر المؤلفات تفصيلاً حول كاروم وتأريخها لا يزال هو ذلك المنشور على يدي مؤرخ التاريخ القديم التركي " بالكان" (Balkan) في عام ١٩٥٥، وهو الذي استطاع، بالإطلاع على إشارات الألواح للملوك الآشوريين، أن يربط بينهم وبين الملوك المعاصرين لهم في بابل، ويبدو أن كاروم الآشورية كانت قد بدأت في الظهور مع بدايات حكم الملك إريسوم (Erisum I) الأول تقريباً.

ومع ذلك، فإن الوثائق ، فقط، إلى الأربعة عشر عاماً الأخيرة من حكمه البالغ أربعين أو واحد وأربعين عاماً، إنها، أى الوثائق الأثرية، تغطى حكم خلفاء إريسوم الأول: إكونوم (Ikunum) وشاروم – كين (Sarrum-Kun)، وتنتهى عند حكم الملك بوزور– آشور الثانى (Puzur-AssurII) . ولسوء حظنا، لا تعطى قوائم الملك الآشورى طول مدة حكم هؤلاء الملوك، ولهذا فإننا مضطرين إلى عمل تخمينات.

وبالرغم من كل ذلك، فإننا يبدو نسير على أرض صلبة عندما نعيد ترتيب المادة الأثرية المكتشفة من كاروم، للعام العاشر من حكم الملك شمشى– أداد.

وتقدم لنا القوائم التأريخية الآشورية تقديراً بـ(١٥٩) عاماً للفترة الواقعة بين تولى إريسوم الأول العرش، وموت الملك شمشى أداد. ولقد وزع بالكان، بالنظر إلى كاروم كانيش، (٢٦) ستة وعشرين عاماً من هذا الإجمالى وحددها للفترة التى ليس لها وثائق فى كاروم، وثمانين عاماً منها للباقى من آثار كولتيبى الثانية، وتم توزيع ثلاثة

وعشرين (٢٣) عامًا أخرى على مرحلة كولتيبي الأولى /ب (Ib)، وذلك إبَّان حكْم الملك شمشي أداد، مما يعطي فترة انقطاع، وهوة تاريخية لمدة (٣٠) ثلاثين عامًا بين الفترتين، والتي يمكن أن تؤرخ لتدمير كولتيبي الثانية في حوالي ١٨٩٠ ق.م[117].

ومع ذلك، فإن هناك عددًا من المشاكل مع هذا التقدير. ويسجل بالكان نفسه العديد من الملاحظات التي ترجح تأريخًا أطول للمدد الزمنية للفترات، حيث يلاحظ أنه كان هناك أكثر من متر من الأتربة بين كل مستوى أثري (Strata)، وكذلك فإن إتجاه ومخططات المنازل كان قد تغير، مما يعني أن السكان الجدد لم يكن يهمهم أو لم يكونوا يعرفون محتوى المرحلة السكنية الأقدم، لقد حدثت هناك تغييرات في شكل وإنماط متاع الحياة وطريقة صناعتها. وأخيرًا كان هناك عدد من التغيرات الهامة في خلال ذلك كله[118]. أما الملاحظة الثانية فإنها تبدو أكثر وضوحًا، ذلك لأنه حتى إذا كان كل السكان الآشوريين، في كاروم، قد قتلوا مع انهيارها ودمارها، فإنه – في مجتمع تجاري متنقل– لابد أن يكون هناك أحياء آخرون كانوا يعرفون بهذه الطبقة الخاصة بالتدمير. ولهذه الأسباب، يعتقد الأثري أوزجوس (Ozguc) بأن مثل هذه التغييرات التي حدثت كانت قد استغرقت (٥٠) خمسين عامًا، وهذا، في رأي واعتقادي بأنه أقل احتمال[119].

لقد غطت الفجوة التأريخية بين المرحلتين حكم الملكين نرام سين وإريسوم الثاني، وكذلك العشر سنوات الأولى من حكم شمشي أداد، ويظن البروفيسور بالكان أن التدمير قد حدث في نهاية حكم بوزور – أشور الثاني. ولكن يبدو أنه لا يوجد سبب لمثل هذا الظن، وربما كان الملك قد حكم مدة اطول.

إننا نعرف أن نرام – سين حكم لمدة خمس عشرة (١٥) عامًا على الأقل، ولهذا فإن فجوة الـ(٣٠) عامًا ستسمح، فقط، بخمس سنوات زيادة لحكم نرام–سين أو للملك بوزور/أشور الثاني، وذلك دون المساس بحكم إريسوم الثاني، كاملاً وحده. إن ضغط هذه التواريخ يبدو كبيرًا جدًا.

وفي الوقت نفسه، سيكون هناك مدة زمنية كبيرة جدًا للمرحلة الموثقة (التي بها آثار كتابية) من تاريخ كولتيبي الثانية، وصحيح أن بعض الأسر التي كانت تمارس

التجارة عاشت هناك، في هذه المدينة، طيلة أربعة أجيال ، ولكن لارسن (Larsen)، في الحالة التي استخدمها كمثال، في دراسة تفصيلية لكاروم، نجد أن الجد الأكبر كان ميتًا قبل أن يتم الاتصال، وأن الإبن الأكبر كان يفترض فيه عددم بلوغه سنًا كبيرة[120].

وعندئذ يبدو من المحتمل أن كولتيبي الثانية ووثائقها يجب أن يتم وتقليلها، وأن الفجوة التاريخية لابد من إطالتها من عشرين عامًا إلى أربعين. وإذا كنا سنقبل إجمالي السنين في قاعة الملك الآشوري بـ(١٥٩) عامًا، وذلك منذ تولي إريسوم الأول للعرش وحتي وفاة شمشي أداد ونخصم ثلاثين (٣٠) عامًا من حكم إريسوم، وذلك قبل بداية وجود كاروم، و(٢٣) ثلاثة وعشرين عامًا، أيضًا، من حكم شمشي أداد، فإنه يبقى عندنا (١٠٨) عامًا لمرحلة كوليتبي الثانية ومرحلة التدمير. وهكذا فإن كل شيء يتعلق بهذا التاريخ، أي عام ١٨٥٩، ١٨٠٣، ١٧٩٢ ق.م، وذلك وفقًا للتأريخ الطويل، والأوسط، والقصير بالترتيب. وهذه التواريخ، بإضافة (٦٠) أو (٧٠) عامًا، لمدة التدمير، فإنها تعطينا هذه الفروق: ١٩٢٩ - ١٩٠٩ ، ١٨٧٣ - ١٨٥٣ . إن التأريخ الطويل سيعطينا زمنًا معاصرًا تمامًا مع الجزء الأخير من حكم سنوسرت الأول، كما قال بذلك باركر.

ولن يناسب التأريخ المتوسط هذا، بل يتفق مع التأريخ الألماني المنخفض للتاريخ المصري، ولعهد امنمحات الثاني، تحديداً، فيما بين ١٨٧٥ و ١٨٤٢ ق.م، ويمكن للمرء منا أن يصل إلى مصالحة محتملة باقتراح أن التدمير المصري، المزعوم، حدث خلال حكم كل من سنوسرت الثاني والثالث. وليس هناك شيء ضمن المكتشفات المصرية المؤرخة بالأسرة الثانية عشرة، وكان قد تم العثور عليها في المستويات التي تدمرت من أناتوليا، ويمكن تأريخها بتلك الفترة، ومن جهة أخرى، فإنه لا يوجد أي خطاب في مراسلات كاروم يشير إلى مصريين، مما يجعل قيام المصريين بحملة على المنطقة غير محتمل لأمد طويل، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك الدليل المكتشف من طود (Tod) وكنوزها (وهو الذي سنناقشه بعد ذلك) حيث توجد قطع أثرية مشابهة لتلك التي تم الكشف عنها في كولتيبي الثانية، وكانت قد وصلت إلى مصر خلال حكم أمنمحات الثاني.

وعندما قام ميلارت، استناداً للتأريخ المرتفع على أساس اكتشافات الأسرة الثانية عشرة ومعثوراتها، بوضع تأريخ الدمار بين ١٩٤٠ و ١٩٠٠ ق.م[121]. وقد وضع هذا التأريخ، أيضاً، الواقعة قريبة من فترة سيزوستريس وحملاته المزعومة ضد الشمال، والتي أرخنا لها فيما بين ١٩٣٠ و ١٩١٦ ق.م

إنني أتمنى أن تكون الأسباب، التي من أجلها خصصت مساحةً كبيرة للتوصل إلى تأريخ تدمير كولتيبي الثانية، قد ظهرت جليةً الآن، لقد كانت كانيش (Kanesh) ، أو نيشا (Nesha) أو نسيلي (Nisili) - كما يسميها الحيثيون، مركزاً عسكرياً، وتجمعاً حضارياً محورياً، ولقد كانت كانيش، مع نهاية فترة كوليتبي الثانية، ذات كثافة سكانية كبيرة جداً فيما بين (٢٠) إلى ٣٠,٠٠٠ نسمة، كما كانت، أيضاً، حلقة اتصال لطرق التجارة من العراق القديم (مسوبوتاميا) وسوريا ، في الشمال ، إلى حيث مناجم الفضة والرصاص الغنية، بالقرب من مدينة سبنكاراهيسار (Sebinkarahisar)، والبحر الأسود، وغرباً حتى الساحل الإيجي وطرواده (Troy)[٤٦] (أنظر خريطة /١٢) .

ويجب علينا، في هذا الخصوص، أن نطلع على المقال الكلاسيكي الآتي لكاتبه ميللارت: " نهاية عصر البرونز المبكر في أناتوليا وحوض البحر الإيجي"، والذي تم نشره عام ١٩٥٨:

« كانت كاروم، الآشورية، في وسط أناتوليا، ذلك الموقع التجاري، أسفل أسوار المدينة الكبيرة لكانيش... قد تحولت إلى تراب ورماد، حوالي ١٩٠٠ ق.م (المستوى الثاني : Level II)، ولم تعد إليها الحياه من جديد قبل نصف قرن (من تاريخ الدمار). وقد عانت مدينة أليشار هويوك (Alishar Huyuk)، التي كانت تعاصر كاروم، كمركز تجاري آخر، من نفس المصير، ولكن دمار ألاكار هويوك الخامسة (Alacar Huyuk/v) كان اسبق من ذلك بكل تأكيد......» .

« وفي موقع جبلي، بين هاليس (Halys) وسانجاريوس (Sangarius)، قد وقع تدمير واسع النطاق: وقد اخترقت كل من كرا أو جلان (Karaoglan)، وبيتك (Bitik)، بولاتلي (Polatli)، وكذلك جورديون (Gordion)، هذا فضلاً عن هجر السكان للعديد من المدن الأخرى مثل إيتوكوسو (Etiokusu) وسيركيس (Cerkes) ...... ويقع سهل

باليكسير (Balikesir) بين هذا الإقليم وسهل ترود (Troad)، حيث يشتهر، الآن، كمركز لحضارة يورتا (Yortan culture)، والتى عرفناها بطريقة كافية من خلال مقابرها. ولا يوجد بين آثار كل هذه المدن أى فخار أقدم من نهاية عصر البرونز المبكر (E.B.A.)» .

« وفى سهل ترود (Troad) لم يتم تدمير طروادة الخامسة (TroyV) الحريق ، ذلك لأن الفترة التالية عليها تظهر لنا تغيراً حضارياً، وخراب وهجر مدينتين أخرتين هما كومتيبى الثانية (Kumtepe) وكراآجاشتيبى (Karaagactepe) . أما فى جزيرة لمنوس[٤٧] (Lemnos) ، فإن مساكن عصر البرونز المتأخر، فى منطقة بوليوخنى (Poliochni) يقال أنها تدمرت بفعل الزلزال، كما أن الموقع لم يتم سكناه، تارةً أخرى، فى عصر البرونز الوسيط[122]» .

« ولقد ظل هذا الرأى الجرئ والرؤية المختصرة التى قدمها ميللارت قرابة عشر سنوات بعد ذلك، ضمن (تاريخ كمبريدج القديم)، وكان تحدياً للعديد من العلماء الحذرين المدققين. ولقد أعتقد العالم الأمريكى الأثرى جيمس ميولى (J. Muhly) أن دماركاروم كانيش ليس إلا : " نوع ما من حادثه محلية " (Some sort of local) event)[123] بينما كاتب آخر يظن، بخصوص هاتوس (Hattus) أن كاروم الآشورية لم يتم تدميرها، ولكن بحثًا أحدث قد ظهر وعارض هذا الرأى[124]. وفى الحقيقة أن ميللارت لم يزعم أن كاروم قد تدمرت. وحتى لو كان الأمر كذلك، فقد سمح ببعض التعديلات، عندما كتب يقول :(وحتى إذا اثبتت البحوث الأحدث، التالية علينا، وكشفت الستار عن بعض المواقع الأخرى غير القائمة التى قدمناها نحن، فإنها ، بكل تأكيد، ستضيف مُدُنًا أخرى). وفى الواقع، يبدو الآن أن المدينة المهمة، المعروفة بعد ذلك باسم أفروديسياس (Aphrodisias) فى غرب أناتوليا، كانت قد تدمرت تقريبًا حوالى الفترة نفسها[125]. وليس هناك أدنى شك، أنه كان هناك – كما وصف ميللارت الحالة هذه – سلسلة طويلة من المواقع المحترمة أو المهجورة، والتى توضح بعض الخلل فى النصف الشمالى من أناتوليا مع نهاية عصر البرونز المبكر»[126].

هل كان سيزوستريس هو الذى دمر كاروم؟

لقد اعتقد ميللارت، فى عام ١٩٥٨، أن الدمار الذى لحق بالموقع كان نتيجة لغزو حيثى إلى داخل أناتوليا الوسطى، والذى أفضى إلى هجرات صوب الغرب وكذلك أسفر عن فوضى شاملة لاحقًا. ولكى يتحقق ذلك، وميللارت لم يصر أبدًا على أن ملكًا حيثيًا باسم أنيتا (Anitta)، وينتمى إلى مرحلة كولتيبى الأولى/ب (عقب عمليات التدمير)، ولكنه يرفض أيضًا ويستنكر وجود أسماء حيثية مكتشفة فى كولتيبى الثانية[127] . كما أنه، كذلك، قد حيره غياب أى دليل مادى حضارى يكشف عن هؤلاء الغزاة المزعومين. وهذا قد جعله يقترح أنهم « جاءوا من منطقة ما بعيداً عن حضارة الإقليم الشرقى المتوسطة » . ومع ذلك، فإنه فى الألف الثالث ق.م، يوجد دليل مادى كافى لاتصالات أناتوليا مع حضارات عبر القوقاز. إن عدم القبول الظاهرى لهذه الأجزاء من شكل نظريته كان سببًا، على ما يبدو، فى تركها كليةً، ولكن حزام الدمار سيظل ، وتصبح أكثر غموضًا بسبب فشل ميللارت فى تفسيرها.

وهل مسموح به أن نربط بين هذا كله وبين سيزوستريس وأن نقبل عبارات وأقوال كل من هيرودوت ومانيتون وديودوروس بأنه هو الذى هزم وغزا "كل آسيا" وهو المصطلح الذى عادة ما يستخدم للإشارة إلى أناتوليا " من شرقها إلى غربها"[٤٨]؟.

وبالرغم من المشاكل التاريخية، فإننى أعتقد أن الموضوع يمكن أن يكون كذلك، كما أن ميللارت، مع أنه يسجل ملاحظته لغياب الدليل الأثرى القادم من "الشمال"، فإنه يحصى وجود عدد من القطع المصرية المؤرخة بالأسرة (١٢)، والتى تم الكشف عنها فى مناطق رئيسية وهامة على طول الطريق. وكما ذكرنا آنفًا، لقد قام ميللارت، وأستناداً على هذه المعثورات بشكل جزئى، بتقديره لتاريخ الدمار[128]. أما الدليل الأثرى الأكبر على حدوث حملة مصرية غزت أناتوليا الوسطى، فى ذاك الوقت، فإنه يأتى من مصر نفسها.

كنـــــــز طـــــود (Tod)

تم الكشف عن كنز طود فى الثلاثينيات من هذا القرن (فى عام ١٩٢٠ م)، تحت أساسات لمعبد الإله مونت (Mont)، فى طود، التى تبعد (١٧) كم جنوب الأقصر، داخل حدود الإقليم الطيبى (Theban nome)، حيث كان الإله مونت إلهًا محليًا، والذى خرج منه، كبلدهم الأصلى، مؤسسو الأسرة الـ(١٢). وتؤرخ الأجزاء المعمارية للمعبد بالأسرة الحادية عشرة، والتى حكمت مصر، وهى الأولى فى ذلك، من داخل هذا الإقليم، وكان معبودها الرئيسى هو الإله مونت، ولكن الفرعون سنوسرت الأول ألغى وحطم هذا البناء الأقدم للمعبد، وبنى صرحًا جديدًا له. وكان الكنز نفسه موضوعًا فى (٤) أربع خزائن (صناديق) م ن النحاس، وعليها كتابات وخراطيش باسم أمنمحات الثانى[129].

وهذه الصناديق هى مصرية الصنع، ولكن محتواها كان كله أجنبيًا. فكانت تحوى سبائك ووزنات ذهبية، وسلاسل لأختام وأساور وزينة من ذهب، وفضة والكتروم، فضلاً عن (١٤٣) طبقًا مسطحًا و(١٠) بغطاء ، جميعها من الفضة، أما الصناديق الأخرى فكانت مليئة بالحجر الكريم " لابس لازولى"، وتحتوى على عدد من الأختام الأسطوانية. وكما أشار الأثرى، المكتشف، بيسون دى لاروك (Bisson de la Roque) ليس هناك شك فى أن هذه القطع الأثرية قد أتت من آسيا. لقد كان الذهب يأتى من النوبة وساحل البحر الأحمر فى شكائر وشنط (bags)، وليس فى خزائن وصناديق، ولم تنتج هذه الأقاليم الفضة، والتى كانت – فى ذاك الوقت – تعادل الذهب فى قيمتها وربما أغلى أيضًا[130]. وكان أقرب مكان لاستيراد الفضة هو أناتوليا، والقوقاز، ومحاجر لاوريون، فى اليونان[٤٩]. بالرغم من أنه كان لا يزال هناك مصادر أعظم، لاستخراجها، فى منطقة البلقان.

ولما كان هناك علامات للجودة بيد فاحصين مصريين منقوشة على بعض القطع الأثرية، فإن هذا الكنز له قيمته الواضحة لما تحتويه من معادن. ومع ذلك، وبالرغم من أن بعض الأطباق قد تكسر، فإن شكلها، كما أعتقد، وكذلك مكان استيرادها وصناعتها، قد أضاف إلى قيمتها[131].

وإذا كان هناك أدنى شك حول المكان الأصلي للمعدن، فإن ذلك سرعان ما ينقشع بفضل أشكال تلك الآثار، والتي ليست مينوية(٥٠). كما كان يظن في وقت ما من قبل، وبالرغم من أن الشكل الإيجي لبعض من هذه المعثورات يمكن أن يأتي من أصل من غرب شبه الجزيرة، إلا أن المجموعة كلها، قد أتت، كما هو واضح، من أناتوليا أو من القوقاز. وهناك إناء واحد، في رأى البعض، له ما يشبهه بالضبط (أى / مثيله) كان قد تم الكشف عنه في كولتيبي الثانية[132] .

ولقد أظهرت الأختام الأسطوانية الأصل العام نفسه لهذه القطع الأثرية، فمعظمهم من العراق القديم (Mesopotamia)، ولكنها تضم واحداً ، على الأقل، من كابادوكيا من الجزء الشمالي من وسط أناتوليا، وواحداً آخر من إيران. وكما يحدث عادة مع كل مجموعات الأختام أو العملات، فإنها تأتي وتتجمع عبر فترة تاريخية طويلة، ولكنها تميل إلى نهايتها. وفي هذه الحالة، فإنهم - أى الأختام - يعود تاريخها إلى نهاية الفترة الأكادية في الألف الثالثة ق.م، وتحديداً في القرن الـ ٢٣ ق.م، ولكن الغالبية العظمى منها تأتينا من فترة لاحقة ، لذلك، وتؤرخ بالأسرة البابلية الأولى، وهي التي حكمت إما في القرن الـ(٢٠) أو القرن الـ (١٩) ق.م.

إن قبول التأريخ الطويل والكبير لحضارة مسوبوتاميا، وربما يجعل محاولات بورادا (Porada) الذكية، تسود وتنتشر، وهي التي تشيع بأن هذه الأنماط النحتية (النقشية) الموجودة فيما قبل الأسرة الأولى ليست ذات أهمية[133] . كما أن أصلها وتاريخها يتفق تماماً مع النظرية القائلة بأن المصريين وحلفاؤهم كانوا ينهبون(٥١) ويغزون أناتوليا، وتجارها الآشوريين، في نهاية القرن الـ(٢٠) ق.م.

أما المكون الآخر الكبير لهذا الكنز، أى كنز طود، فقد كان الحجر الكريم المعروف باسم " لا بيس لازولى"، والذى جاء من أفغانستان بشكل مؤكد. وبالرغم من أنني لن أنكر تماماً أن القوات المصرية كان بإمكانها أن تصل إلى هناك، ولكنه أكثر قبولاً أن نفترض أن حجرلابيت لازولى جاء عن طريق مسوبوتاميا، والقوقاز، وأناتوليا. إننا نعرف أنه خلال الدولة الحديثة كانت آشور مصدراً رئيسيًا لهذه المادة[134] .

ولكن، كيف وصل الكنز إلى طود؟ إن أحد الآنية الفضية عليه علامة تفيد بأن أحد المبعوثين المصريين هو الذى احضره، ولقد ربط بوزينيه (Posener) وضع هذا المبعوث ومكانته بأولئك الرسل والسفراء الذين كانوا يتحركون شمالاً وجنوباً، بحذاء الساحل السورى – الفلسطينى، إشارة إلى ما جاء عنهم عند سنوحى[135] . وينقل لنا بوزينيه بعض سطور لنص تمجيدى قدم لمعبد سيزوستريس ، فى طود، واصفاً موائد القرابين المصنوعة من مواد ثمينة[136] :

« لقد كان شيئًا جميلاً، مرتان، وكذلك كثيراً، مرتان، أن يعتاد المرء أن يرى كل ذلك، فى هذا البلد، قبل ذلك، وأن يقدم ، من جديد، ما أحضره وسلمه الأجانب والمبعوثون، الذين يسافرون خلال هذه البلدان » .

لقد كان سيزوستريس اسمًا على مسمى: S-n Wsrt (بمعنى : رجل وسرت)، سيد/ صاحب المناجم الأجنبية[137] . وبعيداً عن هذه الإشارة، التى توازى تمامًا ما سجله لنا الكتاب الإغريق (اليونان)، وكذلك نقش ميت رهينة، فإنه شيئًا ما، غير عادى، كان قد حدث فى أواخر عهد سيزوستريس. كما أن الإهداء يوضح، أيضا، أن هذه المواد كان يتم إحضارها عن طريق كل من حاملى الجزية الأجانب والمبعوثين الرسميين المصريين. وهذا ما يتفق مع الأوصاف والرسومات الجدارية التى وصلتنا من الدولة الحديثة، مصورةً حاملى الجزية القادمين إلى مصر. ولقد وصف لنا كل من كمب (Kemp) ومريلليس (Merrillees) الهدايا الأخيرة بما يلى: " بينما نجد البعض منها جاء نتيجةً للنهب والسلب أو لغرض ضرائب على أقاليم مفتوحة تم غزوها، نجد البعض الآخر قد تم إرسالها إلى مصر كهدايا رسمية دبلوماسية[138] ". وربما كان الوضع كذلك مع كنز طود، ولكنه فى ضوء بعض المؤشرات الأخرى حول نشاط عسكرى، فإن التركيز، فى هذه الحالة، يجب أن ينصب على محتوى الاعتداء والغزو، والضرائب المفروضة.

وفوق كل ذلك، يجب ألا ننسى أن هذا الإهداء كان قد تم للإله منتو (Mntw) أو مونت، والذى كان بجانب كونه إله الإقليم الطيبى، وكذلك صاحب الأهمية المركزية لكل من الأسرة (١١) والأسرة الـ(١٢)، كان إلهًا للحرب، وبصفة خاصة

للفتوحات الأجنبية وإخضاع البرابرة. وكان مونت، على وجه الخصوص، قد ارتبط بأرض ست (Stt) في آسيا[139] . إنه لمن دواعي الدهشة أن الإله مونت، إله طود، قد ذكر، خصيصًا، في نص ميت رهينة، وذلك كملتقى للجزية الأجنبية القادمة من بلاد ست (Stt)[140] .

ولسوف نعود، لاحقًا، إلى موقع ست (Stt) - وهي Stt بالشكل الأصوب - وارتباطاتها بمعبد الإله مونت في طود. وفي الوقت نفسه، لسوف نضع في اعتبارنا الوظيفة المحتملة للكنز. لقد أكد كل من كمب ومبريلليس على المادة الخام للكنز وقيمته الاقتصادية، وبالرغم من أن ذلك كان، بلا شك، وظيفة ما للكنز، يجب على المرء ألا ينسى أن كثيرًا من القطع الأثرية لم تتحول إلى سبائك من المعدن الأصلي لها، وأنها كانت أهديت وتم حفظها في معبد للإله مونت. وهكذا فإنه من المحتمل، مثل كنوز أخرى عديدة في المعابد، أن يكون لها – كما قلنا نحن من قبل وليس القدماء – وظيفتان: واحدة مدينة دنيوية، ووظيفة أخرى دينية. إن كنز طود لم يكن مجرد سبيكة ذهبية أو فضية، والقطع الأثرية المهشمة كانت تمثل في مجملها، مناظر مناسبة لموضوع إخضاع الأجانب. لقد كان الكنز، كذلك، قربانًا للإله مونت وللانتصارات المصرية العسكرية، التي يمكن أن تعزى إليه.

وهكذا لا يوجد شيء في الآثار المصرية أو الليفانت أو أناتوليا يمكن أن يحول دون وصف الكتاب اليونان لفتوحات سيزوستريس في أناتوليا. والحقيقة، أن مثل هذه الحملات يمكن أن يشرح عددًا من الظواهر المحيرة السابقة الذكر ويوضحها، وبصفة خاصة سلسلة الدمار وكنز وطود، والتي تشتمل على أشياء واردة من أناتوليا والشرق البعيد. ومن الجانب الآخر، إذا قبل شخص ما تأريخًا متوسطًا أو منخفضًا لحضارة مسوبوتاميا فإن مظاهر التدمير الثابتة ربما يمكن أن تكون نتيجة لأي عدد من الأسباب الأخرى. وقبل النظر في نقش ميت رهينة والمصادر الأخرى للتدليل على الغزوات المصرية في أناتوليا، فإنه يبدو من المفيد، مع ذلك، أن نلقي نظرة على دليل لهذه الفتوحات من مناطق أخرى.

سيزوستريس في ثراكي وسكيثيا؟

في قول مباشر منقول عن ميللارت حول سلسلة الدمار الذى لحق بشمال أناتوليا، جاء آنفًا، كانت هناك إشارة إلى هجرة وترك موقع كبير عبر الهيلليسبنت فوق شبه جزيرة ثراكي، وحيث يضيف قائلاً:

« إن ثراكي التركية (وتسمى أيضًا تركيا فى أوروبا) وكذلك الإقليم الساحلي ومقدونيا (ثراكي اليونانية) لهي فارغة على الخريطة الأثرية. ولكن في بلغاريا يوجد دليل على أن الفوضى التى حدثت فى شمال أناتوليا أعلنت عن نفسها هناك كذلك كما أن علماء بلغاريا يؤرخون نهاية عصر البرونز المبكر، عندهم (يوناسيتي، وسالكوتس وإسيرو : Yunacite, Salcuza, Esero) بحوالي ١٩٠٠ ق.م. وكذلك فإن هجر تلك المواقع المفاجئ مضافًا إلى الغياب التام لعصر البرونز الوسيط يشير بالضرورة وبكل تأكيد إلى كارثة ما[141] ».

وبقدر اهتمامي وما يخصني، فإنه لا يوجد هناك دليل أثرى على وجود الدولة الوسطى المصرية في هذه المنطقة، ومع ذلك، فيوجد بعض المؤشرات المشجعة القادمة من مصر. ويظهر ذلك في أنه خلال الدولة الوسطى فإن خليط الإلكتروم (Electrum)، وهو المصنوع من ٣٠٪ من الفضة و ٧٠٪ من الذهب، كان قد استخدم لأول مرة. كما يبدو، أيضًا، أن المناجم الوحيدة، في العالم، حيث تكون هذه النسب متوافرة بشكلها الطبيعي، هي تلك الموجودة في جبال أبوزيني (Apusini) في إقليم ترانسيلفانيا (Transylvania) . وينتج هذا الإقليم، أيضًا، مادة الأميثيست (Amethyst) . واليشب (Jasper) ، والعقيق الأبيض (Chalcedony)، والحجر الكريم العقيق الأحمر (Cornelian) . وهذه الأحجار جميعًا كان ظهورها، لأول مرة في مصر، إبان الدولة الوسطى، كما يؤكد ذلك العثور على حجر من اليشب، أحمر رائق صافي وكذلك بلون أصفر، كان قد استخدم في التطعيم، والذى جاء، من مكان ما، من رومانيا، وهذه الأنماط الحجرية، من اليشب، لا توجد في مصر، ولا كذلك الجمشت، وبخاصة، المصنوع من هذه النوعية[142].

ويبدو أنه من المحتمل جداً، عندئذ، أن الإلكتروم، وكذلك هذه الأحجار، شبه الكريمة، كانت تأتي من البلقان، وهذا ، بالطبع، لا يعني بالضرورة أن غزواً مصرياً تم لهذا الإقليم. وكما نعرف، فإن المراكز التجارية كانت قد أمدت نشاطها إلى أبعد من حدودها، دون أن يرتبط ذلك بأي هيمنة وسيادة سياسية أو عسكرية. وعلى الجانب الآخر، فقد كانت هناك رغبة لمثل هذه الأدوات الترفيهية، التي كانت بمثابة الباعث للحملات المصرية في المنطقة، وإحضارها لمصر، حيث تم العثور عليها وتؤرخ بالفترة نفسها، مما يعطينا، كذلك، صورة أخرى للتدليل على الظروف والملابسات حول تاريخية التراث الخاص بغزوات وفتوحات سيزوستريس[143].

ولقد ذكر لنا ديودوروس، في معرض حديثه عن سيزوستريس، حول مشاكل الجوع أكثر مما تحدث عن مثيلاتها بسبب البرد: « وبعد أن عبر إلى داخل أوروبا، وكان في طريقه خلال ثراكي الممتدة، فقد فقد تقريباً كل جيشه بسبب حاجته للطعام، وطبيعة البلاد الصعبة»[144] ، وهكذا فقد تعرضنا، في سكيثيا، لصعوبتين: الأولى، هي غياب أي بقايا أثرية لوجود مصري هناك، والثانية، هي الباعث ، الواضح تماماً، والذي تم ذكره آنفاً، من أجل المصريين، وذلك باختراعهم لقصة سيزوستريس على أنه قد غزا وفتح سكيثيا حتى يمكن للبطل المصري أن يكون قد تفوق على الحكام الفرس، الذين لم يفلحوا في غزوها[145]. ومع ذلك، وكما ذكرت من قبل، فإن فتوحات وغزوات سيزوستريس في النوبة، والتي تم توظيفها للغرض نفسه، لمعاداة الفرس، قد تأكد صدقها. وهكذا فإن استخدام فتوحات الفرعون وغزوه لسكيثيا لمجرد الدعاية، لم ينف عنها، في ذاتها، تاريخيتها.

سيزوستريس في كولخيس؟

إن واقعة وجود سيزوستريس في كولخيس، على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، لهي أقوى من سابقتها (أي/ من غزوه سكيثيا). ففي خلال الألف الثالثة ق.م، وبالرغم من وجود مشاكل لغوية ضخمة، كان هناك نوع من الوحدة الملحوظة في عناصر ثقافة

وتراث كل منطقة القوقاز الغربية، وهى المعروفة باسم ثقافة كورو – أراكسيس - Kuro) (Araxes . وقد تم العثور على فخارها الفخم، من هذه الحضارة، من موقع مشهور فى الليفانت وهو خربة كيراك ((Khirbet Kerak، وحتى فلسطين جنوبياً، وبالرغم من عدم اكتشافه فى أناتوليا الوسطى. لقد استغلت هذه الحضارة، بالفعل، المناجم الغنية لجنوب غرب القوقاز، سواء للاستخدام المحلى أ من أجل التصدير إلى الجنوب وإلى الشمال[146]. وكانت هذه الحضارة قد إزدهرت حوالى عام ٢٣٠٠ ق.م، وذلك تحت تأثير حضارة وثقافة كورجان الشمالية وكان قد حدث تغير فجائى، ظهر فى صناعة الفخار، ويعبر عن التحول من مرحلة البرونز المبكر (٢) لى المرحلة التالية عليها، البرونز المبكر(٣) [147].

ويبدو أن هناك بعض الخلط بين علماء الآثار حول تاريخ التدمير وكذلك التجديدات الثقافية الحضارية، وقد حاول البروفيسور بورنوىْ (Burnoy) أن يربط ذلك كله بتلك المظاهر وسلسلة الأحداث كما صورها لنا العالم ميلارت من قبل[148]. وهذه المشكلة يمكن أن تجد حلاً لها وذلك فى ضوء اعتبار أن الغزو الشمالى كان قد وقع حوالى ٢٣٠٠ ق.م، بينما حملات سيزوستريس فى الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٢٠ ق.م، وربما يتناسب ذلك مع فقرة كتبها كل من بورنوى ولانج حول الانتقال إلى الألف الثانية ق.م:

« لقد اختفى، أخيراً، الإمتداد الطويل للألف الثالثة ق.م، وبالرغم من أن العنصر السكاني لم يكن قد تغير تغييراً جذرياً، فإن عناصر جديدة بدأت فى الظهور. كما بدأت عناصر قوة فاعلة جديدة فى التأثير، وذلك عبر القوقاز، وفى معظم حوض أورميا (Urmia) أيضاً[149] » .

وقد لاحظ لانج ، فى مكان آخر ، ما يلى:

« ...... ونلاحظ، فى أرمينيا، انتقال السكان من الأراضى المنخفضة الخصبة، بما فيها تجمعات قوية مستقرة، إلى المراعى المرتفعة، والتى كان يفضلها، عادةً ، ملاك القطعان الكبيرة من الحيوانات والأغنام، والتى كانت ملمحًا رئيسيًا للحياة الرعوية للقبائل الأوروبية – الهندية المبكرة، القادمة من السهول المفتوحة[150] » .

وهذا هو التحول والتراجع الى الجبال ربما ، كان بالضبط ، هورد فعل لغزو بواسطة جيش منظم . وهناك دليل ، في ذات الاتجاه ، يأتينا من مدينه بيبلوس (Byblos) ، المتمصرة الى درجة كبيرة جداً ، حيث نجد هذا الدليل عبارة عن تواجد الحرفيين وصناع معادن من أصل قوقازي. ولقد عزى عالم الاثار الفرنسي كلود شيفر (C.Schaeffer) هذه الظاهرة الى تحرك لعمال المعادن القوقازيين، والذي يعتقد في أنه حدث بسبب "زلازل على درجة عالية من القوة ، غير العادية." والتي ارتجت لها المنطقة كلها حوالي عام ٢٠٠٠ق.م. وإن كثيراً من تاريخ شيفر كان يحتاج الى مراجعة وذلك بسبب الاكتشافات الحديثة والأساليب العلمية الحديثة. ومع ذلك فإن أساس هذا التأريخ الذي قدمه لا يزال صالحاً:

« .... إن الفقر العام، المطلق والتام، للأنماط المعدنيـة، في آسيا الصغرى، فيما بين ٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق.م، كان دائماً يسبب دهشة للأثريين، كما أنه يلاحظ بشكل أوضح في ذلك التناقض الموجود بينها وبين ثراء الانتاج في الأقطار المجاورة[151] » .

إنه من المفارقات العجيبة أن يشير ميلارت، في عام ١٩٧٨ إلى أن كل المنطقة الواقعة شمال شرق أناتوليا– التي عرفت بعد ذلك باسم أرمينيا وجورجيا الغربية – وهي التي كان بها احتياطيات معدنية ضخمة وحركة نشطة لتصنيع المعادن، " ليس بها أي أماكن سكني أو تجمعات سكانية ترجع إلى عصر البرونز الوسيط[152] ". إنه يجب أن يتم التأكيد على أن هذه المناطق الواقعة إلى الشرق، بما في ذلك الموقع الشهير المعروف باسم " ترياليتي" (Trialeti)، داخل أراضي جورجيا، كانت قد استمرت في الإزدهار. لقد كانت عمليات التدمير والفوضى التي حدثت في القرن (٢٠) ق.م مظاهر تخريب محلية، ولكن يبدو أنها أفادت بعض الأقاليم المجاورة، ولاسيما الواقعة إلى الجنوب، ويستطيع المرء أن يجد آثاراً وبقايا لذلك خلال منطقة الليفانت (Levant)، وبخاصة المصنوعة من المعادن الشمالية، وما يميزها من تحسينات كبيرة على هذه الصناعة[153].

لقد بدأت مصر نفسها في استخدام المعدن، على نطاق واسع، في هذه الفترة فقط. وإنه لمن المدهش، أيضاً، أن نلاحظ كيف أن جيوش الأسرة (١٢)، بسرعة، استخدمت الأسلحة الحديثة، التي ربما كانت مصنوعة وفق أسرار صناعة المعادن

الجديدة: مثل الخناجر، والبلط، والسيوف. وفي الحقيقة أنه من الملاحظ أن يكون هناك، إلى درجة ما، مستوى عام (مشترك : Koine) للتسليح العسكري وتكنيكه خلال تلك الفترة، من الجنوب وحتى النوبة، وإلى الشمال وحتى القوقاز[154].

وبقدر اهتمامي الواسع، فليس هناك أية قطع أثرية مصرية مؤكدة تم الكشف عنها في القوقاز، وتؤرخ بهذه الفترة، وذلك بالرغم من العثور على زوج من رؤوس صولجان، في أرمينيا، ويمكن أن تكون مصرية باطمئنان. وعلى الجانب الآخر هناك شك ضئيل حول الأصل القوقازي لمعثورات كان قد تم الكشف عنها في مصر[155].

وهكذا، فإن الدليل الأثري من جنوب غرب القوقاز يسمح لنا بتوقع غزو، كما في ثراكي البلغارية، حيث لوحظ حدوث تدمير واسع وتخريب استمر طويلاً. ولكنه لا علم الآثار ولا المصادر الوثائقية ستسمح لنا بإنتشار صناعة المعادن القوقازية في اتجاه الجنوب، وكذلك منتجات أناتوليا الشمالية، خلال الأسرة الـ(١٢)، وذلك في ضوء غزو من الشمال، وعلى العكس تمامًا، فإن الصورة التي أعطاها الكتاب اليونان عن سيزوستريس، وهو يرسل أعداداً ضخمة من الأسرة للعودة لبلادهم، ربما تشرح لنا وتوضح هذه الظاهرة شرحًا جيداً.

الدليل على حدوث فتوحات سيزوستريس من نقش ميت رهينة

ويجب أن أرجع، الآن، إلى نقش ميت رهينة، وأحب أن ألقي الضوء عليه، بمعرفة ما يمكن أن يوضحه هذا النقش لهذه الروايات. ويعطي نقش ميت رهينة الصورة نفسها، إلى حد كبير، حيث يتحدث عن حملات الفرعون العظيمة ورحلاته الناجحة التي حققت المكاسب. لقد ارتبط معظمها بإرسال الغنائم والعبيد والبضائع الثمينة، ولاسيما المعادن، إلى مصر. وهناك مراجع دائمة وإشارات إلى معدن الفضة، ومرجع واحد أشار إلى الرصاص، وهو الذي كان معروفًا، من قبل، أنه كان يتم استيراده، فقط، إبّان الدولة الحديثة[156]. وهذه الأشياء كان من الممكن أن تأتي فقط من

أناتوليا، والقوقاز أو اليونان . كما أن هناك ، ايضًا، إشارات لأرضٍ تُسمى "ستِ" (Stt < Stt)[157] .

ويشير الارتباط القوى بين نقش ميت رهينة وكنز طود إلى أن ست (فف) تشتمل على أناتوليا. وهناك سطران، متهرئان، فى النص، يذكران القرابين بشكل متوازى، بما فى ذلك المعدن، وذلك فيما بين ست (Stt) والمعبد الملكى للإله مونت فى إقليم " يونى" (Iwny)، أرمنت، على البر الغربى للنيل، وعلى مسافة (٢٠) ك.م جنوب طيبة، وكذلك بينها وبين قرابين أخرى من ست، أعطاها أمنمحات الثانى للإله مونت، فى ضرتى (Drty) فى طود (Tod) .

إن الإشارة الدقيقة، حول ذلك، لهى غامضة، ولكنها تبدو هى الأكثر احتمالاً، والأكثر تعبيراً عن هذا المضمون[158]. كما أن القطع الأثرية، التى جاء ذكرها ليست هى تلك الخاصة بالكنز، وهكذا فإنه يبدو من المؤكد، غالبًا، بأنه، على الأقل إبَّان الدولة الوسطى، كانت ست (Stt) تشتمل على أناتوليا وتضمها، بالضبط كما أضحت كلمة ومصطلح (Stt) معادلة لكلمة " آسيا".

وفى هذه الحالة، فإن ما يبدو وهو (b3)، بمعنى " تدمير" أو " خضوع"، لإقليم ست (Stt)، فى عهد أمنمحات الثانى، – والذى جاء ذكره فى أحد سطور النقش قبل القرابين المقدمة للإله مونت – يأخذ معنى مختلفًا[159] وهذه هى الإشارات الوحيدة للفظة ست (Stt)، ولكن النقش يحتوى على ثلاثة أسماء آسيوية غير معروفة، وكانت قد ذكرت من قبل.

وأول هذه الأسماء هو (Tmp3w)، حيث هناك احتمال واحد فقط ، لذلك ، وهو (Tnpw) أو (Twn(y) p)، "Tunip" ، وهى مدينة فى وسط سوريا. وهذه المدينة الهامة معروفة فى النصوص البابلية منذ عهد الملك حمورابى، وهى الأكثر احتمالاً فى مضاهاتها لغوياً، بالرغم من تناوب الهجاء للفظها بين "n" و "m" [160]، كما أن الصعوبات الحقيقية تتمثل فى أن هذه المدينة " Tmp3w "، توصف على أنها منتجة للرصاص، وهى شىء لا يعرف عنه أى شىء فى سوريا[161]. لقد كان الحديد يصنع، فى كميات صغيرة فى أناتوليا، منذ الألف الثالثة ق.م[162]. وهكذا فإن إحضار

الرصـاص من " Tmp3" قـد يبدو مـؤشـراً، هنا، للقـوة المصـرية، في ذاك الوقت، داخل أناتوليا.

والأسمـاء الأخرى الجديدة، في النقش، هي لهاتيـن المدينتـين ، اللتـين تدمرتـا أو أخضعتهما الجيوش المصرية : (LwsL) و (L 3sy) ويرى فولفانج هلك (Helck) مدينة "Iwsl" - أو كمـا يقـرأها هو "3ura" على أنهـا هـي اسم "Ura"، الذي هـو مـوجـود في النصـوص الحيثية والأوغاريتية وكذلك المصرية، بعد ذلك بحوالى (٦٠٠) ستمائة عام، في القرن الـ(١٣) ق.م، وذلك في إشـارة إلى مدينة على ساحل كيليكيا[163]. وربما كان ذلك، بالفعل، هو الوضع، والحالة المقصودة. وذلك، بالرغم من أن اسم "Iw3l"، أيضـاً، يبدو قريباً من " (w3iwry) ، نوعاً ما، وهو اسم إيجي، تم العثور عليه على قاعدة عمود للفرعون أمنحـوتب الثالث، ويؤرخ بحـوالى عام ١٤٠٠ ق.م، وهو الذي ألصقـه معظم العلمـاء باسم "W) Illos)" - Troy [164] ولسـوف يبـدو هذا التـعـريف والمطابقـة بشكل أفضل إذا أمكن أن تتم قراءة هذا الاسم على النحو التالي "W3y"، ولكن ذلك يبدو غير ممكن. كما ذكرت في الفصل الثالث (Chap. III)، فإن قطعـاً أثرية مـصـرية هامـة من الناحية السياسية تاريخها إلى الدولة القديمة، يمكن، أيضـاً، أن تكتشف في سهل تروود (Troad)، ومن ثم فإن الاحتمال وارد هناك[165].

ولقد ضـمن مـيللارت مدينة طروادة (Troy) في قـائمـة المدن المدمـرة منذ حـوالى ١٩٠٠ ق.م، ولكنه سمح بأن تكون طرواده (V) الخامسة، والتى انتهى مصيرها حوالى الوقت نفسـه، لم يتم حرقها، ومع ذلك فإنه، أي العلامة ميللارت، يبدو أكثر إقناعـاً في إدعائه بأنه كان هناك تغير صريح ومطلق أو حالة انقطاع في مشوار الحضارة في ذاك الوقت[166].

وإن نظرية هيلك (Helck) القـائلة بأن " Iw3l" يجب أن تتطابق مع " Ura"، تتقـوى أكثر بربطها باسم آخر هو " I3sy"، أي مع قبرص، الواقعة جنوبياً، عبر البحر، بحوالى (١٥٠) كيلو متر، ولكن هذا الاسم يقودنا إلى العديد من التعقيدات الكبيرة، حيث يقع، هو نفسه ، من اسمين آخرين كلاهما يمثل موضوعاً لخلاف كبير. فمدينة أو اسم "Irs" لشكل عام كان قد تم قبوله على أنه هو اسم " قبـرص"، بالرغم من أن بعض العلمـاء

يعتبره امتداداً لساحل أناتوليا الجنوبية[167]. وقد قوبل هذا الاسم فى النصوص المصرية، وأماكن أخرى، ولكن فى الدولة الحديثة فقط، ولما كنا نعرف الحقيقة القائلة بأنه خلال الدولة الوسطى، كان حرف " ٣ " حرفًا متحركًا، فإن الاقتراح المقدم من كل من ملتزر (Meltzer) وهيلك (Helck) بأن " i3sy" كانت هى الشكل الأقدم للفظة " آلاسيا" (Alasia) يبدو مقبولاً، ويعتبر ذلك دليلاً مناسبًا، كذلك لنقش ميت رهينة[168].

وكما أشار بوزينيه (Posener) أن (iw3i) وكذلك (i3sy) يجب أن تكون فى آسيا لأن (١٥٤٦) أسيراً آسيوياً (3nw) كانوا قد أخذوا منهم. أما الغنائم الأخرى فإنها تناسب، اكثر، إما قبرص أو أناتوليا على اعتبار أنها تحوى بلطًا من البرونز، وخناجر وسكاكين. وكانت قبرص معروفة بأنها مصدر كبير لإنتاج النحاس فى نهاية عصر البرونز. ومع ذلك، فإن كثيراً من العلماء يقبلون الرأى القائل بأنها، أى قبرص، كانت قد أنتجت المعادن منذ العصر القبرصى المبكر، (الثالث/III)حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م[169].

وهنا يبدو أنه كان هناك تأثير مصرى قوى على قبرص إبان تلك الفترة، التى نشير إليها اختصاراً بـ (E.C.III) . كما أن خرز الدولة الوسطى وتمائمها قد تم العثور عليها فى طبقات (Strata) المواقع الأثرية فى قبرص، وكانت معاصرة لها، هذا بالرغم من أنه لا يوجد أى شىء قبرصى، يؤرخ بالفترة ذاتها، تم التعرف عليه فى مصر[170].

إن الحظ الفاصل بين الإقليم والمدينة الرئيسية فيه ليس دائمًا قاطعًا وواضحًا تمامًا، وفى حالتنا هذه، (أى بين (I3st) و (Iw3I) ، اللتان تكتبان بخرطوشات تستخدم للمدن، وليس بعلامة الجبل ، والتى تستخدم، بصفة عامة، للدول الأجنبية، وفى هذا النص، بالتحديد، لمدينة (Tmp3w)) فإن هناك تغييراً مستمراً بين (Irs/Alasia) كمدينة وكبلد. وهكذا فإن (I3sy) يمكن أن تشير إلى مدينة إنكومى (Enkomi) أو أية مدينة رئيسية أخرى فى قبرص[171].

وفي عام ١٩٤٦ استطاع هـ.ت. بوسرت (H.T. Bossert)، المتخصص فى تاريخ وآثار أناتوليا القديمة ، أن يطابق ، بوضوح، بين (isy) ولفظة أسوا (Assuwa)، الاسم

الحيثي لملكة في غرب أناتوليا، والتي منها - كما ذكرنا آنفًا - جاء الاسم اليوناني آسيا (Asia) [172] . ومنذ أمد بعيد عام ١٨٨٦م، قام عالم المصريات والمؤرخ القديم جاستون ماسبيرو (G. Maspero) باشتقاق اسم آسيا من اللفظة ذاتها، أي / isy ، في أحد أشكالها المتطورة، والتي كان يراها، في الأصل، هي اسم لقبرص[173].

وهناك احتمال لحل واحد فقط، لهذه المشكلة المعقدة، يأتي من نقش ميت رهينة، حيث لفظة واسم " I3sy" وهذا يفترض نوعًا من التكييف المصري والموائمة إما للفظة محلية أو لاسم من الليفانت هو "I3sy" للدولة على قبرص، والتي كانت قد مدت كيانها حتى شمل أجزاءً أخرى أبعد، في اتجاه الشمال الغربي، وهذه النظرية قد تتفق ، بشكل مرضي، مع النتائج التي توصل إليها عالم التاريخ القديم ج.أ وايترايت (G.A. Wainwright) ، عام ١٩١٥، بأن " isy" تقع على سهل ساحلي، وكانت لها حدود مع سوريا وآسيا الصغرى، وكذلك روابط مع كيليكيا، ولم تكن أبدًا تسمى جزيرة[174].

وعلى الجانب الآخر، كان العالم اليوناني د.ج. جيورغاكاس (D.J. Georgakas) - في دراسته المفضلة عن اسم آسيا - قد سجل اعتراضين على هذا النوع من التنظير، الاعتراض الأول يقول بأن المصريين كان لديهم، بالفعل، اسمًا لآسيا، وهو في لفظة "Stt" . ومع ذلك، وبعد أن أعطينا وأوضحنا غموض هذا المصطلح الأول كما أسلفنا، فإنني لا أرى سببًا لئلا تكون لمناطق معينة في أناتوليا الغربية أسماءها الخاصة بها. أما اعتراض جيورغاكاس الثاني فهو أقوى من سابقه بكثير: إنه يقول بأن أسُّوا (Assuwa) اسم مستقر تمامًا في لغات أناتوليا، وليس هناك ضرورة لأن نقترح أصلاً مصريًا له[175].

وهكذا، فبينما نجد ارتباطًا واضحًا بين " isy" و "Assuwa" و آسيا (Asia) ، فإن أصول ألفاظها ليست كذلك. وبالمثل، فبينما هناك احتمال كبير جدًا بأن " I3sy" كانت شكلاً قديمًا مبكرًا للفظة Irs/Alasia/Cyprus فإنه من الممكن، أيضًا، أن تكون هي أصل كلمات "isy /Assuwa/Asia" إن تقرر وجود الأسرى (r3mw) والغنائم من المشغولات المعدنية قد يناسب الاحتمالين، وإن قبرص هي الأقرب إلى مصر، وقد تكون أكثر

احتمالاً على هذا الأساس، وعلى أية حال، فإن أسماء "Stt" و "Tmp3w" و "Iw3I" وكذلك "I3sy" ومنتجات تلك المدن (أو / الأقاليم)، المسجلة فى نقش ميت رهينة، تشير بوضوح إلى أن حملات سينوسيتريس كانت قد سارت بعيداً إلى ما وراء الإقليم السورى – الفلسطينى (Syro - Palestine)، وتوغلت إلى داخل قبرص وأناتوليا.

الخلاصــة

إنه منذ مطلع القرن التاسع عشر (١٩) الميلادى كان قد تم التشكيك فى المادة التراثية، التى وصلتنا، حول حملات سيزوستريس الشمالية، وذلك قبل القيام بأية حفائر أثرية، بمدة طويلة، وقبل العثور على أى دليل كتابى (نقشى) حول الموضوع، وكان قد تم رفضها وعدم التصديق فيها، لأنها – أولاً – خضعت لمنطق الشك الحديث الذى لا يتسامح مع مثل هذه التخمينات حول مرحلة تاريخية مبكرة، مثل حالتنا، والتى ليس حولها إلا دليل ضئيل للغاية، كما أن هناك، أيضاً، اعتراضات دينية على التاريخ المصرى فيما قبل عصر الهكسوس، الذى يقترب كثيراً، بصورة خطيرة، من فترة الخلق[٥٢] (Creation) كما يجب أن نضيف إلى هذا كله، تلك الروح العنصرية المنظمة والمتزايدة التى رأت فى قيام حاكم إفريقى بحملات عسكرية (ليس فقط إلى الليفانت، بل وأيضاً إلى آسيا الصغرى وأوروبا) عملاً لا يمكن الاقتناع به.

وهكذا، فإن كل الحفائر والاكتشافات الحديثة، التى يمكن أن تلقى ضوءاً على موضوعنا، قد تم النظر فيها على أساس " العلم والإلمام " بأن المادة الأدبية التراثية حول حملات سيزوستريس الشمالية كانت بحق مضحكة ومنافية للعقل. وإذا ما سأل سائل حول هذا الانطباع الأولى المبدئى فإن ألوانا عديدة من الأدلة التى وضعناها فى اعتبارنا سابقاً كأدلة غير ذات صلة بالموضوع، تناسب نمطاً ما يتماسك نسبياً ومترابط. وهذه الأدلة تحتوى على عناصر القوة المركزة والتعقيد العسكرى العظيم لجيوش الأسرة الثانية عشرة، والتى ظهرت بجلاء بتحصيناتها الفائقة، على غير ذات مثال، فى النوبة، وكذلك التدمير، الذى حدث تقريباً فى ذات الوقت فى كل من أناتوليا والبلقان، هذا فضلاً عن كنز طود الذى يحوى أدوات معدنية ثمينة ومجوهرات كان قد تم اهداؤها للإله مونت، إله الفتوحات الشمالية، بالإضافة إلى النقوش واللوحات الجدارية من المبانى التى أهديت للفرعون سنوسرت الأول وابنه أمنمحات الثانى.

إن نقش ميت رهينة لا يشير إلى أى احتلال مصرى محتمل فى اليونان. وحتى إذا تمت ترجمته، بأوسع معانيه الممكنة. وتم الربط بينه وبين الروايات التراثية حول سيزوستريس، فإن تأثيره سيقتصر، فقط، على الاقاليم المجاورة لأناتوليا وثراكى، وليس اليونان، البلد الأم، وشبه الجزيرة نفسها. أما لماذا، عندئذ كان يجب دراسة هذا الموضوع، فى هذا العمل، فى هذا الفصل والذى يليه؟ فإن الإجابة عن السؤال الأول ينحصر فى علاقته بالنموذج القديم (Ancient Model) ونقش ميت رهينة يؤيد ما تم اعتباره، بشكل عام، كأسخف مجموعة قصصية، غير منطقية، رواها لنا هيرودوت والكتاب اليونان للعصر الهيللينستى. وإذا كان هناك عناصر أساسية، ذات مضمون للحقيقة فيها، فإن " النموذج القديم " يجب أن يوضع فى الاعتبار بشكل أكثر جدية بصفة عامة.

كما أن نقش ميت رهينة يشهد، على وجه الخصوص ، بأن المصريين لم يكونوا دائمًا « جلوسًا – فى – بلدهم » [Stay - at - home] ، وشعبًا محافظًا، بالضبط كما كان يظنهم ويعتبرهم، عادة مؤيدو " النموذج الآرى" (Aryan Model) . ولقد قدم عالم الكلاسيكيات/ بول فوكار (P. Foucart)، مع مطلع هذا القرن، وجهة نظره القائلة بأن اكتشاف اللوحات الجدارية للحملات البحرية، فى عهد الملكة حتشبسوت، إلى افريقيا، والتى تم الكشف عنها فى معبد الدير البحرى، قد غير تلك الصورة تمامًا، وأنه لم يكن هناك سبب يفرض على المصريين أن يحصروا هذا النوع من المغامرة والكشف صوب الجنوب فقط[176].

إن كثيرين من مؤيدى النموذج الآرى، غير القادرين على رفض وجهة النظر هذه، قد تجاهلوها. والآن يأتى نقش ميت رهينة ليرفع من جديد هذه المشكلة فى صداره الاهتمام وبشكل أكثر حدة عن ذى قبل، فى وقت ملائم تمامًا حيث لم يعد مؤيدوا النموذج الآرى قادرين بعد على أن يحتفظوا بقدرتهم على امتلاك واحتكار سلاح "الحقيقة العلمية".

وبالضبط، كما حدث فى الفصول الأربعة الأول، يبدو من الأهمية بمكان أنْ نستعرض الدليل الأثرى المكتشف فى كريت وبيوتيا داخل إطاره الأسطورى والتعبدى

(الدينى) وأسمـاء المواضع، وذلك بهدف وضع نقش ميت رهينة وما جاء فيه تحت الاختبار، وكان على، لتحقيق ذلك، أن أتقدم بأدلة أخرى أكثر من مصادر مختلفة، وبخاصة الأثرية منها.

إنه بالرغم من نقص الصرامة والقطع فى هذا العرض لمادتنا على أساس الاختيار، فإننى على يقين بأن الصورة النهائية والإجمالية التى قدمناها بهذه الطريقة تشير إلى أننا - فى هذا الموضوع وغالبًا فى الموضوعات الأخرى - يجب ألا نؤمن إيمانًا كاملاً فى الحكمة المأثورة التقليدية، ولكن يجب أن نعطى ثقة أكبر فى النموذج القديم[٥٣]. ومع ذلك، فإن هناك مصدراً آخر، محتملاً، للمعلومات، والذى يمكنه وضع التقارير اليونانية على المحك، وهو الأساطير، والحكايات، والذاكرة الشعبية فى العالم القديم، فإلى هذه سأتوجه فى الفصل التالى.

أولاً - هوامش الفصل الخامس

(1) Farag (1980), p. 75), Posener (1982, P.7); Petrie and Walker (1909, pp. 6-7, 17-18).

(٢) يعتقد كل من فرج وبوزينيه بأن النقش لابد أن يتم تقييمه على ما هو عليه، وأن يؤرخ بالأسرة الثانية عشرة، كما فعل جيفون (Giveon, 1985, p. 16, n, 34) ولكن وليان وارد (William Ward)، الذى هو على القدر نفسه من التخصص لتاريخ الدولة الوسطى، يستبعد هذه الآراء. وعلى النقيض من اقتراح وارد، يمكن اعتبار أن عدم معرفتنا بأسماء الأماكن الأجنبية فى نصوص الدولة الحديثة، يبدو مقبولاً فى ضوء ملابسات ومعايير النطق للغة المصرية إبّان الدولة الوسطى. ولهذا السبب فإننى أفضل اتباع نظرية كل من فرج وبوزينيه وأن نقبل تاريخها للأسرة الثانية عشرة، وهو الرأى السائد الآن، بوجه عام ، من علماء المصريات، راجع / O'connor (1990) ..

(3) Farag (1980, pp. 78-79; Posener (1982, p. 8)

وحول لفظة ست (Stt) انظر جاردنر (Gardiner 1947, I, p. 177) &

(Gauthier 1925-31, I,p. 95) .

(4) Gardiner)1961, a, p. 126)

(5) Simpson, (1948: a, col. 891).

(6) Herodotos, II. 110 & Diodoros, I. 57.5 & Lloyd (1988, pp. 36-7).

(7) حول مذهب الشك، وموقفه من هذا، راجع/(Simpson (1984, b, cop. 950

وحول الاعتقاد في أن القتل كان ناجحًا، راجع/ بوزينيه

(1956, pp. 66-73) & Blument hal (1983, pp. 105-106).

(٨) وحول مراجع بيلوجرافية حول هذه اللوحة (Stela)، وحول اسم (New Mntw) نفسه، راجع/ بوزينيه (1971, p. 538) & Simpson (1984 a, col. 899)

(9) راجع / Lichtheim (1975, I, pp. 222-35)

وحول المراجع الخاصة بالترجمات العديدة لهذه القصة الشهيرة، راجع /Lichtheim

(المرجع السابق، صص ٢٢٢-٢٢٣) وكذلك سمبسون (Simpson, 1984 b, col. 953)

(١٠) حول مناقشة مطولة لموضع بلدة او إقليم رتنو (Rtnw)، راجع/

Gardiner (1947, 1, pp. 142-9)

(11) Posener (1971, p. 538)

(12) Posener (1971, p. 539)

(13) Albright (1960, p. 85).

(14) Posener (1940, 1956, and 1971); Giveon (1978 a, pp. 61-72; 1981; 1985).

أما العالم فاينشتاين (Weinstein)، الذى عارضه جداً كثيرون والقائل بفكرة قيام إمبراطورية مصرية لحساب الدولة الوسطى، فكان قد سمح وصرح بأنه هناك جمارين عديدة للفرعون سنوسرت الأول فى فلسطين، وأن تمثالاً لسيدة، يحتمل بأنها أبنته، عثر عليه فى منطقة تل جزر [1974, p. 52] (Tell Gezer)، وإن الأدلة الأثرية، التى على أساسها بنى رأيه، وقال بأن هذه الأميرة كانت هى إبنه أمنمحات الثالث، قد اختفت منذ ذاك التاريخ.

(15) Posener (1956, p. 109)

(16) Posener (1971, p. 540)

وحول الاستشهاد الوارد فى المتن، راجع/ ليشتهايم

(Lichtheim, 1975, I, p. 188).

(17) Giveon (1975, cols. 462 - 63).

وراجع أيضاً، قائمة المراجع القصيرة، حول الاسم، فى "Helm" .(1980, p. 229, n.5.)

(١٨) هناك خلط بين اسمين ظهر فى صعوبات حول مرجع هوميروس واشارته لأناس يدعون " إرمبوى : Ermboi "، فى إحدى فترات الأوديسيا، عند وصفها لرحلات ومغامرات بطلها أوديسيوس وكذلك مينيلاوس، حيث يقول (IV: 82-5) "وتحولت حول قبرص وفينيقيا ومصر، ووصلت إلى الإثيوبيين وأهل صيدا، وكذلك الإرمبوى، فضلاً عن ليبيا ...."

وفى التاريخ القديم، اعتبرت هذه إشارة إلى العرب (Strabo, I, 41)، ولكن – وكما لاحظ هلم (Helm) فإن ذلك يمكن أن يستعاض عنه باسم: الآراميون "، حتى يمكن، ببساطة، أن تعنى لفظة " إرمبوى: Erem-boi " بنو الشرق الأدنى القديم. وهناك، أيضاً، إشارة يونانية أقدم للعرب، جاءت عند هيسيود (Hesiod)، فى عمله المعروف باسم: " كتالوج النساء"، حيث يقول: " ابنه العربى، التى أنجبتها هيرمايون (Hermaon)، الغالية، مع ثرومنا (Thromia)، ابنه السيد بيلوس [,(137) Frag. 15]"(Belos) وترجمة إيفلين وايت Evelyn - White (1914, p. 167), frag. 137 وترجمة إيفلين وايت

وذلك فى كتاب ، أيضاً، (Merkelbach and West 1983) .

(19) Iliad, II. 782 - 85.

(20) Vian (1960, pp. 19 - 24).

(21) Fontenrose (1959, p. 71, n.2) وهو هنا يعرض رأياً ضد رأى فيان

(Vian, 1963, pp. 64-82).

(22) Fontenrose (1959, pp. 82,177-93),

وحول اتصال وعلاقة المصطلح (Stt) بالشاطئ أو الإقليم السورى – الفلسطينى، انظر فان ستيرز:
Van Steres, 1966, pp. 99.

(23) Chantraine (1968 - 75, p. 371)

حول ذلك كتب شانترين (بين القوسين السابقين) على أنه : (Rien de chair)، وكذلك استبعد نظرية بوكورني (Pokorny) (1959 - 69, pp. 332-3) حيث حاول فيها أن يشتق كلمة: eremo من جذع كلمة أوروبية – هندية (Indo-Europ) وهو " ...er " بمعنى " أترك ".

(24) Posener (1971, pp. 540 - 1)

وحول قائمة بهذه التماثيل، انظر هلك (Helck):1971, pp. 68-9

(25) Ward, (1961, pp. 17-39) ; Stevenson Smith (1965, pp. 14-150) & ibid., p.15, n. 48.وذلك حول بيلوجرافيا كاملة لكل هذا

(26) Posener (1971, pp. 540-1) For the pictures, see Davies and Gardiner (1936, plates X and XI)

(27) Helck (1971, p. 41).

(28) Ward (1971, p. 68).

(29) Posener (1982, p. 8).

(30) Helck (1989, p. 27).

(31) Maspero (1901, p. 593).

(32) Volume 1,pp. 252, 306.

(33) Bunsen (1848 - 60, I, 309-24); Maspero (1901, p. 593).

(34) Sethe (1900, 1904). Burton (1972, p. 164) وهو الذى يؤرخ لمقالات زينه (Sethe) تاريخًا خاطئًا بعامي ١٩٠٢ و ١٩٠٥ بالترتيب.

(35) Maspero (1901), pp. 596-7

وهو الذى قبل قراءة زيته لاسم " سنوسرت"، ولكنه يعتقد أساسًا بأن اسم " سيزوستريس" تم اشتقاقه من لفظ مركب من "Ramesses, Rcsstsw" ومع ذلك فقد قوض زيته هذا التفسير لهذه الحالة، وذلك عام ١٩٠٤.

(36) Burton (1972, p. 166).

(37) Diodoros, I. 53. 8.

(38) Gardiner (1957, p. 74).

(39) Manetho, frs 32, 34-6, trans. Waddell (1940, pp. 64 - 73).

(40) For details, see delia (1980, pp. 24- 107).

(41) Pace Hayes (1971, p. 505), who sees Senwosre III as the prototype.

(42) Manetho, Frs 32, 34 -6.

(43) Herodotos, II. 100- 110, trans de Selincourt (1954, pp. 166 - 9)

(44) Diodoros, I. 53. 5 - 58.2, trans, Oldfather (1933, pp. 187 - 95).

(45) See Sethe (1900, 1904); Maspero (1901); Rattenbury (1933); Braun (1938, pp. 13- 18); Lamge (1954); Malaise (1966); West (1977); Lloyd (1982; 1988, pp. 16-18).

(46) Posener (1956, p. 15).

(٤٧) قام عالم المصريات السوفيتي والمتخصص في الدراسات القبطية بيتر فيكتور فيتش إرنست (P.V. Emshtedt) بتأصيل الاشتقاق المصرى لكلمة " My thos" في عام ١٩٢٥ .(pp. 55-7) ولكن شانترين (Chantraine) يعطي المعنى الأصلى لكلمة (Mythos) على أنها " تطور كلمات لها اتجاه محدد، وهدف، وخط سير واحد". وكذلك على أنها محتوى كلمات". وكذلك فإنه يجب أن نذكر الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد اشتقاق أوروبي/ هندى (Indo-European) لهذه الكلمة.

(48) Megasthenes, cited in Strabo, XV, 686, and Arrian, Indica, V. 4.

(49) See Herodotos, II, 110, and Diodoros, I. 58 . 4. For a modem discussion of this see Lloyd (1982, p. 37).

(50) Georgacas (1969, pp. 34-7). See also Helm (1980, p. 23. n. 23). For Egyptian etymologies or renderings of Asia, see nn. 164-72 below.

(51) See ch. VI, nn. 12 -14.

(52) For a bibilography of this, see Posener (1956, pp. 68-9).

(53) Spiegelberg's explanation of Sesostris escaping from the fire over the bodies of two his sons, as the result of' a dragoman's tale based upon a frequently recurring repersentation of the triumphant Pharaoh, He is often depicted with his feet placed on two heads symbolizing the foreign enemies of Egypt, the Negroes and Syrians' (1927, p. 25) is farfetched but possible.

(54) The parallel was first pointed out by Iversen (1961, p. 149, n. 16). See also Burton (1972, p. 171). For detalis, see Delia (1980, pp. 54 - 6). The sign (well) was used for hm (female organ) from Middle Kingdom times.

(55) Sethe (1900, p. 3.); Malaise (1966, p. 250); Burton (1972, p. 178).

(56) Emery, 1960, p. 6; Clutton- Brock (1974, pp. 92 -3). For the chariots' illustrated on cylinder seals from Kultepe II, see Drews (1988, pp. 93-6). Drews (n. 48) accepts a 'middle chronology' dating of 1910 - 1840 for Kultep II.

(57) For official involvement in the transport of gods, see, for instnce, the Stela of Ikhernofret (Berlin Museum 1204), translated in Lichtheim (1975, pp. 123-9). For the newness of Senwosre I's title of 'God', see Blumenthal (1985, pp. 108-9). See also Springborg (1990, pp. 46-7).

(58)Volume 1, pp. 170, 185.

(59) See Volume 1, p. 326.

(60) For acceptance of the stories of Sesostris' conquests in Africa and Arabia. See, for instance, Sethe (1900, pp. 16-20), Malaise (1966, pp. 260-4)and Lloyd (1988, p. 36). Lloyd gives a full bibliography of the secondary literature on this point.

(61) Foucart (1914, p. 4) cited by E. Meyer (1928 - 36, I, p. 263). For more on Focart, see Volume 1, pp. 264-5, 314, 380, 383.

(62) See Lichteim (1975, I, pp. 211- 15).

(63) Naville (1894 - 1908, III, plated 69 - 71); Stevenson Smith (1958, pp. 136, 138; 1965, p. 7).

(64) For Ramesses fleets, see Burton (1972, p. 160). For the 18th Dynasty navies, see Hayes (1973, pp. 367-9) and Save-Soderbergh (1946, pp. 33-50). See also ch. X, n. 86.

(65) Herodotos, II. 100.

(66) See the inscription from the 19th year of Senwosre III (C. 1864 BC) from Uronarti (Khartoum 2683)discussed in Delia (1980, pp. 77-9). For a literary explanation of Sesostris having been checked by shoals, sea Lloyd (1988, p. 19). Lloyd accepts that the text was referring to the sea not the Nile.

(67) Diodoros, I, 55. 6.

(68) See, for instance, Wildung (1984, Plates 140, 150-1).

(69) Adams (1984, pp. 176- 81). For a comparative view of these fortifications, see van Seters (1966, pp. 33-7).

(70) Parker (1950, p. 69).

(71) Parker (1976, pp. 178 - 84); Kitchen (1987, p. 43).

(72) Krauss (1985, pp. 73 - 82); Kitchen (1987, p. 43).

(73) Meyer (1994, pp. 45 - 51).

(٧٤) هناك اعتقاد حديث منذ أن نقل فارينا (Farina) النص الهيراطيقى إلى الهيروغليفية فى الجزئية V. 1. 18 من قائمة تورين (1938,p. 35) (Turin Canon)، إلتصق به إدعاء متردد، نوعًا ما، على يد العلامة وينلوك (Winlock, 1940, p. 118.2) بأن هذه الأسرة استمرت لمدة ١٤٣ عامًا. ونقل ذلك عنه جاردنر فى دراسته له (Gardiner, 1959, p. 16) ومع ذلك فإن زيته، عام ١٩٠٥، قد قرأه بزيادة ١٦٠ عامًا وهو الشىء الذى قبله ماير (Meyer, 1907, p. 21) وكذلك برستيد (Breasted, 1906, I, p. 41). إنه لمن المستحيل أن نصدر حكمًا قاطعًا حول هذه القضية، التى هى غامضة تمامًا.

(75) Gardiner (1959, pp. 11- 13)

(76) Stock (1949, p. 103).

(77) Breasted (1906, I, pp. 40-5).

(78) Meryer (1907 b, pp. 68, 178).

(79) Gardiner (1961 a, p. 67).

(80) Hayes (1971, p. 996). For a bibliographical survey of the trend to diminish or annul the 1st Intermediate Period, see Kemp (1980, p. 27).

(81) Mellaart (1979, pp. 7-11).

(82) Mellaart (1979, p. 7).

(83) Kemp (1980) and Weinstein (1980).

(84) Haas et al., (1987). Their results also appear to have been supported by work on a different sample processed with the methods at Hanover, Haas et al., (1987, p. 597).

(85) Haas et al., (1987, pp. 586-7).

(86) Shaw (1985).

(87) Shaw (1985, p. 304); Haas et al., (1987, pp. 596-7).

(88) Haas et al., (1987, pp. 588-9).

(89) See Weinstein (1989 b, p. 103). See also Harding and Tait (1989, pp. 151-2).

(90) For a survey of the finds at Ebla and some of their implications, see Pettinato (1981).

(91) Matthiae (1981, p. 9).

(92) Pettinato (1981, p. 107).

(93) Matthiae (1988, p. 76).

(94) Matthiae (1988, p. 77). Synchronism in Byblos also indicate that Sargon reigned during the Egyptian 1st Intermediate Period.

(95) Huber (1987 b, p. 9).

(96) Pettinato (1981, p. 107; personal communication, cornell, 1983).

(97) Steinkeller (1986, pp. 31-40).

(98) See Gardiner (1961 a; pp. 62-3); O'Mara (1979, addendum).

(99) Mellaart (1979, p. 9).

(100) Kemp. (1980 , p. 25).

(101) See Mit Rahina, col, 5+ X.

(102) Gardiner (1961 a, pp. 112-16).

(103) Smith (1965, p. XXXIV).

(١٠٤) أنظر كاليندر (Callender, 1975, p.1)، الذى يصل باقتراحه إلى حد أن اللغة المصرية الوسيطة (فى مرحلتها الوسطى: (Middle Egyptian) كانت هى اللغة المتحدث بها فى أواخر الدولة القديمة وكذلك فترة الانتقال الأولى. إنه صحيح أن الاختلافات بين المصرية الحديثة والوسيطة أكبر بكثير مما هو موجود بين اللغة المصرية القديمة (فى مرحلتها العتيقة) والوسيطة.، وأنّ المساحة الزمنية المفقودة لمدة ٢٣٠ عامًا، لفترة الانتقال الثانية هى أقل بكثير من المدة الزمنية لـ ٣١٠ عامًا، نقدرها نحن هنا، لفترة الانتقال الأولى، ومع ذلك فإن الحقيقة القائلة بأنه بينما كانت اللغة المصرية العتيقة والوسيطة قد ظهرتا اعتمادًا على اللغة المتحدث بها فيمفيس (منف)، فى مصر السفلى (الدلتا)، فإن اللغة المصرية الحديثة كانت هى اللغة المتحدث بها فى طيبة (Thebes)، فى مصر العليا (الصعيد): أنظر/ جرينبرج Greenberg, 1986, pp. 282-3 وهكذا يكون هناك مسافة إقليمية كبيرة، وكذلك زمنية فى الحالة الثانية.

(105) Huber (1987a, p. 17). See also Huber (1982). The 'long' chronology is not the higher chronology proposed by Landsberger and Nagel (see Strommenger, 1964, chart). This is some eighty years earlier still. It should, however, be pointed out that Huber has not checked his figures against higher chronologies as thoroughly as against the lower ones. For his dismembering of objections see Astrom (1987) - 9, III, pp. 61-3).

(106) Mellaart (1957, 1958, and 1967).

(107) Personal communication from Peter Kuniholm, Cornell, October, 1990.

(108) See Maps and Charts.

(109) Mellaart (1982, pp. 31-2).

(110) Mellaart (1982, pp. 31-2).

(111) Curney (1973, pp. 229-32); Watkins (1986, pp. 45-8).

(112) Volume I. pp. 13-14.

(113) Lang (1966, pp. 43-4 ; 1977, p. 76) ; Burney and Lang (1971, 78-85); Bosch- Gimpera (1980, p. 171); Mellaart (1967, pp. 36-8).

(114) For the old view, see Mellaart (1967, pp. 29-31).

(115) Larsen (1976, pp. 80-105).

(116) For a bibliography of the debate, see Gurney (1973, pp. 232-3). Macqueen (1975, p. 21) and Mellaart (1978, p. 57) plump for the later date.

(117) Balkan (1955, pp. 58-63). Dendrochronology seems to be on the brink of estabisining a date for the destruction, but the tree-ring sequences have not yet been anchored to an absolute chronology. See Kuniholm and Newton (1989).

(118) Balkan (1955, pp. 42-3, 58-63).

(119) Cited by Mellaart (1957, p. 58).

(120) Larsen (1976, pp. 81-4).

(121) Mellaart (1958, p. 9) and (1967, p. 37)- C. 1900 BC; (1978, p. 49)- C. 1940 BC.

(122) Mellaart (1958, p. 10).

(123) Muhly (1973 b, p. 326). For Mellaart's repetitions of his thesis see (1967, pp. 44-5). However, he omits it in 1978.

(124) Bittel (1970, pp. 46-7). For the report of burning, see Mellink (1977, p. 293).

(125) Kadish (1971, p. 123).

(126) Mellaart (1958, p. 10).

(127) Mellaart (1958, p. 14).

(128) Mellaart (1978, map on pp. 46-7).

(129) Bisson de la Roque et al. (1953, pp. 7-14) ; Helck (1971, p. 382). For a bibliography on this, see Kemp and Merrilles (1980, p. 290, n. 690). See also Vandier (1972, pp. 260-1).

(130) Bisson de la Roque et al. (1953, p.10).

(131) Pace Kemp and Merrilles (1980, p. 296).

(132) Davis (1977, pp. 69-78, esp. p. 72; 1974, pp. 46-81); Kemp and Merrillees (1980, p. 290).

(133) Porada (1950, pp. 155-62). It is significant that Kemp and Merrillees make no mention of the seals which put the cap of futility on their ingenious attempt to downdate the treasure, which mars their otherwise splendid work.

(134) Bisson de la Roque et al. (1953, p. 9 and plates XLIII - XLIX) ; Kemp and Merrillees (1980, p. 295).

(135) Posener (1971, p. 540).

(136) Unpublished but quoted by Posener (1971, p. 543).

(137) See nn 36-7 above.

(138) Kemp and Merrilles (1980, p. 295).

(139) Erman and Grapow (1982, II, p. 92).

(140) Farag (1980, p. 78, line 9+X); Borghouts (1982, cols 200-4). See below. Helck (1989, p. 29) makes the general connection between the mit Rahina inscription and the Tod Treasure.

(141) Mellaart (1958, p. 11).

(142) Dumitrescu (1982, pp. 37-43); Garasanin (1982 a, pp. 142-52).

(143) Dayton (1982 a, p. 155).

(144) Diodoros, I. 55.6-7.

(145) See n. 49 above.

(146) Lang (1966, pp. 43-5; 1978, pp. 70-3) ; Muhly (1973 b, pp. 202-6); Mellaart (1982, pp. 22-3).

(147) Burney (1958, pp. 169 0 75); Lang (1978, p. 78); Burney and Lang (1971, p. 95).

(148) Burney (1958, p. 178); Lang)1978, p. 78).

(149) Burney and Lang (1971, p. 85).

(150) Lang (1978, p. 76).

(151) Schaeffer (1948, pp. 544-5).

(152) Mellaart (1978, p. 47, map). For the high development of metalwork in EBIII Anatolia see Yakar (1985).

(153) Maxwell- Hyslop (1946).

(154) Tylecote (1976, p. 21); Yadin (1963, I, pp. 60-2, 153-75); Maxwell- Hyslop (1946). See also ch. IX, nn. 22-34 below.

(155) Lang (1978, p. 77). See, for instance, the two splendid 12th h-Dynasty gold-mounted ointment jars made from Caucasian obsidian illustrated in Wildung (1984, p. 93, plate 82).

(156) Helck (1971, p. 389). The main silver and lead mines are those near Sebinkarahisar some fifty-five miles south of Giresun on the Black Sea and Ergani Maden near Diyarbakir on the Upper Euphrates in Central Turkey. See Dayton (1982 a, p. 166).

(157) Gardiner (1947, I. P. 177).

(158) Farag (1980, p. 78, lines 9+X and 10+X). not only the transcription but the style of these passages is obscure. See, for instance, the use of dy instead of the more usual rdi, and ds not for 'beer jugs' but offerings in general as in the determinative for inw (tribute). For this see Gardiner (1957, p. 530). The reading I propose also involves using o n (y)w for 'of ' rather than n or nt as was common in the Middle Kingdom. The reason for reading as the foreign country rather than as a 'cake' is the reference earlier in the line to (copper or bronze of Stt) . I am deply

indebted on this point, as for so much elso, to Edward Meltzer. He of course bears no responsibility for my conclusions. For another discussion of the writing of Stt and a reference to in the term sttyw (Asiatics) in an 11th Dynasty inscription, see van Seters (1966, p. 107).

(159) Farag (1980, p. 77, lines 8+x). I follow Posener (1982, p. 8) in reading the 'bird' before Stt as b3.

(160) Helck (1971, pp. 295-7, 571).

(161) Muhly (1973 b, pp. 209-11) doubts even the reports of copper mining in the region.

(162) Genesis (4.33). for the iron-working see Tylecote (1976, p. 40). See also Yakar (1985). See also ch. XI, n. 76. for a discussion of the exchanges between m, p and b with especial referance to Anatolia see Bernal (1990, pp. 92-3). See also Helck (1989, p. 28).

(163) Helck (1989, p. 28).

(164) Cline (1987, p. 28). For forther discussion see ch. III, nn. 122-4 above.

(165) See ch. III, n. 122 and Macqueen (1975, p. 18).

(166) See above n. 121.

(١٦٧) راجع جاردنر (Gardiner, 1947, p. 131) وكذلك هيلك (Helck, 1971, pp. 282-3) . ولكن سترينج (Strange, 1980, pp. 169-83) يعتقد بأن ألاشيا (Alashia) ليست هي قبرص، مع أن فاكسمان (Wachsmann, 1987, pp. 99-102) يميل بشدة إلى جانب التفسير التقليدي. ولقد كانت النقطة الرئيسية، والتي ألمح إليها قبل ذلك بحوالي خمسين عاماً العالم باور (Power, 1929, p. 156) تتمثل في أن ألاشيا لا يمكن أن تكون مدينة شمال بيلوس لأنها – استناداً إلى ما جاء في خطاب تل العمارنة رقم ١١٤ حيث يرى ملك بيلوس رب – أدى (Rib-Addi) مدينة ألاشيا في الطريق الموصل إلى مصر، وذلك بتنادى المرور على أعدائه. وفي عام ١٩٨٧ أدعى مريلليس (Merrillees, 1987, p. 59)، بطريقة غير مقنعة بالمرة، بأن هذا الاجتهاد والتفسير يشبه ما قال به أستور (Astour) يوماً ما، عندما أنكر الأخير – بطريقة خاطئة تطابق موقع تل مرديخ (Tell Mardikh)مع إبلا (Ebla) على أساس أن التل لم يرد في نص رحلة وصفت إبلا. ويبدو أن ميريلليس كان على حق تماماً عندما أشار إلى أن تعريف ألاشيا بقبرص ليس تفسيراً أمناً مثل تلك المدن الأخرى أمثال إبلا وأوغاريت حيث ورد الاسم مذكوراً بوثائق محلية عديدة، ومن ناحية أخرى فإنه، أي ميريلليس، وفريقه، لا يقدمون لنا موقعاً بديلاً آخر لمدينة ألاشيا، ومن ثم فإنه لا يوجد تعريف أو مسمى جغرافي آخر، من الألف الثانية ق.م، لقبرص ، لا في المصادر المصرية أو الليفانت، أو المصادر الحيثية أو حتى العراقية القديمة (مسوبوتاميا). وهكذا فإن هذا التعريف يظل مقبولاً تماماً.

(168) Meltzer (personal communication, 22 October 1987) and Helck (1989, p, 28). Vercoutter (1956, p. 93, n.4), noting that list appeared only after the reign of Akhenaten, argued that it must have been preceded by Isy. L3sy seems more probable, though isy may also have been used.

(169) Farag (1980, p. 79, line 16+x); Posener (1982, p. 8).

(170) Catling (1971, pp. 818-22); Merrillees (1977, pp. 44-6).

(171) Ward (1961, p. 30). Merrillees (1987, pp. 67-71) gives a thorough survey of the pervious literature surrounding this ambiguity. See also Helck (1989, p. 27-8).

(172) Bossert (1946, pp. 5-40, 177).

(173) Maspero (1886, pp. 361-8).

(174) Wainwright (1915, pp. 1-36).

(175) Georgacas (1969, pp. 39-41). Vercouter (1956, p. 181) avoids this problem by simply denying any connection between isy and Assuwa. As Merrilles (1987, p. 36) pointes out, Vercoutter does this 'not on philological but on historical grounds'.

(176) Foucart (1914, pp. 2-3). For more on foucart, see Volume 1, pp. 70, 264-5, 314, 380, 495. foucart's ideas will be discussed in some detail in Volume 4.

ثانيًا - هوامش أضافها المترجم

(١) الليفانت (Levant) . في التاريخ القديم ، ووفق تقدير الجغرافيين لموقع هذا الاقليم ، يشمل شمال سوريا وجنوب شرق تركيا الحالية . والحق أنَّ المصادر الكلاسيكية اليونانية ، وكذلك اللاتينية ، لم تذكر هذا الاقليم بهذا الاسم ، بينما كان الاقليم الآخر " أنا توليا " (Anatolia) هو الأكثر شهرة وروداً في تلك المصادر .

(٢) انا توليا (Anatolia) ، هي الجزء الجنوبي من تركيا الحالية ، وربما أشتقت منها كلمة "الأناضول" التى تشير الي وسط تركيا الآن.

(٣) لا يشير المؤلف من أين نقل ترجمة هذه ، ولا ما هو مصدره الكلاسيكى في هذه المعلومة التاريخية الدامغة ، بالرغم من وضعه لها بين علامة تنصيص وربما كان هيرودوت هو مصدره ، في ذلك ، ولكن لا ندرى أين ؟

(٤) ويُقصد بها الهلال الخصيب (العراق) . وهو مصطلح يونانى النشأة والتركيب ، منذ العصر الكلاسيكى ، على يد هيرودوت ، في كتابه التاريخ / من تواريخة ، وهو الذى كان قد وعد بكتابة كتاب خاص بحضارة العراق القديم – كما فعل عن الحضارة المصرية ، ولكن ذلك لم يتم لأسباب لا نعرفها . الكلمة مركبة من كلمتين هما : الصفة (Meso) وتعنى " وسط " ، والاسم (Potamo's) ، وتعنى " النهر " ، وكلاهما يعنيان ، إذن البلدا تواقع وسط النهر ، أو " ما بين النهرين " .

(٥) يدافع استاذنا الكبير الدكتور عبد العزيز صالح عن نشأة وأصل امنمحات الأول – في مواجهة الآراء المُغرضة – ويفند ذلك بقوله :

" يبدو ان امنمحات كان من أقرباء الأسرة الحادية عشر السابقة له ، أو من أظهارها ، وأنه لم يعتل العرش اغتصابا من ورثتها ، وانما اعتلاه ، بعد أن عجزوا عن الاحتفاظ به ، وبعد أن مرت البلاد بفترة عزَّ عليها فيها الاستقرار والحكم الصالح ."

وكذلك فإن لنا في ألقاب الفرعون الجديد المؤسس أمنمحات الأول للأسرة (١٢) ، مثل " المنقذ " ، "معيد النهضة " ، خير دليل على هذا الاتجاه ، وأنه قريب لهم ، وليس بغريب عنهم ، ولم يفعل سوى إتخاذ مبادرة قوية واجبة أنذاك .

راجع الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ت الطبعة (٣) ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٦) هذه إضافة من المترجم ، لتوضيح الموقع الجغرافي للعاصمة الجديدة ، وأبَّان الأسرة الثانية عشرة ، والتى شهدت آثاراً عملاقة ، من معابد ومقابر وأهرامات ، حتى أنَّ هيرودوت نفسة – في منتصف القرن الخامس ق.م – وصف أحد القصور (معبد) " اللابيرانث " المصرى ، في اللاهون بأنه يعادل كل آثار اليونان مجتمعة .

(٧) نحن لا نرى في كل ما تقدم من أخبار عن علاقات مصر الفرعونية في عهد سنوسرت الأول لسوريا ، وأوصاف الفرعون الواردة في نصوصه أي تناقض – كما يدعي المؤلف – وذلك لأن هؤلاء كانوا أقوياء عديدة ، وقبائل كثيرة ، تسكن الوديان والمرتفعات للاقليم السوري هذا فضلا نفسة ، ويحكم أمراء متفرقون ، ومن ثم كان ولاؤهم متذبذاً مع مصر بقدر قوتها عليهم من ناحية ،. وبقدر مصالحهم هم معها من ناحية اخرى ، بالضبط كما ظل الحال كذلك في عهد تحوتموس الثالث . وحملاته ال (١٧) عليهم في مطلع النصف الثاني من القرن ١٥ ق.م (١٤٦٨ – ١٤٣٦ ق.م) .

(٨) المؤلف لم يذكر أية علاقات يقصد ، ولكن يُفهم أنه ما بين القوسين – كما حددناها نحن – هي المعنية هنا بهذا الخصوص .

(٩) لا يمكن الحديث ، تاريخيًا ، عن مُسَمى " فينيقيا " (Foinikike) - كما يسميها أقدم المصادر الأدبية ، وهي اليونانية ، وكما تثبت آثارها هي نفسها – فيما قبل القرن العاشر ق.م ، حيث يؤرخ لهذا العنصر النشيط تجاريًا في المنطقة . أما الأصوب ، تاريخيًا وأثريًا ، فيجب علينا أنْ نشير إلى هذه المنطقة ، وأهلها ، بأنهم الساحل السوري – الفلسطيني فحسب .

(١٠) هنا تصح الإشارة لهذا الإقليم ، بهذا الاسم ، في ذاك التوقيت ، بالضبط كما قلنا في هامش (٩) السابق ، حيث لم يكن العنصر الفينيقي قد ظهر على الساحة التجارية بعد وهمين على تجارة تلك المنطقة ، وإن كان أجداده الأوائل ، ذوى الأصول العربية البدوية ، هم الذين تولوا إتمام الصفقات ونقلها بين بلدان المنطقة .

(١١) لا أدرى كيف يُحَمل الأثريون الأشياء أكثر مما تحتمل ... وأشك في أنَّ سنوحي قال ذلك بالحرف .. فلماذا إذنْ لوى الأخبار التاريخية ؟ إذ أن عبارة سنوحي هذه التي يستند عليها بوزينيه لا تعني أكثر من أن : القصر الفرعوني بعد أن عَلِمَ بوصول سنوحي الى إحدى مُدُن سوريا وقابله المبعوث الفرعوني ، الذى كان يجوب تلك الأصقاع لينقل أخبارها وهداياها الى الفرعون ، توقف هذا الرسول ، وأصبح سنوحي يقوم مقامه ويلعب دوره لصالح القصر الفرعوني . ومن ثم أصبح سنوحي أحسن بديل عن البعوث المنتظم القادم من مقر الحكم الفرعوني ، وقد أدى دوره باقتدار وأمانة حتى أنَّ الفرعون سنوسرت الأول كافأه على خدماته وطلب منه العودة ، برقة بالغة وتقدير عظيمين، الأمر الذى قد حسن سنوحي نفسه ، وجعله يسجل ذلك في نصوص قبره .

(١٢) هذه كلمة يونانية الأصل ، عرفناها كأقدم إشارة عند هيرودوت (منتصف القرن ٥ ق.م) ، وهي مركبة من لفظين : الأولى : (meso) وتعني " منتصف " أو " وسط " : ثم الثانية (potamo's) وتعني : نهر ، وصيغة (Mesopotumia) لتعني : أرض ما بين النهرين (دجله والفرات) ، أو " بلاد النهرين " ، كما فضل استاذ الاجيال الدكتور / عبد العزيز صالح ، في كتابه المرجعي العظيم : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : العراق ، ط/٤ ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(١٣) كان الاخيون (Achaeans) ، وهم أنفسهم الميكينيون (Mycenaeans) كما عرفناهم من آثارهم بفضل صفائر هاينريش شليمان (١٨٧٦ م) ، هو الاسم الذى استخدمه هومر (هوميروس : -Home ros) لهم في ملحمته الخالدة الالياذة . لمزيد من التفاصيل حول الحضارة الاخية (المكينية) ، ١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق.م ، راجع / محمود السعدني ، تاريخ الحضارة الهيللينية ، الرياض ، دار الخريجي ١٩٩٧، ص ص ٩٤ – ١٢١ .

(١٤) هو نفسة تيفون (Typhon) ، كما نعرفه فى الأساطير اليونانية القديمة ، وكما جاء وصفه عند هيسيود (Hes, Theog. 820 ff) ، ومن قبله هوميروس (Iliad, 2:783) ، ومن بعدهما شعراء الرومان . فهو وحش أو أحد العمالقة ، كأحد أبناء آلهة الأرض " جايا : "Gaea، وله مئات الرؤوس بأشكال الوحوش التى تُصدر أصوات الكائنات المختلفة، كذلك له مئات الأيدى والأرجل التى يبطشن بها ، وكان على وشك إحداث دمار شديد لولا تدخل كبير الآلهة زيوس (Zeus) وهجومه عليه بصواعقه، فطرحه أرضًا ثم ألقى به فى جحيم العالم السفلى تارتاروس. راجع The Oxford Classical Dictionary, 2nd edition, Oxford 1970 (Rep. 1972), p. 1101 .

(١٥) أى ثراء هذا الذى يستنتجه العالم بوزينيه؟!!وما هى مظاهر هذا الثراء المزعوم؟ هل لبس الصوف والوبر، آنذاك، كان من مظاهر الثراء؟ أم أن هدايا الشيخ – التى لا وجود لها فى اللوحة الجدارية – هى التى جعلت بوزينيه يتحدث عن ثراء ؟!!! الحق أننى لا أرى أية مظاهر غير عادية لشيخ قبيلة عادية، أتى بأهله، حاملين أدوات حياتهم اليومية على ظهور الحمير، راغبين فى الإقامة والعيش داخل الأراضى المصرية أملاً فى حياة أفضل؟!! الاحتمال الوحيد الباقى هو ثراء هذا الشيخ البدوى الأسيوى، قياسًا بفقر الحياة الأوروبية آنذاك؟!! إذن، فالمعيار غير منطقى وغير سليم للمقارنة؟!!! هذا لوى للحقائق الأثرية مقصود؟!!!

(١٦) هنا تحفظ مقبول، ولكنه، مع ذلك، يفتقد إلى الأدلة والقرائن. فليس مع الوفد البدوى أية هدايا، ومن ثم ليسوا فى مهمة رسمية، قياسًا بحالة Kefti الإيجيين، اليونانيين، فى مقابر أمراء الأسرة ١٨، حوالى منتصف القرن ١٥ ق.م، راجع/ محمد السيد عبد الحميد ، (Ph. D.) العلاقات المصرية – اليونانية القديمة (دراسة فى مشكلة الكفتيو)، الزقازيق ١٩٩٦، حيث تتنوع الهدايا وتسجلها اللوحات الجدارية بوضوح تام!!!.

(١٧) هذه التسمية هنا، نيابة عن العنصر الوحيد التاريخى الذى قام بحملات خارجية (سواء للتوسع أو التأديب أو لمجرد الاستطلاع- كما فعل تحوتموس الثالث حينما قام بـ ١٧ حملة على سوريا وفلسطين) وهم المصريون ، والحديث عن أفارقة، يجعل القضية مائعة ويقلل من أهمية هذا الإنجاز المصرى الأوحد وقتها!!! كما يفتح الباب لأقاويل أخرى!! إنه السم فى العسل!!!!.

(١٨) هى شبه جزيرة يونانية تقع فى أقصى الطرف الشمالى الشرقى لليونان مع حدود يوغوسلافيا السابقة (صربيا الحالية)، وآخر حدود تركيا الغربية.

(١٩) وهو ما سار على نهجه أيضًا ديودوروس – فيما بعد ذلك بحوالى أربعة قرون – حينما أسمى خليج العقبة وخليج السويس، والجزء الشمالى كله من البحر الأحمر باسم " الخليج العربى" : " Arabikos Kolpos " . وليس القصد هنا، بالمرة، ما نعرفه نحن اليوم، بالخليج العربى، الذى كان يعرفه المؤرخون الكلاسيكيون باسم : الخليج الفارسى " " Persikos Kolpos .

(٢٠) إن صدق هذا الخبر – الذى لم يتأكد وجوده أثريًا حتى الآن (على حسب علمى المحدود) – فإن ذلك يعنى إنسانية الروح العالية لهذا الفرعون وثقته بنفسه، وتقديره العالى لقيمة الحرية، كمطلب آدمى راقى لكل الشعوب على وجه الأرض، حتى ولو كان هو شخصيًا الذى ينتزعها بحكم الفتح والغزو، وليس هذا بغريب على المصريين وحضارة مصر القديمة صاحبة السبق الإيمانى والعلمى الحياتى على كل حضارات العالم القديم، وقد وجد فيها اليونان النموذج الأسبق لكل تميز مادى ومعنوى.

(٢١) هذا الخبر هو المفارقة التاريخية الغريبة عند هيرودوت لأنه يتبعه بدليل مادى، عبارة عن أعمدة انتصار، كان قد رآه هو بعينى رأسه فى هذه البقاع!!! وهو أمر لا نعرفه – نحن اليوم – حتى الآن !!!.

(٢٢) سكيثيا (Skythia) بلد أسماه اليونان للمنطقة الواقعة بين كارباثيا ونهر دون (Don) فى آسيا الوسطى، وأطلقوه على مجموعة من قبائل فى شمال غرب إيران وشرق تركيا فى القرن ٧ ق.م . راجع O.C.D. p. 968 .

(٢٣) سبق ذكر موقعها فى هامش (١٨)

(٢٤) كولخيس (Kolkhis) - كما هى باليونانية – هى أشهر بلدان وسط آسيا الغربية، جنوب جبال القوقاز، وقد خلدها أبوللونيوس الرودى (من رودوس) – فى العصر الهللينستى، ضمن أشهر آداب الإسكندرية البطلمية، قصة أسطورية للأمير ياسون (Iason) فى صراعه مع عمه للوصول إلى العرش سعياً وراء الفروة الذهبية (Golden Fleece) . راجع / O.C.D., p. 263., s.v. " Colckis & ibid., p. 105, s.v. " Ar- gonauts" .

(٢٥) كانت هذه التسمية، عند هيرودوت، غير محددة الحدود الجغرافية، حيث كان يشير بها إلى كل هذه الأماكن:–

(أ) سيناء (ب) بادية الشام (جـ) شمال غرب الجزيرة العربية (الجزء الصحراوى : Arabia Deserta)، كما على ذلك سترابون من بعد ذلك. أما الجزء الشامى، حيث يقطن الأنباط (Nabataeai) فكان يسمى : " بالجزء الصخرى". (Arabia Petraea) (أرابيا بترايا) . فكلمة " أرابيا" هنا لا تعنى بالضرورة الجزيرة العربية، بل ربما فقط الأجزاء الشمالية الشرقية من حدود مصر حيث يسكن البدو فى صحراوات واسعة وحتى حدود فلسطين.

(٢٦) هذه واحدة من أقدم الإشارات إلى تسمية هذا البحر بهذا الاسم، كما نعرفه نحن إلى يومنا هذا، بعد أن كان حتى وقت هيرودوت (القرن ٥ ق.م) يسمى بالخليج العربى، كما ذكرنا من قبل (راجع/هامش١٩).

(٢٧) إن ثراكى ليست كذلك ، أبداً ، كما يقول الكتاب خطأ. فهى فى الجزء الشمالى الشرقى، وربما كان ذلك خطأ مطبعياً، إذ لا يعقل ألا يعرف الكاتب موقع ثراكى على خريطة اليونان (راجع هامشنا رقم (١٨)).

(٢٨) أى يجرون ويحملون المحفة الملكية التى يجلس عليها الفرعون، كنوع من التكريم الرفيع لمكانته، والطاعة الواجبة منهم لمليكهم، ولاسيما هذا الفرعون بالذات، الذى تم تأليهه تأليهاً كاملاً، خلافاً لاسلافه، هذا إذا صدقت كل الاحتمالات فى اعتبار سيزوستريس هو نفسه سنوسرت الأول/ الثالث، فهل مثل ذلك العمل كان كثيراً عليه؟!!!!.

(٢٩) هذا ما يقصده المؤلف، وهو موضوع الدراسة فى هذه الجزئية من الفصل، من أمثال ما ورد عند هيرودوت وديودوروس.

(٣٠) لا ندرى ما هو قصد المؤلف من هذا المصطلح الذى كتبه بالحروف الكبيرة.

(٣١) هذا هو رأى المؤلف، ويبدو فيه ناقداً لنفسه ولغيره من الباحثين المعاصرين، وإن كان ينم عن موضوعية واضحة منه، وإدراك بأهمية الموضوع التاريخى المثار حول تلك الروايات الكلاسيكية.

(٣٢) جرى العرف – فى مراجعنا العربية والمترجمة – على تسمية هذه القصة باسم " الملاح الغريق". راجع مثلاً، عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، (الإنجلو المصرية) القاهرة ١٩٨٤ .

(٣٣) النص الإنجليزي، في الكتاب أمامنا، يذكر كلمة "Mesopotamian" كصفة لسارجون، والأدق تاريخيًا وعنصريًا أن يقول " الأكادي" (Akkadian) باعتبار أن هذا العنصر كان، ولا يزال ، مشكوكًا في أصله ومصدر هجرته إلى داخل العراق وسيادته على وسطه وشماله طيلة حوالي قرنين ونصف من الزمان، في الثلث الأخير من الألف الثالثة ق.م، ولعل كلمتي " بكر" (تاجر) و " تانجار" (نجار) الموجودتان في اللغة الأكادية تفسران طريقة وصول تلك الأصول العرقية الغريبة، على أهل البلاد الأصليين، وهي أسلوب التسلل البطئ، كما فعل الملك المؤسس نفسه، سارجون، الذي كان بستانيًا، فساقيًا للملك ، ثم الملك؟!!

(٣٤) ولعل أشهر أثر تم نقله، بفضل مساعدة هيئة اليونسكو في مطلع الستينات من هذا القرن العشرين، وإشراف التكنولوجيا الألمانية، كان هو معبد أبي سنبل، الذي تم نقله من أسفل الوادي إلى موقع قريب، شبيه بموقعه السابق، ولكن على ربوة عالية، هي الموجود عليها الآن.

(٣٥) يذكر المؤلف، خطأ، أن حكام مصر في العصر الهللينستي (٣٣٢ – ٣ق.م) كانوا " يونانيين "، فيقول بالحرف الواحد : ... for the Greek rulers of Egyp of ... وهذا كلام غير تاريخي بالمرة، إذ لم يكن يومًا ما – في كل التاريخ القديم– أن كان حاكم مصريًا يونانيًا، والحق أنهم كانوا، وقتها، مقدونيين، من جنس الإسكندر الأكبر وخلفائه القادة الفاتحين الشرق القديم آنذاك، وكان اليونانيون مجرد أداة تنفيذية إذا ربه في الأقاليم وليس على رأس الدولة البطلمية، التي سميت باسم ملوكها المقدونيين واحداً بعد الآخر. راجع/ إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، (الإنجلو المصرية)، القاهرة

(٣٦) هذه العبارة بين القوسين من عندنا نحن، كمترجمين، لما في ذلك من تكرار، ربما تسبب في إشاعة الملل لدى القارئ.... وهذه ليست المرة الأولى لمثل هذا الاتجاه، حتى أن زميلنا أ.د. فاروق القاضي، من كثرة التكرار في الجزء الأول من هذا الكتاب، اطلق عليه صفة " برنال الرغاي"، وذلك في احتفالية التقييم والمساءلة بين المترجمين والملقين، كما دعا إلى ذلك أ.د. جابر عصفور، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، مساء الأحد الموافق ١٩٩٧/١٢/٢٨، في مبنى مكتبة القاهرة الكبرى، بالزمالك.

(٣٧) يصف المؤلف لغة إبلا بأنها سامية جديدة (New Semitic) مستخدمًا لفظة " سامية" وكأنها أصبحت مصطلحًا أثريًا أو لغويًا يقينيًا لا خلاف عليه بين علماء التخصص ذاته. ولسنا نستبعد النوايا العنصرية من استخدام هذا المصطلح هنا بالذات للإشارة إلى التواجد (اليهودي؟!!!) الذي أصبح اليوم، هو وحده، المساوي والمعادل لكلمة السامية!!!! إنهم هم الذين ابتدعوا هذه النظرية اللغوية الأصل، على يد العالم النمساوي شلوستر في أواخر القرن (١٨) م، ثم حوروها من ساروا على الدرب وأيقنوا الفائدة والغرض البعيد لأفكارهم الرهيبة، إلى عباءة فضفاضة تشمل العنصر اليهودي كله، دون غيرهم، وغدوا يرفعون هذا الشعار ضد كل من يقف حجر عثرة أمام أهدافهم ومخططاتهم العدوانية في عالم اليوم، القرن العشرين!!!، ويتهمونه بمعاداة السامية (Antisemitic) .

والأصل – كما قلنا – لغوي، فإن العنصر السامي من قضية أثرية لغوية في نهايات الألف الثالثة ق.م، حيث لا أثر لتواجد عبراني يقيني على الساحة الأنثروبولوجية إطلاقًا، إلا إذا كانوا يتعمدون الخلط المقصود بين العنصر العربي البدوي المهاجر من الجزيرة العربية ، أصلاً، والمقيم داخل أراضي بلاد النهرين (مسوبوتاميا) قبل ذاك التاريخ بقرون عدة ؟!!!، وبين جذورهم الأولى العبرانية في المنطقة والتي ليس لها – في ذاك الوقت – أية دلائل أثرية على وجودها. وهكذا لا نشك لحظة في رغبة المؤلف الملحة في إيجاد أية أرضية تاريخية أقدم، من المعروف عنهم، ليشاركوا المنطقة تاريخها وحضارتها منذ نشأتها الأولى، حتى يستقيم، بعد ذلك، حقهم ومطلبهم في العيش في المنطقة على أساس الحق التاريخي الأقدم!!!

(٣٨) بالطبع لا يستخدم المؤلف هذه الصفة، ولكننا وجدناها أقرب وأسهل من الصفة التاريخية (Mes-opotamian) الأدق، ومع ذلك، رأينا في صفة "عراقي" ككلمة واحدة سريعة – المقابل المفهوم لدينا الآن.

(٣٩) هنا المؤلف لا يقول لنا لماذا تم تأريخ تدمير قصر إبلا بحوالي عام ٢٥٠٠ ق.م، ولا لماذا يفضل هو تنزيل هذا التأريخ بمعدل (٣٠) عاماً، لكي يتوافق ذلك تماماً مع انهيار الدولة القديمة ونهاية الأسرة السادسة، وكلها ترجيحات لا أساس لها من المنطق التاريخي أو حتى الأثري؟!!! كما كان، بالضبط، محيراً موقف العلماء الذين انحازوا لتأريخ برستيد وماير؟!!! كل ذلك ليبحث عن مبرر قوي لعدم ذكر اسم مصر في أرشيف إبلا، وهو التفسير الذي يجده الآن – ظاهرياً لا شك – منطقياً ومقبولاً!!!.

(٤٠) لم يقل لنا المؤلف كنه هذا الاختصار، وضن علينا بتفسيره حتى ولو في هامش .

(٤١) وهي إحدى طرائق التأريخ العلمية الشهيرة، من العلوم المساعدة لعلم الآثار الآن، وإن كانت الطريقة الأشهر هي الكربون/١٤ (Carbon 14)، وللمزيد راجع Ehrich R.W., Chronologies in Old World Archaeology, the Univ. of Chicago Press, Chicago and London, 1965 (4th Im-preeion 1971) حيث يطبق المؤلفون، كل في مجال تخصصه الأثري من حضارات العالم القديم، طريقة الكربون /١٤ وذلك بعد استعراض التأريخ الأثري النسبي للأقاليم الجغرافية المتحضرة القديمة. والمصطلح لفظة مركبة، كما هو واضح، من كلمتين ، أولاهما كلمة "Dendra" التي تعني " شجرة" ، والثانية هي كلمة "Chronology" المعروفة.

(٤٢) هذه إضافة من عندنا نحن (المترجم).

(٤٣) وهذه إضافة من عندنا للشرح (المترجم).

(٤٤) هنا يلمس برنال أهم مشكلة جوهرية تواجه مصير المكتشفات الأثرية ، بوجه عام، في كل عمليات الحفر والتنقيب التي تسفر عن معثورات كثيرة ومتنوعة، ولاسيما النقوش أو المخطوطات أو مثال تلك الألواح المذكورة آنفاً بوجه خاص. وهذه المشكلة – كما لخصها بإيجاز شديد ويتضح بجلاء صدق التجربة الذاتية مع هذه الأمور، التي نراها نحن كذلك للأسف، وهي تتمثل في:-

(أ) احتكار المشرف العام على الحفائر لكل المعثورات بوجه عام.

(ب) المَنّ ببعض هذه المعثورات على بعض العلماء المقربين بغرض الدراسة والنشر، أو للمحظوظين من طلاب البعثات الأجنبية!!!.

(ج) تأخير النشر العلمي لأسباب كثيرة، ليس هنا مجال الحديث عنها.

(٤٥) ذلك لأن التجارة الأكثر شيوعاً والأكثر توقعاً، آنذاك، أنْ تكون لصالح الممالك القديمة والقصر الحاكم، وليست باسم الأفراد ولحسابهم، كما كان في مصر القديمة وكريت المينوية وحتى موكيناي حوالي منتصف الألف الثانية ق.م. راجع/ مقالنا " العلاقات المصرية – اليونانية القديمة"، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم/ د. رؤوف عباس، القاهرة ١٩٨٦

(٤٦) وهي (Ilion) باليونانية أو إليوم (Ilium)، باللاتينية، أو – كما تم الاشتقاق في الإنجليزية – (Troia)، باللغة اليونانية القديمة كذلك، وهي المدينة ذات الشهرة العالمية، من حرب طروادة الهومرية التي خلدها شاعر الإلياذة، منذ القرن (٩) ق.م، والتي كانت في مطلع القرن ١٢ ق.م، من أغنى مدن الساحل الغربي الأسيوي في تجارتها، وطمع في ثرواتها اليونان الآخيون ، في أواخر مراحل وجود مملكتهم.

(٤٧) في أقصى الطرف الشمالي الشرقي من البحر الإيجي، وهي قريبة، جغرافياً، من موقع المدن السابقة الذكر، في شبه جزيرة تراكيا (Thrace) .

(٤٨) ينتقل المؤلف، فجأة، وبدون مقدمات نهائية ونتائج بحثيه مستقرة، إلى سؤال عن شيء، لم ينته هو نفسه إلى حقيقة نهايته التاريخية: زلزال أن غزو ودمار؟!!! مما يترك انطباعاً بعدم الارتياح للمشاكل التى يثيرها فى بحثه، وللأهداف التى يسعى للحصول إليها من خلال مادة كثيرة التفاصيل، غير مؤكدة، وعليها جدل كبير بين علماء التخصص أنفسهم.

(٤٩) هى محاجر فى إقليم أتيكى، وتتبع إثينا، وكان فلاسفة اليونان ومؤرخوها يرجون لبضاعتهم هذه، مقابل بضائع أخرى كانت أثينا تحتاجها وعلى رأسها القمح. راجع للمزيد/ محمود السعدنى ، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية أثرية) ،القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ص ٢١٣ – ٢١٧

(٥٠) تعبير أو مصطلح مينوى (Minoan) نسبة إلى الملك مينوس (Minos) ، ملك كريت الأسطورى ، صاحب أكبر أسطول تجارى، فى الألف الثانية ق.م، والشخصية المحورية الرئيسية فى أسطورة المينوتور وثيسيوس (Theseus) ، البطل الأثينى، بن أيجايوس (؟!!). للمزيد راجع/ كتابنا: تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠ م ، ص ص ٦٠ – ٧٠

(٥١) هذه النتيجة الخطيرة، التى ألقى بها المؤلف – دون ادنى سند تاريخى أو أثرى من الجانب المصرى – ليس لها أية مقدمات، حتى يمكنه التوصل إليها بهذا الشكل.. فجاءت مباغتة، وكأنها هى شغله الشاغل الذى يريد أن يقوله، فألقى بها فى وجه القارئ هكذا فجأة، وبين سطور لا تمت لهذه الجزئية بأى علاقة.. ولاسيما صياغته لجملته ويقينه حولها وكأنه أمر مؤكد جداً لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه.. هذا نموذج للأسلوب والمنهج غير العلمى والبحثى، الذى زج به المؤلف بين سطوره المفرقة فى التفاصيل البعيدة الخارجة.

(٥٢) هنا المؤلف يسوق أشياء ومحاذير، نسمع عنها لأول مرة، ويصيغها بطريقة خطيره للغاية، وكأنها خلاصة (كما وضع هو لها هذا العنوان) ومن ثم فلا يعقل أبداً أن تكون كذلك، دونما أدنى مقدمات لها، ولهذا وجب التنويه، حيث يشير إلى الخلق (Creation) . مثلاً – كما جاء فى التوراة والإنجيل – ويجعل منه حدثاً دينياً يعارض التاريخ المصرى، وهو الحدث الذى لا نعرف له، ولا يعرف له أى عالم متخصص، بداية ونهاية ومكان؟!!! إنها المفاجأة البحثية، غير المنهجية التى يكشف عنها صاحبها بكتاب " المنفوخ على الفاضى"، ويؤكد زيف نواياه العلمية الخالصة، ليضع السم فى العسل، وقتما يشاء وبأية طريقة يشاء؟!!!.

(٥٣) الغريب أن هذه الخلاصة، التى أسماها برنال هكذا، هى ليست كذلك. وواضح أن الهدف النهائى من كل هذا الكتاب، هو هذا الذى حشره حشراً، هنا، بالدعوة إلى " صدق أكثر" (More Trust) فى النموذج القديم، فى مواجهة النموذج الآرى العنصرى. ولكن، لماذا؟!!! هل لإقرار فضل الشرق على الغرب – كما قالت بذلك المادة الأدبية بأقلام المؤرخين اليونان القدماء؟ أم ماذا؟.

الحق أن الهدف الأخير لمثل هذه الدراسة الضخمة ، سيتضح ، وفقط، مع آخر فصل فيها، لعلنا ندركه سوياً!!!

ثم هو هنا يقلب المنهج العلمى رأساً على عقب فبعد أن استقر لدى علماء التاريخ والآثار القديمين، حيث تكون الوثيقة الأثرية – من أى نوع – (أى الدليل الوثائقى: Documentary Source) هو الحكم الفيصل والمرجعية الوحيدة لقياس مدى مصداقية الأسطورة الشعبية ، نجد برنال هنا يحاول جعل الأساطير – بنص كلامه – هى الحل الحقيقى للروايات التاريخية وشهادات القدماء؟!!! بالطبع تمهيداً لإقرار الروايات الأسطورية التوراتية؟!!! وهكذا يتضح الهدف النهائى للكتاب كله!!!.

الفصل السادس

سيزوستريس الثاني(*)

على ضوء الشواهد العقائدية والأسطورية

ترجمة : إسحـــق عبيـــد

في هذا الفصل سوف نتقصى بعض العقائد والأساطير والمتواترات في عدد من الحضارات تشمل مصر، وبعض بلدان الشرق الأدنى الأخرى، والأناضول، وتراقيا، وكولخيس على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، ثم أخيراً في بلاد اليونان. ولعلنا بهذا نتحسس ما قد يوحي بفتوحات حقيقية اضطلع بها الفرعون سيزوستريس.

وفي اعتقادنا أنه توجد دلائل كثيرة تعضد هذا القول، ومن ثم فإن افتراض تاريخية حملات هذا الفاتح المصري يعزز العديد من الملامح والمعتقدات المتواترة ويزيح عنها الكثير من الغموض والضباب. هذا إلى جانب ما ورد في الوثائق والآثار - التي سبق مناقشتها في الفصل السابق - مما يقرب صورة سيزوستريس من الصورة التي قدمها لنا كل من هيرودوت ومانيتون وديودوروس.

ولما كانت الصورة التي قدمها هؤلاء الكتاب لسيزوستريس ضاربة في الخيال الجامح، فإن محاولة تأصيل بعض ما ورد عنها تاريخيًا يعل لفتوحات الأسرة الثانية عشرة مصداقية تاريخية وإجازة لكتابات المؤرخين اليونان والمصريين على حد سواء.

(*) من الأسرة الثانية عشرة (حوالى ١٨٩٧ - ١٨٧٨ ق.م). (المترجم)

الروايـــات المصريـــة

سواءً قبلنا الصورة التي يقدمها هيرودوت وديودوروس ومانيتون عن سيزوستريس أم لم نقبل، فإنه ليس لمقدور أحد أن يتهم هؤلاء الكتاب بأنهم قد اخترعوا هذه الأخبار عن هذه الشخصية من محض خيالهم. وكما سبق أن نوهنا من قبل، فإن هؤلاء الكُتَّاب يخلطون بين الروايات المتعلقة بعدد من الفراعين: سنوسرت الأول ؛ سنوسرت الثالث؛ ورمسيس الثاني، وينسجون من هذه الروايات مختلطة نسيجًا شرقي المذاق في شيء من الغلو. ولعالم المصريات الألماني فلهلم شبيجلبرج (Wilhelm Spiegelberg) محاضرة ترجع إلى عام ١٩٢٥م يدافع فيها عن هيرودوت، وهي محاضرة مشبعة بروح القرنين التاسع عشر والعشرين بما فيها من حنو واستحسان للعالم القديم (Besserwissen) ، قال فيها ما يلي:

" من بين روايات هيرودوت هنالك العديد الذى استقاه هيرودوت من أصول مصرية خالصة، من ذلك على سبيل المثال حكايته الشهيرة عن خزائن رامبسنيتوس (Rampsinitus) (راجع الفصل الأول ؛ ١)؛ وكذا حكاياته الأسطورية عن فاتح العالم سيزوستريس (راجع الفصل الثاني؛ ١ وما بعده) الذى نسبت إليه أعمال العديدين من الملوك المصريين. وهذه المعلومات تنطق عن أصول مصرية خالصة، أغلب الظن أنها قد وردت في بردية مصرية، كان العالم ماسبيرو قد أدرجها ضمن فصوله الممتعة عن القصص الشعبي المصرى القديم" [١].

وعلى هذا لابد لنا من التسليم بوجود روايات مصرية عن فتوحات سيزوستريس الضخمة في الألف الثانية قبل الميلاد، وبحقيقة أن سيزوستريس (سنوسرت الأول) كان يعبد في عصر الدولة الحديثة؛ الأمر الذى يعزز القول بأن ما ذكر من صفات مزيدة عن هذا الفرعون كان أقدم تاريخيًا من عصر الدولة الحديثة[٢]. ويرى العالم بوزيهيه (Posener) أن ما ذكر عن سيزوستريس من صفات له ما يؤيده من الناحية التاريخية، وبأن الجانب الاسطورى في هذه الخواص يرجع إلى عصر الدولة الوسطى[٣]. ورغم الكم الهائل الترميمات التي تمت في المعمار على يد الفراعين اللاحقين لسيزوستريس، ومن خاصة على يد رمسيس الثاني، فإن العديد من النقوش من قبيل نقش ميت

رهينه وغيره كانت متاحة هي والعديد من والحوليات التي سجلت على أوراق البردى لتحكي عن شخص سيزوستريس.

ويبدو أن هيرودوت ومن أتى بعده من كُتَّاب عندما سجلوا رواياتهم قد اعتمدوا على مصادر متواترة وحية في أذهان الناس عن شخص سيزوستريس لردح طويل من الوقت.

ومن المؤكد أن ديودوروس وهؤلاء الذين أمدوه ببعض المعلومات قد أدخلوا بعض الزخرف على وراياتهم كي تواكب ما شاع وقتها من حكايات خيالية عن شخص الإسكندر الأكبر. وفي هذا ما يبرر اعتقاد الكتاب المحدثين بأن الروايات القديمة قد ضخمت عن عمد آنذاك مساهمة في إشعال المشاعر ضد الفرس (العدو المشترك للمصريين واليونان على حد سواء) [٤]. ومهما قيل فإن جوهر تلك الروايات، وإن كانت قد خضعت لبعض التعديل والتهويل، يرجع إلى عهود قديمة ، وأن جلها قد جاء من مصادر معاصرة للفتوحات المصرية.

من هذا يمكن القول إن أي مؤرخ نابه من أهل القرن الخامس قبل الميلاد قدر له أن يتصدى لتسجيل سيرة تاريخيه عن الفرعون سيزوستريس، كان متاحًا أمامه سبل عديدة للقيام بذلك. ولعل هناك من يتساءل: هل كانت لدى هيرودوت الرغبة الحقيقية وفسحة من الوقت للإقدام على تلك المهمة؟ وفي تقديرنا، على ضوء ما توافر لدينا من كتابات هيرودوت عن شعوب أخرى في العالم، أن الرجل كان صادق النية وأنه كان يملك من الوقت ما يسمح له بذلك. أما بالنسبة لروايات مانيتون وديودوروس، فعلى الرغم مما يكتنفها من غموض، وعلى الرغم من الجو المشحون بالمشاعر القومية المتزايدة عند المصريين في العصر الهللينستي، فليس هناك ثمة ما يبرر استبعاد هذه الروايات دون مضاهاتها بروايات أخرى إما أن تناقضها فتستبعد وإما أن تعززها فتؤكد مصداقيتها.

هناك صدى لما ورد عن فتوحات سيزوستريس وتوسعاته فيما حفظه التراث المصري القديم عن مغامرات أوزوريس التي قيل أنها شملت الأرض كلها، وطبقًا لديودوروس، فإن المصريين كانوا يعتقدون أن أوزوريس بعد أن أوكل إلى عدد من

الآلهة مهمة الحكم في مصر، خرج على رأس جيش يضم الموسيقيين والراقصين، وعبر بلاد الأحباش والهند وانشغل بصيد الأفيال، وكان في (الاثيوبين) والهند كل بقعة يحل فيها يقيم أعمدة ينقش عليها أخبار معاركه. ولقد طاف أوزوريس كل بلدان آسيا ثم ولج إلى أوروبا عبر البسفور والدردنيل. وفي إقليم تراقيا قام بقتل ليكورجوس.... وخلاصة القول أن أوزويس قد طاف بأرجاء الأرض جميعًا، وأخذ بيد شعوبها على طريق النماء والرخاء، فعلمهم كيف يزرعون الكروم في يسر.. أما البلدان التي لم تكن تعرف زراعة الكرم فقد عرفهم بصنع الشراب من الشعير .. وعند عودته إلى مصر حمل أوزوريس معه الهدايا من مختلف شعوب الأرض... ونظرًا لمآثره العديدة كتب لأوزوريس الخلود وذلك بدعاء الشعوب له، كما ناله الشرف الأعظم الذي اختصت به الآلهة في السموات[٥].

بعد ذلك بقرن واحد، أي في سنة ١٠٠ م تقريبًا كتب بلوتارخ شيئًا مشابهًا في قوله:

" لعل أهم عمل أقدم عليه أوزيريس أثناء حكمه هو أنه غيَّر أسلوب المصريين من حياة الفقر والعنف، بأن كشف لهم عن سر الزراعة وفضلها العميم، كما أنه سن لهم القوانين، وعلمهم كيف يتعبدون للأرباب. وبعدها طاف الأرض من أقصاها إلى أقصاها ينشر في ربوعها أساليب التحضر، وقد فعل ذلك كله دون أن يلجأ إلى قوة السلاح، وإنما تم ذلك كله بفعل شخصيته الساحرة ومنطق حديثه المقنع، مع عروض رجاله من غناء وأفانين الرقص والموسيقى. ولهذا كله فإن الإغريق قد شبهوا أوزيريس بمعبودهم ديونيسيوس "[٦].

إن المشكلة الأولى حول هذه الروايات هي قدمها، ومثلما طالعنا عند ديودوروس عن فتوحات سيزوستريس، فإن الإشارات إلى الهند وركوب الأفيال تكشف عن أنَّ الروايات حول شخص أوزوريس قد تأثرت بالحكاية الرائجة آنذاك عن مغامرات الإسكندر الأكبر. ومن ناحية أخرى، كما لاحظنا في الجزء الأول، فإن الروايات حول فتوحات ديونيسيوس الكبرى(وديونسيوس هو صنو أوزوريس)، تسبق تاريخيًا عصر الإسكندر، في حين أن ما تواتر من روايات عن فتوحات أوزيريس يرجع في أقل تقدير

إلى الأسرة الثامنة عشرة[٧]. ويستدل من هذا أن الروايات اليونانية قد استقت مادتها من الينابيع المصرية.

ومن الجلي أن هذه الروايات مليئة بالأساطير والغيبيات والخيالات عن كيفية قيام الزراعة ونماء الحضارة الباكرة، وعن طقوس العبادة والخصوبة بما فيها جميعًا من فجاجة وغلو، وبالنسبة لقضية الفتوحات، فإن التشابه في بنية شخصية سيزوستريس مع ما جاء عن اوزيريس/ديونيسيوس في كتابات ديودوروس كان له ما يبرره عندما قام بتسجيل حولياته.

وهذا يقودنا إلى الخوض في إشكالية رفع الأبطال من البشر إلى مصاف الآلهة. وكنا في الجزء الأول قد استخدمنا هذا المصطلح (رفع الأبطال إلى مصاف الآلهة euhemerism) ، والذى يمكن أن يعني أيضًا نزول الآلهة وبعض الأراوح إلى درك البشر الهالكين[٨]. والحق أننا عند هذا المنعطف من السياق نمضى إلى أبعد مما قال به يوهيميروس (قرن ٣ ق.م) بأن الآلهة كانوا في الأصل أبطالاً من البشر[٩]. والحق أن هنالك ما يبرر إضفاء مصداقية تاريخية لبعض الشخصيات الأسطورية من قديم الأزمان. ومن المهم أن نلاحظ أن الروايات عن أوزيريس وبعض الآلهة الآخرين كملوك لمصر، أمر تؤيده القوانين المضمنة في بردية تورين (Tarin Canon) التى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة[١٠]. ومن ناحية أخرى، نحن نعلم أن عدداً من الفراعين في عصور متأخرة قد ألهوا أسلافهم أو أنفسهم، وهذا ما نحاجي به في الفصل الثانى عن تأثير فراعنة الدولة الوسطى على أبطال الإغريق. وهكذا فإن البشر في أحايين كثيرة رفعوا إلى مصاف الآلهة، كما قال يوهيميروس[١١].

ولو أننا سلمنا بأن فتوحات سيزوستريس (سنوسرت) هي النموذج الأصلي للأساطير المتواترة عن أوزيريس/ ديونسيوس فإن هذا يوفر لنا مثالاً جيداً عن تأليه الأبطال البشر بالمعنى الذى يعنيه التأليه. وليس هنالك ما يحول دون تعايش الروايتين جنبًا إلى جنب دون أن تكون الواحدة قد أخذت عن الأخرى، ومن ثم فليس هنالك من حرج في التسليم بصحة الروايات عن رفع البشر إلى مصاف الآلهة والعكس صحيح. والواقع أن هذه الدورات التاريخية والأسطورية تكشف لنا عن مساق ذى شقين:

فالحكم الميمون لسيزوستريس (سنوسرت) المؤلة تختلط أخباره بما تواتر عن أوزوريس/ ديونسيوس. كذلك فإن أخبار فتوحات أوزيريس وطوافه الأسطورى بالأرض ونشره أساليب الحضارة، كانت مصدر إلهام للإسكندر الأكبر الذى جاءت فتوحاته الحقيقية بدورها لتضنيف زخرفًا أدخل على الأساطير حول سيزوستريس وأوزوريس/ ديونسيوس، وهذا بدوره كان ايذانًا بمولد دورة جديدة من المعتقدات والأساطير والحكايات الخيالية[١٢]. نخلص من هذا أنه كانت توجد فى مصر روايتان تتصلان بفتوحات سيزوستريس، الواحدة تاريخية، والأخرى أسطورية تربط بين هذا الفرعون وبين أوزوريس. ولقد كان للروايات حول أوزوريس/ ديونسيوس تأثير مباشر على ما جاء فى سيرة الإسكندر نفسه من أساطير، ولدينا قرائن قوية تكشف عن هذا التأثير المباشر نطالعة فى " رومانسيات الإسكندر"، ويرجع أقدم هذه المغامرات إلى كتابات تمت فى أرض مصر نفسها، بعيد وفاة البطل المقدونى سنة ٣٢٣ ق.م[١٣].

وفى هذه الروايات نطالع أن الإسكندر الأكبر قد رأى فى منامه فى أحد الكهوف الأثيوبية الفاتح المصرى العظيم سنسونخوسس (Sensonchosis) ، وهو سيس أول فراعين الأسرة الثانية والعشرين (٩٤٥ - ٧٣٠ ق.م) ، والذى يدعى أيضًا شيشنق، وشيخونسيس، وسسونخوسيس (عند الإغريق)، وهو الذى يرد فى العهد القديم باسم شيشاق (Shishak) ، الذى شن حملات عسكرية ضد فلسطين وسوريا. وفى جميع الأحوال فليس من شك فى أن الاسم والصفات التى اتسم بها هذا الفرعون قد اختلطت مع الصفات التى كانت متواترة عن الفرعون سيزوستريس؛ فعلى سبيل المثال نجد المؤرخ المصرى القديم مانيتون يستخدم هذه الأسماء جميعًا فى شىء من الترادف والتناوب[١٤].

وفى سياق آخر نجد الإسكندر يتلقب علانية باسم " سسونخوسيس الجديد"، وبعد أنْ نقل جثمان الإسكندر إلى منف استقبل فيها على أنه هذا الفرعون الشبيه بالآلهة وسيد العالم أيضًا[١٥]. ولا يوجد ما يمنع قبول هذه الألقاب والنعوت جميعًا ؛ إذ إن هنالك أوجه شبه كثيرة بين ما ورد فى مغامرات الإسكندر، وبين ما قيل عن

"مغامرات" سسونخوسيس وتوسعاته العملاقه، والحق أن هاتين الروايتين قد لقيتا قبولاً شعبيًا عريضًا في مصر في العصرين البطلمي والروماني، ومنها شاعتا إلى خارج البلاد[١٦].

مأثورات من بلدان الشرق الأدنى والأناضول

مع أنه لا توجد في بلدان الشرق الأدنى الأخرى أو الأناضول نصوص صريحة عن فتوحات الفرعون سيزوستريس أو أى فتوحات مصرية أخرى، إلا أن هنالك بعض الإشارات التي تنم عن دلالة خاصة، من ذلك ما نجده في القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م من صور لإله مسلح بمطرقة أو بلطة، مرتديًا على رأسه التاج الأبيض المميز لصعيد مصر (حسدت hdt) أو مرتديـًا التاج المزدوج للوجهين القبلي والبحري (شمتي Shmty)، وفي أحيان أخرى نجد هذا الإله بقرون رمزية تعود إلى زمن بعيد في موروثات بلاد ما بين النهرين[١٧]. وفي حين أن هذه الصور تنطق عن أصول مصرية، إلا أن أصحابها يرتبطون بالآلهة المحلية لهذه البلاد مثل آلهة الرعد بعل، وتسوب (Tessub) وطرخون. وتتماثل هذه الآلهة مع الإله الكنعاني ريشف (Reshef) إله الرعد والمرض. وهذا الإله قد وفد فيما وفد إلى أرض مصر، وأدخل في معيته الآلهة المصرية في الأسرة الثامنة عشرة، وأن كان هذا الإله قد عرف من قبل في الدولة الوسطى.

واسم ريشيف يصعب تفسيره باللسان السامي الغربي، ولربما أنه مشتق من الاسم المصري " حرى إس إف" (Hry s.f.) والذى يقابله عند اليونان اسم "أرسافيس" (Arsaphes) ومعناه " المتربع على بحيرته"، والذى ارتبط اسمه بشخص هرقل، كما أوضحنا في الفصل الثاني، والذى اختلط اسمه ايضًا مع اسم " حرى إس إف " في معبد كُرُس للإله المصري في مدينة بيلوس[١٨].

ومن الطريف أن نلحظ أنه بعد انتناس ريشيف إلى معية الآلهة المصرية، صار يربط بالإله مونت (Mont) الذى ارتبط اسمه بتوسعات في مناطق الشمال، والذى صار

صنواً-إن صح رأينا- للحـاكم الكريتي رادامـانثـيس (Radamanthys) زوج والدة هرقل[١٩].

ونطالع من نقش حجرى لرمسيس الثانى الفقرة التالية:

" لقد عبر جلالته نهر العاصى شمالى سوريا فوق مياه عاصفة ولكأنه ريشيف نفسه[٢٠]". ومن هذا يتبين دون شك أنه فى نظر المصريين فى أقل الأحوال، كان ريشيف يرتبط بالفتوحات الملكية فى أراضى الشمال بطريق مباشر فى شخص الفرعون والإله مونت، وبطريق غير مباشر من خلال وصله بشخص "حرى إس إف" وهرقل. كذلك نلمس صلة لاهوتيته بينه فى التماثيل والصور، حيث تذكرنا الآلهة المنقضة بسلاحها " برسوم المملكة الوسطى التى تمثل الفرعون وهو ينقض بضربته على رأس الأجانب[٢١]".

وتعترف الأستاذة إيدث بورادا (Edith Porada) الخبيرة فى دراسة الأختام، بوجود شبه بين صور سيزوستريس الأول وهو يرقص فى عيد يوبيله الفضى (حب سد Heb Sed) وبين صورة إله سورى فلسطينى للطقس، وجد تمثاله فى تل الضبعة وينتمى إلى قرن أو قرنين لاحقين ، إلا أنها تنبه إلى بعض الفروق فى أن " كعب القدم الخلفية للفرعون ترتفع عن الأرض، فى حين أن قدمى إله الطقس منبسطة فوق قمم الجبال التى يتربع فوقها. كذلك يبدو جذع الملك المصرى ساكنًا وهو يخطى خطى واسعة، فى حين أن جذع الإله السورى الفلسطينى ينحنى قليلاً إلى الأمام"[٢٢]. وفيما عدا ذلك الإختلاف، فإن أوجه التشابه قائمة لا شك بين الاثنين.

إن هذه القرائن من بلدان الشرق الادنى لا يمكن القول بوجودها منذ الألف الثالثة ق.م، ومن ثم لا يمكن أن نرجعها لتأثيرات مصرية من الدولة القديمة، وفى نفس الوقت نجد هذه الأشكال والتماثيل والصور قبل عصر فتوحات الدولة الحديثة فى سوريا فى القرن الخامس عشر ق.م، وعلى الرغم من أن فتوحات تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر ورمسيس الثانى فى القرن الثالث عشر قد أتت لتعزز من صورة الفرعون القوى الكاسح المنقض شبيه الآلهة، إلا أن هذا فى حد ذاته لم يكن المبرر الوحيد لتصوير الفرعون على هذه الشاكلة. هذا ومن المحتمل أن شكل القبعة الطويلة

المدببة عند الحيثيين قد تأثر بشكل التاجين القبلي والبحري عند المصريين، حتى مع وجود فوارق بين الإثنين.

وحتى في غياب هذه الصلة، فإن ظهور صورة إله منقض على العدو في ملامح فرعونية في هذا التوقيت بالذات، يمكن أن يفسر في يسر إن نحن سلمنا بأن الملك المصري سيزوستريس قد قام بالفعل بمعارك حربية في تلك المناطق.

وفي هذا السياق، يحسن بنا أن نورد فقرة أخرى من رواية هيرودوت التي سبق الإشارة إليها:

" لقد اختفت معظم الأعمدة التذكارية التي كان الملك سيزوستريس قد قام بنصبها في البلاد التي فتحها، على أنني قد شاهدت بعضا منها بنفسي في فلسطين، وقد نقش عليها ما سبق أن رويته مع رسم لأعضاء تناسلية للأنثى. وفي أيونيا أيضًا توجد صورتان لسيزوستريس منحوتتان في الصخر، واحدة على الطريق من إفيسوس إلى فوكيا، والأخرى بين ساردیس وسمرنا (أزمير)، وفي الحالتين فإن الشكل المنحوت يبلغ سبعة أقدام تقريبًا في الطول، ويمثل رجلاً ممسكًا بحربة في يده اليمنى ويقوس في يده اليسرى، مع بعض الأسلحة الأخرى المشابهة، منها ما هو مصري ومنها ما هو أثيوبي وفي عرض التمثال على الصدر من الكتف إلى الكتف يوجد نقش بالخط الهيروغليفي (المصري المقدس) يقول: بقوة كتفي تملكت هذه الأرض. ولكن النقش يخلو من اسم الفاتح وموطنه"[٢٣].

إن الأرض التي يشير إليها نص هيرودوت تقع جنوبي حزام خرائب ميلارت (Mellart)، غير أن خرائب أخرى قد تم الكشف عنها في منطقة أفروديسياس بعد تسجيل هيرودوت لروايته، وهي تنتمي إلى نفس الحقبة التاريخية في جوف المنطقة ما وراء مدينة ميليتوس عند منتصف الطريق الساحلي الغربي للأناضول[٢٤]. وعلى هذا فإننا لو افترضنا أن سيزوستريس قد قام بفتوحات في الأناضول، فمن المحتمل أنه ترك فيها بعض الآثار. ومع ذلك ينبغي ملاحظة أن النقوش البارزة التي عثر عليها هناك ليست مصرية وإنما حيثية، ومن بينها النقش الذي تم الكشف عن هويته بدقة

على الطريق بين افيسوس وفوكايا . إلا أن التأثيرات المصرية تبقى واضحة فى صورة الملك الذى يرتدى القبعة الحيثية الطويلة، التى ربما قد اقتبست من التاج المصرى، كما أن الملك يمسك فى يده بمدراس الحنطة وهو رمز مصرى صميم للجلالة الملكية الفرعونية[٢٥].

وكما هى الحال مع الروايات المصرية عن سيزوستريس، فإننا نعتقد أن هيرودوت لم يخترع من عنده ما أورده عن الصلات القائمة بين النقوش التى شاهدها وبين التأثيرات المصرية. وأغلب الظن أن هيرودوت كان ينقل عما قد تواتر من مأثورات فى مناطق غربى الأناضول وأيونيا اليونانية[٢٦].

وتمدنا أسماء الأماكن أيضًا بقرائن تعزز من القول بالتأثيرات المصرية فى الأناضول. فلقد خلط الإغريق بين مدينة سينوبى على الساحل الشمالى للبحر الأسود وبين مدينة " سست إن حابى" (موضع إله النيل حابى) بجوار مدينة منف. ولقد استنتج الدارسون للعصر البطلمى فى مصر أن الإله سيرابيس قد جلبه البطالمة من بلدة سينوبى فى منقطة بونتوس بالأناضول. وهنا أيضًا يبدو التحوير والتلاعب اللفظى فى اسماء الأماكن بين " سست إن حب" حيث معبد العجل المقدس أبيس فى منف وبين بلدة سينوبى. وهذا التحوير والخلط قد لاحظناه من قبل فى الجزء الأول عند عرضنا للخلط بين الإسمين " حب" و " حابى" عند الكلام عن جماعة داناوس (Danaos) والضارعين" (Suppliants) ومن هذا يتبين أن الاسم الاناضولى سينوبى ذو أصول مصرية. ونجد مثالاً صارخًا على ذلك فى اسم مدينة أبيدوس عند مداخل البسفور والدردنيل، التى رأى فيها الأغارقة القدامى مثيلاً للمدينة المصرية " أبدو" ، والتى حورها الإغريق إلى أبيدوس فى كتاباتهم؛ وهى المركز الدينى الشهير حيث توجد مقبرة أوزوريس.

أما اسم بيزنطة على الجانب الأوربى للبسفور فهو مكتنف بالغموض، وإن كان نونوس العالم المصرى المتأغرق فى القرن الخامس ق.م قد جادل بأن اسم بيزاس مؤسس المدينة شبيه باسم كادموس وإخوته: كيلكس (ومنه اشتق اسم كيليكيا جنوب

شرقى الأناضول)، وثاسوس (ومنه اشتق اسم بلدة ثاسوس شمالى بحر إيجه)، وكان الإثنان قد استقرا فى هاتين البقعتين بعد أن أصابهما اليأس بحثًا عن أختهما المختطفة يوربا. يذكر أيضًا أن شخصًا آخر كان يطوف فى نفس المنطقة بحثًا عن موطئ قدم، وهو فتى من النسل الإلهى ولد لعلاقة كبير الآلهة زيوس مع الصَبية إيو (Io) فى هيئة نبته برعم سقطت من زيوس وهبطت من السماء، وكان اسمه بيزاس أيضا. وقيل إن بيزاس هذا كان قد ابتلع مياه أفرع دلتا النيل السبعة، ثم استقر على جانب البسفور حيث تتدفق المياه التى كانت الصبية إيو ابنه إيناخوس قد خاضتها فى هيئة عجلة صغيرة. ولقد اشع بيزاس الوليد بنوره على أهل تلك البقعة، عندما إستدار يطوق عنق ذاك العجل المجبون التى لا تلين"[٢٧].

وإن هذه الفقرة (للشاعر نونوس) كغيرها من الشعر القديم، مفعمة بالإشارة والمعانى الملغزة: فالضوء الذى يشار إليه هنا يقصد به فى أغلب الظن مدينة لامبساخوس (Lampsakhos) عند رأس مضيق البسفور والدردنيل. وأما العلاقات المعقدة بين الصبية إيو والأبقار ونهر النيل وإيناخوس، فقد قمنا بمناقشتها جميعًا فى الجزء الأول[٢٨]. وفى هذا السياق ينبغى أن نضيف أنه كان ينظر إلى البسفور على أنه الموضع الذى خاضه " العجل المحمل " زيوس وعلى ظهره الفتاة يوروبا التى كان قد اختطفها وهو يتنكر فى هيئة العجل، وفر بها قباله الغرب، وهذا العجل " المخبون " الوارد فى النص هو زيوس دون شك. ويمكن القول أيضًا أن إشارة نونوس ربما تفيد الإشارة إلى الفرعون سيزوستريس كتجسيد للإله الحارس لحملته على تلك البلاد فى الشمال، وهو الإله العجل مونت بمعنى الحافى أو الراعى.

أما بيزاس على ما يبدو فهو اسم موازٍ لشخصية أسطورية أخرى هو بينيوس وهو ابن أجينور وشقيق كادموس، وكان قد استقر فى نفس البقعة التى استقر فيها بيزاس عند بقعة ثينيا (Thynia) التى تفصل بحر مرمرة عن البحر الأسود. وكنا قد ناقشنا فى الفصل الثالث احتمال اشتقاق اسم فينيوس أو بينيوس من الكلمة المصرية بانوى ((P3nw(y)) وهى اللفظ المذكر لماء النيل أو فيضانه[٢٩]. وفى هذه الحال فإن

المضاهاة بين فينيوس وثينيا تقودنا إلى القول بأن ثينيا مشتقة من الكلمة المصرية "تانوت" (T3nwt) (وهي المؤنث لسريان ماء النيل)، وهي من أسماء الأماكن المألوفة في مصر[٣٠]. وهذه الأسماء جميعًا تبدو متسقة مع الأسماء التي خلقت على المضيق الذي كان المبحر من البحر المتوسط يعبره للولوج في مياه البحر الأسود.

إن القرائن التي نستخلصها من دلالات أسماء المواقع الجغرافية ليست يقينيه، لأنه حتى لو سلمنا أن هذه الأسماء ترجع إلى أصول مصرية، فإنه يصعب علينا أن نحدد الفترة الزمنية التي تم فيها ذلك، وعلى يد من على وجه التحديد؛ فلربما أن هذا قد وقع وقت حملات سيزوستريس، ولربما أيضًا على الأرجح أن يعود هذا إلى أوقات تواصل مباشر في فترات لاحقة أو عن طريق الفينيقيين أو الأغارقة الذين كانوا على إدراك واع للقواعد المصرية في إطلاق المسميات على الأماكن. وفي العصر الكلاسيكي، كانت المؤثرات المصرية على طول السواحل واضحة وجلية، فالمدائن الممتدة من ملطية ولسبوس حتى لامبساخوس وكيزيكوس على الشاطئ الجنوبي لبحر مرمرة كانت جميعًا تصدر عملات مزدانة برأس الإله المصري آمون[٣١]. وهنالك اسم هام ووحيد يشير إلى المؤثرات المصرية في الفترة الزمنية التي نحن بصددها، وهو مقبرة البطل ممنون على سواحل بحر مرمرة. وهذا ما نناقشه فيما يلي من فقرات.

إن نفس القدر من الغموض يصادفنا عند محاولة تحديد الفترات التاريخية التي وقع فيها تماثل عقائدي بين مناطق شمال غربي الأناضول وبين العقائد المصرية، خاصة فيما يتصل بآلهة الخصوبة، والموتى فمثله في اوزوريس المصري، وأدونيس السامي، وأتيس (Attis) الفريجي في شمالي الأناضول. وهذا ما سوف نعرض له في الجزء الثالث[٣٢]. ويحدثنا هيرودوت عن حكاية الطفلين اللذين أتي بهما قبل أن يسمعا أي كلام منطوق (بناء على أمر الفرعون بسماتيك)، وكيف أن أول ما نطقا به كان كلمة " بيكوس" (bekos)، وهي كلمة فريجية تعني " الخبز"، وقد أخذ هيرودوت من هذه القصة دليلاً على أن اللغة الفريجية هي أقدم اللغات في العالم، بل إنها أقدم من اللغة

المصرية نفسها[٣٣] ولكن علماء اللغويات المحدثين يصنفون اللغة الفريجية ضمن أسرة اللغات الهندو- أوروبية ، فى المعنى الضيق للكلمة. وهى بذلك تكون أقرب كثيراً زمنياً من اللغة المصرية القديمة. وعلى كل حال، فمن الطريف أن نلحظ أن الأقدمين كانوا قد وجدوا فى فريجيا منافساً يضعونه فى مواجهة مصر العريقة. والواقع أنه كانت هنالك أوجه شبه بين العقيدتين الفريجية والمصرية القديمة، ولابد لنا من التساؤل عن الوقت الذى وصلت فيه المؤثرات المصرية إلى أراضى فريجيا. ولا يمكن بحال أن نرجع هذه التأثيرات إلى وقت الحملات المحدودة التى شنها الملك سيزوستريس على أراضى فريجيا. وخلافاً للحال مع أسماء البلدان التى لا يمكن رصد تتابع زمنى دقيق لنشأتها، فإنه يمكن القول أن العبادات الفريجية ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد. وخلاصة القول أن التواصل الحضارى بين مصر وفريجيا كان متاحاً فى القرن العشرين قبل الميلاد.

تراقيا وسكيزيا

بالنسبة لأخبار الفتوحات المصرية فى القرن العشرين ق.م فى مناطق شمال غربى الأناضول، وكذا أخبار الغزوات الإغريقية لنفس المنطقة، فإن هذا سوف تتم مناقشته لاحقاً فى هذا الفصل. أما فى هذا الجزء فإنا نركز على المؤثرات المصرية على الجانب الآخر للبسفور أى فى منطقة تراقيا.

لقد كتب هيرودوت وكتاب آخرون لاحقون عن عبادة التراقيين للإله ديونسيوس فى أوساط جماعات قبلية على الأطراف عرفت باسم ساتراى (Satrai) ، وبيسوى (Bessoi)[٣٤] وسوف نحاجى فى الفصل السابع بأن الاسم " ساتراى" ومثيله "ساترووى" مشتقان من أصول لغوية مصرية وبالتحديد من كلمة " سن ترو" (Sntrw) وفعلها (Sntr) سنتر بمعنى يكرس أو يدشن.

وبالمثل فإن الاسم " بيسوى" مشتق من الكلمة المصرية " بسو" (Bsw) بمعنى

"المريدين" من الفعل " بس" (bs) الذى يعنى أيضًا القيام بتدشين. وعندها سوف نطرح أيضًا وجهة نظرنا فى أن أسماء أخرى للآلهة التراقية من قبيل: بنديس (Bendis)، وسيبازيوس (Sebazios) ذات أصول مصرية. كذلك سوف نلفت الإنتباه إلى التماثل فى الطقوس الأورفية(*) بين المصريين والفريجيين.

على أننى أود التنبيه هنا إلى أننى لست أول من لفت الأنظار إلى هذا التماثل فى العقائد بين الحضارتين الفريجية والمصرية، فلقد أشار عدد من الدارسين إلى وجود بنية تحتيه من أصول " ليبية" وتراقية تساهم فى تفهم أوجه الشبه بين العقائد التراقية - الفريجية من جانب وبين العقائد الإفريقية. ولكنا نقول بوجود تأثيرات مصرية على العقائد التراقية - الفريجية تحديداً[٢٥].

وكما هى الحال مع فويجا فإنه يصعب علينا وضع تواريخ بعينها للتأثيرات المصرية فى تراقيا. لقد كانت عبادة أوزوريس منتعشة رائجة فى الأسرة الثانية عشرة، ويبدو أن عبادة ديونسيوس قد اشتقت من هذه العبادة الأوزيرية، وبالمثل كان آمون الذى يصور الكبش المصدر الذى اشتقت منه عبادة الكباش المتصلة بكبير الآلهة

(*) الأورفية : نسبة إلى أورفيوس ابن كاليوبى إحدى الربات التسع للحكمة والفن والموسيقى من بنات زيوس. ولقد برع الفتى أورفيوس فى العزف على قيثارته حتى أن الحيوانات الضارية كانت تنصت إلى أنغامه فى أنسة مذهلة. وقد تزوج أورفيوس من الجميلة يوريديكى، ولكن أحد الأشرار ويدعى ارستايوس راح يطاردها أملاً فى مطارحتها الغرام، ولكن الفتاة فرت من وجهه، وفى أثناء فرارها داست على حية فلدغتها الرقطاء وأودت بحياتها. هرع أورفيسوس هابطًا إلى العالم السفلى (هاديس) أملاً فى استرجاع زوجته إلى عالم الأحياء، وبعد لأى نجح بفعل نغم قيثارته فى استمالة برسيفونى حارسة العالم السفلى، فسمحت له باصطحاب زوجته، شريطة أن يمضى إلى عالم الأحياء دون أن يلتفت إلى الوراء للنظر فى وجه زوجته التى كانت ستتبع خطاه. وعندما اقترب الإثنان من مشارف عالم الدنيا صعوداً من العالم السفلى، نسى أورفيوس نصيحة برسيفونى ونظر إلى خلفه. وعلى الفور اختفت يوريديكى من الوجود.

بعد هذه الصدمة المأساوية راح أورفيوس يهيم على وجهه حتى أمسك به التراقيون ومزقوه إربًا. وقيل أن أورفيوس صار يعلن فى كل البقاع عن كرهه لجنس النساء بعد فقدانه للحبيبة يوريديسى. وقد حدث أن طفت رأس أورفيوس المقطوعة حتى وصلت جزيرة لسبوس حيث تم دفنها. ولقد نشأت حول أورفيوس عبادات متعددة لها طقوس خاصة تتصل بثنائية الخير والشر فى الطبيعة البشرية، إلى جانب الاعتقاد فى تناسخ الأرواح. والأورفيون شديدو الحرص على الزهد والطهارة وكبح جماح الجسد، وقد جعلوا من "هيديسى" موضعًا للجحيم؛ حيث يعاقب الأشرار على آثامهم. ولقد راجت الأورفية فى بلاد اليونان فى القرن السادس ق.م، وورثها عنهم الرومان فيما تلا من تاريخ. (المترجم).

اليونانية زيوس. وربما أن هذه العبادات المصرية قد وصلت إلى تراقيا زمن الفتوحات المصرية لهذه المناطق. وقد وفدت من مصر أيضًا بعد تلك الحقبة عبادات أخرى كثيرة، منها عبادة " بس " (Bes) رب الاستهلال، وجب/ أورفيوس. ولقد وصلتنا عملات من تراقيا تحمل رأس آمون مما يؤكد وجود تأثيرات مصرية بالفعل هناك[٣٦]. ويمكن التدليل على وجود هذه التأثيرات المصرية فى أوائل الألف الأولى قبل الميلاد من واقع تواجد الفينيقيين فى مناطق شمالى إيجه فى تلك الفترة، وذلك على ضوء المادة التاريخية والأثرية وأسماء الأماكن، وأيضًا على ضوء المقارنة بين العقائد هنا وهناك. والمعروف أن الفينيقيين آنذاك وقبلها بكثير كانوا قد استوعبوا الكثير من مفردات الحضارة المصرية ونقلوها معهم فى أسفارهم وترحالهم[٣٧]. ورغم وجود قرائن قوية عن التأثيرات المصرية الحضارية فى تراقيا، فإنه لا يكن ردها إلى بدايات الألف الثانية وقت حملات الفرعون سيزوستريس.

أما بالنسبة سكيثيا (shy thia) ، فعلى قدر ما أتيح لنا من علم فلسنا نظن بأن سيزوسترس أو أى مؤثرات مصرية أخرى قد وصلت إلى بلاد سكيثيا جنوبى روسيا. وحتى مع التسليم بأخبار مرور جيش إفريقى عبر تلك المناطق، فليس محتملاً أن الذاكرة الشعبية لشعوب تلك المنطقة قد وعت تلك الأخبار أو حفظتها، ويرجع ذلك إلى الفوضى السياسية التى كانت تعتمل دون هوادة فى مناطق الاستبس بشكل عام، هذا بالإضافة إلى غياب أى سجلات مكتوبة لألفين تلت من السنين. أما بالنسبة للجانب الشرقى للبحر الأسود فالأمر مختلف تماماً.

هل كانت كولخيس مستعمرة مصرية ؟

تمثل كولخيس منطقة ذات تاريخ عريق حضاريًا ولغويًا. ويوجد فى هذه المنطقة نمطان من اللغات القوقازية: الكرتفالية (Kartvelian) ومن أبرز فروعها اللغة الجورجية، والأبخازية (Abkhaz) وهى واحدة من لغات شمال غربى القوقاز. وهاتان اللغتان هما

لسان أهل تلك البقاع من قديم الأزمان، والتفسير الوحيد الذى طرأ كان وقت الفتوحات العربية للمناطق الداخلية لتلك البلاد ما بين سلسلة جبال ايبيريا - جورجيا حتى الساحل، وذلك فى القرن التاسع للميلاد. والحق أن سكان مناطق غربى كرتفيا الأصليون على السواحل الجنوبية المدارية لكولخيس شمالاً وجنوبًا قد بقوا على لسانهم الأصلى، ثم اختلطوا بالإفخاذ [٣٨].

وفى الأزمنة التى تلت ذلك، دخلت مجموعات لغوية أحدث إلى تلك البلاد وهى الأرمينية والإيرانية والتركية تباعًا ، إلا أن سمة الاستمرارية، والهجرات المارة عبر القوقاز، وعزلة موقع البلاد الجبلية قد عملت على خلق تنوع ملحوظ فى لغات المنطقة. ولقد لاحظ سترابون فى القرن الأول للميلاد أنه شاهد أناسًا من سبعين قبيلة يختلطون معا فى أسواق ديوسكرياس (Dioskyrias)، وهى مدينة سوخومى (Sukhumi) الحديثة[٣٩]. وتتضح على الساحل خلطة إثنيه (عرقية) قد رأى فى هذا التنوع نتاج اختلاط للأجناس لألوف من السنين[٤٠].

على ضوء هذه الخلفية يمكننا أن نعاود مطالعة ما كتبه هيرودوت فى وصفه لحملات الفرعون سيزوستريس:

" فى رحلة عودته وصل سيزوستريس إلى نهر فاسيس (Phasis) وأغلب الظن أنه ترك بعضًا من رجال جيشه للاستقرار فى تلك المنطقة، وربما أن نفرًا من رجاله كانوا قد ملوا الحرب فتسربوا من جيشه. ولست فى وضع يمكننى من ترجيح أى من الإحتمالين، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أهل كولخيس من أصول مصرية. ولقد لاحظت هذا بنفسى دون أن اسمع ذلك من أحد. وعندما طرحت بعض الأسئلة فى كل من كولخيس ومصر، وجدت أن أهل كولخيس يتذكرون المصريين بشكل أوضح من تذكر المصريين لهم، وإن كان المصريون قد قالوا أيضًا أن أهل كولخيس من بقايا رجال جيش سيزوستريس"[٤١].

ياسون والفروة الذهبية

كدليل على وجود شعب أسود البشرة فى كولخيس

من أهم المأثورات فى منطقة البحر الأسود ما تواتر عن مغامرات جيسون بحثًا عن الفروة الذهبية". ولقد سجل لنا هذا الأمر بوضوح الكاتب أبوللونيوس الرودى فى عمله بعنوان " أرجوناوتيكا " (Argonautica) (*) أثناء إقامته فى مدينة الإسكندرية فى القرن الثالث ق.م. والأرجوناوتيكا أسطورة تبدأ بحكاية الملك أثاماس من أورخومينوس فى منطقة بوؤتيا، الذى كان مترددًا فى تقديم ولديه فركسوس وهيللى قربانا إلى كبير الأرباب زيوس على قمة أحد الجبال. وأمام هذا التردد، أرسل زيوس كبشًا فداءً للصبيين. وحمل الكبش الأخوين على ظهره وخاض مضيق البسفور والدردنيل، وأثناء العبور سقط الصبى هيللى(**) من على ظهر الكبش فى الماء. وواصل الكبش رحلته عبر البحر الاسود قبالة كولخيس. وفى كولخيس تم نحر الكبش أضحيةً، وبقيت فروته الذهبية إلى أن سرقها المغامر جيسون . (Jason) .

لقد لاحظ مايكل أشتور شبهًا واضحًا بين هذه القصة وبين أضحية إبراهيم بابنه إسحاق، ويعتقد أشتور أن أسطورة أثاماس هى من نتاج تأثيرات سامية على بلاد اليونان[٤٢]. ومع هذا فإن الأستاذ ر.أ. يارازبوى (R.A. Jarrazbhoy) يؤكد على أهمية موضوع الكباش وقرائنها فى العقائد المصرية، ويدلل على ذلك بفقرة وردت عند هيرودوت يشرح فيها الأسباب وراء إحجام أهل طيبة على نحر الكباش؛ ذلك أن إلههم أمون كان فى هيئة الكبش، ويضيف هيرودوت على ذلك قائلاً:

" ومع ذلك فإنه وقت الاحتفال بعيد آمون / زيوس الذى يقام مرة واحدة كل عام، فإن الناس يكسرون هذه القاعدة ويقومون بنحر أحد الكباش، ويقطعونه قطعًا ثم

(*) أرجوناوتيكا: مغامرة بحرية على ظهر سفينة اسمها Argo (أرجو) للحصول على الفروة الذهبية ، قام بها البطل ياسون ، كأحد شروط عمه لاسترداد عرش والده المسلوب الفها أبو للونيوس تقليدا للأوديسيا الهوميرية ، وتحديا لقول كاليما خوس الشهير بأن الكتاب الكبير شر وبيل "
(Mega Biblion Mega kakon) (المحرر)

(**) ومن هنا جاءت تسمية " هيلليسبونت " Hellespont . (المترجم)

يسلخونه، ويضعون فروته على تمثال آمون (زيوس) تمامًا مثلما كانت تغطيه قبل النحر[٤٣]".

وفي تعليقه على هذه الفقرة خلص الاستاذ لويد (Lloyd) إلى أن وصف هيرودوت لهذا الطقس يبدو صحيحًا تمامًا[٤٤]. وسوف نقوم نحن من جانبنا بمناقشة العلاقات الحميمة المتشابكة بين آمون وزيوس والكباش في الجزء الرابع. ولكننا نود هنا إبراز نقطة هامة هي أن أهل طيبة في عصر الدولة الحديثة نقلاً عن طقوس الدولة الوسطى كانوا يصورون آمون في هيئة الكبش إلى جانب كونه مصدرًا للوحي[٤٥]. وهذا يعود بنا إلى كولخيس ومقولة سترابون بأن أهلها كانوا لا يضحون أبدًا بالكباش في بيت الوحي الذي كان قد أقامه فركسوس[٤٦]".

إن أوجه الشبه بين ما توارد عن فروة الكبش الذهبية في كولخيس وبين عبادة آمون في مصر تبدو واضحة جلية. ويلفت الأستاذ يارازبوي الأنظار إلى فقرة وردت في الأرجوناوتيكا ؛ حيث نجد الفروة الذهبية في حراسة إحدى الحيات. ويعزو الكاتب نفسه هذه الصورة إلى صور الإله آمون – رع برأس كبش ملكي لآمون يعلوه قرص الشمس رع برأس الحية. وإن صح هذا القول، فإنه ينطبق بشكل أدق على تأثيرات متأخرة تاريخيًا، لأن تصوير رع على هذه الشاكلة لم يحدث إلا في الأسرة الثامنة عشرة، كما أن المثال الذي يسوقه يارازبوي يعود إلى الأسرة التاسعة عشرة[٤٧]. وعلى العموم، فمثلما هي الحال مع العقائد الأناضولية، ليس لدينا قرائن عن زمن وصول هذه المؤثرات المصرية المفترض وصولها.

يعتقد أن رحلة ياسون البحرية قد وقعت في القرن الثالث عشر[٤٨] ق.م، ولسنا ندري إن كان لهذه الأسطورة ما يؤيدها تاريخيًا، فهي من بين حلقة الملاحم الباكرة، ويشير الشاعر هزيود إلى كل من فركسوس والفروة الذهبية[٤٩]، وعليه يمكن إرجاع هذه الأخبار إلى زمن هزيود نفسه أي إلى القرن العاشر ق.م وذلك في أقل التقديرات[*].

(*) لا يؤرخ لزمن هيسيود ، الان ، الا بالقرن ٨–٧ ق.م ، أي الثامن ، وليس قبل ذلك راجع / محمود السعدني ، تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ١٦٥–١٧١ (المحرر) .

ومع أنه يصعب الحكم على مدى دقة أبوللونيوس فى روايته عن كولخيس، إلا أن الأستاذ لانج (Lang) قد كتب يقول:

" مـن الملفت فى الأرجوناوتيكا وجدت ما يؤيدها فيما عثر عليه علماء الآثار، وفيما ورد فى مصادر حيثية وآشورية وأوراتية (Urartian) متفرقة. ويقدم لانج نقاطًا محددة عن الشعوب التى صادفها أبطال رحلة أرجوناوتيكا فى طريقهم إلى كولخيس. ويعزز لانج من أقواله بما أسفرت عنه حفائر العلماء السوفيت من دلائل تؤيد رواية أبوللونيوس[٥٠]. من ذلك يتأكد لنا أن أوصاف أبوللونيوس عن مناطق شرقى البحر الأسود تبدو موثوقًا فيها ليس فقط فيما يتصل بعصره، وإنما أيضًا للتسليم بكل ما كتبه عن كولخيس قبل ذلك بألف وستمائه عام، وإن كان ليس ثمة ما يدعونا لأن نرفض الفقرة التالية عن تاريخ كولخيس أو آييا Aea : " تخيل معى يوم أن لم تكن مجرات الكون قد أخذت بعد فى الدوران فى الفضاء - يوم إن كان البحث عن جنس الدانيين المقدس عبثًا وخواء - يوم إن لم يكن هنالك من خلق سوى بنو أبيدان (Apidaneas) من الأركاد؛ الذين قيل أنهم قد عاشوا قبل مولد القمر، وإقتاتوا على شوك شجر البلوط فوق قمم الحجر.. تلكم كانت الأيام الخوالى قبل أن يحكم نبلاء ديوكاليون (Deukalion) على أرض البيلاجيين - يوم أن كانت مصر عند فجر التاريخ، أمًا لجنس عريق، ومنبعًا للحنطة، ويوم أن كان النيل الذى يروى أرضها يسمى " تريتون"، ذاك النهر الكريم الذى يسرى فى أرض جرداء، وبفيضه يبعث الخضرة والنماء. وها نحن أولاء نعلم أنه من هذا البلد العريق خرج ملك على رأس رجاله الأشداء، يشق طريقه عبر بلدان أوروبا وآسيا، يؤسس المدائن فى كل صقع يتوقف عنده، وبعض هذه المدن لا يزال باقيًا حتى اليوم، والبعض الآخر قد تهدم من ثقل السنين ، إلا أن مدينة آييا بأهلها تقف صامدة حتى اليوم، وهؤلاء القوم هم من أصلاب جند هذا الملك المصرى، الذين استقروا فى تلك البقاع"[٥١].

إن هذه الفقرة جديرة بالاهتمام، فالحديث عن غياب المجرات السماوية أو توقفها عن الدوران يشير إلى زمن الاعتدالين الربيعى والخريفى الذى كانا نذيرًا " للسنة

العظمى" التى انقشعت معها مسافة ست وعشرين ألف سنة شمسية(٥٢). وهذه الإشارات عند ابوللونيوس، كمثيلتها عند أفلاطون فى حديثه عن قارة أطلنطى، تبدو متسعة فلكيًا مع ما تواتر من رموز رياضية وشعرية عن الأوقات التى سبقت مولد الحضارة اليونانية. أما اختيار اسم " تريتون لنهر النيل " فسوف نتناوله تفصيلاً فيما بعد، أما كلمة " أبيدان" (كدلى - إن) فيبدو أنها تشير إلى شبه جزيرة البلوبونيز فى واحد من الأسماء نادرة الاستخدام لشبه الجزيرة، والتى كنا قد ناقشنا نظرية أصولها المصرية فى الجزء الأول(٥٣).

وتأتى الإشارة إلى الملك المصرى الذى شق طريقه فى ربوع أوروبا وآسيا أغلب الظن إلى الفرعون سيزوستريس(٥٤). والمهم هنا أن نتبين إذا ما كان أبوللونيوس قد نقل عما جاء عند هيرودوت فيما يتصل بفتح المصريين لبلاد كولخيس بما فى ذلك من حكاوى مصرية معاصرة لهيرودوت؛ أم أن أبوللونيوس اعتمد على معرفة مباشرة ليست من هيرودوت فى شىء.

وكما ذكرنا سلفًا فإن أبوللونيوس قد أمضى معظم سنى حياته فى مدينة الإسكندرية، والأهم من ذلك أنه كان من مشاهير علماء عصره حتى أنه قد عُيِنَ أميناً لمكتبة الإسكندرية. هذا وتنطق دقة معلوماته عن البحر الأسود عن إلمام واسع بتاريخ المنطقة، فى استقلالية عن روايات هيرودوت. ولا شك فى أن الكاتبين - هيرودوت وأبوللونيوس- كانا يسجلان معلومات حقيقية كانت متداولة بين أهل كولخيس عن فتح مصرى لبلادهم. أما إذا كان أهل كولخيس قد اخترعوا ما قالوه لربط أنفسهم بحضارة مرموقة عريقة هى الحضارة المصرية، فهذا أمر لا يمكن فصل الحكم فيه!.

وعند هيرودوت دليل آخر لما يذهب إليه فى قوله " إن ما أذهب إليه من أقوال يستند إلى واقع آخر هو سواد بشرة أهل كولخيس وشعرهم الملبد كالصوف (وإن لم يكن هذا وقفًا عليهم)؛ والأهم من ذلك أنَّ أهل كولخيس مثل المصريين والأثيوبيين هم الوحيدون الذين يمارسون عادة الختان من قديم الزمان. ويعترف الفينيقيون والسوريون والفلسطينيون أنهم نقلوا هذه العادة عن مصر؛ فى حين أن السوريين

الذين يعيشون بجوار نهرى ثيرمودون (Thermodon) وبارثينيوس (Parthenius) وكذا جيرانهم المكرونيين (Macronians) فإنهم يقولون بأنهم قد تعلموا هذه العادة من فترة قريبة من أهل كولخيس... وهنالك أيضًا أمر آخر يؤكد الشبه بين أهل كولخيس والمصريين: فالشعبان يتبعان أسلوبًا واحدًا فى نسج الكتان بطريقة تختلف عن بقية الشعوب، هذا بالإضافة إلى الشبه فى أسلوب معيشتهم ولغتهم، والمعروف أن الكتان الذى يصنع فى بلاد اليونان يعرف باسم " السردونى" أما ذاك الذى يأتى من مصر فهو "المصرى"[٥٥].

ومن الجدير بالملاحظة فى الحديث عن الكتان أن تصنيعه كان من الأنشطة المميزة لسكان مناطق سواحل كوبائيس (Kopais)، وهناك دلائل قوية عن تأثيرات مصرية فى هذه المناطق كما بينا فى الفصلين الثانى والثالث[٥٦]. على أننا لا يمكننا تحديد الوقت الذى انتشرت فيه هذه الصناعة إلى بوؤتيا وكولخيس عن طريق التواصل. ومن الصعب أيضًا التحقق من مقولة هيرودوت عن انتشار صناعة الكتان وعادة الختان على وجه التحديد زمنيًا، رغم أنها قرينتان من أقوى القرائن.

ولدينا دليل آخر عن لون البشرة الأسود، فلم يكن هيرودوت الوحيد من الكُتّاب القدامى الذى ذكر ذلك ؛ فالشاعر بندار المعاصر لهيرودوت والأكبر منه سنًا، قد أشار إلى حملة ياسون ضد أهل كولخيس، " سود البشرة" على حد تعبيره. كما أشار بعض الكتاب اللاحقين إلى هذا الأمر نفسه، ولعلهم فى هذا قد تأثروا بما ورد عند هيرودوت فى هذا الخصوص[٥٧].

أما إذا إستعنا بالانثروبولوجيا الطبيعية فإنها أيضًا لن تف لحسم الأمر، فسكان الجبال من الأيبيريين والجورجيين يتسمون ببنية جسمية تشير إلى استمرارية بعيدة التاريخ فى الشبه، فهم – كما يتضح فى قوام الجورجيين الحاليين- يتميزون بالرأس القصيرة، وهذه سمة قوقازية أصيلة. وعلى النقيض من ذلك، نجد فى سواحل كولخيس خليطًا من أصحاب الجماجم الطويلة، ويرجح أنهم من أصول أفريقية[٥٨]. ويحاج الأستاذ ديمترى جوليا (Gulia) - عالم اللغات والاجناس الأبخازى- أن أهل كولخيس

من أصول حبشية – مصرية، وبأنه قد وجد تأثيرات مصرية في الأسماء الجغرافية في أفجازيا وفي أسماء آلهتها، بل وفي أسماء الناس العاديين[٥٩] والحق أنه يوجد في أفجازيا سكان سود البشرة كالأفارقة حول مدينة سوخومي حتى يومنا هذا، أي في شمالي كولخيس القديمة. ويظن أن بعض هؤلاء الأفارقة قد جلبوا كعبيد من أفريقيا عندما كانت أفجازيا جزءًا من الإمبراطورية العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. ورغم محاولات الاتحاد السوفيتي تفتيت أواصر هذه الجماعة السوداء تارة بالتفريق وأخرى بالتزاوج من أعراق أخرى، فإن هـذه الجماعة قد ظلت لا تتكلم إلا بلغتها الأبخازية[٦٠].

ولا يزال الجدل محتدمًا منذ قرن من الزمان في روسيا وجورجيا عما إذا كان هؤلاء السود من أحفاد الجماعة التي شاهدها هيرودوت بنفسه أم لا. ومنذ وقت قريب خرج العالم الأمريكي باتريك إنجلش (English) بمقالة تؤيد صلة هؤلاء السود بأفريقيا (وإن كانت المقالة قابلة للنقد). ويحاج باتريك أن وجود جماعة سوداء في كولخيس قد ظل متواترًا لردح طويل من الزمن، حتى إننا نجد إشارات لذلك في كتابات القديس جيروم وسوفرونيوس أيضًا في القرن الرابع للميلاد، أي بعد مضي ثمانمائة عامًا على عصر هيرودوت[٦١]. وهذا القول – إن صح – يضيق الفجوة بين الكُتّاب القُدامى والمحدثين إلى حوالي ألف ومائتين من السنين. ولا شك في أن وجود جماعات عرقية أصغر حجمًا في المنطقة حتى اليوم يعزز من فكرة استمرارية هذه الجماعات العرقية لردح طويل من الوقت، يُضَاف إلى ذلك أن الأحوال المناخية دون المدارية في كولخيس قد جعلها منطقة جذب للأفارقة منذ تاريخ قديم.

الجغرافيا الروحية

قد يبدو هذا المصطلح " الجغرافيا الروحية " غريبًا على الأذن ومعقدًا للغاية، ولكننا من خلاله سوف نتقصى التماثل في هذه الجغرافية بين مصر وكولخيس. وهذا يستوجب منا العودة إلى الفقرة التي سقناها سلفًا من أبوللونيوس:

" ..... تلكم كـانت الأيام الخـوالى قـبل أن يحكم نبـلاء ديوكـاليـون على أرض البيلاجيين..... يوم أن كانت مصـر عند فجر التاريخ أمًا لجنس عريق، ومنبتًا للحنطة، ويوم أن كان النيل الذى يروى أرضـها يسمى " تريتون"؛ ذاك النهر الكريم الذى يسرى فى أرض جرداء ويفيضه يبعث الخضرة والنماء"[٦٢].

وكما لاحظنا فى الفصل الثانى، فإن كلمة " تريتون" ذات صلة بالكلمة المصرية "تريت" (Tryt) بمعنى " الاحترام أو الوقار" وهو الاسم الذى كان يطلق على العديد من الأنهار فى ليبيا. وتريتون فى الميتولوجيا اليونانية هو ابن الإله بوسيدون[٦٣]. ويتابع أبوللونيوس الأمر فيضيف الآتى:

".... وإلى يومنا هذا بقيت آيـا بأهلها الذين تحدروا من أصـلاب الرجـال الذين كان الفرعون المصرى قد وطّنهم فيـها. وزيادة على ذلك، فإن هؤلاء المستوطنين قد حفظوا لنا لوحات من الحجر كان أسلافهم قد حفروا عليها خرائط توضح حدود برها وبحرها ومسالك الجـهات الأربع الأصلية. وعلى هذه الخرائط يوجد ذراع لنهر يمثل أبعد وسعٍ لمجرى المحيط، وهو نهر عريض وعميق يسمح بملاحة السفن التجارية فيه. وقد أحلوا موقع هذا النهر على مسافة شاسعة من آيـا، وأطلقوا عليه نهر " إستر" (Ister) (وهو الذى تعارف الدارسون على أنه نهر الدانوب). وتتدفق مياه هذا النهر من منطقة ما وراء الريح الشمـالية من جبال ريبايان (Rhipaean) . وبعدها ينسـاب هذا النهر وسط سهول شاسعة فى مجرى واحد. ولكنه عندما يصل حدود تراقيا وسكيثيا ينقسم إلى فرعين، فرع قبالة البحر الأيونى (الأسود)، وآخر (الرون) نحـو الجنوب، حيث يصبح خليجًا عميقًا يمتد إلى البحر الصقلى، وهو بحر يلاطم سواحلكم إن صح اعتقادى بأن نهر أخيلوس (Achelous) المنساب من بلاد اليونان يصب فيه أيضـًا"[٦٤].

عند هذا المنعطف من ملحمة " الأرجوناوتيكا" نجد تحولاً فى مساقها من مغامرة محدودة متزنة على شواطئ البحر الأسود إلى اندفاعه محمومة تجتاح أوربا والبحر المتوسط. وبذا تغلب السمات الكونية على الحدود الجغرافية فى القصيدة الكبيرة.

على أن الإشارة إلى نهرى النيل والدانوب تكتسب دلالة خاصة، ولسوف نوضح فى الفصل التالى أن الإسم المصرى " إترو" (Itrw) كان يستخدم لوصف النيل أو المياه

الغزيرة أو المحيط حول العالم، وهذا ما نجده أيضًا عند اليونان في استخدامهم لجذر كلمة " أتلا" (Atla) التي منها اشتقت كلمة " الأطلنطي" ، ومنها أيضًا اشتق اسم نهر الدانوب. ولكن أبوللونيوس في هذه القصيدة يتكلم عن مضمون جغرافي شمولي جامع يجمع بين ما هو أرضي وسماوي، روحاني وجهنمي، كي يبين في نهاية المطاف مسار رحلة أرواح الموتى في العالم الآخر.

وانا لنجد هذا النمط من الجغرافيا في محاورة أفلاطون بعنوان " فيديون"، حيث يتحدث أفلاطون عند آخر مقولات سقراط عن لحظة موته المرتقبة وعن الخلود:

" يقيني أن الأرض جد كبيرة، وبأننا نحن الذين نقطن ما بين أعمدة هرقل ونهر فاسيس (Phasis) نحتل رقعة ضئيلة حول البحر، كالنمل أو الضفدع حول إحدى البرك – ولكن هنالك العديدين من البشر الآخرين يقطنون في بقاع أخرى شبيهة ببقعتنا(٦٥)".

وإن هذا التصور الكوني الجغرافي تصور ونغلق على ذاته: فهو يتخذ من البحر المتوسط والبحر الأسود مركزًا تصب فيه أنهر أربعة أو أكثر من محيط سماوي أو أرضي من حول الأرض. ولقد جاء تفسير عملية البخر بفعل حرارة الشمس لمياه البحر المتوسط على أنها " إنسياب إلى الهاوية تحت الأرض، كما صورها هيرودوت نقلاً عن هومر(٦٦). أما مجاري المياه الأربعة فهي: نهر النيل من الجنوب، والماء المتدفق من الأطلنطي عبر أعمدة هرقل من الغرب؛ ونهر الدانوب (والريون والبو) من الشمال، ثم نهر فاسيس من الشرق.

هل " كاش " وكولخيس من اشتقاق مصري؟

مع افتراض أن الأرض التي ينبع منها نهر النيل، والأرض الخصيبة لنهر فاسيس في بلاد كولخيس تمثلان نقطتي قطبي الأرض، وبأن أهل هاتين الرقعتين كانوا سود

البشرة ؛ فهل كان للرقعتين اسم واحد هو " كاش" أو كولخيس؟ وقبل أن نخوض في هذا الأمر، نود ان نتفحص بعض الأمثلة التي قد توحي بإمكانية خلع أسماء جغرافية على البحر الأسود. ولقد عالجنا من قبل اسمي " سينوبي" و "أبيدوس"، ولكن هنالك أيضًا مثالاً آخر أكثر أهمية نجده في كلمة بونتوس (Pontos) . هذه الكلمة هي التي أطلقها الكتاب في العصور الكلاسيكية على البحر الأسود، وكذلك على الساحل الشمالي للأناضول، والساحل الجنوبي لروسيا. والكلمة واحدة من مجموعة كلمات يونانية كثيرة بمعنى " البحر".

ويرجح أنها من جذر هندو - أوروبي (بنت Pent بمعنى : يمشي أو يسار)، ومنها جاءت الكلمة اللاتينية (Pons, Pontis) بمعنى القنطرة أو الممر". وكما يتضح من العرض التالي، فإنه رغم أن سكان المناطق الساحلية ينظرون إلى البحر كعائق أو حد، إلا أنه لا يوجد في الأصول الهندو- أوروبية للكلمة ما يوحي بهذا المعنى. ومن ثم ليس هناك ما يحول دون النظر إلى البحر لا كعائق وإنما كممر أو منطقة عبور. ويتفق هذا المعنى مع الاستخدام الشائع للهلسبونت (البسفور والدردنيل) فهي نقطة وصل بين بحر ايجه والبحر الاسود، وإن كان إطلاق هذا الاسم (هليسبونت) على الأرض على جانبي بونتوس (البحر الأسود) يمثل مشكلة أخرى، وفي هذا المجال تجدر الإشارة إلى كلمة مناظرة في الاسماء الجغرافية عند المصريين القدماء وهي كلمة " بونت" أيضا، وهي البلاد التي كان المصريون يبحرون إليها حول البحر الأحمر والمحيط الهندى للوصول لجلب منتجات المناطق المدارية (من صمغ ولبان وبخور وعطور). ومع أننا لا نجد في السجلات استخداما لهذا الاسم عند المصريين ليشير إلى أراضي مناطق الشمال، إلا أن العادة قد جرت عند قدماء المصريين بإطلاق الاسم الجغرافي نفسه على مكانين في آن واحد. ويرد هذا التناظر عند الكتاب اليونان والرومان بين الشرق والمغرب[٦٧]. كما سنلاحظ ذلك عند الحديث عن مكانين يحملان اسم أثيوبيا. أما في مصر، واتساقا مع سريان النيل من الجنوب إلى الشمال، فإن نقطتي التناظر هما بالضرورة الجنوب والشمال؛ مع ملاحظة أن جل مدن مصر السفلى لها أسماء تناظرها في مصر العليا، وينطبق نفس الشيء على أسماء الأماكن الأجنبية؛ مثلما أوضحنا في موضع سابق عن " ست" (St) الشمالية والجنوبية، ونجد نفس الشئ في الاسم " تانتر"

(T3 ntr) بمعنى " الأرض المقدسة"، والتى قصد بها الأرض الممتدة من الأناضول إلى شرق أفريقيا أى نطاقين جغرافيين ، أحدهما فى الشمال والآخر فى الجنوب.

وبهذا يمكن القول بإمكانية تواجد بلاد فى أقصى مناطق الجنوب باسم " كاش" (K3s) أو بونت، وأخرى فى أقصى الشمال بنفس الاسم، وإن كانت ليس لدينا قرائن تؤيد هذا المذهب.

هذا ولا نكاد نعرف جذوراً لغوية لاسم كولخيس، ولربما أن الاسم قد اشتق من الجذر "خالك" (Chalk) الذى نجده فى أسماء أماكن أخرى مثل خالكيس أو خالكديكى. "وخالك" هذه تعنى " البرونز" أو المعدن بصفة عامة، وهى مشتقة – فى تقديرنا – من الجذر السامى " آخلك" (hlq) بمعنى " الليونة" أو "طرق" المعادن وتصنيعها. والواقع أن هذه المنطقة قد اشتهرت بمواردها المعدنية الغنية، ومن ثم فإن اسم كولخيس قد اشتق إما من جذور سامية أو يونانية، أو من غيرهما من اللغات الأخرى العديدة التى كانت منتشرة فى غربى منطقة القوقاز[٦٨].

وهناك أيضًا احتمال ثالث: فالقديس جيروم وكذلك سوفرونيوس من أهل القرن الرابع للميلاد يشيران إلى كولخيس قد اشتق من كلمة " كاش" (k3s) وهى الاسم المصرى القديم لمناطق فهو " كوس" (Kus) وإن كان قد ورد فى الترجمة السبعينية للتوراة باسم " خوس " (Xous) ، وهى تشير أيضًا إلى أثيوبيا. وكنا قد بينا فيما سبق دلالات استخدام حروف (أ – د – ل) كحروف ساكنة، والمعروف أن اللغة المصرية القديمة تسمح بإبدال حرف الشين بحرف الحاء، كما أن الإعلال (القلب إلى حرف العلة) من الامور الشائعة فى اللغة العبرية. كل هذا يشى بوجود حرف متحرك (واو أو ياء) يوائم صوتيًا بين " كوس" وكولخيس.

وإذا ما قبلنا بالاشتقاق اللغوى المصرى، فإن صيغة كولخيس توحى بنطق الكلمة فى عصر الدولة الوسطى: " كاس " حيث يكون الحرف الأوسط ساكنًا، خلافًا لما صار إليه الحال فى عصر الدولة الحديثة التى حفظت لنا النطق العبرى للكلمة " كوس" وهذا يقودنا إلى الأسرة الثانية عشرة، فهى الأسرة الوحيدة قبل الدولة الحديثة التى وصلت

فيها المؤثرات المصرية الثقافية إلى هذه المناطق الشمالية النائية، ومن الناحية السيمانطيقية (دلالات الألفاظ) فإن كلمة " النوبة" مثل كلمة كولخيس تحملان معنى الثروة المعدنية من الذهب، كما أن الأحوال المناخية فى المنطقتين متشابهة، ذلك أنَّ كوس كانت تنعم بخضرة مزدهرة فيما وراء الجزء الصحراوى السفلى، وهى حتى أيامنا هذه تنعم بقدر من الأمطار.

زنوج كولخيس وعيلام

يعترض أمر التوفيق بين كوس وكولخيس كثنائى متماثل جنوبًا وشمالاً ما ينادى به الكثيرون من العلماء اليوم بأن كلمة كوس الواردة فى التوراة تشير إلى النوبة أو الحبشة. والكلمة فى نفس الوقت تشير إلى منطقتين أخريين هما أهل مَدْين(*) (Midiantes) قرب الجزيرة العربية، وأهل كاشو (كاسو) أو الكاسيين شرقى بلاد الرافدين الذين سيطروا على بلاد ما بين النهرين لردح من الزمن فى الألف الثانية قبل الميلاد[٦٩]. ويبدو أنه كان لكل من هاتين المنطقتين اسم خاص بكل منهما وأن كان الاسم متشابها. وفى الحالين فإن هذا الاسم كان يطلق على سكان سمر أو سود البشرة. وبهذا فإن كوس باتت تستخدم أيضًا للدلالة العرقية لهؤلاء القوم، ثم ما لبثت أن انسحبت على جماعات سمراء البشرة فى " مدين" جنوب شرقى كنعان، وهم حتى يومنا هذا، مثل أهل أقاصى جنوب الجزيرة العربية، يشبهون فى لون بشرتهم أهل الصومال ومناطق شمال شرقى أفريقيا.

والكاسيون الذين توطنوا أصلاً على أطراف بلاد الرافدين يتلون لغزًا محيرًا؛ ولكى نقتفى أصولهم ينبغى أن نُلْقِى نظرة على حضارة العيلاميين الذين عاشوا فى منطقة سوسيانا (Susiana) وهى خوزستان الإيرانية الآن أى المنطقة السهلية شرقى نهر الدجلة وبعض الأجزاء من المرتفعات الإيرانية.

(*) هى منطقة شمال غرب الجزيرة العربية الآن ، وحيث مدائن صالح الصخرية الجليلة من القرون الميلادية الأولى . (المحرر)

وكان ذلك قبل حلول الجماعات الناطقة بالبيرانية فى الألف الثانية قبل الميلاد[٧٠]. ولقد بات مؤكداً اليوم أن العيلاميين ينتمون إلى شجرة العائلة الكبرى للغة الدرافيدية[٧١]. ومن المحتمل أيضًا أن بعضاً من الناطقين بهذه اللغة من أصول هندية جنوبية، وهم أكثر سمرة من سكان المناطق الغربية. ويظن أيضًا أن جماعات زنجية كانت موجودة أيضاً فى منطقة عيلام[٧٢].

ولقد علق الأستاذ هنز (Hinz) عمدة الدراسات العيلامية على نقوش وجدت على قرميد مزجج تصف فرقة الحراسة الخاصة بالملك الفارسي دارا، حول سنة ٥٠٠ ق.م، قائلاً:

" إن بعض الحراس بيض البشرة وهم من أصل فارسي وإن كانوا يرتدون الزى العيلامى، و البعض الآخر أصحاب بشرة قمحية اللون، وفريق ثالث منهم أصحاب بشرة داكنة أقرب إلى السواد. وهؤلاء الأخيرون من العيلاميين من دواخل البلاد. وحتى يومنا هذا تجد رجالاً داكنى البشرة، وإن لم يكونوا زنوجًا فى منطقة خوزستان"[٧٣].

وأما هيرودوت الذى كتب عن جيش دارا نفسه، بعد زمن هذه النقوش بعشرين عاماً، فإنه يشير إلى العيلاميين فى مناطق الشمال بقوله:

" يوجد فى جيش (دارا) فصلان من الأثيوبيين: الشرقيون الذين كانوا فى الخدمة مع الهنود وهم يشبهون الأثيوبيين من المناطق الجنوبية الشرقية اللهم إلا فى اللغة وشعور رأسهم غير المجعدة، فى حين أن شعور الأثيوبيين فى ليبيا مجعد ومتموج بشكل ليس له مثيل آخر فى العالم"[٧٤].

يفهم من هذا النص لهيرودوت أنه يميز بين شكل شعر الرأس عند الأثيوبيين الشرقيين وبين شكله المتجعد الذى يميز أهل كولخيس، وبهذا فإن الحديث ليس مُنْصبًا فى الأصل على أهل كولخيس كما قد يفهم البعض.

على أن الحديث عن إثيوبيين ليس بالأمر الجديد، فهو متواتر عند الكُتَّاب قبل عصر هيرودوت: ففى الأوديسا مثلاً يرد وصف الأثيوبيين على أنهم " منقسمون إلى

فرعين متباعدين جغرافيا، قسم يعيشون حيث تغرب الشمس، والآخر حيث تشرق الشمس"[٧٥].

والحق أن الكلمة "أثيوبيا" تعنى حرفيًا " أصحاب الوجوه المحروقة" أو المحترقة من لهيب الشمس، وكانوا ينتشرون ما بين غربى ليبيا (أفريقيا) حتى شرقى بلاد ما بين النهرين.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: هل يحق لنا أن نضع ثنائية أثيوبيا فى خط متواز مع ثنائية كوس؟ لقد حاول بعض الكتاب الربط بين اسم " الخز" أو "الكز"، كما هى الحال فى اسم خوزستان (عيلام)، باسم كوس. والواقع انه توجد روابط تجمع بين عيلام وكوس، كما نطالع عند هيرودوت عن أرستاجوراس من ميليتوس الذى صاح وهو يتفحص خريطة الولايات الفارسية قائلاً: "ها نحن أولاء .. إلى الشرق بعيداً تقع كيسايا، ويمكنك أن ترى نهر خواسبيس (Choaspes) وعلى شطه مدينة سوسه"[٧٦]. كما أن سترابون قد أشار أيضاً إلى نفس المنطقة. هذا وتوجد إشارة حديثة إلى نفس الإسم فى مسمى نهر كشغان (Kashghan) فى خوزستان (عيلام). ويعزو الأستاذ "هنز" هذه التسمية إلى مؤثرات كيسانية[٧٧].

ولنعد الآن إلى الكيسانيين الذين كانوا يسمون فى العصر الأكادى باسم "كاشو" أو "كوشو". وأما الإغريق فكانوا يطلقون عليهم اسم "كوسايوى" (Kossaioi) ، وهو اسم – فى نظر العالِم المتخصص في الدراسات التوارتية ى.أ. سبايزر (E.A.Speiser) - متضمن فى منطوق حرف العلة فى لفظة كوس، وأن هؤلاء القوم قد أطلقوا على أنفسهم كلمة " جالزو" أو " جالدو" أو " جالشو"، ومن الأخيرة جاءت لفظة " كاشو" الأكادية[٧٨].

إن الموطن الأصلى للكيسانيين أمر صعب التحديد، وكل ما نعرفه حتى الآن أنهم قد وفدوا من أطراف الجبال المتاخمة لبلاد ما بين النهرين[٧٩]. وفيما بعد تركزت معاقلهم فى جبال زاجوراس شرقى بلاد الرافدين، ومن ثم فإنهم أصبحوا على صلة مباشرة بالعيلاميين وحضارتهم. وفيما تلا من تاريخ ظهر كيسانيوس فى عيلام نفسها، ويعكف العلماء المختصون على تعقب المؤثرات العيلامية فى اللغة الكيسانية[٨٠]. ومن

ناحية أخرى، فإن لون البشرة الأسود لبعض العيلاميين يسمح لنا بالقول بأن النظرة العامة لأهـل كيسان كانت على أنهـم " سود البشرة " ، وإن كان هذا الأمر موضع نقاش حاد.

من جهة أخرى ينبغى أن نضع شخصية نمرود الجبار الذى ورد ذكره فى التوراة كفاتح من بلاد ما بين النهرين ضمن هذا الإطار من البحث. فلقد وصف نمرود على أنه " ابن كوس "[٨١]. ولكن الأستاذ سبايزر – وهو الحُجة في هذا الحقل من الدراسات – يرفض أن يكون نمرود من أصول مصرية. فلقد جادل الأستاذ سيث بأن اسم نمرود مشتق من كلمة " نبمورايا" (Nibmuaria) التى يرى فيها تحريفًا بالخط المسامرى للكلمة المصرية " نب" (Nb M3't) وهو الاسم الذى أطلق على الفرعون أمنوفيس الثالث الذى عرف بفتوحاته الواسعة ونفوذه العريضة فى بلاد ما بين النهرين[٨٢].

ومع تسليمنا بوجود كوس شرقية، فإننا نتفق مع العلماء الذين لا يرفضون بشكل قاطع وجود صلات بين كوس الشرقية وبين أصول أفريقية. فإننا أميل إلى الاعتقاد بأن اللقب " نبر دت" (Nbr-dt) بمعنى " سيد الكون" الذى خلع على الفرعون سنوسرت الأول هو الذى اشتق منه اسم نمرود. وهذا اللقب لقب مرموق اختص به عدد قليل من الآلهة، ومن ثم فإنه يتفق مع ما ورد فى التوراة عن صفات نمرود من تجبر وكبرياء وتطلع إلى تألية ذاته[٨٣].

ويبدو الاسم " نبر جر – نب إر جر"(*) من الناحية الصوتية أكثر معقولية من شطحة الأستاذ سبايزر الذى يرجع اسم نمرود إلى اسم " تغلاط نينورتا" (Tikulti Ninurta) [٨٤] . فبغض النظر عن الإشكالية الصوتية للإسم الذى وقع عليه اختيار سبايزر، هنالك أيضًا إشكالات فى الدلالة: فالاسم ليس كيسانيا بالمرة وإنما هو اسم لزعيم أشورى قام بطرد الكيسانيين من بابل. كذلك فإن هذا الزعيم قد حكم فى القرن الثالث عشر ق.م، وهو التاريخ التقريبى لوقت تسجيل سفر التكوين التوراتى. كما أن وصف نمرود فى سفر التكوين والكتابات التلمودية على أنه " أول" الفاتحين

(*) يستخدم المؤلف " نب إر جت" مرة ثم يستخدم " نب إر= جر" مرة أخرى! (المترجم)

يوحي بأنه ينتمي إلى عصر أكثر قدمًا من تواريخ تغلاط وأمنوفيس الثالث وكاشو وملوك كيسان أو كاشو أنفسهم(٨٥).

ونرجو ألا يفهم من كلامنا أننا نحاول التوفيق بين شخص نمرود وبين الصورة التي وردت في النصوص العبرية عن الفرعون سيزوستريس؛ ذلك لأن الأوصاف التي جاءت عن هذا الصياد الفذ الذي قام بغزو البلاد ما بين جنوبي بلاد النهرين حتى أقاصي الشمال تتسق مع مسيرة الملك سرجون الأكادي أو حفيده نارام سن أكثر من انطباقها على أي من الفراعين. ونخلص من هذا كله إلى أن نمرود يمثل شخصية مركبة جمعت سمات الغزاة الكبار جميعًا: سرجون، نارام سن، وسيزوستريس. وحيث أن الأكاديين لم يكونوا على صلة بعيلام أو الكيسانيين، فليس أمامنا إلا أن نفترض أن نمرود ينحدر وشجرته العائلية من شخص الفرعون سيزوستريس.

موجز للنظريات حول استعمار مصر لبلاد كولخيس

أغلب الظن أنه كانت توجد جماعتان من سود البشرة في منطقة جنوب غربي آسيا في الألف الثانية والألف الأولى ق.م: جماعة لها ملامح وأصول أفريقية ربما أنها اكتسبت اسمها من لفظة كوس المصرية (بمعنى أثيوبيا) ولم يُطلَق الكُتَّاب الإغريق على هؤلاء اسم " الأثيوبيين"، وإنما جاءت التسمية من كتاب تاريخ الكنيسة في عصور لاحقة، والجماعة الثانية من أصول آسيوية توطنوا في عيلام، وأطلق عليهم أيضًا اسم "الأثيوبيين"، ولقد استخدمت أسماء عديدة لوصفهم من بينها لفظة " الكوس" ، وأغلب الظن أنَّ هؤلاء قد وَفدوا من منطقة كيسان المجاورة، وهم الذين خلفوا على أنفسهم التسمية بالأثيوبيين.

ومهما كان الأمر، فمن المؤكد أن كلاً من هيرودوت، وأبوللونيوس، وديودور كانوا على إقتناع بأن كولخيس تعمر بسكان سود البشرة من بقايا حملة الفرعون سيزوستريس. ويزعم هيرودوت أنه قد حصل على معلوماته من أهل كولخيس أنفسهم

وليس من المصريين، بل إنه يقول أن المصريين أنفسهم لم يكونوا على دراية بأمر "مستعمرتهم" فى كولخيس، ومن المحتمل أن ديودور قد بنى روايته على معلومات استقاها من مصر. أما مصادر أبوللونيوس فهى غير معروفة، والأرجح أنه قد استقاها من هيرودوت ومن الكهنة المصريين ومن كتابات أخرى مبكرة زمنياً. ومن ناحية أخرى، فإن الكثير مما ورد فى ملحمة أبوللونيوس يكشف عن معرفة دقيقة بأحوال السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأسود، ولذا فإن الأرجح أن أبوللونيوس قد استقى معلوماته من واقع أرض كولخيس نفسها، مثلما هى الحال مع روايات هيرودوت.

نخلص من كل ذلك أنه فى النصف الثانى للألف الأولى ق.م كان الاعتقاد عند أهل كولخيس أن بلادهم قد تأسست على يد فرعون مصرى، هو سيزوستريس فى أقوى الاحتمالات. ولربما أن هذا الاعتقاد كان على غير أساس تاريخى، وإنما قد تولد عن رغبة لدى أهل البلاد لربط أنفسهم بأسلاف متحضرين، وأيضاً لتفسير الشبه بينهم وبين المصريين، ولشرح دلالة لون البشرة الأسود لبعض سكان كولخيس. ومهما كان الأمر، فإن أهل كولخيس يبقى مشكلة مطروحة فى حاجة إلى إجابة شافية. لقد حاول الأستاذ بيرتون (Burton) الاجتهاد فى ذلك عندما تعرض لدراسة زنوج أفجازيا فى القرن العشرين الحالى، فقال الآتى:

" إن زنوج أفجازيا هم الجماعة الزنجية الوحيدة التى نلقاها فى العالم القديم خارج القارة الإفريقية وسواحل المحيط الهندى. ومن الواضح أنهم ليسوا من نسل بقايا جيش الفرعون سيزوستريس ؛ لأننا لا نعلم أن أياً من فراعين الأسرة الثانية عشرة قد توغل فى فتوحاته بعيداً إلى جوف هذه المناطق. ومن ثم فإن أصول هذه الجماعة الزنجية فى أفجازيا تبقى لغزاً غامضاً"[٨٦].

وخلاصة القول أنه فى غياب دليل دامغ على أن كولخيس كانت من نتاج حملة الفرعون سيزوستريس، فلا حيلة لنا أن نسلم أيضاً بوصول جيش أفريقى بالفعل إلى مناطق شرقى البحر الأسود فى القرن العشرين قبل الميلاد.

بلاد الرافدين وإيران

لم يدَّع هيرودوت أن الفرعون سيزوستريس قام بغزو بلاد ما بين النهرين أو إيران. أما ديودور فيقول بأن سيزوستريس قد قام بغزو هذين البلدين بالفعل. وفيما يبدو أن ديودوروس قد استقى هذه الأخبار مما كان المصريون يذيعونه وقت فتوحات الإسكندر الأكبر وذلك للرفع من هيبة مصر في نظر ذى القرنين. وبطبيعة الحال فإن هذا التجاه الدعائي لم يكن موجوداً أيام هيرودوت لسبب بسيط هو أن هيرودوت قد عاش قبل مولد الإسكندر بقرن كامل من الزمان. أيضًا عندما كان ديودور يسجل تاريخه كان مصطلح " آسيا" قد اتسع كثيراً إلى أبعد مما كان يظنه الأقدمون بأن منطقة الأناضول هي آسيا كلها.

على أن بعض الروايات حول شخص البطل الأسطورى ممنون، (وهي أقدم تاريخيا)، تشير إلى جيش إثيوبي كان قد قام بغزوات في مناطق نينوى وسوسه، وإن كان يمكن تفسير هذه الإشارات على أنها تخص، الأثيوبيين من سكان عيلام . غير أنه لا توجد في السجلات المعاصرة أو اللاحقة أية إشارة إلى غزاة مصريين وفدوا على بلاد الرافدين.

ولكن هذا لا يعنى أنه لم تكن هنالك مؤثرات حضارية مصرية على بلاد الرافدين، خاصة بعد التدهور الذى أصاب مملكة آشور في القرن التاسع عشر ق.م، مما أدى إلى إنهيار نشاط آشور التجارى في شرقي الأناضول وجنوبي القوقاز.

على أن احتمال قيام حملات مصرية على إيران مروراً ببلاد الرافدين أمر وارد أيضًا، وإن كنا نفتقر إلى دلائل من السجلات المحلية العيلامية أو من بلاد الرافدين. وعليه، فإنه من باب إيثار السلامة في القول، يحسن أن ننظر إلى أختام حجر اللازورد والأختام الإيرانية التي تم العثور عليها في منطقة الطود (Tod) على أنها وصلت إلى هناك مع التجار الآشوريين القادمين من الأناضول (أنظر الفصل الخامس).

الأساطير اليونانية حول ممنون وفتوحاته فى الأناضول

لقد اعتمد كل من هيرودوت وأبوللونيوس وديودور على مصادر مصرية وكولخيسية فى رواياتهم عن فتوحات سيزوستريس المصرى. وبالمثل فإن ما تواتر من أخبار فى "رومانسية سيسخونيس" يعود أيضًا إلى منابع مصرية[٨٧]. وليس هذا الاعتماد على المنابع المصرية بالأمر الغريب، نظرًا لما يعتور التاريخ اليونانى من فجوات خاصة من الفترة ما بين عامى ١١٥٠ ، ٨٠٠ ق.م، والمعروفة باسم "عصر الظلمات" هذا بالإضافة إلى ان فتوحات سيزوستريس لم تمس بلاد اليونان (كما يقول هيرودوت)، أو أنها مست فقط نقاط الأطراف كما يقول ديودور فى حديثه عن إخضاع الفرعون لجزر الكيكلاذيس[*] اسلطانه.

ورغم ذلك فهناك روايات عند الإغريق تشير إلى هذه الفتوحات المصرية، وإن كانت تتركز حول أيونيا على الشاطئ الغربى للأناضول. والمفترض أن هذه المنطقة كانت قد خضعت لتوسعات الجيوش المصرية. ولكن الأساطير الأيونية تخلو من أية إشارة لاسم الفرعون سيزوستريس، وبدلاً منه نجد اسم البطل ممنون[٨٨].

ويتضح التضارب بين الروايات المصرية والأناضولية الغربية فيما نجده عند هيرودوت فى وصفه " لصورة محفورة لشخص من مصر أو أثيوبيا" فى غربى الأناضول، والتى قال بعض من شاهدوها أنها للبطل ممنون، وإن كافة ذلك بعيدًا عن الصواب، فهى أقرب إلى شخص سيزوستريس"[٨٩].

أما نحن (المؤلف) فسوف نحاج بأن ممنون الذى يشار إليه هنا هو أمنمحات الثانى ابن الفرعون سيزوستريس. وقبل أن نخوض فى هذا الجدل، يحسن بنا أن نتفحص ما كان فى خواطر الإغريق عن شخص البطل ممنون: إن أول إشارة إلى

(*) الكيكلاذيس مجموعة جزر جنوبى بحر إيجه، وقد سميت هكذا لأنها تنتظم فى شكل دوائر (Kuklos)، وكان أهلها يتحدثون اللهجة الأيونية . وتشمل جزر: ديلوس، خيوس، ناكسوس، باروس، اندروس، ثينوس. (المترجم). وكذلك راجع / محمود السعدانى ، تاريخ وحضارة اليونان القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ٥٠-٥٨ ، خاصة جزيرة ثيرا (Thera) أو - كما تسمى اليوم - ساندورينى . (المحرر)

الشخص ممنون قد جاءت فى كتابات هزيود عن " مولد الآلهة"؛ حيث يقول أن إيوس ولدت لرجلها تيثونوس صبياً نحاسيَّ العُرف هو ممنون الذى صار ملكا للأثيوبيين[٩٠]. وفي روايات أسبق لشهادة هزيود، نجد صورة لممنون في عدة حربية مهيبة وهو يهب لنجدة أهل طروادة ضد الإغريق، ثم يقوم بقتل أنتيلوخوس ابن نستور، حتى يتمكن البطل الاغريقي آخيل آخر الأمر من قتل البطل ممنون. لقد وردت هذه الأخبار فى مختصر للحمة بعنوان " الإثيوبى" للكاتب أركتينوس من مليتوس[٩١]. والمفترض أن أركتينوس قد عاش فى بدايات القرن الثامن ق.م، ومن المعلوم به أن كلاً من هزيود وهومر[*] كانا على علم بهذه الرواية. وبذلك يمكن إرجاع هذه الرواية إلى القرن العاشر ق.م، عندما كان هزيود يسجل مؤلفة عن الآلهة أو ربما قبل ذلك ببعض الوقت.

ولقد كشف الأستاذان كلارك، وكولسون- وهما من عمد الدراسات الكلاسيكية فى القرن العشرين - عن التطابق المذهل بين وقائع وفاة البطل ممنون والشخصية الاسطورية باسم ساربدون. وساربدون هذا هو المسمى الذى اتخذه شقيق لمينوس. ورادامانتيس، وهو الذى قام بتأسيس مملكة ليكيا جنوبى الأناضول، كما أنه هو الذى قاد فرقة الليكيين وحلفائهم الذين هُرِعُوا لنجده الطرواديين ضد الإغريق، إلى أن قتل (ساربدون) على يد باتروكلوس الرفيق الحميم للبطل آخيل. ويحاج الاستاذان كلارك وكولسون بأن " شاعر الإلياذة لابد فإنه كان على دراية بالأحداث التى وقعت لكل من أنتيلوخوس وممنون فيما ورد فى نص رواية "الأثيوبي"، وان كان هومر لم يذكر هذين البطلين في ملحمته، وإنما اكتفى بقصة ساربدون بدلاً من ذكر شخص ممنون"[٩٢]. على أن أستاذ الكلاسيكيات جويجورى ناجى (Nagy) يستنكر ربط المصير الذى لقيه ساربدون بالمصير الذى آل إليه ممنون، ويعلل وجه الشبه فى المصيرين على أنه نتيجة لرواية واحدة عن بطل واحد، ثم أنه يؤيد أسطورة ممنون أكثر من الأخذ برواية ساربدون[٩٣].

(*) يقدم المؤلف الشاعر هيسيود على هوميروس وهو خطأ تاريخى واضح إذ يفصل بينهما على الأقل قرن من الزمان ، فجاء هيسيود بعد هوميروس واستفاد من ملاحمه الأسبق . (المحرر)

ولمزيد من المعلومات الأربعة حول اركتينوس راجع the Oxford Classical Dictionary , 2nd ed .1970 (Rep.1972),pp.388-389 s.v Epic Cycle

ومن الصعب للغاية أن نحدد أى المعلومات التى وردت لاحقًا مُستقاة من القصة الأصلية، وأيها قد أُدخِلَ على الأصل. ومع ذلك فإن بعض الأفكار تتأيد مصداقيتها من واقع بعض القرائن التى نجدها فى رسومات القرن السادس ق.م وفى كتابات القرن الخامس ق.م: ففيها يرد شخص ممنون دائمًا على أنه ابن لإيوس وتيثونوس؛ وفيها أيضًا نجد قصة التنافس بين ايوس ووالده آخيل وهما تتوسلان إلى زيوس كى يبقى على حياة ولدها، وأيضًا ما جاء عن وزن روح كل من البطلين فى كفة الميزان. إن كل هذه الروايات تعود إلى تاريخ قديم[٩٤]. ولما كان عنوان الملحمة الضائعة هو " الأثيوبى" بكل تفاصيلها، فإن " إثيوبية" ممنون ولون بشرته الأسود تصبحان فكرة محورية فى الأسطورة[٩٥].

ومن ناحية أخرى هناك شك فى تحديد أى من الإثيوبتين جاء منها ممنون[٩٦]. وما من شك فى أنه قد قدم إلى طروادة من ناحية الشرق، خاصة وأن هيرودوت يصف بلده سوسة فى عيلام على أنها " مدنية ممنون"[٩٧]. وبعد زمن هيرودوت ببضع عقود نجد الملك الفارسى أتاكركسيس الثانى يتلقب باسم " ممنون"؛ ربما ليضفى على شخصه شيئًا من الشرعية والقبول لدى رعاياه من العيلاميين بعد أن اتخذ من مدينة سوسة عاصمة شتوية له. كل هذا يشير إلى أن ممنون فى ذلك التاريخ كان يمثل البطل القومى لأرض عيلام. كذلك يشير أستاذ الكلاسيكيات البلجيكى جوسينز إلى ما ورد عند سترابون نقلاً عن مسرحية الشاعر ايسخولوس المفقودة بعنوان " ممنون " أن والدة ممنون كانت من أهالى سوسة. ومع أن حقيقة ما قاله سترابون على وجه الدقة أنها من أصول كسيانية (دون تحديد لمدينة سوسة). وبغض النظر عما كان يضمره سترابون، إلا أن ما صرح به يجعل والدة ممنون " كوشيه" أو سوداء البشرة[٩٨]. ويحاج الاستاذ جوسينز أن حكاية الأصول " السوسية" لوالدة ممنون هى الأقدم والأصل، وأما الروايات التى تجعلها من أصول جنوبية فقد جاءت متأخرة زمنيا، ويتفق الأستاذ سنودن (Snowden) مع حجج جوسنز فى هذا الأمر[٩٩]. وفى مقابل هذا الرأى، نجد الصورة المتواترة عن البطل ممنون " أسود اللون صاحب الشعر المجعد" مع خلط بين شخصية وشخص الفرعون سيزوستريس، كما ورد عند هيرودوت[١٠٠].

المهم في هذا الجدل أن نوضح أن أثيوبيا عند الإغريق كانت تعنى لهم اثيوبية إفريقيا الوسطى، وتكشف التصاوير الشخصية التى عثر عليها فى جزر بحر إيجه والتى ترجع إلى القرن السابع عشر ق.م، فى أقل تقدير، عن وجود زنوج أفارقة فى جزر بحر إيجه نفسها.

ومهما قيل، فإن الجدل حول أى الاثيوبتين الشرقية أم الجنوبية كانت الموطن الأصلي للبطل ممنون جدل قديم، كما وأن الدلائل على مصداقية هذه النظرية أو تلك دلائل هزيلة حقًا[١٠١].

ولقد حاول بعض الكُتَّاب التوفيق بين النظريتين، من ذلك ما كتبه كتزياس من كنيدوس الذى كان طبيبًا خاصًا فى بلاط الملك الفارسى ارتاكزركسيس حوالى سنه ٤٠٠ ق.م، حيث يقول:

" عندما كان تيوتاموس سيداً على آسيا - شن الإغريق حملة على طروادة بقيادة أجاممنون.... وأما بريام ملك طروادة الذى كان تابعًا (فصلاً) لملك الآشوريين فقد أرسل سفارة إلى الملك يطلب منه العون. - فأرسل إليه الملك تيوتاموس عشرة آلاف جنديًا أثيوبيا ومثلهم من أبناء سوسة إلى جانب مائتين عربة حربية.... وعين قائداً لهذه الحملة هو ممنون ابن تيثونوس." [١٠٢].

نسب ممنون

استخدم الكُتَّاب اللاحقون الروايتين السابقتين المختلفتين فى تتبع نسب البطل ممنون، وإن كانت نسبته الإفريقية - الأثيوبية - المصرية أكثر وجاهة وقبولاً. وقبل أن نناقش هذا كله، نود أن نُعَرِجَ على الجوانب الأسطورية فى الحكاية كلها، بدءًا بنسب هذا البطل الذى كثر الجدل من حوله: إن اسم والدة ممنون هو " إيوس" (Eos) ، وهذه الكلمة هي صيغة المؤنث لتجسيد "الفجر" (طلوع الشمس)؟ والفجر هو المشرق الذى منه تبزغ الشمس كل صباح، ومن ثم فإن الاسم يحمل دلالة "الشرق"[١٠٣]. أما أبوه

تيثونوس فهو شخصية أكثر تعقيداً، فطبقًا للشاعر هومر، كان تيوثونوس شقيقًا للملك بريام سيد طروادة، كما أن الكاتب كتزياس يجعله على صلة بملك اشور، كما سبق أن بينا[١٠٤]. وبالنسبة لهومر، فإن تيوثونوس يرتبط بالمشرق، فشاعرنا يردد العبارة التالية مرتين في ملحمته:

" وها هى سيدة الفجر تصحو من

خدرها

تتثاقل من جوار مليكها

المهيب تيوثونوس "

إن المشكلة تصبح أكثر تعقيداً إذا نحن تمعنا فى الأصول اللغوية الأفرو- أسيوية لاسم ممنون، وهذا ما سوف نتصدى لمناقشته فى الجزء الرابع. وبصفة عامة يمكن لنا القول بأن أصول هذا الاسم قد جاءت من منبعين:

الأول من جذر سامي هو " طيت" (Tit) بمعنى " الطين" يلاحقة تخفيف للنطق هى حرف النون، لتؤدى الكلمة معنى " المطمورين فى الطين" أو " الموتى الراقدين فى جهة الغرب". ومن نفس هذا الجذر السامى أيضًا إشتق الأغارقة اسم " الوحوش أكلة لحوم الاطفال" (تيتياس) (Titias) أو تيتيوس أو التيتان[١٠٥].

أما الأصل السفلى للكلمة فهو قريب من الاصل الأول وهو " ددن" / دتن/ تدن" (Ton/Dtn/Ddn) الذى يعنى جهة من الجهات الأربع الأصلية الجغرافية، مشيراً إلى شعب متبربر كانوا يعيشون غربى بلاد النهرين وجنوبى سوريا وفلسطين. وهذه الأسماء السامية – السومرية تتصل باسم المعبود " ددون" (Down) الذى كان معروفًا فى بلاد النوبة فى الجنوب، وفى ليبيا غربى مصر[١٠٦].

وكانت عبادة " دتون" وثيقة الصلة بعبادة أمنى/ آمون الذى له جذور نوبية وأثيوبية ومصرية بطبيعة الحال.

والمعروف أيضًا أنه كانت لكبير أرباب اليونان زيوس صلات قديمة مع الأثيوبيين[١٠٧].

ويسبب هذا الغموض حول أصول تيثونوس (أو تدن) من شرقية وغربية وجنوبية فيما عدا الشمالية، فلقد اتفق على أنه كان يعيش على شواطئ المحيط الذى كان يغلف العالم، وتلكم هى الصورة الإغريقية فى وصف موطن الأثوبيين. أما عن صلاته مع زيوس/ آمون/ أمنى، فمن المهم أن نوضح أن كلمة " إمنى"(Imn) فى المصرية تعنى أيضًا "جهة الغرب"، ويقابلها فى السامية كلمة "يمنى" (Ymn) بمعنى " اليد اليمنى"، والتى تضئ أيضًا جهة الجنوب[١٠٨].

وأغلب الظن أن تشخيص تيوثونوس على أنه " مشرقى" الأصل أو آشورى الأصل على وجه التحديد، قد جاء من عند شعب " تدن" (Tidn) وهم شعب متبربر كانوا يعيشون فى الصحراء غربى بلاد النهرين. ومن الأرجح، كما هى الحال مع قضية الأثيوبتين، أن تيوثونوس كان من أهل أطراف العلم، أى من أقاصى الجنوب الشرقى، مثل ابنه ممنون فيما بعد، والآن فلنتتبع العناصر الأسطورية فى سيرة ممنون ابن تيوثونوس[١٠٩].

ممنـــون وأوزيريس

لقد نجح العالم روبرتسون سميث رائد دراسات الديانات المقارنة فى القرن التاسع عشر فى رصد ملمح مهم للبطل الأسطورى ممنون فيما وقع من خلط بينه وبين البطل الكنعانى " نعمان" (Naaman) الذى يعنى اسمه " الغالى" أو" العزيز"، وهى الصفة نفسها التى خلعها الإغريق على أدونيس أحد أربابهم الذى اخترم فى ريعان شبابه. ولقد أُشتُق اسم أدونيس من الكلمة الكنعانية "أدونى" (Adoni) بمعنى "سيدى" ، كما أن الزهرة اليونانية" أنيمونى" (Anemone) تبدو هى أيضًا مشتقة من لفظة "نعمان"

الكنعانية. وسواء كانت هنالك صلة لجمع بين هذه الاسماء أو لا، فإن لدينا ما يسمح بالقول بوجود صلة شبه بين غزوات البطل ممنون وما تواتر عن كل من أوزوريس وديونسيوس في فتوحاتهما، مع ملاحظة أن أوزوريس وديونسيوس يناظران أدونيس[١١٠]. يذكر أيضاً أن مناطق شمالي وغربي الأناضول كانت تقدس إلهاً للزرع اخترم هو أيضاً في صور شبابه واسمه " آتيس" (Atis) ، وكانت طُقُوس عبادته شبيهة بتلك الخاصة بكل من أوزوريس وأدونيس[١١١].

هذا ولقد كانت للبطل ممنون مقبرة في منطقة طروادة شمال غربي الأناضول وأخرى في بلدة بالتوس في سوريا، وأسماء هذه المقابر يقترن بأسماء الطيور السوداء (الغربان؟) المعروفة باسم " ممنوديز". ويقال أن هذه الطيور كانت في الأصل صبايا في رفقة البطل ممنون، وعندما مات البطل بلغ حزنهن عليه هؤلاء بعيداً، حتى إن الآلهة أشفقت عليهن فحولتهن إلى تلك الأطيار المتشحة بالسواد[١١٢]. ويمكن لنا أن نجد تفسيراً لهذه الحكاية من منظور التاريخ الطبيعي، ذلك أن تجمع هذه الطيور حول القبر في طروادة ما هو إلا الهجرة السنوية للطير من أواسط أفريقيا، وهذه ظاهرة كان الإغريق على دراية بها منذ عصر هومر[١١٣]

أما على الصعيد الأسطوري، فإن ما قيل عن هذه الطيور يبدو مستلهما من قصة تحول إيزيس ونفتيس إلى شكل الطير من فرط الحزن والبكاء على موت أوزوريس[١١٤].

ويمكن تفسير لون بشرة ممنون السوداء من واقع تشبهه بأوزوريس الذي كان يصور ببشرة سوداء[١١٥]. ومن المفيد هنا أن نلاحظ أن أهم مقبرة لأوزيريس وأهم مركز لإقامة طقوس عبادته كانا في بلدة اسمها أبيدوس، وليس من باب الصدفة أن تكون مقبرة ممنون في أعمال طروادة على مسافة خمسين ميلاً من مدينة تحمل نفس الاسم المصري " أبيدوس".

أما ما قيل عن وجود مقبرة لممنون في بلدة بالتروس في سوريا، فيعيدنا إلى حكاية " نعمان " الكنعاني أو أدونيس والصورة المتواترة عن جماله الفتان عند اليونان. وهذا يطابق وصف هومر لممنون بأنه " أكثر الخلق وسامةً في طرواده"[١١٦]. كذلك

فإن ممنون كغيره من أبطال الإغريق الآخرين، يشبه أوزوريس في أنه يلقى الموت ثم يبعث للخلود من جديد.

ونرجو ألا يسوقنا كل هذا التشابه بين سيرة ممنون وأوزوريس إلى غير حدود؛ ذلك أنه في الأسطورة الأوزيرية يبعث أوزوريس بالجسد؛ في حين أن أساطير ممنون تخبرنا بأن جسده قد أحرق، وبأن الطيور السود قد انبثقت من الدخان المتصاعد من رماد الجسد المحترق. وهذا أمر شبيه بما نسمعه عن طائر العنقاء (Phoenix) التي قيل أنها ولدت من داخل الرماد. وبهذا البعد تنبني الصلة بين ممنون وعبادة الشمس في هليوبوليس (أون) المصرية، والتي سوف نناقشها في المجلد الرابع. وجدير بالملاحظة أن ما يجمع بين دخان الرماد والطيور التي تحوم حول مقبرة ممنون هو سواد اللون[١١٧].

إن كل هذه الأوصاف تنطبق على بطل " اثيوبي" وان كان اللون الأسود هو الرمز القومي للمصريين القدامي، فكلمة "كمت" أي الأرض " السوداء" تعني أرض مصر، كما أن كلمة " كمت " مع أداة التعريق تعني المصريين.

وأخيراً ينبغي القول بأنه لم يكن أوزوريس وحده الذي صُوِّر ببشرة سوداء اللون، فلقد كان آمون كذلك. وهذا ما سنعرض له في الأجزاء التالية.

أبطال في كفة الميزان

يوجد بعد أسطوري آخر في حكاية ممنون يتصل بميزان الأرواح (Psychostasia, Kerostasia) . ولدينا وصف لأرواح الأبطال وهي توزن لتحديد أيها سوف يفوز في معركة دنيوية فيما جاء في وصف المعركة بين هكتور (الطروادي) وآخيل:

" وعندما رفع الأب الأكبر (زيوس) ميزانه الذهبي عالياً، ووضع في كفتيه قدر (Kere) كل من المتصارعين حتى الموت، ثم أمسك بالميزان من مركزه ورفعه إلى أعلى، إذ بقدر هكتور المحتوم يتثامل نزولاً كمن يهرول إلى العالم السفلي (هاديس)" [١١٨].

وهــذه الفكرة عن وزن الأرواح كانت معروفة فى أماكن أخرى سواء عند الإغريق أو الطرواديين، ولكن إشارة هومر إليها تمثل أهمية خاصة. ولقد لاحظ العالم الألمانى ديتريش بأن ورود مسألة وزن الأرواح هكذا باختصار شديد عند هومر يوحي بأن هذا المفهوم كان راسخًا ومألوفًا في أذهان كل من هومر وقراءه[١١٩]. ويقول الأستاذ ج.أ. لونج (G.E.Lung) استاذ الكلاسيكيات الألمانى فى هذا الخصوص – مع شيء من التحفظ – أنه قد عثر على كفتى ميزان من الذهب فى أحد المقابر فى بلدة موكيناى (Mycenae)[١٢٠].

من الواضح أن الأساطير اليونانية تقول بطقس وزن روحي ممنون وآخيل، كما أن هناك إشارة إلى "الميزان" (Talanta) أيضًا عند وفاة البطل ساربدون، والتى رأى فيها كل من كلارك وكولزون شبها بقصة ممنون[١٢١]. وتأتي تصاوير العصر لتعزز من مسألة وزن الأرواح لكل من ممنون وآخيل، هذا إلى جانب تصوير لوالدة آخيل (ثيتيس) وإيوس والدة ممنون وهما تتوسلان إلى زيوس، كل من أجل ولدها[١٢٢]. ولقد وفق العالم لونج فى التحقيق من سبعة رسوم على أوان تمثل وزن روحي ممنون وبه آخيل، ثم أضاف العالمان كلارك وكولزون ثلاثة رسومات أخرى إليها[١٢٣].

وهذا التطابق بين وزن الأرواح عند اليونان وبين وزن أرواح الموتى لتقرير الصالح منها من الطالح عند قدماء المصريين، تطابق مذهل فطن إليه الجميع منذ وقت مبكر فى القرن العشرين الميلادى ولقد أقام الأستاذ أوتو جروب (Gruppe) مقارنة بين الحالين، فوضح أن اليونان يجعلون من هرميس صاحب دور بارز فى يوم الميزان، مثلما يتولى نظيره المصرى تحوتى (توت) تسجيل ما تسفر عنه الأوزان، كما يتضح من النقوش المصرية العديدة[١٢٤]. ولكن الأستاذ لونج يعيب على جروب بأنه " لا يمكن أن نستنتج من هذا الشبه وجود مؤثرات مصرية على اعتقاد اليونان في وزن الأرواح، والأحرى أن نقول أن ما يقوم به هرميس يتوافق مع ما يؤديه تحوتي"[١٢٥].

يقدم لنا هذا الجدل بين المتخصصين مثالاً جيداً على ما قد يتورط فيه العلماء عندما يعثرون على " نموذج " أو مثال لا يحتوى على المفردات الكافية لتأييد وجهة النظر هذه أو تلك بشكل حاسم. وهذا ما نتبينه فى النموذج الآتى.

وحقيقة الأمر أن هناك فرقًا بين الحالين المصرى واليونانى: فعند المصريين ليس ثمة مقارنة بين روحين من الأرواح وإنما ميزان لروح واحدة على كفة مقابل ريشة (Swt) فى الكفة الأخرى للميزان. وإن كان من شئ يبرر نظرية جروب فهو ملاحظة أن هرميس ليس نظيراً لتحوتى فقط وإنما أيضاً لأنوبيس الذى يرد فى " كتاب البعث وقت النهار" ضمن الآلهة فى المحكمة ووقت الميزان. وفى تقديرنا أن الامتزاج بين العقيدتين المصرية واليونانية فى عصور لاحقة قد أوجد هذا التقارب والشبه فى مسألة الميزان[١٢٦]. وفى حالة وزن روح ممنون، نجد هرميس أحيانًا فى دور أنوبيس المصرى وهو يرشد خطى الروح من حياة الدنيا عبر بوابات الموت إلى دار الخلود[١٢٧].

الأرواح اليونانية والمصرية

اعتقد علماء مدرسة الإسكندرية وشُرَّاح النصوص اليونانية القديمة أنه يوجد تعارض بين " وزن الأرواح " (Kerostasia) عند هومر وبين وزنها عند الشاعر اسخيلوس الذى يستخدم لفظة (Psychostasia) .ولكن العلماء الألمان فى القرن التاسع عشر رأوا فى هذا مجرد حذلقة هلينستيه، وأن لفظة " كير" (Ker) هى الصيغة الأقدم للفظة " بسيخى" (Pysche) ، وأن الإثنتين تمثلان شيئًا واحداً[١٢٨]. وإذا نحن نظرنا إلى الأمر من المنظور اليونانى، فإنه من الصعب حقًا أن نجد فرقًا بين الكلمتين؛ ولكن المدرسين فى الإسكندرية كانوا يكتبون وهم فى بيئة مصرية، وكان من الطبيعى أن تؤثر المفاهيم المصرية على كتاباتهم فى هذا الشأن الميتافيزيقى، وهذا يستوجب منا التوقف قليلاً عند الاشتقاق المصرى لهاتين الكلمتين:

إن كلمة " كير" (Ker) وأحيانًا " كار" (Kar) فى اللهجات الدورية والأيولية مصطلح ثرى فى دلالته الدينية. وما من شك فى أنَّ المعنى الأصلى للكلمة هو "القدر" أو المصير أو الموت العنيف. إلا أن هومر كان يستخدم نفس الكلمة بمعنى آخر هو "مصير" الإنسان الفرد أو " روحه" أيضاً، بل ومصير هذه الروح " المقدر" لها من لحظة مولده عندما يأتى الموت[١٢٩].

وقد كان هذا المعنى الهومرى قائمًا من قديم فى الصيغة التى كانت تستخدم فى احتفالات الأثينيين المعروفة باحتفالات " أنثيزيريا" (Antheseria) ، وهى المناسبة التى تقوم فيها أرواح الموتى بزيارة للأحياء، والتى كانت تنتهى بالعبارة التالية: " أيتها الأرواح (Keres) آن لك أن تنصرفى الآن، فلقد انتهت الأنثيزيريا"[١٣٠]. ومن هذا يتضح أن كلمة " كير " كانت تعنى فى الأصل " روح" الفرد، وليس للكلمة أصول هندو- أوروبية.

ومفهوم الكا (Ka) عند المصريين القدماء مفهوم محورى فى اللاهوت المصرى، وهو يتضمن دلالات لغوية أكثر خصبًا من المفهوم اليونانى، ولما كان اللفظ الهيروغليفى للكا يُخَطْ بحيث يمثل ذراعين مفتوحين أو متعانقين، فإن المعنى الأصلى للكلمة يتضمن الصلات بين الكائنات وبين إله وإله، وإله وبشر، وبشر وبشر. كذلك للكلمة المصرية دلالات عن صلة الأب بالإبن، وهذا قد اكسب الكلمة خاصية الديمومة الشخصية والخلود، خاصة فى السياق المستخدم بواسطة الملوك الفراعين. ومن هذا السياق الأخير اكتسبت " ألكا" معنى "الروح" أو " الشبح " . وفى عصر الدولة القديمة كانت الكلمة تستخدم بمعنى " رفيق الروح" أو " القرين "، الذى يلقاه الإنسان لحظة موته. ومن هنا ارتبطت الكلمة بمفهوم " القدر "[١٣١].

إن هذا التطابق الدلالى بين " كا " و " كير " يبدو أكثر وضوحًا من الاتفاق الصوتى بين الكلمتين. وفى اللغة الأكادية نجد لفظة "الكا" تتحول إلى " كو " (Ku) فى حين أن اليونانية فى عصرها المتأخر وكذا اللغة القبطية تحول الكلمة إلى: "كى" (Ke) ، أو "كاى" (Ki) ، أو " كوى " (Choi) [١٣٢] .

وكل هذا يشى بوجود أصل للكلمة فى شكل " كو – ار" (K w er) ، وهى أساس معقول لاشتقاق لفظة "كير" منها، أما لفظة "كار" فلربما أنها من نتاج لتدهور الحروف الحلقية فى اللسان اليونانى. ومع ذلك فإن صمت حرف (٣) يوحى باحلال حرف آخر بدلاً منه.

ورغم هذه الخلافات حول النطق، فإن التشابه الصوتى المتضمن فى هذه الكلمات يكفى لتعزيز التماثل فى الدلالة والمعنى.

أما الاشتقاق اللغــوى لكلمــة "نفســى" أو " روح" عند المصــريين (Psyche) فإنه لا ينطوى على كل هذا القدر من التدقيق. ولعله من المفارقات أن نجد بعض الكلمات تستخدم تارة لتؤدى معنى "الشمس" وأخرى لتعنى "الظل"، ذلك أنَّ كلاً من المعنيين متضمن فى الجذر الهندو-أوروبى "سكى" (Ski) و "سكاى" (Skai) ، الذى منه أخذ الإغريق كلمة "سكيا" (Skia) بمعنى "الظل" أو "الخيال" وكذا مرادفه "سكوتوس" (Skotos) بنفس المعنى(١٣٣). ولربما قد تحدر هذا اللفظ الأخير من جذر هندو- أوروبى بسكون لسانى نجده واضحًا فى اللفظة الإنجليزية " شيد " (Shade) على سبيل المثال. ويمكن القول أيضًا بأن نفس اللفظ قد اشتق من الكلمة المصرية " سويت" (Sw(y)t) بنفس المعنى، مع ضرورة ملاحظة أن لفظة " سو" (Sw) المصرية تعنى "الشمس وضوءها"، وتعنى فى نفس الوقت أيضًا " الشىء الجاف".

هذا وإذا ترنت نفس الفظة بدالة صورية تحجب أشعة الشمس فإنها تعنى "المظلة" أو "المأوى"؛ أما إن هى قُرنت بدالة صورية تشير إلى الخلو فإنها "الفراغ". ويهمنا فى هذا المقام دلالة "شويت" و "شوت" بمعنى "الظل" أو "الخيال"، ذلك أن "الخيال" يشير إلى أقنوم من أقانيم شخصية الإنسان الفرد أو "الروح".

وأغلب الظن أن الكلمة المصرية "شو" مسبوقة بأداة التذكير "با" هى الأصل للكلمة اليونانية "بسيخى" (Psyche) بمعنى " الروح " أو " النفس". وهذا التطابق بين "بسيكى" و "باشو(ت)" (P3 S(wt)) أمر يستحق التأكيد عليه. وواضح أن الخلافات فى نطق الكلمتين سطحية وطفيفة فى حقيقة الأمر، خاصة وانه فى أخريات الألف الثانية ق.م، كان هناك نزوع متزايد نحو إحلال اداة التذكير "با" بدلاً من أداة التأنيث "تا"، ومن ذلك مثلاً ما نجده فى الدولة الوسطى عندما تحولت الكلمة المجردة (التى لا هى بالمذكر ولا بالمؤنث) " دوت " (dwt) بمعنى "الشر" إلى المذكر(١٣٤). فلو أن حرف (S) فى كلمة " باسوت" المصرية احتفظ بخاصيته الحنكية، فإن المنطق الحاصل للكلمة يصبح قريبًا من لفظة " بسيخى" اليونانية. وبذلك يتبرر ما وقع للكلمة المصرية من إبدال وقلب فى الحروف لتصبح " بسيخى" عند اليونان.

ويتعزز هذا التفسير على ضوء العديد من الكلمات اليونانية الأخرى التي جاءت من هذا الأصل المصرى، من قبيل : بسيخروس، وبسيخوس، وبسيخو، وهى جميعًا تحمل نفس الدلالات بمعنى: " ظليل- بارد - لا حياة فيه - فارغ"، تمامًا مثلما نجد هذه المعاني فى الجذر المصرى "سو" أو " شو". وتوجد استخدامات أخرى فى وقت لاحق لكلمة " بسيخو" بمعنى " صعود نسمة الهواء" أو " لَفَظَ النفس الأخير" أو "الموت" مشيرًا بهذا إلى المعاني المتضمنة فى المصطلح المصرى(١٣٥).

لئن صحت هذه التأصيلات اللغوية، فإن لفظة " كير" ولفظة " بسيخى" ترادفان المقصود عند المصريين بلفظة " كا" ولفظة " سوت" تباعًا لمعنى "الأرواح" أو جوانب من الشخصية الفردية. وقد قال بعض علماء المصريات من أمثال جاردنر أن المصريين كانوا على خطأ فى نظرتهم إلى الأرواح، إذ أنهم - فى زعمه - أدركوا معناها بطريقة تجسيدية بخلاف نظرتنا نحن " ، كما وأنهم من جانب آخر رأوا فى " الكا" شيئًا غير محدد ويختلف من سياق إلى آخر". والحق أن العقلية الأوروبية - كعادتها - تقع فى الخطأ فى الاتجاهين، وما ينبغى أن ننبه إليه تعقيبًا على رأى جاردنر هو أن ما يظنه البعض خلطًا فى المفاهيم يمثل عند الآخر ميتافيزيقا ذكية ولاهوتا أيضًا. وواقع الأمر أن الكهنة المصريين كانوا يميزون بين الدلالتين تمييزًا واضحًا (بين ما هو تجسيدى وما هو تجريدى) (*)، وإن كان هذا التمييز أمرًا دَوَّنه بسطاء الناس والأغراب من شاكلة الإغريق الذين كانوا يقومون بزيارة مصر.

إن التسليم باقتباس اليونان لفظة بعض الكلمات عن المصريين يعزز ما ذهب إليه العالم لونج فى حجته، ويمثل هذا التسليم، إلى جانب قبول القول بأن "كير" هى الصيغة الأكثر قدمًا (كما كنا قد لاحظنا سلفًا)، اعترافًا باختفاء خاصية حرف (٣) الصامتة فى وقت مبكر من عصر الدولة الحديثة. وبذلك فإنه على الرغم من بقاء ظلال من النطق القديم، فإنه من المحتمل أن اقتباس اليونان (نطقًا) عن المصريين قد وقع قبل حلول سنة ١٥٠٠ ق.م.

(*) كما فى آثار حفائر جزيرة كريت ، فى قصر كنوسوس ، وخاصة لوحات (frescos) الجدارية ، وكذلك من جزيرة ثيرا (المحرر)

وإذا كان وزن الأرواح قد عرف لدى اليونان فى منتصف الألف الثانية ق.م، كما يدل على ذلك العثور على ميزان فى نصوص إحدى المقابر اليونانية، فإن مصطلح "كيروستازيا" يكون قد ترسخ فى أذهان اليونان آنذاك. ولقد بينا فى الجزء الأول أن الشاعر اسخيلوس كان يملك بين يديه مصادر مصرية قريبة العهد بزمانه وأخرى مُوغَلةٌ في القِدَم أيضاً. وهذا ما يفسر لنا استخدامه لكلمة " بسيخوستازيا" بدلاً من كلمة " كيروستازيا" التى استخدمها هومر. ويتضح من كل ذلك أن استخدام المصريين لكلمة " بسيكو" كان يقوم على مفهوم العقيدة فى وزن روح الميت فى كفة مقابل الريشة فى الكفة الأخرى للميزان.

هذا النهج (الجغرافى وأسماء الأعلام) فى الدراسات التى أجريت حول الأبطال الخياليين فى ملحمة " مابنوجيون" (Mabinogion) فى منطقة ويلز بالمملكة المتحدة، وفى ملحمة " نيلونجنليد" (Niblungenlied) عند الشعوب الجرمانية، حيث وجد أن أبطال هاتين الملحمتين يحملون أسماء تاريخية حقيقية.

لقد ناقشنا ما قيل عن الأصول الأثيوبية للبطل ممنون مناقشة مستفيضة، وهنا نود أن نؤكد على صلة ممنون بشمال غربى الأناضول، وتحديداً بمنطقة طرواده، وكنا قد ذكرنا سلفًا عن بعض الروابط بين ممنون وطروادة، وتحدثنا عن "قبره" على مبعدة سبعين ميلاً شرقى البلاد. وهناك فقرة هامة عن أسلحة العالم القديم فيما كتبه باوزانياس حيث يقول: " إن سيف ممنون فى معبد إسكلبيوس فى نيكوميديا (على بُعْد ٨٠ ميلا من مقبرة ممنون) بنصله ورأس حربته ومجمله مصنوع من البرونز " . وهذه المعلومات رغم أنها تقدم لنا إشارات عن فترة موغلة فى القدم، فإنه نظراً لما يحوم حول المتروكات من الأسلحة القديمة من لغط حول مصداقيتها، فإننا لا نعتقد أن هذه الأسلحة كانت تخص البطل ممنون الأصلى. ولو قيل أن هذه الأسلحة من بقايا حملة الفرعون سيزوستريس (كما ستبين فيما يلى) فإننا نصطدم بحقيقة أخرى وهى أنه فى القرن العشرين قبل الميلاد لم تكن السيوف قد عرفت بعد أو أنها كانت نادرة الاستخدام.

وفقرة أخرى يذكر باوزانياس أن الفريجيين " لا يزالون حتى اليوم يشيرون إلى الطريق الذى سلكه ممنون من بلده سوسة، عبر مسالك ومفازات مختصرة، ما بين وقفة وأخرى على نفس الطريق". وهذا الوصف لباوزانياس يتفق مع ما سجله هيرودوت عن أهالى ليديا شمال غربى الأناضول وجنوب شرقى منطقة طروادة، فى أنهم يعتقدون أن التماثيل التى أقامها الفرعون سيزوستريس فى زحفه ليست لسيزوستريس وإنما هى من فعل البطل ممنون. من هذا كله نخلص إلى أن روابط قوية كانت تجمع بين شخص ممنون ومنطقة شمال غربى الأناضول.

ممنون المصـــرى

ممنون هو الاسم الذى أطلقه اليونان على التمثال الضخم للفرعون " إم إن حتب" الثالث والموجود على الشط الغربى لنهر النيل فى مدينة طيبة (الأقصر)، وهو التمثال الذى يطلق عليه العلماء المحدثون اسم امحوتب، والذى كان المؤرخ المصرى مانيتون قد أطلق عليه اسم أمنوفيس. ولقد اكتسب هذا التمثال شهرة واسعة فى العصر الرومانى، وقيل أنه كان يصدر أصواتًا غريبة وقت طلوع الشمس. وليس هذا بالأمر الغريب عن ابن إيوس سيدة طلوع الفجر.

ولسنا ندرى متى تم رصد أول صيحة لهذا التمثال، والمرجح أن ما قيل عن هذا الصياح كان مبررًا لاختيار أم من الشرق لممنون. ولقد سبق لنا أن بينا أنه حتى ولو سلمنا بالأصول المصرية لممنون، فكيف الحال مع أبيه تيثونوس. هذا ومن بين النقوش اليونانية العديدة على جسم هذا التمثال الضخم نقش يقول:" ممنون أين تيثونوس أو أمينوث (Amenoth) .

وهذا التردد فى تحديد والد ممنون بدقة نجده فى نقش آخر على التمثال نفسه يقول: " ممنون ابن فامينوث" (Phamenoth) .

وهذه البدائل لاسم كل من الابن والأب هي الأســاس في الخلط الذي وقع فــيــه الكتاب فيما بعد. ولا شك في أن العديدين من الرحالة اليونان الذين زاروا مصر كانوا يعرفون جيداً لمنْ يقوم هذا التمثال، ولابد من ملاحظة أن أسماء: آمينوث ؛ وفامينوث؛ وفامينوف تبدو جميعها مشتقة من اسم :" با - إحم - إن - حتب". وهو الفرعون أمنوفيس. أما الصيغ الأخرى للاسم من قبيل: فامينوس فإنها اختصار مبتسر للاسم أو اكتفاء بجزء من الاسم " با - إم - إن " بمعنى " الـ-آمون". ولقد لخص الكاتب باوزانياس الآراء المختلفة حول هذا الاسم كما يلي:

" في طيبة المصرية بعد عبور نهر النيل إلى منطقة عراجين النخيل، شاهدت تمثالاً ضخماً متربعًا رابضًا على الأرض يُصْدر صياحًا. ويطلق عليه معظم الناس اسم " ممنون"، الذي قيل إنه زحف على مصر ثم واصل زحفه حتى وصل مدينة سوسة، وهو في الأصل من أثيوبيا. وفي ناحية أخرى يقول أهل طيبة إنَّ هذا التمثال ليس لشخص ممنون وإنما لشخص يُدْعَى فامينون الذي كان يعيش في منطقتهم تلك ، كما أنني سمعت من يقول إن هذا التمثال لشخص سيزوستريس".

إن صورة الملك الأثيوبي الذي قيل إنه زحف على مصر ومنها إلى سوسة يبدو أنها قد نشأت على ضوء الغزوات التي شنها الأثيوبيون على مصر بقيادة شباكًا (٧١٦ - ٦٩٥ ق.م) ثم على يد طهارقه (٦٨٩ - ٦٦٤ ق.م). ولقد حصلت هذه الغزوات الأثيوبية بعد أوقات كل من هزيود وهومر وأركتينوس، ومن ثم فلا مجال للقول بأن هؤلاء الكُتَّاب قد استلهموا شخص ممنون من هذين الملكين الأثيوبيين. ولكن السؤال يبقى مطروحًا، إذ كيف لنا أن نفسر إطلاق اسم ممنون على هذا التمثال الضخم في طيبة؟

لقد أجريت دراستان مهمتان حول هذا الموضوع، وخرج العالمان اللذان اضطلعا بهاتين الدراستين بالقول بأن اسم أحد الأبطال اليونان قد اختلط عند الكتاب بأسماء أشخاص محليين ليسوا من اليونان في شيء. ولما كانت اهتمامات هذين العالمين في البحث عن " الأنموذج الآري" فإنهما قد استبعدا أن يكون اسم ممنون من أصول مصرية.

ويجادل الأستاذ جوسنز بأن اسم ممنون قد اختلط باسم عيلامي يُدْعَى " همبان" (Humban) أو " أومان " (Umman) أو " عمان " .(Amman) أما جاردنر فيعتقد أنَّ اسم التمثال مشتق من مصطلح "ممنونيان" الذى استخدمه الجغرافى اليونانى سترابون فى القرن الأول للميلاد فى وصف المعبد الجنائزى الذى يربض أمامه تمثالان ضخمان، أحدهما هو تمثال ممنون. وطبقًا لرأى الأستاذ جاردنر، فإن الخلط قد وقع من واقع الاسم الأصلى للفرعون أمنوفيس الثالث، وهو " لب- ماعت - رع"، الذى ذكرناه سابقًا عند الحديث عن نمرود، والذى نسخ فى العصر البرونزى المتأخر إلى صيغة "نيبوموراريا" أو " نيموريا ". أما اسم "ممنونيون" فى طيبة فقد جاء نقلاً عن اسم مجمع للمعابد فى أبيدوس الذى اطلق عليه اليونان نفس الاسم. وهذا المجمع لم يكن من تشييد الفرعون امنوفيس، وإنما شيده الفرعون سيتى الأول من الأسرة التاسعة عشرة. ويلاحظ أن الاسم الأصلى لسيتى فى المصرية القديمة وهو " من - معات - رع" كان يوضع فى الصيغة التالية أيضًا " تا - حوت - من - معات - رع - إب - حر - إم - أبدو"، ومعناها: " قصر" من - معات - رع" (صاحب) القلب القنوع فى أبيدوس " . وعلى هذا ، فإن القول بخلط وقع بين اسم ممنون وساحة ممنونيون فى طيبة من ناحية وبين اسم "نيموريا" من ناحية أخرى يبدو غير مقبول تمامًا، وذلك استناداً على الدلالة الصوتية لهذه الأسماء. كذلك نستبعد أن يكون خلط آخر قد وقع بين اسم ممنون واسم " من - معات - رع " والرأى عندنا أن ما قاله سترابون الجغرافى لا يصلح مفتاحًا لفهم الاسم المصرى امنحوتب الذى خلط اليونان بينه وبين البطل ممنون ، ولكن لا أحد ينكر على سترابون فضله فى محاولة تقصى أصول اسم ممنون.

ولقد كتب سترابون أيضًا أن قصراللابيرنث (التيه) فى مدينة اللاهون فى الفيوم ، والذى بناه أمنمحات الثالث (والذى ناقشناه فى الفصل الرابع) ربما يكون " ساحة معابد ممنونية؛ لأن المصريين يعتقدون أن إسمانديس هو ممنون، وأن اسما نيدس مدفون فى قصر اللابيرنث. من هذا يتضح أنه فى حين كان بعض المصريين يعترضون على اطلاق اسم ممنون على تمثال امنوفيس، فإن البعض الآخر منهم رأوا فى ممنون شخص الفرعون أمنمحات.

ويبدو لنا أن اسم أمنمحات/ أمنمحى/ أمنميس أكثر مقبولاً وأقرب كأصل لاسم ممنون عن اسم امنحتب/ أمنحوتب/ أمنوفيس، غير أن التقارب فى النطق الصوتى لاسم امنمحات وممنون يبدو أكثر معقولية وقبولاً عن قبولنا اسم سيزوستريس/ سيزوريس نقلاً عن اسم سنوسرت!.

ويبدو أنَّ المؤرخ المصرى مانيتون نفسه قد صادف صعوبة فى التمييز بين أكثر من فرعون باسم امنمحات (راجع الفصل الخامس)، فكان بالأحرى أنَّ يكون اليونانيون قد وقعوا وهم يسجلون رواياتهم فى خلط أكثر مما وقع فيه مانيتون وهو مصرى، وذلك عند إشارة هؤلاء الكُتَّاب الفراعين باسم أمنمحات/ أمنميس وأوقات حكمهم.

وفى تقديرنا أن الاسم الأكثر معقولية لمنون البطل اليونانى هو أمنمحات/ أمنمحى الثانى وهو ابن الفرعون سيزوستريس وخليفته وشريكه فى الحكم وفى قيادة الحملات العسكرية أيضاً.

وعلى الرغم من مزالق الاتهامات بأننا نطوع (نلوى) الأمور لخدمة ما نذهب إليه من آراء، إلا أننا نعتقد ان ما وصلنا إليه من نتائج بأن أمنمحات هو الأصل لاسم البطل ممنون يكفى لأن يكون أساساً نبنى عليه تتابع الأحداث التى تراكمت وصارت فيما بعد منهلاً لنشوء الأساطير حول شخص ممنون.

وإذا كانت الروايات تفيدنا بأنه حوالى سنه ١٩٠٠ ق.م تحرك جيش مصرى أكثر جنده سود البشرة ويقودهم أمير أسود البشرة أيضًا. (يلاحظ أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة قد جاءوا من أعماق الصعيد)، وأن هذا الجيش قد اجتاح بلاد الأناضول من شرقها إلى غربها، فكيف إذن قُدِرَ لهذه الأحداث أن تبقى ماثلة فى ذاكرة الناس؟

لا شك فى أن حجم هذا الجيش وخطورة عتاده وبأس رجاله قد بقيت عالقة فى الأذهان لردح طويل من الزمن، كذلك ينبغى ملاحظة أن قائد هذا الجيش - كما تقول الروايات - ابن لإيوس (الشرقية الأصول)، وهذا يعنى أن الحملة قد زحفت من جهة

المشرق. وأن هذا مع التأكيد على لون البشرة الأسود يفسر صلة الحملة بسوسة (العيلامية أو الأثيوبية). وينطبق الشيء نفسه على تيثونوس (والد ممنون كما قيل)، الذى كان هو أيضًا من أصول شرقية جنوبية، وأما المقابل الأوزيرى لممنون فقد نشأ من حقيقة أن أوزوريس كان أسمر البشرة أيضًا. هذا إلى جانب عبادة الإله آتيس Attis التى كانت منتشرة فى الأناضول كما سبق أن بينا. والحق أن الأساطير عن أوزوريس/ ديونسيوس وحكايات غزواته للعالم قد ازدادت رواجًا بتأثير الحملات العسكرية التى شنها فراعين الأسرة الثانية عشرة على بلاد الأناضول. أما ما تواتر عن صراع بين ممنون وآخيل فهذا من قبيل نسج مضاهاة ومقارعة بين مشاهير الأبطال، وهذا أمر معروف فى مختلف الأساطير على مر العصور، ونلحظه بوجه خاص فى الأساطير اليونانية من قبيل ما قيل فى رحلة ياسون على ظهر سفينته " آرجو" هو وشلة الأبطال اليونان الذين قيل أنهم شاركوا فى حصار طروادة، ومن قبيل ساربدون الذى سبق ذكر حكايته.

ولقد أوضحنا أن الروابط التى نسجت بين خاتحى العالم سيزوستريس وسيزونخوسس ومادار حولهما من أقاصيص، كانت ذات أثر بالغ فى حبك " مغامرات الإسكندر الأكبر" فيما بعد. ولقد ذاعت الحكايات عن الإسكندر الأكبر وفتوحاته الخيالية فى ربوع أوروبا وآسيا لأكثر من ألفين من السنين بعد وفاة الإسكندر نفسه سنة ٣٢٣ ق.م.

وفى هذا ما يُدَلل على أن منجزات أى فاتح مرموق فى التاريخ الحقيقى تتداولها الأجيال المتعاقبة ثم تولد منها صنوفًا شتى من الحكايات الخيالية. وواقع الأمر أن ما شهدته الألفان الأخيرتان قبل الميلاد من تواصل واستمرارية حضارية تباعًا، وذلك مقارنة بالألف الأولى بعد الميلاد، يجعل من المحتمل أن الروايات المتصلة بكل من سيزوستريس وممنون ظلت متداولة منذ بدايات العصر البرونزى الأوسط فى القرن العشرين ق.م وصولاً إلى القرن الرابع عشر ق.م، وعندها تلقفتها الكتابات اليونانية على مختلف مشاربها. (*)

(*) فى القرن الرابع عشر ق.م ، لم تكن هناك كتابات أدبية يونانية ، بل مجرد سجلات أرشيفية داخل القصور للحسابات (ونخص بالذكر linear B) فى كل القصورر الميكينية !!! (المحرر)

نخلص من هذا كله أنه لا يجوز لنا أن نفترض قيام حملة عسكرية مصرية على شمال غربى الأناضول استناداً فقط إلى الأخبار المتناثرة حول شخصية ممنون الأسطورية. والواجب أن ننظر إلى المعلومات الخاصة بنشاط فراعين الأسرة الثانية عشرة من الناحية العسكرية لإعطاء مصداقية لما نُسِبَ لشخص ممنون من فتوحات فى الأناضول. وباختصار فإن ما دار حول شخص ممنون من أساطير يمثل سنداً واحداً، ولكن هذا السند لا يُغني بمفرده لإقامة الحُجّة الثابتة، ولكنه قد يساهم فى تدعيم هيكل لبنيان أكبر حجماً وشمولاً من الناحية التاريخية.

احتمال غزو مصرى حوالى سنه ١٩٠٠ ق.م

تؤكد الموروثات اليونانية على أن البطل ممنون رغم ما أوتى به من قوة وبأس قد قتل فى طروادة على يد آخيل بطل الإغريق. وسوف نبحث هنا فى إحتمال أن يكون المصريون قد قاموا بغزو طروادة نفسها. وطروادة القديمة بأعمالها كانت تعرف باسم "صاحبة المدائن الخمس"، ثم بعد أن ولي عهدها وتهدمت حلت محلها باسم " طروادة صاحبة المدائن الست". والواقع أن ما قيل عن الدمار الذى حل بطروادة القديمة لم يكن بفعل النيران فقط كما قيل. ويعتقد العالم ملبارات (Melbarat) أن التغيير الأساسى الذى طرأ على حضارة طروادة فأصابها بالدمار وثيق الصلة بما كان قد أصاب المنطقة كلها من كوارث حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م، وذلك بسبب غزوات كاسحة زحفت من الشرق.

وهناك نقش في بلدة ميت رهينة يبين أن سيزوستريس وأمنمحات قاما بتدمير (با – B3) والتى لا تعنى بالضرورة إضرام النار) مدينة اسمها) إى واى – iw2i) وهذا الاسم ربما يكون الاسم الأقدم لمدينة " وا – ايو – ورى" التى يعرفها الدارسون بمدينة (و) إيليوس وهى مدينة طروادة.

ويمكن لنا أن نضيف إلى هذه الأدلة القوية ثلاثة قرائن أخرى تعززها:

أولاً: هناك روايات في مصر عن وجود أسرى طرواديين، كما يؤكد ذلك العالمان زيته وجاردنر، رغم أن الإشارة هنا قد كون إلى مدينة طره المصرية (T3 R-3wy) على بعد ١٠ كم جنوبي القاهرة، وليس إلى مدينة طروادة. وفي كل الأحوال لا يمكننا استبعاد وجود عبيد من شمال غربي الأناضول في مصر.

ثانيًا: هناك اعتقاد سائد، نجده عند هومر والكتاب اللاحقين – أن هرقل كان قد قام بغزو مدينة طروادة قبل حصارها وتدميرها على يد الإغريق فيما بعد. وقد أشار الأستاذ روبرت جريفز بأنه إن صح هذا تاريخيًا فلابد أنه يشير إلى سقوط طروادة ذات المدائن الخمس (الأقدم). وهرقل الذى يرسم لنا هومر صورته يبدو يونانيًا لحمًا ودمًا. وقد قدم لحملته على طروادة من البحر. ومع ذلك، فكما سبق أن لاحظنا فى الفصل الثانى، فإن اسم هرقل اليونانى اسم مختلط ومركب من أصول متفرقة. ومع أن هرقل فى زحفه كان يتبع مسار الشمس من المشرق إلى المغرب بخلاف مسيرة أوزوريس/ديونسيوس من الغرب إلى الشرق، إلا أن هنالك وجوه شبه تربط بين الأثنين، وينطبق هذا أيضًا على سيزوستريس وممنون، وكنا قد أشرنا سلفًا فى الفصل الثانى أن المصريين كانوا يرون فى هرقل بطلاً مصريًا من مدينة طيبة. ولقد كان هيرودوت يؤمن بهذا، ويصف هرقل على أنه " واحد من الآلهة الأثنى عشر فى مصر". كما كتب ديودور فى نفس الاتجاه يقول:

" إن هرقل العريق فى القدم، طبقًا للأساطير، قد ولد فى مصر، وأخضع بسلاحه بقاعًا شاسعة من العالم، ثم نصب العمود القائم فى ليبيا".

وهناك أيضًا من يقول إن هرقل كان أسود البَشْرة. هذا بالإضافة إلى الرابطة القائمة بين اسم " حرى – إس – إف" (هرقل) وبين صورة "الإله الذى يضرب بيده" على العدو، وبين الفرعون سيزوستريس، كما بينا سابقًا. كل هذا يمدنا بقرائن قوية عن احتمال أن الفراعنة الناتجين فى المملكة الوسطى قد لعبوا دورًا مهمًا فى خلق الأرضية التى تشكلت عليها الصورة الأسطورية لهرقل.

أما الفرضية الثالثة عن غزو مصر لطروادة فهي مسألة بالغة الأهمية، وهي تأتينا من كتابات أبوللونيوس عن كولخيس حيث يقول:

" لقد نمي إلى علمنا أن ملكًا قد خرج من هذه البلاد، على رأس قوة ضاربة، وشق طريقه في طول أوربا وعرضها، وفي آسيا أيضًا، وأخذ يقيم المدن أينما حل برجاله. وبعض هذه المدن لا يزال قائمًا في حين أن البعض الآخر قد تآكل بفعل السنين. على أنه حتى يومنا هذا تبقى مدينة أييا (Aea) بأهلها ممن تحدروا من أصلاب الرجال الذين وطنهم هذا الملك هنالك".

لو أننا أخذنا هذه الشهادة لأبوللونيوس مأخذًا جديًا له دلالة تاريخية، فهناك إمكانية أن تكون طروادة (ذات المدائن الست) التي استمرت أكثر من خمسمائة عامًا (من ١٩٠٠ - ١٤٠٠ ق.م) من بين المدن التي قام هذا الفرعون بفتحها. وبطبيعة الحال فإن هذه المتفرقات من المعلومات لا تمثل قيمه علمية في عزله عن السياق العام الأشمل عن نشاط فراعين الأسرة الثانية عشرة في منقطة الأناضول.

فتوحات سيزوستريس/ سنوسرت وأمنمحات

(مجمل القرائن)

نود في هذا المجمل أن نُلم بأطراف القرائن التي استعرضناها في هذا الفصل وسابقه عن قيمة المادة العلمية الجديدة من مختلف المصادر اليونانية والمصرية عن الفتوحات الشمالية للفرعون سيزوستريس:

إن اكتشاف نقش ميت رهينة، الذي يصف حملات الفرعونين سيزوستريس وأمنمحات الثاني فيما وراء سوريا، يمدنا بما يسد الفجوة في روايات هيرودوت والكُتَّاب اللاحقين عن غزو آسيا بواسطة سيزوستريس الذي هو سنوسرت الأول. وتُفصح المكتشفات الأثرية في النوبة من تعزيزات وتحصينات عسكرية وخطط حربية

عن أن جيوش الأسرة الثانية عشرة كانت تملك من العتاد الحربى ما يُمَكِّنْ فراعنيها من القيام بعمليات عسكرية كبرى في مناطق الشمال. كما تمدنا أخبار موجات الدمار التى حلت بالأناضول، وكذا العثور على مقتنيات مصرية هناك على ما يؤيد نظرية الفتح المصرى للأناضول فى تلك الفترة الذات.

كذلك تم العثور في بلدة " طود" (Tod) في صعيد مصر على مقتنيات أناضولية الأصل قدمت كقرابين للإله "مونت" رب الفتوحات، والذى تربطه وشائج كثيرة بقارة آسيا.

وهناك أيضًا دلائل تصويرية تؤيد قيام حملات عسكرية على سوريا والأناضول يقودها " إله يضرب بيد قوية " شبيه بأحد الفراعين. وتوجد فى الأناضول نفسها وفى اليونان روايات عن البطل ممنون كأمير أسود البشرة، يقود جيشًا جراراً فى زحفه على غربى الاناضول.

كل ما يمثل ذكريات شعبية عالقة فى أذهان الناس عن أمنمحات الثانى ابن سنوسرت الذى يتحدث عنه نقش ميت رهينة بأنه قام بدور هام فى الحملات العسكرية خارج البلاد. وهكذا، لو أننا فسرنا كلمة " آسيا " بأنها تعنى " الأناضول" – كما هو واضح من مفهوم هيرودوت لكلمة أسيا – فلدينا إذن ما يقوى مــن الاعتقــاد بصحــة ما سجله الكُتَّاب اليونانيــون بأن سيزوستريس قــد زحف بجيشــه علـى "آسيا" هذه، أى الأناضول.

غير أنه ليس هنالك من قرائن قوية تؤيد فكرة قيام حملات مصرية على أوربا، وأن كانت الروايات عن غزو مصرى لإقليم تراقيا تبدو معقولة على ضوء ما حل بالمنطقة من دمار شامل آنذاك فى النصف الثانى من القرن العشرين ق.م، وهى الفترة التى شهدت حملات سنوسرت العسكرية.

وليس هناك – من الناحيــة الأثرية أو الأسطورية – مــا يؤيد ادعــاءات الروايات المصرية واليونانية عن زحف الجيش المصرى على منطقة سكيثيا جنوبى روسيا الآن،

وإن كانت المنطقة قد تعرضت للدمار، الأمر الذى يجعل من العسير استمرارية ذكريات من الأيام الغابرة زمانًا.

أما بالنسبة لكولخيس - فى جورجيا السوفيتيه - فهناك إشارات عند الكتاب اليونان عن قيام الفرعون سيزوستريس بإقامة دويلات فى تلك المنطقة. ويظل الاحتمال قويًا بأن سكان تلك المنطقة أصحاب البشرة السوداء من أصلاب أبناء هذا الجيش المصرى.

وأغلب الظن أن مناطق أخرى من القوقاز قد أحلها الدمار فى نفس الفترة المفترض فيها أن سنوسرت قد قام بشن حملاته العسكرية. وهناك أدلة أخرى تؤيد قيام هذه الحملات من واقع ما أصاب مناجم التعدين القديمة هناك، وما أعقب ذلك من هجرة عمال هذه المناجم إلى أماكن أخرى تقع تحت السيطرة المصرية فى بلاد الشرق الأدنى. وكل هذا ينسجم مع ما ورد فى نقش ميت رهينة، وبعض النصوص المصرية الأخرى، ومع ما تواتر فى الكتابات اليونانية بأن سنوسرت الأول، الذى - حسبما يوحى إسمه من دلالات " إس - إن - دسرت "- قد جلب معه كميات لا تحصى من الغنائم، خاصة من المعادن والعبيد.

وهذا الاستنتاج يفسر لنا قضية الحملات العسكرية المصرية ليس فقط على القوقاز وإنما أيضًا على غربى الأناضول وتراقيا. والمعروف أن هذه المناطق جميعًا كانت غنية بخام المعادن، وأن أهلها كانوا حاذقين فى تصنيع المعادن. وهذا يعنى أن سنوسرت وأمنمحات قد استخدما القاعدة الاقتصادية الصلبة للدولة المصرية وصاحبة القوة العسكرية القوية للسيطرة على مناطق التعدين وتقنيتها فى مجتمعات كانت أقل شأنًا فى حجمها السياسى. وقد نجح هذان الملكان المصريان فى ذلك نجاحا كاملاً. وما من شك فى أنه فى القرون التى تلت ذلك، عندما تدهورت الأحوال فى الأناضول، انتعشت أحوال صناعة المعادن فى مناطق أخرى فى بلدان الشرق الأدنى ومن بينها مصر. والمعروف أن صناعة المجوهرات، على سبيل المثال، قد تأثرت كثيرًا بمؤثرات شرقية آنذاك. ولقد كتب الأستاذ سيرل ألدرد مؤرخ الفنون فى ذلك يقول:

" من الصواب أن نقول بأن العلاقات الوثيقة التي نشأت بين مصر وآسيا في الأسرة الثانية عشرة قد ساعدت على إدخال تقنيات جديدة إلى مصر عن طريق المهاجرين من آسيا إلى مصر والتي استفاد منها صناع الذهب من المصريين".

ويمكن القول بأنه في تلك الفترة بالذات انتقلت الحضارة المصرية من العصر الحجري إلى عصر استخدام المعادن. ومن المهم أيضًا أن نلحظ أنه في تلك الفترة نفسها انتهى عصر سيطرة آشور واحتكارها للتجارة في أواسط الأناضول، فظهرت على المسرح أنشطة تجارية بديلة بين الأناضول وسوريا التي كانت تحت السيطرة المصرية. وقد تكون هذه النتائج قد حدثت عن قصد من فراعين مصر أو عن غير قصد كنتيجة لحملاتهم العسكرية في مناطق الشمال.

أما العلاقات مع البلقان فيمكن تفسيرها بالمثل على ضوء سعي المصريين وراء المعادن الثمينة والأحجار الكريمة التي سبقت الاشارة إليها. أما الحديث عن حملة مصرية على جنوبي روسيا فهو أمر صعب التدليل عليه، ومن المحتمل أن المصريين كانوا يطمحون في مزيد من الغنائم فحسب. وليس مستبعداً أن تكون هذه الحملات المصرية قد جاوزت ما كان قد خطط لها أصحابها سياسيًا وعسكريًا، مثلما كانت الحال مع توسعات الإسكندر الأكبر فيما بعد في آسيا، وأن النجاح الذي صادفته تلك الحملات المصرية قد ولد شعوراً يمكن أن نصفه " بوهم التوسع" (وهو تعبير شائع عند المصريين واليونانيين) للمزيد من الكشف والطواف حول البحر الأسود، وصولاً إلى خيرات القوقاز. وليس هناك ثمة ما يدعونا إلى التشكيك في روايات هيرودوت وديودور عن الحملات المصرية التي استغرقت تسع سنين في هذه المناطق الشمالية.

وبعد، إذا كان مؤرخ مرموق مثل جيبون قد عبر عن عزوفه عن الخوض في حملات سيزوستريس لأنه – على حد قوله – " لا يزعم لنفسه المقدرة على التواصل مع الآثار اليونانية واليهودية والمصرية التي تبخرت في السحاب " . إلا أننا نقول إن هذا

السحاب قد أخذ يتبدد نسبيًا بفضل الأبحاث اللغوية والمكتشفات الأثرية بدءًا من سبعينات القرن الثامن عشر. ومع ذلك فإن تحفظ جيبون الذى لا يزال بعضه فى ضمائر بعض الكُتّاب اللاحقين يشى بخبيئة خوافٍ أيديولوجى لا يتقبل فكرة أفريقيا السوداء المتحضرة وهى تزحف منتصرة ليس فقط على جنوب غربى آسيا، وإنما أيضًا إلى قلب مناطق أخرى فى أوروبا " المتبربرة" آنذاك. وهذه الفكرة لم تكن لتخطر على بال أحد من جهابذة أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولكننا نقول: لقد آن الأوان لإعادة النظر فى الأمر برُمّته من جديد!.

هوامش الفصل السادس

Chapter VI
SESŌSTRIS: THE CULTIC, MYTHICAL AND LEGENDARY EVIDENCE

1. Spiegelberg (1927, p. 20). While Spiegelberg was very much a scholar of his time, his attitude was – to my mind – far more open than that of Diels (1887, p. 423) or of Sayce (1885) or, for that matter, of Armayor (1985).
2. Simpson (1984a, col. 891).
3. Posener (1956, pp. 141–4).
4. See ch. V, n. 45.
5. Diodoros, I.20, trans. Oldfather, pp. 63–5.
6. *De Iside*..., 356A, trans. V, p. 35.
7. Volume 1, pp. 115, 461, n. 193.
8. Volume 1, pp. 142–5.
9. Dörrie (1979).
10. Gardiner (1961a, pp. 47–8).
11. For discussions of this, see Posener (1960, p. 43); Bell (1985a, p. 274; 1985b); Springborg (1990, pp. 209–14). For pharaohs and heroes, see ch. II, nn. 208–10.
12. See Volume 1, pp. 115–16, and n. 16 below.
13. For the date of the first fragments of the *Alexander Romance*, see Rattenbury (1933, pp. 220–1).
14. For the 22nd Dynasty, see Gardiner (1961, pp. 326–34). For Manetho's uncertainty on the names, see Frs 34 and 35, trans. Waddell (1940, pp. 66–9).
15. *Alexander Romance*, Pseudo Kallisthenes, I.34.2, I.34.4 and III.24.
16. For parallels between the two traditions, see Rattenbury (1933, pp. 219–23), Braun (1938, pp. 13–18, 41–2) and West (1977, pp. 47–8). The Sesonchōsis and Alexander 'Romances' were not the only ones of this type. There were many others, notably that of King Ninos and Queen Semiramis, embroideries on the deeds of Assyrian monarchs of the 9th century. See Rattenbury (1933, pp. 221–6), Braun (1938, pp. 6–18) and, most recently, Pettinnato (1985).
17. Simpson (1953, p. 86). For examples of these 2nd-millennium figures from Byblos and Ugarit, see Amiet (1977, plates 73–7). For the horns, see the war helmet worn by Naram Sin in the famous stela now in the Louvre, Amiet (plate 49). This, however, is clearly a helmet rather than a crown: its peak is much lower than that of the White Crown of Upper Egypt.
18. See ch. II, n. 187

19. Simpson (1960, p. 64).
20. Simpson (1960, p. 65); Grdseloff (1942).
21. For an Egyptian example, see Wildung (1984, p. 40, plate 33). For Levantine ones, see Amiet (1977, pp. 390–3). For Hittite and Neo-Hittite ones, see Amiet (1977, p. 399). There is a discussion of these figures in the Aegean in ch. XI, nn. 217–24.
22. Porada (1984, p. 486).
23. Herodotos, II.106.
24. Kadish (1971, p. 123).
25. See the models and relief in the Cairo Museum in Wildung (1984, pp. 175–6, plates 150–1).
26. Amiet (1977, p. 395, plate 518); Spiegelberg (1927, p. 24). See also Volume 1, pp. 92–5. For S-t n Hp, see Gauthier (1925–31, V, p. 83). The identification of Sinope with Se n Hʿpy was first proposed by Guignant (1828) but, like Griffiths (1970, pp. 396–7), I have been unable to see this.
27. Nonnos, III.15.365–71, trans. Rouse (1940, I, p. 127).
28. See Volume, 1, pp. 94–5.
29. See ch. II, n. 123, ch. III, nn. 86–92 and Apollonius, II.11.178–533.
30. Gauthier (1925–31, III, p. 75).
31. Parke (1967, p. 220).
32. Frazer (1914).
33. Herodotos, II.1–2.
34. Herodotos, VII.107–109, trans. de Selincourt (1954, pp. 478–9). Strabo, *Geography*, VIII.319 and frg. VII. Pliny, *Natural History*, IV.18, 11, 40. Paulinus cited in Harrison (1903, p. 371).
35. Cook (1914–40, I, pp. 400–1); Parke (1967, p. 159).
36. Cook (1914–40, I, p. 371); Parke (1967, p. 220).
37. See Volume 3. This is not to deny that some of this influence may well have entered the region in the second half of the 2nd millennium.
38. Lang (1966, pp. 20–2). Just as the Albanians of the Caucasus have nothing to do with the Albanians in the Balkans, the Georgian Iberians have nothing to do with the Iberians of Spain. The local explanation for the name Iberian comes from an Armenian and Persian name Virkʿ given to the Georgians (Lang, 1966, p. 18). However, I find it more plausible that both Iberians and the Hebrews derive their name from the name ʿp/bri, common in the Levant in the 2nd millennium. Although Moshe Greenberg, in his meticulous study of the name, does not mention it and demonstrates that many ʿp/bri were settled in or near cities (1955, pp. 86–7), I find the traditional derivation of the name from the verb *ʿābar'* (to cross over) and *ʿēber'* (region across), and the general association of ʿp/bri with outlaws, persuasive. It is interesting to note that in both Spain and the Caucasus, Iberians were the unassimilated inland people in contradistinction to the 'civilized' coastal population living in the maritime economy. The basis of the etymology of these place names had been established by Bochart in the 17th cen-

tury. The name Albanian, like Albany, the old name for Scotland, and Albion from the white cliffs of Dover, and Lebanon, simply comes from the root common to Semitic and Indo-European √(a)lbn (white) and hence limestone or snow-covered mountains.

39. Strabo, XI.2.16.
40. Lang (1966, p. 18).
41. Herodotos, II.104–5, trans. de Selincourt (1954, pp. 167–8).
42. Lloyd (1967, pp. 164–5, 282–3).
43. Herodotos, II.41, trans. de Selincourt (1954, p. 146); Jairazbhoy (1985, p. 60).
44. Lloyd (1976, pp. 192–5).
45. See Volume 3 and Borghouts (1980, pp. 33–46).
46. Strabo, XI.2.17–18.
47. *Argonautika*, II.402; Jairazbhoy (1985, pp. 59–60).
48. According to Eratosthenes, 1225 BC and 1263–1257 BC according to Eusebius: Bacon (1925, p. 143).
49. Hesiod (Merkelbach and West, 1983, frgs 68 and 255) from the *Catalogue of Women* and the *Great Eoiai*, Loeb, p. 177.
50. Lang (1966, pp. 65–9).
51. Apollonios, IV.260–80.
52. See Santillana and von Derchend (1969, pp. 58–9). For the precession of the equinoxes, see Volume 1, p. 126.
53. Volume 1, pp. 92–3.
54. See Riew intro. to Apollonios, pp. 27–8.
55. Herodotos, II.104–5.
56. See ch. II, n. 1.
57. Pindar, *Pythian Odes*, 4.11. See Vradii (1914, pp. 116–17). Prokopios, *Wars*, VIII.3.10–12.
58. Lang (1966, pp. 19–20); English (1959, pp. 49–50).
59. Tynes (1973); Blakely (1986, pp. 10–11).
60. Blakely (1986, pp. 5–12, 75–80).
61. English (1959, p. 53). The references are cited by Bochart (1646, IV.XXXI, p. 286).
62. See n. 51 above.
63. See ch. II, n. 53.
64. Apollonios, IV.270–93, trans. Rieu, p. 154.
65. *Phaedo*, 109B, trans. Fowler, p. 375.
66. *Iliad*, 8.14; *Phaedo*, 112.A. For a fascinating and exciting, though ultimately not very illuminating discussion of these issues, see Santillana and von Derchend (1977, pp. 179–212).
67. See Nagy (1979, pp. 206–7).
68. Chantraine has no explanation for the root. Pokorny sees an Indo-European root **ghelĝh* borrowed from a foreign culture. The stem *ēlek(t)* **ālek(t)* (brilliant), the origin of which Chantraine calls 'obscure' would also seem to come from √ḥlq in one of two ways. The first is that the root was common to Semitic and Proto-Indo-European and that

*ālek[t] came as a result of the loss of the laryngal ḫ. The second that it was a loan from the Canaanite √ḥlq after the merger of ḫ with ḥ in that language.

69. Sasson (1980, p. 212, n. 3); Speiser (1967, pp. 25–6).
70. See Hinz (1973); Carter and Stolper (1984).
71. McAlpin (1974, pp. 89–101; 1975, pp. 105–15).
72. See Rashidi (1985, p. 20).
73. Hinz (1973, pp. 21–2). The 8th-century Elamite version of the Gilgamesh legend found recently in Urartu, the present Armenia, indicates that Elamites shared the general culture of Southwest Asia, including the 'theatrical' convention of actor and chorus. See Diakonoff and Jankowska (1990, pp. 109–10).
74. Herodotos, VII.71, trans. de Selincourt (1954, p. 468). He does not seem to have been referring to Susian Elamites here, as he refers elsewhere to a Kissian contingent. It is strange, however, that while Hinz points out that the Elamites in Darius' army were dressed in Elamite costume, Herodotos describes the Kissians in Xerxes' army as being dressed like Persians, except that they wore turbans (VII.62). Still, uniforms and national costumes can and do change suddenly.
75. *Odyssey*, I.22–5.
76. Herodotos, V.50, trans. de Selincourt (1954, p. 358).
77. Strabo, XV.3.2; Hinz (1973, p. 99).
78. For possible connections between Kassite and Elamite see Speiser (1930, pp. 122–3). For the vocalization of Kassite/Kossaioi see Speiser (1967, p. 25). For Galzu, etc., see Balkan (1954, pp. 131–2). Galšu is uncomfortably close to Kꜣš in that they could all belong to the same cluster, while the Akkadian rendering of the *-ld-* of Galdu as -šš- looks disturbingly like the later barbarian conquerors of Mesopotamia, the Chaldaeans, Kaśdîm in Hebrew, but Kaldu in Assyrian and Kalday in Aramaic. Steiner (1977, pp. 137–43) plausibly posits a fricative lateral *ł* or South Semitic *s*² for the original sound. In languages that lacked this consonant, this sound was sometimes rendered as *ś* and sometimes as *l*. Were both Kassites and Chaldaeans originally called ka ł/śu? The coincidence is remarkable. However, unlike the Kassites, the Chaldaeans seem to have come from the south and were originally Semitic-speaking.
79. Gadd (1973, pp. 224–5).
80. Delitzsch (1884, pp. 39–47).
81. Genesis X.8–9. Nimrod played a prominent if villainous role in Jewish folklore and Rabbinical writings. In these, he is credited, among other things, with having built the Tower of Babel. Ginzberg, in his *Legends of the Jews* (1968), lists 195 citations to Nimrod in his index.
82. Speiser (1967, pp. 41–2). For other Mesopotamian etymologies, see Gesenius (1953, p. 650).
83. Gardiner (1957, p. 79, 100.1). It is interesting to note that the name is transcribed *Nebrōd* in the Septuagint and *Nebrōdēs* in Josephus. Burton

(1972, p. 167) sees a survival of nb-r-ḏr in Diodoros' phrase *pros tēn tōn holōn dynasteian* (acquire empire over the whole world).

84. Speiser (1967, pp. 47–52).
85. Ginzberg (1968, V, pp. 199–201).
86. Burton (1972, p. 170). Blakely (1986, p. 11) points out there were small Negro communities in Yugoslavia and Iran.
87. See Lloyd (1982, pp. 37–40).
88. Diodoros, I.55.6.
89. Herodotos, II.106, trans. de Selincourt, 1954, p. 168.
90. Hesiod, 1.984, trans. Evelyn-White (1914, p. 153).
91. From Proklos, *Krestomanthia*, II, in Kinkel (1877, pp. 32–4).
92. Clark and Coulson (1978, p. 73).
93. Nagy (1979, p. 205, 42 n. 3). I believe that the two traditions are even closer than Clark and Coulson and Nagy imagine because, as I shall argue in Volume 4, I see Apollo as deriving his name and some of his nature from the Egyptian Ḫprr, the god of dawn, and thus strictly parallel to Eos, Memnōn's mother. This would tend to strengthen Clark and Coulson's case.
94. See Lung (1912, pp. 13–27).
95. Lung (1912, pp. 10–12) admits that Memnōn was Ethiopian and that he is always represented as being accompanied by Blacks. However, he claims that some early vases show the prince himself as a Greek though many others portray him as a Negro. I do not think that too much significance should be put on this point as another 'barbarian' hero, Orpheus, known as a Thracian, was portrayed as a Greek while surrounded by Thracians. See Guthrie (1966, pp. 45–6, plates 4, 6).
96. Lung (1912, p. 10).
97. Herodotos, V.54; VII.151.
98. Strabo, XV.3.2; Goossens (1939, p. 337).
99. Goossens (1939, pp. 377–8); Snowden (1970, pp. 151–5).
100. Lung (1912, pp. 10–13); Snowden (1970, pp. 45–9, plates 15, 16, 18 and 19).
101. See ch. IX, n. 139.
102. Cited in Diodoros, II.22.1–3.
103. For an excellent bibliography of these, see Snowden (1970, pp. 151–3).
104. *Iliad*, XX.239; Diodoros, II.XXII.3.
105. *Iliad*, XI.1; *Odyssey*, V.1.
106. For this tangle and the derivation of the name and cult of Dōdōna from Ddwn and his cult at the oracle of Siwa in the Libyan desert, see Volume 3.
107. *Iliad*, I.423. The adjective used for the Ethiopians, *amymonas* (blameless), would seem to be a paranomasia for Amun, with whom, as mentioned in Volume 1, p. 114 and as will be given in more detail in Volume 3, he was generally identified. This, of course, would strengthen the case that Homer was thinking principally of the African Ethiopia.

The root *-mym-* (blame) in *amymonas* would appear to come from the West Semitic *mûm* (blemish, disfigurement). The derivation is complicated by the Middle English 'maim' which has exactly the same meaning. However, 'maim' has no known etymology and the whole problem remains unresolved.

108. See Rendsburg (1981, p. 198). He claims that the West Semites oriented themselves to the source of the sun in the east while the Egyptians looked to the source of the Nile to the south. Thus *√ymn*, the right hand, was the south and west respectively.
109. Robertson-Smith (1894, p. 507). For the association of these gods with spring flowers, see the passages on Hyakinthos in Volume 3.
110. For an outline of this see, Volume 1, pp. 115–16. For more detail, see Volume 3.
111. For details on this, see Frazer (1914).
112. Strabo, XII.I.2; XV.II.2; Aelian, *Nat. Anim.*, V.I; Servius on *Aeneid*, I.751. For a general survey, see Frazer (1898, V, p. 387).
113. Homer described 'the clamour of cranes ariseth before the face of heaven, when they flee from wintry storms and measureless rain, and with clamour fly toward the streams of Ocean, bearing slaughter and death to Pygmy men.' *Iliad*, III.3–7.

The Greek word for 'dwarf', *nanos*, has no Indo-European cognates and probably comes from the Egyptian *nm(w)* (dwarf). There is no doubt that Egyptians had a considerable knowledge about Central Africa. Not only are there the Deir el Bahri reliefs, but there is the fact that 12th-Dynasty eye paints have been shown to come from Busumbi in Uganda. See Dayton (1982a, p. 164). *Pygmē* (pygmy or boxer) has been derived from *pyx* (fist), the origin of which is itself completely obscure. The possible illustration of African boxers in the Thera murals and the certain later associations between Africans and the sport, together with the undoubted ancient location of the pygmies in Ethiopia, would make it likely that the Greek word came from Egyptian or a language from further south. It could be related to the name , usually read *gnb(tw)* (a Negro people from Pwnt [Africa reached by sea] with tight curly hair). This could be either by assuming a transposition **bgn(tw)* or with the definite article pꜣ *gnb(tw)*. In any event, the legend of the cranes slaughtering the pygmy men is likely to be related to a pun in *(pꜣ)gm* , not actually a crane but a black ibis. The paranomasia involved in the legend would seem to be increased with *gmỉ* (find, control, destroy) and *gmgm* (smash, tear up, etc.).

114. See Griffiths (1980a, pp. 49–50).
115. Plutarch, *De Iside*, 359E. Griffiths (1982a, col. 628) stresses the greenish tinge of the blackness in some of the portraits.
116. *Odyssey*, XI.522.
117. Ovid, *Metamorphoses*, XIII; Aelian, *Nat. Anima*, V.1.
118. *Iliad*, XXII.208–13. Murray trans., 1925, II, pp. 469–71. The root aisa in *aisimos*, which is present in Mycenaean and means 'part accorded'

and by extension 'destiny', is supposed to have an Indo-European cognate in the Oscan *aetis* (portion). The Greek root would seem equally or more likely to come from the Egyptian Isw, Coptic 'asou' and 'esou' (reward, compensate). The Greek dialect forms *wiswos* or *hisos* would seem to indicate uncertainty but do not provide substantial objections to the derivation of *isos* or *eisē* (equal in share, number or right) from Isw. The English learned prefix *'iso-'* comes from this. The Indo-European etymologies proposed for *isos* in Chantraine are hopelessly obscure and cumbersome.

119. See also *Iliad,* VIII.60–70, and Dietrich (1964, p. 108) cited in Clark and Coulson (1978, p. 67).
120. Lung (1912, pp. 20–1) Tomb 3 (Schliemann, 1878, pp. 196–8).
121. *Iliad,* XVI.658; Clark and Coulson (1978). While *talant-* has a clear cut Indo-European etymology, Mḫ3t, the standard Egyptian word for a balance and the beam across it, appears in the Greek *mochlos* (lever or beam), which occurs in Homer.
122. Plutarch, *De audiendis poetis,* 2, and schol. on *Iliad,* VIII.70.
123. Lung (1912, pp. 13–19); Clark and Coulson (1978, pp. 70–1).
124. Gruppe (1906, II, p. 681, n.7).
125. Lung (1912, p. 20).
126. For this fusion, see Volume 1, p. 141.
127. Clark and Coulson (1978, p. 71).
128. See Lung (1912, p. 14).
129. *Iliad,* XXIII.78. This sense of *kēr* is emphasized by Malten (1924, col. 885). Pârvulescu (1968) demonstrates clearly that *kēr* cannot simply mean 'doom' or 'death', but he is less convincing when he argues that it means 'suffering'.
130. For the Anthesteria, see Parke (1977, pp. 116–17). See ch. IV, n. 123, for the Egyptian origin of the stem *anth-* in Anthesteria.
131. For a survey of this immensely dense semantic field, which was further contaminated by the word k3 (bull strength), see Kaplony (1980, cols 275–82). He provides a substantial bibliography in his notes. For a discussion of the political function of k3 in Egypt and later European political thought, see Springborg (1990, pp. 89–117).
132. See Erman and Grapow (1925–31, V, p. 86).
133. Pokorny (1959–60, I, pp. 917, 957). He transcribes them as *skāi, skəi* and *ski.*
134. Gardiner (1957, p. 417, 511.4).
135. Chantraine (1968–75, pp. 1295–6) admits this group has no known Indo-European origin, but the resourceful Pokorny (1959–60, I, p. 146) invented a root, **bhes* (breath, blow) upon it. It is of course possible that some or all of these etymologies came simply from *šw,* without the article, as it seems clear that the letter Ψ was used to represent several indistinct sibilants and that the initial *p-* was added as a hypercorrection to words that sounded Egyptian. See Bernal (1990, pp. 118–19).
Coptic contains the word *šoou* (incense, perfume). Černy (1976, p. 257)

Glossary(*)

فهرس المصطلحات

(أسماء الأعلام والأماكن)

ترجمة وتعليق وتحرير

محمود إبراهيم السعدنى

(*) لم نكتف ، هنا ، عند ترجمتنا لهذا الكتاب ، بما ورد فى قائمة مصطلحاته التى تعكس اهتمامات المؤلف، من وجهة نظره هو تحقيقاً لغرضه من مؤلفه ، بل أضفنا إليها كذلك من عندنا (أيضًا مما ورد فى الكتاب)، ولكن استشعاراً لحاجة القارئ العربى إلى المزيد من التوضيح حول بعض المصطلحات الأخرى التى تبدو غريبة عليه أو لم يسبق أن اطلع عليها يوماً ما. وكذلك فالهوامش هنا خاصة بنا لمزيد من الفائدة.

ملحوظة مهمة : سيتم الإبقاء على الترتيب الأبجدى الأجنبى للمصطلحات حتى لا يحدث تغيير جذرى فى شكل المادة المرجعية للكتاب الأصلى.

الأفخاذية (Abkhaz)

هى لغة تخص أهل الإقليم الشمالى الغربى من القوقاز ، وتنتمى لعائلة لغوية ، وجماعة بشرية تقطن ساحل البحر الأسود وحتى غرب جورجيا ، فى جنوب روسيا الحالية.

الأفروآسيوية : (Afroasiatic)

وتعرف أحياناً باسم الفرع السامى- الحامى ، وهى أصل لغوى عظيم ، تتكون من عدد من اللغات الأمة، بما فيها البربرية، والتشادية ، والمصرية ، والسامية ، وتمتد ، على الأرض (فى أفريقيا) شرقًا وجنوبًا وحتى كوش الوسطى.

الأكادية : (Akkadian)

هى اللغة (السامية) للعراق القديم (بلاد النهرين: مسوبوتاميا) ، وكانت قد تأثرت كثيراً - كما أثرت فى - اللغة السومرية. وفى منتصف الألف الأولى ق.م. ، حلت محلها اللغة الآرامية.

أناتوليا : (Anatolia)

هى إقليم جغرافى قديم ، يتوافق قليلاً أو كثيراً مع تركيا الحديثة ، وربما يقتصر أمره على ما يُعْرف باسم إقليم الأناضول فى الامتداد الطبيعى لهضاب تركيا ، وخاصة صوب الشرق والجنوب منها.

الآرامية[1] : (Aramic)

لغة سامية غربية ، كان يُتَكلم بها ، فى الأصل ، فى بعض أجزاء ما يسمى الآن بسوريا، وهى التى غدت لغة أجنبية للإمبراطورية الآشورية ، وكذلك البابلية / الحديثة ، وفى معظم أنحاء الإمبراطورية الفارسية. وقد حلت محل اللهجات الكنعانية للفينيقيين والعبرانيين ، فى شرق حوض البحر المتوسط ، وذلك فى منتصف الألف الأولى ق.م.ن ثم جاءت اللغة اليونانية ، وكذلك العربية من بعد ذلك ، وحلت محلها على ألسنة أهل المنطقة ، وبخاصة من بعد الغزو المقدونى لها ، على يد الإسكندر الأكبر عام ٣٣٣ق.م.، وقيام ممالك خلفائه من بعده فى سوريا ومصر وآسيا الصغرى.

اليونان (فى العصر الأرخايكى) : (Archaic Greece)

هى حقبة فى التاريخ اليونانى القديم، بدايةً من الألعاب الأولمبية الأولى ٧٧٦ ق.م. [2]، وحتى بداية العصر الكلاسيكى ، حوالى عام ٥٠٠ ق.م.

الأرمينية : (Armenian)

لغة أوربية – هندية لشعب قديم فى شرق أناتوليا (الأناضول) وتعود أقدم نصوص ، تم العثور عليها لها ، إلى القرن الرابع الميلادى فقط. ويلاحظ وجود بعض المتشابهات بينها وبين اليونانية القديمة كنتيجة للتأثير الحضارى اليونانى على الإقليم ، وكذلك للاتصالات المتكررة مع العناصر السامية.

الآرية : (Aryan)

وهو مصطلح يستخدم لوصف المتحدثين بها من الفرع الإيرانى – الهندى للغة الأوربية–الهندية وأسرتها الأشمل ويبدو أن أولئك كانوا قد غزوا إيران والهند ، فى النصف الأول من الألف الثانية ق.م. ولكنه فى نهاية القرن ١٩ الميلادى أصبحت الإشارة إليها واستخدامها للدلالة على العنصر الأوروبى/ الهندى ككل.

آشور[٣] : **(Assyria)**

مملكة قديمة ، فى شمال العراق القديم ، يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الثالثة ق.م.[٤] ويؤرخ لأعظم مراحل حضارتها بنهاية الألف الثانية ق.م. وحتى الفترة الواقعة بين عامى ٩٠٠ و ٦٠٠ ق.م. وكانت لغتها ، فى الأصل ، عبارة عن لهجة من اللغة الأكادية.

أوتوخثونوس : **(Autochonous)**

وهى لفظة يونانية قديمة ، مركبة ، تعنى " نشأ من تلقاء نفسه "، ومن باطن الأرض ، أى بمعنى أنه محلى وأصيل. وكان يتم وصف الآلهة الأقدم بها ، أو الأبطال القدامى غير المعروفى الأصل والهوية ، فغدوا أساطير فى نظر شعوبهم[٥].

العصر المحورى : **(Axial Age)**

وهو مصطلح حديث ، نسبياً ، ويؤرخ له بالفترة فيما بين ٧٠٠ و ٥٠٠ ق.م ، حيث يعتقد البعض أن اليونان والإسرائيليين[٦] ، والإيرانيين ، والهنود ، والصينيين ، قاموا بعمل إنجاز عظيم فى مجال الشئون الدينية ، والفلسفية ، وكذلك العلمية ، وهى التى قادت إلى العصر الحديث.

بابيلون (بابل)[٧] : **(Babylon)**

هى مدينة قديمة ، فى الطرف الجنوبى من وسط العراق القديم ، وكانت مقراً للعديد من الممالك المهمة ، وبخاصة آخرها ، وهى الإمبراطورية البابلية الحديثة ، فيما بين ٦٠٠ و ٥٣٨ق.م. وآثار تلك المدينة – حالياً – تقع على مسافة ١١٣ ك.م تقريباً جنوبى بغداد الآن. وتعتبر الإنشاءات المعمارية الضخمة ، والاستحكامات الدفاعية ، والمعابد الدينية ، وبخاصة فى عهد نبوخذ نصر الثانى (٦٠٤–٥٦١ق.م.) من أحد عجائب الدنيا السبع القديمة. ويصف لنا هيرودوت ، فى القرن ٥ ق.م. أبراجها وأسوارها وصفاً دقيقاً.

والاسم نفسه ، هو للقلعة المصرية ، عند رأس الدلتا ، التى حاصرها عمرو بن العاص فى عام ٦٤١م وقد سقطت فى شهر أبريل من العام نفسه ، وغادر الجيش الإمبراطورى البيزنطى ميناء الإسكندرية ، وفق معاهدة الصلح والسلام مع المقوقس ، يوم ١٧ سبتمبر ٦٤٢م[٨].

البربر: (Berber)

هى مجموعة لغات يتحدث بها السكان الأصليون لشمال غرب أفريقيا. ولا تزال يتحدث بها فى الصحراء الغربية المصرية وكل الصحراء الكبرى الأفريقية حتى المغرب.

المعرفة الأفضل: (Besser wissen)

مصطلح ألمانى وتعنى " المعرفة الأفضل " - كما تمت ترجمته - ويعكس اقتراباً أفضل ، بشكل علمى ، على أساس أن العلم والأسلوب التاريخى لمؤرخى القرنين (١٩) و (٢٠) قد حققا نتائج بشكل محدد ، وأفضل من الكتاب القدامى.

البحيرية: (Bohairic)

وهى لهجة قبطية ، يتحدث بها أصلاً فى غرب الدلتا، ولكنها أصبحت ، فيما بعد ، لهجة ذات مستوى ثابت فى مصر بعد انتشار المسيحية.

كتاب الموتى: (Book of the Deatd)

وهو كتاب بردى ، بالهيروغليفية ، يضم عدداً كبيراً من الصلوات والأدعية والتعاويذ، والتعاليم بقصد إرشاد روح المتوفى ، خلال رحلته فى انتقاله إلى العالم الآخر ، عالم الخلود والبعث والنشور. إنه أحد أهم وأبرز الخصائص المميزة للديانة المصرية القديمة ، بل التفرد الكامل ، عن كل حضارات العالم القديم ، لخصوصية

الإيمان المصرى القديم ، والذى لا يزال حتى اليوم ، أحد أهم أركان الشخصية المصرية المعاصرة (المحرر). وتؤرخ أقدم كتابات له منذ أيام الدولة الحديثة فى الأسرة ١٨ ، وكان الاعتقاد فيها بأنها تتيح لصاحبها ، أيضاً ، الحماية من ظلمات القبر وأهواله وتبعث فيهم المقدرة لرؤية النور والشمس. كانت هذه اللفافات توضع مع المومياء ، أو تسجل على التابوت(٩).

بيبلوس : (Byblos)

هى مدينة ميناء قديم ، ويوجد موقعها الأثرى ، الآن ، فى جنوب لبنان. وكانت على صلة وثيقة بمصر ، منذ الألف الرابعة ق.م. وتعتبر أهم مدينة فى منطقة الليفانت القديم ، حتى انزوى نورها ، وحلت مدينة صيدا (Sidon) محلها ، مع نهاية الألف الثانية ق.م.

وهى مدينة جبيل - الحالية - على مسافة ٣٢ ك.م تقريباً ، شمالى بيروت. وكان (بيير مونتيه) العالم الأثرى الفرنسى صاحب الحفائر الشهيرة له فى مصر ، فى شرق الدلتا وبخاصة فى موقع تانيس (Tanis) قد عثر فيها - فيما بين عامى ١٩٢١-١٩٢٤م - على استيطان بدائى بها يرجع إلى العصر النيوليثى (الحجرى الحديث). ولكن معظم آثارها تعود إلى الفترة الكنعانية ، وفيها معبد للربة المعبودة بها ، " بعليت " ، سيدة بيبلوس ، فى وسط المدينة(١٠).

اللغة الكنعانية : (Canaanite)

وهى لغة من أصل سامى ، تأثرت تأثراً كبيراً باللغة المصرية القديمة ، وكان يتحدث بها فى جنوب الساحل السورى - الفلسطينى القديم فيما بين ١٥٠٠ و ٥٠٠ق.م. ، حينما حلت محلها اللغة الآرامية. وتعتبر اللغتان الفينيقية والعبرية أشهر اللهجات الكنعانية المتأخرة. وكذلك فإن مصطلح " كنعانى " يستخدم ليصف التراث الثقافى المادى لجنوب الساحل السورى - الفلسطينى القديم ، فى أواخر عصر البرونز ، فيما بين ١٥٠٠ و ١١٠٠ ق.م.

وهناك رأيان حول أصلهم ومصدر هجرتهم الأولى ، فجماعة ترى أنهم هاجروا ، من الجزيرة العربية ، إلى شمالها فى إقليم النقب ، ثم تابعوا رحلتهم – منذ أوائل الألف الثالثة ق.م – إلى داخل السهل الساحلى السورى / الفلسطينى. وكانت أهم مدنهم الأحاشى ، ومجدو، وبيبلوس ، وأوغاريت ، وأهم أنشطتهم التجارة. ولكن جماعة أخرى من الباحثين يؤجلون وصولهم إلى المنطقة إلى حوالى منتصف الألف الثانية ق.م.، مع غزو الهكسوس ، أى أنهم ينتمون إلى عناصر آسيوية ، وليس عربية (!!!!)[١١].

كاريا : (Caria)

هل إقليم فى جنوب غرب أناتوليا (الأناضول). ومن المحتمل أنها كانت لغة من أصل أناتولى، وليست لها علاقة بالجذور الحيثية – الهندية. وهناك نقوش بكتابات كارية تؤرخ بالقرن (٦) ق.م.

وجدير بالذكر أن أحد أهم أماكن كشف تلك الكتابات والمخربشات (Graffiti) المبكرة لهؤلاء هو صعيد مصر – فى أبى سمبل – حيث كانت وحدة مرتزقة من الجنود الكاريين ، فى خدمة الفرعون المصرى أبريز (Apries) ، منذ أيام دعوتهم لأول مرة فى عصر أبسماتيك الأول عام ٦٦٤ ق.م، وهو ما أكده لنا المؤرخ اليونانى الكبير هيرودوت[١٢]. (المحرر)

حضارة خالديا : (Chaldaean)

وهو اسم يطلق على شعب جنوب العراق القديم ، منذ القرن الثامن (٨) ق.م. ، ثم استخدم للدلالة على العراق كلها . كانت لغته هى الآرامية منذ الفترة الواقعة فيما بين ٥٠٠ ق.م. وحتى ٥٠٠ ميلادية.

وهم الذين تعرفهم ، نحن ، فى مراجعنا العربية باسم حضارة العصر الكلدانى أو العصر البابلى الأخير ، فيما بين ٦٢٩ و ٥٣٩ ق.م. ، كمرحلة أولى لانتشار اللغة الآرامية على استحياء بين موظفى ومثقفى بابل القديمة[١٣]. وكان أشهر قبائل كالدو ، الآرامية الأصل، فى جنوب العراق ، " بيت داكورى " ، " وبيت ياكين " (المحرر).

اليونان الكلاسيكية : (Classical Greece)

ونقصد بها تأريخ الحضارة لليونان القديم فى القرنين الخامس والرابع ق.م.، وهى الفترة التى ينظر لها ، عموماً ، على أنها أعظم وأنقى نتاج للعبقرية اليونانية.

وإن أردنا الدقة التأريخية ، للإنتاج اليونانى الحقيقى والعبقرى ، بحق ، على المستوى الحضارى العالمى ، يمكن أن نقول أنها كانت فيما ٤٨٠ و ٣٢٤ ق.م. ، أى لمدة ما يقرب من قرن ونصف فقط ، أذهل اليونانيون العالم أجمع فى مجالات عديدة : فى السياسة ، والفن، والعلوم[١٤]. (المحرر).

كولخيس : (Colchis)

وهى مدينة قديمة ، على الطرف الشرقى للبحر الأسود ، وتقع آثارها ، الآن ، فى إقليم جورجيا وأفخاذيا.

وجدير بالذكر أن أقدم إشارة لها جاءتنا عند هوميروس فى الإلياذة ، ثم التفصيل الكبير عند أبوللونيوس الرودى (من القرن ٣ق.م) فى عمله الأدبى الخالد الكبير "أرجوناوتيكا" (Argonautika) ، حول الفروة الذهبية وياسون البطل المأساوى لهذه الأسطورة الجميلة، وهو من أشهر الأعمال الأدبية فى الإسكندرية القديمة (المحرر).

العصر المشترك : (Common Era)

وهو مصطلح يستخدمه ، بوجه عام ، غير المسيحيين ، وبخاصة اليهود ، وذلك تفادياً للمصطلح الكنسى (.A.D) ، منذ ميلاد السيد المسيح (Anno Domini)).

اللغة القبطية : (Coptic)

وهى لغة وثقافة مصر منذ دخول المسيحية إليها ، وظهور تلك اللغة كلسان خاص بمسيحى مصر ، وظل يتحدث بها حتى القرن (١٥) أو (١٦) الميلادى ، وهى الآن ، لا تزال لغة الطقوس الدينية والصلوات فى الكنيسة المصرية. إنها تكتب بحروف يونانية مع بعض الإضافات لحروف مصرية مشتقة من الخط الديموطيقى ، وكانت آخر شكل من أشكال كتابة اللغة المصرية القديمة.

وفى رأينا إنها تمثل قمة الذكاء المصرى وحصاد الفكر الكهنوتى الراقى ، السياسى الهدف في زمن الاحتلال الأجنبى ، وضياع السيادة الوطنية ، فكان اختراع لغة خاصة بالمصريين ، بالحروف ذاتها من اللغة الرسمية، اليونانية ، المفروضة عليهم ، ولكن دون أن يفقه فيها اليونانيون شيئًا !!!! (المحرر).

والمصطلح جاء نسبة إلى مدينة قفط (Coptus) ، كوبتوس ، فى اللاتينية ، ومنذ انتشار المسيحية وقيام تلك المدينة بدور كبير فى ذلك أصبحت الإشارة ، كبدل البعض عن الكل للدلالة عن كل المسيحيين. ويمكن إرجاع اللغة القبطية إلى الفترة فيما بين ٢٥٠ و ٣٥٠م ، وأهم لهجاتها البحيرية والصعيدية[١٥].

الكتابة المسمارية : (Cuneiform)

هى أسلوب للكتابة ، ونظام مستقر لرسم حروف ، طورها العراقيون القدماء ، وسميت بذلك نظرًا لشكل تلك الحروف التى تشبه المسامير ، والتى يتم الضغط على قوالب لها فى ألواح الطين الطرى ، فيحصل الكاتب على كتابات غائرة.

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت مراحل عديدة لإعداد الطين والألواح وتجهيزها قبل الكتابة عليها[١٦]. وكذلك كان أهل العراق ، وسومر تحديداً ، أول من اخترعوا الملفات الطينية (الكلاسير) حفاظًا على كتابات الألواح (المحرر).

العصور المظلمة (المسيحية) : (Dark Ages: Christian)

مصطلح أعطاه العلماء ، بطريقة تقليدية حسبما اتفق فيما بينهم ، على الفترة من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية فى القرن (٥) الميلادى ، وحتى فيما قبل العصور الوسطى، والتى ينظر إليها منذ بداية القرن (٩) أو (١٠).

العصور المظلمة (اليونانية) : (Dark Ages: Greek)

وهو مصطلح عادة ما يصف به علماء التاريخ القصور الميكينية على الفترة الواقعة من بعد انهيار القصور الميكينية ودمار المراكز الحضارية لها ، فى القرن (١٢) ق.م.، وتستمر حتى بداية العصر الأرخايكى فى القرن (٨) ق.م.

والغريب أن اليونان ، آنذاك ولمدة ما لا يقل عن ثلاثة قرون كاملة ، لم تخلف آثاراً ذات بال خلاف بعض الآنية الفخارية البسيطة ذات الزخارف الجيومترية ، مما يعنى ويفسر حجم الغزو الهمجى الذى تعرضت له الحضارة الميكينية السابقة على ذلك (١٦٠٠-١٢٠٠ق.م)، ويعكس روح العنف الشديد للغزاة والسادة الجدد ، ألا وهم الدوريون (Dorieis) ، ذوى الأصول الأوربية ، الذين دخلوا اليونان ، لسبب ما ، وأصبحوا ملاكاً وحكاماً ، وفرضوا رموزهم وأساطيرهم ، واتخذوا من هيراكليس (Herakles) إلهًا وجداً أسطورياً خالداً لجحافلهم. وعاشت اليونان قروناً من الترقب والحذر حتى تم الامتزاج التام ، وبدأت تنتج حضارة جديدة تماماً ، بفضل الدم الجديد ، والروح الجديدة (المحرر)[١٧] .

الديموطيقى : (Demotic)

هو الخط المصرى القديم الثالث للغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ، وقد تم اشتقاقه منها ، وكذلك من الخط الثانى، الهيراطيقى، واستخدم ، فى مصر ، منذ القرن (٧) ق.م.

وتجب الإشارة إلى أن هذا المصطلح يونانى الأصل ، ويعنى الخط (أو/اللغة) الشعبية، اشتقاقاً من لفظة ديموس (Demos) ، التى تعنى " شعب ". وكان اليونانيون هم الذين أطلقوا تلك المسميات على مراحل تطور اللغة المصرية القديمة (المحرر).

التأريخ بحلقات الشجر (Dendrochronology)

وهى طريقة لتقدير عمر الخشب وتأريخ حياة الأشجار ، وذلك بإحصاء حلقات جسم الساق وحساب ما انصرم من أعمارها الماضية.

المخصص : (Determinative)

وهو العلامة أو الشكل المرسوم بالهيروغليفية الذى يوضح معنى كلمة ما ، قياساً على صوتها، وجرس لفظها.

(نظرية) الشيوع والانتشار: (Diffusionism)

وتفيد الاعتقاد بأن الخصائص الثقافية ، والملامح الحضارية التراثية يمكن أن تنتقل من حضارة لأخرى .

ديودوروس الصقلى : (Diodorus Sikeliotes)

مؤرخ يونانى من جزيرة صقلية. عاش فى الفترة من ٨٠ إلى ٢٠ ق.م ، وعرف بعمله التاريخى: " المكتبة التاريخية ".

وكذلك ، يهمنا نحن كعرب وكمصريين ، أنه كان قد زار بلدنا ، وسجل بعض ملاحظاته الهامة حول التاريخ البطلمى ، بوجه خاص ، وزار – كذلك – المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية (عند خليجى البحر الأحمر: خليج السويس وخليج العقبة) وقدم لنا وصفاً دقيقاً للغاية لتضاريس المنطقة وقبائلها وخيراتها[١٨]. (المحرر).

الدوريون : (Dorians)

هم قبائل غازية ، من خارج اليونان[١٩]، كانوا قد دخلوا إلى شماله الغربى ، واستمروا على موجات متلاحقة وبأعداد كبيرة ، فى غزوهم لبقية أنحاء اليونان ، حتى

حاصروا أثينا وقلعتها الحصينة فوق الأكروبوليس ، ولم يفلحوا فى هزيمتها ، ومن ثم تابعوا سيرهم صوب الجنوب حتى وصلوا إلى إقليم لاكونيا ، حيث اتخذوا لنفسهم عاصمة جديدة لدولتهم وجنسهم ، وهى مدينة إسبرطة (Sparta) ، التى عرفت بنظام حكمها المناقض تماماً للنظام الأثينى. (المحرر).

(المرحلة) الهيلادية المبكرة: (Early Helladic)

هى فترة تاريخية أولية هامة من عصر البرونز اليونانى ، ومرحلته المبكرة ، داخل اليونان القارية ، أى البلد الأم (Mainland) ، ويؤرخ لها - استناداً إلى نوع فخارها - بالفترة من ٣٣٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق.م.، ولكن فى رأينا تاريخ مبكر جداً عما اتفق عليه عند معظم مؤرخى حضارة اليونان القديمة[٢٠]. (المحرر).

(المرحلة) المينوية المبكرة: (Early Minoan)

وهى مرحلة تأريخية باكرة فى مشوار حضارة جزيرة كريت - فى وسط حوض البحر المتوسط الشرقى - وتعتمد أيضاً على الفخار والآنية بوجه عام ، وتوازى عصر البرونز المبكر فى تلك الجزيرة ، أى منذ حوالى ٢٦٠٠ وحتى ٢٠٠٠ ق.م[٢١].

والجدير بالذكر أن أحد أهم أدوات تأريخ تلك الفترة فى كريت هى الآنية الحجرية المصرية الأصلية (Stone Vases) المستوردة من مصر منذ أيام الدولة القديمة[٢٢].

إبلا: (Ebla)

مدينة سورية قديمة ، تم الكشف عنها ، لأول مرة فى أوائل السبعينات ، أى منذ عام ١٩٧٠م. ولقد لوحظ أنها كانت تتمتع بشبكة تجارية مكثفة ، وحققت لنفسها إمبراطورية شملت كل الساحل السورى - الفلسطينى حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م.

اللغة المصرية : (Egyptian)

غالباً ما نقصد بها – ليست اللهجة العربية التي يتحدث بها المصريون في أيامنا هذه – لغة مصر القديمة ، والتي كانت عبارة عن لغة أفروآسيوية مستقلة. تم تقسيمها إلى مراحل فرعية: المصرية القديمة (العتيقة) ، وكان يتحدث بها إبان الدولة القديمة ، حوالي فيما بين ٣٤٠٠ و٢٤٠٠ ق.م ، والمصرية الوسيطة ، وكان يتحدث بها في الدولة الوسطى ، فيما بين ٢٢٠٠ و ١٧٥٠ ق.م.، والتي ظلت لغة البلاد الرسمية طيلة خمسة عشر قرناً من الزمان بعد ذلك. وسيظل هذا المصطلح – في كتابنا وبدون صفات أخرى – هو المقصود كما ذكرنا آنفاً.

أما اللغة المصرية المتأخرة ، فقد كان يتحدث بها في القرن (١٦) ، ولم تكن عادةً هي لغة الكتابة حتى نهاية الألف الأولى. وإني أعتقد أن المصرية المتأخرة كان لها تأثير أعظم على اليونانية ، وحول المراحل الأخرى بأشكال الخطوط اللاحقة ، انظر مصطلحات " ديموطيقي"، وقبطي.

عيلام : (Elam)

حضارة قديمة في شرق العراق القديم ، وتحديداً على أرض بلاد فارس ، واستمرت حضارتها–على مراحل مختلفة – من الألف الرابعة وحتى ٣٠٠ ق.م.

إبيكليسيس : (Epiclesis)

لفظة (ومصطلح) تعني " لقب " أو اسمًا إضافيًا.

وهي كلمة يونانية الأصل ، ومركبة من جزأين الأول (epi) ، بمعنى " زيادةً على "، وتأكيداً على ، والثاني (Klesis) ، بمعنى " النهاية " ، أو الختام ، من الفعل (Kleio) ، أنهي، أو أختم (المحرر).

إراتوسثينيس : (Eratosthenés)

عاش فى الفترة من ٢٧٥ إلى ١٩٥ ق.م. وهو عالم يونانى وأمين مكتبة الإسكندرية العظيمة.

وتجب الإشارة إلى أنه هو أول يونانى يتوصل إلى حساب محيط الكرة الأرضية.

كان يونانياً من قورينى (Kyréne) ، فى ليبيا ، وقضى عدة سنوات فى أثينا ، ودعاه بطلميوس الثالث (يوارجيتيس) إلى الإسكندرية. ومن أشهر أعماله أكثر من (١٢) كتاباً حول الكوميديا القديمة. وقدم لنا واحدة من أقدم محاولات التأريخ العلمى للتاريخ السياسى والأدبى[٢٣] (المحرر).

(Ethiopia):

هو اسم أطلقه اليونانيون القدماء على مكانين يسكنهما شعوب سمراء (سوداء) ، أحدهما كان منطقة عيلام (Elam) ، فى إيران (بلاد فارس القديمة) ، والآخر كان أكثر شهرة ويعرفه غالبية الشعوب المجاورة ، وهو الإقليم الإفريقى الواقع جنوب مصر.

الحضارة الإتروسكية : (Etruscan)

هى مرحلة حضارة قصيرة فى مشوار الحضارة الإيطالية القديمة. والرأى الأرجح والسائد هو أن الإتروسكين قدموا ، إلى إيطاليا ، من ليديا (Lydia) فى آسيا الصغرى ، وتحديداً شمال غرب أناتوليا. وجدير بالذكر أن لغة قريبة من اللغة الإتروسكية تم الكشف عنها على هيئة نقش جزيرة لمنوس اليونانية. ويبدو أن الإتروسكيين قد تأثروا بشدة بالحضارة الفينيقية منذ القرن (٩) وحتى الـ (٦) ق.م. ولقد كانت فى حد ذاتها - أى حضارة الإتروسكيين ذات تأثير مركزى فى تشكيل الثقافة اللاتينية.

لم يتوقف التأثير الشرقى على حضارة الإتروسكيين عند الفينيقيين ، بل أيضًا كان للحضارة المصرية بصمات قوية على تلك الحضارة ، ولكنها ليست تأثيرات مباشرة ، مصرية خالصة، بل عن طريق الوسيط التجارى العالمى " الفينيقيين ". ومن نماذج تلك التأثيرات المصرية (أ) بناء المقابر تحت الأرض و (ب) استخدام الرسوم الجدارية لتزيين هذه المقابر ، مما يوحى بالإيمان فيما بعد الموت (!!!) ، ولكن لا نصوص تؤكد ذلك (المحرر).

يودوكسوس : (Eudoxus)

فلكى يونانى ، وعالم رياضيات من جزيرة كنيدوس (Knidos) بالقرب من ساحل أناتوليا. كان قد أتم دراسته فى مصر. ولد حوالى عام ٤٠٠ وتوفى حوالى عام ٣٥٠ ق.م.

يوهيميروس : (Euhemeros)

فيلسوف ، يونانى ، ذاع صيته عام ٣٠٠ ق.م .

وهذا لقب يبشر بالخير من معنى لفظه ، باليونانية ، ويعنى " مسعد " أو " أبو الخير " (المحرر).

(Genetic):

إن العلاقة " الجذرية " أو " ذات النوع: بين اللغات ، تعنى أنها تفترض وجود جد أعلى واحد لها. مثال/توجد علاقة "جذرية " (Genetic) بين اللغة الفرنسية ولغة رومانيا ، بالرغم من وجود اختلافات بينهما. وذلك لأنهما قد جاءتا من اللغة اللاتينية الشعبية (الدارجة)، والتى كان يتحدث بها الجيش الرومانى (الإيطالى) القديم.

أهل جورجيا : (Georgian)

هم الشعب الذى يقطن إقليم القوقاز الأوسط ، منذ أقدم العصور. كما أن اللغة الجورجية تنمى إلى أسرة اللغة الكارتفيلية (kartvelia) .

هان : (Han)

هى أسرة ملكية صينية، كانت قد لحقت بأسرة كن (Qin) ، حوالى عام ٢٠٦ ق.م ، واستمرت حتى عام ٢٢٠م.

هارابا : (Harappa)

إن أسماء هذا الموقع أو ذاك ، مثل (Mohenjo) ، دارو (Daro) تستخدم للحضارة القديمة التى ازدهرت في الشمال الغربى من الهند ، فيما بين حوالى ٢٥٠٠ إلى ١٧٠٠ق.م ، حينما انهارت وتدمرت ، وذلك بسبب ، على الأرجح ، غزو آرى من الشمال. كما أن كتابة هذه الحضارة لم يتم فك رموزها بعد.

ولكن من المحتمل أن تكون هذه اللغة وكتابتها تنتمى إلى أسرة اللغة الدرافيدية (Dravidian) والسائدة الآن فى جنوب الهند ، ولا يزال يتحدث بها فى بعض المناطق فى غرب باكستان.

حاتى : (Hatti)

هو اسم قديم لإقليم فى وسط أناتوليا وكان هو الموطن الأصلى لعنصر الحيثيين (المؤلف). وهم الذين حاربوا رمسيس الثانى ولم يحققوا نصراً عسكرياً عليه ، وتم توقيع أقدم معاهدة صلح وسلام بينهما (المحرر).

عبرى : (Hebrew)

هى الدياليكت (اللهجة) الكنعانى الذى تتحدث به ممالك إسرائيل القديمة ، فى يهودا (Judaia) وكذلك مؤاب (Moab) ، فيما بين حوالى ١٥٠٠[٢٤]–٥٠٠ق.م. ولأسباب دينية ، فإنه غالباً ما ينظر إلى اللغة العبرية (Hevrew) على أنها لغة مستقلة بذاتها (متفردة).

هيللادى : (Helladic)

هو اسم يطلق على ثلاث مراحل متعاقبة لفخار بلاد اليونان الأم (Mainland) ، وذلك فى محاولة تقريبية ، بدرجة ما ، مع مراحل الفخار المينوى فى كريت .

هيللينى : (Hellenic)

يونانى أو يونانى اللغة ، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشمال اليونان ، وتحديداً فى تساليا. ومنذ نهايات القرن (١٨) الميلادى ، فإن الكلمة قد حققت اتساعاً أكبر وشملت معانى عراقة الأصل (النبيل) والدم الآرى الشمالى.

هيللينستى : (Hellenistic)

هو اسم أطلق على الثقافة اليونانية فى حوض البحر المتوسط الشرقى ، وذلك منذ غزوات الإسكندر الأكبر ، فى الثلث الأخير من القرن (٤) ق.م.، حتى حدوث وإتمام الهيمنة الرومانية على المنطقة فى القرن الأول ق.م[٢٥].

هيلليسبونت : (Hellespont)

مضيق مستقيم يوصل البحر المتوسط بالبحر الأسود ، ويفصل آسيا عن أوروبا.

هيرودوتوس : (Herodotos)

أقدم مؤرخ يونانى ، من بلدة هاليكارناسوس ، فى آسيا الصغرى ، وقد ولد حوالى عام ٤٨٥ق.م.، وتوفى حوالى عام ٤٢٥ ق.م.

وهيرودوت – كما نعرفه فى مراجعنا العربية – هو الذى خلد الحضارة المصرية وحدد مظاهر تميزها وخصوصيتها الشديدة ، خلافًا للعالمين فى كتابه الثانى من تواريخه ، راجع/وهيب كامل: هيرودوت يتحدث عن مصر ، القاهرة (المحرر).

هيسيود : (Hesiod)

يؤرخ له بالقرن (١٠) ق.م.، وترجع شهرته فى معظمها ، لعمله الشعرى: ثيوجونيا (أنساب الآلهة). ولكن شهرته ، كما يؤرخ لها عند غالبية الباحثين المتخصصين فى الدراسات الكلاسيكية ، منذ القرن (٨) ق.م ، ترجع إلى منهجه الاصطلاحى التعليمى لزيادة الإيمان فى القلوب من ناحية ، ولاحترام العمل كوسيلة حلال للكسب المشروع من ناحية أخرى. راجع كتابنا/ تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ١٦٥-، ١٧١ (المحرر) .

هيراطيقى : (Hieratic)

هى كتابة مصرية ، كانت قد تطورت ، بالتدريج عن الهيروغليفية ، حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م. لقد غيرت العلامات التصويرية الهيروغليفية الرسمية إلى خط مائل ، والذى ظل معتمداً على المبادئ اللغوية نفسها.

هيروغليفى : (Hieroglyphic)

هى كتابة مصرية ، كان أول ظهور لها فى نهايات الألف الرابعة ق.م.، وتتكون من علامات صوتية للحروف ، وحروف مزدوجة ، وثلاثية ، ومخصص ، وهو الذى يشير إلى مجموعة معانى الكلمة. (المؤلف).

وكان الفضل فى فك رموزها يرجع إلى النص اليونانى ، وتحديداً الخرطوشات الملكية لـ (بطليموس ، وكليوباترا) فى نص حجر رشيد ، المؤرخ ببدايات القرن الثانى ق.م. ، وذلك بعد محاولات كثيرة تكللت على أيدى فرانسوا شامبليون (المحرر).

حيثى : (Hittite)

هى مملكة الحيثيين ، كإمبراطورية فى وسط آسيا الصغرى أو تحديداً فى أناتوليا الوسطى، خلال الألف الثانية ق.م.، كانت لغتها شرقية (أناتولية) وجاءت كتابتها الأولى فى شكل حروف مسمارية ، ولكن مرحلتها المتأخرة كان لها نظامها التصويرى (الهيروغليفى) الخاص بها.

الحوريون : (Hurrian)

هو اسم أطلق على شعب عاش فى سوريا وشرق أناتوليا فى الألف الثالثة والثانية ق.م.

الهكسوس : (Hyksos)

كانوا غزاة (رعاة) من المنطقة الشمالية الشرقية للعراق ، واحتلوا مصر فيما بين ١٧٢٥ وحتى ١٥٧٥ ق.م. كان معظم هؤلاء يتحدثون لغة سامية غربية ، ولكنهم – فيما يبدو– كانوا يضمون عناصر حورية (من سوريا) ، وأخرى آرية – هندية.

أسرة اللغات : الهندو/ أوروبية (Indo-European)

(أو) الأوروبية/ الهندية (كما فعلنا نحن فى الفصل الخامس من هذا الكتاب) (المحرر)

هى أسرة لغوية كبيرة تشمل كل اللغات الأوربية ، ماعدا الباسك ، وفنلندا ، والمجر ، كما تضم أيضاً ، اللغة الإيرانية ، والهندية الشمالية. وبالرغم من أن اللغة الفريجية والأرمينية توجد فى إقليم أناتوليا (شرق آسيا الصغرى) ، إلا أنها لغات هندو/أوروبية ، وليست أناضولية.

أسرة اللغات: الهندو/ حيثية : (Indo-Hittite)

وهى أسرة لغات ضخمة تشمل كل اللغات الأناضولية ، وكذلك مجموعة اللغات الهندو/أوروبية.

الأيونيون : (Ionians)

هم العناصر اليونانية فى وسط وجنوب اليونان ، وهم الذين أحيوا الغزو الدورى. وقد هاجر بعضهم إلى الساحل الغربى من أناتوليا (الأناضول / آسيا الصغرى) - (المؤلف) - كما أعجب بهم كثيراً أرسطو وحسدهم على ثروات بلدهم فى آسيا واعتدال مزاجهم ، ومنهم عمالقة الفكر اليونانى ، أمثال هوميروس وهيرودوت (المحرر).

الكارتفيلية : (Kartvelian)

هى أسرة لغوية قوقازية ، وأشهر لغاتها اللغة الجورجية.

الكاشيون : (Kassites)

هم شعب جبلى ، من المرتفعات الواقعة إلى الشرق من مسوبوتاميا (العراق). كانوا قد هزموا كل الإقليم ، فى نهايات القرن (١٨) ق.م.، وسيطروا عليه حتى النصف الثانى من القرن (١٣) ق.م.

العصر الهيللادى المتأخر : (Late Helladicor) (Mycenaean) أو (الميكينى)[٢٦]

هى فترة زمنية لحضارة اليونان (على أرض البلد الأم (Mainland) ، وليس الجزر ، وتعتمد فى تاريخها على الفخار وأشكاله وزخارفه. وهى فيما بين ١٦٧٥ و ١١٠٠ ق.م.

العصر المينوى المتأخر: (Late Minoan)

هى فترة زمنية خاصة بحضارة كريت (المينوية) ، ويؤرخ لها فيما ١٦٧٥-١٤٥٠ ق.م.، على أساس الفخار.

وهناك تأريخ آخر - قدمه الأثرى اليونانى بلاتون (Platon) - على أساس وجود القصور الكريتية وتطورها (المحرر).

تحليل الرصاص: (Lead isotope analysis)

وهو قياس المعيار النشط للكربون ، بدرجات متساوية ، في الرصاص ، والتي - عن طريقه - يمكن تقرير العمر الجيولوجي لترسيب الرصاص ، وبالتالي معرفة أصل الأشياء المصنوعة منه.

لمينوس: (Lemnos)

هى جزيرة في شمال شرق البحر الإيجي ، حيث لا أثر لأية لغة هندو/أوروبية.

الكتابة الخطية الأولى: (Linear A)

هى كتابة مقطعية ، ظهرت فى كريت ، ومناطق أخرى ، وذلك قبل نزوح العنصر اليونانى إليها والاستقرار فيها.

الكتابة الخطية الثانية: (Linear B)

هى كتابة مقطعية ، أيضًا ، مشتقة من الأولى. ظهرت فى القرن (١٤) ق.م. ، وربما كانت تستخدم قبل ذلك بكثير.

التبديل : (Metathesis)

وهو اصطلاح لغوى ، يقصد به نقل وتغيير أو تبديل حرف من الحروف الصامتة أو المتحركة من مكان لآخر ، في اللغة الواحدة .

وهى كلمة يونانية مركبة من لفظين: الأول : (Meta) بمعنى أحول إلى ؛ بعد. ثم الثاني، وهو : (Thwsis) ، بمعنى "مكان "، وهكذا يصبح المعنى الإجمالي: تبديل المكان من/إلى.....(المحرر).

الانتشار التوفيقى : (Modified Diffusionism)

وهو الاعتقاد بأن الثقافات يمكن أن تتغير أو تتحول بسبب عوامل خارجية ، ولكن ذلك يحدث فى حالات تتم فيها عملية التحول عقب اتصال هام وتداخل مع ثقافة محلية أخرى.

الفردية (الذاتية) : (Monism)

وتستخدم فى هذا الكتاب بمعنى أن كل الأشياء لها مسببات أساسية واحدة (المؤلف) وهى، فى الأصل ، كلمة يونانية (Mono) ، تعني: فرد ، أحد ، فقط ، لا غير (المحرر).

النشوء الأوحد : (Monogenesis)

وهو الاعتقاد فى الجذور ذات الأصل الواحد ، وقد خصصنا فى كتابنا هذا حول الإنسانيات واللغة ، وهى على عكس : (Polygenesis) النشوء المتعدد.

موكيناى[٢٧] : (Mycenae)

مدينة بالقرب من أرجوس ، فى الجزء الشمالى الشرقى من البلوبونيز. ذاعت شهرتها على أنها المدينة الرائدة فى نهايات عصر البرونز (المؤلف).

وهى أيضاً العاصمة المركزية للحضارة الميكينية (١٦٠٠-١١٠٠ ق.م) وتم كشف آثارها على يد شليمان ، وفيها أكبر وأفخم المقابر الملكية القبابية (Tholoi) .. (المحرر) .

الألعاب الأولمبية : (Olympic Games)

هى احتفالية دينية وألعاب كانت تتم فى مدينة أولمبيا ، فى الشمال الغربى من البلوبونيز ، كل أربع سنوات ، منذ عام ٧٧٦ ق.م، حتى تم إيقافها بقرار من الإمبراطور ثيودوسيوس ، مع نهاية القرن (٤) الميلادى. وتم بعثها - من جديد - بفضل الروح القومية الأوربية ، والإحساس بالتفرد (Elitism) ، التى خرج منها النموذج الآرى ، مع نهايات القرن (١٩) الميلادى.

الأورفية : (Orphics)

مذهب دينى ، يؤمن متعبدوه بأورفيوس المقدس. وهو يشبه البيثاغورية إلى حد كبير، حيث روَّج الأورفيون للمعتقدات المصرية الدينية ، والتى كانت تهتم - فى المقام الأول - بالخلود الشخصى.

باوسانياس : (Pausanias)

رحَّالة جغرافى يونانى ، كتب عملاً ضخمًا: " رحلات حول اليونان " ، وعاش فى القرن (٢) الميلادى.

البلاسجيون : (Pelasgians)

هم أقدم سكان لليونان ، وفق روايات المصادر الكلاسيكية.

الإمبراطورية الفارسية : (Persian Empire)

أقامها قورش العظيم ، فى منتصف القرن (٦) ق.م.، وكانت قد سيطرت على الشرق القديم وآسيا الصغرى ، والبحر الإيجى ، حتى تم إلحاق الهزيمة بهم على أيدى اليونان. دمر الإسكندر الأكبر آخر بقاياها فى النصف الثانى من القرن (٤) ق.م.

الفيليستين : (Philistines)

كانوا غزاة للسواحل المصرية ، والليفانت. جاءوا من البحر الإيجى وأناتوليا ، فى نهايات القرن (١٣) ومطلع القرن (١٢) ق.م.

فينيقيا : (Phoenicia)

هى مجموعة مدن ساحلية بطول السهل الساحلى الممتد ، حاليًا ، من لبنان حتى شمال إسرائيل. وكان من أشهر هذه المدن بيبلوس ، وصور ، وصيدا. ويطلق على هذا الإقليم اسم "فينيقيا" ، طيلة العصور القديمة. وتؤرخ أزهى عصورها لهذه المدن ، فيما بين ١١٠٠ و ٧٥٠ ق.م. وكانت اللغة الفينيقية ، مثل العبرية ، لهجة كنعانية. وكانت أبجديتهم يشار إليها غالبًا على أنها اختراع فينيقى. وربما كان أصلها فى الإقليم نفسه ، ولكنها كانت قد تطورت زمنًا طويلاً قبل الفترة الفينيقية.

فريجيا : (Phrygia)

إقليم فى شمال أناتوليا. وكانت فريجيا دولة قوية فى النصف الأول من الألف الأولى ق.م. ولغتها كانت ألفبائية من جذور هندو/أوربية وعلى اتصال وثيق باليونانية القديمة.

بطلمى : **(Ptolemaic)**

هو اسم أطلق على الثقافة المصرية تحت حكم الملوك البطالمة (المؤلف).

وكذلك فهو مصطلح تاريخي وفنى لتراث المقدونيين واليونانيين على أرض مصر فى الفترة من ٣٢٢ وحتى ٣٠ ق.م. وكان أشهر ملوكهم بطليموس الأول (Soter) ، والثانى فيلادلفوس، صاحب نهضة الإسكندرية الشاملة[٢٨] .

فيثاغورس : **(Phythagoras)**

فيلسوف يونانى وعالم رياضيات ، فيما بين ٥٨٢ و ٥٠٠ ق.م. كان قد أتم دراسته فى مصر، وعاد إلى بلده ومعه مبادئ رياضية مصرية ، وكذلك دينية ، ومن ثم أنشأ "جماعة فيثاغورس".

كن (تشن) : **(Qin [Chin])**

أسرة صينية ، حكمت فيما بين ٢٥٦ و ٢٠٧ ق.م ، ومنها ، اشتق اسم "الصين"، فى الغالب. ولكونها أسرة قومية فقد تم تأسيسها على يد موحد الصين ، ولكنها لم تستمر ، إلا عدة سنوات قليلة ، بعد وفاته. كما خلفتها أسرة " هان " (Han) .

السيليوكيون : **(Seleucid)**
أو (آل سيليوكوس)

هو اسم الأسرة الملكية المقدونية التى تأسست فى سوريا ومسوبوتاميا بواسطة سيليوكوس أحد جنرالات الإسكندر الأكبر عقب وفاته (المؤلف).

ويبدأ تاريخ هذه المملكة ، فى إنطاكيا (أنتيوخيا) العاصمة ، منذ عام ٣١٦ ق.م بمساعدة الملك بطلميوس بن لاجوس فى مصر (المحرر).

شانج : (Shang)

أسرة صينية ، حكمت فيما بين ١٦٠٠-١١٠٠ ق.م، وكان أميرها تانج (Tang) هو أول إمبراطور لهذه الأسرة.

صيدا : (Sidon)

هى ميناء فينيقى قديم ، يقدس إله البحر " سد " (Sid) بدأ نجمه فى الظهور منذ أوائل عصر الحديد ، ولذلك يشار إليهم ، أى أهل صيدا ، على أنهم الفينيقيون جميعًا ، وذلك فى المصادر التاريخية القديمة ، مثل التوراة ، وكذلك هوميروس. وكانت صور قد حلت محلها وأخذت مكانتها منذ القرن (٩) ق.م.

ستيلى (لوحة حجرية أو معدنية) : (Stele)

هى لوحة تذكارية ، مستقيمة ، عليها نقش أو نحت (المؤلف) وهذا اللوح - مهما كان طوله أو ارتفاعه - غالبًا ما يكون من الحجر (على اختلاف أنواعه وحجمه) ويوضع على القبر كشاهد قبر أو لوحة تأسيس لمعبد أو منزل ، أو فى - فى الغالب - كائر كتابى عليه نقش نصي يخلد مناسبة ما ، كلوحة انتصار أو قرار. ومن أشهر هذه اللوحات ، ، لوحة الكرنك فى مصر ، وكذلك لوح حجر رشيد ، ولوحة قوانين جورتينا فى كريت ، باليونان ، ولوحة أعمال أغسطس المؤله (Res Gestae Divi Augusti) عند الرومان (المحرر).

سترابون[٢٩] : (Strabo)

جغرافى يونانى من القرن (١) ق.م. وحتى القرن (١) الميلادى (المؤلف) له موسوعة جغرافية كبيرة ، وصلنا منها (١٧) كتاباً ، وجاء الكتاب الأخير عن مصر. أصله يونانى

من آسيا الصغرى ، واتصل بالرومان فى شبابه وأقام فى روما ، وزار مصر ضيفًا على صديقه الوالى الرومانى لها (حوالى ١٩/٢٥ ق.م (المحرر) .

ثيرا : (Thera)

هى جزيرة بركانية يونانية ، تبعد حوالى (٧٠) ميلاً شمال كريت. كانت قد تعرضت لبركان ضخم فى منتصف الألف الثانية ق.م.، والذى يؤرخ - الآن - بعام ١٦٢٨ق.م. (المؤلف).

لقد غطى البركان نصف الجزيرة تقريبًا ، وغاص فى البحر ، وتسمى الآن "بالمحروقة " أو ساندورينى[٣٠] . وفى زيارة ميدانية لى عام ١٩٧٦م ، تأكد لى كثير من مظاهر البركان. مثل التراب البركانى الكثيف ، والحجر المنصهر كالبازلت حول فوهة البركان وتعود أهمية الجزيرة ، أثريًا ، إلى لوحاتها الجدارية الرائعة ، مثل الغلامين المتلاكمين ، وصياد السمك، وهما معروضان فى المتحف القومى بأثينا (المحرر).

ثيوكيديديس : (Thucydides)

مؤرخ يونانى ، اشتهر بعمله حول الحرب البلوبونيزية ، ولد عام ٤٦٠ ق.م وتوفى ٤٠٠ق.م. (المؤلف).

عرف عنه الموضوعية الشديدة وعدم التحيز لأثينا ، بالرغم من كونه قائدًا عسكريًا فى تلك الحرب (٤٢٧-٤٠٤ ق.م.) فضلاً عن التحليل والتعليل لوقوع الأحداث ، وبذلك فهو يتفوق على أبى التاريخ/ هيرودوت/ فى منجهة التاريخى (المحرر).

أوغاريت : (Ugarit)

ميناء كبير على الساحل السورى ، كان قد ازدهر فى النصف الثانى من الألف الثانية ق.م.

أورارتو: (Urartu)

مملكة في جنوب القوقاز. ازدهرت في النصف الأول من الألف الأولى ق.م.، كانت لغتها ذات صلة مع اللغة الحورية ، وكذلك مع اللغات القوقازية الحالية في الشمال الشرقي.

خيا (هسيا) : (Xia/Hsia)

أسرة صينية ، حوالي ١٩٠٠ - ١٦٠٠ ق.م. ، كان قد انتهى حكمها على يد أسرة شانج.

زو (تشو) : (Zhou / Chou)

أسرة صينية ، خلفت أسرة شانج في الحكم ، حوالي عام ١١٠٠ ق.م.

زوروآستر: (Zoroaster)

مصلح ديني إيراني ، كان قد عاش في الألف الثانية ق.م.

الزوروآستريانية : (Zoroasterianism)

هي ديانة قديمة أسسها زوروآستر ، وقد أصبحت ديانة رسمية للإمبراطورية الفارسية.

كانت تدعو إلى أن العالم هو مسرح لأحداث وصراع دائم ومتصل ، ولكنه متوازن بشكل كبير، بين الخير والشر. وتم الإجهاز على هذه الديانة في إيران - بدرجة كبيرة - عقب الفتح الإسلامي لهذا البلد. ومع ذلك فإنها لا تزال مزدهرة في أماكن أخرى من العالم.

هوامش المصطلحات

(١) لمزيد من المعلومات حول تاريخ وحضارة الآراميين راجع/ معجم المصطلحات الأثرية (انجليزى/عربى)، إعداد أ./ محمد كمال صدقى ، الرياض ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص. ٤٣

(٢) هذه بداية غير دقيقة لأنها ، هكذا ، تدخل فى عصر "الاستشراق" (Orientali Zing Period) ولكن، أثرياً، يتضمن الفقرتين (٧) ، (٦) فقط .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤) وهو تاريخ متقدم كثيراً ، إذ لا يؤرخ لها عادة - كما فى مراجعنا المعروفة - إلا بحوالى ٢٠٠٠/٨٠٠ق.م. على أحسن الفروض !!! ، بل بعد ذلك على الأرجح. راجع/ عبد العزيز صالح ، تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق) ، القاهرة (المحرر).

(٥) راجع أحدث دراسة لنا عن الإلهة أثينا وعلاقتها بمعبد الصخرة المقدسة على الأكروبوليس ، وكذلك الآلهة الأقدم فى الموقع ، " البارثينون " ، المؤرخ العربى ، مارس ٢٠٠٠م (المحرر).

(٦) لازلت أعجب أشد العجب على الإصرار على حشر اليهود ، بلفظة إحدى أقدم ممالكهم فى شمال فلسطين القديمة (فى الضفة الغربية) كأحد أهم حضارات المنطقة أنذاك ، واستبعاد دور الحضارة المصرية فى بعثها الجديد مع الأسرة الـ٢٦ ، بالرغم من أنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، بل سقطوا أسرى فى أيدى نبوخذ نصر البابلى (المحرر).

(٧) راجع: معجم المصطلحات الأثرية ، ص ص ٥٥ - ٥٦

(٨) المرجع نفسه ، ص ٥٥

(٩) المرجع نفسه، ص ٦٥

(١٠) المرجع نفسه، ص ٧١

(١١) المرجع نفسه .

(١٢) راجع بحثنا " العلاقات المصرية - اليونانية القديمة "، فى ندوة (مصر وعالم البحر المتوسط)، بقسم التاريخ ، بآداب القاهرة ١٩٨٦ ، بإشراف أ.د./ رؤوف عباس ، القاهرة ١٩٨٨ عن دار النشر عالم الفكر.

(١٣) راجع/ عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول (العراق)، ط/٤ ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ص ٦٢٣ – ٦٤٠

(١٤) راجع/ كتابنا (في طبعة الرياض ١٩٩٧م) بعنوان: تاريخ الحضارة الهيللينية أو في طبعة القاهرة ٢٠٠٠م، بعنوان: تاريخ وحضارة اليونان.

(١٥) معجم المصطلحات الأثرية ، ص.١٠٢

(١٦) المرجع نفسه ، ص.١١٠ ، وكذلك راجع/ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ص ٤٥١ – ٤٥٤

(١٧) راجع كتابنا ، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية أثرية) ، القاهرة ٢٠٠٠م حول الغزو الدورى ونتائجه : «بداية ونهاية» .

(١٨) راجع مقالنا الهام " العرب عند ديودوروس " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن ، مارس ، ٢٠٠٠

(١٩) خلافاً لما أقره المؤلف بأنهم قبيلة يونانية (A Greek tribe) ، وكأنهم أولاد عمومة مع بقية أنحاء اليونان ، وهذا أكبر مغالطة تاريخية وحضارية يقع فيها مؤلفنا ، وربما نجد له العذر باعتباره غير متخصص، ولكننا نميل إلى ترجيح رأى آخر ، وأنه خطأ مقصود (!!!!). راجع/ كتابنا في هامش (١٧).

(٢٠) راجع مثلاً ، أحد أشهر علماء التاريخ اليوناني القديم، وهو: N.G.H. Hammond, A History of Greece, 2nd edition, Oxford (Clarendon Press) 1977, pp.36-38 حيث يؤرخ للعصر الهيللادى المبكر الأول (الأول = I) استناداً إلى اختبارات الكربون ١٤– بالفترة من ٢٨٠٠ إلى ٢٥٠٠ ق.م. وبالتالي لا ندرى من أين أتى برنال بهذا التأريخ الجديد تماماً للبدايات الأولى لحضارة البرونز على أرض البلد الأم ؟!!!

(٢١) وهنا أيضاً يأتي المؤلف بتاريخ غريب لبداية حضارة كريت ويضيف إليه ٥٠٠ عاماً على الأقل زيادة على عمره ، مخالفاً بذلك إجماع علماء الآثار والتاريخ. ويكفي أن نرجع إلى أى كتاب مرجعي في حضارة كريت لنتعرف على هذا الخطأ الكبير ، فمثلاً يمكننا أن نعود إلى العلامة/ هامون ، – في المرجع الإنجليزى السابق الذكر (وهامش ٢٠) ص ص ٢٤ – ٢٥

(٢٢) راجع/ مقالنا السابق الذكر ، العلاقات المصرية – اليونانية القديمة " ندوة " مصر وعالم البحر المتوسط، بقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦.

(٢٣) راجع:

The Oxford Classical Dictionary, 2nd edition, Oxford (at the Clarendon Press), 1970, rep. - 1972, p. 405.

(٢٤) إن المادة الأثرية الحديثة ، التي تم الكشف عنها في هذه الممالك القديمة – منذ عهد سليمان – لا يمكن أن تؤرخ بأقدم من القرن (١٠) ق.م ، أى فقط منذ حوالى ١٠٠٠ ق.م.، وليس ١٥٠٠ ق.م.، (كما يدعى المؤلف زوراً وبهتاناً (!!!) (المحرر) ، راجع دورية: The Biblic Archaeology المتخصصة في الآثار التوراتية!؟!

(٢٥) حول معانى مصطلح " هيللينستى " (Hellenistic) والهيللينية ، راجع كتابنا: مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، الأنجلو المصرية ٢٠٠٠م، ص ص ٤-١٠ (المحرر).

(٢٦) راجع كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ص ص. ٩٤ - ١٢٥ (المحرر) .

(٢٧) راجع كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ٩٤ - ١٢٥

(٢٨) راجع كتابنا : تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، الأنجلو المصرية ٢٠٠٠م ، ص ص ٦٠ - ٨٥ (المحرر) .

(٢٩) راجع بحثنا "سترابون والبحر الأحمر" ، اتحاد المؤرخين العرب / القاهرة / ندوة نوفمبر ٢٠٠٢م . (المحرر) .

(٣٠) راجع كتابنا : تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ص ٥٠ - ٥٨

المؤلف فى سطور:

مارتن برنال

هو أحد المتمرسين وخبراء التاريخ الصينى ، كما اعترف بذلك فى مقدمة الجزء الأول من كتابه ، ومحاولته هذه هى اجتراء على موضوعات تبعد كثيراً عن مجال تخصصه الأصلى .

يروِّج للدعوة إلى النموذج القديم المعدَّل وتقديم التأثير الشرقى (المصرى والفينيقى ، ويختصر الأخير فى الأصل العبرى (!!!) اليهودى) على حضارة اليونان منذ الألف الثانية ق.م.

حضر برنال إلى مصر فى الفترة من ١٧ إلى ١٩ ديسمبر ١٩٩٥م لعرض آرائه فى الأدب المقارن .

المترجمون فى سطور :

أ.د./ محمود إبراهيم السعدنى

الدرجة العلمية الحالية :

أستاذ تاريخ الحضارة اليونانية - الرومانية ، ووكيل الكلية لشئون البيئة وخدمة المجتمع .

الجامعة والكلية :

كلية الآداب ، جامعة حلوان .

الإنتاج العلمى :

له العديد من الأبحاث فى التخصص الدقيق ، وبعض الكتب المنشورة ، ومنها :

١ - تاريخ وحضارة اليونان ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٢ - تاريخ وحضارة الرومان ، القاهرة ٢٠٠٠م .

٣ - تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٤ - الإسكندر الأكبر (سيرته وقبره) ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٥ - تاريخ الفن القديم (موضوعات مختارة) ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

النشاط العلمى :

شارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية ، فى الداخل والخارج .

النشاط الاجتماعى :

عضو فى كثير من الجمعيات الأهلية ، وخاصة :

(أ) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة .

(ب) إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة .

(جـ) إتحاد الأثاريين العرب ، القاهرة .

(د) لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة ، وزارة الثقافة .

(هـ) لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، وزارة الثقافة .

أ.د./ إسحق عبيد

الدرجة العلمية الحالية :

أستاذ متفرغ لتاريخ العصور الوسطى الأوربية .

الجامعة والكلية :

كلية الآداب / جامعة عين شمس .

الإنتاج العلمي :

له العديد من الدراسات والأبحاث في مجال التخصص الدقيق ، وكذلك كثير من الترجمات ، عن الإنجليزية ، المنشورة ضمن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

النشاط الاجتماعي :

عضو في العديد من الجمعيات الأهلية ، ومنها : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، واتحاد المؤرخين العرب ، بالقاهرة ، وكذلك الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية ، ولجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة .

أ.د./ محمد حمدى إبراهيم

الدرجة العلمية الحالية :

أستاذ متفرغ للأدب الهيللينستي واللغة اليونانية القديمة والحديثة ، ومستشار رئيس جامعة القاهرة للتعليم المفتوح ، وكان قد شغل منصب عميد كلية الآداب ، ونائب رئيس جامعة القاهرة وحصل على جائزة الدولة التشجيعية ، وجائزة كفافيس الدولية ، وعضو في حوالى (٢٣) مؤسسة ثقافية .

الجامعة والكلية :

كلية الآداب ، جامعة حلوان .

الإنتاج العلمى :

لسيادته العديد من الدراسات والأبحاث ، وصل عددها إلى أكثر من (٤٠) بحثًا . والكتب فى التخصص الدقيق ، وكذلك ترجمات عديدة عن الأدب اليونانى الحديث ، وأهمها :

١ - الأدب السكندرى ، القاهرة .

٢ - الدراما الإغريقية ، القاهرة .

٣ - مقدمة لحياة المؤرخ يوسينوس ، القاهرة .

٤ - مختارات من «الشعر اليونانى الحديث» ، القاهرة .

٥ - غالاناكى : شوكة فى الفؤاد : (رواية يونانية حديثة)

(حياة الفريق إسماعيل باشا ، القاهرة (صادرة عن مركز الأهرام للترجمة والنشر) .

النشاط الاجتماعى :

عضو فى كثير من الجمعيات الأهلية ، ولجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، والجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية ، ورئيس الجمعية العلمية المصرية ، بالقاهرة .

أ.د./ أبو اليسر فرج

الدرجة العلمية الحالية :

أستاذ مساعد التاريخ اليونانى - الرومانى .

الجامعة والكلية :

كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

الإنتاج العلمى :

له العديد من الأبحاث والدراسات فى التخصص الدقيق ، وأهمها :

١ - النيل فى المصادرة الإغريقية ، دار عين ، القاهرة .

٢ - الدولة والفرد (دراسة لظاهرة هروب الفلاحين فى العصر الرومانى) ، دار عين ، القاهرة (Ph. D.).

النشاط العلمى :

شارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية .

النشاط الاجتماعى :

عضو فى كثير من الجمعيات الأهلية، وخاصة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وإتحاد المؤرخين العرب ، بالقاهرة وكذلك لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

أ.د./ هانم محمد فوزى سليمان

المؤهلات العلمية :

ليسانس الآداب ، قسم الدراسات اليونانية واللاتينية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، دور مايو ١٩٧٢ .

الدكتوراه فى الأدب اللاتينيى فى كلية الفلسفة ، جامعة أثينا باليونان ، مايو ١٩٨٤ .

النشاط العلمى :

معيد بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية اعتباراً من ١٩٧٢/١١/١٦ .

مدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، اعتباراً من ١٩٨٤/١٠/٢٤ ، (أول مدرس من السيدات) .

أستاذ مساعد اعتباراً من ١٩٩١/٣/٢٧ ، (أول أستاذ مساعد من السيدات) .

أستاذ بنفس القسم اعتباراً من ١٩٩٩/٦/٣٠، (أول أستاذ من السيدات) .

رئيس مجلس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، اعتباراً من ٢٠٠٠/١١/١٤ ، وحتى الآن ، (أول رئيس قسم من السيدات) .

المؤلفات العلمية :

١ – «يوفيناليس شاعر الإنسانية» ، دار حراء ، ١٩٨٩ .

٢ – «الريف والمدينة عند هوراتيوس ويوفيناليس» ، دار حراء ، ١٩٨٩ .

٣ – «الساتوراء وعلاقاتها بالدراما» ، دار حراء ١٩٩٠ .

٤ – «يوفيناليس والمصريون» فى مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ، العدد التاسع والأربعون ، ١٩٩٠ .

٥ – «المرأة عند لوكيليوس وهورتيوس» ، مجلة جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٦ – «يوفيناليس عالمًا تربويًا» ، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٩٨ .

٧ – الأدب الساخر عند الرومان ، تقديم أ.د. مصطفى العبادى ، المشروع القومى للترجمة المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ .

الجوائز :

جائزة أينياس من المركز الثقافى الإيطالى بالقاهرة ، عام ٢٠٠٠ (عن أحسن بحث فى الأدب اللاتينى) .

٢ – تم إدراج سيرتها الذاتية للنشر فى قاموس السيرة الذاتية الدولية ، مركز السيرة الذاتية العالمى (IBC) كامبريدج – إنجلترا ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠١ .

٣ – فازت بلقب الأستاذة المثالية لعام ٢٠٠٤ وحصلت على ميدالية وشهادة تقدير من نادى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة .





أثينة السوداء



أثينة السوداء، إلهة العقل والحكمة عند الإغريق، أفريقية سوداء، ولها أصول سامية أيضا . هذا كل ما يريد أن يقوله المؤلف مارتن برنال، ويقع مشروعه فى أربعة أجزاء، وبين أيدينا ترجمة الجزء الثانى، المجلد الأول. إنه حقا مشروع ضخم: لأن المؤلف يتصدى لمهمة إعادة تأريخ الحضارات القديمة، ومن ثم إعادة تشكيل العقلية الحديثة. فالمركزية الأوروبية جعلت من أوروبا منبعا لكل إبداع فكرى وفنى. ومع أن الحكمة الإغريقية تقول" لا شىء يخلق من العدم، فإن الفكرة الشائعة لدى الغرب عن المعجزة الإغريقية تعنى أن الإغريق هم صانعو كل شىء من لا شىء، أى لم يسبقهم أحد إلى ما توصلوا هم إليه. هم مبدعو الفنون والآداب والعلوم، وتفوقوا على أسلافهم من أصحاب الحضارات الأقدم فى كل تلك المجالات.

تصميم الغلاف: عماد حليم